الجواب الفسيح
لما لفقه عبد المسيح

تأليف

الإمام الآلوسي البغدادي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الجزء السادس من فهارس مكتبة الازهر — المعارف العامة — ما يلى :

الجواب الفسيح ، لما لفقه عبد المسيح — لنعمان الآلوسى . وهو العلامة خير الدين ابو البركات : نعمان بن محمود الآلوسى البغدادى ، المولود سنة ١٢٥٢هـ . والمتوفى سنة ١٣١٧ هـ ، رد به على رسالة — لعبد المسيح الكندى التى طعن بها فى الاسلام ، وفرغ من تأليفه سنة ١٣٠٦ هـ — نسخة فى مجلد طبع حجر بمدينة لاهور . بأولها فهرس وتقريظ فى ٢٢ ، ٤٨٢ ص — ٣٣ سم (٨٠٨) ١٠٩٩٠ ونسخ كالسابقة .

قال النصراني

« ثم أعظم من هذا وأشنع انه كان يقـول لهم فى حياته ويوصى اليهم إذا مات الا يدفنوه ، فإنه سيرفع إلى السماء ، كما ارتفع المسيح سيد العالم ، وانه أكرم على الله من أن يتركه على الأرض اكثر من ثلاثة أيام ، ولم يزل ذلك عندهم متمكنا فى قلوبهم ، فلما مات يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة ثلاث وستين لمولده ، وقد مرض أربعة عشر يوما ، تركوه ميتا يظنـون أنه سيرفع إلى السماء كقوله ، فلما أنتن عليهم ثلاثة أيام وتغيرت رائحته ، وانقطع رجاؤهم من ذلك ، وأيسوا من تلك المواعيد الباطلة ، ووقفوا على كذبه ، دفنوه فى التراب يوم الأربعاء ·

وحكى بعضهم أنه مرض سبعة أيام بداء الجنب وانه غرب عقله وخلط فى كلامه تخليطا شنيعا ، فغضب لذلك على بن أبى طالب وأنكره ، فلما أفاق خبره بما كان فقال : لا يبقين فى البيت أحد الا « العباس بن عبد المطلب » فلمـا كان فى اليـوم السـابع من مرضـه مات ، فربى بطنه وانعكست أصبعه الشمال وهى الخنصر ، وذكر «عمر» أنه كان تحته فى مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أدرج بعدموته وورى فى التراب بغير غسل ولا أكفان وروى عمران بن خضـير الخزاعى أنه غسل وأدرج فى ثلاثة أثواب سحوليـة اى بيض يمانية · وان الذى تولى ذلك منـه «علىّ بن أبى طالب » و « الفضـل بن العبـاس ابن عبد المطلب » عمـه ، فلم يبق أحد ممن كان تبعه الا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قليلة من أخص أهله وأقربهـم نسبا إليه ، طمعا بما كان فيه من تلك الرئاسة ، فكان لأبى بكر ــ عتيق بن أبى قحافة ــ فى ذلك أعجب تدبير ، وألطف فعل ، وأكثر رفق · فتولى الامر

بعد بذلك السبب ، فاغتاظ «على بن أبى طالب» غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على من لم يشك ان الأمر صائر إليه ، فانتزع من يده كل ذلك حرصا على الدنيا، ورغبة فى الرئاسة، فلم يزل «أبو بكر» برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدين ، الى أن رجعوا بضروب من الحيل والرفق والعدات والتشويقات والأمانى والخداع وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف ، وبعض بالترغيب فى سلطان الدنيا وأموالها وإباحة شهواتها ولذاتها ، فرجع من رجع فى ظاهره لافى باطنه» اهـ .

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتى

أقول وبالله التوفيق: قوله « ثم أعظم من هذا واشنع انه كان يقول لهم الى آخره •

هذا كذب صرف وبهتان ظاهر ، وكلام ليس له أساس ولا أصل ، ولم يخطر ببال احد من المسلمين المتقدمين والمتأخرين ، بل هو حديث منه مفترى • والعجب من هذا النصرانى انه هو روى آنفا وان لم يصح أن نبينا عليه السلام قال : « ماجاءكم عنى أعرضوه على الكتاب ، فان كان له مشاكلا وكان له فيه ذكر ، فهو عنى ، فان لم يكن له ذكر فى الكتاب أنا برىء منه وهو كذب ممن رواه عنى» اهـ • فكيف يتصور أن يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه فى حياته ويوصى إليهم اذا مات ألا يدفنوه فإنه سيرفع إلى السماء كما ارتفع عيسى عليه السلام ، مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بلّغ الناس عن ربه عز وجل أنه قال له «إنك ميت وإنهم ميتون» • وقال تعالى : «وما محمد الا رسولقد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل » وقال سبحانه : « كل من عليها فان» وقال عز وجل : «كل نفس ذائقة الموت» • وقال صلى الله تعالى عليه وسلم عند وفاته «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقال : «لاتجعلوا قبرى عيدا » وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عند البخارى قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ قبره مسجدا • وقال عليه الصلاة والسلام كما فى « المواهب » عن ابن عمر «أن عيسى بن مريم ينزل إلى الأرض

فيتزوج ويولد له ثم يموت ، فيدفن معى فى قبرى ، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد » اهـ .

فلما نظرنا فى هذا القول الذى نسبه «عبد المسيح» الى الصحابة، رأيناه لم يسمع به أحد من المسلمين ، ولا ذكر عن احد من الصحابة والتابعين : أن نبينا عليه الصلاة السلام قال ذلك قط ، ولا كتب فى كتاب أو ديوان، ورأيناه أيضا مخالفا للقرآن العظيم والآيات المتقدمة، ورأيناه أيضا مناقضا لسائر أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم التى ذكرناها وغيرها ، مما لم نذكره خشية التطويل ، فعلمنا افتراء هذا العزو وكذب هذا الاسناد .

نعم بقى شىء ربما يموه به هذا النصرانى أو إخوانه على ضعفة العقول والجهال بالمنقول والمعقول ، وهو أنه لما توفى عليه الصلاة والسلام ودهمت هذه المصيبة كافة الاسلام ، وكادت أن تذهب بعقول الخاص والعام ، واتجت المدينة المنورة بالبكاء والضجيج ، والعويل والنحيب العريض الطويل ، كما قال «ابن المنير» فى معراجه : «لما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كادت العقول تطيش ، فمنهم من قارب الخبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أمرض . فعثمان ممن أخرس يذهب ويجىء ولا يستطيع كلاما ، وعلى بن أبى طالب ممن أقعد فلم يستطع حراكا ، وعبد الله بن أنيس ممن أضنى فمات كمدا وحزنا . وممن كاد أن يخبل عمر الفاروق . وقال : مامات رسول الله ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين . وقيل اخذ بقائم سيفه وقال : لا أسمع أحدا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفى هذا . وكان يقول : انما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، ثم صحى عمر ورجع

عن ذلك • كما سيأتى وكان أبو بكر اثبتهم جأشا، وجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، وبعد أن دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واكب عليه قبله وبكى • وقال : طبت حيا وميتا بأبى أنت وأمى ، ثم خرج• وقال : اجلس يا عمر فحمد الله ابو بكر وأثنى عليه • وقال : الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ،ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت • وقال : «انك ميت وانهم ميتون» وقال تعالى : «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل » الآية • قال عمر : فوالله لكأنى لم أتل هذه الآيات قط •

قال أبو نصر :«المقالة التى قالها عمر ، ثم رجع عنها (وهى) أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يمت ولن يموت ، حتى يقطع أيدى وأرجل رجال — يعنى المنافقين — كان قوله ذلك لعظيم ماورد عليه ،وقد خشى الفتنة وظهور المنافقين ، فلما شاهد عمر قوة يقين الصديق وتفوهه بالآيات وخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم رجع عن مقالته » اهـ •

وقد أجاب العلماء عن قول عمر رضى الله تعالى عنه بأجوبة أخر فمنها أن عمر انسان ، والانسان قد يعرض له النسيان ، ألا ترى ان آدم عليه السلام أبو البشر قال الله تعالى فى حقه «فنسى» أى النهى عن أكل الشجرة ، ونسى يوشع عليه السلام أن يخبر موسى بفقد الحوت من المكتل ، ونسى موسى عليه السلام معاهدته مع الخضر على عدم السؤال ثلاث مرات • فلا غرو إذا نسى الفاروق لكثرة حزنه ودهشته ، عند وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، قوله تعالى : « أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم » ومنها انه رضى الله تعالى عنه لم يدع استحالة الموت عليه عليه الصلاة والسلام بل قال كيف يموت ؟ أى فى هذا الوقت وقد قال تعالى «ليظهره على الدين كله»

وقال عز وجل «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» الآية • ولذلك نفي موته عليه الصلاة والسلام لأنه حمل الآية الأولى على أنه خبر فى حال حياته ، وظن أن عموم الآية الثانية يدخل فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه سيد المؤمنين والصالحين ، فظن أن ذلك يكون فى حياته على الفور لا على التراخى وبعد وفاته • حتى قال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه إن الله تبارك وتعالى وعده بذلك وسيفعله • وتلا عليه ما تلى ، فأيقن عند ذلك بموته عليه الصلاة والسلام •

وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت ، لا أنه منع من موته •

ومنها أن عمر بشر ، وإن البشر مما تلحقه العوارض البشرية ، كالفرح والحزن والنسيان والمرض ، فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن الحزن ما يضنى ويمنع عن الأكل والنوم ، ويورث الخبل ، ومن المرض ما يوجب أنواع المعاطب والهجر فى الكلام ، وفقد الرشد وزوال العلم والفهم • ثم يذهب ذلك ويعود الانسان بعد زواله هذه العوارض إلى حالته الأولى • ونحن لم نقل إن عمر وأمثاله رضى الله تعالى عنهم معصومون مبرءون عن ذلك ، ولم تثبت له ولهم النبوة الموجبة للعصمة ولا الألوهية المبرأة عن كل حادث وعارض ، ولا يلحق الفاروق مما يلحق سائر البشر نقص بذلك فهذا بطرس رسول عيسى وحواريه الذى هو اشرف من موسى بزعمكم أنكر إلهه ومرسله •أعنى المسيح بزعمكم ، لما أخذ والمسيح إلى الصلب ، وقالت الامراة : إن هذا أيضا من أصحاب يسوع فأنكره من شدة خوفه على نفسه ، بزعمكم حالفا ثلاث مرات : أنه لايعرف يسوع ، ولا هو من أصحابه،

حتى صاح الديك. فكان كما قال له يسوع المسيح : «إنك ستنكرنى ثلاثا قبل أن يصيح الديك » كما فى أناجيلكم ، ، فلا ضير إذا قال صحابى لفرط حزنه وتبدد فكره ودهشة عقله : إن نبيه لم يمت ثم بعد ساعة رجع لما أفاق كمال الافاقة ، وذكر بالآيات القرآنية ، فرد روعه عليه، وعاد كامل عقله إليه .فيقتضى أن يكون حاله أحسن من الحوارى بطرس ، لأنه انكر الهه المسيح ، والفاروق قال عن نبيه لم يمت .

تتمة يؤيد ما قلناه لك فى بحث توجيهنا لكلام عمر رضى الله تعالى عنه مافى الأصحاح الرابع والعشرين من انجيل لوقا فى بحث نزول المسيح عليه السلام على الحواريين بعد موته ودفنه وقيامته من قبره مالفظه : « ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه ، وفيها موضع المسامير ، وإذا هم حتى الآن غير مصدقين من فرحهم وتعجبهم » اه فاذا كان التلاميذ من شدة فرحهم لا يصدقون انه المسيح ، فليكن عمر من شدة حزنه ما صدق أنه عليه الصلاة والسلام توفى ، ثم بعد ساعة صدق ذلك ، مع أن التلاميذ ما صدقوا إلى الآن كما هو مصرح به . فقس أيها المعترض ووازن الحزن مع الفرح ، والسرور والترح، وانظر الفرق وتأمل ما يرد على هذه الآية الانجيلية هنا .

ومن الايرادات التى ستذكر أيضا فى محلها إن شاء الله تعالى فانظر الفرق بينهما وأنصف أيها المعترض .

قوله : « فلما أتت عليه ثلاثة أيام إلى آخره .

قد روى الثقاة أنه عليه الصلاة والسلام توفى يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء وقيل إنما دفن — عليه الصلاة والسلام — يوم الأربعاء لاشتغال الصحابة بأمر البيعة خشية أن يدفن عليه الصلاة والسلام ، وأمر الأمة غير منتظم ، وليس فيهم خليفة ، والقول الأول أصح .

ثم ما ذكره النصرانى من أنه عليه الصلاة والسلام رائحته بعد وفاته تغيرت ، فهذا كذب صرف ، بل الأمر بالعكس ولم يظهر فى جسمه الشريف تغير أبدا ، وشم جميع الحاضرين منه رائحة كرائحة المسك وعرف الند • روى الطبرى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال : « ما شممت بعد وفاته أطيب من ريحه ، ولا رأيت اضوء من وجهه حينئذ، ولم أره يعتاد فاه مايعتاد أفواه الموتى»على انا لوفرضنا المحال وسلمنا لك ما تقول من تغير بعض أجزائه الجسمية الشريفة الناسوتية — أرواحنا له الفداء — فأى ضرر من ذلك ؟ وأى شىء مضاد للنبوة فيما هنالك ؟ لأنكم إذا جوزتم على إلهكم — المسيح عليه السلام — خالق الموت والحياة ، وخالق ملك الموت وسائر الموجودات ، أنه صلب وسمرت يداه ، وبعد أن دفن ورفع إلى السماء نزل إلى الحواريين وأراهم يديه الشريفتين ، وقد بقى فيهما أثر المسامير التى سمرتا بها ، واعترى جسمه الشريف ما يعترى سائر الأجسام من الأذى ، وصار محلا لسائر الحوادث والعوارض ، منذ كان نطفة فى بطن أمه مريم عليها السلام إلى أن وضعته وختنته وكبر وجاع وعطش وأهانه اليهود وصلبوه ، بعد أن سمروا يديه وأثرت فيه المسامير حتى مات ودفن ، ثم قام من الأموات وصعد وجلس على عرشه ، ثم نزل إلى الحواريين ولم يذهب أثر المسامير وألمها من يديه ، وقلتم : إن ذلك لا يطعن فى ألوهيته لأن ذلك حل فى الناسوت لافى اللاهوت ، فأى ضير علينا إذا لحق بالفرض والتقدير جسم نبينا عليه الصلاة والسلام ما يلحق سائر أجسام الأنبياء عليهم السلام الذين كثير منهم قتل صبرا ، وبعضهم نشر بالمناشير ، وبعضهم صار عظاما بعد الموت ، كما حكيت أنت انفا عن «اليشع» أن عظامه وضع الميت عليها فعاش؟ وهذا دليل على أن لحمه — بزعمك — ذهب وأكلته الأرض ولم يبق منه شىء وإذا فرضنا أنه عليه الصلاة والسلام لشدة ألم

نسوته وما عرضه من الحمى تكلم بكلمات لا يتكلمها فى حال صحته ، كالنائم مثلا إذا تكلم فى نومه بعض كلمات لا يقولها فى حال يقظته ، فأى بأس فى ذلك ؟

والعجب من هذا النصرانى كأنه لم يسمع قول المسيح فى إنجيله «لماذا تنظر القذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها» وهذا بطرس عندكم أفضل من موسى عليه السلام (وقد) انكر المسيح ثلاث مرات من شدة خوفه من اليهود ، كما نقلناه آنفا فليكن المرض كالخوف مثلا، معأن المرض أعظم من الخوف، بل النائم والمريض معذوران ، والخائف لا يعذر من كل وجه ، ولا سيما مثل بطرس ، الذى يعلم أن عيسى إلهه بزعمكم ولا بد أن يخلصه من ايدى اليهود إذا اعترف بمصاحبته ، لأنه هو نزل عن عرشه ليخلص العالم من الخطيئة ، ويكون خروفا بزعمكم ، فكيف لا يعتقد بطرس أنه لا أقل (من أن) يخلصه من ايدى اليهود الذين يريدون قتله لأجله ظلما ؟ ومع هذا أنكره من شدة الخوف .

فتبين أن حالة الخوف يباح فيها الكفر عندكم ، لأن إنكار الإله كفر ، وقد أنكر بطرس إلهه، وحلف كاذبا عامدا ، فلتكن حالة دهشة عمر الفاروق وكلامه عند وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحالة إغماء النبى عليه الصلاة والسلام فى حماه ، وكلامه الذى زعمه النصرانى مما لو فرض وقوعه ، فلا بأس به كحالة بطرس فى خوفه . وحالة تغير جسم النبى عليه الصلاة والسلام بعد موته كتغير جسم الاله الخالق عند صلبه ، وكتأثير المسامير فى يديه وألمه عند زهوق روحه وصراخه عند تسليمها وتغير جسمه بزعمكم .

وهذا الذى قلناه إنما قلناه تنزلا مع الخصم ، وفرضا للمحال .

وفرض المحال جائز كما لا يخفى على أن تغير بعض أجزاء جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام — وأرواحنا له الفداء — بعد وفاته — على زعمكم — هو دون أكل لحم المسيح الحقيقى حقيقة وشرب دمه حقيقة فى كل يوم ، بكل كنيسة فى الدنيا ، منذ توفى إلى يومنا هذا ، وأهون منه بدرجات كثيرة ، فأين تغير ناسوت نبينا على تقدير وقوعه وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم ، من تغير جسم إلهكم بزعمكم ، وأكلكم لحمه وشربكم دمه بعد موته وصلبه وتسمير يديه فى حياته وصراخه عند تسليم روحه ؟ فافهم وأنصف ، فانه لامجال للمعترض فى رد كلامنا هذا عند كل منصف • والله سبحانه ولى التوفيق •

وأما قوله «فلما أفاق» إلى آخره •

أراد النصرانى بهذا مسألة اللد •

واللدود بالفتح هو الدواء الذى يلد به ، وهو أن يسقى الإنسان فى أحد شقى الفم ، وهذا كان القسط البحرى وهو العود الهندى ، ويدق ناعما ويخلط بالزيت ويستعمل لبعض الأمراض ، وهو نافع من داء الجنب وقد روى العلماء عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « لما اشتد وجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى البيت نساؤه ، وعمه العباس وأم الفضل بنت الحارث وأسماء بنت عميس ، فتشاوروا فى لده » وفى الصحيحين قالت عائشة لددنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأشار أن لا تلدونى ، فقلنا كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال « ألم انهكم ان لا تلدونى لا يبقى منكم احد إلا لد ، غير عمى العباس ، فإنه لم يشهدكم » قال العلماء : « وإنما أمر عليه الصلاة والسلام بلدهم معاقبة للجانى بمثل ما فعل ، لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نهاهم عن ذلك ولم يمتثلوا ، وفعلوا فيه

ذلك ، فاقتص منهم رحمة بهم ، لأنه لو لم يقتص منهم ، لجوزوا على ذلك فى الآخرة فالقصاص مطهر لهم وممحص لما ارتكبوه من خلاف أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستثنى عمه العباس لأنه لم يحضر ذلك ، ولم يكن له رأى فيه » اهـ .

ثم إنا لو فرضنا أنه عليه الصلاة والسلام قال : «لا يبقين فى البيت أحد ، وانه أخرج جميع من فى الدار ، وتكدر من بعض اصحابه الكرام، أو خالفه بعضهم فى أوامره بشىء ، فأى بأس فى ذلك إذا قسناه وقابلناه بما قاله المسيح عليه السلام لبطرس كما فى الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى وهو «اذهب عنى ياشيطان إنك أنت لى شك ، لأنك لا تفطن فى ماالله لكن فيما للناس » اهـ .

مع أن بطرس هو رأس الحواريين — رسل عيسى عليه السلام — وهو الصخرة التى بنيت عليه كنيسته ، وعنه أخذوا دينهم فانظر كيف قال له المسيح : انه شيطان . وطرده ونحاه عنه ، والشيطان كافر ملعون مطرود من رحمة الله تعالى ، ونسب المسيح نفسه أيضا للشك، مع أن النصارى يزعمون انه إله عالم بالمغيبات جميعها ، والعواقب بأسرها ، فكيف يكون من لعنه وأبعده عنه من الرسل ؟ وإذا كان فكيف جعله شيطانا أو شبيها به ؟ مع أنه لم يقع من نبينا عليه الصلاة والسلام مع أحد من أهل بيته او صحابته مثل هذا ، ففى هذه الآية والكلمات المذكورة أسئلة عديدة ، وإيرادات كثيرة على النصارى فى زعمهم ألوهية المسيح ورسالة حواريه ، وأجوبة مفحمة لما اطال به «عبدالمسيح» لا تخفى على الناظرين ذوى الفكر الفسيح .

فالعجب من هذا النصرانى كيف يموه فى كلامه ، ويستعمل دسائس فى تعبيراته.فاى بأس فى هذه المسألة إذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الخطأ والوهم فى أمر النبوة ، محفوظون فيما

يتعلق بتبليغ الوحى ، وأما اجسامهم الشريفة فتلحقها العوارض من الآلام والإغماء والجوع والعطش والتداوى ونحو ذلك مما هو من عوارض الناسوت • وكل ذلك عن حكم إلهية لأنهم إذا عصموا من اللوازم البشرية ربما يفضى الأمر بهم إلى أن تعتقد الجهلة ربوبيتهم كما وقع للنصارى مثل ذلك فى عيسى لما رأوا أنه احيا الموتى • فنبينا عليه الصلاة والسلام عبدالله ورسوله، وبشر تحله العوارض كما قال سبحانه : « قل إنما أنا بشر مثلكم » وعيسى عليه السلام الذى هو إله بزعمكم الباطل حلته العوارض الجسمانية من جهة ناسوته ، فاختتن وجاع وعطش ونام ومرض وقتل ومات ، وإذا فرضنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام أغمى عليه فى مرضه ، وتكلم بشىء من أمور الدنيا لا يتكلم به فى حال صحته ، فأى بأس فى ذلك؟ وأنتم تزعمون أن هارون عليه السلام فى حال صحة بدنه وعدم مرضه وإغمائه ، عمل العجل من حلى بنى اسرائيل ليعبدوه من دون الله ، كما كتبمتوه فى سفر الخروج من توراتكم ، التى تؤمنون بها • ولا شك فى أن هذا دون ذاك ، والفرق بينهما كالفرق بين السمك والسماك ، فأنتم واليهود شأنكم تنقيص الانبياء ونسبة المكفرات لهم والزنا وشرب الخمر وقتل النفوس ظلما ، وغير ذلك ، مما أثبتناه عليكم من توراتكم ، وأناجيلكم، فيما سبق فلا بدع منكم إذا نسبتم مثل هذا إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعددتموه من النقائص والآثام ، فقد تجاوز الحد فيكم عن التعنيف والملام •

ثم إن ما ذكره هذا النصرانى من تغير بعض أعضائه الشريفة عليه الصلاة والسلام فهو كذب لا أصل له ، ولم يذكر فى كتاب من كتب المسلمين قط • وقد ورد فى أحاديث صحيحة أن اجسام الانبياء عليهم الصلاة والسلام إذا دفنوا لا تأكلها الأرض وهم أحياء فى قبورهم حياة

برزخية تليق بذواتهم العليـــة وفى الإنجيل أيضـــا ما يؤيد حياتهم البرزخية، **ولو فرضنا تغير أبدانهم مثل ما وقع لزكريا ويحيى وغيرهما،** فأى بأس بذلك ؟ وأى نقص يعتريهم ؟ كما لا يخفى وقد ذكرنا ماتعلق بهذا آنفا ، **فراجعه ولا تغفل .**

قوله « فلم يبق أحد ممن كان تبعه إلا أرتد » الى آخره :

العجب من هذا النصرانى كيف يتناقض فى كلامه ، لأنه سيقول بعد أسطر إن من أسلم بعد ردته فى ايام ابى بكر إنما اسلم خوفا من السيف فيقال له : إذا زعمت أنه لم يبق أحد إلا ارتد . ولفظ احد نكرة فى سياق النفى ، وهى تفيد العموم فليت شعرى من أى سيوف يخاف المرتدون ؟ إذ ليس فيهم بزعمه مسلمون غير الشرذمة التى هى من أهل بيته ، فهل الشرذمة القليلة التى هى إن كثرت فأقل من عشرة رجال ، هل تخافهم القبائل الكثيرة والعشائر الغزيرة التى ارتدت على ماادعاه؟ نعم ارتد بعض الناس ثم قاتلهم أبو بكر فرجعوا ، وليس فى ذلـــك دليل على بطلان نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقد وقع أعظم من ذلـــك للمسيح **عليه السلام حينما سلمه يهوذا حواريه إلى اليهـود لصلبه ، وأنكره الآخر ، وفر عنه الباقون .**

ولموسى عليه الســـلام حينما عبد بنـــو إسرائيل العجل كما لا يخفى ..

قوله « غير نفر يسير من أخص أهله واقربهم نسبا إليه طمعـــا بما كان فيه من تلك الرئاسة » .

لا يخفى على من طالع كتب الســـير والأخبار أن الصحابة — رضوان الله عليهم — لم تكن الدنيا همهم ولا غاية مقصدهم ،

وزهدهم وورعهم وتقواهم أمر مشهور ، يشهد به الموافق والمخالف ، ولا سيما الصديق والفاروق رضى الله تعالى عنهما • ولو كان مقصدهما الحرص على الدنيا والمال والترفه والرئاسة لادخرا ذلك عندما نالا الخلافة ، ولتمتعا به ولجعلا الرئاسة والخلافة بعدهما لذريتهما • وكذلك على بن أبى طالب فقد نال الخلافة ، وجبى الأموال فلم يدخر منها شيئا ، ولم يأكل ولم يلبس أكثر مما كان قبل ذلك ، وكرمه وإنفاقه وزهده وبغضه للدنيا وطلاقه لها ، أمر مشهور ، وسيرته وسيرة إخوانه الخلفاء الراشدين وحكمهم بالحق وعدلهم وتأييدهم للدين ، ونصحهم للمسلمين بل للخلق أجمعين ، وتركهم للدنيا ، قد ملأ الأسماع والبقاع وبطون الكتب واشتهر اشتهار الشمس، فلا حاجة إلى ذكر شيء من ذلك فى كتابنا هذا خشية الملل ، ولعدم خفائه على كافة ذوى النحل والملل • وأما هذا النصرانى فلاشك أنه يعرف سيرة الخلفاء الراشدين ، وأحوال السلف الصالحين غير أنه يكتم الحق ويموه على الجاهلين وغير المطلعين من أهل ملته ، لينفق زيفه عليهم ويصيد بعض البغاث بشبكته، ويروج بفريته ما هو بصدده من الدعاوى الباطلة لديهم ، والله سبحانه الموفق للصواب •

واعلم ان مسألة الخلافة والنزاع فيها بين المسلمين من السنية والشيعة ، أمر ليس له مدخل فى صحة النبوة ، كما لا يخفى على كل منصف • وإذا قلنا إن عليا كرم الله وجهه كان يأمل الخلافة له أولا يأملها أو بايع وقت انعقادها او لم يبايع إلا بعد ستة اشهر ، او كان راضيا بخلافة أبى بكر وعمر أم غير راض ، فكل ذلك لا يدخل فى أمر النبوة اصلا ونظير هذا اختلفت فيه فرق النصارى من أمور كثيرة فهل يكون لها مدخل فى حقية نبوة المسيح أو غير حقيتها ؟ فمن ذلك

ء قاله الكاثوليكيون فى شأن البابا أنه معصوم واجب الطاعة وامتثال ما يقوله • وخالفتهم البروتستنت وكفرته ، ولم تر اتباع البابا إلا أمرا مبتدعا مخالفا لدين المسيح ، فهل لذلك تماس بعدم صحة نبوة المسيح وألوهيته كما يزعمون • ومنه أمر العشاء الربانى الذى يخالف فيه البروتستنت • ومنه المقاتلات العظيمة الواقعة بين الفرقتين ، وكل ذلك لا يدل على بطلان دين المسيح أو حقيته فالاستدلال بمثل هذه الأمور فى بحث النبوات لا يفيد المستدل شيئا فى مقام الخصام ، كما لا يخفى على الخاص والعام •

ثم اعلم أنه قد أجاب عن هذا الطعن أيضا صاحبنا العلامة «رحمت الله» فى «إظهار الحق» بما عبارته « وإن قالوا : إنه يحتمل أن إيمان أقارب نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان لأجل الرئاسة الدنيوية ، قلت : إن هذا الاحتمال ساقط لأنه عليه الصلاة والسلام إلى ثلاث عشرة سنة كان فى غاية الألم من إيذاء الكفار ، واصحابه رضى الله تعالى عنهم كانوا أيضا مبتلين بغاية إيذائهم إلى المدة المذكورة حتى تركوا الأوطان وهاجروا إلى «الحبشة» و«المدينة» ، ولا يتصور ان يتخيل احد منهم إلى هذه المدة طمع الدينا ، على ان هذا الاحتمال قائم فى الحواريين أيضا لأنهم كانوا مساكين صيادين(١) ، وكانوا قد سمعوا(٢) من اليهود أن المسيح سيكون سلطانا عظيم الشأن ، فلما ادعى عيسى عليه السلام أنه هو المسيح(٣) الموعود آمنوا به وفهموا أنه يحصل لهم باتباعه

---

(١) النصارى قالوا بأنهم صيادى سمك ، ليبرروا أخطاء الأناجيل . وقد ثبت أنهم من العلماء الهارونيين .

(٢) المؤلف يقول بحسب المكتوب . والا فان عيسى لم تكتب عنه التوراة انه سيكون ذا سلطان .

(٣) عيسى عليه السلام لم يدع انه المسيح الموعود (أنظر كتاب المسيا المنتظر) .

المناصب الجليلة وينجون من مشقة الشبكة والاصطياد ولما وعدهم عيسى عليه السلام بأنى إذا جلست على السرير تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر سريراً ، تدينون اسباط إسرائيل الاثنى عشر ، كما هو مصرح بـه فى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى وكذا وعدهم أن من ترك لأجلى ولأجل إنجيلى شيئاً يجد مائة ضعف ، الآن فى هذا الزمان ، ويجـد الحياة الأبدية فى الدهر الآتى كما هو مصرح فى الاصحاح العاشر من إنجيل مرقس • وكذا وعد بأشياء أخرى ، تيقنوا منها أنهم سيصيرون سلاطين ، يحكم كل منهم على سبط من أسباط إسرائيل ، وإن فات منهم شىء لأجل اتباعه يحصل لهم فى هذه الدنيا بدله ، مائة ضعف ، ورسخ فى إذهانهم هذا الأمر ، حتى طلب يعقوب ويوحنا ابنا زبدى ، أو طلبت أمهما — على اختلاف رواية الانجيلين للوزارة العظمى — بأن يجـلس احدهما عن يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره فى ملكوته كما هو مصرح فى الأصحاح العشرين من إنجيل متى والاصحاح العـاشر من إنجيل مرقس ، لكنهم لما رأوا أنه لم تحصل لهم السلطنة الخيالية، ولا مائة ضعف فى هذه الدنيا ، بل لم يحصل له أيضا شىء من الدولـة الدنيوية ، وهو مسكين ، كما كان يخاف من اليهود ويفر من موضع إلى موضع ، ورأوا أن اليهود بصدد ان يأخذوه ويقتلوه تنبهوا ان فهمهم كان خطأ ، والمواعيد المذكورة « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مـاء » فرضى واحد منهم بدل هذه السلطنة الخيالية ، وهذه الأضعاف الموهومة بثلاثين درهما، أخذها من اليهود على شرط تسليمه بأيديهم وتركـه سائرهم ، حينما أخذه اليهود وفروا ، وأنكره ثلاث مرات ولعنه ارشد الحواريين وأعظمهم ، الذى كان مبنى كنيسته وراعى خرافه وخليفته، أعنى حضرة بطرس ، وحلف أنى لا اعرفه وصاروا آيسين مطلقا عن متخيلاتهم ، بعد ما صلب على زعمهم •

ثم لما رأوه مرة أخرى بعد القيام رجع رجاؤهم مرة اخـرى ، وظنوا أنهم يصيرون سلاطين فى هذه المرة ، فسألوه مجتمعين فى وقت صعوده قائلين: «هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل ؟»كماهومصرح فى الأصحاح الأول من سفر الاعمال • وبعد الصعود وقعوا فى خيال آخر وهو أعظم من السلطنة الدنيوية ، التى لم تحصل لهم إلى زمـان الصعود ، وهو أن المسيح ينزل فى عهدهم من السماء ، وأن القيامـة قريبة ، وأنه بعد نزوله يقتل الدجال ويحبس الشيطان إلى ألف سنة، وأنهم يجلسون على الأسرة بعد نزوله ، ويعيشون عيشة مرضية إلى المدة المذكورة فى هذه الدنيا ، كما يفهم من الأصحاح التاسع والعشرين من سفر المشاهدات ، والآية الثانية من الأصحاح السادس من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، ثم يحصل لهم السرور الدائم فى الجنـة إلى الأبد عند القيامة الثانية ، فلأجل هذه الأمور بالغوا فى مدحه وتقرير حالاته ، كما قال الإنجيلى الرابع فى آخر إنجيله : « إن أشياء كثيرة صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب » ولا شك أنه كذب محض ومبالغة شاعرية قبيحة ، وكانوا يبالغون بأمثال هذه الأقوال ليوقعوا السفهاء فى شبكاتهم ، حتى ماتوا غير واصلين إلى مرادهم ، فلا اعتبار لشهادتهم فى حقه •

وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الاعتقـاد ، لأن المسـلمين يعتقدون نبوة عيسى عليه السلام وجلالة الحواريين ، فكما أن هـذا الاحتمال فى حق عيسى عليه السلام وحقهم ساقط عنـدنا ، فكذلك ما ذكروه من الاحتمال الواهى فى حق أصحاب النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم ساقط كما لا يخفى على كل منصف » اهـ •

★ ★ ★

قال النصرانى : « وما أشك اكرمك الله إلا انك ذاكر ما جرى فى مجلس أمير المؤمنين ، وقد قيل له فى رجل من أجل اصحابه إنه إنما يظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة . فأجاب بما علمته من الجوابم ، حيث قال :والله إنى لأعلم أن فلانا وفلانا حتى عدد جملة من خواص أصحابه، ليظهرون الإسلام، وهم أبرياء منه، وبراؤوننى، واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك أنهم قوم دخلوا فى الإسلام لا رغبة فى ديانتنا هذه ، بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة فى صحة ما دخلوا فيه . وإنى أعلم أن قصتهم كقصة ما يضرب من مثل العامة أن اليهودى إنما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام . وما قصة هؤلاء فى مجوسيتهم وإسلامهم إلا كقصة اليهودى . إنى لأعلم أن فلانا وفلانا حتى عدد جماعة من أصحابه كانوا نصارى ، فأسلموا كرها فماهم بمسلمين ولا نصارى ، ولكنهم مخاتلون فما حيلتى ؟ وكيف اصنع ؟ فعليهم جميعا لعنة الله .

أما كان يجب عليهم إذا خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التى هى أشر الأديان وأخبث الاعتقادات ، او عن النصرانية التى هى أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضيائه ، وصحة عقده ، أن يكونوا أشد تمسكا بما دخلوا فيه منه ، بما تركوه ظاهرا ، وخرجوا عنه رياء ولكن لى قدوة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسوة به ، لقد كان أكثر أصحابه واخصهم به واقربهم إليه نسبا يظهرون انهم اتباعه وأنصاره ، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم أنهم منافقون ، وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له ، وصح ذلك عنده ، وأنهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ، ويريدون به السوء ، ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين ، حتى أن جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة،

واحتالوا فى تنفير بغلته لترمى به فتقتله ، فوقاه الله كيدهـم ، وشر ماكانوا يبغونه له ، ثم كان يداريهم دائما ، إلى أن قبض الله روحـه على غاية ما يدارى به الأعداء الكاشـفين ، حذرا منهم ، أفما ينبغى لى أنا أن أشابهه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا ؟ وكان حيا ملأ ثيابه، ثم ارتدوا جميعا بعد موته ، فلم يبق منهم أحد كان يظن به رشـدا إلا رجـع وارتد ، وحرص على تشتيت هـذا الأمر وإبطاله ظاهرا الاسلام، لاسيما اذا كان التأويل مخالفا للقرآن العظيم ، والأقوال النبى وعلانية وسرا ، إلى أن أيده الله وجمع تفرقهم والقى فى قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا ، فربط النظام وجمـع الشـمل وألف التشتيت بالحيلة ، ولطف المـداراة ، وأتم الله ما أتمه • وما المنة فى ذلك له ولا هو محمود عليه ، بل المنة لله والحمد والشكر له على ذلك بأسره ، فلست أذكر ما ألقاه ويبلغنى عن اصحابى هؤلاء ، ولا ابعد الله غيرهم ، وما لهم عندى إلا المداراة والصبر عليهم إلى أن يحكم الله بينى وبينهم وهو خير الحاكمين ولولا أن سـيدى أمير المؤمنين تكلم جهـارا على رءوس الملأ فى مجلسه — أجله الله — فذاع الخبر بذلك ، ونقله الشاهد إلى الغائب ، لما حكيته وأنت تشهد لى أنى لم أتزيد فى شىء من ذلك ، وإنمـا ذكرتك بما جرى من الكلام فى ذلك المجلس ، وليس له مدة طويلة ، وأردت إعادتـه لأذكرك أمر الرد ، وأن القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر الا رغبة فى الدنيا ولإتمـام هذا الملك الذى هم فيه • وذلك لذوى الألباب ممن ينظر فى كتابنـا هذا ، جواب مقنع ، ان شاء الله تعالى » اه •

فأقول وبالله سبحانه الرشـاد : إن هـذا الكلام المختلق على «المأمون» وإن كان غير محتاج إلى الرد هنا ، إذ لا مدخل له فى إثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام أو نفيها • فقد صدر من أمم الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام معهم أكثر مما صدر من الكفار والمنافقين معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومع ذلك لا نترك الجواب عنه والكلام فى رده ، فنقول: أما المنافقون الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثل عبد الله بن أبى وأصحابه فكان حالهم مع قلتهم لايخفى عليه — عليه الصلاة والسلام ولا على أصحابه — رضى الله تعالى عنهم — وقد بين الله سبحانه أحوالهم وما انطوت عليه قلوبهم فى القرآن الكريم مثل قوله سبحانه : «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » الآيات .

وأما الصحابة وهم الذين رأوا النبى وماتوا مؤمنين فهم عدول، ويزيدون على مائة وعشرين ألفا وأجلهم اصحاب بيعة الرضوان وبدر والمهاجرون والأنصار ومن شهد أحدا وغزا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سيما العشرة المبشرة وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى من أجلهم وقد ورد فى حق الجميع آيات قرآنية وأحاديث نبوية شاهدة لهم بجلالة الشأن والمنزلة — رضوان الله تعالى عليهم — لوسردناها لطال بنا الكلام ، وكل هذا مفصل ومبين فى محله من الكتب التفسيرية والأحاديث النبوية والسير المرضية والتواريخ الاسلامية والعجب من النصارى أنهم بعد علمهم بما جرى من فرار الحواريين ، وتسليم يهوذا للمسيح ليقتل وإنكار بطرس له كيف يستدلون على عدم صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بردة بعض الصحابة أو نفاقهم على

ما يزعموه ؟ فهل لنا ان نستدل على بطلان دين المسيح بفرار جميع حواريه الذين لم يؤمن به غيرهم فى حياته ؟ فتأمل وانصف •

وأما ما أشار إليه هذا النصرانى وامثاله ليشوشوا به على العوام ومن ليس له خبرة بما قال العلماء الأعلام ، وما كان عليه أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فهو كلام يشرب من عين آسنة، تردها بعض فرق الشيعة الامامية الطاعنين فى بعض الصحابة ذوى النفوس الزكية ، وقد رد والحمد لله تعالى جمهور المسلمين شبههم بأدلة قوية وأبطل أهل السنة والجماعة ما زخرفوه من الأقوال واتضح الحق وتميز وتبين الحال •

وما ذكره هذا النصرانى عن أمير المؤمنين الذى عنى به المأمون فعنه أجوبة منها : أن هذا الكلام ليس له سند والظاهر انه كذب مختلق عليه ، لدسائس خفية ، كاختلاق النصارى هذا الكتاب المنسوب إلى «عبد المسيح» • ومنها: أن المراد بذلك المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه ، ومنهم بعض المؤلفة قلوبهم • ومنها : أن المأمون ليس من العلماء الذين يستدل بكلامهم ، لاسيما وهو ملك مطعون بالابتداع(١)،

---

(١) المؤلف طعن فى المأمون رضى الله عنه بناء على أقوال مؤرخين : مثل عبد المسيح الذى يرد عليه .

وأقوال المؤرخين ليست بحجة . فان المتنبى الشاعر — على سبيل المثال — قد ذم كافور الاخشيدى .

مع أن المؤرخين يقولون : انه كان كريما محافظا على شعائر الدين . وان كان قد طعن فيه لانه نصر القول بحدوث القرآن . فللمأمون شبهة وهى قوله تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » فقوله «محدث» يدل على أنه ليس بقديم . وسواء كان قديما أو محدثا . فاختلاف الرأى لا يوجب الطعن فى خليفة مسلم ، جيش الجيوش وحارب فى سبيل الله وفتح البلاد ومكن للدين فى الأرض .

وطعنه مما شاع وذاع وملأ الكتب والأسماع .

وللطعن المذكور فى الصحابة المكرمين جوابان أيضا إلزاما وتحقيقا .

أما إلزاما : فقد نقل الشيخ رحمت الله الهندى عن «موشيم» المؤرخ أنه قال فى المجلد الأول من تاريخه ما عبارته : «ان الفرقة الأبيونية التى كانت فى القرن الأول كانت تعتقد أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من مريم ويوسف النجار ، مثل الناس الآخرين ، وإطاعة الشريعة الموسوية ليست منحصرة فى حق اليهود فقط ، بل تجب على غيرهم أيضا ، والعمل على احكامه ضرورى للنجاة ولما كان بولس ينكر وجوب هذا العمل ويخاصمهم فى هذا الباب مخاصمة شديدة كانوا يذمونه ذما شديدا ويحقرون تحريراته تحقيرا بليغا » اهـ .

وقال «الاردنر» فى الصفحة السادسة والسبعين بعد الثلثمائة من المجلد الثانى من تفسيره ما عبارته : « إن القدماء أخبرونا ان هذه الفرقة كانت ترد بولس ورسائله» اهـ .

وقال «بلى» فى تاريخه فى بيان هذه الفرقة ما عبارته : «هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق التوراة فقط ، وكانت تنفر عن اسم داود وسليمان وارمياء وحزقيال عليهم السلام وكان من العهد الجديد عندها إنجيل متى فقط ، لكنها كانت حرفته فى كثير من المواضع، وأخرجت الأصحاحين الأولين منه » اهـ .

وقال «بلى» فى تاريخه فى بيان الفرقة المارسيونية ما عبارته

« ان هذه الفرقة كانت تعتقد ان الاله إلهان أحدهما خالق الخير ، وثانيما خالق الشر ، وكانت تقول «إن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الإله الثانى ، وكلها مخالف للعهد الجديد » ثم قال : « إن هذه الفرقة كانت تعتقد أن عيسى نزل الجحيم بعد موته ، وأنجى أرواح قابيل واهل سدوم من عذابها لأنهم حضروا عنده ، وما أطاعوا الإله خالق الشر ، وأبقى ارواح هابيل ونوح وإبراهيم والصالحين الآخرين فى الجحيم ، لأنهم كانوا خالفوا الفريق الأول ، وكانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصرا فى الإله الذى أرسل عيسى ، ولذلك كانت تسلم أن كتب العهد العتيق إلهامية ، وكانت تسلم من العهد الجديد انجيل لوقا فقط ، لكنها ما كانت تسلم الأصحاحين الأولين منه ، وكانت تسلم من رسائل بولس عشرة رسائل ، لكنها كانت ترد ما كان مخالفا لخيالها » اه .

ونقل «لاردنر» فى المجلد الثالث من تفسيره قول «اكستاين» فى بيان فرقة «مانى كيز» ما عبارته «هذه الفرقة تقول إن الاله الذى أعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الاسرائيليين ليس بإله بل شيطان من الشياطين . وتسلم كتب العهد الجديد لكنها تقر بوقوع الالحاق فيها ، وتأخذ ما رضيت به وتترك الباقى وترجح بعض الكتب الكاذبة عليها ، وتقول إنها صادقة البتة» ثم قال «لاردنر» فى المجلد المذكور « اتفق المؤرخون أن هذه الفرقة كلها ما كانت تسلم الكتب المقدسة للعهد العتيق فى كل وقت » وكتب فى أعمال «أركلاس» «عقيدة هذه الفرقة هكذا خدع الشيطان أنبياء اليهود ، والشيطان كلم موسى وأنبياء اليهود ، وكانت تتمسك بالآية الثامنة من الاصحاح العاشر من انجيل يوحنا، بأن المسيح قال عنهم سراق ولصوص، وكانت قد «أخرجت العهد الجديد » اه .

وهكذا حال الفـــرق الأخر لكنى اكتفيت على نقل مذاهب الفرق الثلاث المذكورة على عدد التثليث وأقول : أنتم أتممتم أقوال هذه الفرق على علماء بروتستنت أم لا ؟ فإن تمت فيلزم عليهم الاعتقاد بهـــذه الأمور العشرة ، وهى أن عيسى عليه السلام إنسان فقط تولد من يوسف النجار وأن العمل على أحكام التوراة ضرورى للنجـــاة ، وان بولس شرير ، وأن رسائله واجبة الرد ، وأن الإله إلهان خالق الخير وخالق الشر ، وان ارواح قابيل واهل سدوم حصلت لهم النجاة من عذاب جهنم بموت عيسى عليه السلام ، وأرواح هابيل ونوح وابراهيم وصـــلحاء القدماء معذبة فى جهنـــم بعد موته أيضـــا ، وأن هؤلاء كانوا مطيعين للشيطان ، وأن التوراة وسائر كتب العهد العتيق من جانب الشيطان، وأن الذى كلم موسى وأنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام ليس بإله بل شيطان ، وان كتب العهد الجديد وقع فيهـــا التحريف بالزيادة ، وأن بعض الكتب الكاذبـــة صـــادقة البته ، وإن لم تتم أقوال هذه الفرق عليهم فلا يتم قول بعض الفـــرق الاسلاميـــة على جمهـــور أهل الاسلام، لاسيما اذا كان القول مخالفا للقرآن العظيم ، والأقوال النبى الكريم ، ولما ورد عن الأئمة الطـــاهرين وعترة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعليـــهم أجمعـــين ، كما سيتضح لك قريبا إن شـــاء الله تعـــالى .

واما الجواب عنه تحقيقا : فإن القرآن المجيد الذى هـــو عند جمهور المسلمين وأهل السنة كافة ، وجمهور الشيعة الإمامية الاثنى عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل كما سنثبت ذلك فى محله إن شـــاء برفعة درجتهم ، والأحاديث النبوية متواترة بالرضاء عنهم ومحبـــة الله تعالى ، مظهر لعلو منزلتهم وجـــلالة قدرهم ، ومنوه بفضلهـــم وصلاحهم ومصرح بصدقهم وفلاحهم ، وشاهد بتزكيتهم وصـــادح

الرسول لهم ، والإخبار بكامل إيمانهم حسن سرائرهم وسلامة ضمائرهم ووعدهم بدخول الجنان وتوالى الغفران والرضوان ، وثناء أهل البيت النبوى عليهم متصل غير مقطوع ، ومدحهم لهم على المنابر مرفوع ، وفى خطبهم مسموع . ولا سيما الشيخين وكبار الصحابة وأهل بدر والهجرتين .

ولنذكر من جميع ذلك أفرادا لتكون لطالب الحق عمادا .

من ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم » فبين سبحانه وتعالى أربعة امور : الاول : رضوانه عنهم . والثانى رضوانهم عنه . والثالث : تبشيرهم بالجنة . والرابع : وعده بخلودهم فيها . ولا شبهة أن أبا بكر وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين رضى الله تعالى عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين ، كما أن أمير المؤمنين عليا كرم الله تعالى وجهه منهم ، فثبتت لهم هذه الأمور الأربعة ، وثبتت صحة خلافتهم . فقول من طعن فى الثلاثة مردود ، كما أن قول من طعن فى الرابع مردود أيضا — رضى الله تعالى عنهم أجمعين — .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة أيضا : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم » وهنا أيضا أربعة أمور الأول : كون درجتهم اعظم عند الله تعالى . والثانى : كونهم فائزين بمرادهم . والثالث : كونهم مبشرين بالرحمة

والرضوان والجنان. والرابع: خلودهم فى الجنات أبدا واكد سبحانه الأمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات وهى قوله تبارك وتعالى « مقيم » وقوله عز شأنه : « خالدين فيها » وقوله جل وعز : «أبدا» ولا شك ان الخلفاء الثلاثة رضى الله تعالى عنهم من المؤمنين المهاجرين المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، كما ان عليا رضى الله تعالى عنه منهم . فثبتت لهم الأمور الأربعة .

ومن ذلك قوله تعالى فى هذه السورة أيضا : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم وأولئك لهم الخيرات ، وأولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » ومن ذلك قوله تعالى فى هذه السورة أيضا: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن. ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » فوعد الله الجنة للمؤمنين المجاهدين وعدا موثقا . ذكر تسعة أوصاف لهم، فثبت انهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنة .

ومن ذلك قوله فى سورة الحج « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » فقوله تعالى : « الذين إن مكناهم » صفة لمن تقدم ، وهو قوله : «الذين أخرجوا من ديارهم» فيكون المراد به المهاجرين ، لا الأنصار ، لأنهم ما أخرجوا من ديارهم ، فوصف الله تعالى المهاجرين، وأفضلهم الخلفاء الأربعة بأنهم إن مكنهم فى الأرض وأعطاهم السلطنة،

أتوا بالأمور الأربعة ، وهى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لكن قد ثبت أن الله تعالى مكن الخلفاء الأربعة ورضى الله تعالى عنهم فى الأرض ، فوجب كونهم آتين بالأمور الاربعة ، وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق . وفى قوله سبحانه . « ولله عاقبة الأمور » دلالة على أن الذى تقدم ذكره من تمكينهم فى الأرض كائن لا محالة . ثم إن الأمور ترجع الى الله تعالى بالعاقبة ، فإنه هو الذى لا يزول ملكه .

ومن ذلك قوله جل وعز فى سورة الحج : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » فسمى الله تعالى فى هذه الآية الصحابة بالمسلمين ، وبين انه سبحانه اجتباهم أى اختارهم لدينه ، وهذا فيه تشريف عظيم لهم بالخاصة ولبقية المسلمين بالعموم ، وكذا جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة فى تبليغ رسلهم ، وكذا كونه تعالى مولاهم أى ناصرهم ومتولى أمورهم ، رقما وجلها ، لأنهم الداخلون فى ذلك دخولا أوليا ، كما لا يخفى .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة النور : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وهذا الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن معه ولفظ من فى « منكم » للبيان أو للتبعيض ، « وكم »

ضمير الخطاب ، فيدلان على أن المراد بهذا الخطاب : بعض المؤمنين الموجودين زمن النزول لا الكل ، ولفظ الاستخلاف يدل على أن الأمة يكونون خلفاء فى الأرض أى أرض العرب والعجم وغيرهم يتصرفون فيها تصرف الملوك فى مملوكاتهم ، فالصحابة داخلون فى ذلك دخولا أوليا بلا ريب ، أو خاص بالصحابة واقدمهم الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم ، والمراد بالتمكين هنا : التثبيت والتقرير ، أى يجعله ثابتا مقررا ، ويوسع لهم فى البلاد فيملكوها ويظهر دينهم على جميع الأديان والمراد بالدين هنا الإسلام كما فى قوله تعالى : « ورضيت لكم الإسلام دينا» ذكر سبحانه الاستخلاف لهم أولا ، وهو جعلهم خلفاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وملوكا ، وذكر التمكين ثانيا ، فافاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه الطروق والعروض بل على وجه الاستقرار والثبوت ، بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم . وقوله سبحانه: «وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» أى يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء « أمنا »يذهب عنهم أسباب الخوف الذى كانوا فيه .

وهذا فيه دلالة على عدم التقية التى تزعمها الشيعة فى حق أمير المؤمنين وسائر الأئمة، لأنهم لا يخشون أحدا إلا الله ولا يرجون غيره . وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدها بقليل فى خوف من المشركين لا يصبحون ولا يمسون ولا يخرجون إلا فى السلاح ، ثم صاروا فى غاية الأمن والدعة ، وأذل الله تعالى المشركين ، وفتح عليهم البلاد ومهد لهم فى الأرض ، ومكنهم منها فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأنجز الله تعالى وعده وأظهرهم على جزيرة العرب ، وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ، واستولوا على الدنيا وملكوا ملك كسرى ، وغيره من الملوك . وفى هذه

الآية من أعلام النبوة والإخبار بالغيب ما هو ظاهر ، وكذا دلالتها على صحة خلافة أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين ، وعلى أمير المؤمنين رغما عن أنف الخوارج والمبتدعين ، كما لا يخفى على الفطفين المنصفين .

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الفتح فى حق المهاجرين والأنصار، الذين كانوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلح الحديبية « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى . وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما » فاستفيد من الآية فى حقهم أربعة أمور **الأول** : انهم مؤمنون . الثانى : انهم شركاء مع النبى عليه الصلاة والسلام فى نزول السكينة وهى الطمأنينة والوقار ، وفى هذه السورة **أيضا** نزول السكينة عليهم بالانفراد فى قوله تعالى : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما ، ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ويكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات» الثالث : إن « كلمة التقوى » لازمة غير منفكة عنهم ، ومعناها : اختار لهم لا إله إلا الله ، فهو إلزام تشريف وإكرام. والرابع : أنهم « كانوا أحق بها واهلها » اى المستاهلين لها فى علم الله تعالى لأن الله سبحانه أهلهم لدينه ، واختارهم لصحبة نبيه ، ولاشك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما داخلان فى هؤلاء المهاجرين بل هم رأسهم ، فثبت لهما ولسائرهم هذه الأمرو الأربعة ، ومن اعتقد فيهم غير هذه العقيدة فعقيدته مخالفة للقرآن باطلة منهدمة الأركان .

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى أيضا فى سورة الفتح : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » فمدح الله تعالى الصحابة ووصفهم بكونهم أشداء على الكفار ، متواددون ومتعاطفون فيما بينهم ، كالوالد مع الولد وكونهم مكثرين من الصلاة ومداومين عليها ، ومبتغين فضل الله أى يطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم • وذكر بعضهم فى الآية « والذين معه » أبا بكر الصديق « أشداء على الكفار » عمر بن الخطاب « رحماء بينهم» عثمان بن عفان « تراهم ركعا سجدا » على بن أبى طالب « يبتغون فضلا » بقية الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين •

فمن ادعى من مدعى الإسلام فى حق الصحابة غير هذا ، فهو مخطىء مخالف لجمهور المسلمين ، مذنب لا يعد فى الصالحين •

ومن ذلك قوله عزوجل فى سورة الحجرات : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون » فعلم أن الصحابة كانوا محبى الإيمان كارهى الكفر والفسوق والعصيان ، وكانوا راشدين ، واعتقاد ضد هذه الأشياء فى حقهم خطأ ظاهر ومردود عند المسلمين الأكابر •

ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الحشر : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » فمدح الله تعالى المهاجرين

والأنصار بستة أوصاف : الأول : إن هجرة هؤلاء المهاجـرين ما كانت لأجل الدنيا ، بل لأجل ابتغاء مرضات الله • والثانى : أنهم كانوا ناصرين دين الله ورسوله • والثالث : أنهم كانوا صادقين قولا وفعلا : والرابع أن الأنصار كانوا يحبون من هاجر إليهم • والخامس : أنهم كانـوا يسرون إذا حصل شيء للمهاجرين • السادس : أنهم كانوا يقدمونهم على أنفسهم مع احتياجهم • وهذه الأوصاف تدل على كمال الإيمان عند كل مؤمن ذى إنصاف ، ومن اعتقد فيهم خلافها ، فقد خالف القـرآن وخاب • وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا يقولون لأبى بكر يا خليفة رسول الله والله يشهد على كونهم صادقين ، فوجب أن يكونوا صادقين فى هذا القول أيضا ، ومتى كان الأمر كـذلك ، وجب الجزم بصـحة إمامته •

ومن ذلك قوله عز من قائل فى سورة آل عمران :« كنتم خير أمـة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فمدح سبحانه الصحابة هنا بثلاثة أوصاف : الأول : أنهم خير امـة• والثانى : أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • والثالث : أنهم كانوا مؤمنين بالله•إلى غير ذلك من الآيات الكريمة العامة لجميـع الصحابه ، والخاصة فى مدح الخلفاء الأربعة الراشدين النازلة فى شأنهم، تركناها خشية التطويل ، من أرادها فليرجع إلى الكتب المؤلفة فى حقهم، وسائر التفاسير وأسباب النزول • والله سبحانه الهادى إلى سـواء السبيل •

واما ما ورد من الأحاديث الصحيحة النبوية فكثيرة جدا ولنقتصر على البعض : فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود، والترمذى وغيرهم عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لاتسبو أصحابى ، فوالذى نفسى بيده

لو أن أحدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه » ومن ذلك ما رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : « لعن الله من سب اصحابى » ومن ذلك ما رواه الديلمى عن انس رضى الله تعالى عنه « إذا اراد الله برجل من أمتى خيرا ، ألقى حب اصحابى فى قلبله» ومن ذلك ما رواه الترمدى عن عبد الله بن مغفل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه» ومن ذلك ما رواه ابن عدى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « إن شرار أمتى أجرؤهم على أصحابى » .

ومما ورد فى حق أبى بكر من الأحاديث « وهى » كثيرة جدا منها ماأخرجه الطبرانى عن سعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن روح القدس جبريل أخبرنى أن خير امتك بعدك ابو بكر » ومنها ما أخرجه عبد بن حميد فى مسنده وابو نعيم وغيرهما من طرق عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : «ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من ابى بكر ، الا ان يكون نبيا » **ومما ورد فى عمر أيضا كثير جدا** ومنه ما أخرجه احمد والترمذى وأبو داود ، والحاكم وغيرهم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه » ورووا أيضا : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال :«لوكان بعدى نبى ، لكان عمر بن الخطاب » ومنه ما أخرجه الطبرانى والديلمى عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « الحق بعدى مع عمر حيث كان » .

وما ورد فى حق عثمان وعلى كثير مشهور وكذا فى حق غيرهم من الصحابة بخصوصهم قد ملئت بطون الكتب تركناها خشية التطويل ، ومن أرادها فليرجع إلى محلها • وأما ما ورد من اهل البيت النبوى رضى الله تعالى عنهم أجمعين فى حق الشيخين أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهما فكثير أيضا ، غير أنا نقتصر على خمسة اقوال منها •

فمن ذلك ما فى كتاب « نهج البلاغة » المعتبر عند الشيعة ، المنسوب إلى أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ، ونصه : «ومن كلام له عليه السلام : لله بلاد فلان فلقد قوم الأود ، وداوى العمد ، وأقام السنة ، وخلف الفتنة ، ذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها، وسبق شرها ادى إلى الله طاعته واتقاه بحقه ، رحل وتركهم فى طرق متشعبة ، لا يهتدى بها الضال ، ولا يستيقن المهتدى » اهـ •

والمراد بفلان على ما اختاره البحرانى وكثير من الشراح : أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وعلى ما اختاره عبد الحميد بن أبى الحديد انه عمر رضى الله تعالى عنه، وادعى أن الرضى كتب تحت فلان: عمر ، فايا ما كان منهما فقد ذكر له على كرم الله وجهه عشرة أوصاف ، ولابد : من وجودها فيه• لأن عليا كرم الله تعالى وجهه — ذكرها بعد وفاته، ولالزوم للتقية التى تدعيه الشيعة ، وذلك يستلزم صحة خلافة هذا الممدوح ، بل وخلافة من ولاه ، فثبتت صحة خلافة أبى بكر وعمر بهذ الخبر المسلم الصحة عند الشيعة •

ومن ذلك ما فى « كشف الغمة » الذى هو تصنيف على بن عيسى الاردبيلى الاثنا عشرى الذى هو من الفضلاء المعتمدين عند الإمامية : « سئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن حلية السيف • هل تجوز ؟

فقال : نعم ، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه • فقال الراوى : هكـذا؟ فوثب الإمام عن مكانه • فقال : نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله قوله فى الدنيا والآخرة » فثبت بإقرار هذا الإمام المعصوم الواجب الطاعة عند الشيعة ، أن أبا بكـر الصديق رضى الله تعـالى عنه صـديق حق ومنكره كاذب فى الـدنيا والآخـرة •

ومن ذلك ما ذكره شراح نهج البلاغة أنـه ورد فى بعض مكاتيب على رضى الله تعالى عنه فى حق أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهـما ما لفظه : « لعمرى إن مكانهما من الإسلام لعظيم ، ، وإن المصـاب بهما لجرح فى الإسلام شديد ، رحمهما الله تعالى وجزاهما الله تعـالى بأحسن ما عملا » •

ومن ذلك ما رواه شراح نهج البلاغة : أنه لما جيىء بتاج كسرى إلى عمر ، واستعظم الناس قيمة الجواهر التى كانت عليه ، قال : إن قوما ادوا هذه لأمناء ، فقال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه : « إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا » •

ومن ذلك ما نقله صاحب الفصول الذى هـو من كبار علمـاء الإمامية الاثنى عشرية عن الإمام محمد الباقر رضى الله تعالى عنـه ما لفظه : « أنه قال لجماعة خاضوا فى أبى بكر وعمر وعثـمان : الا تخبرونى من أنتم؟ أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله؟ قالوا : لا قال: فأنتم من الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ قالوا : لا قال : أما أنتم فقد برأتم ان تكونوا احد هذين الفريقين ، وأنا أشهد انكم لستم من الذين قال الله تعالى : « فيهم» : « والذين

جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » اهـ .

فالخائض فى الصديق والفاروق وذى النورين رضى الله تعالى عنهم خارج عن الفرق الثلاثة الذين مدحهم الله بشهادة هذا الإمام الهمام على آبائه وعليه السلام .

ومن ذلك ما أخرجه الدار قطنى أن ابا جحيفة كان يرى ان عليا رضى الله تعالى عنه أفضل الأمة ، فسمع أقواما يخالفونه فحزن حزنا شديدا فقال له على بعد ان اخذ بيده ما احزنك يا أبا جحيفة ؟ فذكر له الخبر ، فقال : الا أخبرك بخير الأمة ؟ خيرها أبو بكر وعمر ، قال أبو جحيفة : فاعطيت الله تعالى عهدا أن لا أكتم هذا الحديث بعد ان سألنى به أمير المؤمنين ما بقيت . وأخرج ابو بكر الآجرى عنه ايضا قال : سمعت عليا رضى الله تعالى عنه على منبر الكوفة يقول : « إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم خيرها عمر » .

فصل

فى التقرير فى بعض كلماته فى هذا الكلام الذى عزاه إلى الخليفة المأمون افتراء واختلاقا .

قوله : « إذ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التى هى شر الأديان » .

اعلم أن المجوس كان يقال لدينهم الدين الأكبر ، ويقال لهم الأمة الكبرى والملة العظمى والحنفاء ، وكان لهم شوكة وسيف وسلطان وممالك ، وملوك الفرس كلهم كانوا يدينون بدينهم ، وهم يعترفون

بمتوسط من البشر بين الحق والخلق ، درجته فى الطهارة ومرتبتـــه فى الطاعة ، فوق درجة الملائكة ومرتبتهم فيها ، وعظيمهم كان يقـــال له « موبذ موبذان » أى عالم العلماء ، مكانته منهم ومن ملوكهم مكانـــة الخلفاء من المسلمين ومن ملوك الاسلام ، يرجعون اليه ويصدرون عن رأيه • وهم فرق وطوائف مثل الكيومرتية والمرزاوية والزرادشـــتية وغيرهم وآراؤهم متقاربة ، ويجمعهم القول بالنور والظلمة ، وأنهمـــا أصلان قديمان ، وبعضهم يرى أن الظلمة حادثة ، ويسندون إليهمـــا سائر الحـــوادث • ولذلك يقال لهم الثنـــوية ، والنور والظلمة هما الفاعلان فى عالم الكون والفســـاد ، ويســـتند أشرف المتقـــابلين من الحوادث إلى أشرف المتقابلين من المحدثين •

ومنهم من يرى أن فوق النور والظلمة غيرهما وهو إلههما وإله كل شىء لايشبه شيئا ولا يشبهـــه شىء • ودينهـــم عبادته وطاعتـــه وينزهونه من إسناد الحوادث إليه ، ويسندونها الى النور والظلمة كما تسند الفلاسفة إلى الحركة الدورية ، وهؤلاء أصلح فرق المجوس وأقرب طوائفهم إلى المعقول ، وهم الزرادشتية •

والنبى الأول لجميعهم كيومرت ، ويقولون : انه آدم وتنكره أهل التواريخ • والنبى الثانى زرادشت • ومباحثهم تدور على أصلين: احدهما امتزاج النور بالظلمة ، والآخر خلاص النـــور من الظلمة • والأول هو المبدأ ، والثانى هو المعاد • وبطلان هذه العقيدة ظاهر ، إذ لا شك أن النور والظلمة عرضان لا يقومان بذاتهما ولا يوجدان إلا فى غيرهما ، ولا حياة لهمـــا ، ولا يوصفان بالقدرة والإرادة والخير والشر والفساد والصلاح والفاعل لذلك كله غيرهما بتوسطهما ، أولا بتوسطهما • ثم الامتزاج والخلاص المعبر عنهما بالمبدأ والمعاد ، اما أن يكونا للانسان (وهو) ليس بنور ولا ظلمة لأنه جوهر وهما عرضان ، وإما

ان يكونا لغير الانسان • فما اثبتوا للانسان مبدأ ولا معاد ، ولا يضر الانسان امتزاج بالظلمة ، ولا ينفعه خلاص النور من الظلمة ، ولا النور بامتزاجه للظلمة يضر ، ولا لخلاصه منه ينتفع ، ولا بالعكس ، لأن النفع والضرر يلحقان لما له شعور ولا شعور لهما ، لا حسا ولا عقلا ولا خيالا ولا وهما • ولا حاصل عند هذه الطائفة • قاله فى « مثير العزم » •

وقال العلامة ابن القيم فى «إغاثة اللهفان من كيد الشيطان» : «ومن تلاعبه ما تلاعب بعباد النار ، حتى اتخذوها إلها معبودة • وقد قيل إن هذا كان من عهد «قابيل» ، كما ذكره أبو جعفر بن جرير أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم عليه السلام أتاه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها، فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها • وسرى هذا المذهب فى المجوس فبنوا لها بيوتا كثيرة ، واتخذوا الوقوف والسدنة والحجاب ، فلا يدعوها تخمد لحظة واحدة، فاتخذ لها «أفريدون» بيتا بـ «طوس» وآخر بـ «بخارا» واتخذ لها «بهمن» بيتا بـ «سجستان» واتخذ لها «أبو قتادة» بيتا بناحية «بخارا» واتخذت لها بيوت كثيرة، وعباد النار يفضلونها على التراب، ويعظمونها ويصوبون رأى إبليس • وقد رمى «بشار بن برد» بهذا المذهب بقوله فى قصيدته:

الأرض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

ويقولون : إنها أوسع العناصر خيرا ، وأعظمها جرما ، واوسعها مكانا ، وأشرفها جوهرا ، وألطفها جسما • ولا كون فى العالم إلا بها ولا نمو ولا انعقاد إلا بممازجتها • ومن عبادتهم له أن يحفروا لها أخدودا مربعا فى الأرض ، ويطوفون به • وهم أصناف

مختلفة ، فمنهم من يحرم إلقاء النفوس بها واحتراق الأبدان بها ،وهم أكثر المجوس ، وطائفة أخرى منهم تبلغ بهم عبادتهم لها : ان يقربوا أنفسهم وأولادهم لها وهؤلاء اكثر ملوك الهند واتباعهم ، ولهم سنة معروفة فى تقريب نفوسهم وإلقائهم فيها ، فيعمد الرجل الذى يريد (أن) يفعل ذلك بنفسه إلى لبس احسن اللباس وافخر الحلى ويركب على المراكب وحوله المعازف والطبول والبوقات ، فيزف إلى النار اعظم من زفافه ليلة عرسه ، حتى إذا قابلها ووقف عليها وهى تتأجج ، طرح نفسه فيها فيضج الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء له، غبطه على مافعل، فلم يلبث إلا يسيرا حتى يأتيهم الشيطان فى صورته وهيئته وشكله ، لاينكرون منه شيئا ، فيأمرهم بأمره ويوصيهم به ، ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم انه صار إلى الجنة ورياض وانهار ، وانه لم يتألم بمس النازلة ، فلا يهولنهم ذلك ، ولا يمنعهم أن يفعلوا مثله .

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين عاكفين عليها . ومن سننهم الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق والوفاء وأداء الأمانة والعفة والعدل وترك أضدادها . ولهؤلاء شرائع فى عبادتها ونواميس وأوضاع لا يخلون بها » اه .

قوله « أو عن النصرانية التى هى اذعن الأقاويل إلى نور الإسلام » .

ليت شعرى إذا جعلت النصارى عيسى بن مريم إلها كيف يقال إنهم أذعن الأقاويل الى نور الإسلام ؟ وانت تعلم أن اليهود أذعن منهم إلى نور الاسلام ، نعم أن النصارى كما أخبر عز وجل اقرب مودة للمسلمين . قال المحقق ابن القيم «لعمر الله أن عباد الأصنام مع أنهم أعداء الله على الحقيقة واعداء رسله واشد الكفار كفرا يأنفون

ان يصفوا آلهتهم التى يعبدونها من دون الله وهى من الحجارة والحديد والخشب بمثل ما وصفت النصارى رب العالمين واله السموات والأرضين ، وكان الله تعالى فى قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بما وصفته النصارى أو بما يقاربه ، وانما شرك القوم أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة زعموا أنها تقربهم إليه ، لم يجعلوا شيئا من آلهتهم كفؤاله ولا نظيرا ولا ولدا ، ولم ينالوا من الرب تعالى مانالت هذه الأمة لأنها ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة .

أحدهما : الغلو فى المخلوق حتى جعلوه شريك الخالق وجزءا منه، وإلها آخر معه ، وأنفوا أن يكون عبدا له وعبدوه .

والثانى : تنقيص الخالق وسبه ورميه بالعظائم حيث زعموا أنه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا دخل فى فرج امرأة وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو ، ثم خرج من حيث دخل رضيعا صغيرا يبكى ويجوع ويعطش ويبول ويتغوط ، ثم كبر فلطمت اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا فى وجهه وصفعوا قفاه ، والبسوه إكليلا من الشوك وصلبوه بين لصين وسمروا يديه ورجليه، وجرعوه أعظم الآلام ، هذا وهو الاله الحق الذى بيده اتقنت العوالم وبيده حياة اليهود ومماتهم ورزقهم وحشرهم ، .

ومع ذلك كله فإنه عليه السلام على ما قال بولس رسولهم فى رسالته إنه تحمل اللعنة عن خلقه من بنى آدم ، فهو ملعون . ولعمر الله إن هذه مسبة لله سبحانه ما سبه بها أحد من خلقه قبلهم ولا بعدهم « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » قال عمر بن الخطاب لقد سبوا الله مسبة ماسبه إياها أهد من البشر ،

ولهذا قال عقلاء الملوك : « إن إصلاح هؤلاء وجهادهم واجب عقلا وشرعا ، فإنهم عار على بنى آدم ، مفسدون للعقول والشرائع» اه .

قلت وكما ذكرنا لك مرارا أنهم بعد هذه العقيدة العجيبة زادوا فيها ما هو أعجب وأغرب وذلك اعتقادهم انهم إذا اكلوا لقمة من الخبز الذى يقدسه القسيس ، فقد أكلوا المسيح إلههم وشربوا دمه أكلا حقيقيا بلحمه ودمه وجوهر جسمه . فانظر هل ترى عند المجوس الذين هم من أردى أهل الأديان الباطلة ، مثل هذه العقائد العاطلة التى اعتقدها النصارى، وعدت فى حانة الباطل بدم معبودهم سكارى . ولقد أحسن من سألهم بهذا السؤال المنظوم كاللئالىء ، وطلب الجواب ممن أحسن من سألهم بهذا السؤال المنظوم كاللآلىء ، وطلب الجواب ممن لا يقدر على رده إلى يوم الحساب وقال :

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن دعاه
إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه ، فما هذا الإله ؟
وهل أرضاه ما نالوه منه ؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه
وان سخط الذى فعلوه فيه ... فقوتهم إذا أوهت قواه
وهل بقى الوجود بلا اله ... سميع يستجيب لمن دعاه ؟
وهل خلت الطباق السبع لما ... ثوى تحت التراب وقد عداه؟
وهل خلت العوالم من اله ... يدبرها وقد سمرت يداه ؟
وكيف تخلت الاملاك عنه ... ينصرهم وقد سمعوا بكاه ؟
وكيف أطاقت الخشبات حمل ... الاله الحق مشدودا قفاه ؟
وكيف دنى الحديد إليه حتى ... يخالطه ويلحقه اذاه ؟
وكيف تمكنت ايدى عداه ... وطالت حيث قد صفعوا قفاه؟
وهل عاد المسيح الى حياة ... أم المحيى له رب سواه ؟

ويا عجبا لقبر ضم ربا ... وأعجب منه بطن قد حواه
أقام هناك تسعا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولودا صغيرا ... ضعيفا فاتحا للثدى فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتى ... يلازم ذاك هل هذا إله ؟
تعالى الله عن افك النصارى ... سيسأل كلهم عما افتراه
أعباد الصليب لأى معنى ... يعظم أو يقبح من رماه ؟
وهل تقضى العقول بغير كسر ... واحراق له ولمن نعاه
اذا ركب الاله عليه كرها ... وقد شدت لتسمير يداه ؟
فذاك المركب الملعون حقا ... فدسه لاتيسه اذ تراه
يهان عليه رب الخلق طرا ... وتعبده فانك من عداه
فان عظمته من أجل ان قد ... حوى رب العباد وقد علاه
وقد فقد الصليب فإن رأينا ... له شكلا يذكرنا سناه
فهلا للقبور سجدت طرا ... لضم القبر ربك فى حشاه ؟
وكيف أبحتم أكلا لخبز ... حوارى به حل الاله ؟
وشرب دمائه فى كأس خمر ... فكيف تساغ يا هذا دماه ؟
وكيف يبدل القداس لحما ... ويقلبه الى خبز تراه ؟
وكيف يكون فى بطن النصارى ... إذا أكلت وحاشا مكلاه؟
فيا عبد المسيح افق فهذا ... بدايته وهذا منتهاه

قوله : « كمنوا له تحت العقبة » الى آخره .

إن ظن النصرانى أن بهذا ترويجا لباطله ، فقد خاب ظنه لأن الذين مكنوا له عليه الصلاة والسلام لتنفير بغلته أما منافقون واما مشركون والصنفان كانا معلومين له عليه الصلاة والسلام ، ولم يقل أحد من المسلمين بحبهما إذ ذاك للنبى ﷺ ولم ندع أن جميع العرب آمنت به فى حياته ، بل هم أقسام ثلاثة فمنهم المؤمن الصادق ، ومنهم

المنافق ومنهم من كان باقيا على شركه ونزل القرآن فيما يتعلق بالجميع، حتى أسلم بعد ذلك جميعهم وحسن إسلامهم ، وأنت تعلم أنه لا ضير فى هذه الفعلة على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن وقع للأنبياء عليهم السلام من أممهم ما وقع مما هو أعظم من ذلك واين أنت عما فعل « يهوذا الاسخريوطى » بإلهه ومرسله — على زعمك — من تسليمه بثلاثين دوهما للصلب بيد اليهود ، فتذكر ولا تغفل .

★ ★ ★

قال النصرانى « فلنرجع الآن إلى كلامنا الأول ونقول إنه كان عمره ثلاثا وستين سنة ، منها أربعون سنة قبل ادعائه النبوة ، وثلاث عشرة بمكة ، وعشر فى المدينة ، وهذا أصلحك الله مالا تقدر أنت ولاغيرك ممن يدعى مثل إدعائك أن ينكره أو يجحده والذى نقل إليك دينك ووثقت به فى جميع ما نقله عنه ، هو الذى نقل هذه الأخبار فهذه قصته من أولها إلى آخرها .

فان ادعيت أن موسى النبى ويشوع بن نون ولى الله وخليفة موسى ، قد حاربا أهل فلسطين ضربا بالسيف وقتلا للرجال وسبيا للذرارى وأحرقا للقرى والمساكن بالنار ونهبا للأموال . مما أنكرت على صاحبنا من أمره وفعله، قلنا لك: إنهما فعلا ما فعلا عن أمر الله عز وجل لقوام ما أراده وقدره وانجاز مواعيده ، فان ذلك كان فى قوم قد طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد ، فأحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الأب المشفق على ابنه ، وإن قلت وما الدليل على أن ذلك منهما كان عن أمر الله سبحانه وتعالى وان الذى فعله صاحبك لم يكن عن أمر الله ؟ قلنا لك : ان نبى الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التى فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع أهل مصر بعدما فعل أهل مصر ، ببنى اسرائيل ما فعلوه ، بعد ذلك أخرج بنى اسرائيل بتلك اليد الرفيعة

والقوة المنيعة وفلق لهم البحر وأجازهم وغرق فرعون وأصحابه عندما تبعهم وضرب الحجر الأصم فتفجر منه اثنى عشر نهرا ، سقاهم منها وأنزل لهم المن والسلوى وما اشبه ذلك ، مما أتى به مما هو ممتنع فى قدرة المخلوقين لايقدر أحد أن يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ، ومن اعطاه الرب القدرة على فعل مثله ، صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صادقة بأن جميع ماحكاه وفعله عن أمر الله تبارك وتعالى، وصح عندنا أيضا من وجه آخر أنه لم يجىء من بعده نبى ولا رسول من عند الله الا ثبتت له مقالته وصحح قوله وما جاء به ، وعلمنا أن قتال الكفار الذين قاتلهم وسبى ذراريهم واحرق مساكنهم ونهب أموالهم حق من الله .

وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استبقائه الشمس فى وسط الفلك عن مسيرها ، إلى أن انتقم الشعب من أعدائه وكذلك توقيفه القمر بأمر الرب فوقف ، وشهد له الكتاب بأنه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون فى المستأنف لأنها آية خص بها يشوع بن نون ، فتكون شهادة له وجلالا الى آخر الأبد ، وكذلك أفاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها .

وإذا قلت : إنك قرأت كتاب يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لإعادتها ، ونحن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطىء ، وانه حق كما حكاه ديوان الله لا نشك فيه ولا نرتاب .

فاعطنا أنت أصلحك الله ادنى حجة او آية او لمعة اعجوبة تومىء بها الى صاحبك أنه فعلها أو يقول كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برسالته ونقبل دعوته ، ونعلم أن مافعله من قتل الناس وسبيهم

وأخذ أموالهم واخراجهم من ديارهم كان عن امر الله عز وجل كفعل أولياء الله، ولكنا نعلم حقيقةأنه لا جواب عندك فى هذا وانك لاتقدر ان تأتى بشىء مما سئلت عنه ، فلا ينبغى لك اصلحك الله ان تظلم وتذم من رد عليك قولك وانكر دعواك قائلا إن الله لم يبعث صاحبك رسولا ولا نبيا ولا امره بمحاربةأحد ولا موادعته وانما هو رجل متغلب ادعى لنفسه ما ادعاه ، فأعانه على ذلك قوم من عشيرته وأهل بيته وبلده ، فليس على من جحد هذا ورده ، لوم ولا عيب ولاذنب ، بل إن انصفت عذرته وأحمدت رأيه وارتضيت بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره ، لإحادته عن القول المتهافت المتناقض الشاهد على نفسه ببطلانه .

وأنت تعلم — علمك الله كل خير — ان العقل والنصفة يوجبانذلك، اللهم إلا أن تستعمل المباهتة التى ليست من مذهبك ولا من اخلاقك بل هى سلاح العمه اليهود والكفار والجهال ، فان الكذب والبهت والمكابرة أصل قولهم ومتن كلامهموعقد أمرهم لأنهم يشبهون الشيطان اباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان ، كما شهدالرب يسوع المسيح عليهم فى انجيله المقدس الطاهر فإلام أرجع — اصلحكالله — من أمرك ؟ وكيف أقول ؟ وبم احتج لك عند عقلى ؟ وهل ترى أن اقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع أترى ذلك صوابا ؟ وما أظنك يرحمك الله ترى لى ذلك كيف وسيدى المسيح قد قال فى محكم انجيله المقدس «إن جميع الأنبياء انما تنبأت الى وقت مجيئى ، وعند ظهورى زالت النبوات بأجمعها ، فلا نبى بعدى ، فمن جاء بعدى مدعيا نبوة فهو لص خاطف لاتقبلوه(١)» فأشر على يا خليلى هل ترى لى أن أعدل

---

(١) النصرانى يكذب فى النقل عن الأناجيل الاربعة . فالانبياء لم يتنبأوا عن مجىء عيسى عليه السلام . ونما فى انجيل يوحنا يقول المسيح : «لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى لانه هو كتب عنى» (يو ٥: ٤٦)=

عن وصية ربى المسيح مخلص العالم ، وأقبل غرورك وخدعك وأمانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دليل ولا حجة ؟ فما أظن مثلك من أهل التمييز والعقل أشار بمثل هـذا الخطـأ العظيم ولا مثلى قبله واصغى اليه فارجع الى عقلك يرحمك الله وانصفه ، واستعمل القانون الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب المضمحل فإنى لك ناصح وعليك مشفق .

واذكر ما قرأته فى الانجيل الطاهر حيث يقول السيد المسـيح لحوارييه « أن كثـيرين من الأنبياء والملوك اشـتهوا أن ينظـروا ما أنتم تنظرون ولم ينظـروا ، واشـتاقوا إلى أن يسـمعوا ما أنتـم تسـمعون ولم يسـمعوا»(١) (لوقا ١٠) فهل ينبغى لك وأنت قرأت مثل هذا ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها ؟ وبعد هذا كله فكان ينبغى لك أن تعلم أننا انما صدقنا الأنبياء وقبلنا أقوالهم عنـدما جاءونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة وأعلام الوحى ، لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف فى الحسب والنسب ولا بكثـرة العشـيرة وصولة المنعـة

= فالنص على ظاهره يبين أن التوراة تنبأت عن المسيح . لا جميع الانبياء. وهذا النص باطل أيضا . لان التوراة تنبأت عن محمد ﷺ فقط فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . كما بين الشيخ الآلوسى فى الجزء الاول من هذا الكتاب .

وفى انجيل يوحنا ، يقول المسيح : « جميع الذين أتوا قبـلى هـم سراق ولصوص » (يو ١٠ : ٨) ولم يقل من جاء بعدى كما قال المؤلف. وفى انجيل متى يقول المسيح : « من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ » (مت ١٠ : ٤١) فهو لم يقل انه خاتم النبيين كما أدعى المؤلف .

(١) فى الاصل يوقا ٢٤ .

ووفور المال ولا بتسهيل السنن والشرائع ، ولا باعطاء الجسد شهواته، ولا لأجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط ، بل بالآيات العجيبة التى لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ فى حيلهم أن يأتوا بمثلها ، فهى دلائل واضحة الهية مثل آيات الأنبياء وعجائب ربنا المسيح ، وأفعال تلاميذه الحواريين التى كانت تضل عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكماء ، فقبلنا أقاويل هؤلاء وجميع ماجاءونا به وصدقناهم وأقررنا لهم به ، وانه حق منزل من عند الله عز وجل ، لكون مثل هذه الشهادات الصادقة معهم ، وبراءتها فى أيدينا ، وعندنا آثارهم قائمة، وأعلامهم نيرة ، لا يجحد ذلك أحد ولا يمكن غيرهم ن يدعيه ولا ينكره إلا من عاند الحق واستعمل المباهتة وسوء التمييز » اهـ .

فأقول وبالله سبحانه التوفيق : إن ما سرده هذا النصرانى هنا من التمويه الباطل والمكرر الذى لا تجد تحته طائل ، وهو تهويل وليس عليه فى مقام الجدل تعويل ، وإذا امتحنته الفيته زيفا ، أو جبا نتنا مخيفا ، أو سرابا يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم يرفيه رواء ، فلذا يستغنى فى الحقيقة عن الرد ، لاسيما والذى ذكرناه من قبل ونذكره فيما بعد وافيان بالمقصود فى جواب هذا المهذار ، من هدم ما أسسه على شفا جرف هار ، إذ هو يحكى فى كلامه من يبنى بيتا من الثلج فى الشتاء ليستكن فيه ، ويتحفظ من أغاديه . فاذا جاء الصيف واشتدت اللأواء وانكشف الغيم عن السماء وظهرت الشمس ، فأثرت فى ظاهره وخافيه ، ذاب على بانيه لحينه وغرق الساكن فى معينه . فأجوبتنا والحمد لله تعالى كالشمس المذيبة بحرارتها لتلك الدار ، غير أنا خوفا من ان يظن الناظر انا تركنا جواب كلامه المكرر بجزا أو سنامه او توانيا فى هدم ما اقامه ، نذكر نبذة مما ذه الكلمات ، مقتصرين على رد المطاعن بأخصر العبارات .

قوله : « وأقول إن عمره كان ثلاثا وثلاثين سنة» الخ

ليت شعرى أى دليل فى هذا على عدم صدقه عليه الصلاة والسلام بدعوى الرسالة لأن عيسى كان عمره عندما قتل بزعمهم نيفا وثلاثين سنة ولنذكر لك شيئا نزرا مما يتعلق بأحواله عليه الصلاة والسلام قبل ولادته وبعدها ، وهذا غير ما ذكرناه من معجزاته وبديع صفاته.

قال الماوردى فى الباب التاسع عشر من كتابه دلائل النبوة فى آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم — بعد أن ذكر طهارة مولده ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة ، وأنه عصم الله تعالى أباه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم حين كان فى ظهره أن يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح آمنة بنت وهب وأنه عليه الصلاة والسلام سلالة آباء كرام سادوا ، ورأسوا ، وليس فى آبائه خامل مسترذل ولا مغمور مستذل ، كلهم سادة قادة ، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة حتى تحرجوا من نكاح المحارم ، وان استباحه غيرهم ما ملخصه .

«آيات الملك باهرة وشواهد النبوات قاهرة تشهد مبادؤها بالعواقب ، فلا يلتبس فيها كذب بصدق ولا منتحل بمحق وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها . ولما دنا مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعاطرت آيات نبوته وظهرت آيات بركته ، فكان من أعظمها شأنا وأظهرها برهانا واشهرها عيانا وبيانا أصحاب الفيل الذين أنفذهم النجاشى من أرض الحبشة فى جمهور جيشه إلى مكة ، لقتل رجالها وسبى ذراريها وهدم الكعبة وفى سببه قولان :

فذكر قوم أن أبرهة بن الصباح(١) استولى على اليمن معتزيا إلى النجاشى فبنى بصنعاء كنيسة للنصارى ، واستعان فى بنائهـا بقيصر والنجاشى حتى بناها فى تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة إليها فأنكرته العـرب ودخل إلى هيكلهـا بعض بنى كنانة من قريش فأحدث فيها • فكتب الى النجاشى يستمده بالفيل وجيش الحبشـة ليغزو قريشا ويهـدم الكعبة ، فسار بهم وأخذ «أبا رغال» من الطائف دليـلا إلى مكة ، حتى أنزله بالمغمس ، ومات أبو رغال بالمغمس فدفن فيه ، فرجمت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس •

وقال آخرون بل سببه أن نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على شـاطىء البحر فنزلوا بفنائها وأوقـدوا نارا لعمل طعـامهم ، فاحترقت البيعة فأقسم النجاشى ليسبين مكة وليهدمن الكعبة ، فانفذ جيشه والفيل مع أبرهة بن الصباح وابن مكسوم وحجر بن شراحبيل والأسود بن مقصود ، وكان النجاشى هو الملك وأبرهة صاحب جيش على اليمن وأبو مكسوم وزيره وحجر والاسـود من قواده ، فساروا بالجيش مع الفيل ، حتى نزلوا بذى المجاز ، وتقدمهـم الاسـود بن مقصود فاستاق سرح مكة ، فقال فيه عبد الله بن مخزوم •

لاهم إخز الأسود بن مقصـود الآخذ الهجمة بعـد التقليـد
ويهدم البيت الحرام المعبـود والمروتين والمشـاعر السـود
اخزهم يارب وأنت المعبود

وكان فى السرح مائتا بعير ، لعبد المطلب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قلد بعضـها فخرج وكان وسيما جسـيما إلى أبرهة

---

(١) فى الاصل : ابراهيم بن الصباح .

وسأله فى إبله فقال له ابرهة قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ، وقد زهدت الآن فيك • قال ولم ؟ قال جئت لأهدم الكعبة ، بيتا هو دينك ودين آبائك ، فلم تسألنى ، فيه ، وسألتنى فى إبلك ، فقال عبد المطلب : أنا رب إبلى وللبيت رب غيرى سيمنعه منك • فقال ابرهة : ما كان ليمنعه منى ورد على عبد المطلب إبله مستهزءا ليعود فيأخذها ، فأحرزها عبد المطلب فى جبال مكة ، وأتى الكعبة فأخذ بحلقة الباب ، وجعل يقول:

يارب إن المرء يمنـ ... ـع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وكعـ ... ـبتنا فأمر ما بدالك
فلئن فعلت فانه ... أمر يتم به فعالك
اسمع بارجس من أرا ... دوا العدو وانتهكوا حلالك
جروا جميع بلادهم ... والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حمال بكيدهم ... جهلا ومارقبوا جلالك

وتوجه الجيش إلى مكة من طريق منى ، والفيل معهم ، إذا بعث على الحرم أحجم ، وإذا عدل عنه أقدم ، فوقعوا بالمغمس ، فقال ابو الطيب بن مسعود فى ذلك ، وقيل بل قاله عبد المطلب •

إن آيات ربنا ساطعات ... ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... مر يعوى كانه معقور

وبصراهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه غريبة بأرضنا ماهى نجدية ولا تهامية ولا حجازية ، وإنها لأشباه العياسيب، وكان فى مناقيرها وأرجلها حجارة، فلما أظلت على القوم ألقتها عليهم حتتى هلكوا ، فأفلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن ،

فمات فى طريقه بعد أن كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك • ولما تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم عليهم قال عبد المطلب :

يارب لا نرجو لهم ســواكا يارب فامنــع منهــم حماكا
ان عــــدو البيت من عاداكا أمنعهــم ان يخــربوا قراكا

وبعث ابنه عبدالله ابا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليأتيــه بخبرهم فوجد جميعهم قد شدختهم الاحجار حتى هلكوا فعاد راكضا الى عبد المطلب وأصحابه وأخبره ، فبادر عبد المطلب وأصحابه واخــذوا اموالهم فكانت أول أموال بنى عبد المطلب فأنشأ مرتجزا يقول :

انت منعت الجيش والافيالا وقد رعو بمكة الاخيــالا
وقد خشــينا منهم القتالا وكل امر لهــم معضــــالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وآية الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة الفيل أنه كان فى زمانه حملا فى بطن أمه بمكة ، لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه فى يوم الاثنــين الثانى عشر من شــــهر ربيــع الأول ، ووافق من شهور الروم العشرين من شباط فى السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن أنوشروان فكانت آيته فى ذلك من وجهين أحدهما انهم او ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجرى عليه السبى حملا ووليدا • والثانى : أنه لم يكن لقريش من التــأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم ، وما هم أهل الكتاب لأنهم كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، ومانع من الرجعة ، ولكن لمــا أراده الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة أن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج •

فان قيل : فكيف منع عن الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى أحرقها ونصب المنجنيق عليها ؟ فقال فيها على ما حكى عنه :

كيف تراه ساطعا غبـــاره والله فيمـــا يزعمـــون جاره

وقال راميها بالمنجنيق :

قطارة مثل الغنيـــق المزيد أرمى بها أعواد كل مسجد

قيل فعل الحجاج كان بعـد استقرار الدين فاستغنى عن آيات تأسيسه وأصحاب الفيل ، كانوا قبل ظهور النبوة فجعل للمنع منها آية لتأسيس النبوة ومجيء الرسالة ، على أن الرسول عليـه الصـلاة والسلام قد أنذر بهدمها فصار الهدم آية بعد أن كان المنع آية فلذلك ما اختلف حكمها فى الحالين والله تعالى أعلم .

ولما انتشر فى العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم وعظموه وزادت حرمته فى النفوس ودانت لقريش بالطـاعة ، وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، فزادوهم تشريفا وتعظيما ، وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية . والوفادة مال تخرجه قريش فى كل عام من أموالهم يصنعون به طعاما للناس أيام منى فصاروا أئمة ديانين وقادة متبوعين ، وصار أصحاب الفيل مثلا فى الغابرين .

ثم كان شأن الفيل فى الجاهلية رادعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ .

وقد عاصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمن نبـوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل وطير الأبابيل منهم حكيم بن حزام وحاطب بن عبد العزى ونوفل بن معاوية . لأن كل واحد من هؤلاء عاش

مائة وعشرين سنة • منها ستين سنة فى الجاهلية ، وستين سنة فى الاسلام ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ولادته لم يزل موفور البركة على كل لائذ به وكافل له •

ولو أردنا ذكر جميع ماوقع له من الآيات عند حمله ووضعه ورضاعه وصباه لطال الكتاب وخرجنا عن صدد اختصار الجواب • ومن أرادها فليرجع إلى محالها فإن بطون الكتب مملوءة من تفاصيلها بالروايات الصحيحة والأخبار الصريحة والله سبحانه الهادى الى صوب الصواب » •

وقال أيضا فى الباب الحادى والعشرين فى مبتدأ بعثه واستقرار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى يجعل لكل مقدور من الأمور إذا دنى نذيرا وبشيرا يظهر بهما مبادى ماأخفاه ، ويشعر بحلولهما قدره وقضاه ، ليكونا تعذيرا وتحذيرا ، لتتيقظ بهما العقول ، ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجأة الأمور المذهلة أن تصدم ببوادر لا تستدرك ، لتكون النفوس فى مهلة من استدفاع خطبها وحل صعبها • ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة رسولا والى الخلق بشيرا ونذيرا ، انتشر فى الأمم ان الله تعالى سيبعث نبيا فى هذا الزمان وان ظهوره قد قرب وآن ، فكانت كل أمة لها كتاب، يعرف ذلك من كتابها • والتى لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها ، وتنتبه عليه بهواجس فطرها إلهاما أعان به الفطن اللبيب ، وأنذر به الحازم الأريب هذا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غافل عنها وغير عالم أنه مراد بها ، ومؤهل لها ، لم يشعر بها ، حتى نودى ، ولا تحققها حتى نوجى، ليكون أبعد من التهمة وأسلم من الظنة ، فيكون برهانه اظهر ، وحجاجه أقهر •

وكان مع تميزه عن قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا بفرائض العقول من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه ، وشكر المنعم وتحريم الظلم ، ووجوب الانصاف واداء الأمانة .

واختلف أهل العلم هل كان عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه معبدا بشريعه من تقدمه من الانبياء ؟ فذهب الاكثر إلى انه لم يكن متعبدا بشريعه من تقدمه من الانبياء ، لانه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ، ولو عمل بها لظهرت منه ، ولو ظهرت منه لاتبعه فيها الموافق ونازعه فيها المخالف . وذهب الخير الى انه كان متعبدا بشريعه من تقدمه من الانبياء عليهم السلام لانهم دعوا الى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ، مما لم تنسخ بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم الدعاء قبل مبعثه ، لان الله تعالى لا يخلى زمانا من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع وذهب بعضهم إلى انه كان متعبدا بشريعة جده ابراهيم عليه السلام لقوله تعالى : «ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه » ولانه كان فى الحج والعمرة على مناسكه ، فسلم قبل مبعثه من جرح فى دينه وقدح فى يقينه . وهذا من امارات الاصطفاء ومقدمات الاجتباء . **ولما جد الأمر فى النبوة** ودنا وقتها، حبب الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام الخلاء بعد أربعين سنة من عمره ، حين تكامل نهاه واشتد قواه ، ليكون متهيأ لما قدر له ، ومتأهبا لما أريد له ، فكان يتخلى بغار فى حراء فى ذوات العدد من الليالى، وقيل شهرا فى السنة ويعود إلى أهله ، إلى أن استدام الخلاء فى الغار لما أراده الله تعالى به ، فكان يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين برهة من زمانه ، وهو غافل عن النبوة ، وان كان فى الناس موهوما، وعند أهل الكتب معلوما ، ليكون ابتكار البديهة

به مانعا من التصنع لها فلا ينسب الى اختراعها • ولو تصنع واخترع لظ رت أسبابهما وتمت شواهدهما ولم يخف على من عاداه أن يتداوله ولا عن من والاه أن يتأوله وحسبك بهذا وضوحا أن يكون بعيـــدا من التهمة بهما ، سليما من الظنة فيهما فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم على خلوته إلى أن اظهر الله تعالى امارات نبوته فأيقظه بها بعد الغفلة وبشره بها بعد المهلة ، ثم بعثه بها رسولا بعد البشرى ، على تدريج ترتبت فيها أحواله ليتوطأ لتحمل اثقالها ويعلم لوازم حقوقها ، حتى لا تفاجأه بغته فيذهل ، ولا تخفى عليه حقوقها فينكل •

وكان ذلك من الله عز وجل لطفا به وأنعاما عليه وداعيا لأمتـــه فى الانقياد إليه فســبحانه من لطيف بعبـــاده ، منعـــم على خلقه ثم تدرجت اليه أحواله فى النبوة حتى علم أنه نبى مبعوث ورسول مبلغ ترتب تدرجه على ســتة أحوال ، نقـــل فيهن إلى منزلة بعـــد منزلة حتى بلغ غايتها •

فالمنزلة الأولى : الرؤيا الصادقة فى منامه بما سيؤول إليه أمره ، فكان ذلك إذكارا بها ليروض لها نفسه ويختبر بها حواسه ، فيقوم بها إذا بعث وهو عليهـــا قوى وبهـــا ملى ، وكانت رؤياه تجىء مثل فلق الصبح ، حتى فجأه الحق وكان إذ ذاك لايمر بشجر ولا حجر ، إلا قال السلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمنه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا •

والمنزلة الثانية : أنه نزل عليه جبريل بوحى ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته ، فأخبره أنه نبى الله ورسوله واقتصر به على الأخبار، ولم يأمره بالانذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ، ويقطع بها يقينا ، فيكون

معتقده بها أوثق، وعلمه بها أصدق ، فلا يعترضه وهم ، ولا يخالجه ريب •

روى الزهرى وغيره : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فجئه الحق ، ، أتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : «فجثوت اركبتى وأنا قائم ، ثم رجعت ترجف بوادرى، ثم دخلت على خديجة ، فقلت زملونى زملونى ، حتى ذهب عنى ، ثم أتانى فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله • ثم قال : إقرأ ، قلت : ما أقرأ ، فأخذنى فغطنى ثلاث مرات حتى بلا منى الجهد ، وقال : «اقرأ باسم ربك الذى خلق(١)» ثم انطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل ،وكان قد خرج فى طلب الدين ، وقيل قرأ التوراة والانجيل وتنصر ، فأخبره الخبر ، فقال هذا الناموس الذى نزل على موسى — يعنى جبريل عليه السلام — وقال ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك • فقال عليه الصلاة والسلام له: «أمخرجى هم؟» قال : نعم إنه لم يجىء رجل قط بما جئت به الا عودى ولأن أدركنى يومك لانصرك نصرا مؤزرا •

والمنزلة **الثالثة** : إنه أمر عليه الصلاة والسلام بعد النبوة بالانذار، فصار به رسولا ، ونزل عليه القرآن بالامر والنهى ، فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن آمن ، ويشتد بمن أجابه • فنزل عليه قوله تعالى : «يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك

---

(١) أول العلق . وقيل : ان أول ما نزل : ن تعالوا أتل ما حرم ربكم . وقيل : سورة الفاتحة . وقيل غير ذلك (الاتقان للسيوطى) .

فاصبر » فتمت نبوته بالوحى والانذار • وإن كان على استسرار فقد استسر بالانذار من يأمنه ، كعلى وخديجة وأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان وأناس قليلين • ثم تتابع الناس فى الاسلام ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على استسراره ، بالدعاء ، وإن انتشرت دعوته فى قريش •

المنزلة الرابعة : ان يعم بالانذار بعد خصوصه ويجهر بالدعاء إلى الاسلام بعد استسراره ، فأنزل الله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين(١) » فجهر بالدعاء وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وأمر أن يبدأ بعشيرته الأقربين ، فقال الله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين(٢) » فصعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا فهتف: «ياصباحاه•يابنى عبدالمطلب•يابنى عبد مناف» حتى ذكر الأقرب فالاقرب من قبائل قريش ، فاجتمعوا له وقالوا مالك• قال: «أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، اما كنتم تصدقوننى؟» قالوا: بلى ماجربنا عليك كذبا قال : فانى نذيركم بين يدى عذاب شديد» فردوا عليه بعض الرد ، حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه أحلامهم فى عبادتها فلما فعل ذلك ، أجمعوا على خلافه وتظاهروا بعداوته ، الا من عصمه الله تعالى بالاسلام وهم قليل مستحقرون ، فصار بعموم الانذار والجهر بالدعاء الى التوحيد والاسلام، عام النبوة مبعوثا الى كافة الأمة •فكمل الله تعالى بذلك نبوته وتمم به رسالته، فصدع بما أمره وقام بحقه وجاهد بانذاره وعم بدعائه

---

(١) الحجر ٩٤ .

(٢) الشعراء ٢١٤ — ٢١٥ .

وجاهد فى الله حق جهاده، حتى خصم(١) قريشا حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وجمعهم غفير ، الى أن علت كلمته وظهرت دعوته ، وكابد من الشدائد مالم يثبت عليها إلا معصوم ، ولا يسلم منها الا منصور ، وكل هذه آيات تنذر بالحق وتلائم الصدق ، لأن الله لا يهدى كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين » انتهى باقتصار وتلخيص .

قوله : « فإن ادعيت أن موسى النبى ويشوع قد حاربا» الى آخره .

أقول : لو أردنا استقصاء ما فعلته أنبياء بنى اسرائيل بمن خالفهم، من قتل وأسر للكبار والصغار والنساء ، وأخذ للأموال ، لطال البحث والكتاب ، وقد ذكرنا فى محله مافيه كفاية لذوى الألباب . غير انى أذكر هنا ما ورد فى سفر صموئيل الثانى عن داود ، عليه السلام لينظر الفرق بين ما كان مأمورا به غير نبينا من الأنبياء ، وبين ماأمر به نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال فى الأصحاح الثانى عشر المطبوع فى الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه « فجمع داود جميع الشعب ، وصار الى رابات ، فحاربها وفتحها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ، وكان وزنه وزنة من الذهب . وكان فيه جواهر كريمة ووضعه على رأس داود ، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير وداسهم بنوارج حديد وقطعهم بفؤوس حديد ، وأمرهم فى

---

(١) لما نزل قوله تعالى : أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال الكفار : أن « ما » للعاقل . وعيسى ابن مريم عاقل . وهو اله عند لنصارى ، فيكون من أهل النار . وذهب «ابن الزبعرى» ليخصم محمدا ﷺ . والرد عليه : أن عيسى بن مريم لم يعبد برضاه . والآية فى الالهة التى ترضى بعبادة الناس لها .

أتون الآجر ، وكذلك صنع بجميع مدن بنى عمون ورجع داود وجميع الشعب الى أورشليم(١)» اهـ .

«قال محشيه المفسر ما نصه : «هذا النوع من العذاب غريب جدا ، ودليل فى نفسه على أشد القساوة ، إلا أننا إذا اعتبرنا أن داود كان من طبعه الحلم فالواجب أن نقول إنه انما أتى الى هـــذا الحد من القساوة ، بسبب أن بنى عمون كانوا قد عذبوا الاسرائيليين هكذا، وأن الله أمره أن يعاقبهم هذه المعاقبة ، وهو رب الموت والحياة» اهـ .

مع أن داود ، كما فى الاصحاح السادس عشر من صموئيل «قد حل عليه روح الرب وهو صغير» إلى النهاية فقابل هذا مع مافعله نبينا على الصلاة والسلام فى فتح مكة من العفو والصفح ، مع أن الكل من أمر الله سبحانه ، واعرف عفو المصطفى وانصف .

قوله : « انهما فعلا ما فعلاه عن أمر الله عز وجل» الى آخره .

يقال له ماكان جوابك فهو جوابنا لأن نبينا عليه الصلاة والسلام ثبتت نبوته بما ثبتت به نبوة غيره من الأنبياء الكرام ، وقد أسلفنـــا لك جملة صالحة تتعلق بذلك فراجعها .

قوله : « فأحب تبارك وتعالى تأديبهم » .

لا يخفى عليك ان مثل هذا أيضا يقال فى جهاده عليه الصـــلاة والسلام المشركين من العرب والمجوس واليهود والنصارى وغيرهـــم لأن مشركى العرب عبدوا الاحجار والأشجار ووأدوا البنات وانكروا

---

(١) الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى ٢٩ — ٣١ .

الحساب والعقاب والمجوس عبدوا النيران وتزوجوا الأخوات والأمهات، وطغوا فى البلاد وأبادوا العباد واليهود حرفوا التوراة وبدلوا أحكام الإله وطعنوا بالأنبياء وجهلوا صفات خالق الارض والسماء والنصارى غيروا أحكام التوراة والانجيل وزعموا بعد نبيهم عليه السلام أنه هو الاله النازل على أهل الجليل فاتخذوا الانسان ربا معبودا ، ومنحوه ركوعا وسجودا • ثم زعموا أن مخلوقه صلبوه، ومرّذوّقوه، وعذبوه، ثم زعموا ان كل نصرانى يأكل لحمه ويشرب دمه فى العشاء الربانى وغيرهم من الصابئة ونحوهم عبدوا النجوم والدهرية أنكروا اليوم المعلوم فحينئذ شاء البارى تبارك وتعالى أن يرسل إلى هؤلاء البشر من ينقذهم من عبادة النار والصور والحجر والشجر والبقر والقول بالدهر ، ويمنعهم عن وأد البنات وتزوج الأخوات والأمهات ، ويحكم بما أنزل الله تعالى من التوراة والآيات البينات ، ويخلص اليهود من ظلم النصارى ، ويهديهم ، فهموايم الله فى الدين حيارى ، ويرشدهم إلى القول الحق فى المسيح ، لأنهم قد نسبوا اليه وحاشاه كل قبيح ، فأمره عز وجل بدعوتهم الى الايمان ، وان أبوا قاتلهم بكل سيف وسنان ، حتى يتبعوا ما أنزل من القرآن ولا يجعلوا لله سبحانه ثان ، ويأتمروا بما أمر به الملك الديان ، ويكونوا أولياء الرحمن ، لا أوليـاء الشيطان ، ويتخلقوا بالأخلاق المرضية ولا يظلموا أحدا من سائر البرية، ويعتقدوا الحشر والمعاد ، وانه سبحانه يحاسب العباد ، فيدخل الفاجرين نيران الجحيم ، والموحدين المؤمنين بالله ورسله دار النعيم•

قوله : «ان نبى الله موسى حيث جاء بالآيات» الى آخره •

من المعلوم البين أن المسلمين معترفون بمعجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام ، فلاحاجة إلى سوقها فى مقام الخصام ، إذ لا دليل فيها على إبطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ،

بل فيها تأييد لمعجزاته عليه أفضل الصلاة والسلام لأنها ثبتت بما ثبتت به معجزاتهم عليهم السلام لأنها أمر خارق للعادة، صدر ممن ادعى النبوة وقد تحدى بذلك كلا منهم على أن معجزات موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام إنما ثبتت وسلمت عندنا بتصديق نبينا عليه الصلاة والسلام وإخباره لنا ، إذ لولاه لما صحت معجزاتهم ، لأن معجزات موسى ينكرها كثير من الأمم وأصحاب الملل والنحل ، والدهرية ، والمجوس ، ومعجزات عيسى ونبوته ينكرها اليهود وكافة الأمم ما خلا المسلمين ولما جاء نبينا عليه الصلاة والسلام وادعى النبوة وأظهر المعجزات الجمة التى فاقت جميع معجزات إخوانه الأنبياء ، وتحدى بها علمنا حينئذ صحة نبوتهم وصدق معجزاتهم وأكد ذلك تبشيراتهم به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يكن تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لما صدقناهم ، لأن التوراة لم تصل الينا بالتواتر المعتبر ، والتحريف والناقض الذى فيها أمر ثابت مستطر ، والانجيل ألف مرات كثيرة لأفراد متعددين ، بعبارات مختلفة مضطربة ، بعد المسيح عليه السلام بسنين وفيرة ونقلته أفراد من النساء ونحوهن فهو خبر آحاد .

لا سيما وتناقضه وتخالف نسخه أعظم شاهد على أنه لا يفيد العلم غير أن نبينا عليه الصلاة والسلام لما صدق رسالتهما ، وبين معجزاتهما ونبهنا على تحريف التوراة والانجيل ، ونظرنا إليهما بعين التأمل والتدبر ، وجدنا صدق مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وموافقة خبره لنفس الأمر فآمنا ، بنبوتهما وصدقنا معجزاتهما وعلمنا كذب ما عزته اليهود لعيسى عليه السلام وكذب ما عزته النصارى له أيضا واعترفنا بما هو مطابق للعقل والنقل من أنه ابن مريم لامن سفاح، وأنه رسول صادق ، وأنه بشر مخلوق لا خالق ونبذنا كلام من فرط

وأفرط وركب متن البهتان والغلو والشطط كما أثبتنا جميع هذا فيما تقدم من كتابنا فراجعه • ولعل لنا أيضا عودة إلى هذا البحث إن شاء تعـالى •

قوله : « ولن يكون فى المستقبل لأنها آية خص بها يشوع »

لا يخفى أن هذا النصرانى لعله أراد بنقله وكلامه هـذا ، إبطال بعض معجزات نبينا عليه الصلاة والسـلام كرد الشمس وانشـقاق القمر الذين قدمنا ذكرهما فى بيان المعجزات ، مع أن هذه الآية إن صحت ألفاظها ، فليس فيها ما يصرح بانحصارها فى يشـوع وأنهـا لاتكون لغيره لأن الآية فى نسخهم المختلفة تحتمل معـان عـديدة ، وتأويلات سديدة ، لا تخفى على كل فطن لبيب ، فاسمعها وأجل قداح فكرك فيها : قال فى الاصحاح العاشر من سفر يشوع ما نصه : «حينئذ كلم يسوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى اسرائيل ، وقال امام عيون اسرائيل ياشمس دومى على جبعون وياقمر على وادى أيلون فدامت الشمس ووقف القمر ، حتى انتقم الشعب من أعدائه ، أليس هذا مكتوب فى سفر الأبرار ؟ فوقفت الشمس فى كبد السماء ، ولم يكن تعجل إلى الغـروب يوما تاما ، ولم يكن يوم طويلا مثله لا قبـل ولا بعد وذلك أن الرب أطاع لصوت رجل وحارب عن اسرائيل» انتهى من النسخة المطبوعة سنة ١٨٣١ فى لندن وهذا ليس فيه دليل على أن هذه المعجزة لا تكون لأحد بعده كما هو ظاهر لذوى الأبصـار ظهور الشمس فى رابعة النهار •

قوله : «انه لا جواب عندك » •

نقول : لنا والحمد لله تعالى أجوبة كثيرة تضـيق عنها بطـون الصحائف والدفاتر ، عن كل ما ذكرته ، وتذكره فيما بعد من الشـبه

التى لا يخفى بطلانها على الأكابر والأصاغر ، وقد سبق لك منها مرارا ما يفى بالمقصود ، وتأتيك ان شاء الله تعالى بقيتها فى محالها من الردود ، فتصفحها فى تيار هذا الكتاب ، تجد فيه أجوبة لشبهك وشبه غيرك من أهل ملتك ، لا تبقى شكا لمرتاب ، إلا من كابر واستكبر ، وأصم الله تعالى منه السمع ، وأعمى البصيرة والبصر ، فليس لنا معه كلام والله يهدى الى دار السلام .

قوله : «فأعانه على ذلك قوم من عشيرته» .

لا يخفى أن النبى عليه الصلاة والسلام فى مبدأ أمره ، عادته عشيرته ونصرته الأجانب ، وكفرت به الاقارب ، وآمنت به الأباعد . ثم اتضح الأمر وأسفرت دعوته وثبتت بالبراهين القاطعة لكل رسالته ، فآمن به البعيد والقريب ، وفاز بقبولها شرقا وغربا كل عاقل لبيب .

قوله : « وهل ترى أن أقبل قولك من غير حجة» الى آخره .

قد ذكرنا لك الحجج التى هى كالشمس فى الظهور ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، غيرانى اذكر لك هنا مسألة شريفة من فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين ، أحمد بن عبد الحليم عليه الرحمة فانه سئل عن رجل قال إذا كان المسلمون مقلدين، واليهود مقلدين والنصارى مقلدين فكيف وجه الرد على اليهود والنصارى ؟ وما الدليل على تحقيق قول المسلمين ؟ وكيف وجه الرد على من قال ان نبينا محمدا صلى الله تعالى وسلم **مرسول الى العرب** خاصة ؟ فأجاب وأطنب كما هى عادته عليه الرحمة .

ولنذكر لك ملخص ما اختصرناه منها(١): قال نور الله قبره«أن هذا التقليد مذموم لأنه قبول قول الغير بلا حجة ، كالذين ذكرهم الله تعالى بقوله :«وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله•قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون(٢)» وقال تعالى : «إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون(٣)» ونظائر هذا فى القرآن كثير ، فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التى تعودها ، وترك اتباع الحق الذى يجب اتباعه ، فهذا هو المقلد المذموم ، وهذا حال اليهود والنصارى وأهل البدع والأهواء الذين يتبعون رؤساءهم فى غير الحق ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم فى النار ، يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا • وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ، فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم لعنا كبيرا(٤)» وغير هذه من الآيات • واعلم أن الشخص إما أن يتبين له أن ما بعث الله به رسله حق ، ويعدل عنه إلى اتباع هواه ، أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك ، هو الحق • فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه • قال تعالى فى صفة الأولين «: فانهم لايكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون(٥)» وقال تعالى«وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(٦)» وقال تعالى «الذين آتيناهم الكتاب يعرفون ، كما يعرفون أبناءهم ،

---

(١) اقرأ بأن تكافؤ الأدلة فى كتاب الفصل لابن حزم .
(٢) البقرة ١٧٠ .
(٣) الصافات ٦٩ — ٧٠ .
(٤) الأحزاب ٦٦ — ٦٨ .
(٥) الانعام : ٢٣ .
(٦) النمل : ١٤ .

وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون(١)» وقال تعالى فى صفة الآخرين : «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا(٢)» فهذه الآيات حاكية لحال اليهود والنصارى والمنافقين ، ولمن يترك الأدلة الواضحة الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لشبه ضعيفة ، وتقليد الأسلافه ويعرض عما ورد فى حقه عليه الصلاة والسلام فى الكتب المنزلة من البشائر الصريحة ، وما صدر على يديه من المعجزات المتواترة فهذا هو التقليد المذموم الذى تترك فيه النصوص القاطعة والدلائل الظاهرة لأجل اتباع الهوى والأسلاف .

وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : ان اليهود والنصارى الذين يزعمون انهم يتبعون موسى وعيسى عليهما السلام إنما يتبعونهم لأجل أنهم رسل الله وما من طريق تثبت بها نبوة موسى وعيسى الا ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أولى وأحرى بها . مثال ذلك : إذا قالت اليهود والنصارى : قد ثبت بالنقل المتواتر ، أن موسى وعيسى ادعيا النبوة وظهرت منهما الآيات الدالة على صدقهما ، وأنهما جاءا من الدين والشريعة ما يعلم انه لم يجىء به مفتر كذاب ، وما يظهر مثل هذه الآيات مع من ادعى النبوة إلا من نبى صادق فنقول لهم إن اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الطريق بالأولى فإنه من المعلوم أن الذين نقلوا مادعا إليه محمد عليه الصلاة والسلام من الدين والشريعة ، ونقلوا ماجاء

---

(١) البقر : ١٤٦ .

(٢) الكهف : ١٠٣ — ١٠٤ .

به من الآيات والمعجزات ، أعظم من الذين نقلوا مثل ذلك عن موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ، وما جاء به من هذين النوعين أعظم مما جاء به موسى وعيسى ، بل من نظر بعقله فى هذا الوقت إلى ما عند المسلمين من العلم النافع والعمل الصالح ، وما عند اليهود والنصارى ، علم أن بينهما من الفرق أعظم مما بين العظم والعرق ، فإن الذى عند المسلمين من توحيد الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وملائكته وكتبه وأنبيائه ورسله ومعرفة اليوم الآخر وصفة الجنة والنار والثواب والعقاب والوعد والوعيد ، أعظم وأجل بكثير مما عند اليهود والنصارى وهذا بين لكل من يختبر ذلك •

وما عند المسلمين من العبادات الظاهرة والباطنة مثل الصلوات الخمس وغيرها من الصلوات والاذكار والدعوات ، فى الليل والنهار أعظم وأجل مما عند أهل الكتاب • فالمسلمون والله تعالى الحمد فوقهم فى كل علم نافع وعمل صالح • وهذا يظهر لكل أحد بأدنى نظر ، والمسلمون متفقون على أن كل هدى وخير ، حصل لهم ، فإنما حصل بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يمكن مع هذا أن يكون موسى وعيسى نبيين ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس نبى ، واليهود والنصارى على حق وهدى ، والمسلمون على باطل وضلال ؟ فهذا لايقوله عاقل ولذا ترى بعض من يتفلسف يقول : أجمعت فلاسفة العالم انه لم يفرغ العالم بعد موسى ، أعظم من هذا الناموس ، لكن من لم يتبعه يعلل نفسه أنه لا يجب عليه اتباعه لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب، وان دينهم حق ودينه حق،والطرق الى الله تعالى متنوعة ، وهذه الشبهة يضل بها المتكايسون من أهل الكتاب والتفلسفة ونحوهم •

وبطلانها ظاهر ، فإنه كما علم علما ضروريا متواترا أنه عليه الصلاة والسلام دعى المشركين إلى الإيمان ، وأنه جاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركين ، فجاهد بنى قينقاع وبنى النضير وقريظة وأهل خيبر وهؤلاء كلهم يهود ، وانه عليه الصلاة والسلام غزا النصارى عام تبوك بنفسه ، وبسراياه ، حتى قتل فى محاربتهم جعفر ابن عمه، ومولاه زيدا وأنه ضرب الجزية على نصارى نجران(١) .وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده، جاهدوا أهل الكتاب وقاتلوا من قاتلهم وضربوا الجزية على من أعطاها منهم عن يد وهم صاغرون وهذا القرآن الذى يعرف كل أحد أنه الكتاب الذى جاء به ، مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى أتباعه ، وينكر من لم يتبعه منهم ويلعنه.قال تعالى:«قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا(٢)» وقال تعالى:«وما أرسلناك الا كافة للناس(٣)» واستفاض عنه عليه الصلاة والسلام انه قال:«كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة(٤)» بل تواتر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه بعث الى الانس والجن .

---

(١) النصارى فى مصر وسائر البلاد الاسلامية كانوا يؤدون الجزية للمسلمين . وكان المسلمون بموجبها يترأسون عليهم . فالجيش مثلا كان لا يدخله نصرانى . وذلك خشية أن يصل نصرانى الى رتبة عالية يترأس بها على جنود مسلمين رتبهم أقل من رتبته . وقد انتهز النصارى فرصة ضعف الحكم التركى فى مصر . وطلبوا دخول الجيش بحجة أنهم مواطنون وأن « مصر » بلد المسلم والنصرانى . والقنبلة او الدفع لا يفرق بين مسلم ونصرانى . والحقيقة انهم دخلوا للتهرب من دفع الجزية وللبعد عن الذلة والمسكنة ، وليعرفوا فقط الضعف فى المسلمين . وليظهروا المساواة بين دين الاسلام والنصرانية . وعلى المسلمين أن يرجعوا الى حكم الله فى الجزية . وان يكون الجيش خالصا للمسلمين

(٢) الاعراف : ١٥٨ .

(٣) سبأ : ٢٨ .

(٤) انظر شرح هذا الحديث فى كتابنا نقد التوراة .

ومن الأحاديث الصحيحة عنه عليه الصلاة والسلام : «فوالذى نفسى بيده لا يسمع بى من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم لايؤمن بى إلا دخل النار » قال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى وهو « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده(١)» فاذا كان الأمر كذلك لزم بأنه رسول الى كل الطوائف لأن الرسول لا يكذب ولا يقاتل الناس على طاعته بغير أمر الله تعالى ، فاذا علم أنه نبى لزم أن يكون كل ما أخبر به عن الله تعالى حقا ، واذا كان رسول الله علم أنه لا يكذب ووجبت طاعته فى كل ما يأمر به ، قال تعالى «وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله(٢) » وأنه أخبر أنه رسول الى أهل الكتاب وغيرهم ، ومن أقر بأنه رسول الله ، وأنكر ان يكون مرسلا إلى أهل الكتاب يكون بمنزلة من يقول ان موسى كان رسولا ولم يخرج بنى اسرائيل من مصر ، وان الله لم يأمره بذلك ، وأن الله لم يأمره بالسبت ، ولا أنزل عليه الكلمات العشر ومن يقول ان عيسى كان رسول الله ولم يبعث الى بنى اسرائيل ، ولا كان يجب على بنى اسرائيل طاعته ، وانه ظلم اليهود ، وأمثال ذلك من المقالات التى هى من أكفر المقالات .

ولهذا قال تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد

---

(١) هود : ١٧ .

(٢) النساء : ٦٤ .

منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم(١)» الآية. وقال تعالى لبنى اسرائيل: « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض • فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون(٢)» وعند أهل الكتاب مايدل على هذه المطالب، غير انهم حرفوا وغيروا وبدلوا وأولوا، ومع ذلك ففيها من الاعلام بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وعمومها وانه خاتم المرسلين ماقد صنف(٣) فيه العلماء مصنفات كثيرة • وقد ناظرنا غير واحد من أهل الكتاب وبينا لهم ذلك ، واسلم من علمائهم وخيارهم طوائف ، وصاروا يناظرون أهل دينهم ويبينون ما عندهم من الدلائل على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم» اه فليفهم •

قوله « قد قال فى انجيله » الى آخره •

لايخفى على من اطلع على ما نقلناه فى كتابنا هذا عن الكتب السماوية والانجيل أن الأخبار والبشائر بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام مذكورة فيها تصريحا وتلويحا ولا سيما الانجيل المصرح بالفيرقليط الذى له الكل واما نقله عن المسيح فخلاف ، وليس له أصل ولا سيما وحال الأناجيل غير خفى عليك(٤) •

---

(١) النساء : ١٥٠ — ١٥٢ .

(٢) البقرة : ٨٥ .

(٣) الدليل من التوراة على نبوة محمد ﷺ هو أن الله تعالى بارك على اسماعيل كما بارك على اسحق . ولهذه البركة بين الله أوصاف محمد الآتى من اسماعيل فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. وبين أنه سيزيل الملك من اليهود وسينسخ التوراة فى الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين (أنظر كتابنا المسيا المنتظر)

(٤) يقصد أن الاناجيل محرفة . والبير كليت هو اسم أحمد بالعبرانى وفى اليونانى بيركيتوس .

قوله : «واذكر ما قرأته فى الانجيل» الى آخره •

لا يخفى أنا لاننكر جلالة قدر المسيح عليه السلام وهذا ليس له دخل فيما نحن فيه ، وأما بقية كلامه هذا فليس تحته طائل ، ومخالفته لنفس الأمر يعلمها كل مطلع عاقل ، فلا نتعب بردها القلم ، والله تعالى أعلم •

قال النصرانى : «وقد اقتضانا — أصلحك الله — هذا الفصل من كتابنا هذا أن نناظرك فيه بعض المناظرة فيما أتاك به صاحبك هذا الذى تدعى له النبوة من الشرائع والأحكام فنقول إن الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه لايقدر ذو نطق أن يأتى بزيادة فيها ولا تنقيص منها • وذلك أن يكون الحكم حكما الهيا وهو حكم التفضل الذى هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه • وأما أن يكون حكما طبيعيا قائما فى العقل مولودا فى الفكر يقبله التمييز ولا ينكره ، وهو حكم العدل ، وإما أن يكون حكما شيطانيا أعنى حكم الجور وهو ضد الحكم الالهى ، وخلاف الحكم الطبيعى •

فأما الحكم الالهى الذى هو فوق الطبيعة وأشرف منها ، فهو التفضل الذى جاء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذى أقر صاحبك وشهد له ، إذ يقول : «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين(١)» (مائدة ٤٦) وذلك

---

(١) هذه الآية تثبت أن عيسى عليه السلام ليس صاحب شريعة منفصلة عن شريعة موسى عليه السلام لأنه مصدق للتوراة غير مهيمن عليها . وكان يحل بعض الذى حرم عليكم » أى بواسطة العلماء المبتدعين .

ان المسيح قال فى انجيله الطاهر «غالبو الشر بالخير ، وأحسنوا إلى من أساء اليكم ، وتفضلوا على الناس جميعا ، وباركوا على من لعنكم وارعوا لمن أذنب اليكم ، وأتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم ، لتشبهوا فى ذلك فعل أبيكم الذى فى السماء فإنه يجود بوابله على الابرار والفجار ويشرق شمسه على الأخيار والأشرار»(١)(متى ٥) .

فهذا هو الحكم الالهى ، وشرائعه فوق الطبيعة ، وأعلى من العقل الانسانى ، وهو حكم التفضل والرحمة والعفو ، والتشبه بفعل الله تبارك وتعالى الرءوف الرحيم .

والوجه الثانى : هو الحكم الطبيعى والشريعة القائمة فى العقل الجارى مع الغريزة الملائم الانسانية ، وهو ما جاء به موسى النبى ، بقوله فى حكمه «العين بالعين، والسن بالسن، والنفس بالنفس، والضربة بالضربة ، والجراح قصاص(٢)» فهذا حكم الطبيعة الداخل فى قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة أن تأتى الناس بمثل ما أتوا به إليك وتفعل بهم كما فعلوا بك إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وليس ذلك مضاهيا للحكم الالهى ولا مما يسنه الرب الرحيم المتفضل(٣) الرءوف بخلقه .

---

(١) متى ٥ : ٤٣ — ٤٦ .

(٢) خروج ٢١ : ٢٣ — ٢٥ .

(٢) النصرانى يريد أن يثبت لعيسى شريعة ، مستقلة عن شريعة موسى بن عمران — عليهما السلام — وفى الانجيل ان عيسى متبع لموسى . لقوله : «ماجئت لأنقض ولم ينشأ ديانة مستقلة عن ديانة موسى الناموس » (مت ٥ : ١٧) ولقوله لاتباعه »على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ — ٣) ولما

والوجه الثالث : هو الحكم الشيطانى المحال الذى هو الجور والشر بعينه ، فلم تلم ــ أصلحك الله ــ على إيجابنا الحجة عليك فى ذلك ؟ فانك تعلم أننا بعد معك فى وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحانى ، ذبا عن دين الله القيم الذى نرجو به النصر والظفر على عدونا ، فإنك ان لمت فى ذلك ظلمت على أننا لانلتفت إلى لومك ولا لوم غيرك فى ذلك .

وأنا أرجع اليك بالمسألة سائلا الله جل وعز الهامك الانصاف ، وتلقينك القول بالعدل فى اعلامى أى هذه الأحكام الثلاثة التى ذكرناها؟ وأى شريعة جاء بها صاحبك ؟ فان قلت : انه جاء بالأحكام الالهية ، قلنا لك : قد سبقه المسيح سيدنا اليها بستمائة سنة ، وبها يعمل أصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه فمجدا الى السماء الى هذه الغاية ، والى أن تنقضى الدنيا ، ولم نر أحدا من أصحابك علم شيئا منها ، ولا كانت تستعمل فى عهد صاحبك . وان قلت وما أظنك قائلا : إنه جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه الى ذلك موسى النبى وأوقفنا عليه وشرحه لنا شرحا بينا عن الله فى التوراة ، وليس لأحد أن يدعيه لأنه ناطق قائم له وحده ، مشاهد فى كتابه ، اللهم الا أن يكون المدعى لذلك مكابرا للعيان ظالما متعديا بهاتا ، يأتى إلى

= شفى رجلا من البرص «قال له يسوع : أنظر أن لا تقول لأحد . بل اذهب أرفعك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (مت ٨ : ٤) والنصرانية الحالية انشأها بولس وبطرس رغم أنف المسيح . وفى القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام كان مصدقا للتوراة ومبشرا بمحمد ﷺ . ولم يكن مهيمنا على التوراة . ولم ينسخها ولم يبطلها . والمهيمن عليها والناسخ لها هو نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم .

ماهو كضـــوء الشمس حق قائم فى أيدى أهله ، وهو لهم وعنـــدهم وفيهم ، فيروم أن يطمسه ويحاول بمباهتة ادعاءه لنفسه فهذان حكمان قد عرفنا أصحابهما وأقررنا لهم بهما •

بقى الحكم الثـــالث الذى هو حكم الشيطان وشريعـــة الجود ، فانظر اصلحك الله نظرا شافيا برؤية صحيحة وفكر لا يشوبه الميـــل والزيغ من القائم بهذا الحكم ، الناصر له المتمسك بشرائعه ، العامل به والا فأعلمنا أى حكم جاء به صاحبـــك ؟ وأى شريعـــة اتى بها غير الحكم الثالث الذى شرحناه لك ، لنقبله منك إن أوجب قبولا ، وننقاد لك فيه ؟ فاننا لا نعاند الحق ، ولا نرده من حيث أتى • فهـــل تقول يرحمك الله انه جاء بالحكمين معـــا — أعنى حكم المسيح وحكم موسى — وشرحهما فى كتابه قائلا : « النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والسن بالسن ، والأنف بالأنف الى آخره • كما قال موسى ، ثم اتبعه بقـــول المسيح : « وإن غفرتم » (ثم بقـــول محمد : «وأن تعفوا) فإنه أقرب للتقوى » (البقرة ٢٢٧) •

فأنت تعلم أن هذا كلام متناقض كقول القائل : قائم قاعد وأعمى بصير ، وصحيح سقيم ، فى حال واحدة • فما أظنكتستجيز اطلاق هذا الكلام على هذا الاطلاق لأنه محال من القول • ثم لاينكتم أيضا ولا يخفى على متدبره ومتعقبه انه كلام سرق من موضعين مختلفين — أعنى التـــوراة والانجيل — ثم ان أنت اقررت كل واحـــد من هذين الحكمين ، وادعيته فلا يقارك أصـــحابهما ولا يدعونك وذلك لأنه حق لهم ، وهم أشد تمسكا به وصيانة له من أن يسامحوك عليه ، لأنهم قد ورثوه، فصار فى أيديهم ارثا مقبوضا وحقا مسلما لهم ، ويقولان لك : إنك متعد ظالم تروم أخذ ارثنا من أيدينا ، مع اقرارك انت انه لنا غير

جاحد له ، فان حاولت أخذه فأنت غاصب لا حق لك ، بل اننا أنت بما فى يدك وعندك مما ليس فى أيدينا ولا عندنا ، لنعلم أنك محق صادق فى ادعائك أليس إنما نلجأ الى القول الثالث الذى يقيمون عليك فيه البينة العادلة ، انك أنت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما أنت مقيم عليه ، مقربه ، وهو فى يدك تناضل عنه ويخاصم فيه ، وهو شريعة لك أنت مستعملها ، ثم ترجع فتنكر وتجحد ما أنت فيه من حكمك وتتبرأ منه ؟

وبعد هذا وقبله فلا أظنك ترضى لصاحبك أن يكون تابعا للمسيح وموسى ، وأنت تزعم فيه ما تزعم ، وتدعى له ما تدعى من الحظوة والقدر ، والمنزلة عند رب العالمين ، وتجترىء على الله وتقول لولا صاحبك ما خلق آدم ولا كانت الدنيا(١) ؟ ولقد جئت يا هذا أصلحك الله بأمر ذى بهت ادعيت له فى الآيات ما ادعيت ، بقولك: «إلا أن كذب بها الأولون(٢)» ولم تدع له ذلك فى الشرائع وانه ما كان عليه أن يأتى بها فيزين بها بعض أمره ، أو ليس ذلك لأنه لم تكن له شريعة رابعة بقيت فلما لم يبق الا الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه إلى الشريعتين ، ، جاء هو بالشريعة الثالثة ، فلا أدرى بأى

---

(١) التوراة هى التى تنبأت عن محمد ﷺ بهذا التعبير « لان عندك نور الحياة . بنور نورك نرى نور » ـ « قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك (قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك) (أنظر فصل المبالغة فى تعظيم المسيا فى كتابنا المسيا المنتظر) .

(٢) يقصد : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون » يقصد أن محمدا لم يأت بمعجزات ولما سئل ، ادعى أنها ليست سببا فى ايمان السابقين فلا داعى منها . والنصرانى يغالط فمعجزة القرآن .

قوليك آخذ ؟ ولا عن أيهما أجيب ؟ فاصدق نفسك — يرحمك الله ولا تغشها لأن ذلك حرام عليك ، وليس الدين من الأمور التى يجوز أن يتوانى ذوو اللب والعقل عن الفحص والبحث عنها ، ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على أصوله وأسبابه وفقك الله إلى الحق وجنبك الباطل بحوله وقوته » اهـ .

أقول قوله : « نناظرك فيه بعض المناظرة » الى قوله : « ان الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه » الى آخره .

فنقول يا حبذا هذه المناظرة ممن يصدق عليه قول الشاعر :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وإذا ما أتاه شاكى سلاح فر كالذئب ناكصا خنتالا

فالجواب عن هذا الاعتراض إن تقسيمه للشرائع والأحكام الى ثلاث أقسام فقسمان منها صحيحان ، والثالث بزعمه من حكم الشيطان إذ توهم أن الشريعة إما عادلة وهى المجازاة ، ومقابلة المثل بالمثل — وهى الشريعة الموسوية — وإما فاضلة وهى عبارة عن العفو — وهى الشريعة المسيحية — وما بعد العدل والفضل مرتبة ثالثة . ومرادهم إنكار الشريعة المحمدية فتقسيم باطل وحصر عاطل لأن القسمة العقلية رباعية ، إذ يقال الشريعة إما عادلة فقط ، وأما فاضلة فقط ، وأما عادلة فاضلة معا ، وأما لا عادلة ولا فاضلة . والقسمة الصادقة فيها ثلاثية والرابعة وهى لا عادلة ولا فاضلة باطلة ، لأن هذه القسمة وان كانت تمنع الخلو ، فهى لا تمنع الجمع لوجود الجمع ، فيقال : الشريعة اما عادلة — وهى الشريعة الموسوية التى ورد فيها النفس بالنفس والعين بالعين — واما فاضلة — وهى الشريعة المسيحية ، التى ورد فيها من

لطمك على خدك الأيمن فدر له الأيسر ، واذا سخرك ميـــلا فسر معه ميلين، فقد انفردت كل واحدة منهما بشطر من شطرى الكمال وإما عادلة وفاضلة معا — وهى الشريعة الثالثة المحمدية — المشتملة على شطرى العدل والفضل الذى هو الكمال •

أما اشتمالها على العدل فلقوله تعالى : «كتب عليكم القصاص(١)» الآية وأما اشتمالها على الفضل فلقوله سبحانه : « وأن تعفوا أقرب للتقوى(٢)» ومن أحاط خبرا بالأحكام فى سائر الأديان المسلمة وغيرها، يتبين له زيادة محاسن هذه الشريعة المحمدية على ســـائر الملل ، وما اختص بها من الخير والاحسان وانظر الى ما قاله يوسف الخورى فى تفسيره المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٨ على مافى الاصحاح الثامن عشر من إنجيل متى «حينئذ قام الصفا(٣) إلى يسوع ، وقال له : ياسيد كم مرة أغفر لأخى إذا أخطأ ؟ هل الى سبع مرات ؟ فقال له يســـوع لا أقول لك الى سبع مرات ، بل الى سبعين مرة سبع مرات » ما بعضه «المعنى اغفر له كلما أخطأ اليك ، اذا ندم عن فعله وتاب اليك مصطلحا كما روى لوقا • على أن هذا الغفران للذنب لا يمنع من طلب العقوبة العادلة ، خاصة للاحتراس من تواتر شر المذنب» انتهى فافهم •

---

(١) البقرة : ١٧٨ .

(٢) البقرة : ٢٢٧ .

(٣) الصفا هو سمعان بطرس . وهو رأس الكنيسة الكاثوليكية . وهو الذى حرف أقوال المسيح ، وانشأ مع بولس السوء ديانة وضعيـــة ونسبوها للمسيح . وبها الغوا أحكام التوراة عن النصارى . وأثر عـــن المسيح انه وصف بطرس بأنه شيطان (مت ١٦ : ٢٣) وبكـــى بطرس بكاء مرا ، ندما على انه انكر سيده ومعلمه وقت الشدة (مت ٢٦ : ٧٤ — ٧٥) .

ولنذكر لك بعضا مما كان فى الشريعة الموسوية والعيسوية ، وجاءت الشريعة المحمدية بأحكام أعدل من ذلك .

منها : ان اليهود لما أخطأوا فى عبادة العجل ، قال لهم موسى عليه السلام كما فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج مانصه: «هكذا قال الرب إله اسرائيل: ضعوا كل واحد سيفه على فخذه، ومروا، وارجعوا من باب الى باب فى المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ، ففعل بنو الاوى بحسب قول موسى ، ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى : إملأوا أيديكم اليوم للرب، حتى كل واحد بابنه وبأخيه ، فيعطيكم اليوم بركة» انتهى وعند النصارى « : من أذنب بمعصية كبيرة كانت أو غيرها ولو كفرا ، فاذا ذهب ذلك الشخص الى القسيس واعترف له بخطيئته وغفر له القس تلك الخطيئة ، فانها تغفر كيفما كانت » فدين اليهود فى غاية التشديد ، ودين(١) النصارى فى غاية التسهيل ، والذين المحمدى

---

(١) يقصد دين النصارى الذى وضعوه وتعارفوا عليه . بغير اذن من المسيح ذاته — عليه السلام — فالمسيح لم ينسخ دين موسى ولم يضف على أحكام موسى أى حكم . وانما هو قال : أنا اتيت لاصحح ما حرفه علماء بنى اسرائيل من معانى التوراة ولافسر بعض الذى أختلف فيه العلماء . ثم أبشر بمحمد ﷺ وأفسر نبوءات التوراة لتصدق عليه . هذا ما قاله المسيح . ولم ينشأ ديانة . فالنصرانية الموجودة الان من أبتداع الضالين ولذلك لا تعد كدين . سماوى مستقل عن دين موسى . وعلماء النصارى بشروا فى العالم بوصفهم معلمين ومدرسين ، عكس ما أثر عن أنبياء بى اسرائيل أنهم كانوا يقولون : قال لرب وأوحى الرب . ولذلك صرح بولس بأنه لا يريد أن يبنى على أساس غيره (رمية ١٥ : ٢)وخالف يعقوب فى قوله : ان الايمان والاعمال لا زمان الديانة(يعقوب ٢ : ٢٤ ورومية ٣ : ٢٧ — ٢٨) وقال بولس : انى أشرع من تلقاء نفسى ،

متوسط ، لأن المذنب بكفر أو غيره إذا تاب الى الله تعالى بنفسه وندم على فعله ، ولو فى نفسه وامن بالله تعالى ورسوله ورد حق الغير اليه(١) تقبل بفضل الله تعالى تلك التوبة بشروطها ، وأن لم يتب عند «القس» الذى يختلى بالنساء ، فيعدد له ما فعله من زناء وغيره ، ليقبل توبته. ومنها أنه سبحانه حرم على اليهود — كما تحكيه التوراة التى بأيديهم — حيوانات كثيرة ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين ما نصه «وكلم الله موسى وهارون قائلا لهما هذه هى الحيوانات التى تأكلونها ، من جميع البهائم التى على الأرض كل ماشق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم، فاياه تأكلون إلا هذه فلاتأكلوها مما يجتر مما يشق الظلف: الجمل لأنه يجتر لكنه لايشق ظلفا فهو نجس لكم ،والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين ، لكنه لا يجتر فهو نجس لكم ، من لحمها لا تأكلوا ، وجثتها لا تلمسوا ، إنها نجسة لكم. وهذا تأكلونه من جميع مافى المياه كل ماله زعانف وحرشف فى المياه ، فى البحار وفى الأنهار ، فاياه تأكلون وهذه تكرهونها من الطيور لا تؤكل إنها مكروهة النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه ، وكل غراب على أجناسه ، والكركى والرخم واللقلق والببغاء والهدهد » ثم عد الحيوانات التى لا تؤكل والحيوانات التى تؤكل والدم والميتة لا يؤكلان ، ثم قال « كل انسان يأكل ميتة أو فريسة وطنيا كان أو غريبا يغسل ثيابه ويستحم بماء ويبقى نجسا الى المساء» اهـ

= لا عن وحى صدر من الله — أو صدر لى من المسيح ذاته . بقول : « ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيى . وأظن أنى انا ايضا عندى روح الله (١ كور ٧ : ٤٠) .

(١) لو سرق وضاع المسروق ، فكيف يرده ؟ انه يرد الموجود عنده. (أنظر القرطبى فى سورة البقرة ٢٧٥) .

وفى الاصحاح السابع من انجيل مرقس ما نصه : «ثم دعا كل الجمع وقال لهم : اسمعوا منى كلكم وافهمـوا ليس شىء من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الاشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان» انتهى وهذا ضد اليهود ، فان النصـارى لا ينجسون شيئا ويأكلون ما تهـوى أنفسـهم ، حتى الميتـة والمنخنقة والدم ولحم الخنزير والغائط ، والدود ، والخنافس وسائر الحشرات والحيوانات البحرية والبرية فليس عليهـم شىء محرما مما يدخل جوفهم أبدا بزعمهم ، ودين الاسلام فى ذلك بين دين النصارى واليهود ، فالمسلمون لا يأكلون الميتة ولا الدم ولا الخنزير ولا الأشياء النجسة ولا الحيوانات(١) المفترسة ولا سباع الطيور ولا ما أهل به لغـير الله ولا المنخنقة ، ويأكلون الغنم والإبل والبقر والغزال ونحو ذلك .

ومنها : ان بنى اسرائيـل يتزوجون أكثر من مائة امرأة كما كان سليمان عليه السلام كما تقدم لك ، والنصـارى لا يجوزون التزوج بأكثر من واحدة ولا يمكنون من الطلاق(٢) ، بخلاف اليهود أيضا ، ودين الاسلام وسط فى ذلك فانه كباح فيه التزوج بأربعة(٣) على عدد عناصر الانسان وأمزجته ، ويباح له التسرى والتطليق .

ومنهـا ما لو استقصـيناه لطال الكتـاب ، وربما حصـل الملل للسـامعين .

---

(١) المسلمون متفقون على تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله . ومختلفون فيما سوى ذلك . فعائشة رضى الله عنها روت حديث أبى ثعلبة الخشنى وهو حرم رسول الله كل ذى ناب ومخلب .

(٢) يمكنون لعلة الزنا .

(٣) بعض المسلمين أباح التزوج بأكثر من أربعة (انظر تفسـير ابن كثير أول سورة النساء) .

ومن أعظم الأدلة على أن شرع الاسلام هو الحكم الالهى مسألة الفرائض وتقسيم المواريث ، فان اليهود يقسمون تركة الميت حسب شريعتهم ، والنصارى ليس لهم أحكام شرعية فى ذلك ، بل يرجعون فى تقسيم تركات موتاهم على ورثتهم إلى المسلمين ، ويستفتون على مقتضى الشريعة المحمدية وليت شعرى قبل مجىء الشريعة الاسلامية كيف كانوا يفعلون فى ذلك ؟ فإن كانوا يقسمونها على ماتقتضيه شريعة موسى ، فلم عدلوا عن ذلك إلى شريعتنا ؟ وان لم يقسمونها على حكم التوراة فكيف كانوا يفعلون فى ذلك ؟ اذ الانجيل ليس فيه أحكام ؛ الا الشىء اليسير(١) ، كرفع حكم السبت وأكل كل شىء ، وعدم جواز التطليق ، ونحو ذلك من الأمور القليلة بزعمهم •

تمة : قال العلامة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل فى بحث اليهود : «ومن العجب أن فى التوراة أن الأسباط من بنى اسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بنى إسماعيل ، ويعلمون أن فى ذلك الشعب علما لدنيا لم تشتمل التوراة عليه• وورد فى التاريخ أن أولاد اسماعيل عليه السلام كانوا يسمون آل الله واهل الله ، وأولاد إسرائيل آل يعقوب

---

(١) الانجيل ليس فيه أحكام مطلقا . بدليل قول عيسى عليه السلام لتلاميذه ولبنى اسرائيل : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ — ٣) والمسيح لم يرفع حكم السبت . وقد حرم فيه العمل المعتاد فى الزراعة والتجارة وما شابه ذلك . ولم يحرم عمل الخير فيه ، كانقاذ غريق ، أو شفاء مريض ، او اقامة خروف من حفرة سقط فيها ، أو قطف سنابل من لزروع اضرورة الجوع . وما شابه ذلك . ولم يمنع المسيح من تطليق النساء . بل قال : انى أنصح أن يكون لسبب قوى ، لا لسبب تافه .

وآل موسى وهرون وذلك لسر عظيم • وقد ورد فى التوراة : « أن الله تعالى جاء من طور سينا ، وظهر بساعير ، وعلن بفاران » فطور سيناء جبل التجلى على موسى عليه السلام ، وساعير جبال بيت المقدس الذى كان مظهر عيسى عليه السلام ، وفاران جبال مكة التى كانت مظهر نبينا المصطفى ﷺ ولما كانت الاسرار الالهية والأنوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة والتأويل ، على مراتب ثلاثة مبدأ ووسط وكمال ، والمجىء أشبه بالمبدأ ، والظهور بالوسط ، والاعلان بالكمال ، عبر فى التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجىء على طورسيناء ، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير ، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء ، بالاعلان على فاران • وفى هذه الكلمات إثبات نبوة(١) المسيح عليه السلام والمصطفى ﷺ » •

وقد قال المسيح فى الانجيل « ما جئت لأبطل التوراة بل جئت لأكملها(٢) » — «قال صاحب التوراة : النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص وأقول: إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر» والشريعة الأخيرة وردت بالأمرين جميعا أما القصاص ففى قوله تعالى : «كتب

---

(١) هذه النبوءة تشير الى محمد ﷺ لانه قال : « وعلن بفاران » والدليل على أن فاران تعنى محمدا : ١ — أن الله تعالى وعد بالبركة فى نسل اسماعيل فى قوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » (١٧ : ٢٠) والبركة تعنى الملك والنبوة ٢ — أن اسماعيل لما فارق أباه سكن فى برية فاران (تك ٢١) وقوله « وظهر بساعير » يشير الى علماء بنى اسرائيل الهارونيين الذين سكنوا فى جبل ساعير وفسروا التوراة للناس . ومنهم عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) متى ٥ : ١٧ — وقال صاحب التوراة فى متى ٥ : ٣٨ — ٤٠)

عليكم القصاص» وأما العفو ففى قوله سبحانه : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ففى التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة ، وفى الانجيل السياسة الباطنة الخاصة(١) ، وفى القرآن أحكام السياستين جميعاً « ولكم فى القصاص حياة » إشارة الى تحقيق السياسة الظاهرة ، وقوله تعالى : « وان تعفوا أقرب للتقوى» وقوله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن المشركين » اشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة وقد قال النبى المصطفى عليه الصلاة والسلام : « هو أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » .

ومن العجب أن من رأى غيره يصدق ماعنده ويكمله ويرقيه من درجة إلى درجة كيف يسوغ له تكذيبه ؟ والنسخ فى الحقيقة ليس إبطالا بل هو تكميل(٢) .وفى التوراة أحكام عامة وأحكام مخصوصة، إما بأشخاص

---

(١) ليست فى الانجيل السياسة الباطنة . فان كلام المسيح فيه عن التواضع والعفو وغيره أخذه ممن سبقه من أنبياء بنى اسرائيل مثل أرمياء وغيره كما بينا فى كتابنا المسيا والاحكام ردها المسيح نفسه الى التوراة وشريعة القرآن هى تخفيف ورحمة . ذلك لان أحكام التوراة كانت صعبة. فأراد الله أن يكون القرآن سهل الاحكام .

(٢) النسخ فى الحقيقة هو الابطال ، ولسر التكميل . ومثل ذلك مثل بيت مبنى قائم على أساس ، فاذا جاء ابن رب البيت وبنى فوق البيت . فانه لا يكون قد بنى بيتا آسقلا . وان جاء وهدم البيت الذى كان قائما. وبنى على أنقاضه غيره . فانه يكون قد ألغى وأزال ، وأسس من جديد . فالالغاء هو النسخ . والتكميل ليس نسخا ـ والفرق بين لامرين يتضح من هذا المثال وهو فى شريعة موسى أبيحت مطعومات . وحرمت مطعومات . فلو جاء من يحرم مطعومات جديدة . فانه يكون ملتزما بما فى موسى وبالشىء الجديد . لكن لو جاء من يقول المحرم عندى كذا وكذا وكذا فقط . فعندئذ يكون قوله الغاء لما فى كتاب موسى ، وليس زيادة عليه . وهذا هو معنى لنسخ .

وإما بأزمان ، وإذا انتهى الزمان لم يبق ذلك لامحالة • ولا يقال إنه إبطال أو بداء ، كذلك ههنا » •

قال : «واليهود(٢) لم يجوزوا النسخ أصلا • قالوا : فلا تكون شريعة أخرى ، لأن النسخ فى الأوامر بداء ولا يجوز البداء على الله تعالى» انتهى كلام الشهرستانى • وإنما سقناه بطوله • وإن كان المقصود ان جمع الشريعة المحمدية للشريعتين(٣) وزيادة لما فيه من الفوائد المتعلقة بأبحاثنا فى هذا الرد • ومسألة النسخ يأتيك مفصلها ان شاء الله تعالى فى محلها من هذا الكتاب والله سبحانه الهادى إلى الصواب •

* * *

قال النصرانى : «وكأنى بك وقد ألجئت إلى أن تقول : إن الحجة البالغة عندك : هذا الكتاب الذى فى يدك وان الدليل على صحة كونه منزلا من عند الله : مافيه من الاخبار القديمة عن موسى والأنبياء ، وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجل أمى لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الأخبار فلولا أنه أوحى اليه وانبىء به • فمن اين عرف ذلك حتى

---

(٢) اليهود يقولون فى كتبهم : ان نبيا سوف يرسله الله تعالى اليهم له يسمعون ويطيعون . ويقال لهم : لو كانت شريعة موسى أبدية الى يوم القيامة . ما كان الله ينبه على مجىء نبى مماثل لموسى ناسخ لشريعته. وذلك فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .

وهذا لنبى سيكون من بنى اسماعيل . لان الله وعد ابراهيم بالبركة فى نسله .

(٣) المؤلف يعتقد أن لعيسى عليه السلام شريعة منفصلة عن شريعة موسى عليه السلام . وليس كذلك .

نسقه وجاء به ؟ ثم تقول : لايقدر إنسى ولا جنى ان يأتى بمثله ، ثم تقول: «وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين» (بقرة ٢٣) وقوله: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله» (الحشر ٢١) ونظائر هـذه الأغلوطات . فهذا أعظم دليـل وأصـح البرهان ، وأوضح الحجة — بزعمك — على نبوته ، فكأنك جعلت هـذا آية له وحجة ، مثل فلق البحر لموسى ، ووقوف الشمس ليشوع بن نون ، وإحياء الموتى للمسيح وأعاجيب الانبياء السالفين .

ولعمرى ان هذا الكلام قد اضل قوما كثيرين ، وقد أويت من هذا الكلام الى ركن ضعيف القواعد ، متداعى الدعائم ، واهى القوائم . وجوابك فى هذا قريب غير بعيد ، وحاضر غير غائب ولا متخلف .

ولابد لنا من كشف هذه القصة وان كان فى كشفها بعض المـرارة عليك ، فان بط القروح النغلة ، لابد ان ينال صاحبها منه أذى وألم ، فاصبر لألم الحديد قليلا ، تجد الراحة وحلاوة العافـية ، يتضح لـك الحق ، وتظهر لك فائدة هذا القول ، وتدليسه عليك .

فنقول : انه ينبغى لك أن تعلم أولا كيف كان السـبب فى هـذا الكتاب ، ثم تدعى حينئذ مثل هذه الدعاوى المتدلسة التى لا بقاء لها على المحنة ، ولاثبات على الفحص ، وذلك أنه إنما كان رجل من رهبان النصرى يعرف بسرجيوس أحدث حدثا انكره عليه أصحابه ، فحرموه وأخرجوه وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة ، وإمتنعوا من كلامه ومخاطبته ، على ماجرت به العادة منهم ، فى مثل هذا الضرب ، فندم على ما كان منه ، فاراد أن يفعل فعلا يكون له به تمحيص عن ذنبه ، وحجة عند اصحابه

النصارى ، فصار الى بلد تهامة ، فجالها حتى افضى الى تربة مكة ، فنظر البلد ، غالبا فيها صنفان من الديانة ، فكان الاكثر دين اليهود ، والآخر عبادة الاصنام ، فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استمالة ، وتسمى عنده نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير اسمه ، اثبات رأى « نسطوريوس » الذى كان يعتقده ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ، ويلقى اليه الشىء بعد الشىء ، إلى ان ازاله عن عبادة الأصنام ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو إلى دين نسطوريوس ، فلما احست اليهود بذلك ، ناصبته العداوة ، فطالبته بالسبب القديم الذى بينهم وبين النصارى ، فلم يزل يتزايد به الأمر ، الى ان بلغ به ما بلغ . فهذا سبب ما فى كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها ، وتزكية اهلها ، والشهادة لهم أنهم اقرب مودة ، وأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (مائدة ٨٢) .

فلما قوى الأمر فى النصرانية وكاد يتم توفى نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلام ، وكعب المعروف بالأحبار اليهوديان ، بخبثهما ومكرهما ، فاظهرا له أنهما قد تابعاه على رأيه ، وقالا بقوله . فلم يزالا على المكر والدهاء والتدبير عليه بكتمان ما فى أنفسهما إلى أن وجدا الفرصة بعد موته » اهـ .

أقول : نبين لك أولا شيئا نذرا مما يتعلق باعجاز القرآن العظيم ونرجع ان شاء الله تعالى ثانيا إلى رد كلامه السقيم .

قال العلامة الماوردى « الباب السابع فيما تضمنه القرآن من أنواع إعجازه ، والقرآن اول معجز دعا به محمد ﷺ إلى نبوته ، فصدع فيه برسالته ، وخص بإعجازه من جميع رسله ، وان كان كلاما

ملفوظا وقولا محفوظا لثلاثة أسباب ، صار بهـا من أخص اعجـازه وأظهر آياته .

أحدها : ان معجز كل رسول موافق للاغلب من أحوال عصره ، والشائع المنتشر فى ناس دهره ، لأن موسى عليه السلام حين بعث فى عصر السحرة خص من فلق البحر بيبسا ، وقلب العصا حية ، مابهر كل ساحر ، وأذل كل كافر . وبعث عيسى عليه السلام فى عصر الطب(١) فخص من ابراء الزمنى وإحيائه الموتى بما أدهش كل طبيب ، وأذهل كل لبيب . ولما بعث محمد صل الله تعالى عليه وسلم فى عصر الفصاحة

---

(١) لم يكن الطب شائعا فى زمان عيسى عليه السلام وهو قد برع فى شفاء الامراض باذن الله معجزة له . وانما كان علماء بنى اسرائيل فى زمانه يوهمون المريض بالشفاء بواسطة قراءة أدعية على مياه ،أو التبخير، أو تلاوة عزائم وأقسام . وكانوا يكتبون أحجبة وتمائم ليشفى بها المريض . وقد يشفى وقد لا يشفى . هذه كانت عادتهم من أيام سبى بابل. فكان المسيح عليه السلام يدخل البيت وينظر الى المريض . ويدعو الله له بالشفاء فيشفى . وعندئذ يميز فعله عن فعل العلماء . ويعتقدون أن الله هو الذى أيده بهذه المعجزة . ففى سفر أعمال الرسل فى الاصحاح التاسع عشر ما نصه : « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الارواح الشريرة ... الخ » وفى الاصحاح التاسع من انجيل يوحنا : « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبوه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . مادمت فى العالم فأنا نور العالم .

* قال هذا ، وتفل على الارض وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الاعمى ... الخ « وتفل على الارض ... الخ » يدل على أنه فعل كما يفعل العلماء . ويتميز فعله عن فعلهم بأن الميت يحيى بأذن الله والاعمى يبصر باذن الله وعندئذ تثبت نبوه بالمعجزة .

والبلاغة خص بالقرآن فى إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء ، وأذعن له البلغاء ، وتبلد فيه الشعراء ، ليكون العجز عنـــه أقهر ، والتقصير فيه أظهر ، فصارت معجزاتهم وان اختلفت متشاكلة المعانى، متفقة المعنى .

والثانى : إن المعجزة فى كل قوم بحسب افهامهم وعلى قـــدر عقولهم وأذهانهم ، وكان فى بنى اسرائيل من قوم موسى وعيسى عليهما السلام بلادة وغباوة ، لأنه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام مستحسن، أو يستفاد من معنى مبتكر ، وقالوا لنبيهـــم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم : «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة(١)»فخصوامن الاعجاز بما يصلون اليه ببدائه حواسهم ، والعرب اصـــح الناس افهـــاما ، وأحدهم اذهانا قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ، ومن ألمعانى اغربها، ومن الآداب أحسنها ، فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيـــه أفهامهم وتصل اليه أذهانهم، فيدركوه بالفطنة دون البديهة ، وبالرؤية دون المبادرة ، لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ، ويوافق فهمها .

والثالث : إن معجـــز القـــرآن أبقى على الأعصار ، وانتشر فى الأقطار من معجز يختص بحاضره ويندرس بانقراض عصره ، وما دام إعجازه(٢) فهو أحج وبالاختصاص أحق .

---

(١) الاعراف : ١٣٨ .

(٢) اعجاز القرآن باللفظ والمعنى (أنظر كتابنا اعجـــاز القرآن ـــ رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم) نشر الانجلو المصرية .

فصـــــل

وإعجاز القرآن فى خروجه عن كلام البشر وإضافته الى الله تعالى يكون من عشرين وجها :

أحدها : فصاحته وبيانه وذلك معتبر بثلاثة شروط :

أحدها : بلاغة ألفاظه •

والثانى : استيفاء معاينه •

والثالث : حسن نظمه •

فأما بلاغة ألفاظه فيكون من وجهين : أحدهما : جزالتهـا حتى تلين • والثانى : انطباعها حتى لا تخبو• وأما استيفاء معانيه فيكون من وجهين : أحدهما: أن يكون المعنى ليجافى مبادىء ألفاظه غير مفتقر إلى مقاطعه والثانى : ان يكون المعنى مطابقا لألفاظه فلا يزيد عليها ولا يقصر عنها ، فان زاد كان الاختلال فى المعنى • وأما حسن نظمه فيكون من وجهين : أحدهما : أن يكون الكلام متناسبا لا ينافر • والثانى : أن يكون الوزن معتدلا لايتباين • فان قيل قد يجتمع فى كلام البشر ما يستكمل هذه الشروط ، فبطل به الإعجاز • فالجواب عنه من وجهين أحدهما : ان أسلوب نظمه على هذه الشروط معدوم فى غيره ، فافترقا• والثانى : أن لنظم ألفاظه بهجة لا توجد فى غيره ، فاختلفا • لأنك إذا جمعت بين قول الله تعالى : «ولكم فى القصاص حياة»(١)وبين قولهم القتل انفى للقتل ، وجدت بينهما فروقا فى اللفظ والمعنى •

---

(١) البقرة : ١٧٩ .

فصـــل

والوجه الثانى من إعجازه ايجازه عن هذر الاكثار واستيفاء معانيه فى قليل الكلام كقـــوله تعالى : «وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء • وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعـــدا للقوم الظالمين(١)»فإن قيل: ليس جميعه وجيزا مختصرا• ففيه المبسوط والمكرر ، وبعضه أفصح من بعض ، ولو كان من عند الله سبحانه لتماثل ولم يتفاضل ، لأن التفاضل فى كلام من يكل خاطره ، وتضعف قريحته•

فعنه جوابان : الأول : ان اختـــلافه فى البسط والايجاز ليس لعجز عن تمائله ، ولكن لاختلاف الناس فى تصوره وفهمه ، وتفاضله فى الفصاحة بحسب تفاضل معانيه لا لعجـــز عن نساويه • والثانى : أنه خالف بين مبسوطه ومختصره وبين أفصحه وأسهله ، ليكون العجز عن أسهله وأبسطه ، أبلغ فى الإعجاز من العجز عن افصحه واخصره ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق ما بين الفاضل والمفضول •

وقد حكى أبو عبيدة إن اعرابيا سمع رجلا يقرأ : « فاصـــدع بما تؤمر(٢) » فسجد • وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام •

فأما تكرار قصصه وتكرار وعده ووعيده ، فلأسباب مستفادة •

منها : أنها فى التكرار أوكد وفى المبالغة أزيد • ومنها : انهـــا تتغاير ألفاظها فتكون إلى القبول أسرع ، وفى الاعجاز أبلغ • ومنها أنها إن أخل بالوقوف عليها فى موضع أدركه فى غيره ، فلم يخل من رغب ورهب •

---

(١) هود : ٤٤ .

(٢) لحجر : ٩٤ .

فصـــــل

والوجه الثالث من إعجـــازه ان نظم أســلوبه ، ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام ومنشـــوره ولا يدخـــل فى شعر ولا رجز ، ولا سجعة ولا خطبـــة ، حتى تجـــاوز محصـــور أقســـامه ، وبائن ســـــائر أنواعـــه ، بأســـلوب لا يشاكل ، ونظم لا يماثل ، لصـــار وان كان من حروف الكـــلام ، خارجا عن أقســـام الكـــلام قال أنيس الغفارى وهو أخو أبى ذر الغفارى ، وكان من الموصوفين بالتقدم فى البلاغة والفصاحة : عرضت القرآن على السجع والشـــعر والنظم والنثر ، فلم يوافق شيئا من طرق كلام العرب • وحكى عن الوليد بن المغيرة المخزومى وكان سيد عشيرته وأفصح قومه إذ جاء إلى أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على كفره ، فقال اقرأوا علىشيئا من القرآن، فقرأوا عليه • فقال : ليس هذا من كلام البشر ، وليس بشعر ، فمضى إليه ابو لهب ، وقال : أفسدت قريشـــا بهذا القول ، فارجع عنه • فقال : أقول إنه سحر •

وقد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه ، إلى طريقة شعره • قال فى قصة الفيل •

الا من مهلـــك الفيـــل	ومن ســـار مع الفيـــل
بطـــير صـــبه الله	عليهـــم من أبابيـــل
رمتهـــم بجنـــاديل	ترى من طين ســـجيل
فأضحى القوم فى القـــاع	كعصـــف غير مأكـــول

فلم يساعده الطبع عليه مع أخذ معانيه واستعمال ألفاظه ، حتى عاد الى مطبوع شعره •

وضمن آخر من الشعراء شيئا منه فى شعره ، خرج عن أسلوبه حيث يقول :

وقرأ معلنا ليصـــدع قلبى والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيما(١)

فصـــل

والوجه الرابع من إعجازه : كثرة معانيه التى لايجمعها كلام البشر، **وذلك من وجهين :** أحدهما : ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعـانى ، كقوله تعالى : «وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه ، فإذا خفت عليـه فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين(٢)» فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. وثانيهما: إن ألفاظه تحتمل معانى متغايرة تحار فيها العقول ، وتذهل فيها الخواطر ، وتكل فيها القرائح ، ثم لا تبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه، حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر .

فصـــل

والوجه الخامس من إعجازه : ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط بها بشر ، ولا تجتمع فى مخلوق ، فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل شىء علما ، حتى علمه من لم يكن به عالمـــا . فإن قيـــل : فضل العلم

---

(١) أول سورة الماعون : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيـم » .
(٢) القصص : ٧ .

لايكون إعجازا فى النبوة لأن العلماء قد يتفاضلون ولا يكون للأفضل إعجاز على المفضول • فعنه جوابان : الأول : إن التفاضل فى العلم موجود ، والاحاطة بجميع العلوم مفقود • **والثانى : ان ظهور العلم** فيمن يتعاطاه ، ليس بمعجز ، لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطه ، معجز ، لظهوره من غير جهته • وقد كان أميا من أمة أمية، لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما ، فصار ما أظهره معجزا •

فصـــل

والوجه السادس من اعجازه : ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة(١) : وعلى الدهرية والثنوية ، حتى قطع بحجاجه كل محتج وخصم بجدله كل خصم • فان قيل : فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول ، فلم يكن فيها إعجاز بوجوه الأول:وجودها فى ذاته• **والثانى** : مشاركته فيها لغيره • والجواب عنه من وجهين : أحدهما : انه لم يكن من أهل الجدل فيقطع كل مجادل • والثالث : إنه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول ، فخصم كل عاقل •

فصـــل

والوجه السابع من إعجازه : ما تضمنه من أخبار القرون الخالية، **وقصص الأمم السالفة ، وما تحداه به أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر ، وحديث ذى القرنين** ، فكان على ماذكره أنبياؤهم وتضمنته كتبهم • فان قيل : فان الإخبار بماكان ليس بمعجز، لأن علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان : الأول إنه ممكن فيمن

---

(١) الرجعة أى رجوع الناس يوم القيامة للحساب فى الدار الاخرة .

علمها وممتنع فيمن لم يعلمها ، ولم يكن من أهلها فيعلمها ، فصارا معجزا ممتنعا • والثانى : إنهم اقترحوا تحديد مالم يكن مبتدئا ولا كان له متناهيا من غوامض أسرار ، وغرائب أخبار ، جعلوها حجاجا له وعليه ففصح بالجواب عن سرائرها ، وصدع بنعت غوامضها ، فخرج عن العرف إلى ما ليس بعرف ، فصار معجزا •

فصـــل

والوجه الثامن من إعجازه : ما تضـــمنه من علم الغيب بأخبـــار تكون ، فكانت(١) كقوله لليهود : «قل ان كانت لكم الدار الآخرة عنـــد الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين(٢)»ثم قال: «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم» فما تمناه أحد منهـــم • وكقوله لقريش : « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (٣) » فقطع بأنهم لا يفعلـــون

---

(١) دلالة الاخبار بالغيب من أعظم الدلالات على محمد ﷺ فى دعوى النبوة . ذلك لان الله لما قال لبنى اسرائيل سأقيم لكم نبأ من أخوتكم مثـــل موسى قال الله لهم : فان خطر فى بالكم أن تقولوا كيف نميزه عن غـــيره ونعلم أنه صادق ؟ فانى سأجعل لكم علامة وهى اذا أخبـــر عن غيب ، وحدث كما قال . فانه يكون هو النبى الموجود به . ففى سفر التثنيـــة فى الاصحاح الثامن عشر بعد ما ذكر صفات النبى ﷺ قال : « وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النـــبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » (تث ١٨ : ٢١ — ٢٢)

(٢) البقرة ٩٤ — ٩٥ واعلم ان المخاطبين هم علماء بنى اسرائيـــل . وهم يعرفون أنهم على الباطل ، واذا ماتوا سيدخلون النار ، لانكارهـــم نبوة محمد ﷺ . ولذلك لا يتمنوا الموت ولا يريدونه . أما الاميون الـــذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى ، فانهم لجهلهم يعرفون أن من مات فى القـــدس سيدخل الجنة .

(٣) البقـــرة : ٢٤ .

فلم يفعلوا • وكقوله : « سيهزم الجمع ويولون الدبر(٤) وكان ذلك فى يوم بدر • وكقوله فى هجرته عن مكة الى المدينة « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد(٥)» فأعاده الله تعالى الى مكة عام الفتح ، إلى غير ذلك من نظائره • فان قيل : فقد يكون ذلك حديثا بشواهد الأفعال وفراسة ، بفضل الألمعية وقوة الفطنة • فعنه جوابان : الأول : إن الحدس والفراسة وان أصاب بهما تارة فقد يخطىء بهما أخرى ، وهذا اصابة فى الجميع فخرجت عن الحدث والفراسة إلى علم من لا تخفى عليه الغيوب• والثانى : ان الحدس والفراسة توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود ، وهذه أخبار بأنه مقطوع بها قبل الوجود ، فافترقوا •

فصـــل

والوجه التاسع من إعجازه : ما فيه من الإخبار بضمائر القلوب التى لا يصل إليها إلا علام الغيوب ، كقوله : «إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا(٦) » من غير أن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل • وكقوله: «وإذ يعدكم الله إحدى الطـائفتين انهـا لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم(٧)» فكان كقوله : وإن لم يتكلموا به ، الى غير ذلك من نظائره •

فإن قيل فالجمع الكثير تختلف ضمائرهم فى العرف ، فإن وجد ذلك فى بعضهم لم يوجد فى جميعهم ، فان لم يخل أن يعتقده بعضهم خلا

---

(٤) القمـــر : ٤٥ .
(٥) القصص : ٨٥ والمعاد هو يوم القيامة .
(٦) آل عمران : ١٢٢ .
(٧) الانفال : ٧ .

منه بعضهم فتقابل القولان فيهم ، وبطل إعجازه معهم • فعنه جوابان: الأول : انهم ووجهوا بهـذا الخبر على العموم فلم ينكروه ، فزال هذا التفصيل ، فصار معجزا **والثانى** : إنه جعله ذنبا لهم فلم ينتقلوا منه ، فدل على وجوده من جميعهم •

فصـــل

والوجه العاشر من إعجازه : ان ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب ، والسهل المستقرب ، فلا يتوعر جزله ولا يسترذل سهله ، ويكونان إذا اجتمعا مطبوعين ، غير متنافرين ، ولا نجد ذلك فى غيره من كلام البشر ، لأن جزله يتوعر وسهله يسترذل ، والجمـع بينهمـا يتنافر ، فـصار هذا الوجه مبائنا ، ، وفى الاعجاز داخلا •

فإن قيل : انما كان القرآن كذلك ، لأنه قد توطأ بكثرة التلاوة ، فاستلذته الأسماع واستحلته الالسن ، ولولاه لتباين واختلف •

فعنه جوابان : الأول : ان صفته عند أول سماعه وغايته سواء ،

ولو كان ما ذكر من العلة لاختلف فى مبادئه وغايته • **والثانى** : ان غيره من الكلام المختلف لا يتوطأ بكثرة ذكره ، فبطلت العلة •

فصـــل

والوجه الحادى عشر من اعجـازه : ان تلاوته تختص بخمسـة **بواعث عليه لاتوجد فى غيره : أحدها : هشـاشة مخرجه • والثانى : بهجة رونقه • والثالث : سلاسة نظمـه • والرابع : حسن قبـوله • والخامس : ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل • وهذا فى غيره من الكلام** معدوم • فإن قيل إنما وقع فى النفـوس هذا الموقع للتدين بالتزامه

والتخصص باعظامه ، فعنه جوابان : الأول : ان هذا موجود فى غيره من كتب الله تعالى كالتوراة والزبور والانجيل ، وليس يوجد ذلك فيها مع وجود هذا التعليل ، ولذلك ما استعان أهلها على تلاوتها ، استحلاء بما وصفوه لها من الألحان ، واستعذبوه لها من الاصوات • والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه ، فلذلك ما راع وهيج الطباع • والثانى: أن التدين لا يسلب العقول تمييزها ، ولا يفسد عليها تصورها • وهو بأن يزيدها بصيرة أولى ، من أن ينقصها • ولو كان لهذه العلة لجحده من كفر كما اعترف به من آمن ، وقول الجميع فيه سواء •

فصـــل

والوجه الثانى عشر من إعجازه : أنه منقول بألفاظ منزلة ومعان مستودعة وبلغه الملك بلفظهوعلى نظمه ، وأداه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الأمة• بمثله ، فلم ينخرم فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ،ولا تغير له ترتيب ، حتى صار من الزلل مضبوطا ، ومن التبديل محفوظا تستمر به الأعصار على شاكلته ، وتتداوله الألسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته ، لايختلف بتعاقب الأزمنة ، ولا يختل بتبـــاعد الأمكنة ولا يتغير باختلاف الالسنة • وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان غيرت ألفاظها • فان التوراة القى الله تعالى معانياً(١)

---

(١) المؤلف يتحدث عن التوراة التى بيد اليهود والنصـارى الآن . وعن الاناجيل التى بيد النصارى . وعن الزبور الموجود بيد اليـــهود والنصارى . ويقول : ان الالفاظ فى هذه الكتب ليست من الله ، والمعـنى من الله . وهذا خطأ . فان التوراة فى الاصـــل من قبل التحريف كتبهـا الله لموسى فى الالواح . أى سلمهـــا له لفظا ومعنى . ثم إن اليهـــود فى« بابل »» حرفوا المعنى وغيروا اللفظ . ولذلك وبخهم الله بقولـــه : « لم تلبسون الحق بالباطل » ؟ وبقوله : « يحرفـون الكـلم من بعـــد مواضعه » فالموجود الان من هذه الكتب يختلف عما كان فى الصل. واليهود=

إلى موسى عليه السلام فذكرها بلفظه ، وعبر عنها بكلامه ، والانجيل فهو ما أخبر به عيسى عليه السلام عن ربه وعن نفسه ، فجمعته تلامذته بألفاظهم ، وجعلوه كتابا متلوا ، والزبور فأدعية بتحاميد وتسابيح تنسب إلى داود عليه السلام عن لفظه . ولئن كانت معانى هذه الكتب مضافة إلى الله تعالى فليست بصيغة لفظه على نظم كلامه ، كما نزل القرآن جامعا لألفاظه ومعانيه وترتيبه ، فصار مبائنا لجميع كتبه. وما هذا الا بمعونة الهية ، حفظ الله تعالى بها اعجازه ، وأمد بها رسوله . كما قال تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون(١)».

فصل

والوجه الثالث عشر من اعجازه : اقتران معانيه المتغايرة واقتران نظائرها فى السور المختلفة ، فيخرج فى السورة من وعد الى وعيد ، ومن ترغيب الى ترهيب ، ومن ماض الى مستقبل ، ومن قصص الى مثل ،

جعلوا التوراة خمسة أسفار ١ — التكوين ٢ — والخروج ٣ — واللاويين ٤ — والعدد والتثنية . وكانت فى الاصل صغيرة بحيث تكتب على اثنى عشر حجر بخط يقرأ من على مسافة بعيدة . وأما الانجيل فقد ضاع من أيدى النصارى والموجود بدله ١ — متى ٢ — مرقس ٣ — لوقا ٤ — يوحنا وهى اناجيل منسوبة لتلاميذ وأتباع ، ونسبتها اليهم تدل على أن الانجيل الحقيقى مفقود . وأما الزبور فانه يسمى سفر المزامير وهو مكون من مائة وخمسين مزمورا . وفى نهاية الثانى السبعين هذه العبارة : « تمت صلوات داود بن يسى » وهذا يدل على أن ما بعد هذه العبارة الى نهاية المزامير ، مضاف الى داود . وفى المزمور المائة والسابع والثلاثين : « على أنهار بابل هناك جلسنا . بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا ... الخ » وهذا يدل على أن الزبور كتب بعد سبى بابل . وكان السبى بعد داود بخمسمائة عام تقريبا .

(١) الحجر : ٩ .

ومن حكم الى جدل ، فلا ينبـــو ولا يتنافر وهى فى غيره من الكـــلام متنافرة ، فتتجـانس معانيهـا • وكذلك هى فى غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع سفرا ، فان التوراة مقسومة على خمسة أسفار ، وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من المعانى المستودعة فيها • فالسفر الأول لذكر بدء الخلق • والسفر الثانى لخروج بنى اسرائيل من مصر والسفر الثالث لأمر القرابين • والسفر الرابع لإحصاء موسى بنى اسرائيل وما دبرهم به • والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعـل اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها ، فكان أفضل مافى التوراة عند اليهود العشر كلمات المشتملة على الوصايا التى خاطب الله تعالى بها موسى وبهـا يستحلفون دون غيرها ، وأفضل مافى الانجيل الصحف الأربعة المنسوبة الى تلامذة المسيح الأربعة ، وهى المخصوصة بالقـراءة فى الصلاة والأعياد ، وأفضل مافى الزبور ما اتفق أهل الكتابين على اختيـاره ، وما اشتمل عليه القرآن من تغايرها أولى من وجهـين : الأول : ان لا يختص قارئه بأحد فيعدل عن غيره • والثانى : أن يستوعب اذا اراد جميعها قراءته جميعه ، فيستكمل فوائده ، ويستجزل ثوابه •

فصـــل

والوجـه الرابع عشر من إعجازه : ان اختـلاف آياته فى الطـول والقصر لايخرج عن أسلوبه ، ولا يزول عن اعتداله ، وغيره من نظم الكلام ونثره إذا تفاضلت أجزاؤه زال عن وزن منظومه ، واعتـدال منثورة ، فصار ذلك من إعجازه • فإن قيـل زيادة طوله هـذر ونقصان قصره حصر ، فكيف يكون معجزا اذا تردد بين هذر وحصر؟ فعنه جوابان : الأول : إن الزيادة تكون هذرا اذا لم تفد والنقصان يكون حصرا اذا لم يقنع ، والزيادة من طوله مفيدة والنقصـان من

قصره مقنع ، فخرج عن الهذر والحصر والثانى : إن الطويل لو انفرد لم يكن هذرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا ، فلم يكن اجتماعهما موجبا لهذر وحصر ، كاختلاف السور فى القصر والطول ، فان أقصر السور سورة الكوثر ، واشتمل مع قصرها على أربعة معان : إخبـاز بنعمة، وأمر بعبادة، وبشرى بمسرة ، وأسلوب هو معجزة • فلم تخرج إذا قرنت بما هو هو أطول أن تكون معجزة •

الفصـــل

والوجه الخامس عشر من إعجـازه : ان مكثر تلاوته لا يزداد به فصاحة ، وان ازداد بغيره من فصيح الكلام ، لخروجه عن طباع البشر، فمازجها فصار أسلوبه معجزا فى الحالين • وعلى كلا الوجهين •

الفصـــل

والوجه السادس عشر من إعجازه : تيسيره على جميع الألسنة حتى حفظـه الأعجمى الأبكم ، ودار به لسـانه القبطى الالكن ، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ، ولا تجرى به الألسنة البكم كجريانه ، وماذاك الا بخصائص الهية فضله بها على سائر كتبه •

فصـــل

والوجه السابع عشر من إعجازه : إن الكلام يترتب ثلاثة مراتب منثور يدخل فى قدرة الجمهور ، وشعر هو أعلى منه يقدر عليه فريق وقرآن هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرها تجاوز رتبـة النوعين فخرج عن قدر الفريقين • فإن قيل : لو كان القرآن برهانا معجـزا

لخرج كثيره وقليله عن القدرة ، وقليله مقدور عليه ، وهـو أن يجمع بين ثلاث كلمـات منه ، أو أربع • فكذلك كثيره لأن الشيء اذا دخلت أوائله فى جنس الممكن خرجت أواخره من جنس الممتنع ، فعنه جوابان: الأول : أن قليله وكثيره خارج عن القـدرة ، إذا انتظم إعجازه وهو كأقصر سورة منه ، فبطل هذا الاعتراض • والثانى : انه ليس القدرة على الكلمة والكلمتين منه ، قدرة على استكمال ما يقـع من التحدى ، كالمفحم فى الشعر ، لا تكون قدرته على الكلمة والكلمتين من بيت من أشعر ، قدرة على نظم بيت كامل من الشعر •

فصـــل

والوجه الثامن عشر من إعجازه : أن الزيادة فيه ممتازة ، وتغيير ألفاظ منه مفتضحة ، ولو كان فى القدرة لا لتبس ولو أمين لاشتبه •

فصـــل

والوجه التاسع عشر من إعجازه : عجز الامم عن معارضته ، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم تخرجهم انفة التحدى وصبروا على نغص العجز ، مع شدة حميتهم وقوة أنفتهم ، وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ولو وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان فى مقـدورهم داخلا ، وقد جعله حجة لهم فى رد رسالته لعارضوه • ولما عدلوا عنه الى بذل نفوسهم فى قتاله وسفك دمائهم فى محاربتل (فدل ذلك على عجزهم) فان قيل فليس بممتنع أن يكونوا قد عارضوه بمثله ، فكتم ، كما كتم ما هجى به من الاشعار ، وقرف به من المعار ، فعنه جوابان: الأول : انهم لـو عارضوه لظهـر ، ولو ظهـر لا نتشر لأن تكاتم الاستفاضة لا تستطاع ، لما فى الطباع من الاذاعة ، وفى نفثات الصدور

من الاشاحة ، ولقيل : قد عورض فكتم كما قيل هجى ، ولو جاز هذا فى معارضة القرآن لجاز مثله فى معجزة كل نبى أن يقال : قد عورض معجزه ، فكتم ، فيفضى الى ابطال كل معجزة • وهذا مدفوع فى معارضة غير القرآن • والثانى : إنه قد جعل معارضته حجة لهم فى رد رسالته، فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ، ولما احتاجوا معه الى القتال والمحاربة ، مع بذل النفوس واستهلاك الأموال ، ولدفعوه بالأهون دون الأصعب • وقد نقل ما عورض به فظهر فيه العجز وبان منه النقص ، حتى فضحته ركاكة لفظه ، وسخافة نظمه •

فحكى ابن قتيبة عن مسيلمة أنه قال فى معارضته القرآن : «نقى كما تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشراب تمنعين» فلما سمع هذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال : «إن هذا الكلام لم يخرج من إل» وحكى عن غيره — وأحسبه العنسى — انه قال: «ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج من بطنهـا نسمة تسعى ، من بين سراشيف وحشى» وحكى عن آخر «الفيل وما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل ، فان ذلك من خلق ربنا لقليل » وحكى الحكم عن عكرمة أن النضر بن الحارث ، وكان من فصحاء قريش عارض القرآن • فقال : «والزارعات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنـات عجنـا ، والخابزات خبزا ، فاللاقمات لقما» • وقال آخر : «قد أفلح من هينم فى صلاته ، وأطعم المسكين من مخلاته ، وأخرج الواجب من زكاته» وقال آخر فى معارضة سـورة النجـم « والنجـم إذا سمى ، والبحـر اذا طمـا مازاغ منذركم وما طغى ، وما كذب به وغوى ، فيما نطق به وروى» فأنزل الله تعالى فى ذلـك : «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال : أوحى الى ولم يوح اليه شىء»(١) •

---

(١) الانعام : ٩٣ .

فهذه المعارضة وقد احتذوا فيها مثالا عدلوا بها عن طوال السور الى قصارها فأتوا بسقيم الكلام دون سليمه ، وبسخيفه دون جميله. فكيف يقابل به غايته القصوى ويوازى به طبقته العليا ؟ وهل ذلك إلا كمن عارض فصاحة «سحبان» بعى «باقل» أو تخليط مجنـــون بحزم عاقل ، أو قاس الدر بالمدر ، وشاكل بين الصفو والكدر .

ومن تعاطى ما ليس فى طبعه ، افتضح فخر صريعا وهوى سريعا.

فصـــــل

الوجه العشرون من اعجازه : الصرفة عن معارضته واختلف من قال بها ، هل صرفوا عن القدرة على معارضته ، أو صرفوا عن معارضـــته مع دخوله فى مقـــدورهم ؟ على قولين : أحدهما : انهـــم صرفوا عن القدرة .ولو قدروا لعارضوا. والقول الثانى : انهمصرفوا عن المعارضة مع دخوله فى مقدورهم ، والصرفة إعجاز على القولين معا فى قول من نفاها ، ومن أثبتها ، فخرقها للعادة فيما دخل فى القدرة .

فإن قيل فإن عجزوا عن معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما يقاربه ، وإن نقص عن رتبته والمعجز مالم تمكن مقابلته كما لاتمكن مماثلته . فعنه جوابان : أحدهما : أن مقاربته تكون بما فى مثل اسلوبه إذا قصر عن كماله ، والأسلوب ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الاعجاز. **والثانى :** أن المقاربة تمنع من المماثلة ، والتحدى إنما كان بالمثل دون المقاربة .

فصـــــل

فاذا ثبت اعجاز القران من هذه الوجوه كلها صـــح أن يكون كل واحد منهامعجزا ، فاذا جمع القرآن سائرها كان اعجازه أقهر وحجاجه أظهر، وصار كفلق البحر وإحياء الموتى ، لأن مدار الحجة فى المعجزة اتخاذ مالا يستطيع الخلق مثله ، سواء كان جسما مخترعا ، أو جرما مبتدعا ، أو عرضا متوهما فإذا قيل : تعتبرون عجز العرب العـــاربة عنه دون الموادين ليكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا يقول على تكلفه وتعلمه ؟ وهكذا اختلفوا • هل يعتبر فيه عجز أهل عصره أو فى جميع دهره ؟ على هذين الوجهين : **أحدهما** : يعتبر فيه عجز أهل العصر لأنهم حجة على أهل كل عصر • **والوجه الثانى** : انه يعتبر فيـــه عجزا أهل كل عصر لعموم التحدى فيه ، لأهل كل عصر •

فان قيل فليس عجز كل الانس عن مثله موجبـــا لاضافته الى الله تعالى لجواز ان تكون الشـــياطين أعانت عليه حتى خرج عن مقـــدور الانس ، فعنه أجوبة : أحدها : أن هـــذا يتوجـــه على موسى فى فلق البحر ، وعلى عيسى فى إحياء الموتى • ويقدح فى جميع النبوات فلم يجز لمن أثبتها أن يخص به بعض المعجزات • **والجواب الثـــانى : ان** الشياطين لم يعرفوا إلا من الرسل ، ولولاهم لما علم الناس أن فى الدنيا شيطانا ولا جنا ولا جانا • وقد جهر الرسل بلعنهم ودعوا إلى معصيتهم ولو كانوا أعوانا لدعوا الى طاعتهم وموالاتهم ، لأن معونة من أطاع سليمان للجن والله تعالى غنىعن الشياطين ان يكونوا سفراء الى رسله عليه•فان كانعن أمره كان معجزا لأنه من فعله • وعلى هذا كان تسخير وولى أحق من معـــونة من عصى وعودى • **والجواب الثـــالث : ان** الشياطين لايقدرون على ذلك الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لايعين كاذبا

وأعوانا لأنبيائه ، وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصيته • وهذا القرآن قد تحدى به الجن كما تحدى به الانس بقوله تعالى : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(١)»وحكى عنهم عجزهم عنه بقولهسبحانه: «إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد ، فآمنا به»(٢) •

فصـــــل

فإذا تقررت هذه الجملة فى إعجاز القرآن ، فبإعجازه يعلم أنه من غير كلام البشر، ولا يعلم أنه من عند الله تعالى إلا بقول الرسول • فلو أراد الرسول ان يقول مثله ، لم يقدر عليه ، لأنه من البشر الا أن يمده الله تعالى بعون منه ، فيصير قادرا عليـــه ، ومعجزا له ، لو لم يضف القرآن إلى الله تعالى ، فاما مع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ، ويكون مصروفا عنـــه فإن أضيف الى الله تعالى يمتنـــع ان يكون من غيره ، لدخوله فى جملة الكذب • ثم يصير القرآن أصـــلا للشرع ، ومعجزا للرسول فيجب على الأمة التزام أحكامه وطاعة الرسول» اه •

ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى الى الكلام على اعجاز القرآن الكريم ، وبيان بلاغته وفصاحته بأكثر من هذا ، فانتظره ولا تغفل •

فصـــــل

ولنرجع الى رد كلماته واظهار ما فيها من الكذب والاختلاف •

فنقول : اما قوله : «إنه ينبغى لك أن تعلم أولا كيف كان السبب» الى آخره •

---

(١) الاسراء : ٨٨ .
(٢) الجن : ١ — ٢ .

فلا يخفى عليك أن هذا النصرانى سلك هنا مسلك اخوانه المتقدمين زاعما أن القرآن ليس من كلام الله عز وجل ، بل هو من كلام النبى عليه الصلاة والسلام وأفرادا آخرين كما حكى ذلك عنهم سبحانه فى الكتاب المبين من قوله تعالى : «وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما»(١) ثم يقال له العجب من هذا الاختلاف الذى لا يخفى على من له أدنى وقوف على تراجم الرجال والسير والتواريخ الاسلامية والنصرانية. وليت شعرى هل هذا تجاهل أو مغالطة أم جهل بما هو بديهى البطلان. وهل سولت له نفسه ان علماء المسلمين لا يعرفون بتهرجه هذا فى محكهم ، لأن سرجيوس هذا هو بحيرة الراهب ولم يأت الى مكة المكرمة ، ولم يجتمع مع النبى عليه الصلاة والسلام إلا مرة فى ذهابه الى الشام كما نقل ذلك أصحاب السير ، ونقل النصارى فى كتبهم أحواله وسيرته أيضا . فاستمع ما قاله الفريقان لتكون فى البحث على اتقان .

قال المعلم بطرس البستانى فى كتابه المجلد الخامس من دائرة المعارف المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨١ مسيحية ما عبارته : «بجيرا راهب نسطورى على مذهب آريوس ، ونسطور اسمه سرجيس بن اسكندر كان ينكر لاهوت المسيح ، ويقول : ان تسميته بإله غير جائزة ، بل يجب أن يدعى كلمته ، وان تدعى والدته مريم والدة الناسوت الذى هو مظهر الكلمة السامى ، لا والدة الله . وكان بحيرا قسا عالما فلكيا منجما وحاسبا ساحرا ، فلتماديه بالسحر والتنجيم واستخراج الضمائر

---

(١) الفرقان : ٤ — ٦ .

بالحســـاب وطوالع الكواكب ، حرمه رئيس ديره ، وطـــرده من بين الرهبان ، فسار هائما على وجهه ، ودخل فى دير رهبان طورسينا فلما درى رئيسه به كاتب رئيس دير طورسينا ، فطرده أيضا من الدير ، فسار الى برية العرب ، واتخذ صومعة بقرب الطريق الموصل إلى الشام وأقام هناك مدة ، وكانت تمر عليه العربان والقوافل ، فكان ينـــذرهم بعبادة الله الواحد ، وينهاهم عن عبادة الأصنام كاللات والعزى ، وقد قال عن نفسه فى كتابه المعروف بالأنباء الذى أملاه على تلميذ له اسمه مذهب : ان الله ظهر له فى رؤيا وكشف له بأنه سيكون الواسطة لهدى آل اسماعيل الى الدين المسيحى ، وقال مذهب تلميذه المذكور إنه توفى قتيلا بدسيسة بعض يهود أشرار ، وان سلمان الفارسى النصرانى كان من جملة المتلمـــذين له ، وانه علم علم الافلاك وحســـاب الكواكب والأوضاع واستخراج الضمائر بالزايرجا والحساب لأحد الاذكياء من العرب .

هذا ما رواه عنه الشريف يعقوب بن اسحق الكندى المسيحى ، الذى كان فى القرن الأول للهجـــرة ، فى كتابه المسمى أصل بالجواب على البرهان ، ونسب الكندى الى الراهب بحيرا أمورا متعلقة بالرســـالة والقرآن وغير ذلك مما لا برهان على صحته . وقد وافق الكندى مذهب فيما رواه عن بحيرا أستاذه ، ومما قاله : انه من وفرة علمه وغزارة حكمته وإصابته بعلم الطوالع والكواكب ، قذفوه بكونه ساحرا ، ومما رواه مذهب عما قاله بحيرا عن نفسه : ان الله تعالى أراه فى رؤيا فتى جميل المنظر شهم الفؤاد مكتوبا على جبهته اسم محمد ، وان مولده فى برج الثور ، والزهرة مع قران المشترى وزحل ، وان هذا الفتى هو الذى يهدى أبناء جنســـه بنى اسماعيل الى معـــرفة الله تعالى ، وانه

بواسطة ذلك الفتى سيقوم أمرهم ويشتد أزرهم فى المسكونة ، ويذللون أبناء عمهم نسل اسحق ، ويتسلطون عليهم مدة معلومة جعلها موافقة لما أشار اليه دانيال فىنوبته(١) وانه يخرج من العرب اثنتى عشرة دولة، ورواية«مذهب»هذه تفسير معنى قول بحير لأبى طالب: انه نظر فىالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشياء كان يجدها من صفته ، ولا بد أن الدعوى الى التوحيد كانت مما يوافق مذهب «بحيرا» ك«آريوس» ، ومقصده كمسيحى يحاول رد الوثنيين من العرب فى عبادة اله واحد ، ومعنى بحيرا فى السريانية عالم متبحر » انتهى بحروفه •

وهذا وان كان خلط فيه الحق والباطل والغث والسمين ، الا أن الحق فيه لا يخفى على الفطن • ثم انه نقل ماقاله «ابن الأثير»فىتاريخه من قصة بحيرا ومرور أبى طالب عليه ، ومعه النبى عليه الصلاة والسلام وعمره إذ ذاك نحو تسع سنين وأخبارهبأنه سيكون نبيا وتحذير أبى طالب عليه من أعدائه ، القصة المشهورة فى كتب السير والتواريخ •

ولنذكرها ملخصة من سيرة ابن هشام والروض الأنف لابى القاسم عبد الرحمن السهيلى ، قال ابن اسحاق : ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام ، فلما تهيأ للرحيل اخرج معه النبى صلى الله تعالىعليه وسلم وكان طفلا لم يبلغ الحلم ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له «بحيرا» فى صومعة له ، وكان اليه علم النصرانية فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا مايمرون به قبل ذلك ولا يكلمهم ، ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به

---

(١) الأصحاح التاسع من سفر دانيال من قوله : «سبعون اسبوعا... الخ » .

قريبا من صومعته ، صنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو فى صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعتهفى الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمـامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزلمن صومعتهوقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم ، فقال له رجل منهم والله يا بحيرا أنلك لشأنا اليوم وماكنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليـوم ؟ قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن اكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجـد عنده ، فقال يا معشر قريش : لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى • قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالهم : قال : لاتفعلوا ادعوه فليحضر هـذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى، ان كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبـد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجد عنده من صفته عليه الصلاة والسلام حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام اليه بحيرا فقـال له : ياغلام أسـألك بحق اللات والعزى الا ماأخبرتنى عما أسألك عنه، وإنما قالله بحيرا ذلكلأنه سمع قومه يحلفون

بهما ، فزعموا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لاتسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما • فقال له بحيرا : فبالله الا ماأخبرتنى عما أسألك عنه، فقال له عليه الصلاةوالسلام سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه وهيئتهوأموره، فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، على موضحة من صفته التى عنده ، فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين • قال ابن هشام فلما فرغ اقبل على عمه ، فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى • قال له بحيرا ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا • قال: فانه ابن أخى • قال : فما فعل أبوه • قال : مات وأمه حبلى به • قال: صدقت ارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فشب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلؤه الله تعالى ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد من كرامته ، حتى بلغ وكان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، واعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق ، التى تدنس الرجال تنزها وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومه الا الأمين •

ومما قاله أبو طالب فى هذه القصة •

لم ترنى من بعد همّ هممته ... بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتى ... لترحل اذ ودعتهم بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا ... وأمسكت بالكفين فضل زمام

ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة ... تجود من العينين ذات سجام
فقلت تروح راشدا فى عمومة ... مواسين فى البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التى راح أهلها ... شأمى الهوى والأصل غير شأمى
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا ... لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا ... لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقلنا جمعنا القوم غير غلام

وذكر باقى الشعر انتهى •

وقد نقل قصة نسطوريوس العلامة ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان عندما عد مجامع النصارى ، بما لفظه : « ثم كان لهم مجمع رابع على نسطوريوس ، وكان مذهبه أن مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة ، ولكن ثم اثنان : الاله الذى هو موجود من الآب والآخر انسان الذى هو موجود من مريم ، وان هذا الانسان الذى نقول انه المسيح متوحد مع ابن الاله ، وابن الاله ليس ابن على الحقيقة ولكن على سبيل الهبة والكرامة واتفاق الاسمين ، فبلغ ذلك بطاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات ، واتفقوا على تخطئته ، واجتمع منهم مائتا أسقف فى مدينة أفسيس ، وأرسلوا الى «نسطوريوس» للمناظرة ، فامتنع ثلاث مرات ، فأوجبوا عليه اللعن ، فلعنوه ونفوه وحرموه ، وبينوا أن مريم ولدت إلها ، وأن المسيح اله حق وانسان ، معروف بطبيعتين متوحد فى الأقنوم ، فلما لعنوا نسطوريوس غضب له بطرك أنطاكية فجمع أساقفته الذين قدموا معه ، وناظرهم فقطعهم ، وتقاتلوا ووقع الحرب والشر بينهم ، وتفاقم أمرهم ، فلم يزل الملك حتى أصلح بينهم ، فكتب أولئك صحيفة بان مريم القديسة ولدت الها ، وهو ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أمه فى الطبيعة ، ومع الناس فى الناسوت ، وأنفذوا لعن نسطوريوس ، فلما نفى نسطوريوس سار الى أرض مصر ،

وقام بأخميمم سبع سنين ، ودفن بها ودرست مقالته الى أن أحياها ابن صرما، مطران«نصيبين»، وبثها فى بلاد الشرق. فأكثر نصارى العراق والمشرق نسطورية وانفض ذلك المجمع على لعن نسطورس ومن قال بقوله وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال وتفترق على اللعن ، فلا ينفض مجمع من مجامعهم فى كل مرة الا وهم بين لاعن وملعون » انتهى.

وسنذكر بقية مجامعهم فى المحل المناسب ان شاء الله تعالى .

وحيث أن صاحب دائرة المعارف ذكر أن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه كان من جملة المتلمذين له ، فلنذكر ترجمته وسبب اسلامه من سيرة ابن هشام ، ليزداد الواقف على كتابنا هذا اطلاعا وأدلة على ما نحن بصدده ، قال ابن اسحاق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس ، قال حدثنى سلمان الفارسى من فيه ، قال: كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان ، من أهل قرية يقال لها حى ، وكان أبى دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله اليه ، لم يزل به حبه أياى حتى حبسنى فى بيته ، كما تحبس الجارية واجتهدت فى المجوسية ، حتى كنت قطن النار التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له فقال لى:يابنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب اليها فأطلعها وامرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شىء من أمرى .

قال فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى

أمرهم ، وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله مابرحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم اين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، فرجعت الى أبى ، وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال يا بنى أين كنت ؟ اولم اكن أعهد اليك ماعهدت ؟ قال: قلت يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له كلا والله إنه لخير من ديننا قال • فخافنى فجعل فى رجلى قيدا ، ثم حبسنى فى بيته قال: فبعث الى النصارى ، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبرونى بهم فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فأذنونى بهم ، قال فلما أرادوا الرجعة الى بلادهم أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام •

فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة ، قال : فجئته : فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك واصلى معك قال: ادخل فدخلت معه قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق• قال : فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ، ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال : فقالوا لى وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم انا أدلكم على كنزه قالوا : فدلنا عليه، قال: فأريتهم

موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا ، قال فصلبوه ورجموه بالحجارة .

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى أنه كان أفضل منه ازهد فى الدنيا ولا ارغب فى الآخرة ولا ادأب ليلا ولا نهارا منه ، قال فاحببته حبا لم أحبه شيئا قبله مثله فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة فقلت له يافلان انى قد كنت معك واحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى؟ قال: أى بنى والله ماأعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالحق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له يافلان ان فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، واخبرنى انك على امره ، فقال لى أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث ان مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلانا أوصانى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال يابنى والله ما أعلم رجلا على مثل ماكنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له يا فلان ان فلانا كان أوصانى الى فلان ثم أوصانى اليك فالى من توصينى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال يابنى والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية ، من أرض الروم ، فانه على مثل ما نحن عليه فانه على أمرنا فلما مات وغيب

لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبرى ، فقال اقم عندى فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم •

واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة ، قال:ثم نزل به من أمر الله تعالى فلما حضر قلت له : يافلان انى كنت مع فلان فأوصى بى فلانا، ثم أوصى بى فلانا الى فلان ، ثم أوصى بى فلان الى فلان ، ثم اوصى بى فلان اليك ، فالى من توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال أى بنى والله ما أعلم أصبح اليوم احد على مثل ما كنا عليه من الناس امرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب ، مهاجره الى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، قال: ثم مات وغيب، ومكثت بعمورية ما شاء الله تعالى ان أمكث •

ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فأعطيتموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ، ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا ، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى ، فبينما أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى منه فاحتملنى الى المدينة ، فوالله ما هو الا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها•

وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق اى نخلة لسيدى اعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم حتى وقف عليه ، فقال يافلان

تأمل الله بنى فيلة أى الأوس والخزرج والله أنهم مجتمعون بقباء ، على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون انه نبى قال سلمان فلما سمعتها اخذتنى العرواء اى الرعدة والانتفاض حتى ظننت انى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول ؟ فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة ، ثم قال مالك ولهذا ، اقبل على عملك قال: قلت لأى شيء ؟ إنما اردت ان استثبته عما قال. وقد كان عندى شيء قد جمعته فلما امسيت اخذته ، ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغنى انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غرباء ذووا حاجة، وهذا شيء قد كان عندى للصدقة ، فرايتكم احق به من غيركم قال فقربته إليه .

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل ، فقلت فى نفسى هذه واحدة قال انصرفت فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة ثم جئت به فقلت له أنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ببقيع الفرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أنى استثبت فى شيء وصف لى ، فألقى ردائه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فاكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله صل الله تعالى عليه وسلم «تحول» فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس ،

فأعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «بدر» و «أحد» قال سلمان :

ثم قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «كاتب ياسلمان» فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير والفقير البئير تغرس فيها الفسيله وهي النخلة الصغيرة — وعلى أربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية ، فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : «اذهب يا سلمان فحفر لها فاذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي » ففقرت ، واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا نقرب اليه الودى ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذي نفس سلمان بيده ماماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقي على المال ، فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : «ما فعل الفارسي المكاتب» قال : فدعيت له فقال عليه الصلاة والسلام «خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان» قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما على ؟ فقال : «خذها فان الله سيؤدي بها عنك» فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها وعتق سلمان فشدت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهدا » انتهى وسيأتي أيضا بحث بحيرا قريبا ان شاء الله تعالى .

قوله « أن ازالة عن عبادة الاصنام داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس» الى آخره .

لا يخفى عليك أن هذا المؤلف قد رمى فيما سبق سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل نبوته أيضا بعبادة الأصنام ، وتقدم لك رده لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها وقد قال نبينا الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم : «لم يكفر بالله تعالى نبى قط » ولا سيما سيدنا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعبد قط صنما ولا وثنا ، وكان قبل النبوة يتعبد على ملة أبيه ابراهيم(١) وكان فى صغر سنه ، رؤية الصنم لديه من أبغض المنكرات وهذا أمر معروف مشهور فى سائر كتب السير والحديث • وأما تلمذته عليه الصلاة والسلام التى زعمها النصرانى للرجل الذى سماه بحيرا فاختلاف صرف وتمويه وبهتان لا أصل له وقد قدمنا لك مايتعلق برد هذا الكذب رحال هذا الرجل الذى لم يجتمع مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سوى مرة قبل النبوة فى طريق الشام وهو عليه الصلاة والسلام إذ ذاك حبى ، ولم يعش بحيرا على القول المشهر الى زمن ظهور نبوته صلى الله عليه وسلم ، غير أن هذا الرجل فى الحقيقة كان نصرانيا عالما بما فى التوراة والأناجيل من البشارات بالمصطفى الأعظم

---

(١) يقول الامام القرطبى فى آخر سورة الشورى : «وتكلم العلماء فى نبينا صلى الله عليه وسلم . هل كان متعبدا بدين قبل الوحى أم لا ؟ فمنهم من منع ذلك مطلقا وأحاله عقلا . وقالوا : لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا . وبنوا هذا على التحسين والتقبيح . وقالت فرقة أخرى: بالوقف فى أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك . اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق النقل . وهذا مذهب أبى المعالى . وقالت فرقة ثالثة : انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به . ثم اختلف هؤلاء فى التعيين . فذهبت طائفة الى انه كان على دين موسى ، لأنه أقدم الاديان . وذهبت المعتزلة الى انه لابد أن يكون على دين . ولكن عين الدين غير معلومة عندنا» اهـ .

صلى الله تعالى عليه وسلم وعاملا بما فيها من اعتقاد رسالته وعبودية سيدنا عيسى بن مريم ، ولا زال ينادى إذ غير النصارى دينهم — أن دعوى التثليث لم يدعها إلا كل ضال خبيث وكان ينهى نصارى زمانه عما أحدثوه من القول بالوهية المسيح ويأمرهم بالعمل بما كان عليه الحواريون من الاحكام ، ويبين لهم ما ورد فى التوراة من الحلال والحرام ، ولما لم يفد قوله إلا اصرارهم على التبديل اعتزلهم يعبد الله تعالى وحده مؤمنا برسالة المسيح عليه السلام منتظرا بزوغ نور النبى العربى فى ذلك الظلام ، وقبل ظهور بعثته اخترمت المنية هذا الموحد المذكور ، سالما من نقص التثليث والفجور .

نعم قيل أن رجلا آخر من النصارى يدعى بحيرا ايضا آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتعلم منه عليه الصلاة والسلام بل هو منه تعلم ، فقد ذكر العلامة ابن الاثير فى كتابه أسد الغابة فى معرفه الصحابه مالفظه «بجيرا ذكره أبو موسى فيما استدركه على بن مندة عن مقاتل أو غيره ، قال قدم إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع جعفر بن ابى طالب أربعون رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام بجيرا وإبرهة والأشرف وتمام وادريس وأيمن ونافع وتميم ، فلو لم يكن عنده أن غير بحيرا الراهب الذى رأى النبى عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه وآمن به لما استدركه ، فان الراهب قد ذكره ابن مندة ولأن الراهب لم يكن عاش الى هذا الوقت غالبا » آه .

وقال الوالد عليه الرحمة فى روح المعانى عند تفسير قوله تعالى «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى» ما لفظه: والمراد من النصارى على ما روى عن ابن عباس وابن جبير وعطاء والسدى رضى الله تعالى عنهم النجاشى وأصحابه وعن

مجاهد انهم الذين جاءوا مع جعفر رضى الله عنه مسلمين وهم سبعون رجلا اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وهم بحير الراهب وابرهة وادريس واشرف وتمام وقثم ودريد وأيمن» انتهى

وأنت تعلم أن هذه الآية من سورة المائدة وهى مدنية هى من آخر القرآن تنزيلا ، كما ورد فى الحديث • حتى قيل انها نزلت فى حجة الوداع بين مكة والمدينة ، ولو قلنا : ان بحير الراهب هو الذى كان رآه النبى عليه الصلاة والسلام قبل نبوته فى طريق الشام ، فكيف يقال : إنه علم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع كمال نزول القرآن وانتشار الرسالة ؟ فما دعوى عبد المسيح الا تمويه عى ضعفة العقول **ومصادمة للمعقول والمنقول** •

ولنذكر لك تفسير هذه الآيات الكريمات التى استشهد بها عبد المسيح لتزداد وقوفا على ما أتينا به من البينات • قال تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » الخطاب لرسول الله **صلى الله تعالى عليه وسلم أو لكل من يصلح له كما فى غير هذا** الموضع من الكتاب العزيز ، والمعنى أن اليهود والمشركين أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى أى ان النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين ، وصفهم سبحانه بلين العريكة وسهولة قبولهم الحق ، قلت: فلذا ترى فى كل عصر الى الان من يسلم من النصارى أكثر ممن يسلم من غيرهم • وقيل : مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر والاذى الى من خالفهم فى الدين بأى طريق كان ، مثل القتل ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ، ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء فى مذهبهم حرام ، فحصل الفرق بينهما • وعن عطاء قال : ماذكر

الله تعالى به النصارى من خـــير ، فانما يراد به النجاشى واصحابه لا جميع النصارى • والتعبير يقالوا انا نصارى اشـــعار بـقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله ، واوداء أهل الحق ، وان لـم يظهروا اعتقادا حقيقة الاسلام «ذلك» اى كونهم أقرب مودة «بأن» آى بسبب « ان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » كاليهـود عن اتباع الحق والانقياد له اذا فهموه ، والقسيس كالقس العالم وأصله من قس اذا اتبع الشىء وطلبه ، وهو رئيس النصارى فى الدين والعلم، والراهب الخائف ، من رهب الله تعـــالى أى خافـه ، والرهبانيـــة **والترهب التعبد فى الصوامع • وفى فتح البيان : آن هذا مدح للنصارى** فى مقابلة ذم اليهود ، وليس بمدح على الأطـلاق ، ثم قال تعـالى : وـــاذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » الضمير يعود على من جاء من الحبشة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « يقولون ربنا آمنا » بهذا الكتاب النازل من عنـدك على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن انزلته عليه «فاكتبنا مع الشاهدين » بصدق محمد وانه رسولك الى الناس كافة ولا نبى بعده ، الى ان قال تعالى : فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » •

ونحو هذه الآية قوله تعالى فى سورة الاعراف : « ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنـا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهـــم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، أولئك هم المفلحون» وقد اثبتنا لك وله سبحانه الحمد نبوته

عليه الصلاة والسلام من نصوص التوراة والانجيل ، ومعجزاته التى رآها كل قبيل ما لا يبقى بعدها شبهة لمستريب ، فليتذكرها وليتدبرها من له فى الآخرة نصيب .

ثم العجب ، من هذا النصرانى يزعم أن النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان توفى نسطوريوس — يعنى بسيرا — ونبى الى تعليمه عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ، مع انه قد اجمع المؤرخون واهل السير والمحدثون وجميع علماء الملة الاسلامية أن عبد الله كما قدمناه لك اسلم بعد الهجرة ودخول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينه ، وكعب اسلم فى خلافه الصديق او فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وسأله عن عدم تقديم اسلامه فاجابه انا نجد فى التوراة ان محمدا يبعث من العرب ثم يتوفى ويتولى بعده نبيح صالح ثم يموت ويتولى بعده صلد من حديد ، فترويت فلما رايت الامر جميعه كذلك اسلمت فقال له عمر : وادفراه ، او ذكرت هناك — اى فى التوراة ؟ وهذه كلمة تقولها العرب تواضعا اى انا منتن لا اصلح ان اذكر فيها . فكيف يقال او يخطر ببال ان عبد الله وكعبا علماء عليه الصلاة والسلام شيئا ؟ مع انهما اسلما بعد فتح الامصار ، واشتهار الاسلام فى الاقطار ، ولم يريا النبى المختار الا بعد مجيئه الى المدينه ، وبعد رسالته بنحو ثلاث عشرة سنة وكعب كان يهوديا الى خلافة الفاروق ، ثم كيف يتصور ان يأخذ عليه السلام عن يهودى ونصرانى ويجمع بين كلاميهما المتناقض فى كتابه مع ان اليهودى عدو للنصرانى ، وهو عدو له . وهما عدوان لمشركى العرب ؟ وفى القرآن ذم اليهود والنصارى والمشركين والحكم بتكفير جميعهم وتكفير كل من لم يدخل فى دينه عليه الصلاة والسلام وبيان مقالاتهم الباطلة وعقائدهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة ، وأحوالهم الذميمة وتحريف الكل لكتب الله تعالى المنزلة ، فلو كان لاحد مدخل

أو رأى فيه لما ذكر ذمه بل كان يذكر مدحته وما يؤيد نحلته ، فما هذا الكلام من عبد المسيح الا كهذيان المحموم ، وما الا تلبيس على الجاهلين الذين هم مثله بخمر العشاء الربانى سكارى ، والله سبحانه الموفق للصواب ٠

قال النصرانى : « فلما توفى وارتد القوم وافضى الامر الى أبى بكر وحبس على بن أبى طالب عن تسليم الامر لابى بكر علما أنهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان فى نفسيهما ، فأندسا الى على بن أبى طالب قالا له : الا تدعى أنت النبوة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصرانى ، فلست باخس منه ؟ وكان بن ابى طالب قد احس بما كان نسطوريوس الراهب عليه الا انه كان صغيرا وقت ما صاحبه ، وأوعزا اليه ان لا يعلم أحدا بموضعه ، ولا يطلع أحدا من اهله عليه ٠ فقبل على منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ، ومال انى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنه وقلة تجربته ، فلم يتمم الله لهما ذلك ولم يبلغهما اياه لانه اتصل بابى بكر بعض خبرهما ، فبعث الى على فلما صار اليه ذكره الحرمة ونظر الى ابى بكر والى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه وكانا قد عمدا الى ما فى يد على بن ابى طالب من الكتاب الذى دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل ، فادخلا فيه اخبار التوراة وشيئا من جل احكامها واخبار بلدها وشنعا فيه ، وزاد ونقصا، ودسما تلك الشناعات ، كقولهما : « قالت النصارى ليست اليهود على شىء، وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وهم يتلون الكتاب ٠ كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »(البقرة ١٠٧) ٠

ومثل الاعاجيب وذلك التناقض الذى لا يخيل على الناظر فيه أن المتكلمين به قوم شتى ، مختلفون ، كل منهم ينقض قول صاحبه ومثل

سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هـذا وشبهه ، الا أن عليا حيث أليس من الامر ، أن يصير اليه ، صار الى ابى بكر بعد أربعين يومـا وقال قوم بعد ستة اشهر ، فبايعه ووضع يـده فى يـده ، وقال له : ما حبسك عنا وعن متابعتنا يا أبا الحسن ؟ فقال : كنت مشغولا بجمع كتاب الله لان النبى كان أوصانى بذلك فانظر ايها العادل فى هذا الكلام، وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله ، وأنت تعلم ان الحجاج بن يوسف أيضا جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة فكتاب الله ايها المغرور، لا يجمع ولا يسقط منه شىء ، ، وأنت وأهـل مقالتك عارفـون بذلك غير منكرين ، لان الثقاة من رواتكم نقلوا هذه الأخبار وصححوها ،فليس بينهم فيها خلف .

وانت تعلم أيضا أنهم رووا أن النسخـة الاولى هى التى كانت بين القريشيين ، فامر بن ابى طالب بأخذها لما اشتد عليه الامر لئـلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهى النسخة التى كانت محضة على معـنى الانجيل الذى دفعه اليه اسطوريوس، وكان يسميه عند اصحابه جبرئيل مرة والروح الامين مرة ، فلما قال على بن ابى طالب لابى بكر فى البيعة الاولى : انى شغلت فى جميع الكتاب قالوا : فمعنا قول ومعك قـول ؟ وهل يجمع كتاب الله ؟ فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه ، كسورة برآءةالتىكتبوها عن الاعرابى الذى جاءهم من البادية، وغيره من الشاذ والوافد ، وما كان مكتوبا على اللخـاف ، والعسب وهو جريد النخل ، على عظم الكتف ونحو ذلك ، ولم يجمع فى مصحف. وكانت لهم صحف وادراج على منهاج ادراج اليهـود وذلك من حيلـة اليهوديين .

وكان الناس يقرؤن مختلفين ، ، فقوم يقرءون ما مع على بن ابى طالب وهم اتباعه الى اليوم ، وقو يقرأون بهذا المجموع الذى ذكرنا

امره ، وقوم يقرؤن بقراءة الاعرابى الذى جاء من البرية ، وقال ان معى حرفا وآية واقل واكثر فكتب ولا يدرى ماقصته ، ولا فى ما أنزل. وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك : « من اراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل ، فليقرأ بقراءة ابن إم معبد» وكان يعرض عليه فى كل سنة مرة ، وفى السنة التى مات فيها عرض عليه بوتين وقو يقرءون قراءة ابى بى كعب ، لقوله : « قرأكم ابى » وقراءة ابى وقراءة ابن مسعود متقاربتان . فلما صار الامر الى عثمان بن عفان ، واختلف الناس فى القراءة، أقبل على بى أبى طالب يتطلب العلل على عثمان ، وينتبع العثرات ويعيبه ، ويخالف عليه ، وذلك تدبرا على قتله ، فكان الرجل يقرأ الآية ويقرأها الاخر قراءة مختلفة ، ويقول الرجل منهم لصاحبه :قراءتى خير من قراءتك ويحتج كل منهم لصاحبه بالذى يقرأ بقراءته ، ويقع فى ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل ، فقيل ذلك لعثمان ، وانهم يختلفون فى القراءة ، ويزيدون فى الكتاب ، وينقصون ويتضاغنون فى ذلك ، ويقع بينهم الشر والاخذ بالعصبية ، ولا نأمن أن يتطاول الامر ويتفاقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الردة ، فبعث عثمان فجمع كل ما امكنه من تلك الادراج والرقاع ، وما كتب أولا ولم يتعرضوا لما فى يد على بن أبى طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرأ بقراءته ، ولا دخل معهم فى هذا التأليف .

اما ابى بن كعب فمات قبل هذا التأليف واما ابن مسعود فطلبوا منه ان يدفع اليهم مصحفه ، فابى ، فصرفوه عن الكوفة واستعملوا ابا موسى الاشعرى ، وامروا زيد بن ثابت الانصارى ، وعبد الله ابن عباس ، وقيل محمد بن ابى بكر بتأليفه واصلاحه ، وحذف الفاسد منه ،وكانا حديثى السن ، وقالوا لهما اذا اختلفتما فى شىء او لفظة أو اسم فاكتباه بلسان قريش ، فاختلفا فى اشياء كثيرة ، منها التابوت ،

قل ازيد هو التابوه • وقال ابن عباس : بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة ، فلما جمعوا هذا التأليف على ما فى هذه المصاحف كتبت أربعة مصاحف بخط جليل ووجه احدها الى مكة ، وخلف آخر فى المدينة ووجه آخر الى الشام وهو اليوم بملطية •

ولم يزل ذلك المصحف الذى كان بمكة الى أيام ابى السرايا فلما كان فى تلك الايام وهو آخر سلب سلبت (فيه) الكعبة سنة ٢٠٠ هجرية ، (فقد) فى تلك الفتنة ، فقد قيل احترق فيما احترق واما مصحف المدينة ففقد فى أيام الحرة ، وهى أيام يزيد بن معاوية ووجه بالمصحف الرابع الى العراق وكان بالكوفة وهى يومئذ قبة الاسلام ، ومجمع المهاجرين من الصحابة ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة وليس بصحيح ، بل فقد فى أيام المختار ، ثم امر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والادراج التى جمعت من البلاد وكتب الى العمال ان يجمعو ما أمكنهم منها وينقضوه ، حتى لا يعلم ان احدا عنده منها شىء ، وتوعد المخالف منهم ، فكل ما صار اليهم ، غلوا له الخل وسرحوه فيه ، وتركوه حتى قطع واهترى ، ولم يبق شىء يعلم الا متفرقا مثلما قيل عن سورة النور أنها كانت أطول من سورة البقرة ، وكما قيل ان سورة الأحزاب مبتورة ليست بتمامها ، وكذلك قالوا فى براءة انهم لم يوجد بينها وبين الانفغال فصل يعرف ، فلم يفصلوهما بسطر «بسم الله الرحمن الرحيم»

ومثل قول ابن مسعود فى المعوذتين أثبتوهما فى المصحف : «لا تزيد وافيه ما ليس فيه » مثل قول عمر على المنبر لا يقولن أحد ان آى الرحيم ليست فى كتاب الله فانا قد كنا نقرأ والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة، فلولا ان يقال ان عمر قد زاد فى القرآن ما ليس فيه، لزدتها فيه بيدى » ومثل قوله فى آخر خطبة خطبها : « أنى لا أعلم ان احدا قال : ان المتعة ليست فى كتاب الله ، بل كنا نقرأ آية المتعة ،

ولكنها سقطت،فلا جزى الله من أسقطها خيرا ، فانه اؤتمن فما أدى الامانة ولا نصح الله ولا رسـوله » فقد أسـقط من المهوه عليه من القرآن شيئا كثيرا ، وقوله أيضا : « وما كان عليه ان يرخص الله للناس، وانما بعث محمدا بالدين الواسع » وقال ابى بن كعب : سورتان كانوا يقرأونهما فيه ، وانما قال هذا فى التاليف الاول ولم يدرك هذا التاليف، وهما سورتا القنوت والوتر ، وهما : اللهم انا نستعينك ونسـتغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الى آخر الوتر . وكذلك آية المتعة، فان علما كان اسقطها بتة ، وقال انه سمع رجلا يقرأها على عهده ، فدعاه وضربه بلسوط ، وأمر الناس ان لا يقرأها أحد، فكان هذا بعض ماشنعت به عليه عائشة يوم الجمل :

وقد ادخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعى فقالت فى بعض قولها: « انه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه » وقد بدل وحـزف » وبقى مصحف عبد الله بن مسعود عنده ، فهو يتوارث الى السـاعة ، وكذلك مصحف على بن ابى طالب عند اهله ، ثم كان من امر الحجاج ابن يوسف ما كان انه لم يدع مصحف الا جمعه ، وأسقط منه أشـياء كثيرة ، ذكروا انها كانت نزلت فى بنى أمية باسماء قـوم ، وفى بنى العباس باسماء قوم ، وكتبت نسخ بتاليف ما اراد الحجاج فى سـتة مصاحف ، فوجه واحد الى مصر ، وآخر الى الشام ، وآخر الى المدينة، وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة ، وعمـد الى تلك المصاحف المتقدمة ، فغلى لها الزيت وسرحها فيه ، فتقطعت واحتذى فى ذلك بما فعله عثمان .

والدليل على ما كتبنا : انك الرجل الذى قد قرأت كتب الله المنزلة وأنت تعلم كيف انتسقت الاخبار وكثر التخليط فى كتابك الذى هو دليل على أن الأيدى الكثيرة قد تداولته ، واختلفت فيه الآراء ، وزيد فيه ونقص

منه ، وكل قال ووضع ما اراد وهوى ، واسقط ما كره وسخط فهذه عندك اكرمك الله — شروط كتب الله المنزلة ، سيما وصاحبك أعرابى جلف ، يأوى البادية ؟ فخطر خاطر فى قلبه فسجعه بلسانه ، وصار به الى قوم بدو ، فتقرب به اليهم ، وهم يشهدون فى كتابهم أن الاعراب أشد كفرا ونفاقا ومن هو أشد كفرا كيف يؤخذ عنه سر الله ووحيه وتنزيله على نبيه ٠

وأنت تعلم ما كان بين على وابى بكر وعمرو وعثمان من الاحنة والعداوة فقد زاد هؤلاء ونقصوا ، وزاد هذا ونقص ، انما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ، ومناقضة قوله ومباداته ، فمن أين تعلم أى الاقوال هو الصحيح ؟ وكيف يمكن لك ان تميزه من السقيم ؟ وقد زاد فيه « الحجاج » ونقص منه وأنت عارف بمذهب الحجاج فى جميع أموره، فكيف تستوثقه فى كتاب الله ، وتعد له وتأمنه على ذلك؟ وقد كان الرجل الذى يتقرب الى بنى أمية بكل ما يجد اليه سبيلا هذا وقد كان اليهود البهت مخالطين لهم ، وكان بعضهم قد أظهر لهم الدخول معهم فى المقالة ، وانما كان ذلك مكرا منه وخديعة ، وحيلة للفساد ، وتدبرا منه عليهم ، ليبطل الامر ويضمحل ٠

فهذا اصلحك الله أصح دليل وأوضح برهان لا يخيل الا على من قد اعمى الجهل بصره ، وطمس على قلبه ، والا فاية حجاة أو اى شىء من الشرح أكثر مما قد شرحنا ؟ ولولا انك الرجل الذى قد قرأت كتب سرا ئر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف أصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحق رحمك الله فيه بعض مرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة ، فلهذا السبب قد اكتفينا بما ذكرناه ، فأصبر للمرارة اليسيرة من الدواء ، تعقبك حلاوة كثيرة فى العاقبة ، على انك تعلم وكل من

ينظر فى كتابنا هذا أننا لم نكتب اليك بشىء زيادة على ما فى كتابك من ذات أنفسنا ، بل ولم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العـــدول لثقاة عندكم ، المأخوذ بقولهم ، المعول فى الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها فى صحتها وأنهم لم يتزيدوا فيها ولا مالوا الى أحـــد الفريقين . وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهـــدنا من الكتاب أنه انه هو كلام منثور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى ينسق ، بل هو متناقض كله ينقض بعضه بعضا فقد صح عندنا وعند كل ذى لب أن الذى نقلوه الينا من خبره هو على ما حكوه ، ولولا كراهيتنـــا للتطويل لشرحنا من تناقضه وتفاوت معانيه ، وأخبار أصل جمعه اكثر مما شرحنا . ولكن فيما اثبتنا كفاية لذوى الالباب والعقول » اهـ .

فأقول وبالله التوفيق : الكلام على هذه العبادات الملفقة والاكاذيب المصنعة والخزعبلات المتهافتة ، والمسائل المتناقضة فى ثلاثة فصـــول وخاتمة .

الفصل الاول فيما قاله أهل السنة والجماعة من المسلمين فى كيفية جمع القرآن الكريم ، الفصل لثانى فيما قاله الشيعة الامامية فى ذلك. الفصل الثالث فى التنقير فى كلماته المتغايرة وتزييف عباراته المتنافرة وبيان مافيها من الاختلاف والبهتان الذى سود به وجه الاوراق الخاتمة فى نبذة من الادلة على تحريف التوراة والاناجيل ، وكيفية تأليفها وبيان ما فيهما من التناقض ولتبديل ، واختلاف النسخ والتراجم ومستهجن الاباطيل . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الفصل الاول : قال الشيخ الامام الوالد فى مقدمة روح المعانى ما ملخصه : « اعلم ان القرآن جمع أولا بحضرة النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم فقد أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نؤلف القرآن فى الرقاع أى يجمعوه فى الرقاع • وهى جمع رقعة بالضم — التى تكتب — ثم أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه امر زيد ابن ثابت بعد مقتل أهل اليمامة وقتل كثير من قراء القرآن وحفظته أن يجمع القرآن ثانيا أى يتبعه من الرقاع المكتوبة أولا وصدور الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه خشى أن ينقرضوا ، ولعل عند احدهم كلمة لبست فى تلك الرقاع ، اذ ربما يكون فيها سهو من كاتب بأن اسقط حرفا أو نحوه فتقابل تلك الرقاع احتياطا لها ، مع حفأظ القرآن ليكون الأمر فى غاية الضبط والحفظ •. وهذا الحال موافق لقوله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وما شاع ان عليا كرم الله وجهه لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تخلف بجمعة ، فبعض طرقه ضعيف لا يعول عليه وبعضها موضوع وما صح فمحمول كما قيل على الجمع فى الصدر ، وقيل كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر مثل أن يجمعه على ترتيب نزوله • ويؤيده : أنه على ما قيل كتب فيه الناسخ والمنسوخ ، فهو ككتاب علم •

وقد اخرج ابن أبى داود بسند حسن عن عبد خير قال سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يقول : اعظم الناس فى المصاحف أجرا ، أبو بكر رحمة الله تعالى على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله — اى على الوجه الذى تقدم — وما اشتهر ان جامعه عثمان رضى الله تعالى عنه فهو على ظاهره باطل ، لانه رضى الله تعالى عنه انما حمل الناس فى سنة خمس وعشرين على القراءة بوجه واحد ، باختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار ، لما خشى الفتنة من ختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات :

فقد روى البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه ان حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال أدرك الأمة قبل ان يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى • فأرسل الى حفصة بنت عمر رضى الله عنهما ان ارسلى الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليه فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، فنسخوها فى المصاحف ، ثم رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، قال زيد ففقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخ المصحف ، قد كنت اسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة ابن ثابت الأنصارى (وهى) : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله » الحقناها فى سورتها فى الصحف •

وقد ارتضى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان على المرتضى كرم الله تعالى وجهه قال على ما أخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه «لا تقولوا فى عثمان الأخيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملأ منا» وفى رواية «لو وليت لعملت بالمصاحف الذى عمله عثمان» •

وما نقل عن ابن مسعود انه لما أحرق مصحفه قال : «لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كما صنعوا بمصحفى» كذب كسوء معاملة عثمان معه التى يزعمها الشيعة حين أخذ المصحف منه وهذا الذى ذكرناه من فعل عثمان رضى الله تعالى عنه هو ماذكره غير واحد من المحققين ، حتى صرحوا بأن عثمان لم يصنع شيئا فيما جمعه أبوبكر من

زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب ، سوى أنه جمـع الناس على القراءة بلغة قريش محتجا بأن القرآن نزل بلغتهم ، ووافقه على ذلك جمهور الصحابة .

ويشكل عليه ما مر آنفا من قول زيد : ففقدت آية من الأحزاب الى آخره فانه بظاهره يستدعى أن فى المصاحف العثمانية زيادة لم تكن فى هاتيك الصحف ، والأمر فى ذلك هين ، إذ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرة يعبأ بها ولعلها تشبه مسألة التضـاريس ، ولو كان هناك غيرها لذكر ، وليس فليس ولا تقدح أيضا فى الجمع السابق اذ يحتمل أن يكون سقوطها فى الكتابة من باب الغفلة ، وكثيرا ما تعترى السارحين فى حضائر كلام الله سبحانه ، فيذكرهم جل شأنه بما غفلوا فتداركون ما غفلوا وزيد هذا كان فى الجمعين ، ولعله الفرد المعـول عليه فى البين ، لكن عراه فى أولهما ما عراه ، وفى ثانيهما ذكره من تكفل بحفظ الذكر فتدارك ما نساه ، وبعد انتشار هذه المصاحف بين هذه الأمة المحفوظة لا سيما الصدر الأول الذى حوى من الاكابر ماحوى ، وتصدر فيه للخلافة الراشدة على المرتضى ، وهو باب مدينة العلم لكل عالم ، والأسد الأشد الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم ، لايبقى فى ذهن مؤمن احتمال سقوط شىء من القرآن .

وما زعمه الشاذ من علماء الشيعة من سقوط بعض آيات منه فليس عليه أضعف برهان ، وقد رده من الفرقتين علماء هذا الشأن .

ثم أعلم ان ترتيب آية وسورة بتوقيف من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آما ترتيب الآى فكونه توقيفيا مما لا شبهة فيه ، حتى نقل جمع منهم الزركشى والبرهان وأبو جعفر فى المناسبات ، الاجماع عليه

من غير خلاف بين المسلمين ، والنصوص متظافرة على ذلك وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديا أو توقيفيا خلاف والجمهور على أنه توقيفي أيضا قال أبوبكر الانبارى انزل الله تعالى القرآن كله الى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا بالمستخبر ، فيوقف جبريل عليه السلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فمن قدم أو أخر فقد أفسد نظم القرآن وقال الكوماني في البرهان : ترتيب السورة هكذا عند الله تعالى في اللوح المحفوظ كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجمع عنده مثلا وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين .

قال الوالد عليه الرحمة ان ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح المحفوظ من القرآن وحاشا أن يهمل صى الله تعالى عليه وسلم أمر القرآن وهو نور نبوته ، وبرهان شريعته ، فلا بد من التصريح بموضع الآي والسور ، وإما من الرمز إليهم بذلك وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب أقوى دليل ، على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما ، فلا ينبغي بعد اجماع الأمة أن يصاخ الى آحاد الأخبار ، ولا يشر أب الى تطلع الشاذ والغريب من الآثار ، فافهم ذاك والله تعالى يتولى هداك .

الفصـــل الثـــانى

وأما ما عليه جمهور علمـــاء الشـــيعة الامامية الاثنى عشرية أن القرآن المجيد محفوظ عن التغيير والتبديل ، والموجود الآن هو الذى أنزل على سيد ولد عدنان من غير زيادة ولا نقصان وإما من زعم منهم غير هذا فقوله مرد ودغير مقبول عندهم أيضا قال الشيخ الصـــدوق أبو جعفر محمد بن على بن بابويه ، الذى هو من أعظم علماء الامامية الاثنى عشرية فى رسالته الاعتقادية ، ما عبارته « اعتقادنا فى القرآن: إن القرآن الذى انزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والســـلام هو ما بين الدفتين ، وهو ما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربعة عشر سورة ، وعندنا والضحى وألم نشرح سورة واحدة ولإيلاف وألم تركيف سورة واحدة ومن نسب الينا انا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب» اهـ .

وفى تفسير «مجمع البيان» الذى هو تفسير معتبر عند الشيعة ، ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجـــد أبو القاسم على بن الحسين الموسوى ، أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عيه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعـــه فى ذلك الزمان حتى عين على جمـــاعة من الصحابة فى حفظهم ، وأنه كان يعرض على النبى صلى الله تعـــالى عليه وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القـــرآن على النبى صلى الله تعـــالى عليه وسلم عدة ختمات وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا مبثوث . وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث

نقلوا أخبارا ضعيفة، ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته انتهى .

وقال السيد المرتضى أيضا : أن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث ، والوقائع العظام المشهورة ، واشعار العرب المسطورة . فان العناية اشتدت ، والدواعى توفرت على نقله ، وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وعنايته الغاية ، حتى عرفوا كل شىء فيه ، من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد» اهـ .

وقال القاضى نور الله الشوشترلى الذى هو من علمائهم المشهورين فى كتابه المسمى بـ «مصائب النواصب» ما عبارته «مانسب الى الشيعة الأمامية بوقوع التغير فى القرآن ، ليس مما قال به جمهور الامامية ، إنما قال به شرذمة قليلة منهم لااعتداد بهم ، فيما بينهم» اهـ .

وقال الملا صادق فى شرح الكلينى ما لفظه «يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثانى عشر ، ويشهر به» اهـ .

وقال محمد بن الحسن الحر العاملى — الذى هو من كبار المحدثين — فى الفرقة الامامية فى رسالة كتبها فى رد بعض معاصريه ما عبارته بالفارسية : «بركبى كه تتبع أخبار وتفحص تواريخ ، وآثار نموه بعلم يقينى ميداندكه قرآن ورغايت ، وأعلى درجة تواتر بوده ، وآلاف صحابة حفظ ونقل ميكر وند آثرا ودر عهد رسول خدا صلى الله تعالى عليه وسلم مجموع ومؤلف بود» اهـ .

فظهر أن المذهب المرضى المحقق عند علماء الفرقة الامامية أن القرآن الذى أنزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو ما بين الدفتين ، وهو مافى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك وإنه كان مجموعا مؤلفا فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظه ونقله ألوف من الصحابة وجماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى عليه الصلاة والسلام عدة ختمات ، وأنه يظهر ويشتهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثانى عشر رضى الله تعالى عنه ، والشرذمة النذرة التى قالت بوقوع التغيير لاعتداد بها وقد رد العلماء أقوالها والأخبار الضعيفة لا يرجع اليها عن المعلوم المقطوع بصحته ، وهذا حق لأن خبر الواحد إذا اقتضى علما ، ولم يوجد فى الأدلة القاطعة ما يدل عليه ، وجب رده على ماصرح به **ابن المطهر الحلى فى كتابه المسمى بـ « مبادىء الوصول الى علم الأصول»** .

وقد قال الله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وفى تفسير «الصراط المستقيم» الذى هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة أى «إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان اه .

وقال الوالد عليه الرحمة «وزعم بعض الشيعة أن عثمان بل أبا بكر وعمر أيضا أسقطوا بعضا من آياته ولما تفطن له علماؤهم ردوه ومنهم الطبرسى فى « مجمع البيان» حيث قال «اما الزيادة فى القرآن فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان فقد روى عن قوم من أصحابنا وقوم من حشوية العامة والصحيح خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات وذكر فى مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والكتب المشهورة واشعار العرب المسطرة فان الغاية

اشتدت والدواعي ترفرت على نقله وحراسته ، وبلغت الى حد لم تبلغه بما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابة وقراءاته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا ومنقوصا الى العناية الصارفة والضبط الشديد» وقال أيضا : «ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته • وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبوية ، والمزنى ، فان أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها ، حتى لو أن مدخلا ادخل فى كتاب سيبويه بابا من النحو ، ليس من الكتاب ، لعرف وميزانه ملحق ، وانه ليس من اصل الكتاب • وكذا القول فى كتاب المزنى ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ، ودواوين الشعراء» •

وذكر أيضا أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن • واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان ، وانه كان يعرض على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ختمات • وكل ذلك يدل بادنى تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير منثور ولا مبثوث » وذكر « أن من خالف ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته » انتهى •

الفصل الثالث

فى التنقير فى كلماته :

قوله : « فلما ارتد القوم » الخ ..

فنقوله : نعم ان ارتداد بعض قبائل العرب عن دين الاسلام لا يخدش صحة النبوة كما سيأتى ، بل هذا أيضا من دلائل النبوة والعلامات الدالة على حقية خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ، فقد قال العماء فى الكلام على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » مدح الله تعالى فى هذه الآية الكريمة الذين قاتلوا المرتدين بأكمل الصفات وأعلى المبرات . وقد وقع ذلك من الصديق وانصاره بالاجماع ، لان ثلاث فرق قد ارتدت فى آخر عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

الاولى : بنو مدلج قوم الاسود العنسى ذى الخمار الذى ادعى النبوة فى اليمن ، وقتل على يد فيروز الديلمى .

الثانية : بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب المقتول فى أيام خلافة الصديق على يد وحشى .

الثالثة بنوا سد قوم طليحة بن خويلد المتنبىء ولكنه آمن بعد أن ارسل النبى عليه الصلاة والسلام خالدا وهرب منه الى الشام وقد ارتد فى خلافة الصديق سبع فرق . وهم بنو فزارة قوم عيينة

بن حصن ، وبنو غطفان قوم قرة بن سلمة ، وبنو سليم وتنو يربؤع، وبعض بنى تميم قوم سجاح بنت المنذر ، وبنو كندة قوم اشعث ابن قيس الكندى ، وبنو بكر فى البحرين •وارتدت فرقة فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ، وهم جبلة بن الأيهم وأصحابه ، بسبب اللطمة لما أراد عمر اجراء القصاص عليه ، والتحق بنصارى الروم • وقد استأصل الصديق رضى الله تعالى عنه كل فرقة ، واستردهم الى الاسلام كما أجمع عليه المؤرخون •

ثم اى دليل فى ردتهم على عدم نبوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهؤلاء بنو اسرائيل لما خرجوا من مصر وذهب موسى عليه السلام لتكليم الرب سبحانه ، ارتد بنو اسرائيل مع وجود هارون فيهم ، وعبدوا العجل • فهل دل ذلك على بطلان نبوة موسى عليه السلام ؟ وهذا عيسى المسيح لم يتبعه فى حياته الا أقل القليل من الناس ، ومع هذا لما أرادوا اليهود قتله فر عنه أصحابه ، وأنكره اخص حواريه • وهو « بطرس » وأسلمه « يهوذا » لليهود ، ولم يبق معه أحد أبدا ، فهل خدش ذلك امر **نبوته عليه السلام ؟ وهذا نوح ولوط وصالح وغيرهم لم ينقص من أمر نبوتهم كفر أقوامهم** شيئا ، كما لا يخفى على كل ذى عقل منصف •

قوله : « وحبس على بن أبى طالب عن تسلم الامر » •

فنقول : ان هذا ليس له مدخل فى أمر النبوة وصدقها لأن هذا أمر عائد الى المسلمين ، فمن أقر بالنبوة لا تعكر عليه هذه المسألة، وأى دخل لها فى شأن الرسالة ؟ وليت شعرى هل يصح استدلال يهودى على بطلان دين المسيح بأن فرق النصارى أختلفوا فى البابا فالبروتستنت تقول فى شأنه مانقول ، والكاتولك تجعله كالاله والرسول

ثم ان هذا أيضا خلاف الواقع لان عليا كرم الله تعالى وجهه لم يمنع عن حقه ، ولم يحبس عنه ما يستحقه ، لان أمر الخلافة عائدا الى المسلمين ، وهم يعلمون أن ذلك أولى من يصلح لها فرأوا ان عليا رضى الله تعالى عنه حدث السن اذ ذاك ، وأنت أيها النصرانى قد ادعيت أيضا انه صغير السن وقليل التجربة للامور ، وأبو بكر رضى الله تعالى شيخ مجرب الامور ، فرأى المسلمون أولويته بهذا الامر ، لاسيما والنبى عليه الصلاة والسلام قدمه للصلاة فى مرضه بالناس ، وأشار اشارات كثيرة الى خلافته ، فبايعه المسلمون لعلمهم بأولويته ، فكان الامر كذلك • واما فضل على رضى الله تعالى عنه وقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشجاعته وعبادته وكرمه وجودة عقله ودرايته ، فشىء لايجحده جاحد ، ولا يقدر على كتمانه حاسد والذى يضحك الثكلى عزوك اليه رضى الله تعالى عنه أنه حدثته نفسه بدعوى النبوة ، فهل هذا الا أختلاف صرف ، وبهتان بحت ، لاتقبله الاطفال فضلا عن كمل الرجال •

وليت شعرى فى أى **كتاب رأيت ذلك ؟ وعمن رويت ما هنالك؟** وكيف تسنى لقلمك أن يجرى بهذا الكذب الصراح الظاهر ظهور الصباح •

قوله : « فاندسا الى على » :

لا يخفى عليك كذب هذا ايضا ، فان عبد الله بن سلام أسلم بعد الهجرة ، وكعب أسلم فى آخر خلافة أبى بكر كما تقدم سابقا •

قوله : « فقالا له : ألا تدعى أنت النبوة الى آخره •

قول : لعل هذا النصرانى أخذ هذا من رسالة الزنديق أبى حيان

التوحيدى : على بن محمد بن العباس أو هو اخذه من رسالة النصرانى ان قلنا بتقدمها ففى لسان الميزان للحافظ العلامة بن حجر العسقلانى عليه الرحمة فى ترجمته ما بعضه « التوحيدى نفاه الوزير المهلبى لسوء عقيدته، وكان يتفلسف وظهر منه القدح فى الشريعة ، والقول بالتعطيل ، كما قال ابى فى كتاب الخريدة • وقال الامام ابن الجوزى عليه الرحمة : كان زنديقا • وقال جعفر بن يحيى الحكاك: قال لى ابو نصر السنجرى : انه سمع ابا سعيد الماليني يقول : قرأت الرسالة المنسوبة الى أبى بكر وعمر مع أبى عبيدة الى على رضى الله تعالى عنهم ، على أبى حيان ، فقال : هذه الرسالة عملتها ردا على الروافض • وسببها : أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء — يعنى ابن العميد — فكانوا يغالون فى على فعملت هذه الرسالة » فقد اعترف بالوضع • ونقل العلامة ابن الصلاح عن بعض العلماء : « ان أبا حيان قصد بهذه الرسالة الطعن على الصدر الاول ، فمن ذلك ما قاله فيها : ان عمر رضى الله تعالى عنه قال لعلى كرم الله تعالى وجهه فيما خاطبه به انك اعتزلت تنتظر وحيا من جهة الله تعالى ، وتتوكف مناجاة الملك • وبقى أبو حيان الى حدود الاربعمائة » انتهى• قلت : فاذا قلنا هذه الرسالة التى رددناها لعبد المسيح ، وأنه الفها كما زعم فى عصر المأمون العباسى ، فيكون أبو حيان استمد منها فى اخلاقه ، وان قلنا : انها لغيره من نصارى هذا الوقت ،فيكون مؤلفها أخذ ما قاله هنا من رسالة **أبى حيان المفتعلة • وعلى كلا التقديرين** فقد خذ زنديق • ونقل للعقلاء ما لا يليق • فافهم والله سبحانه ولى التوفيق •

قوله : « وقد احس بما كان نسطوريوس الراهب عليه »

قد قدمنا لك أيضا ما جرى من أمر نسطوريوس الذى عناه هذا

النصرانى ، وأنه هوالمسمى سرجيس المعروف ببحيرى الراهب ، ولم يجتمع مع **النبى عليه الصلاة** والسلام الا مرة واحدة ، حين ذهابه صغيرا مع عمه أبى طالب الى الشام ، ولم يأت مكة ولا المدينة أبدا كما شهدت به تواريخ النصارى ، التى مر لك ما فيها . فما هذا الا اختلاق صرف كأمثاله من الخزعبلات التى سطرها هذا النصرانى، ولم يقلها غيره ولا يقبلها **كل من له أدنى عقل والمام بتراجم الرجال واطلاع على التواريخ والاحوال . وسيأتى** أن شاء الله تعالى ما يتعلق ببحيرا أيضا فلا تغفل .

قوله : « وكانا قد عمدا الى ما فى يد على بن أبى طالب من الكتاب الذى دفعه اليه صاحبه » الى أخره .

فهذه أيضا من مخترعات هذا النصرانى لأن القرآن المجيد حفظته الصحابة فى صدورها على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكتبته واشتهر فيما بينهم اشتهار الشمس فى رابعة النهار ، وكانوا يتلونه فى صلاتهم أناء الليل وأطراف النهار ،فكيف يتسنى لأحد الزيادة فيه أو التنقيص ؟ والآن هو عند جميع فرق المسلمين من السنة والشيعة ليس فيه اختلاف ولا زيادة ولا نقصان ، ولا فيه اختلاف كلمة ، أو حرف واحد مخل . وهذا **والحمد لله تبارك وتعالى ليس** كالاناجيل **المؤلفة** بعد المسيح بسنين عديدة ، وفيها اختلاف وتناقض لا يقبل المكابرة والتأويل ، كما قدمنا .

قوله : « فأدخلا فيه أخبار التوراة » الخ .

لا يخفى أن هذا كقول اخوانه ان القرآن أساطير الأولين . وقد ذكر سبحانه فى غير ما آية : أن القرآن فيه من التوراة وغيرها . وهذا

من أعظم الدلائل على انه منزل منه سبحانه كما عرفته فى محله • وقد قال تعالى : « انه لفى زبر الأولين » وقال تعالى : « ان هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » وكيف يتصور عاقل أن يدخل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار شيئا فى القرآن لانهما ان كانا أسلما ظاهرا وباطنا ، فلا يمكن أن يزيدا أو ينقصا شيئا فيه ، وان كانا قد اسلاما ظاهرا فقط ، وأنهما قد بقى فى قلوبهما اليهودية واعتقاد أحقيتهما ، فلا يتصور ان يدخلا ذم اليهود وتكفيرهم • فهذا من عبد المسيح قول قبيح ، لا يقبله من يتصدى من المنصفين للتنقيح ، فافهم •

قوله : « وزادا تلك الشناعات كقولهما : » : « قالت النصارى ليست اليهود على شىء » الاية •

أقول : لعمر الله انه ليس فى هذا شناعة ، بل هو عين الواقع إذ هما من وقت المسيح الى الآن تقول النصارى ان اليهود ليسوا على شىء يعتد به فى الدين، وتقول اليهود فى حق النصارى كذلك ، فهم يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، وممتلىء قلب كل فرقة منهما على الاخرى حقدا وبغضا • فهل أتى القرآن **بشىء زائد على الواقع أو عزى الى أحد الفريقين ما لم يصدقه كل سامع ؟**

ولنذكر لك ما قاله المفسرون فى هذه الآية الكريمة وذلك قوله تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » المراد يهود المدينة ووفد نصارى نجران ، تمادوا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسابوا وأنكرت اليهود الانجيل ونبوة عيسى عليه السلام وأنكرت النصارى التوراة ونبوة موسى عليه السلام قال فى الموضعين للعهد • وقيل : المراد

عامة اليهود وعامة النصارى ، وهو من الاخبار عن الأمم السابقة • وفيه تقريع لمن بحضرته عليه الصلاة والسلام وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أن كذبوا بالرسل والكتب قبله ، فأل فى الموضعين للجنس « وعلى شىء » خبر ليس ، وهو عند بعض من باب حذف الصفة أى شىء يعتد به فى الدين ، لانه من المعلوم أن كلا منهما على شىء • والاولى عدم اعتبار الحذف • وفى ذلك مبالغة عظيمة لان الشىء **كما يشير اليه كلام سيبويه** ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فاذا نفى مطلقا كان ذلك مبالغة فى عدم الاعتداد بما هم عليه ، وصار كقولهم أقل الى أن من كان عالما بالقرآن لا ينبغى **أن يقول خلال ما تضمنه ، والمراد من الكتاب** الجنس ، فيصدق على التوراة والانجيل وقيل المراد به التوراة لان النصارى تمتثلها أيضا كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم » وهم مشركو العرب فى قول الجمهور • وقيل مشركو قريش والكاف من كذلك فى موضع نصب ، على انه نعت لمصدر محذوف منصوب ، **يقال** مقدم عليه أى قولا مثل قول اليهود والنصارى « قال الذين لا يعلمون » ويكون « مثل قولهم » على هذا منصوبا بيعلمون ، من لا شىء وهم يتلون الكتاب أى قالوا ذلك وهم عالمون أما فى كتبهم الناطقة بخلاف ما يقولون وفى ذلك توبيخ لهم وارشاد للمؤمنين والقول بمعنى الاعتقاد ، أو يقال : على أنه مفعول به ، وقيل « كذلك » مفعول به ، و «مثل» مفعول مطلق والمقصود تشبيه القول بالقول فى المؤدى والمحصول ، وتشبيه القول بالقول فى الصدور عن مجرد التشهى والهوى والعصبية ، وانما وبخوا وقد صدقوا اذ كلا الدينين بعد النسخ ليس بشىء ، لانهم لم يقصدوا ذلك ، وانما قصد كل فريق ابطال دين الآخر من أصله ، والكفر بنبيه وكتابه ، على انه لا يصح الحكم بأن كلا الدينين بعد النسخ بشىء يعتد به ، لان المتبادر منه أن

لا يكون كذلك فى حد ذاته ، وما لا ينسخ **منهما حق واجب القول والعمل ، فيكون شيئا معتدا** به فى حد ذاته ، وان لم يكن شيئا بالنسبة اليهم لانه لا انتفاع بما لم ينسخ مع الكفر بالناسخ « فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» قال الحسن البصري: المراد بالحكم بين هذين الفريقين تكذيبهم وادخالهم النار والمراد الحكم بين اليهود والنصارى ، لا بين الطوائف الثلاثة ، لان مساق النظم لبيان حال تينك الطائفتين ، والتعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم » انتهى •

فاى شناعة فى هذه الآية التى لا يخفى صدقها وفصاحتها وبلاغتها ومطابقتها لنفس الأمر ، ومقتضى الحال ؟ والعجب ان هذا النصرانى نسب الشناعة لها ، مع أنه عربى اللسان ، ويزعم أنه يطلب الانصاف فى هذا الميدان مع ركوبه على حرن التعصب وجموح التجاهل والبهتان، وأنه تناسى ما فى التوراة والانجيل الموجودين الآن من الشناعة والتناقض ، اللذين لا يخفيان على انسان ، كما فصلناهما غير مرة فى هذا الكتاب ، ونقلنا منهما ما فيه العجب العجاب •

ومن ذلك آية زناء لوط بابنتيه فى سكره ، وكذا نوح عليه السلام شرب الخمر وزال عقله ، وكذا أن المسيح اله العالمين • ويقول عندما صلبته عبيده اليهود « ايل ايل لم شبقتنى اى الهى الهى لم تركتني »؟ وكذا أن عيسى عليه السلام يقول لرسله : « اذهبوا واكرزوا بالانجيل ولا تخافوا من شىء » ثم يقول لليهود : « أنتم أبناء الافاعي وقتلة الأنبياء وسيقتلون رسلى بعد ذلك » وغير هذا مما تركناه خشية التكرار وسآمة التطويل ، وسيأتيك أيضا زيادة على هذا فانتظرها ولا تغفل •

قوله : « ومثل الاعاجيب وذلك الناقض » الى آخره •

فيقال له : ان كلامك هذا من أعظم الأعاجيب لانك ادعيت أنك عربى كندى فكيف خفيت عليك مزايا القرآن العظيم وفصاحته وبلاغته وارتباط بعض آياته ببعضها ومناسباتها التامة وصدقها ومطابقتها لمقتضى الحال ، وكيف نسيت ما وقع من التناقض فى أناجيلكم المتعددة التى تنوف على عشرة أناجيل ؟ وكيف تعاميت عما وقع فى الأربعة من الاباطيل ؟ وكيف سكت عن تعدد مؤلفيها وكثرة ناقليها وخفاء حال آخذيها عن المسيح أو أمه مريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وكيف لم تنظر الى أناجيلكم المطبوعة ؟ اذ كل نسخة منها لا توافق الثانية ، وكلما يطبع منها شىء فهو غير مطابق لما قبله ، ورميت القرآن المجيد **بما هو عن الحق بعيد . فهل هذا الا اتباع لهوى النفس وتغطية بثوب مخرق لعين الشمس .**

والنجم تستصغر الابصار رؤيته

والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

قوله : « ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت » ان أراد بهذا أن فيها اختلافا فهذا قد سمع جوابه أولا ، وانه ليس فيها ولا فى غيرها اختلاف ، وكيف يتصور ذلك والنبى عليه الصلاة والسلام أفصح الفصحاء ، وأكمل العقلاء ؟ فكيف يتحدى بكلام مغاير لكلام العرب العرباء ؟ **وهل يتصور** أن يتناقض فيها ويخالف ظاهرها لخافيها ؟ وان أراد أن هذه التسميات فيها عجب فيقال له : لا عجب فى الاسماء ، لانها كلها نازلة من السماء والعجب أن دعواكم بأن الانجيل كلام الله تعالى ، وأنه انزله على الاله الثانى الذى هو المسيح وتسمونه انجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل فلان وفلان ، الى عشرين . وتذكرون

فيه بحث موت المسيح ودفنه ، وخروجه من القبر ومجيئه الى النساء وغيرهن ، فاذا كان الامر كذلك ، فكيف تقولون الانجيل كلام الله سبحانه وهو منسوب لمرقس ويوحنا وغيرهما ، وفيه أخبار المسيح بعد موته ؟ فهذا هو العجب لا تسمية السورة بسورة النحل من العجيب ، عند كل مهذب أريب ، غير عابد للصليب •

واعلم ان السورة كما قال المفسرون مهموزة وغيرهم بابدال ان كان من السور ، وهو البقية لان بقية كل شيء بعضه ، وبدونه ان كان من سور البناء وهي المنزلة أو سور المدينة لاحاطتها بآياتها أو من التسور ، وهو العلو والارتفاع لارتفاعها بكونها كلام الله تعالى • وتطلق على المنزلة الرفيعة كما فى قول النابغة :

الم تران الله اعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتذبذب

وحدها قرآن يشتمل على ذى فاتحة وخاتمة وقيل طائفة مستقلة مترجمة وفيقا • وقد ثبتت أسماء الجميع بالأحاديث والآثار فمن قال من العلماء بكراهة أن يقال : سورة كذا بل سورة يذكر فيها كذا ، بناء على ما روى عن أنس وابن عمر من النهى عن ذلك ، لا يعتد به ، اذ حديث انس ضعيف ، أو موضوع ، وحديث ابن عمر موقوف عليه ، وان روى عنه بسند صحيح ، وقد روى فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : « هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة » وحمل بعضهم » الكراهة على مبدأ الامر ثم نسخ النهى ، وشاعت التسمية من غير نكير عند الجمهور •

قوله : « فأنظر أيها العادل وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله » •

أقول : نظرنا فوجدناه على ما قال الزقاه ، أنه ان صح فهو محمول على جمع القرآن وترتيبه ، كما أنزل واثبات الناسخ والمنسوخ فيه فهو ككتاب العلم ، أو المراد جمعه فى صدره، والعجب من هذا النصرانى يعترض بمثل هـذا الاعتـراض الذى له أجوبة عديدة صحيحـة ، ولا يخشى أن يقال له ما معنى انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل مرقس وانجيل يوحنا مع أن الانجيل واحد ، وهو انجيل عيسى الذى اوحى اليه به ؟ فكيف صار أربعة أو اكثر ؟ وكيف تخالفت رواياته واثبتت بعد سنين عيدة آياته ، وزيدت فيه كيفية وفاته ، وعوده الى حياتـه. ومن احقق أن النصارى ليس لهم جواب عن هذا الى نزول المسـيح وقيامته .

ثم اعلم أن القرآن كله كتب على عهد النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم لكن غير مجموع فى موضع واحد ، ولا مرتب السور ، وانما لم يجمع اذ ذاك فى المصحف ، على ما قال الامام الخطابى لما كـان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء لوعد الصـادق بضـمان حفظه ، على هـذه الأمة المحمدية زادها الله تعالى شرفا — فكان ابتـداء ذلك على يد الصديق رضى الله تعالى عنه بمشورة عمر رضى الله تعالى عنه ، ثم إجمـاع الصحابة والمسلمين على ذلك ويؤيده ما أخرجه ابن أبى داوود باسناده عن عبد خير قال سمعت عليا يقول «أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر ، هو أول من جمع كتاب الله » .

وأما ما روى من طريق ابن سيرين ، قال على لما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آليت أن لا آخذ على ردائى الا لصـلاة

جمعة ، حتى أجمع القرآن فجمعه» فاسناده ضعيف لانقطاعه ، وعلى تقدير أن يكون محفوظا ، فمراده بجمعه حفظه في صدره — قال قال الحافظ ابن حجر « وما تقدم من رواية عبد خير عن على أصح، فهو المعتمد » وقد قدمنا ما يتعلق بهذا أيضا ، فتذكر .

قوله « وأنت تعلم أن الحجاج بن يوسف أيضا جمع المصاحف، وأسقط منها أشياء كثيرة» .

أقول : الله تعالى يعلم ونحن نعلم أن هذا الكلام كذب وبهتان صرف ، فمتى علم أحد أن الحجاج جمع القرآن والقرآن كما قدمناه، جمعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه ثم استنسخ عثمان رضى الله تعالى عنه أربع نسخ على النسخة التى كانت عند حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما فأرسلها إلى البلاد ، وأبو بكر لم يزد فيه ، ولم ينقص عما علمه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة فحفظوه وكتبوه وقد روى الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد العزيز بن رفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، فقال له شداد بن معقل أترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شىء ؟ قال ماترك إلا ما بين الدفتين قال ودخلنا على محمد بن الحنفية بن على ابن أبى طالب فسألناه ، فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ، قال الحافظ ابن حجر أى مافى المصحف وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعا بين تركه القرآن مجموعا بين الدفتين ، لأن ذلك يخالف ماتقدم من جمع الدفتين ، قال الحافظ ابن حجر أى مافى المصحف وليس المراد أنه أبى بكر رضى الله تعالى عنه وهذه الترجمة للرد على من زعم من الشيعة أن بعض الآيات الدالة على استحقاق على كرم الله تعالى وجهه للخلافة ، كانت ثابتة فى القرآن ، وأن الصحابة كتموها وهى

دعوى باطلة من وجوه عديدة وهذا قول مختلق . وقد تلطف البخارى فى الاستدلال على هذا الزاعم من الروافض بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية ، وهو ابن على رضى الله تعالى عنه ، فلو كان هناك شىء ما يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه . وكذلك ابن عباس ، فانه ابن عم على ، وأشد الناس لزوما له واطلاعا على حاله » انتهى ملخصا وكيف يمكن أن يجمع الحجاج القرآن بعد أن انتشر فى كافة البلاد وحفظه فى صدورهم ألوف عديدة من العباد فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ والحجاج إنما توفى سنة خمس وتسعين الهجرة ، أميرا فى الكوفة من قبل عبد الملك بن مروان، ولم يكن خليفة ، مع أن الخليفة الذى ولاه لو أراد ذلك ، لاستحال عليه لأن القرآن فى ذلك العصر قد كتبت منه الالوف العديدة فى قريب البلاد وبعيدها ، وحفظه فى صدره الكبير والصغير ، وهذا ليس مثل الانجيل الذى هو غير محفوظ بالمعنيين كما هو الآن مشاهد بالعين .

نعم ان الحجاج أمر بجعل شكل الفتحة على الكلمة المفتوحة ، والضمة على الكلمة المضمومة ، والكسرة على الكلمة المكسورة ، وبجعل نقط الحروف وأى دخل لذلك فى القرآن العظيم بالنسبة إلى كلماته وحروفه من جهة الزيادة والنقصان ؟ والمسلمون لا يأخذون برويته إذا روى حديثا فكيف يأخذون عنه قرآنا مكتوبا فى مصاحفهم ، ومنشورا فى كافة بلادهم ، ومحفوظا فى صدور صغارهم وكبارهم ، ولو فرضنا المحال ان أهل مصر تابعوه على ذلك ، فكيف يتمكن من أهل الشام؟ الذين فيهم الخلفاء الأمويون ، وسائر البلاد الشاسعة ومن المسلمين الحافظين للقرآن الموجودة نسخة عندهم وهم فى مشارق الأرض ومغاربها منتشرون ، وعن المنكر ناهون ، وبالمعروف آمرون والحجاج عند كافة المسلمين معدود من جملة الظالمين الفاسقين ، المردودين .

وليت شعرى من أين علم هذا النصرانى ذلك ، ولم يذكره أحد من جميع أهل المماليك ؟ فما هذا والله إلا اختلاق ، ولم يسمعه إلى الآن أحد من أهل الشام واليمن والحجاز والعراق ، ولم يصدر إلا عمن تمكن فى قلبه الكفر والنفاق نعم قال ابن خلكان وحكى العسكرى فى كتاب التصحيف : « ان الناس عبروا يقرأون فى مصحف عثمان بن عفان نيفا وأربعين سنة ، الى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : إن نصربن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط أفرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنهم فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط الاعجام، فاذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة ، فلم توف حقوقها اعترى التصحيف، فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها الا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين » اهـ .

وفى الاتقان للامام السيوطى عليه الرحمة « اختلف فى نقط القرآن وشكله ويقال : أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى بأمر عبد الملك بن مروان وقال الحسن البصرى ويحى بن يعمر ، وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام الخليل وقال يحيى بن أبى أبى كثير ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث فى المصاحف إلا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقال ابن مسعود جردوا القرآن ولا تخلطوه بشىء وهذا لا دخل له فى نفس القرآن الكريم ولا فى كلماته ولا حروفه لا بزيادة ولا بنقصان ، على تقدير صحته ، ولا يفيد إلا أنه أمر الحجاج بالنقط فى جميع ما يكتب ، لا بالقرآن فقط ، فاعرف وانصف .

قوله « فكتاب الله لا يجمع ولا يسقط منه شىء» .

فنقول : نعم ان الله سبحانه متكفل بجميع القرآن كما قال سبحانه : « ان علينا جمعه وقرآنه» وقد جمع كما أخبر سبحانه ، ولم يسقط منه شيء كما قال عز من قائل: «إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد حفظه من زيادة الزنادقة وتنقيصهم وتحريف الكفرة وتبديلهم كما وعد سبحانه وتعالى لكن أخبرنا : هل جمع متى ولوقا ومرقس ويوحنا الإنجيل ؟ وهل جمعه غيرهم أيضا أم ذلك من جملة الأباطيل ؟ وهذه كتبكم التى تعدونها كتبا سماوية وصحفا الهامية قد جمعتموها بعد أنبيائكم وفيها من الزيادة والنقصان والتحريف والغلط ما هو ظاهر فى العيان وقد أقرت به علماؤكم ، واعترفت به كباركم ، وشرحناه فى كتابنا هذا على أتم وجه وبيان •

قوله : «وانت وأهل مقالتك عارفون» الى قوله : « وهل يجمع كتاب الله » •

لايخفى عليك أنا وجميع المسلمين من لدن ظهور نور النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا العالم الى يومنا هذا ، عالمون بخلاف هذا الافتراء ، ونحن جازمون بلا مراء ان هذه الدعاوى التى حررها ، عبد المسيح ليس فيها قول صحيح ولا أثر فى كتاب ولم تخطر على ذهن بشر من سالف الاحقاب ، وانما هى اختلاق وتمويه **وبهتان وترويج للباطل على أولياء الشيطان ، وقد تقدم لك أيضا** ما يغنى فى الرد عن التطويل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

قوله : فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه» الى آخره •

فنقول : هذا حق أراد به باطلا ، وتمويه أتى به عن جلى التحقيق عاطلا ، ولنشرحه لك تكرارا ليكون لك البيان الفصل تذكارا فاعلم أن القرآن المبين انزله من عند الله سبحانه جبريل الأمين على سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين منجما مفرقا ، فى ثلاث وعشرين سنة ، والحكم فى ذلك متعددة مبسوطة فى محلها وكل ما كان ينزل منه شيء كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبلغه للصحابة رضى الله تعالى عنهم فيكتبونه على الرقاع ، وهى جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد ، وعلى العسب — بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض ، وعلى اللخاف بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وآخره فاء جمع لخفة بفتح اللام وسكون المعجمة وفى رواية اللخف بضمتين وفى آخره فاء وقال الطيالسى هى الحجارة الرقاق ، وقيل الخزف وهى الآنية التى تصنع من الطين الشوى ، ووقع فى بعض الروايات الأكتاف جمع كتف ، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا فيه ، وفى رواية والاقتاب جمع قتب ، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ، ليركب عليه وفى رواية وكانوا يكتبون قطع الأديم وفى الصحف والالوح ويحفظونه ويدرسونه ويتعلمون معانيه ويعلمونه فى صلاتهم آناء الليل وأطراف النهار حتى توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن على تلك المحالة المحفوظة « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فاراسل أبو بكر الى زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه عقب ما قتل من الصحابة فى الوقعة مع مسيلمة الكذاب ، لما ادعى النبوة ، وقوى أمره بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أرسله اليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد فى جمع كثير من الصحابة ،

فحاربوه الى ان خذله الله تعالى وقتله ، وقتل فى غضـــون ذلك من الصحابة جمع فقال أبو بكر لزيد بن ثابت وكان عمـر بن الخطـاب حاضران عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وكان منهم سالم مولى ابى حذيفة وكان أحد من امر النبى صـلى الله تعالى عليه وسلم بأخذ القـرآن عنه ، وإنى أخشى أن استحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن الا ان يجمعوه وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلـم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله تعالى صدرى لذلك ، ورأيت ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال ابو بكر :انك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحى ، لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فتتبع القرآن وجمعهن صدور حفظة الصحابة والرقاع والالـواح والمصاحف التى عنده وعند غيره ، وقابل ذلك وطابقه لئـلا يشذ منه شىء بوهم كاتب أو نسيان حافظ ، وقابل ذلك مع غيره من الصحابة ، على أجلتهم ، ووقفوا فيه مع الفكر والنظـر بحيث لم يبق شك فى اسقصائه ولا ريب فى عدم شهو كاتب فى استنساخه وترتيبه وجمعه .

وورورى البخارى فى صحيحه عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه من جمع القـرآن على عهد رسول الله صـلى تعالى عليه وسلم ؟ قال أربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ، ومعاذ ابن جبل ، وزيد بن ثات ، وأبو زيد ، قال فى فتح البارى : ان العـدد لا مفهوم له ، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه ، أو المراد من الجمع الكتابة وإلا فغيرهم جمعه حفظا ، فقد روى ابن أبى داود من طريق محمد بن كعب القرظى قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلام خمسة من الانصار معـاذ بن جبـل ، وعبادة بن الصامت ، وابى بن كعب ، وأبو الدرداء ، وابو ايوب الانصارى •

وروى البخارى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : « خـذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسـالم — اى موالى ابى حذيفة — ومعاذ — هو ابن جبل — وابى بن كعب •

وروى البخارى الشعبى جمع القرآن فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ستة منهم أبو الدرداء ، ومعاذ ، وأبو زيد بن ثابت — وهو كان يكتب الوحى لرسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — فتبين من هذا : أن القرآن كان مكتوبا مجموعا ومحفوظـا فى حياته عليه الصلاة والسلام الا أنه لم يكن مجموعا بمصحف واحد ومرتبا كحالته هذه ، فجمعه على هذا الترتيب زيد بأمر أبى بكـر وسلم الصحف التى جمعها لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ، فكانت عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى عنه قدم حذيفة بن اليمان عليه ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق — فأفزع حذيفة أختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان الى حفصـه ان : أرسـلى الينا بالصحف — يعنى القراطيس — والصحف التى كتبها زيد ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ، فارسلت بها حفصة الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبـير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحـرث بن هشـام ، وتسخوها فى المصاحف ، وبعث منها الى الكوفة بمصحف ، والى مكة ، والى الشام ، والى اليمن ، والى البحـرين ، والى البصرة وجعـل بالمدينة واحدا ، ورد الصحف الى حفصه • وكان هذا بعد استشـارة

الصحابة واتفاقهم حتى روى ابو داود ، بأسناد صحيح عن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه : **لا تقولوا فى عثمان الا خيرا فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملأ منا .**

وقال الحافظ فى فتح البارى : الفرق بين جمع أبى بكر وبين جمع عثمان رضى الله تعالى عنهما : ان جمع أبى بكر بكر كان لخشية أن يذهب من شىء بذهاب جملته ، لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد ، فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجووه القرآن حين قرءو بلغاتهم على اتساع اللغات ، أى لأنه عليه الصلاة والسلام قال : ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف — كما سيأتى تفصيل هذا ان شاء الله تعالى — فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض ، فخشى عثمان من تفاقم الامر فى ذلك ، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد ، مرتبا لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم ، وان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الامر ، فرأى ان الحاجة الى ذلك أنتهت ، فاقتصر على لغة واحدة ، وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقتصر عليها والمراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ، مثل اقبل وتعالى وهلم ، فانها بمعنى واحد ، والمراعى فى ذلك السماع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا بالتشهى وستأتى زيادة بيان لهذا ان شاء الله تعالى — وإذا علمت كيف كان جمع القرآن وعلمت جمع الأناديل ومغايرة بعضها لبعض ، وتناقض بعضها لبعض ، **وأهطت خبرا يحال مؤلفيها وكيف كتبوها مما قدمناه لك مرارا يتبين لك الفرق بينها وبين القرآن العظيم كفلق الصباح بعد الأيل البهيم .**

قوله «كسورة براءة التى كتبوها عن الاعرابى» الى آخره ٠

لا يخفى أن هذا أيضا من جملة أكاذيب هذا النصرانى وتدليسه وتمويهه ، لأن سورة براءة وتسمى سورة التوبة أيضا بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها على أبى طالب ، فقرأها على المشركين بين ملأ من الناس ، فكيف يتصور أن يجهلها الصحابة حتى يكتبوها عن إعرابى ؟ قال البراء بن عازب آخر سورة نزلت تامة بمراءة ، وإنما لم تكتب البسملة فى أولها كسائر السور لأن من شأن العرب إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، وأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا إليهم كتابا ، ولم يكتبوا فيه بسملة ، فلما نزلت براءة بنقض العهد ، الذى كان بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين بعث بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقرأها عليهم ولم ينمل فى ذلك على ما جرت به عادة العرب ، فى نقض العهد من ترك البسملة — وعن على رضى الله تعالى عنه أن البسملة أمان وبراءة نزلت بالسيف نعم روى الامام البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أنه قال وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى وهى قوله عز وجل «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حرص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ، فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» وروى عبد الله ابن الزبير عن أبيه قال أتى الحرث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال أشهد أنى سمعتهما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيتهما فقال عمر وأنا أشهد لقد سمعتهما قال الحافظ ابن حجر أن هاتين الآيتين كانتا محفوظتين فى صدور الصحابة الا أنهما لم تكونا مكتوبتين ، حتى جاء أبو خزيمة فذكرهم بهما فقال

عثمان : وأنا أشهد وقال أبى بن كعب اقرأنى رسـوه الله صلى الله عليه وسلم آيتين « لقد جاءكم » الى آخر السورة ، وتبين أن زيدا كان يطلب التثبت والتواتر بالـذى كان يكتب بين يدى رسـول الله صلى الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والا فهو عالم بها ، فلما أخبر بهما أبو خزيمة وشهد الحرث وعمر وعثمـان وأبى بن كعب أثبتهـا فى المصحف .

فانظر الى كذب هذا النصرانى كيف جعل سورة براءة التى هى مائة آية منسية غير محفوظة ، مع أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث بها عليا كرم الله تعالى وجهه الى المشركين وقرأها عليهـم ، وقد أنزلت فى هذا الأمر المهم وتكثر الدواعى من الصحابة الى سماعها وحفظها ؟ ثم ان اعرابيا يأتى بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيتلوها على خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأكابر أصـحابه وقرائهم وعلمائهم وهم يجهلونها فيأخذون بقوله ويثبتونها فى المصحف على زعم المسيحى بسبحانك هذا بهتـان عظيم ، وافتراء لا يخفى على كل ذى لب عليم ، وقلب سليم — والعجب أنه نسى حال جمع الانجيل ولم يتذكر أيضا قول المسيح فيه : «لمـاذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها » اه .

فتفطن ولا تغفل .

قوله : «وغيره من الشاء والوافد» لا يخفى عليك كذب هذا أيضا ليت شعرى لِمَ لم يسمعها ويعزى ذكرهما الى كتاب من الكتب المعتبرة للمسلمين وإذا سلمنا **فأى بأس فى ذلك بعد ماتلوناه** عليك من كيفيـة

الجمع فى أيام النبى عليه الصـــلاة والسلام وأيام خليفتيـــه أبى بكر وعثمان .

قوله وأدراج على منهاج ادراج اليهود .

لايخفى على كل منصف أن القرآن العظيم لما كان نزوله منجما فى ثلاث وعشرين سنة ، والله سبحانه قد تكفل بحفظه وجمعه فلا ضير عند نزوله اذا حفظه فى صدور الرجال ، وأثبت فى الرقاع ونحوها لأن المراد اتباعه وكتابته ، وذلك حاصل على أى جسم كان ، سواء كان ذلك الجسم قرطاسا أو جلدا أو خزفا أو نحو ذلك ولا بأس ايضا إذ اكتب على منهاج أدراج اليهود أولا ، ثم نقل إلى المصحف ثانيا ، واختلاف أشكال ما يكتب عليه لا يخل بصحة المكتوب ، لاسيما والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، صحفهم صدورهم ولمـــا كملت مدة انزال الوحى عند وفاته عليه الصلاة والسلام ، وتبين الناسخ من المنسوخ، وحان حين جمعه فى المصاحف جمعه بعد أشهر الصديق الاكبر ومعه الفاروق الغضنفر ، وزيد كاتب وحى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه غيره كما تقدم ، واذا اعترف هـــذا النصرانى أن الذين جمعوا القـــرآن ورووه ، وأوا النبى صلى الله تعـــالى عليـــه وسلم فليخبرنا عن لوقا الذى جمع إنجيل المسيح ، هل رآه وأخذه عنه أم سمعه من غيره وكتبه ولا شك أنه يقول كما قدمناه لك وشرحناه أنه لم يره وانما عن غصة رواه وأنه قد قال فى أصحاحه الأول ما لفظه «كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمهـــا إلينا الذين كانوا منذ البدء معائنين وخداما للكلمة ، ورأيت أنا ايضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاو فيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به» اهـ .

فميز حينئذ الحالين ، وأسأل الله تعالى هداه .

قولة : « وذلك من حيلة اليهوديين» .

لا يخفى عليك أيضا مما تقدم مافى هذا الكلام من ألمين لأنه عنى بهما عبد الله بن سلام الذى أسلم بعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام وكعب الأحبار الذى أسلم فى خلافة أبى بكر أو عمر رضى الله تعالى عنهما بعد أن أشهر القرآن وحفظ فى الصدور وكتب فى الألواح والأوراق والصحف ، ولو فرضنا غشهما للمسلمين وحاشاهما — فكيف يتمنان من هذا الصنيع فى هذه الحالة .

وما قاله هذا النصرانى شنشنته باقية الى الآن فيهم ، فتراهم كلما أسلم نصرانى شوقا إلى الدين ، افتروا عليه أشياء هو برىء منها براءة الذئب من النبى يوسف الأمين صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى جميع المرسلين .

قوله : « يقرءون مختلفين » .

فنقول : نعم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف وكلها إلهية وحيته، وكلها من عند الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام : «أنزل القرآن على سبعة أحرف » كما منفصلة قريبا إن شاء الله تعالى ، ففى فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين أحمد الحرانى ما ملخصه « إنه سئل عن قول النبى عليه الصلاة والسلام «نزل القرآن على سبعة أحرف» هل هى هذه القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم وغيرهما ؟ وهل هى الأحرف السبعة أو واحد منها ؟ فأجاب ان هذه المسألة قد صنف فيها العلماء المصنف المفرد ، ومن آخرهم الشيخ أبو أحمد عبد الرحمن بن ابراهيم الشافعى المعروف بأبى شامة ، والكلام يحتاج فيها إلى بسط كثير ،

غير أنا نذكر المهم فنقول لانزاع بين العلماء المعتبرين : أن الأحرف السبعة التى ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن القرآن نزل بها ليست هى القراءات السبعة المشهورة ، بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الامام أبو بكر بن مجاهد ، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد ، ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التى أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده ، وإنه إذا كانت قراءة متفقة مع أخرى من وجه ، ومباينة من وجه آخر كقوله تعالى «لمستم» ولامستم» فكلها حق وكل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا .

وقد قال عبد الله بن مسعود : «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » وأما ما اتحد لفظه ومعناه ، وإنما يتنوع صفة النطق به كالمدات والهمزات والإمالات والادغام والاظهار ، ونحو ذلك ، فهو أظهر وأبين، أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد ، إذ هذه الصفات المتنوعة فى أداء اللفظ ألا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ، ولهذا كان دخول هذا فى حرف واحد من الحروف السبعة التى أنزل القرآن عليها .

واختلف العلماء فى مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه هل هو أحد الحروف السبعة ، أو مشتمل على الأحرف السبعة فالذى عليه جمهور العلماء من السلف : أن القراءات السبعة حرف من الحروف السبعة، وأن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة، وهو متضمن للعرضة الأخيرة، التى عرضها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جبريل عليه السلام والاحاديث المستفيضة تدل على هذا القول وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام الى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف

السبعة ، بناء على أنه لا يجوز على الامة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة • وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الامام ، وترك ما سواه ومن نصر قول الأولين يجيب تارة بما ذكره محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الأحرف السبعة لم يكن واجبا على الامة وانما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه • كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا بل مفوضا الى اجتهادهم ، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب مصحف زيد •

واما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه ، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية فى الرسم كما قدموا سورة على سورة ، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا •

واما ترتيب السور فمفوض الى اجتهادهم • قالوا : وكذلك الأحرف السبعة فلما رأى الصحابة رضى الله عنهم أن الأمة تفترق وتختلف ، اذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ، ولم يكن فى ذلك ترك لواجب ولا فعل المحظور ومن هؤلاء من يقول : ان الترخيص فى الاحرف السبعة كان فى أول الاسلام لما فى المحافظة على واحد من المشقة عليهم أولا ، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة ، جمعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الاخيرة • ويقولون : انه نسخ ما سوى ذلك •

واما قول من قال عن ابن مسعود إنه كان يجوز القراءة بالمعنى ، فهو كذب لا أصل له •

واعلم انه ليس لأحد أن يقرأ بمجرد فهمه لوذكه ودرايته ، بل

القراءة سنة متبعة وقد بينا أن القراءتين كالآيتين فزيادة القراءات كزيادة الآيات وذلك لا يجوز قطعا والاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب ، لا على المصاحف ، كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : «إن ربى قال لى قم فى قريش فأنذرهم، فقلت : أى ربى إذن يثلغوا رأسى ، فقال : إنى مبتليك ومبتلى بك ومنزل عليك كتابا بالايغسله الماء، تقرأه نائما ويقظانا فأبعث حينا أبعث مثليهم، وقتالا بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك»فاخبران كتابه لايحتاج فى حفظه إلى الصحيفة كما جاء فى الكتب الإلهية فى نعت أمته عليه الصلاة والسلام : « أناجيلهم فى صدورهم» بخلاف أهل الكتاب» انتهى باختصار •

وستأتيك أيضا تكملة لهذه الأبحاث إن شاء الله تعالى فلا تغفل •

قوله : « ما مع على وهم اتباعه الى اليوم» •

فنقول هذا كسابقه ، اختلاف حرف وليس اتباع على منذ كان أمير المؤمنين الى يومنا هذا يقرأون خلاف ما يقرأ به أهل السنة والجماعة على الاطلاق ، وليس للشيعة قرآن غير هذا إلى الآن كما تقدم البحث فيه — فراجعه لتحيط خبرا بجواب ما قاله وتعبه ، ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه زاد أو نقص فى القرآن وأن ما جمعه على رضى الله تعالى عنه يخالفه فى شىء ، وإنه إنما لم يظهره أيام الخلفاء الراشدين الثلاثة ، ملاحظة وخوفا منهم — كما يزعمه الزنادقة الخارجون وهذا النصرانى لكان أظهره حينما وسدا الأمر إليه وصار هو الخليفة ، وليس له معارض ولا سيما فى الكوفة ، بل كان يلزم أن يقاتل على إظهاره لأنه رضى الله تعالى عنه لما آلت إليه الخلافة ، ونازعه فيها معاوية بن أبى سفيان — رضى الله تعالى عنه —

قاتله عليها ، فلم يقاتل على القرآن وهذه الأدلة تدفع كل زور وبهتان.

قوله : « وقوم يقرأون بقراءة الاعرابى» . الى آخره .

قد بينا آنفا بطلان هذه الكلمات ، فلا حاجة الى التكرار .

قوله : «وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود» الى آخرة .

لا يخفى عليك مما مر أن الجواب عن هذا أيضا يستفاد منه ، ومما سيأتى أيضا إن شاء الله تعالى .

قوله : « يقول صاحبك من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل ، فليقرأ بقراءة ابن أم معبد » .

هذا الحديث ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة والله تعالى أعلم بصحته والذى فى صحيح الإمام البخارى عن مسروق ذكر عبدالله ابن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، فقال : **«لا أزال أحبه سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : خذوا القرآن من أربعة من عبد الله** ابن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبى بن كعب» .

قوله : « وكان يعرض عليه فى كل سنة مرة وفى السنة التى مات فيها عرض عليه مرتين» .

ظاهر هذا أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يعرض القرآن على ابن مسعود فى كل سنة مرة ، وفى السنة التى توفى فيها عليه الصلاة والسلام عرضه مرتين ، ولعل هذا النصرانى نقل ذلك من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى فان فيه : «روى عن ابن عباس أنه قال : قراءة ابن أم معبدى القراءة الأخيرة إن رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن فى كل سنة من شهر رمضان، فلما كان العام الذى توفى فيه ، وعرض عليه دفعتين ، نشهد عبد الله ما نسخ منه ، وما صح فهى القراءة الأخيرة اهـ .

ومعارضة النبى القرآن كانت مع جبريل عليهما الصلاة والسلام ولم تكن مع ابن مسعود ، فكلام النصرانى موهم كما لايخفى . قال الامام البخارى فى صحيحه : قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضى الله تعالى عنهما أسر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وانه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه الا حضر أجلى وعن أبى هريرة مثله والمعارضة مفاعلة كالمدارسة من الجانبين ، كان كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع . قال العلماء ومن الحكم فى هذه المعارضة والمدارسة بيان الحكم والمنسوخ ، وتثبيت المحكم . قال الامام ابن حجر فى فتح البارى « واختلف فى العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون فى قراءتها أو بحرف واحد منها وعلى الثانى فهل هو الحرف الذى جمع عليه عثمان جميع الناس ، أو غيره وقد روى الامام أحمد وابن أبى داود والطبرى من طريق عبيدة بن عمر السلمانى أن الذى جمع عليه عثمان الناس ، يوافق العرضة الأخيرة وكذا قال غير واحد من المحدثين وعن ابن عباس أن قراءة ابن مسعود هى الأخيرة ، فلنعلم مانسخ من ذلك وما يدل» قال ابن حجر وجمع بين **القولين بأن العرضتين الأخيرتين وقعتا بالحرفين ، أى حرف ابن مسعود ، وزيد بن ثابت » فيصبح إطلاق** الآخرية على كل منهما » .

قوله فلما صار الأمر الى عثمان واختلف الناس فى القرأة» الى آخره .

وقد شرحنا لك حال جمع القرآن فى أيام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه كان محفوظا فى صدور الصحابة ، ومكتوبا فى الألواح ونحوها وجمعه فى أيام أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى بأن استنسخ من تلك الألواح والرقاع ومن صدور كتاب الوحى ومن حفظه كأبى بكر فإنه من جملة من حفظه فى صدره ، وكزيد بن ثابت وغيره ، ممن عددنا لك أسماءهم فيما سبق ، وجعل عند عمر ، ثم جمعه فى أيام عثمان بأن أخذ النسخة التى كانت عند عمر من ابنته حفصة ، واستنسخ عليها النسخ على حرف زيد بن ثابت ، الذى أخذه عن **رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو العرضة الأخيرة ، وأرسلها الى البلاد** ، وكان ذلك باتفاق الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

قوله : «اقبل على بن أبى طالب يتطلب العلل على عثمان ، ويتتبع العثرات » الى آخره .

فنقول معاذ الله تعالى أن يخطر ببال أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه على عثمان رضى الله تعالى عنه شىء من ذلك . وهو أبرأ الناس من دم عثمان وقد صرح مرارا بذلك وحاشا أمير المؤمنين عليا مما هنالك والعجب من هذا النصرانى : أنه يحاول ابطال دين الاسلام القوى الأركان والدعائم بشىء لو فرضنا صحته ليس له تعلق بأمر النبوة كيف وهو شىء خارج عنها ومكذوب على على كرم الله تعالى وجهه وقد نقل غير واحد من المحدثين والمؤرخين ومنهم ابن الأثير «أن عليا كرم الله وجهه لما دخل الكوفة قام اليه رجل ، فعاب عثمان رضى الله تعالى عنه بجميع الناس على الصحف ، فصاح وقال اسكت فعلى ملأ منا فعل ذلك ، فلو ولبت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله » اه .

ومثل هذه الشبهات تعلقت بها الخوارج والمبتدعة المارقين من دين المسلمين والخارجين عن أهل السنة أجمعين في مسائل الخلافة، وما يتعلق بها لافى أمر النبوة والقرآن المجيد ، إذ ليس فى ذلك مدخل عند من ألقى السمع وهو شهيد وحيث أنها بحسب الأدلة الظاهرة لاتعلق لها بحقية دين الاسلام ، أو عدم أحقية فلا يتسنى لنا هنا إطالة الكلام خشية الخروج من الصدر والمراد ، وإلا لشرحناها على أكمل وجه وأبسط نظام ، لاسيما والكتب الاسلامية مملوءة من بيان صحيحها وبسط أبحاثها ورد باطلها وتعليل سقيمها والتنبيه على موضوعها وضعيفها ومن أرادها فليرجع الى محالها ، على أنا ذكرنا ما يكذب هذا النصراني وميزانا حال أكاذيبه فى كلماته هذه وما يليها من المختلقات والتمويه ، بحيث لا يخفى على نبيه ، فافهم .

قوله : «وإما ابن مسعود فطلبوا منه أن يدفع إليهم مصحفه» الى آخره لا يخفى عليك ان اكثر كلام هذا النصرانى تطويل بلا طائل ، وتكرير خال عن ثمر ، وتهويل وليس تحته الا أكاذيب وأباطيل وقد أخذه أيضا من كلام المبتدعين الطاعنين فى السلف الصالح أجمعين، بل من كلام الزنادقة الذين قصدوا من أراجيفهم أن تكون فى الملة المحمدية تفرقة ، وقد تقدم بعض مايتعلق بهذه المسألة ولنكمله الآن لنكشف هذه المعضلة ، وذلك أن عثمان رضى الله تعالى عنه لما استخرج المصحف الذى جمعه زيد رضى الله تعالى عنه بأمر أبى بكر واستنسخه وجمع الناس عليه — كما شرحناه آنفا — وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذ ذاك فى الكوفة ، وكان قبل جمع عثمان الناس على قراءة واحدة ، يقرءهم ابن مسعود بلغة هذيل فأنكر عمر على ابن مسعود قراءته «حتى حين» أى حتى وكتب إليه ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرأ الناس بلغة قريش ، ولا تقرءهم بلغة هذيل ، ولما جمع الناس

عثمان رضى الله تعالى عنه على قراءة واحدة ، ثقل ذلك على ابن مسعود لأنه لم يحضر مع الجمع الذين جمعوا القرآن ، أى كتبوه وأثبتوه فى الصحف على الوجه الذى أسلفناه لك ، كما يثقل على الواحد منا تقديم غيره عليه ، وعزله لم يكن بسبب ذلك ، بل الخليفة له أن يعزل أحد عماله بسبب من الأسباب الموجبة ، فلعله رأى غيره أعرف منه أو اقدر او نحو ذلك .

وأعلم أن مصحف ابن مسعود ليس فيه زيادة ولا نقصان عن المصحف الذى أرسله عثمان الى البلاد ، غير أنه ربما كتب بعض الكلمات على غير لغة قريش ، وترتيب سوره ليست كترتيب سوره أيضا وكان أوله الفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، ولم يكن على ترتيب النزول ويقال : ان مصحف على كرم الله تعلى وجهه على ترتيب النزول أوله اقرأ ، ثم المدثر ، ثم ، والقلم ، ثم المزمل ثم تبت ، ثم التكوير ، ثم سبح وهكذا الى أخر المكى ثم المدنى .

قوله : « وامروا زيد بن ثابت » الى آخره .

قد تقدم لك ما بين تمويه هذا النصرانى ، غير أنا لا نترك كلامه هذا عن رد وبيان باطله ، فاستمع ما قال العلامة الخازن فى تفسيره أنه روى الامام البخارى عن زيد بن ثابت قال : بعث الى ابو بكر لمقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر فقال ابو بكر : ان عمر جاءنى فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراءة القرآن كثير ، وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال : قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى

فذلك ، حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : فقال لى أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، قال زيد : فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال ابو بكر هو والله خير ، فلم يزل ابو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر ابى بكر وفى رواية ة فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله تعالى له صدر ابى بكر وعمر ، ورأيت فى ذا الذى رأيا قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع : والعسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع ابى خزيمة الانصارى ، فلم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم» الى آخر براءة ، فالحقتها فى سورتها • قال : فكانت الصحف عند ابى بكر حياته ، حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنهما •

روى البخارى عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام ، فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة • فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ادرك هذ الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب ، أختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة : أن أرسلى الينا بالصحف ، ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها اليك ، فأرسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث ابن هشام رضى الله تعالى عهم فنسخوها فى المصاحف •

وقال عثمان للرهط القرشيين : اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وامر بسوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب واخبرنى خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول : فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت الصحف ، قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

قال فى رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد فى رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ فى التابوت ، فقال زيد التابوه . وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص « التابوت » فرفع اختلافهم الى عثمان ، فقال : إكتبوه « التابوت » فانه بلسان قريش ، قال العلامة الخازن : قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة أو مع أبى خزيمة الأنصارى . وفى الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الاية فاعلم ان المذكور فى الحديث الأول غير المذكور فى الحديث الثانى ، وهما قضيتان فأما المذكور فى الحديث الأول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة ابن عمر بن مالك النجار الأنصارى ، شهد بدرا وما بعدها ، وتوفى فى خلافة عثمان ، وهو الذى وجدت عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر ، واما المذكور فى الحديث الثانى فهو أبو عمارة خزيمة

ابن ثابت الفاكهة بن ثعلبة بن ساعدة الخطمى الأوسى الأنصارى ، يعرف بذى الشهادتين ، شهد بدرا وما بعدها ، وقتله يوم صفين مع على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وقوله : فقدت آية من سورة الأحزاب الى قوله نوجدناها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الأصل الذى كتب بأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقوله اراد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الأحزاب بتعليم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به الحديث وهو قد كنت اسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ بها . وتتبعه الرجال كان للاستظهار ، لا لاستحداث علم لأن القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة .

فقد ثبت فى الصحيح عن أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد بن ثابت وأخرج الترمذى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة .

قال الخازن : فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التأليف والجمع فى زمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما ترك جمعه فى مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشىء بعد الشىء من التلاوة ، كما كان ينسخ بعض أحكامه ، فلم يجمع فى مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته لأدى ذلك الى الأختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله تعالى كتابه فى القلوب الى انقضاء زمن النسخ .

ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما انزله الله عزوجل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا . والذى حملهم على جمعه ما جاء مبينا فى الحديث ، وهو أنه كان مكتوبا مفرقا فى العسب واللخاف وصدور الرجال فحافظوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم أبى بكر ، فدعوه الى جمعه فرأى فى ذلك رأيهم فامر بجمعه فى موضع واحد باتفاق من جميعهم ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير أن قدموا ، أو أخروا شيئا ، او وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكان عليه الصلاة والسلام يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية : ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا . فثبت أن سعى الصحابة كان فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على النحو الذى هو فى مصاحفنا الآن وقد صح فى حديث ابن عباس أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة فى رمضان ، وأنه عرضه فى العام الذى توفى فيه مرتين : ويقال : ان زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التى عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهى العرضة التى نسخ فيها ما نسخ ، وبقى فيها ما بقى . ولهذا أقام فيها أبو بكر زيد بن ثابت فى كتابة المصحف والزمه بها لانه قرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى العام الذى توفى فيه مرتين ، فكان **جمع القرآن سببا لبقائه فى الأمة ورحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده فى**

حفظه ، على ما قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » اهـ .

قوله : «فاختلفا فى أشياء كثيرة منها التابوت» الى أخره.

نعم قال الامام البخارى فى صحيحه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة — يعنى سعيدا وعبد الله بن وعبد الرحمن اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء — وفى رواية شعيب فى عربية القرآن — فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم وعن ابن ابى داوود من طريق محمد بن سيرين قال جمع عثمان اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، منهم أبى بن كعب . قال ابن شهاب : فاختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه . فقال القرشيون : التابوت . وقال زيد التابوه ، فرفع اختلافهم الى عثمان، فقال اكتبوه التابوت ، فانه نزل بلسان قريش قال الخطيب هذه الزيادة رواها ابن شهاب مرسلة ، قاله فى فتح البارى . واذا علمت ذلك فأى بأس فيما هنالك ؟ وأى زيادة فى كتابة هذه الكلمة بالتاء أو الهاء ؟ وأى نقصان لأن ما عاد الى اللغة أو علم الخط لا يقال له مغير، ولا مبدل ولا فاسد . وليت شعرى **ما يقول النصرانى فيما نقلناه وننقله من تحريف كتبهم** ، وسنزيدك أيضا من بيان ذلك قريبا ان شاء الله تعالى فتأمل واعرف وانصف .

قوله : « ولم يبق شىء يعلم الا متفرقا مثل ما قيل **سورة النور** » **الى آخره** .

ولا يخفى عليك مما قلناه مرارا ونقلنا تكرارا أن القرآن الكريم

كان مجموعا على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد روى البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه من جمع القرآن فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ان بسط البحث ما نصه : « والذى يظهر من كثير من الأحاديث ان أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب وفاة النبى صلى تعالى عليه وسلم ، وأخرج النسائى باسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « اقرأه فى شهر » الحديث • وقد تقدم ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين • وقد ذكره أبو عبيد القراء من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطلحة وسعد ، وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة ، ومن النساء وحفصة وأم سلمة • واعد ابن ابى داود من المهاجرين أيضا تميم بن اوس الدارى وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارثة وفضاله بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم انما جمعه بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم •

وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعرى • وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وام ورقة » اهـ •

فاذا كان هؤلاء قد جمعوا القرآن على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم كتبوه ورتبوه أيضا فى عهد ابى بكر رضى الله تعالى عنه

بمحضر من الصحابة ، ثم استنسخ ذلك عثمان رضى الله تعالى عنه فى خلافته بمحضر من الصحابة القراء الحافظين ، فكيف يتصور عاقل أنهم يحذفون منه شيئا مع شدة حرصهم على محافظة القرآن ؟ وكيف يمكن سكوت الباقين وهم الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ؟ وكيف يتصور أن يقرهم على ذلك على بن ابى طالب ؟ واذا فرضنا سكوته قبل خلافته فكيف يتصور أن يسكت أيام خلافته ويكتم ايضا ببعض آيات القرآن كما كتمها بزعم الزنادقة الخلفاء الراشدن قبله ، مع أن خلافته فرع لثبوت القرآن ؟ فاذا كان قد تقاتل فى الجمل وصفين وهو المحق على أمر دون أمر القرآن ، فلم لم يتقاتل على اظهار جميع كتاب الله تعالى ؟ ولم لم يعلن ذلك أيام خلافته فى الكوفة وأمره مطاع ؟ وقوله متبع وفى هذا وغيره دلائل **على رد ما يزعمه أعداء المسلمين من الخوارج والزنادقة من اخفاء الصحابة لبعض** الآيات الكريمة ، كما لا يخفى على كل ذى نفس منصفة .

قوله : « وكذلك قالوا فى براءة ايها لم يوجد بينها وبين الأنفال فصل يعرف فلم يفصلوها بالبسملة » .

لا يخفى عليك مما قدمناه لأن براءة لما كانت نازلة لنقض العهد الذى كان بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين ، وبعث بها النبى عليه الصلاة والسلام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ، فقرأها عليهم ، ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادة العرب فى نقض العهد من ترك البسملة ، لأنها أمان وبراءة نزلت بالسيف تركت البسملة فى أولها . واما وجودها فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه ان صح فيجاب عنه أن جمهور الصحابة لما وقع اتفاقهم على ذلك ، علمنا أنهم علموا شيئا لم يعلمه ابن مسعود ولعل ابن مسعود قاس

هذه السورة على سائر السور فأثبت فى أولها البسملة ، وغيره من كتاب الوحى والخلفاء الراشدين لما علموا اخلاف ما ظنه ، لم يثبتوها فى المصاحف فأى غبار يعترى جمع الصديق وذو النورين من اسقاطها فى أول هذه السورة ؟ وأى نقص ينسب اليهما والى سائر الصحابة ؟ والشأن ما ذكرناه آنفا فما هذا الاعتراض الأساويس شيطانية ، ودسائس زنديقية ، وشبهات من الخوارج على السنة النبوية .

قال الشيخ الامام الوالد فى الفائدة السادسة أول تفسيره مانصه « والذى ينشح له صدر هذا الفقير ، هو ما أنشرحت له صدور الجم الغفير : أن ما بين اللوحين الآن موافق لما فى اللوح المحفوظ من القرآن وحاشا أن يهمل صلى الله تعالى عليه وسلم أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته ، فلابد اما من التصريح بمواضع الآى والسور واما من الرمز اليهم بذلك ، واجماع الصحابة فى المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب ، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل ، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما افادهم علما ، ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما وعثمان رضى الله تعالى عنه وان لم يقف على ما يفيده القطع فى براءة والانفال ، وفعل ما فعل الله تعالى بناء على ظنه ، الا ان غيره وقف وقبل ما فعله ، ولم يتوقف .

وكم لعمر رضى الله تعالى عنه موافقات لربه أدى اليها ظنه ، فليكن لعثمان هذه الموافقة التى ظفر غيره بتحقيقها من النصوص والرموز فسكت على ان ذلك كان قبل ما فعل عثمان رضى الله عنه عند التحقيق ولكن لما رفعت الأقلام وجفت الصحف واجتمعت الكلمة فى أيامه واقتدت المسلمون فى سائر الآفاق بامامته ، نسب ذلك اليه وقصر من دونهم

عليه ، وبالجملة بعد اجماع الأمة على هذا المصحف لا ينبغى أن يصاخ الى آحاد الأخبار ولا يشرأب الى تطلع غرائب الآثار ، فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك » أهـ .

قوله : « ومثل قول ابن مسعود فى المعوذتين » الى آخره .

نعم إن ابن مسعود كان يقول : لا تخلطوا القرآن بما ليس منه . انهما ليستا من كتاب الله تعالى انما أمر النبى ﷺ أن يتعوذ بهما . قال البزار : لم يتابع ابن مسعود رضى الله عنه أحدا من الصحابة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قرأ بهما فى الصلاة واثبتتا فى المصحف وأخرج الامام أحمد بن حنبل والبخارى والنسائي وغيرهم عن رزين بن حبيش ، قال : أتيت المدينة فلقيت أبى بن كعب فقلت له يا أبا المنذر انى رأيت ابن مسعود رضى الله عنه لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، فقال : والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ، لقد سألت رسول الله ﷺ عنهما وما سألنى عنهما أحد منذ سألته غيرك قال قيل لى قل فقلت فقولوا ، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ .

قال القرطبى زعم ابن مسعود رضى الله عنه أن هاتين السورتين دعاء يتعوذ به ، وليستا من القرآن وقد خالف الاجماع من الصحابة ، وأهل البيت ونقل فى فتح البيان عن بعضهم أنه انما لم يكتب المعوذتين لأنه أمن عليهما من النسيان ، فاسقطهما وهو يحفظهما كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه ، وهو جواب كما ترى وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن عقبة بن عامر قال ، قال رسول الله ﷺ « أنزلت على الليلة آيات لم ار مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من أحب السور الى الله تعالى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » والآثار فى ذلك كثيرة تدفع كل شك والتباس ، وانه لا عبرة بعدها وبعد الاجماع من الصحابة وجميع المسلمين الى مخالفة ابن مسعود رضى الله

عنه اذ المثبت مقدم على النافي لا سيما وابن مسعود غير معصوم ، وقد يخطىء فى اجتهاده فتخطئته أولى من تخطئة من هو أعلم منه ومن نسبة الخطأ الى جمهور الصحابة والمسلمين عقلا ونقلا كما لا يخفى .

وقال الوالد عليه الرحمة : « وأنت تعلم أنه قد وقع الاجماع على قراءتهما وقالوا ان انكار ذلك اليوم كفر ، ولعل ابن مسعود — رضى الله تعالى عنهم فى بعض سور القرآن مروى بالآحاد المفيدة للظن ومجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين ، الذى يضمحل الظن فى مقابلته فتلك الآحاد مما لا يلتفت اليها .

ثم ان سلمنا اختلافهم فيما ذكر ، قلنا انهم لم يختلفوا فى نزوله على النبى ﷺ ولا فى بلوغه فى البلاغة حد الاعجاز بل فى مجرد كونه من القرآن وذلك لا يضر فيما نحن بصدده » أهـ .

وعكس هـذا القول فى سورتى الخلع والحفد اللتين سيذكرهما هذا النصرانى ، وفى ألفاظهما روايات منها ما أيقنت به الحنفية ، وقد روى أنهما فى مصحف ابن عباس رضى الله عنهما وابن مسعود رضى الله عنه فهما أن صح أنهما كلام الله تعالى منسوخا التلاوة ، وأيضا من القرآن كما لا يخفى أهـ .

قوله : « ومثل قول عمر على المنبر لا يقولون أحد آى الرجم ليست فى كتاب الله » الى آخره .

نعم هذا فى صحيح الامام البخارى من حديث طويل ولفظه : « ان الله بعث محمدا ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى ، اذا أحصن من الرجال والنساء ، اذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف » وفى رواية الشيخ البخارى على بن عبد الله :

وقد قرأناها « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . ورواه أيضا فى الموطأ عن يحيى بن سعيد ابن المسيب قال لما صـــدر عمر رضى الله عنه من الحاج وقدم المدينة خطب الناس ، فقال : « أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة » ثم قال : « اياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل لا نجد حدين فى كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا ، والذى نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى « الشيخ والشيخة اذا زنيا ، فارجموهما البتة » وفى رواية « نكالا من الله والله عزيز حكيم » وفى رواية « لكتبتها فى آخر القرآن » واخرج هذه الجملة النسائى من حديث أبى بن كعب قال ولقد كان فيها أى سورة الأحزاب آية الرجم الشيخ والشيخة الى آخره وفى رواية « ألبتة بما قضيا من اللذة »

وعن هذا أجوبة ، منها أن هذه منسوخة التلاوة لا الحكم ، والقرآن ثبت بالتواتر ، والدليل القطعى ، وهذه بخبر الآحاد وهو لا يقود الا الظن ، وأما حكمها فهو ثابت بالنسبة المتواترة والاجماع ومنها ما قاله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى أخرج النسائى أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها فى المصحف ؟ قال : لا ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجمان ؟ ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر أنا أكفيكم فقال يا رسول الله أكتبنى آية الرجم قال لا أستطيع .

وروينا فى فضائل القرآن لابن الفريس من طريق يعلى ، وهـو ابن حكيم عن زيد بن أسلم أن عمر خطب الناس فقال لا تشكوا فى الرجم فانه حق ، ولقد هممت أن أكتبه فى المصحف فسألت أبى بن كعب فقال ألدس اننى وأنا استقرءها رسول الله ﷺ فدفعت فى صدرى ، وقلت : استقرأه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر» ورجاله ثقات . وفيه اشارة الى بيان السبب فى رفع تلاوتها ، وهو الاختلاف وقال الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال « كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان فى المصحف ، فمرا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » فقال عمر لما نزلت أتيت النبى ﷺ فقلت اكتبها

فكأنه كره ذلك فقال عمر الا ترى أن الشيخ اذا زنى ولم يحصن جلد ، وان الشاب اذا زنى وقد احصن رجم » فليستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها اهـ .

أى لأن الثيب والثيبه يرجمان ولو كانا شـــابين وغيرهما اذا زني يجلد مائة جلدة .

وقال الشيخ الامام الوالد عليه الرحمة عند تفسير قوله تعـــالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ما بعضه « والحكم عام فيمن زنى وهو محصن ، وفى غيره ، لكن نسخ في حق المحصن قطعا فان الحكم فى حقه الرجم ويكفينا فى تعيين الناسخ القطع بأمره ﷺ بالرجم ، وفعله فى زمانه عليه الصلاة والسلام مرات ، فيكون من نســـخ الكتاب بالسنة القطعية وقد أجمع الصحابة رضى الله تعالى عنهم من تقدم من السلف وعلماء الأمة وائمة المسلمين على أن المحصن يرجم بالحجارة حتى يموت ، وانكار الخوارج ذلك باطل لأنهم ان أنكروا حجية اجماع الصحابة رضى الله عنهم فجهل مركب ، وان أنكروا وقوعه من رسول ﷺ لانكارهم حجية خبر الواحد ، فهو بعد بطلانه بالدليل ، ليس مما نحن فيه ، لأن ثبوت الرجم منه عليه الصلاة والسلام متواتر المعنى ، كشجاعة على كرم الله تعالى وجهه ، وكجود حاتم . والآحاد فى تفاصيل صوره وخصوصياته فى وجـــوب العمل به كالمتواتر معنى ولفظا . وهم كسائر المسلمين الا أن انحرافهم عن الصحابة والمسلمين وترك التردد الى علماء المسلمين والرواة ، أوقعهم فى جهالات كثيرة لخفاء السمع عنهم والشهرة . وكذا حين اعترضوا على عمر بن عبد العزيز فى القول بالرجم من كونه ليس فى كتاب الله تعالى ، ألزمهم بأعداد الركعات ومقادير الزكوات فقالوا ذلك من فعله عليه الصلاة والسلام والمسلمين ، فقال لهم : وهذا أيضا كذلك (١) وقد كوشف بهم

---

(١) فى رأينا أنه ليس كذلك . لأن أعداد الركعات هى تفسير لآية فى القرآن هى « وأقيموا الصلاة » والرجم ليس تفسيرا لآية ، وانما هو من السنة المنشأة .

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكاشف بهم حيث قال كما روى البخارى : « خشيت أن يطول بالناس زمان ، حتى يقول قائل لا نجد الرجم فى كتاب الله تعالى ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل ، ألا وان الرجم حق على من زنى ، أحصن (٢) اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

وروى أبو داود أنه رضى الله تعالى عنه خطب وقال « ان الله عز وجل بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه كتابا فكان فيما أنزل عليه آية الرجم يعنى بها الشيخ والشيخة اذا زنيا » الى أن قال « وانى خشيت أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم » الحديث وقال : « لولا ان يقال ان عمر زاد فى الكتاب كتبتها على حاشية المصحف الشريف » .

ومن الناس من ذهب الى أن الناسخ الآية المنسوخة التى ذكرها عمر ، وقال ابن الهمام : كون الناسخ السنة القطعية أولى من كون الناسخ ما ذكر من الآية لعدم القطع بثبوتها قرآنا ثم نسخ تلاوتها وان ذكرها عمر — رضى الله تعالى عنه — وسكت الناس ، فان كون الاجماع السكوتى حجة مختلف فيه وبتقدير حجيته لا نقطع بأن جميع المجتهدين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا لذ ذاك حضورا ، ثم لاشك فى أن الطريق فى ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه ظنى . ولهذا والله تعالى أعلم قال على كرم الله تعالى وجهه حين جلد شراخه ثم رجمها « جلدتها بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ » (٣) ولم يعلل الرجم بالقرآن المنسوخ التلاوة ، ويعلم من قوله المذكور كرم الله وجهه أنه قائل بعدم نسخ عموم الآية فيكون رأيه أن الرجم حكم زائد فى حق المحصن ثبت بالسنة ، وبذلك قال أهل الظاهر . وهو قوله المذكور كرم الله تعالى وجهه وهو أنه قائل بعدم نسخ عموم الآية فيكون رأيه أن الرجم حكم زائد فى حق المحصن ثبت بالسنة ، وبذلك قال أهل الظاهر وهو رواية عن أحمد بن حنبل » انتهى المراد منه .

---

(٢) لو طلق وأصبح بلا زوجة وزنى يجلد فقط لأن الاحصان منتف عنه فى هذه الحالة . (العقوبة لأبى زهرة)

(٣) فى اقامة حدين اشكال بين الفقهاء .

وعلم منه أيضا أن القرآن لا يمكن لأحد أن يزيد فيه شيئا أو ينقص عما كان فى حياة النبى ﷺ ولو كان يمكن ذلك ، لما قال عمر ما هنالك ، وعلم أيضا أنه لم يكن مقصوده الزيادة فيه ، بل مقصده التنبيه على أن الرجم نزلت فيه آية ثم نسخت تلاوتها وبقى حكمها كما تقدم والله تعالى أعلم .

قوله : « ومثل قوله فى آخر خطبة خطبها : انى لا أعلم أن أحدا قال أن المتعة ليست فى كتاب الله ، بل كنا نقرأ آية المتعة » الى آخره .

لا يخفى عليك أن هذا النصرانى مع نقله الأكاذيب والمختلق العجيب الغريب ، يخبط خبط عشواء ، وأنه فى رده هذا كمن كلف نفسه حمل رضوى وقد خلط خلطا يضحك الثكلى ، لأن مسألة المتعة فى النكاح قد قام بتحريمها عمر رضى الله تعالى عنه أتم القيام ، وتوعد من يأتى بها بالحد من الخاص والعام ، وقد ملئت من النزاع فيها بطون الأسفار والشيعة ندعى جوازها عن على — كرم الله تعالى وجه — وأهل البيت ، وتتمسك ببعض الآيات القرآنية مثل ما فى سورة النساء من قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما » وأهل السنة والجماعة يدعون تحريمها مستدلين بآيات كثيرة منها قوله تعالى : « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » وبأقوال الصحابة والعترة الطاهرة ولا سيما بمنع عمر رضى الله تعالى عنه عنها واظهاره لتحريمها . والنزاع من أهل المذهبين مشهور قائم فى البين ، ولم يدع أحد من المسلمين أن آية كانت فى المتعة فرفعت واسقطت .

وهذا القول لم ينقله أحد عن عمر ولا عن غيره من الصحابة والتابعين ، فهو اختلاف صرف وجهل ظاهر ، والذى قاله عمر فى المتعة انما هو بخلاف هذا .

نعم زعم بعض الشيعة أن عبد الله بن مسعود كان يقرأ بعد قوله

تعالى « منهن الى أجل » وهى رواية لا تعتبر وليست بصحيحة ، ولو سلمنا ورودها عنه فيجاب عن زيادة هذه الكلمة وهى « الى أجل » فى الآية بالنسخ أو بخبر الواحد كما مر فى نظائرها لا سيما والقراءة المشهورة المتواترة تخالفها والمسألة معروفة مشهورة بين المسلمين ، وليس القصد هنا اثبات صحة أحد المذهبين لأن ذلك عائد الى المسلمين وقد فصل فى الكتب أدلة الطرفين ، بل المقصد رد كلام هذا النصرانى وبطلان ما نسبه الى عمر رضى الله تعالى عنه وأنه خبط وخلط ، اذا الأمر بالعكس كما علمت فلا تغفل .

قوله : « وهما سورتان القنوت والوتر » ولم يفرق هذا النصرانى بين القنوت والوتر فجعلهما سورتين ، مع أن القنوت الدعاء الذى يكون فى آخر صلاة الوتر فى العشاء الأخيرة ، والوتر ليس بسورة بل هو صلاة كما لا يخفى على كل مسلم ، وجواب هذا قد تقدم لك فى بحث المعوذتين ، وأن هذا من المنسوخ التلاوة أيضا قال تعالى فى سورة البقرة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على أنا اذا فرضنا المحال وقلنا ان هاتين الآيتين من القرآن فأسقطتا فى الجمع منه ، وبقيتا محفوظتين مقروءتين فى صلاة الوتر فى كل ليلة ، فما يضرنا ذلك شيئا لأنهما باقيتان فى صدور المؤمنين ، وفى كتبهم العلمية ومعمول بتلاوتها فى صلاة الوتر عند الأئمة الحنفية والحنبلية .

غير أنه ليت شعرى لم نسيت الأمة النصرانية ما وقع من التحريف والحذف واسقاط آيات وأسفار فى الكتب السماوية ، وقد ذكرنا لك كثيرا من ذلك فى كتابنا هذا ، ولنذكر لك هنا مثالا واحدا وهو ما نقله فى السفر العاشر من يشوع فى النسخة المطبوعة فى الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه : « أليس هذا مكتوب فى سفر البار » قال شارحه فيه : « المظنون أن هذا سفر البار هو المذكور فى سفر العدد ، وهو من جملة الكتب المفقودة . والبائن أن كل ما كان فى ذلك السفر من الأمور المهمة المتعلقة

بالديانة قد نقل الى الأسفار المنزلة التى بأيدينا فلا يفهمنا فقده كثيرا * انتهى بلفظه .

فقد تبين منه أن جملة كتب سماوية مفقودة عندهم وأن هذا السفر من الأمور المهمة المتعلقة بالديانة ، وأنه مفقود أيضا وأنه يظن انه هو المذكور فى سفر العدد والظن لا يغنى من الحق شيئا ، ويزعم أن هذا لعلة نقل الى الأسفار التى بأيديهم ، وهو قول بلا دليل أيضا ثم انه يعزى نفسه أنه لا يفهم فقده كثيرا ، يعنى بل يفهم قليلا ، ونحن معاشر المسلمين لم ندع أنا فقدنا من القرآن شيئا (٤) فانظر وميز الحى من اللى .

قوله : « وكذلك آية المتعة » الى آخره . قد تقدم الكلام فيها وفى خبطه وعدم صحة ما يرويه ، واذا سلمنا أنه كان يضرب على قراءة الآية المنسوخة فهو عين الصواب والحكمة . لأن الآية اذا كانت منسوخة وقرأها بعض من لم يعلم بنسخها واصر على ذلك فللامام تعزيره بما يليق ، وهذا من الأدلة الواضحة على أن القرآن الذى جمعه أبو بكر وعثمان هو الذى كان فى عصر النبى ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ، ولو كان غير ذلك لأظهره على ، وعزر على خلافه ، كما عزر هنا على دعوى النصرانى كما لا يخفى .

قوله : « وبقى مصحف عبد الله بن مسعود » الى آخره ، هذا كذب ظاهر وليس لابن مسعود رضى الله تعالى عنه مصحف الآن ولا فى زمن المأمون .

---

(٤) كان يجب على المؤلف أن يفرق بين أمرين . أولهما : النص القرآنى نفسه . وثانيهما : الأقوال التى كتبت حول النص . ونعما فعل فى نقد التوراة فانه أتى بالنص وأتى بأقوال الشراح فيه وأثبت التحريف منهما معا . أما القرآن فالنص فيه صحيح . وأما الأقوال فان يهودا ونصارى وزنادقة قد تظاهروا بالاسلام وكتبوا حول النص كلاما يشكك فيه . وكان يجب على المؤلف أن يتوسع فى بيان هذا الأمر . لأن الاشكال فى الاقوال ، وبها يطعن الاعداء فى الدين .

قوله : « وكذلك مصحف علي بن أبي طالب عند أهله » وهذا أيضا كذب ظاهر وليس عند آل على مصحف غير هذا الموجود الآن ، من متقدم الزمان ، ولا عند أهل البيت ولا عند شيعته ، ولم يقل أحد أن عندهم مصحف عثمان أبدا .

وقال عصرينا أبو الفضل الشيخ عباس بن الشيخ حسن آل الشيخ جعفر النجفى الشيعى فى رسالة له بعد أن رد قول من يقول أن محققى الشيعة تقول بتحريف القرآن بالزيادة والنقصان ما لفظه (٥) : « اتفق علماء الاسلام والمنتسبين اليه من الانام على حجية الكتاب الكريم ، وأنه هو الموجود بين الدفتين الذى تداولته وتبركت به أئمة الدين من عهد النبى ﷺ الى الآن ، وأنه كان فى بيت حفصه رضى الله تعالى عنها فأخذه عثمان رضى الله تعالى عنه وجمعه ، ثم عرضه على المهاجرين والانصار ، فلم يطعنوا فيه بل قبلوه . ويكفى فى عدم تحريفه قبول أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه وعدم الطعن فيه ، مع أنه ربما كان ينقم على عثمان بعض الأمور ، فلو كان فى القرآن خلل وتحريف لكان الاعتراض به عليه أولى من كل ما نقم به ، نعم ذكر كثير من علماء الشيعة أن عليا كرم الله تعالى وجهه جمع قرآنا فيه زيادات على ما جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه ، وذكروا أن القرآن كان ينزل منجما على حسب الوقائع ، وأن كتاب الوحى كانوا اربعة عشر رجلا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وكان على رضى الله تعالى عنه منهم ، وكان ينفرد عن كتاب الوحى بأنه كان يكتب ما ينزل اليه فى خلواته ومنازله ، ومن هنا كان به زيادة .

---

(٥) ليس عند الشيعة قرآن غير القرآن الذى هو عند السنيين . وجماعة من السنيين الذين يتاجرون بالدين قد أشاعوا هذا عنهم ليكسبوا وجاهة بين المسلمين بتظاهرهم بأنهم غيورون على الدين . والله يشهد انهم لكاذبون .

وفى كتب الشيعة : أن النبى ﷺ كتب القرآن فى حياته على النحو الموجود الآن ، ولم يكتبه أبو بكر رضى الله عنه ولا عثمان . وليس فيه أدنى شك ولا شبهة . وهذا الأمر محقق . ولا يقدر أحد أن ينكره .

وقال الصدوق — وهو من أجل علماء الشيعة — ان تلك الزيادة كانت من الأحاديث القدسية ، أى ليست من القرآن العظيم ، وان عثمان رضى الله تعالى عنه أسقطها من المصحف » انتهى .

وقد أطال الكلام فى تبرئة الشيعة من القول بهذه المقالة الشنيعة ، وان من روى منهم فى ذلك حديثا عن الأئمة أو غيرهم فهو مضعف أو مردود أو مكذوب أو مأول بتأويل حسن ، تتشرح له الصدور والقلوب فافهم والله تعالى أعلم .

قوله : « ثم كان من أمر الحجاج » الى آخره أيضا كذب ظاهر وافتراء لا يخفى على الأكابر والأصاغر وقد شرحنا لك أمر « الحجاج » سابقا فتذكر .

قوله « وأنت تعلم كيف اتسقت الاخبار . ليت شعرى . كيف غفل عن التناقض والاختلاف والتحريف الذى فى كتبهم ، مما تقدم لك بعضه وستأتيك بقية منه ان شاء الله تعالى ، حتى يحرر ما يحرر .

قوله : « وكثر التخليط فى كتابك » يقال للنصرانى هنا يصدق عليك المثل الشهير « رمتنى بدائها وانسلت » .

قوله : « بل هو متناقض كله » الخ قال الامام السيوطى فى كتابه الاتقان : « ان بعض الآيات التى يزعم بعض الملاحدة أو الجهلة أنها توهم التناقض والتعارض قد أفردها بعض العلماء بالتأليف وبين « قطرب » فيما صنفه فى ذلك عدم الاختلاف وانه يقع للجاهل أو المبتدىء ما يوهم اختلافا وليس به فى الحقيقة وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال سبحانه وتعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ومن المعلوم أن هذا القرآن العظيم نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم ، كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا أو عليه مطعنا . فلو كان ما يزعمه الملحد والجاهل متناقضا عندهم لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا ، فلم ينكروا منه ما ينكره الجاهل » انتهى باختصار وتلخيص .

وسئل الامام الغزالى عن معنى قوله تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فأجاب الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه ، بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كان مختلف أى لا يشبه أو له آخره فى الفصاحة أو هو مختلف أى بعضه يدعو الى الدين وبعضه يدعو الى الدنيا أو بعضه مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه ، وكلام الله عز وجل منزه عن هذه الاختلافات ، فانه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله آخره على درجة واحدة فى غاية الفصاحة ، فليس يشتمل على الغث والسمين ، ومسوق لمعنى واحد ، وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين ، وكلام الآدميين تتطرق اليه هذه الاختلافات اذ كلام الشعراء والمترسلين اذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم اختلاف درجات الفصاحة ، حتى يشتمل على الغث والسمين فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على بيان وأبيات سخيفة ، وبذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء « فى كل واد يهيمون » فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن ويسمونه خرجا وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها جرأة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ، ولا ينفك كلام آدمى عن هذا الاختلاف . لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال والانسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرجه ، ويتعذر عليه عند الانقباض . وكذلك تختلف اغراضه فيميل الى الشىء مرة ويميل عنه أخرى ، فيوجب ذلك اختلاف فى كلامه بالضرورة . ولا تصادف انسانا يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة ، وهى مدة نزول القرآن يتكلم على غرض واحد ، ومنهاج واحد . ولقد كان النبى ﷺ بشر تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » انتهى فليفهم .

ثم ان بقية كلامه هنا يعلم منها لكل فطن بأدنى تأمل تهافته وكذبه وتمويهه وتناقضه ، وتعرف أيضا أجوبته مما أسلفناه لك مفصلا ومجملا

ومما سيأتى أيضـــا زيادة على ذلك ، فلا تتعب القلم زيادة رده وليقف فى جزره عن مده والله تعالى يتولى هدانا وهداك .

***

الخـــاتمة فيما يتعلق بكتب العهد القديم ، وهى التوراة وما يتبعها وكتب العهد الجديد وهى الأناجيل الأربعة وما يتبعها من رسائل الرسل على طريق الاقتصار ليتبين من حال كتبهم وأناجيلهم الفرق بينها وبين القرقان لأنه كما قيل وبضدها تتميز الأشياء لذوى العرفان .

ففى الكتاب المطبوع بمطبعة المرســـلين اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٧ الذى هو فى رد قول البروتساتنت ان التوراة وحدها دون كل ما سواها ما لفظه : « فمهلا يا سادة ان المسألة ليست بسيطة كمـــا ترونها ، اعتبروا أولا أن التوراة التى اتصلت الينا من الرسل وتداولها عموم المسيحيين أى الكاثوليك ووجدها « لوتيروس » منبثة فى العـــالم بأسره ، انما هى التوراة الكاثوليكية لا سواها ، والحال ان هذه التوراة ليست بتوراتكم بل تحالفها جوهريا فنقول والحالة هذه : وان لم يكن عندكم الا توراة واحدة بعينها بدلا من الألوف التى قد أوجدتموها فلا نزال صادقين فى قولنا انه توجد توراتان أى التوراة الكاثوليكية والتوراة البروتستانتية فان سألناكم أيتهما الصحيحة ؟ أجبتم أن توراتكم هى الصحيحة الا انكم لا تستطيعون أن تثبتوا قولكم هذا ، ولأن تدحضوا الحجج التى نثبت بها أن التوراة الكاثوليكية هى الصحيحة وحدها فلابد لكم اذن أن تبقوا مترددين بين الشك واليقين ، وتقولوا : من الممكن أن التوراة الكاثوليكية القديمة وحدها تكون أيضا وحدها صحيحة ، فليس اذن من الأمور المؤكدة أن توراتنا هى الصحيحة » أهـ .

فتبين من اقرار النصارى أن لهم توارتين وكل واحدة منهما مغايرة للأخرى والبروتستانت يزعمون صحة نسختهم وفساد نسخة الكاثوليك والكاثوليك يزعمون العكس ، فتحقق : أن احداهما فاسدة محرفة باقرار الطرفين ، وهى لا تعرف ، فتحقق ، وعم الفساد فى الاثنتين وعدم الاعتماد على النسختين .

ثم أن الكاثوليك والبروتستانت كل منهم يزعم أن توراة السامرية محرفة والسامرية تزعم أن توراتى الفرقتين محرفة فلم يبق اعتماد على الجميع وهو المطلوب ولله الحمد .

***

وأما الأناجيل فنبدأ أولا بعبارة انجيل لوقا التى افتتح انجيله بها مع كلام مفسريهم عليها لنتبين أن أناجيلهم الموجودة الآن ليست الهامية ولا الفاظها مسيحية ، بل كل صاحب انجيل من هذه الأناجيل الأربعة وغيرها ألف كتابا يذكر فيه أحوال المسيح عليه السلام وبعض ما وقع له والفاظا يسيرة من كلامه ، مع اختلاف كثير فيما بينها كما لا يخفى على كل متتبع بصير .

قال لوقا فى أول انجيله ما لفظه : « لأجل أن كثيرين اجتهدوا بترتيب قصص الأمور التى كملت فينا كما عاهد الينا أولئك الذين كانوا منذ البدء يبصرون وكانوا خداما للكلمة رأيت أنا أيضا اذ كنت تابعا لكل شىء من البدء باجتهاد أن أكتب اليك ثاوفيلا العزيز كرتبة الأمر ، لتعرف حقائق الكلام الذى وعظت به » انتهى .

وقال الخورى يوسف الياس فى تفسيره المطبوع فى بيروت سنة ١٩٦٨ ما عبارته : « بشارة مار لوقا البشير كذا عنونت هذا الانجيل النسخة السريانية التى طبعت فى روما سنة ١٧٠٢ وعنون غيرها من النسخ السريانية باسم ربنا والهنا يسوع المسيح نكتب الانجيل المقدس الذى هو بشارة لوقا الانجيلى التى تكلم بها مبشرا باليونانية فى مدينة الاسكندرية العظمى ، وعنوانه فى النسخة اللاتينية انجيل يسوع المقدس كما كتب لوقا ، وفى النسخة العربية القديمة باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد انجيل الاب الأفضل لوقا البشير ، افتتاح الانجيل المجيد .

فمن هذا الاختلاف يظهر أن هذا العنوان لم يضعه مار لوقا بل الكنيسة التى لأجل حكمها فقط تعتقد أن هذا الانجيل هو للوقا وانه قانونى ، خلافا

لأناجيل أبو لوس وباسيليد وغيرهما . قال مار أقسطيوس انى لم أكن أؤمن بالانجيل لو لم تسلمنى اياه الكنيسة المقدسة ، وكذا قل فى باقى الأسفار المقدسة ، فينتج من ذلك أن الاراطقة الذين ينكرون سلطة الكنيسة وعصمتها من الضلال لا سيما البروتستانت لا يمكنهم أن يثبتوا أن الأسفار المقدسة قانونية وملهمة من الله اذ لا سبيل الى اثبات ذلك الا من الكتاب المقدس وهو لا ينكر الأسفار القانونية والملهمة على الأقل بالتفصيل واما من التقليد والبينات القديمة وهم ينكرون التقليد ، والبينات القديمة فيها اختلاف باهظ ، واما من الذوق والروح الخاص كما يقولون وهذا خداع وغرور ، والعمل بين بطلانه ، فلا يبقى الا حكم الكنيسة الكاثوليكية وهم ينكرون صحته ولذا تراهم فى خلف دائم على عدد الأسفار المقدسة ، وقد أنكر بعضهم بعضا تدريجا حتى اتصل كثير منهم الى انكارها بجملتها .

وكذا قل فى تفسير معانى آيات الكتاب المقدس ، فالمعنى الصحيح لها ما تحكم به الكنيسة المقدسة ، والا فتنشأ محاورات الآيات لها .

ان مار لوقا الانجيلى منشـــؤه مدينة أنطاكية كما علم أوسابيوس وايرونيموس وغيرهما كثيرون من القدماء والحديثيين ، وكان طبيبا كمـا علم المؤلفون المذكورون ســـندا على قول الرسول فى رسالة كولوسى : « يقرئكم السلام لوقا الطبيب الحبيب » وكان مصورا وقيل انه أول من صور صورة مريم العذراء وصورة للرسولين بطرس وبولس ، وكـــان خبيرا بالعلوم الفلسفية واللغة اليونانية ، ولذا كـــان انشاؤه باليونانية أفصح من انشاء باقى الانجيليين .

وذهب أوريجانوس أن لوقا كان من الاثنين والسبعين مبشرا ، والأصح ما ذهب اليه ايرنياس وغيره أن لوقا لم يكن من الاثنين والسبعين مبشرا ، ولم يشاهد المسيح بل كتب ما سمعه من الرسل ومريم العذراء كما شهد عن نفسه بقوله فى بداية انجيله « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ القديم معاينين وكانوا خدام الكلمة » ولهذا دعاه الآباء متواترا تلميذ الرسل لا سيما بولس ، الذى كان لوقا رفيقا ملازما له ، واستمر لوقا مرافقا له

الى أن سجن بولس المرة الأولى فى رومة ، ثم مضى لوقا مبشرا بالانجيل فى دلماتيا وافرنسة وايطاليا الى أن نال اكليل الشهادة فى بطراس .

وقد كتب الانجيل باليونانية لليونان . والبعض على أن لوقا كتب ما لقنه اياه بولس الرسول واستحسن هلد ونالوس رأى من قالوا أن لوقا لم يأخذ انجيله عن بولس وحده ، بل عن غيره من الرسل أيضا . من قوله المتقدم : « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ البدء معاينين وكانوا خدام الكلمة » ويظهر أن لوقا دون انجيله بعد سنة احدى وخمسين أو سنة ثمان وخمسين لميلاد المخلص .

وانما تعمد القديس لوقا فى كتابة انجيله بعد متى ومرقس لأمرين :

الأول : دحض الأناجيل الكاذبة التى كانت ظهرت وقتئذ فى سورية وبلاد اليونان منسوبة الى توما ومتى والاثنى عشر رسولا وغيرهم كما أشار الى ذلك فى فاتحة انجيله بقوله « لأجل أن كثيرين راموا أن يكتبوا قصص الأمور التى نحن بها عارفون »

والثانى : تحرير ما عدل عنه متى ومرقس من أقوال المسيح وأفعاله كطفوليته وصبوته . والبشارة بسابقة يوحنا المعمدان والحبل به وميلاده وبشارة العذراء وحبلها بالمخلص وولادتها له فى المذود وختانه وتقديمه الى الهيكل ، ووجدانه بين العلمـــاء ، وغير ذلك مما أهمله متى ومرقس » انتهى بحروفه .

فعلم من هذا الكلام أمور : منها أن عنوان هذا الانجيل مختلف . ومنها أن العنوان ليس من لوقا . ومنها : أن البروتستنت لا يمكنهم أن يثبتوا أن الأسفار المقدسة قانونية وملهمة من الله تعالى ومنها أن بعض البروتستنت أنكروا بعضها ، وسيصـــل بهم الحال تدريجا الى انكارها بجملتها . ومنها أن لوقا لم يشاهد المسيح بل كتب ما سمعه من الرسل ومن مريم العذراء . ومنها أنه دون انجيله بعد رفع المسيح سنة ثمان وخمسين . ومنها أن الأناجيل كانت تزيد على عشرة أناجيل وأن أكثرها كذب ومنها ان هذه الأناجيل الاربعة المقبولة الآن عند النصارى ليست متفقة بل يوجد فى

كل منها ما لا يوجد فى الآخر ، من القصص والأحوال والأفعال والأقوال المنقولة عن المسيح عليه السلام ، فليحفظ .

وقال الشيخ رحمت الله — سلمه الله تعالى — « لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كتب بالالهام وأن كل حال من الأحوال المندرجة فيه الهامى لان هذا الادعاء باطل قطعا ويدل على بطلانه وجوه كثيرة نكتفى منها ههنا على سبعة :

الأول : أنه يوجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة ، واضطر مفسروهم فسلموا ان احدى العبارتين أو العبارات صادقة وغيرها كاذبة ، وعد منها ما يزيد على مائة اختلاف . وسنذكرها فى محل يناسب ذكرها ان شاء الله تعالى .

الثانى : انه يوجد فيها أكثر من مائة غلطة . والكلام الالهامى بعيد عن ذلك بمراحل ، وسنذكر ذلك فى محله .

الثالث : انه وقع فيها التحريفات القصدية وغير القصدية مما يزيد على مائة ولم يبق لهم مجال الى الانكار كما سنذكره أيضا فى محله ان شاء الله تعالى .

الرابع : ان كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وزدم وغيرها ليست الهامية عند البروتستنت كما هو مشهور فى كتبهم وكذلك السفر الثالث لعزرا ، ليس بالهامى عند الكاثوليك والبروتستنت كما هو مسطور فى تأليفات الفرقتين ، وكتاب التضاة ليس الهاميا على قول من قال انه تصنيف فنحاس ، وكذا كتاب راعوث وكتاب : نحميا أيوب وبعض أنواب كتاب أمثال سليمان ، وعشرون بابا من كتاب أشعياء ليست بالهامية على قول كثيرين من علمائهم . وانجيل متى على قول القدماء وجمهور العلماء من المتأخرين الذين قالوا انه كان فى اللسان العبرانى والحروف العبرانية فقد ، والموجود الآن ترجمته ليس الهاميا وكذا انجيل يوحنا على قول استائدلن والمحقق برطشيدن ليس الهاميا .

الخامس : قال هورن فى الصفحة الحادية والثلاثين بعد المائة من المجلد الأول من تفسيره المطبوع سنة ١٨٣٣ أن سلمنا أن بعض كتب الأنبياء فقدت ، قلنا : إن هذه الكتب ما كانت مكتوبة بالالهام واثبت اكستاين بالدليل القوى هذا الأمر ، ثم قال فى الضميمة الأولى من المجلد الاول اذا قيل أن الكتب المقدسة أوحيت من جانب الله ، فلا يراد أن كل لفظ أو العبارة كلها من الهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورة المصنفين واختلاف بيانهم أنهم كانوا مجازين أن يكتبوا على حساب طبائعهم وعاداتهم وفهومهم ، واستعمل علم الالهام على طريق استعمال العلوم الرسمية ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون فى كل أمر يثبتونه أو فى كل حكم كانوا يحكمون به » انتهى ملخصا .

السادس : قال جامعو تفسير هنرى واسكات فى المجلد الأخير من تفسيره « ليس بضرورى أن يكون كل ما كتب النبى الهاميا أو قانونيا ، ولا يلزم من كون بعض كتب سليمان الهاميا أن يكون كل ما كتبه الهاميا وليحفظ أن الأنبياء والحواريين كانوا يلهمون على المطالب الخاصة ، والمواضع الخاصة » انتهى .

السابع : انسائى كلوبيديا (١) برتنيكا كتاب اتفق على تاليفه كثيرون من علماء « انكلتره » فألفوه ، وقالوا فى الصفحة الرابعة والسبعين بعد المائتين من المجلد الحادى عشر فى بيان الالهام هكذا « وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة ، هل هو الهامى أم لا ؟ وكذا حال من الحالات المندرجة فيها فقال جيروم وكثير من العلماء انه ليس كل قول منها الهاميا ثم قالوا فى الصفحة المتممة عشرين من المجلد التاسع عشر من الكتاب المذكور ما عبارته : « ان الذين قالوا ان كل قول مندرج فهو الهامى لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة ثم قالوا ان سألنا أحدا على سبيل التحقيق . انكم تسلمون أى جزء من العهد الجديد الهاميا ؟ (لا يجيبون) فقلنا : ان المسائل والاحكام والاخبار بالحوادث الآتية التى هى أصل الملة المسيحية لا ينفك الالهام عنها واما الحالات الآخر فكان حفظ الحواريين كافيا لبيانها » أهـ .

---

(١) دائرة المعارف اليهودية .

وليعلم أيضا : أن الانجيل الذى ينسب الى متى الآن وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ، ليس من تصنيفه يقينا بل ضيعوه بعد ما حرفوه ، لأن قدماء المسيحيين كافة وكثيرا من المتأخرين ، على أن انجيل متى كان فى اللسان العبرانى ، وقد فقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية ، والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة ، حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا ، ولم يتعين الى هذا الزمان كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم ، فضلا عن علم أحوال المترجم نعم يقولون : لعل فلانا أو فلانا ترجمه ولا يتم هذا على المخالف ولا يثبت اسناد المصنف بالظن والتخمين ، فاذا كان مذهب القدماء كافة وكثير من المتأخرين ما عرفته ، فلا اعتماد على قول بعض علماء بروتستنت الذين يقولون بمجرد ظنهم بلا برهان : ان متى نفسه ترجمه .

قال لاروز فى الصفحة التاسعة عشر بعد المائة من المجلد الثانى من الكليات : كتاب « بى بيس » : « ان متى كتب انجيله فى العبرانية ، وترجمه كل أحد على قدر لياقته » أهـ .

وهذا القول يدل على أن أناسا كثيرين ترجموا هذا الانجيل ، فلما لم يثبت بالسند المتصل الكامل أن هذا الموجود ترجمة فلان ، وانه كان ذا الهام ، كيف تعد ترجمته من الكتب الالهامية ، ولم يثبت بالاسناد كونه ثقة أيضا فضلا عن كونه ذا الهام » أهـ .

وأقوال علمائهم ان متى كتب انجيله بالعبرانى ، وأن مترجمه لم يعلم ، وأن بقية الأناجيل الأربعة لم تكتب بالعبرانية ، بل باليونانية كثيرة جدا . ولو استقصيناها لطال بنا الكلام ، وستأتيك ان شاء الله تعالى مقاصد عالية ، وشواهد صادقة على اثبات تحريف كتبهم وتناقضها على طريق التفصيل ، فانتظرها ولا تغفل .

قال النصرانى : « ومن أراد نصح نفسه . فأى جهل أعظم من جهل من ادعى أن هذا الكتاب حجة ودليل لمن جاء به ، وشاهد لنبوة

نبى مبعوث ، مثل فلق البحر لموسى وأحياء الموتى وابراء الكمة ، وتطهير البرص لسيدنا والهنا المسيح مخلص العالم ان هذا حقا لجاهل مائق ، لأنه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الأشكال ، على انى لا أظن احدا بـه أدنى مسكة من عقل أو له أدنى تمييز يجترىء أن يفكر فى هـذا فضـلا عن أن يتفوه به ، ولم يخطـر مثل هـذا قط الا على بال غبى ، غـارب العقل مختلس اللب ضعيف القلب ، افتراك اعزك الله تحمل نفسـك فى صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك أن تحتج بمثل هـذا الكتـاب ، مع ما قد عرفت من أخباره وأسباب أصوله ، فهذه حجة منكسرة عنـد مثلى من ذوى التفتيش ، والبحث على أصول الأخبار ، وأنت تعلم انى الرجل الذى قرأت الكتب وعنيت بمعرفة الأصـول ، وكيف كـانت من أولها الى أخرها وان المبهرج من الأخبار والمدلس من الأحـاديث ، غير جائز عـلى من مثلى ، ولا نافع عندى ، فاخبرنى ـ أصلحك الله ـ قول صاحبك : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (اسراء)

أفتقول : افصح ألفاظا منه ؟ فجوابنا لك فى هـذا : نعم افصح منه كلام اليونانية عند الروم ، والزوبة عند أهل فارس ، والسريانية عند أهل الرها والسريانيين ، وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين . فان كل لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن ، ولهم ألفاظ فصـيحة يتخاطبون بها . وهى عندك كلها أعجمية كما أن لسانك العربى الفصيح عندك أعجمى عندهم ، هذا اذا أطلقنا قولك أن كتابك أفصح ألفاظا بالعربية ، وذلك ان صاحب فصاحة الألفاظ بأى لسان كان هو الذى لا يحتاج الى استعارة ألفاظ غيره ولا يستعين بها فى خطبه وكلامه ، بل يكون مستغنيا بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر فى كتابه الى استعمال لسان غيره ، وهو القائل « انا أنزلناه قرآنا عربيا ، لعلكم تعقلون » وقد خاطب به اعرابا عاربة ، فصـحاء بلغاء ، أصحاب خطاب كقوله : « الاستبرق » و « سندس » و « اباريق » و « ثمارق » وأشباه

هذه التى هى انما هى ألفاظا فارسية ، ومثل « المشكاة » فانها لفظة حبشية ، وهى الكوة ومثل هذا كثير قد استعمله فى كتابه .

فنقول لعل العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجىء معه الى لسان غيره فى هذه الأشياء ، سيما وأنت ترى أنها منزلة من عند رب العالمين على يد جبريل الملك الأمين ، فاما أنك توقع النقص بالرسل أو بالرسول . فان كان من عند صاحبك فوقع النقص به ، لانه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية ، ولم يدرك علمها فلذلك اعجزته ، فهذه اللفظ امرىء القيس وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى عددهم ، وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجىء صاحبك أفصح ألفاظا منه ، وأرق وأدق معانى ، باقراره لأهلها حيث حاجوه فقطعوه ، فقال : « بل هم قوم خصمون » لأنهم خصموه فكانوا خصما بأصح حجة ، وأبلغ فى الخطابة منه ، وهو القائل « ان من البيان لسحرا » فلا يخلو اذن أمر هذا الكتاب وما وضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربى ، مع علمنا نحن وأنت لساننا العربى أوسع الألسن كلها أو أن يكون قد ادخلت فيه الزيادة من قوم آخرين ، كما ذكرنا لك فى أصل خبره ، وأن الأيادى الكثيرة قد تداولته ، فأخبرنى — أصلحك الله — أى القولين أحببت ؟ فانه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما وأنت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته ، فان قلت انهم لا يقدرون أن يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه ، قلنا لك أن تنضيد الشعراء لشعرهم ، ووزنهم له الوزن الصحيح ، الذى هو أصعب وأدق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضا ، واعتبار الألفاظ النقية الصافية العربية الخالصة ، مع انتساق المعنى الحسن أكمل فى الأحكام وأصح فى الصنعة ، لان كتابك كله انما هو سجع متكسر ، وكلام مختلف ، وتكبير معانى لا معنى لها فان قلت : بل هو أصح معانى سألناك أى معنى غريب ظفرت فيه ؟ أدللنا عليه واعلمنا به ، حتى نتعلمه منك .

وأى معنى صحيح وجدته فيه وغربت بمعرفته ؟ أخبرنا به وأوقفنا عليه ؟ وأى خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة فى شىء من الكتب المتقدمة استفدته منه ؟ أليس هو الذى قرأناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن أصوله وأسبابه وفتشنا عن خبره ، فصرنا فى العلم به أرسخ من كثير من أهله وأى شىء هذا من الآيات العجيبة التى يعجز فعلها امكان الآدميين وتصير حجة ودليلا على بعثه نبيا يوجب الاقرار له بالرسالة والنبوة والايمان على الوحى والتبشير من عند الله ، حتى يقاس به أو يرى فيه آية ، مثل فلق البحر واحياء الموتى وسائر آيات الأنبياء العجيبة ، وانما صار هذا كذلك وجاء بالتدليس والبهرجة ووصفة الفصاحة ، وحسن التنضيد وجود الاعراب ، وأن الانس والجن لا يقدرون على أن يأتوا بمثله ، لانه وقع الى قوم أميين أنباط سقاط عجم علوج ، فعظم فى أعينهم وكبر فى صدورهم ، والا فأنت اذا أصدقت نفسك ، تيقنت كيف كان أصل القصة فى هذا ، وأن مسيلمة الحنيفى والأسود العنسى وطلحة بن خويلد الأسدى وغيرهم ، قد عملوا مثل ما عمل صاحبك ، وأشهد انى قرأت مصحفا لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لرد أكثرهم الا أنه لم يتهيأ لهؤلاء أنصار ، مثل ما تهيأ لصاحبك » أ.هـ.

فأقول : انى وان قدمت ما يرد كلام هذا الطاعن فى القرآن المجيد أثبت من فضله سبحانه لكل منصف انه تنزيل العزيز الحميد الا أنى أعود هنا مكررا لذلك بعبارات أخرى لابسة من حلى التحقيق عقيانا ودرا ، لئلا يخلو مكرر كلامه عن رد ، وليجمع الناظر ما قبل وما بعد ، ليكون كمن ضم الى زبد : شبد ثم نجع الى تزييف كلماته المفصلة بطريق مفصل ان شاء الله تعالى .

قال صاحبنا العلامة فى كتابه اظهار الحق فى الباب الخامس فى اثبات كون القرآن كلام الله تعالى ومعجزا ورفع شبهات القسيسين ما ملخصه : « وجعلناه فى فصلين الفصل الأول أن الأمور التى تدل على

أن القرآن كلام الله تعالى كثيرة ، اكتفى منها على اثنى عشر أمرا ، على عدد حوارى المسيح عليه السلام وأترك الباقى الأمر الأول : كونه فى الدرجة العالية من البلاغة ، التى لم يعهد مثلها فى تراكيبهم وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم ، وهى عبرة عن التعبير باللفظ المعجب ، عن المعنى المناسب للمقام ، الذى أورد فيه الكلام بلا زيادة ولا نقصان فى البيان والدلالة عليه . وعلى هذا كل ما ازداد شرف الألفاظ ورونق المعانى ومطابقة الدلالة ، كان الكلام أبلغ . وتدل على كونه فى هذا الدرجة وجوه :

أولها : ان فصاحة العرب : أكثر فى وصف الأشياء المشـــاهدة ، مثل بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حـــرب وغارة . وكذا فصاحة العجم سواء كانوا شاعرين أو كاتبين أكثرها فى أمثال هذه الأشياء ، ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جدا ، لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة اليها ، وظهر من الزمان القديم فى كل وقت وفى كل اقليم من شاعر أو كاتب مضمون مبتكر ، ونكتة لطيفة فى بيـــان شىء من هذه الأشياء المذكورة ، ويكون المتأخر المتتبع واقفا على تدقيقات المتقدم غالبا ، فلو كان الرجل سليم الذهن وتوجه الى تحصيل ملكة فى وصفها يحصل له بعد الممارسة والاشتغال ملكة البيان فى وصف شىء من هذه الأشياء ، على قدر سلامة فكره وجودة ذهنه . وليس القرآن فى بيان خصوص هذه الأشياء فكان يجب أن لا تحصل فيه الالفاظ الفصيحة التى اتفقت عليها العرب فى كلامهم .

ثانيها : انه سبحانه وتعـــالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب فى جميعه . وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ، ولم يكن جيدا . ولذا قيل أعذب الشعر أكذبه وترى أن لبيد بن ربيعة وحسان ابن ثابت رضى الله عنهما لما أسلما نزل شعرهما ، ولم يكن شعرهما الاسلامى كشعرهما الجاهلى ، والقرآن جاء فصيحا مع التنزه عن الكذب والمجازفة « ومن أصدق من الله قليلا »

ثالثها : ان الكلام الفصيح انما يتفق فى القصيدة فى البيت والبيتين منها والباقى لا يكون كذلك ، بخلاف القرآن فانه القرآن فانه مع طـــوله فصيح كله بحيث يعجز الخلق عنه ، ومن تأمل فى قصة يوســـف عليه السلام عرف أنها مع طولها وقعت فى الدرجة العالية من البلاغة .

رابعها : ان الشاعر أو الكاتب اذا كرر مضـــمونا أو قصة لا يكون كلامه الثانى مثل الأول وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والاحكام والصفات الالهية ، واختلفت العبارات ، ايجازا وأطنابا وتقننا فى بيانها غيبة وخطابا ، ومع ذلك كل واحد منها فى نهاية الفصاحة ، ولم يظهر التفاوت أصلا .

خامسها : وانه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة (١) وأمثال هذه الأمور توجب تقليل الفصاحة ، ولذلك اذا قيل لشاعر فصيح أو لكاتب بليغ : ان يكتب تسعة أو عشرة من مسائل الفقه والعقائد فى عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة يعجز عن ذلك .

سادسها : ان كل شاعر يحسن كلامه فى فن ، فانه يضعف كلامه فى غير ذلك الفن ، كما قالوا فى شعراء العرب : ان شعر امرىء القيس يحسن عند الطرب ، وذكر النساء وصفة الخيل . وشعر النابغة عنـــد الخوف . وشعر الأعشى عند الطلب ووصـــف الخمر ، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء وقالوا فى شعراء الفرس : ان النظامى والفردوسى وحيدان فى بيان الحرب ، والسعدى فريد فى الغزل والانورى فى القصائد جاء على غاية الفصاحة ، فى كل فن ترغيبا كان أو ترهيبا زجرا كان أو وعظا وغيرها .

وأورد هنا بطريق النموذج من كل فن آية آية :

---

(١) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . هذا هو الاسلام . وليس هو ترك الدنيا واختيار الآخرة . فان الدنيا جعلها الله معاشا .

ففى الترغيب قوله جل وعز « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قـرة أعين » وفى الترهيب قوله تعالى » وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ، ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ » وفى الزجر والتوبيخ قوله عز شأنه : « فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وفى الوعظ قوله تعالى : « أفرأيت ان متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » وفى الالهيات قوله تبارك وتعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال »

سابعها : الاغلب أنه اذا انتقل الكلام من مضمون الى مضمون آخر ، أو اشتمل على بيان أشياء مختلفة ، لا يبقى حسن ربط الكلام ، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة ، والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصـة الى قصة أخرى والخروج من باب الى غيره والاشتمال على أمر ونهى وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، واثبات النبوة وتوحيد الذات ، وتفريد الصفات وترغيب وترهيب وضرب مثال وبيان حال وغيرها ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة ، فتحير فيها عقول بلغاء العرب .

ثامنها : ان القرآن فى أغلب المواضع يأتى بلفظ يسير يتضمن لمعنى كثير ، ويكون اللفظ أعذب ومن تأمل فى سورة ص علم ما قلنا كيف صدرها وجمع فيها من أخبار الكفار خلافهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم ، ومن تكذيبهم لمحمد ﷺ وتعجبهم مما أتى به ، والخبر عن اجماع ملاهم على الكفر وظهور الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتحقيرهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم ، واهلاك الله تعالى لهم ووعيد قريش وأمثالهم مثل مصابهم وحمل النبى ﷺ على الصبر على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم بيانه عنهم .

ثم شرع بعد تسليته فى قصص الأنبياء مثل داود وسليمان وأيوب وابراهيم ويعقوب وغيرهم — عليهم السلام — وكل هذا الذى ذكر من أولها الى آخرها فى ألفاظ يسيرة متضمنة لمعانى كثيرة . وكذلك قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » فان هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير ، ومع كونه بليغا مشتمل على المطابقة بين المعنيين المتقابلين . وهما القصاص والحياة . وعلى الغرابة لجعل القتل الذى هو مفوت للحياة ظرفا لها وأولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب فى هذا الباب ، لأنهم عبروا عن هذا المعنى بقولهم قتل البعض احياء للجميع وقولهم : أكثروا القتل ليقل القتل وقولهم القتل أنفى للقتل . ولجود الأقوال المنقولة عنهم القول الأخير .

ولفظ القرآن : أفصح منه بستة أوجه : احدها : انه أخصر من الكل لأن قوله : « ولكم » لا يدخل فى هذا الباب ، لأنه لابد من تقدير ذلك فى الكل ، لأن قول القائل : قتل البعض احياء للجميع ، لابد فيه من تقدير مثله . وكذلك قولهم : القتل أنفى للقتل . وثانيها : ان قولهم القتل أنفى للقتل ، ظاهره يقتضى كون الشىء سببا لانتفاء نفسه ، بخلاف القرآن فانه يقتضى أن نوعا من القتل . وهو القصاص سبب لنوع من أنواع الحياة . وثالثها : ان فيه تكرار لفظ القتل بخلاف اللفظة القرآنية . ورابعها : انه لا يفيد الا الردع عن القتل ، بخلاف لفظ القرآن فانه يفيد الردع من القتل فهو أفيد وأجمع . وخامسها : انه دال على ما هو المطلوب بالتتبع بخلاف لفظ القرآن ، فانه دل على ما هو مقصود أصلى لأن نفى القتل مطلوب تبعا من حيث انه يتضمن حصول الحياة ، الذى هو مطلوب أصالة . وسادسها : ان القتل ظلما أيضا قتل مع أنه ليس بنافٍ للقتل بخلاف القصاص ، فظاهر قولهم باطل . وأما اللفظ القرآنى ففصيح ظاهرا وباطنا .

وكذلك قوله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » أى من يطع الله فى فرائضه ، ورسوله فى سننه (١)

---

(١) السنن المفسرة للقرآن بدليلين : ١ — « ومن يطع الله ورسوله »
=

أو فى جميع ما يأمرانه وينهانه « ويخش الله » أى يخف خلافه وعقابه وحسابه « ويتقه » فيما بقى من عمره فى جميع أمره « فأولئك هم الفائزون » فالمراد فى المبدأ والمعاد فان هـذه الآية مع وجـازة لفظها جامعة لجميع الضروريات .

حتى يحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان مضطجعا فى المسجد ، فاذ هو برجل قائم على رأسه ويتشهد شهادة الحق ، فسـأله عن شأنه فأخبره أنه من بطارقة الروم وممن يحسن فهم الألسن من العربية وغيرها ، وأنه سمع رجلا من اسراء المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا هى جامعة لكل ما أنزل الله تعالى على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله : « ومن يطع الله ورسوله » الآية .

ومن المشهور أن طبيبا نصرانيا حاذقا سأل الحسين بن على بن الوقاد لماذا لم ينقل شىء فى كتابكم مما يتعلق بعلم الطب وهو من الأمور اللازمة للانسان ، لأن العلم علمان : علم الأديان وعلم الابدان ؟ فقـال إن الله سبحانه قد بين علم الطب كله فى نصف آية فقال له النصرانى : وأى آية هى ؟ فقال : هى قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » أى كلوا واشربوا ما أحل الله تعـالى لكم من المطعومات ، التى ليس فيها خبث والمشروبات التى ليس بها ضرر « ولا تسرفوا » أى لا تتعدوا الى الحرام ، ولا تكثروا من الانفاق المستقبح ، والأكل والشرب الزائدين على ما يقتضيه البدن . فان تناول المقدار الكثير مضر به ، ولا حاجة فيه . ثم سأله الطبيب : أقال نبيكم أيضا شيئا فى هذا الأمر ؟ فقال الحسين : نعم أن نبينا عليه

فقد فرض الله فى القرآن طاعة رسوله ٢ — « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه » فقد بين أن وظيفة النبى هى بيان القرآن وتفسيره . والسنة المنشأة تشريعا مستقلا عن تشريع القرآن مثل النهى عن الجمع بين المرأة وعمتها ليست سنة مفسرة ، فلا تدخل فى السنة الواجب العمل بها (انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى)

الصلاة والسلام جمع الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته » فقال الطبيب : « الانصاف ان كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة الى « جالينوس » فقد بينا ما هو الأصل فى حفظ الصحة ، وازالة المرض ومدارهما لكل ذى لب »

تاسعها : أن الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين ، واجتماعهما على وجه الكمال فى كل جزء من الكلام الطويل خلاف العادة للبلغاء ، فاجتماعهما فى كل موضع من مواضع القرآن كله كما هو ظاهر لمن شم رائحة العلوم العربية ، دليل على كمال بلاغته وفصاحته للخارجين عن العادة .

عاشرها : أنه مشتمل عن جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل وأصناف الاستعارة وحسن المطالع والمقاطع وحسن الفواصل والتقديم والتأخير والفصل والوصل اللائق بالمقام وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال ، وغير ذلك من أنواع البلاغات المبسوطة المعروفة بمحالها ولا يقدر أحد من البلغاء الكاملين من العرب الا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة . ولوازم غيره فى كلامه لم يتأت له وكان مقصرا ، والقرآن الجليل محتو عليها كلها ، كما يعرفه من له تدرب بعلم المعانى والبيان .

وهذه الوجوه العشرة تدل على أن القرآن العظيم فى الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة ، ويعرفه فصحاء العرب بسليقتهم ، والعلماء بمهارتهم فى فن البيان ، واحاطتهم بأساليب الكلام ، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف باعجاز القرآن الا من ضرب على قلبه ، فعميت منه العينان ، أو كابر وغش نفسه وتعامى عن هذا البيان .

الأمر الثانى : تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب فى المطالب والمقاطع والفواصل مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة

ولطف الاشارة وسلامة التركيب وبديع الترتيب فتحيرت فيه عقول العرب العرباء وألباب الفصحاء والحكمة فى ذلك أن لا يبقى لمتعسف عنيد مظنة السرقة أو التعليم ويمتاز هذا الكلام عن كلامهم ، ويظهر تفوقه ، لأن البليغ سواء كان ناظما أو ناثرا يجتهد فى هذه المواضع اجتهادا كاملا ، فيمدح ، ومع هذا قد يعاب فى هذه المواضع ونحوها ، كما عيب على مطلع امرىء القيس فى قصيدته اللامية وهو قوله :

قفانبك من ذكـــرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وســـهولة السبك وكثرة المعانى ، فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل ، وان الشطر الثانى لا يوجد فيه شىء من ذلك .

وعيب أيضا على مطلع أبى النجم الشـــاعر المشهور ، فانه دخـــل على هشام بن عبد الملك فأنشده قوله :

صـــفراء قـــد كادت ولما تفعل

كأنها فى الافق عين الأحول

وكان هشام أحول ، فأخرجه وأمر بحبسه .

وعيب أيضا على مطلع جرير ، فانه دخل على عبد الملك ، وقـــد مدحه بقصيدة حائية أولها :

اتصحو أم فؤادك غير صاح ؟

فقال له عبد الملك : بل فؤادك يا ابن الفاعلة .

وعيب أيضا على مطلع البحترى ، فانه أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى مطلعها :

لك الويل من ليل تقاصر آخره

فقال : بل لك الويل والخزى .

وعيب أيضا على مطلع اسحق الموصلى الأديب الحاذق ، فانه دخل على المعتصم ، وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، وأنشده قصيدته التى مطلعها :

يا دار غيرك البلا ومحاك

يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم من هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور .

وهكذا قد أخطأ أكثر الشعراء المشهورين فى المواضع المذكورة ، وأشراف العرب مع كمال حذاقتهم فى أسرار الكلام وشدة عداوتهم للاسلام لم يجدوا فى بلاغة القرآن وحسن نظمه وأسلوبه مجالا ولم يوردوا فى القدح مقالا ، بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء ، وشعر الشعراء ، ونسبوه تارة الى السحر تعجبا من فصاحته وحسن نظمه وقالوا تارة : انه « افك افتراه » و « أساطير الأولين » قالوا تارة لأصاحبهم وأحبابهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » وهذه كلها من دأب المحجوج المبهوت .

فثبت : أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه . وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء كثيرين كثرة رمال الدهناء ، وحصى البطحاء ، ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية ، وتهالكهم على المبارات والمباهات والدفاع عن الاحساب فيتركون الأمر الأسهل الذى هو الاتيان بمقدار أقصر سورة ويختارون الأشد الاصعب مثل الجلاء وبذل المهج والارواح ، ويبتلون بسبى الذرارى ونهب الأموال ، ومخالفهم المتحدى يقرع لهم الى مدة على رءوس الملأ بأمثال هذه الأقوال : « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » — « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة

من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة » — قل « لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله . ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ولو كانوا يظنون أن محمدا ﷺ استعان بغيره ، لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم ، لأنه كأولئك المنكرين فى معرفة اللغة ، وفى المكنة من الاستعانة ، فلما لم يفعلوا ذلك وآثروا المقارعة على المعارضة والمقاتلة على المقاولة ، ثبت أن بلاغة القرآن العظيم كانت مسلمة عندهم وكانوا عاجزين عن المعارضة ، غاية الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدق به وبمن أنزل عليه ، وبين متحير فى بديع بلاغته .

روى : أنه سمع الوليد بن المغيرة من النبى ﷺ « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » فقال : والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

وروى أيضا أنه لما سمع القرآن رق قلبه للاسلام فجاءه أبو جهل وكان ابن أخيه منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا .

وروى أنه جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد ، فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا ، قالوا أنقول كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه ، قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته ، قالوا فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر ، وقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه . قالوا : فنقول ساحر ، قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، قالوا فما نقول ؟ قال ما أنتم بقائلين شيئا من هذا الا وأنا أعرف انه باطل ، وان أقرب القول : انه ساحر ، ثم قال : فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته . فتفرقوا وجلسوا على السبيل

يحذرون الناس عن متابعة النبى ﷺ فانزل الله تعالى فى الوليد : « ذرنى ومن خلقت وحيدا » الآيات .

وروى أن عتبة كلم النبى ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه : « حم كتاب فصلت آياته » الى قوله « فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة بيده على فيه وناشده الرحم أن يكف . وفى رواية فجعل النبى ﷺ يقرأ وعتبة مصغ ملق بيديه خلف ظهره معتمد عليها حتى انتهى الى السجدة ، فسجد النبى ﷺ وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمنى بكلام ما سمعت أذناى بمثله قط ، فما دريت ما أقول له .

وذكر أبو عبيدة أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ : « فاصدع بما تؤمر » فسجد وقال سجدت لفصاحته . وسمع رجل آخر من المشركين رجلا من المسلمين يقرأ : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا » فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحكى الأصمعى أن جارية تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية أو سداسية ، وهى تقول : أستغفر الله من ذنوبى كلها فقال لهم مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم ؟ فقالت :

أستغفر الله لذنبى كله
قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم فى دله
انتصف الليل ولم أصله

فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك . فقالت : أو يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليه وجاعلوه من المرسلين » فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

وفى حديث اسلام أبى ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخى أنيس لقد ناقضى اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية انا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاءنى قلت : فما يقول الناس ؟ قال يقولون شاعر كاهن ساحر ثم قال لقد سمعت ما قال الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعته على اقراء الشعراء فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى أنه شعر وأنه لصادق وأنهم لكاذبون .

وروى فى الصحيحين عن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطود فلما بلغ هذه الآية « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون » ؟ كاد قلبى أن يطير للاسلام . وقد حكى ان ابن المقفع طلب معارضة القرآن وشرع فيه ، فمر بصبى يقرأ : « وقيل : يا أرض ابلعى ماءك » فرجع فمحا ما عمل . وقال : أشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر .

وكن يحيى بن الحكم الغزالى بليغ الاندلس فى زمنه فحكى أنه رام شيئا من هذا فنظر فى سورة الاخلاص ليأتى على أسلوبها وينظر الكلام على منوالها قال فاعترتنى منه خشية ورقة حملتنى على التوبة والانابة .

فان قيل ان فصحاء العرب لما كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة ومركباتها القصيرة كانوا قادرين على الاتيان بمثلها .

قلت : هذه الملازمة ممنوعة لأن حكم الجملة قد يخالف حكم الأجزاء ، ألا ترى أن كل شعرة لا يصلح أن يربط بها الفيل أو السفينة (لكن) اذا عمل من الشعرات حبل متين يصلح أن يربط الفيل أو السفينة . ولأنها لو صحت ، لزم أن يكون كل فرد من أفراد العرب قادرا على الاتيان بمثل قصائد فصحائهم كامرىء القيس واضرابه . وهذا لا يقوله أحد .

الأمر الثالث : كون القرآن منطويا على الاخبار عن الحوادث الآتية فوجدت فى الأيام اللاحقة على الوجه الذى أخبر ، ولنذكر منها ثيفا وعشرين مثلا كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شـــاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » فوقع كما أخبر ، دخل الصحابة المســجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين غير خائفين . وكقوله تعـــالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » فكان الله تعالى وعد المؤمنين بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضى لهم وتبديل خوفهم بالأمن فوفى وعده فى مدة قليلة بأن ظهر فى حياة النبى ﷺ أن المسلمين تسلطوا على مكة وخيبر ومملكة اليمن وأكثر ديار العرب ، وأن اقليم الحبش صار دار الاسلام بايمان النجاشى الملك ، وأن أناسا من هجر وبعض المسيحيين من نواحى الشام قبلوا الاطاعة وأداء الجزية ، وأن هذا التسلط زاد فى خلافة الصديق الأكبر رضى الله تعالى عنه بأن تســـلط المسلمون عـــلى بعض ديار فارس وعلى بصرى ودمشق وبعض الديار الأخرى من الشـــام أيضا ، ثم زاد هذا التسلط فى خلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه بأن تسلطوا على سائر بـــلاد الشام وجميع مملكة مصر وعلى أكثر ديار فارس والعراق أيضا ، ثم زاد هذا التسلط فى خلافة ذى النورين رضى الله تعالى عنه بأن تسلطوا فى جانب الغرب الى أقصى الأندلس والقيروان وفى جانب الشرق الى حد الصين ، ففى مدة ثلاثين سنة تسلط أهل الاسلام على هذه الممالك تسلطا تاما وغلب دين الله عز وجل المرتضى على سائر الأديان فى هذه الممالك فكانوا يعبدون الله تعالى آمنين غير خائفين .

وفى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وان لم يتســـلط أهل الاسلام على الممالك الجديدة لكنه لا شبهة فى ترقى الملة الاسلامية فى عهده الشريف أيضا ، ثم بعد ذلك أيضـــا فتحت بلاد كثيرة فى الدول الاسلامية كما لا يخفى على من طالع الكتب التاريخية .

وكقوله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » ووقع كما أخبر سبحانه لأن المراد بأولى البأس — على أظهر الوجوه وأشهرها (١) — بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، والداعى الصديق الأكبر رضى الله تعالى عنه .

وكقوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وحال هذا القول كحال القول الثانى وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب على ما هو المرجو من الله تعالى ان شاء الله وهو على كل شىء قدير . وكقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكل هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا » والمراد بالفتح القريب : فتح خيبر ، وبالمغانم الكثيرة فى الموضع الأول مغانم خيبر أو هجر ، وبالمغانم الكثيرة فى الموضع الثانى : المغانم التى تحصل للمسلمين من يوم الوعد الى يوم القيامة . وبأخرى : مغانم هوازن أو فارس أو الروم . وقد وقع كما أخبر . وكقوله تعالى : « وأخرى تحبونها . نصر من الله وفتح قريب » فقوله جل شأنه « أخرى » أى يعطيكم خصلة أخرى . وقوله « نصر من الله » مفسر للأخرى . وقوله سبحانه « فتح قريب » أى عاجل وهو فتح مكة .

وقال الحسن : هو فتح فارس والروم وقد وقع كما أخبر .

وكقوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » والمراد بالفتح : فتح مكة لأن الأصح

---

(١) لماذا لا يقال : ان القوم أولى البأس ، هم أمم من الرومان والفرس والأمريكان والروس . وغيرهم ، حتى يظهر الله دينه . ولو كره الكافرون ؟

أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة ، لأن (اذا) تقتضى الاستقبال . ولا يقال فيما وقع اذا جاء ، واذ وقع ، حصل فتح مكة ودخل الناس فى الاسلام فوجا بعد فوج من أهل مكة والطائف وغيرهما فى حياته عليه الصلاة والسلام . وكقوله تعالى : « قل الذين كفروا ستغلبون » وقد وقع كما أخبر فغلبوا والحمد لله . وكقوله تعالى : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين» أى اذكروا اذ يعدكم الله احدى الطائفتين وهى القافلة الراجعة من الشام والقافلة الآتية من بيت الله الحرام ، وتودون أن تكون لكم القافلة الراجعة ، فوقع كما أخبر سبحانه وتعالى . وكقوله تعالى : « انا كفيناك المستهزئين » ولما نزلت هذه الآية الكريمة بشر النبى ﷺ أصحابه بأن الله جل وعز كفاه شرهم وأذاهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون العناء ، فتم نوره وكمل ظهوره . وكقوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » وقد قع كما أخبره سبحانه مع كثرة من قصد ضرره عليه الصلاة والسلام فعصمه الله تعالى حتى انتقل من دار الدنيا الى الرفيق الأعلى .

وأما أكلة « خيبر فعنها جوابان :

الأول : انه عليه الصلاة والسلام عصم من اغتيالهم وقتلهم والسم لم يؤثر فيه حالا وانما توفى عليه الصلاة والسلام بعد نحو ثلاث سنين ، بعد أن تمرض — كما شرحناه فيما سبق — .

والثانى : أن الآية نزلت بعد « خيبر » وقد عصم عليه الصلاة والسلام من وقت نزول الآية الى وفاته ﷺ كما لا يخفى .

وكقوله تعالى : « ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » فوقع كما أخبر وغلبت الروم فارس — كما قدمنا مفصل ذلك — .

وقال من النصارى صاحب ميزان الحق فى الفصل الرابع من الباب الثالث : « لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس ، فنقول : ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأى فى كل زمان » انتهى .

فقوله : لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين يشير الى أن هذا الأمر ليس بمسلم عنده ، وهذا عجيب منه لأن قوله جل وعز « سيغلبون فى بضع سنين » نص فى الاستقبال ، والبضع هو دون عشر سنين . وكذلك قوله « يومئذ يفرح المؤمنون » وقوله سبحانه : « وعد الله لا يخلف الله وعده » لأنهما يدلان على حصول فرح فى الزمان الآتى وحصول هذا الأمر فيه ولا معنى للوعد وعدم الخلف فى الأمر بعد وقوعه كما لا يخفى على من يحسن التكلم باللغة العربية . وقوله : ان محمدا ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره مردود بوجهين .

الأول : أن نبينا المصطفى ﷺ كان من العقلاء الكاملى اللب ، حتى أن المسيحيين يسلمون ذلك أيضا كما يعترف به هذا القسيس فى ميزانه وغيره ، ومن المعلوم أنه ليس من شأن العاقل الناظر فى العواقب المدعى للنبوة أن يدعى ادعاء قطعيا أن الأمر الفلانى يكون فى المدة القليلة هكذا البتة ويأمر أبا بكر أن يراهن المشركين على ذلك ، ولا سيما فالمنكر المتابل يتحرى مزلة أقدام المسلمين ويتطلب بيان كذبهم ، فكيف يسوغ الاقدام على الاخبار بهذا الغيب بالظن والحدس ؟ فهذا لا يقوله عاقل .

والثانى : أن العقلاء وان كانوا يقولون فى بعض الأمور بظنهم فيخرج مطابقا مرة ومخالفا أخرى ، غير أن العادة الالهية لم تجر بتصديق مدعى النبوة كذبا المفترى على الله تعالى انه أرسله لأنه اذا خرج اخبار هذا النبى المفترى على الله طبق ما قال فكأن الله سبحانه يقول للعباد أن هذا صادق فى نبوته اذ تأييده بهذه المعجزة تصديق له ، والله تعالى لا يصدق الكاذب ،

فلما رأينا قوله ستغلب الروم خرج كما قال ، علمنا أن هذا القول صدق وأنه معجزة لهذا النبى ﷺ ولو لم يكن الأمر كما أخبر لصار ذلك للمشركين سندا قويا فى تكذيبه كما لا يخفى على كل منصف .

وكقوله جل وعز : « أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت لم أعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : « سيهزم الجمع » فعلمته .

وكقوله عز شأنه : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » وقد وقعت هذه الأحوال كما هو مسلم عند كل ذى انصاف . وكقوله شعالى : « لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون » وهذه الآية نزلت فى اليهود فالمراد أنهم لن يضروكم الا أذى اما بالطعن فى محمد ﷺ وعيسى عليه السلام واما بتخويف الضعفة من المسلمين ، فأخبر فيها عن ثلاثة مغيبات : الأول : أن المؤمنين يكونون آمنين من ضرر اليهود ، والثانى : لو قاتلوا المسلمين يهزمون . الثالث : أنهم لا تحصل لهم قوة ولا شوكة بعد الانهزام ، وكلها وقع .

وكقوله تعالى فى حق اليهود : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله ، وضربت ، عليهم المسكنة » وقد وقع كما أخبر ، وليس لليهود حكومة فى موضع من المواضع (١) وهم فى أى اقليم وجدوا فهم رعايا مضروب عليهم الذلة .

---

(١) فى عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ميلادية ، وبعده ، صار لليهود دولة وحكومة فى « فلسطين » وهذا كما قاله بعض المفسرين تحقيق للافساد الأول المذكور فى أول سورة الاسراء والمذكور فى الاصحاح الثامن من سفر دانيال من قوله : « بعد ألفين وثلاث مائة صباح ومساء ثم يتطهر القدس »

« أنظر اظهار الحق لرحمت الله الهندى » وكتابنا : بيان فساد بنى اسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين (نشر دار الأنصار بمصر)

فان قال النصرانى : أن هذا مذكور أيضا فى كتب النصارى (٢) فنقول على تقدير تسليم ذلك من أين علم به عليه الصلاة والسلام وهو أمى غير مخالط لأهل الكتاب ؟ ودعوى تعليمه دونها خرط القتاد .

وكقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أى من التحريف والزيادة والنقصان مما تواتر عند العلماء الأعيان من قراء كل زمان . وقد وقع كما أخبر عز شأنه فما قدر أحد من الملاحدة والزنادقة والمعطلة والقرامطة أن يحرف شيئا منه ، لا حرفا من حروف مبانيه ولا شيئا من حروف معانيه ولا اعرابا من اعراباته ولا مدا من مداته الى هذه المدة التى نحن فيها أعنى ألفا وثلثمائة وخمس سنين من الهجرة ، بخلاف التوراة والانجيل ، فانهما حرفا وزيدا ونقصا بل والى الآن كل نسخة تطبع منهما لا توافق النسخة المطبوعة قبلها . وهذا شىء ثابت فى العيان لا يقدر على انكاره من له عينان وأذنان سامعتان كما ستثبت هاتين الدعوتين قريبا ان شاء الله تعالى الرحمن الرحيم .

وكقوله جل شأنه : « لا يأتيه الباطل » أى التحريف بالزيادة والنقصان « من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وهذه كالآية السابقة وكقوله عز وجل : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » أى أن الله الذى عليهم . فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه ، لرادك الى مكة ظاهرا .

وقد روى الثقاة المحدثون أن المصطفى عليه الصلاة والسلام لما هاجر من مكة الى المدينة ، ففى الطريق تذكر مكة واشتاق اليها وذكر مولده ومولد أبيه ، فنزل جبريل عليه السلام وقال تشتاق الى بلدك ومولدك ؟ فقال النبى ﷺ : نعم ، فقال جبريل عليه السلام فان الله تعالى يقول : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » .

---

(٢) فى قول المسيح : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (متى ٢٣ : ٣٨)

وكقوله تبارك وتعالى فى حق اليهود : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عليهم بالظالمين » والمراد بالتمنى التمنى بالقول . ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام مع تقدمه فى الرأى والحزم وحسن النظر فى العاقبة كما هو المسلم عند الموافق والمخالف والوصول الى المنزل الذى وصل اليه فى الدارين والوصول الى الرياسة العظيمة ، لا يجوز له وهو غير واثق من ربه سبحانه بالوحى أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه ولا يأمن من خصمه أن يقهره بالدليل والحجة ، لأن العاقل الذى لم يجرب الأمور لا يكاد يرضى بذلك ، فكيف الحال فى أعقل العقلاء ، فثبت : أنه ما قدم على هذا التحدى الا بعد الوحى واعتماده الكامل وكذا لا شك أنهم كانوا من أشد أعدائه وكانوا أحرص الناس على تكذيبه وأنهم لا يزالون متفكرين فيما ينجى به الاسلام أو يحصل منه الذلة لأهله والملام ، وكان المطلوب منهم أمرا سهلا لا صعوبة فيه . فلو لم يكن رسول الله ﷺ صادقا فى دعواه عندهم ، لبادروا الى القول به ليكذبوه ولصدحوا به ليوهنوه .

وقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال : « والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه » يعنى مات مكانه ، فظهر انهم مع كونهم أحرص الناس على تكذيبه ولم يتمنوا الموت ، صدقت معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وبانت حجته لدى المنصف من الانام . وفى هذه الآية اخباران عن الغيب :

الأول : ان قوله تعالى : « ولن يتمنوه » يدل دلالة بينة على أن ذلك لا يقع فى المستقبل من أحد منهم ، فيفيد عموم الأشخاص .

والثانى : ان قوله سبحانه « أبدا » يدل على أنه لا يوجد فى شىء من الأزمنة الآتية فى المستقبل فيفيد عموم الأوقات ، فبالنظر الى العمومين هما غيبان .

وكقوله تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » فأخبر جل وعز بأنهم لا يفعلون البتة ، ووقع كما أخبر .

وهذه الآية دالة على الاعجاز من وجوه أربعة :

أولها : انا نعلم بالتواتر : أن العرب كانوا فى غاية العداوة لرسول الله ﷺ وفى غاية الحرص على ابطال أمره لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الادلة على ذلك ، فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع ، وهو قوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » صار حرصهم أشد فلو كانوا قادرين على الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ، لأتوا به ، وحيث ما أتوا به ، ظهر الاعجاز .

وثانيها : ان النبى ﷺ ، وان كان متهما عندهم فى أمر النبوة ، لكنه كان معلوم الحال فى وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب ، فلو كان كاذبا لما تحداهم بالغا فى التحدى الى النهاية بل كان عليه أن يخاف بما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره ، فلو لم يعلم بالوحى عجزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التقريع .

وثالثها : لو لم يكن قاطعا فى أمره لما قطع فى أنهم لا يأتون بمثله ، لأن المزور لا يجزم بالكلام ، فجزمه يدل على كونه جازما فى أمره .

ورابعها : انه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه ، لأنه من عهده عليه الصلاة والسلام الى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات من أعداء الدين والاسلام وتشتد دواعيه فى الوقيعة فيه ، ثم انه مع الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط .

فهذه الوجوه الأربعة فى الدلالة على الاعجاز مما تشتمل عليهم هذه الآية .

وهذه الأخبار وأمثلها تدل على كون القرآن الكريم كلام الله تعالى العظيم لأن عادة الله سبحانه **جارية على أن مدعى النبوة** لو أخبر عن شيء ونسب الى الله تعالى كذبا لا يخرج خبره صحيحا ففى آخر الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء ما نصه : « فان أحببت وقلت فى قلبك : كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فهذه تكون لك آية أن ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهذا الرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صورة فى تعظيم نفسه ، ولذلك لا تخشاه » أهـ .

الأمر الرابع : ما أخبر به من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة ، وقد علم أنه ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يكن مشتغلا بمدارسته مع العلماء ولا مجالسته للفضلاء ، بل تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الكتاب ، وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضا . ولم يغب على قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم ، والمواضع التى خالف القرآن فيها — فى بيان القصص والمحالات المذكورة — كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها . فهذه المخالفة قصدية ، اما لعدم أن هذه الكتب أصلية كالتوراة والانجيل المشهورين ، واما لعوم كونها الهامية ومما يدل على ما ذكرنا قوله تعالى : « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه مختلفون »

الأمر الخامس : ما فيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون فى السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد ، وكان الله عز وجل يطلع رسوله عليه الصلاة والسلام عن تلك الأحوال حالا فحالا ، ويخبره عنها على سبيل التفصيل ، فما كانوا يجدون فى كل ذلك الا الصدق . وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضمائرهم .

الأمر السادس : جمعه لمعارف وعلوم كلية لم تعهد العرب عامة ولا نبينا ﷺ خاصة من علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسير والمواعظ وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم . وتحقيق

الكلام فى هذا الباب : أن العلوم اما دينية أو غيرها . ولا شك أن الأولى أعظمها شأنا وأرفعها مكانا ، فهى اما علم العقائد والأديان ، واما علم الأعمال .

أما علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

واما معرفة الله تعالى فهى عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة صفات اكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه .

والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شىء من الكتب السماوية ، بل لا يقرب منه كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على ما فيها .

وأما علم الأعمال فهو اما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر ، وهو علم الفقه ، ومعلوم أن جميع الفقهاء انما استنبطوا مباحثهم من القرآن .

واما أن يكون علم التصوف الشرعى المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب . وقد حصل فى القرآن العظيم من مباحث هذا العلم ما لا يوجد فى غيره كقوله سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله عز اسمه : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » وقوله جل جلاله : « لا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » فقوله : « ادفع بالتى هى أحسن » يعنى ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالخصلة التى هى أحسن ، وهى الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة وقوله : « فاذا الذى » الخ يعنى اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم القبيحة وأبدلوا العداوة بالمحبة ورجعوا عن البغض الى المودة ، ونحو هذه الأقوال كثيرة ، يطول البحث

بذكرها فثبت : أنه جامع لجميع العلوم النقلية أصولها وفروعها مع ما فيه من التنبيه الكافي على أنواع الدلالات العقلية ، والرد على أرباب الضلال من الدهرية والمشركين وغيرهم ، ببراهين ظاهرة ، وأدلة قاهرة ، وحجج باهرة سهلة المباني دانية المعاني مثل قوله عز من قائل « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » وكقوله تعالى « يحيها الذى أنشأها أول مرة » وكقوله سبحانه : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وغير ذلك . ولنعم ما قيل .

جميع العلم فى القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجـــال

الأمر السابع : كونه بريئا عن الاختلاف والتفاوت ، مع أنه كتـــاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ، فلو كان من عند غير الله تعالى لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة ، لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك . ولما لم يوجد فيه ذلك ، مع ما اشتمل عليه من الأمور السابقة ، علمنا أنه ليس من عند غير الله ، كما قال تبارك وتعالى « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » والى هـــذه الأمور السبعة المذكورة أشار الله تعالى بقوله : « أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » لان مثل هذه البلاغة والاسلوب العجيب والاخبار عن العيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة عن الاختلاف والتفاوت ، مع كون الكتاب كبيرا مشتملا على أنواع العلوم لا يتأتى الا من العـــالم الذى **لا يغيب عن علمه مثقال ذرة مما فى السموات والأرض .**

الأمر الثامن : كونه معجزة باقية متلوة فى كل مكان وزمان ، مـــع تكفل الله سبحانه بحفظه بخلاف معجزات سائر الأنبياء — عليهم الصـــلاة والسلام — فانها انقضت بانقضاء أوقاتها . وهذه المعجزة باقية على ما كانت عليه من وقت النزول الى زماننا هذا . وقد مضت هذه الاعصار والدهور ، وحجتها قاهرة ومعارضته ممتنعة ، مع أن البلاد والقـــرى والأقطار والبقاع فى كل عصر مملوءة بأصحاب العربية والمتكلمين بهذه

اللغة السنية وأئمة البلاغة والفصحاء ، ولا تخلو من ملحد شديد ومخالف عنيد ، ومجادل استولى على قلبه الران ، أو ضال نحدثه نفسه باطفاء هذا النور المتلألى فى الاكوان ، فبقى محفوظا متلوا سالما من الزيادة والنقصان .

ثم انه لما كان العجز منه بمقدار أقصر سورة ، فكل جزء منه بهذا المقدار معجز ، فعلى هذا يكون القرآن مشتملا على أكثر من ألفى معجزة ، كما لا يخفى .

الأمر التاسع : ان قارئه لا يسأمه ، وسامعه لا يمجه ، بل تكراره يوجب زيادة محبته كما قيل .

وخير جليس لا يمل حديثه وترداده يزداد فيه تجملا

وغيره من الكلام — ولو كان بليغا فى الغاية — يمل — مع الترديد — فى السمع ويكره فى الطبع . وهذا فى الحقيقة بالنسبة الى من له قلب سليم ، لا الى ذى الطبع السقيم ، فان الصفراوى قد يجد طعم العسل مرا ، والجمل لا يستطيع على الطيب صبرا .

الأمر العاشر : كونه جامعا مع الدليل ومدلوله . فالتالى له اذا كان ممن يدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معا فى كلام واحد ، باعتبار منطوقه ومفهومه ، لأنه ببلاغة الكلام يستدل على الاعجاز وبالمعانى يقف على أمر الله تعالى — ونهيه ووعده ووعيده .

الأمر الحادى عشر : ان حفظه سهل على من أراده . كما قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » حتى أن الأولاد الصغار يحفظونه فى أقصر مدة ولذا يوجد فى كل عصر فى أغلب بلاد المسلمين حفاظ له كثيرون ، وربما يزيدون على مائة ألف حافظ ، بحيث يمكن أن يكتب القرآن من حفظ كل فرد منهم ، من أوله الى آخره من غير غلط فى اعرابه ومن

المعلوم انه لا يوجد فى جميع بلاد النصارى وغيرها من يحفظ التوراة والانجيل وان وجد ، فهو من أندر النوادر ، مع أن المسيحيين متفرغين للتحصيل ومتوجهين الى أخذ العلوم والمعارف والصنائع منذ ثلثمائة سنة وهم والحمد لله تعالى لم يقاربوا المسلمين فى ذلك . وهذا من الفضل البديهى لأمة محمد ﷺ ولكتابهم الكريم .

الأمر الثانى عشر : الخشية التى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع تلاوته ، والهيبة التى تعترى تاليه . وهذه الخشية قد تعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفسيره فمنهم من أسلم لها لأول وهلة ومنهم من يسلم بعد ذلك ، ومن ذلك ما روى أن نصرانيا مر بقارىء ، فوقف يستمع ويبكى فسئل عن سبب البكاء ، فقال الخشية التى حصلت له من أثر كلام الرب . ومنه : أن جعفر الطيار رضى الله تعالى عنه لما قرأ القرآن على النجاشى وأصحابه ، مازالوا يبكون حتى فرغ جعفر رضى الله تعالى عنه من القراءة ، وأن النجاشى أرسل سبعين عالما من العلماء المسيحيين الى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس ، فبكوا وآمنوا فنزل فى حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى : « واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » وأمثال هذا كثير ، لو أردنا أن نعدده لطال بنا الكلام ، وربما لحق السامع سأم .

فثبت من الأمور المذكورة : أن القرآن معجز ، وأنه كلام الله سبحانه بلا ريب كيف لا ؟ وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء : أن تكون ألفاظه فصيحة ، وأن يكون نظمه مرغوبا ، وأن يكون مضمونة حسنة وهذه الأمور الثلاثة متحققة فى القرآن بحيث لا تخفى على كل ذى قلب سليم وعقل مستقيم ولب وسيم .

ولنختم هذه الأمور بفائدتين :

الأولى : ان سبب نزول القرآن منجما فى ثلاث وعشرين سنة ، ولم ينزل دفعة واحدة وجوه :

أحدها : ان النبى ﷺ لم يكن ممن يقرأ أو يكتب ، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة ، لربما كان لا يضبطه ولجاز عليه السهو ، كما هو شأن البشر .

وثانيها : أنه لو أنزل الله تعالى عليه الكتاب دفعة واحدة ، فلربما اعتمد على الكتاب ، وتساهل فى الحفظ حسب العادة البشرية ، فلما أنزله تبارك وتعالى منجما مفرقا حفظه وبقيت سنة الحفظ فى أمته حتى أن كثيرا من أطفالهم يحفظه وقت القراءة عند معلمه .

وثالثها : انه لو أنزل دفعة لكان نزول الأحكام التكليفية أيضا دفعة ، لأنها فى ضمنه فيثقل على الناس امتثال ذلك ، لأن النفوس ربما لا تطيق حمل الاشياء بأسرها جملة واحدة فاذا كلف بحملها تدريجيا لا تعبأ عنه ، فنزول التكاليف أولا فأولا وتحملها شيئا فشيئا ، أسهل وأخف . كما روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : لقد أحسن الله تعالى الينا كل الاحسان ، كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله ﷺ بهذا الدين جملة ، وبالقرآن دفعة ، لثقلت هذه التكاليف علينا ، فما كنا ندخل فى الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة ، فلما قبلناها وذقنا حلاوة الايمان ، قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة ، الى أن تم الدين وكملت الشريعة .

ورابعها : أنه عليه الصلاة والسلام اذا شاهد جبريل حالا بعد حال ، يقوى قلبه بمشاهدته ، فكان أقوى على أداء ما حمل ، وعلى الصبر على عوارض النبوة ، وعلى احتمال أذية القوم .

وخامسها : انه لما تم شرط الاعجاز فيه مع كونه منجما ، ثبت كونه معجزا ، فانهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا .

وسادسها : كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم ، فكانوا يزدادون بصيرة ، لأن الاخبار عن الغيوب كان ينضم بسبب ذلك الى الفصاحة .

وسابعها : أن القرآن لما نزل منجما وتحداهم النبى ﷺ من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن ، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى فثبت بهذا الطريق : أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة .

ومما يناسب انشاده فى هذا المقام ما قاله من قصيدة طويلة صاحبنا « أحمد عزت باشا الفاروقى » فى مدحه عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله .

رسول أتانا بالكتاب منجما
فكان لنا سيفا وكان كتابا

وادى لنا حق الرسالة كلها
وأنذرنا صدقا وقال صوابا

لقد أنكرته من قريش معاشر
فضلت وأمست للسيوف قرابا

أبى الله الا أن يتم نوره
على رغم من لا يخلقون ذبابا

فكم من بدور أشرقت يوم بدره
ونجم معود فى المذلة غابا

الفائدة الثانية : سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص فى مواضع : أن العرب كانوا مشركين وثنيين ، ينكرون هذه الأشياء ، وغير العرب ، بعضهم مثل أهل الهند والصين والمجوس كانوا مثل العرب فى الانكار ، وبعضهم كأهل التثليث كانوا فى الافراط والتفريط فى اعتقاد هذه الأشياء ، فلأجل التقرير والتأكيد كرر بيان هذه الأشياء .

ولتكرار القصص أسباب أخرى أيضا :

منها : أن اعجاز القرآن لما كان باعتبار البلاغة أيضا وكان التحدى بهذا الاعتبار ، فكررت القصص بعبارات ، ايجازا واطنابا ، مع حفظ الدرجة العليا للبلاغة فى كل مرتبة ، ليعلم أن القرآن ليس كلام البشر ، لأن هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية .

ومنها : أنه كان لهم أن يقولوا أن الألفاظ الفصيحة التى كانت نماسبة لهذه القصة ، استعملتها وما بقيت ألفاظا أخرى مناسبة لها ، وأن يقولوا ان طريق كل بليغ يخالف طريق الآخر فبعضهم يقدر على الطريق المطنب ، وبعضهم على الموجز فلا يلزم من عدم القدرة على نوع عدم القدرة مطلقا ، أو أن يقولوا : ان دائرة البلاغة ضيقة فى بيان القصص ، وما صدر عنك بيانها مرة ، فمحمول على الاتفاق . فلما كررت القصص ايجازا وأطنابا ، لم يبق عذر من هذه الاعذار الثلاثة .

ومنها : أنه ﷺ كان يضيق صدره بايذاء القوم وشرهم ، كما أخبر الله تعالى بقوله : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » فيقضى الله سبحانه قصة من قصص الأنبياء مناسبة لحالة فى ذلك الوقت ، لتثبيت قلبه كما أخبر الله تعالى بقوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة ، وذكرى للمؤمنين »

ومنها : أن المسلمين كان يحصل لهم الايذاء من الكفار ، وأن قوما كانوا يسلمون أو أن الكفار كان المقصود تنبيههم ، فكان الله عز وجل ينزل فى كل موضع من هذه القصص ما يناسبه ، لأن حال السلف تكون عبرة للخلف .

ومنها : أن القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة ، فتذكر تارة ، ويقصد بها بعض الأمور قصدا ، وبعضها تبعا ، وتعكس مرة أخرى .

الفصل الثانى فى دفع شبهات القسيسين عن القرآن المبين .

الشبهة الأولى : قالوا لا نسلم أن عبارة القرآن فى الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة ، ولو سلمنا ذلك فهو يكون دليلا ناقصا على الاعجاز ، لأنه لا يظهر الا لمن كانت له معرفة تامة بلسان العرب ، ويلزم أن تكون جميع الكتب التى توجد فى الألسن الأخرى ، مثل اليونانى واللاطينى ، وغيرهما فى الدرجة العالية من البلاغة كلام الله تعالى ، على أنه يمكن أن تؤدى المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بالفاظ فصيحة وعبارات بليغه فى الدرجة القصوى .

والجواب عن ذلك : ان عدم تسليم كون عبارة القرآن فى الدرجة العليا ، مكابرة محضة ، لما عرفت فيما تقدم . وقولهم : لأنه لا يظهر الا لمن كانت له معرفة تامة بلسان العرب : حق ، لكن التقريب غير تام ، لأن هذه المعجزة لما كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء ، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوا واعترفوا بها ، وعرفها أهل اللسان سليقتهم وغيرهم من العلماء بمهارتهم فى فن البيان ، وأحاطتهم بأساليب الكلام ، وعرفها القوم من الفرق بشهادة الوقت الوف من أهل اللسان والعلماء ، فظهر انها معجزة يقينا ، ودليل كامل لا ناقص كما زعموا وصارت سببا من الأسباب الكثيرة التى يعلم بها أن القرآن كلام الله تعالى . ولا يدعى أهل الاسلام أن سبب كون القرآن كلام الله تبارك وتعالى منحصر فى كونه بليغا فقط ، وكذا لا يدعون أن معجزة النبى ﷺ منحصرة فى بلاغة القرآن فقط ، بل يدعون أن هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة ، لكون القرآن كلام الله تعالى ، وان القرآن بهذا الاعتبار أيضا معجزة من المعجزات الكثيرة للنبى ﷺ كما عرفت فيما تقدم وهذه المعجزة ظاهرة فى هذا الزمان أيضا لمن لا يحصى عددهم الا الله تعالى من أهل اللسان ، وماهرى علم البيان . وعجز المخالفين ثابت من ظهورها الى هذا الزمان .

وقولهم : « يلزم أن يكون جميع الكتب » الى آخره . غير مسلم لأن هذه الكتب لم تثبت بلاغتها فى الدرجة القصوى باعتبار الوجوه التى

مر ذكرها ، ولم يثبت ادعاء مصنفيها الاعجاز وعجز فصحاء هذه الألسن عن معارضتها . فان ادعى أحد هذه الأمور بالنسبة الى هذه الكتب فعليه الاثبات ، والا فلابد أن يمتنع عن مثل هذا الادعاء الباطل ، على أن شهادة بعض المسيحيين فى حق الكتب المذكورة بأنها فى هذه الألسن مثل القرآن فى اللسان العربى فى الدرجة العليا من البلاغة ، غير مقبولة ، لأنهم اذا لم يكونوا من أهل اللسان فلا يميزون غالبا فى لسان الغير بين المذكر والمؤنث ، ولا بين المفرد والمثنى والجمع ، ولا بين المرفوع والمنصوب والمجرور ، فضلا عن أن يميزوا الابلغ عن البليغ . وعدم تيميزهم هذا لا يختص بالعربى ، بل فيه وفى العبرانى واليونانى واللاطينى على طريقة واحدة . ومنشأ عدم التمييز سذاجة كلامهم ، لا سيما اذا كان هذا البعض من أهل انجلتره ، فانهم مشاركون فى هذه السذاجة لغيرهم من المسيحيين ، وممتازون عنهم بعادة اخرى أيضا وهى أنهم اذا عرفوا ألفاظا معدودة من لسان الغير ، يظنون أنهم تبحروا فى المعرفة ، واذا تعلموا مسائل معددة من علم ، يعدون أنفسهم من علماء هذا العلم والفرنساويون واليونانيون طاعنون عليهم فى هذه العادة .

ويشهد للدعوى الأولى : أن الأب سنركيس الهارونى مطران الشام جمع باذن البابا اريانوس الثامن كثيرا من القسيسين والرهبان والعلماء ومعلمى اللسان العبرانى والعربى واليونانى وغيرها ليصلحوا الترجمة العربية التى هى مملوءة بالاغلاط الكثيرة ، والنقص الوافر فبذلوا الجهد فى الاصلاح سنة ١٦٧٥ من البلاد ، فأصلحوا بمقتضى وسعهم لكن لما علموا بقاء نقائص كثيرة فى ترجمتهم — كما هى سجية المسيحيين اعتذروا عن ذلك فى المقدمة التى حرروها فى أول النسخ ، ولنذكر لك عبارة ذلك وهى قولهم : « ثم انك فى هذا النقل غير موافق قوانين اللغة ، بل مضادا لها كالجنس المذكر بدل المؤنث ، والمفرد بدل الجمع والجمع بدل المثنى ، والرفع مكان الجر والنصب فى الاسم ، والجزم فى الفعل ، وزيادة الحروف عوض الحركات وما يشابه ذلك فكان سببا لهذا كله سذاجة كلام

المسيحيين ، فصار لهم نوع تلك اللغة مخصوصا ولكن ليس فى اللسان العربى فقط ، بل فى اللاتينى واليونانى والعبرانى تغافلت الأنبياء والرسل والآباء الأولون عن قياس الكلام لانه لم يرد روح القدس أن تقيد اتساع الكلمة الالهية بالحدود المضيفة التى حدتها الفرائض النحوية ، فقد لنا الأسرار السماوية بغير فصاحة وبلاغة » انتهى كلامهم بلفظه .

ويشهد للدعوى الثانية : اشياء كثيرة لا تخفى ، يعرفها كل مطلع على أحوالهم ، منها ما ذكره أبو طالب خان السياح فى كتابه الفارسى المسمى بالسير الطالبى المشتمل على بيان ما وقع له فى سياحته ، وكتب فيه ما رآه من حال كل اقليم ساح فيه من محاسنه ومساوئه ، فكتب من محاسن أهل انجلترا ومساوئهم ، فى الذميمة الثامنة ، وترجمة المقصود منها ما لفظه : « الثامنة خطؤهم فى معرفة حد العلوم ولسان الغير ، لأنهم يحسبون أنفسهم عار فى كل لسان ، ومن أهل كل علم معدودة من ذلك اللسان ، أو مسائل معدودة من ذلك العلم ، ويؤلفون الفتب فيها ، ينشرون هذه المزخرفات بعد الطبع ، ووقفت على هذا المعنى بشهادة الفرنساويين واليونانيين ، لأن تحصيل ألسنتهم رائج فى أهل انجلترا ، وحصل لى اليقين بمشاهدة تصرفاتهم فى اللسان الفارسى » انتهى .

ثم قال « اجتمع فى لندن الكتب الكثيرة من هذا النوع ، بحيث يكاد أن تبقى الكتب الحقة بعد برهة من الزمان متميزة » انتهى كلامه .

فصل

وقولهم : « على أنه يمكن أن تؤدى المطالب الباطلة بالفاظ فصيحة » الى آخره .

لا ورود له فى حق القرآن العظيم كما لا يخفى على صحيح النظر غير سقيم لأن القرآن مملوء من أوله الى آخره بذكر هذه الأمور السبعة

والعشرين ، ولا نجد آية طويلة فيها خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور .

الأمر الأول : الصفات الكاملة الالهية مثل كونه واحدا أحدا قديما وأزليا وأبديا وقادرا وعالما وسميعا وبصيرا ومتكلما وحكيما وخبيرا وخالق السموات والأرض ورحيما ورحمانا وصبورا وعادلا وقدوسيا ، ومحييا ومميتا وغيرها .

الثاني : تنزيه الله تعالى عن المعائب والنقائص مثل الحدوث والعجز والجهل — والظلم واتخاذ الصاحبة والولد وغيرها .

الثالث : الدعوة الى التوحيد الخالص والمنع عن الشرك مطلقا وعن الاستعانة بغيره سبحانه فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى وعن الطلب من غيره وأن يدعو غيره عز وجل ، والمنع عن التثليث الذى هو الشرك الأكبر كما تقدمت أدلته لك فتذكر .

الرابع : ذكر الأنبياء عليهم السلام .

الخامس : تنزيههم عن عبادة الأوثان وغير ذلك من الفسوق والعصيان

السادس : مدح المؤمنين بالأنبياء عليهم السلام .

السابع : ذم منكريهم .

الثامن : تأكيد الايمان بالأنبياء عموما وبالمسيح خصوصا .

التاسع : الوعد بأن المؤمنين يغلبون المنكرين فى عاقبة الأمر .

العاشر : حقيقة القيامة والجزاء على الأعمال فى يومها .

الحادى عشر : ذكر الجنة والنار .

الثانى عشر : ذم الدنيا وبيان عدم ثباتها .

الثالث عشر : مدح العقبى وبيان ثباتها ودوامها ونعيمها .

الرابع عشر : بيان حل الأشياء وحرمتها .

الخامس عشر : بيان أحكام تدبير المنزل .

السادس عشر : بيان أحكام سياسات المدن .

السابع عشر : التحريض على محبة الله تعالى .

الثامن عشر : بيان الأشياء التى هى ذريعة الوصول الى الله جل وعز .

التاسع عشر : الزجر عن مصـــاحبة الفجار والفساق وعن الركون اليهم .

العشرون : تأكيد خلوص النية فى العبادات البدنية والمالية .

الحادى والعشرون : التهديد على الرياء والسمعة .

الثانى والعشرون : التأكيد على تهذيب الأخلاق بالاجمال والتفصيل .

الثالث والعشرون : التهديد على فعل الأخلاق الذميمة بالاجمال .

الرابع والعشرون : مدح الأخلاق الحسنة مثل الحلم والتواضـــع والكرم والشجاعة والعفة وغيرها .

الخامس والعشرون : ذم الأخلاق القبيحة ، مثل الغضـــب والعجب والتكبر والبخل والجبن والظلم وأكل مال الناس بالباطل وغيرها .

السادس والعشرون : الوعظ بالتقوى والصـــلاح والاصلاح بين الناس وترك أذاهم والاحسان اليهم .

السابع والعشرون : الترغيب الى ذكر الله تعالى وعبادته والخوف منه والرجاء لرحمته ولا شك أن هذه محمودة مستحسنة عقلا ونقلا وجاء ذكر هذه الأمور فى الكتاب المبين مرارا للتأكيد والتقرير ، فلو كانت هذه المضامين قبيحة ، فأى مضمون يكون حسنا ؟ ليت شعرى .

فصل نقول : نعم لا يوجد فى القرآن نيف وعشرون مسألة وهى التى يزعمها أهل التوراة والانجيل : أن النبى الفلانى زنى بابنته ، أو زنى بزوجة الغير ، وقتله بالحيلة ، أو عبد العجل ، أو ارتد فى آخر عمره وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ، وافترى على الله الكذب ، وكذب فى التبليغ وخدع بكذبه نبيا آخر مسكينا ، وألقاه فى غضب الرب سبحانه أو أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم كان أصل تولدهم من الزنا ، لأنهم تولدوا من فارص بن يهود أو أن الرسول الأعظم ابن الله البكر أبا الأنبياء زنى ابنه الأكبر بزوجة ابيه ، الثانى بزوجة ابنه . وسمع هذا النبى العظيم الشأن ما صدر عن ابنيه المحبوبين ، وما أجرى عليهما الحد ، غير أنه دعا على الأكبر وقت موته لأجل هذه الفعلة الشنيعة ، ولم ينقل فى حق الآخر أنه غضب عليه بل نقل أنه دعا له بالبركة التامة عند الموت ، وأن الرسول العظيم الآخر البكر الثانى أيضا الزانى بزوجة الغير ، زنى ابنه الحبيب ببنته الحبيبة ، وسمع بذلك ، وما أجرى عليهما الحد ولعله بزعمهم وحاشاه امتنع عن الحد ، لأنه كان مبتلى بالزنى أيضا بزعمهم فكيف يجرى ذلك على الغير ولا سيما على أولاده . وهذ القدر مسلم عند اليهود والنصارى . ومصرح به فيما يتمسكون به من العهد العتيق ، المسلم عند الفريقين ، والآن أسفاره على ظهورهم .

وكذلك لا يوجد فى القرآن العظيم كما يوجد فى العهد الجديد ان يحيى عليه السلام الرسول الذى هو أعظم الأنبياء الاسرائيلية بشهادة عيسى عليه السلام لم يعرف الهه الثانى ، ومرسله الذى هو عيسى الى مدة ثلاثين سنة ، والى وقت الاصطباغ منه ، والى ان نزل على هذا الاله الثانى وهو عيسى بزعمهم الاله الثالث ، وهو روح القدس فى شكل حمامة ، حتى عرف يحيى أن عيسى الهه مالكه وخالق السموات والأرض .

وكذلك ليس فى القرآن أن الرسول الآخر السارق الذى كان عنده الكيس المسروقة أعنى « يهوذا الاسخريوطى » الذى هو صاحب الكرامات

والمعجزات ، وأحد الحواريين الذين هم أعلى منزلة من موسى بن عمران وسائر الأنبياء الاسرائيلية ، على زعمهم باع دينه بدنياه بثلاثين درهما وسلم الهه وخالقه ورازقه ومميته ومحييه بأيدى أعدائه اليهود ، لهـذه الرشوة النجسة ، حتى أخذوا الهه وصلبوه بين لصين . ويقتضى على زعمهم أن يهوذا المذكور لما كان صيادا أو لصا محتاجا ورسولا خداعا ، كانت عنده هذه الدراهم من أجل ما يتمناه ، ومقدمة عنده على عيسى وأن كان يعتقده أنه الاله فنعوذ من هذا الاعتقاد السىء بالله .

وكذلك لا يوجد فى القرآن مثل أن قيافا رئيس الكهنة الذى ثبتت نبوته بشهادة يوحنا الانجيلى أفتى بقتل الهه وكذبه وكفره واهانته . وقد وقع فى حق هذا الاله المصلوب بزعم النصارى ثلاثة أمور عجيبة من ثلاثة أنبياء على عدد التثليث :

١ — أن أعظم أنبيائه الاسرائيليين لم يعرفه معرفة جيدة الى مدة ثلاثين سنة اى الى أن رآه ، ونزل عليه الاله فى شكل الحمامة .

٢ — وان نبيه الثانى ارتشى على تسليمه وقتله .

٣ — وان التثليث أفتى بقتله وكذبه وكفره ، أعاذنا الله تعالى من هذه الاعتقادات وأمثالها الباطلات وهذا كله موجود فى انجيلهم الموسوم بالعهد الجديد ، نقلناه لترى الفرق بينه وبين القرآن المجيد .

وليس اعتقاد المرء ما خط كفه كما أن حاكى الكفر ليس بكافر

وكذلك لا يوجد فى القرآن هذه المسـائل الآتية التى عجزت عن أكثرها عقولنا بل عقول العالم وتعتقدها الفرقة القديمة أعنى فرقة كتلك — التى عددها بحسب ادعاء بعض آبائها فى هذا الزمان ما يزيد على مائتى مليون . وهى أن مريم عليها السلام قد حبلت بها أمها بلا قـرب زوج ، كما انكشفت هذه الحقيقة على الباباويين ، من مدة قريبة ، وأن كل قطعة خبز من الخبز الذى يقدسه القسيس ، وان كان بمقدار مليونات

غير متعددة ، تستحيل فى العشاء الربانى فى آن واحد فى أمكنة مختلفة الى المسيح الكامل بلاهيته وناسوته الذى تولد من العذراء فتأكله الأشخاص المتعددون ويستحيل ما يستحيل . وهذه الاستحالة حقيقية عندهم ، كما قدمناه لك غير مرة فهل ، يقول بهذا القول من شم رائحة العقل ؟

وكذا لا يوجد فى القرآن : انه لابد أن يصطنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن ، وأنه لا خلاص بدون الايمان بالبابا وأن كان غير صالح فى نفس الأمر ، وأن أسقف رومية هو البابا دون غيره ، وهو رأس الكنيسة ومعصوم من الغلط ، وأن كنيسته رومية هى أم الكنائس كلها ومعلمتها ، وأن للبابا ومتعلقيه خزانة من قدر جزيل من استحقاقات القديسيين أن يمنحوا الغفرانات ، أى يغفروا ذنوب المذنبين الفائتين لهم خطاهم ، ولا سيما اذا استوفوا ثمنا وافيا لأجلها كما هو الروج المعروف عندهم ، وان البابا له منصب تحليل الحرام وتحريم الحلال ، كما قال المعلم ميخائيل مشاقه من علماء البروتستنت فى الصفحة السادسة والستين من كتابه المسمى بـ « أجوبة الانجيليين على أباطيل » التقليديين » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٥٢ ما لفظه : « والآن تراهم يزوجون العم بابنة أخيه ، والخال بابنة أخته ، والرجل بامرأة أخيه ذات الأولاد ، خلافا لتعليم الكتب المقدسة ولمجامعهم المعصومة ، وقد اضحت هذه المحرمات حلالا عند أخذهم الدراهم عليها وكم من التحديات وضعوها على الاكليريكيين بتحريم الزيجة الناموسية المأمور بها من رب الشريعة » انتهى كلامه بلفظه .

ثم قال : « وكم حرموا أصناف الأطعمة ثم أباحوا ما حرموه وفى عصرنا أباحوا أكل اللحوم فى صومهم الكبير ، الذى طالما شددوا بتحريمها فيه انتهى بلفظه .

وفى الرسالة التالية من كتاب الثلاثة عشر رسالة فى الصفحة الثامنة والثمانين ما لفظه : « فرنسيس ذبادلا ، الكردينال يقول أن البابا ماذون أن

يعمل ما يريد ، حتى ما لا يحل أيضا ، وهو أكبر من الله سبحان الله عما يصفون » انتهى كلامه بلفظه .

وكذلك يقولون : ان أنفس الصديقين تتوجه الى العذاب فى المطهر ، وتتقلب فى نيرانه حتى يمنحها البابا الغفران ، أو يخلصها القسوس بقداساتهم بعد استيلائهم على اثمانها . وأهل هذه الفرقة يحصلون صكوكا وسندات وبراءات من نواب البابا وخلفائه ، ليحصل النجاة من عذابه . لكن العجب من هؤلاء المشترين العقلاء أنهم اذا اشتروا هذه الصكوك والبراءات من خليفة الله النافذ أمره فى الأرض والسماء ، بزعمهم ، فلم يطلبوا منه أوراقا مشعرة بوصول ممضاة مختومة بختم الذين أعتقهم من العذاب من أسلافهم وممن مات قبل ذلك ؟ ولما كانت قدرة البابوات تزيد يوما فيوم ، بفيض روح القدس اخترع البابا « لاون » العاشر للمغفرة تذاكر تعطى منه أو من وكيله للمشترى بمغفرة خطاياه الماضية والمستقبلة أيضا . وكان مكتوبا فيها ما عبارته : **ربنا يسوع يرحمك ، ويعفو عنك باستحقاقات الأمة المقدسة .**

وبعـــد :

فقد وهب لى بقدرة ســـلطان رسله بطرس وبولس والبابا الجليل فى هذه النواحى ، أن أغفر لك أولا : عيوبك الاكليروسية مهما كانت . ثم خطاياك ونقائصك ، ولو مهما كانت تفوت الاحصاء ، بل أيضا الخطايا المحفوظ حلها للبابا ويقدر امتداد مفاتيح الكنيسة الرومانية ، أغفر لك كل العذابات التى سوف تستحقها فى المطهر ، وأردك الى أسرار الكنيسة المقدسة ، والى اتحادها والى ما كنت حاصلا عليه عند عمادك من العفة والطهارة ، حتى أنك متى مت تغلق فى وجهك أبواب العذابات وتفتح لك أبواب الفردوس وان لم تمت الآن فهى باقية لك بفاعلية تامة الى آخر ساعة موتك باسم الرب والابن والروح القدس ، آمين . كتب بيد الأخ يوحنا تترك الوكيل الثانى » انتهى أهـ .

وكذلك ان مسافة جهنم فراغ مكعب فى قلب الأرض كل من اضلاعه مائتا ميل ، وأن البابا يرسم الصليب على نعليه وغيره على وجهه . والظاهر أن نعلى البابا ليســت أدون من الصليب ومن وجوه الأساقفة الآخرين ، وكذلك أن بعض القديسيين وجهه كوجه الكلب ، وجسده كجسد الانسان ، وهو يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى . فقد قال المعلم المتقدم ذكره فى الصفحة الرابعة عشر بعد المائة من كتابه المذكور طاعنا على تلك الفرقة ما لفظه : « وربما صوروا بعض قديسيين على صورة لم يخلق الله تعالى مثلها كتصويرهم راس كلب على جسم انسان ، يسمونه القديس خريسطفورس ، ويقدمون له أنواع العبادة اذ يقبلونه ويسجدون أمامه ويشعلون له الشموع ويطلقون له البخور ، ويلتمسون شفاعته فهل يليق بالمسيحيين الاعتقاد بوجود العقل النطقى والقداسة فى أدمغة الكلاب ؟ أين هى عصمة كنائسهم من الغلط ؟ » انتهى بلفظه .

ولعل محبة المسيحيين من أهل أوربا للكلاب لأجل كونهم على صورة القديس المكرم عندهم . وكذلك ليس فى القرآن أن خشبة الصليب وتصاوير الآب الأزلى والابن والروح القدس يسجد لها سجودا حقيقيا على وجــه العبادة ، وأن صور القديسيين يسجد لها سجود كرامة ، وليت شعرى ما سبب تعظيمهم وسجودهم لنوع الخشبة التى صلب عليها المســيح عليه السلام بزعمهم ، اذ لا يخلوا الحال من ثلاثة شقوق : لانه أما أن يكون ذلك لأن مثلها قد مس جسد المسيح ورفع عليه ولم لأنها واســطة فدائه وتخليصه لهم من الخطيئة ، واما لأن دمه سال عليها .. فان كان الأول فيلزم أن يكون نوع الحمير معبودا لهم ومقدما على نوع الخشبة ، لأن المسيح ركب على الحمار ودخل على أورشليم ممجدا فهو موضــع راحته وسروره ، ولا سيما فهو مشترك مع الانسان بالجنس القريب بخلاف الخشبة وان كان الثانى فيهود الاسخريوطى أحق بالتعظيم لانه الواسطة الأولى والذريعة الكبرى للفداء فانه لولا تسليمه لليهود لما أمكنهم مسكه وصلبه ومع هذا فهو مساو للمسيح فى الصورة الانسانية ، وهى صورة الهة عيسى ومن المتلئين بروح القدس وأصحاب الكرامات ، فلم صار

عندهم ملعونا والخشبة محترمة ؟ ولما الثالث فلأن الشوك المضفور اكليلا على رأسه ، قد فاز بهذه الفضيلة لأن الدم قد سال عليه أيضا . فما بالله لم يعبد ولم يعظم مثل ذلك الخشب المكرم ؟ اللهم الا أن يقولوا ان هذا سر ، مثل سر التثليث والاستحالة ، خارجان عن ادراك العقول البشرية ، ويجب الايمان بهما ، وان كانا محالان فى عقول البرية وحينئذ لا يحسن معهم الكلام لأنه لا يتوجه الخطاب الا الى ذوى العقول من الانام وهم قد اعترفوا أن هذا مما لا تدركه العقول ، ولا يطابق المعقول ، وانه كالجمع بين الليل والنهار ، فانى تتصوره الأفكار أو تراه الابصار ؟

ومما يدخل فى عداد هذا الخبط ويكون قريبا لهذا الخلط ، تعظيم صورة أقنوم الآب لانك قد عرفت فى كتابنا هذا أن الله سبحانه برىء عن الشبه ، وما رآه أحد ، ولا يقدر أن يراه احد فى الدنيا كما هو مذكور فى كتبهم السماوية ، فليت شعرى أى أب من آبائهم ، وقس من قسوسهم رآه سبحانه وتعالى فصوره ؟ ومن أين علموا أن هذه الصورة مطابقة لصورته جل وعز ؟ ومن أين علموا أن هذه الصورة غير مطابقة لصورة شيطان أو انسان أو كافر ؟ ولم لم يعبدوا كل انسان ؟ سواء كان مسلما أو كافرا لأنه على صورة الله تعالى بزعمهم كما تحكيه توراتهم : « انا خلقنا انسانا على صورتنا » فهو أولى من الصورة المتوهمة بأن يعبد ، لأنه محقق فيما عندهم أن صورة الانسان كصورة الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

والعجب أن البابا يسجد لهذه الصورة الوهمية المنحوتة من الجماد ، ويحتقر صورة الله التى هى الانسان ، ويمد رجله لذلك الانسان لكى يقبل نعله الذى عليه الصليب .

وكذلك ليس فى القرآن أن البابا هو القاضى الأعلى فى الحكم على تفسير معانى الكتب ، واخترعت هذه العقيدة فى الأجيال المتأخرة والا ما قدر « الكستاين » و « فم الذهب » وغيرهما من مفسريهم القدماء

الذين لم يكونوا باباوات ولم يستأذنوهم أن يفسروا جميع الكتب المقدسة من تلقاء انفسهم ، مع أن تفاسيرهم قد قبلت عند جميع كنائس عصرهم . ولعل الباباوات حصل لهم هذا القضاء الأعلى بمطالعة تفاسيرهم بعد ما صنفوها . وكذلك أن الأساقفة والشمامسة ممنوعون عن الزواج ، ولذلك يفعلون ما لا يفعله المتزوجون .

وقد رد كثير من معلميهم اجتهاد الباباوات فى ذلك ، فقد قال المعلم صاحب كتاب الثلاثة عشر رسالة فى الرسالة الثالثة فى الصفحة الرابعة والأربعين بعد المائة : « نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم فملأوها بالزنا والمضاجعة مع الذكور والأمهات والأخوات ، وبكل أنواع الادناس ، حتى أنه وجد فسوس وراهبات تدنسوا بالزنا ، وصارت أديرتهم مثل البيوت المخصوصة للزنا » انتهى باقتصار .

وقد قدمناه لك فيما سبق مفصلا ، فتذكر . وقد تبين لك أن هـذه المضامين وأمثالها الكثيرة لا توجد فى القرآن المبين ، فلذا لم يقبلوه . وعلم أن المضامين المقبولة عندهم والأحكام المرضية لديهم مثل هذا الذى تدينوا به ، وجعلوه دستور أحكامهم ، وزبروه فى كتب ديانتهم .

وأما بعض المضامين التى فى القرآن من ذكر الجنة والنار ويزعمن أنها قبيحة فسيأتى فى محلها ان شاء الله تعالى جوابها ، وينكشـف نقابها ويحلو رضابها وتفتح أبوابها ، وتأتيهم عذوبتها لا عذابها والله سبحانه الموفق .

الشبهة الثانية : ان القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجـديد فى مواضع ، فلا يكون كلام الله تعالى وعنها جوابان :

الأول : ان هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدها المتصلة الى مصنفيها ، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها الهامى وقد ثبت بالبراهين القاطعة والأدلة الظاهرة التى لا يمكن انكارها أنها مختلفة اختلافا معنويا فى مواضـع

كثيرة ، ومملوءة بالأغلاط الوفيرة التى لا يسع أحد اخفاؤها وثبت التحريف فيها بالامارات القاطعة ، بحيث لم يبق لأهل الكتابين مجال فى انكار جميع ذلك ، اللهم الا بالمكابرة التى لا تجدى نفعا كما بسطنا جميع هذا فى محله من هذا الكتاب — وحينئذ فلا تضر مخالفتها للقرآن فى المواضع المذكورة ، بل تكون دليلا على كون المواضع المذكورة غلطا أو محرفة فى الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات التى بيناها فى هذا الكتاب .

والجواب الثانى : ان المخالفة التى بين القرآن وبين كتب العهدين فى زعم القسيسين على ثلاثة أنواع :

الأول : باعتبار الأحكام المنسوخة .

والثانى : باعتبار بعض الحالات التى جاء ذكرها فى القرآن العظيم ولا يوجد ذكرها فى العهدين .

والثالث : باعتبار أن بيان بعض الحالات فى القرآن يخالف بيان هذه الكتب وهذه الطعون مردودة والحمد لله تعالى فى الكتب الاسلامية بما هو مقبول عند الخالين من العصبية الجاهلية .

أما الأول فلأن النسخ لا يختص بالقرآن الكريم بل هو موجود فى الشرائع السابقة فى أحكام كثيرة منها تزوج الاخوة بالاخوات فى عهد آدم عليه السلام ثم نسخ ، ومنها حل جميع الحيوانات فى عهد نوح ثم نسخ وحرم فى شريعة موسى ، ومنها جمع الاختين وهما ليا وراحيل ليعقوب عليه السلام ، وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية كما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاحبار ، ومنها يجوز الطلاق فى الشريعة الموسوية كما فى الاصحاح الرابع والعشرين من كتاب الاستثناء ولا يجوز فى الشريعة العيسوية الا بعلة الزنا كما فى الاصحاح الخامس والتاسع عشر من انجيل متى ، ومنها حرمة حيوانات كثيرة فى الشريعة الموسوية وحلها فى الشريعة العيسوية ومنها حرمة السبت وتعظيمه حكما أبديا فى شريعة موسى وكذا الختان ، وانه واجب أبدى فى شريعة ابراهيم ، وقد نسخا

عند النصارى مع أن عيسى عليه السلام قد ختن وهو الله يزعمهم ، وغير ذلك مما يطول الكتاب بذكره مما سنذكره فيما سيأتى من مجلة ان شاء الله تعالى ، فالنسخ لا يختص بالقرآن العظيم بل وجد كثيرا فى الشرائع السابقة ، وأنه لا استحالة فيه ، وأن الشريعة العيسوية نسخت جميع احكام التوراة الا تسعة من الاحكام العشرة المشهورة ، وقد وقع فيها التكميل أيضا بزعمهم . والتكميل أيضا نوع من أنواع النسخ ، فصارت هذه الأحكام أيضا منسوخة بهذا الوجه ، وبعد احاطة العلم بهذه النواسخ والمنسوخات ، لا ينبغى لمن له أدنى لب من المسيحيين وغيرهم أن يطعن على القرآن فى مسألة النسخ كما لا يخفى .

وأما الثانى : فهو كالأول أيضا وشواهده كثيرة ، ولنكتف منها على خمسة شواهد :

الشاهد الأول : الآية التاسعة من رسالة يهوذا ما لفظه : «واما ميخائيل رئيس الملائكة ، فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى ، لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب » انتهى فمخاصمةميخائيل ابليس عن جسد موسى ، لم تذكر فى كتاب من كتب العهد العتيق .

الشاهد الثانى : فى تلك الرسالة أيضا الآية الرابعة عشر والخامسة عشر ما لفظه : « وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا : هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسية ليضع دينونة على الجميع ، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها ، وعلى جميع الكلمات المصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار » انتهى . ولأثر هذا الخبر أيضا فى كتاب من كتب العهد العتيق . **الشاهد الثالث** : الآية السادسة من الاصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ما لفظه : « وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا » انتهى . ولا يوجد لهذا أثر فى انجيل من الأناجيل الأربعة ولا فى كتاب أعمال الحواريين ، مع أن لوقا أحرص الناس على أمثال هذه الأحوال . **الشاهد الرابع** : الآية السادسة من رسالة يهوذا ما لفظه :

« والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم ، بقيود أبدية تحت الظلام » والآية الرابعة من الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية لبطرس ما لفظه : « الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم ، وسلمهم محروسين للقضاء » انتهى . وهذا الذى نقله يهوذا ، وبطرس الحواريان لا يوجد فى كتاب العهد العتيق . والظاهران المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين هم الشياطين . والشياطين ليسوا بمحبوسين بقيود أبدية ، كما يشهد عليه ما فى الاصحاح الأول من مرقس وغيره ، من قوله « وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان » **الشاهد الخامس** : يوجد فى الانجيل ذكر الجنة والجحيم والقيامة وجزاء الأعمال فيها ، وان كان بطريق الاجمال ، ولا أثر لهذا فى الكتب الخمسة لموسى ، بل لا يوجد فيها سوى المواعيد الدنيوية للمطيعين والتهديدات الدنيوية للعاصين . وهكذا توجد مواضع كثيرة غير ما ذكرناه تركناها خشية التطويل ، من أرادها فليرجع الى كتاب « اظهار الحق » فظهر مما ذكرناه : أنه اذا ذكر بعض الأحوال فى كتاب ، ولم يوجد ذكره فى الكتاب المتقدم لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر والا يلزم أن يكون الانجيل كاذبا لاشتماله على الحالات التى لم تذكر فى التوراة ولا فى كتاب آخر من كتب العهد العتيق ، فالحق ان الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملا على الحالات كلها ، كما لا يخفى على من تتبع كتب العهدين القديم والجديد .

وأما النوع الثالث : فلأن مثل هذه الاختلافات توجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض ، وبين الأناجيل بعضها مع بعض ، وبين الانجيل والعهد العتيق ، ويوجد فى النسخ الثلاث من التوراة أعنى العبرانية واليونانية والسامرية . وقد ذكر من هذه الاختلافات فى «اظهار الحق » نحوا من نيف وثمانين اختلافا . وقال : ان القسيسين من عادتهم أنهم يغلطون عوام المسلمين فى كثير من الأوقات بهذه الشبه وسنذكر لك ان شاء الله تعالى كثيرا منها فى محله ولننقل لك ههنا شيئا منها : فمن ذلك الآية الثالثة عشر من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل ما لفظه : « وأتى جاد الى داود

واخبره قائلا : اما أن يكون سبع سنين جوعا لك فى أرضك » وفى الآية الثانية عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام ما لفظه : « اما ثلاث سنين جوعا » ففى الأول سبع سنين وفى الثانى ثلاث سنين ، وقد أقر مفسروهم أن الأول غلط ومن ذلك أن بين الآية الثانية من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر صموئيل الثانى والآية الحادية عشر من الاصحاح الحادى عشر من السفر الأول من أخبار الايام اختلاف ظاهر ، وقال آدم كلارك فى ذيل شرح عبارة صومئيل ناقلا عن الدكتور كنى كات : « ان فى هذه الآية ثلاث تحريفات جسيمة » انتهى . فاذا كان فى الآية الواحدة ثلاثة اغلاط باعترافهم ، فقس عليها غيرها من الاصحاحات والآيات والأناجيل والتوراة . ومن ذلك أن الزمان من خلق آدم الى زمن الطوفان باعتبار العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ، وباعتبار اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة ، وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين . وهذا اختلاف ظاهر . ومن ذلك ان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم باعتبار العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة ، وباعتبار اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة ، وباعتبار السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة . ومن ذلك الاختلاف الواقع بينها فى مدة الزمان من خلق آدم عليه السلام الى ميلاد المسيح ، فباعتبار العبرانية أربعة آلاف وأربع سنين ، وباعتبار اليونانية خمسة آلاف وثمانمائة واثنتان وسبعون سنة ، وباعتبار السامرية أربعة آلاف وسبعمائة سنة ونقل من علمائهم « جارلس روجر » فى كتابه خمسة وعشرين قولا من أقوال المؤرخين فى بيان المدة التى من خلق العالم الى ميلاد المسيح عليه السلام .

ومن ذلك : أن الحكم الحادى عشر الزائد على الأحكام العشرة المشهورة يوجد فى السامرية ولا يوجد فى العبرانية . ومن ذلك : فى الآية العشرين من الاصحاح السادس من سفر الخروج فى العبرانية ما لفظه : « وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى . وكانت سنو حياة عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة . وفى السامرية واليونانية فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما » والصحيح ما فيهما . وأمثال هذه الاختلافات

كثير جدا يطول الكلام بذكرها ، فان أردتها فارجع الى محلها . ولعلنا نذكر البعض الآخر فى محله ان شاء الله تعالى .

الشبهة الثالثة : ان فى القرآن الأمر بجهاد الكفار ، وان الهداية والاضلال من جانب الله سبحانه ، وان الجنة مشتملة على الأنهار والحور والقصور والأكل والشرب . وهذه الأشياء قبيحة ، فتدل على أن القرآن ليس كلام الله . وهذه الشبهة من أقوى شبههم بزعمهم وقلما تخلو رسالة من رسائلهم الردية على الاسلام عن ذكرها . ولهم فى بيانها على قدر اختلاف أذهانهم تقريرات عجيبة يستغرب الناظر فيها من شدة تعصبهم على الباطل ، وعدم ملاحظة كتبهم السماوية الموافقة للقرآن فى ذلك . وسيتضح لك الحال بعونه سبحانه عند سماعك لأجوبتها .

فأما الجواب عن الأمر بالجهاد ، فقد أسلفناه لك فى محله ، ونقلنا لك من التوراة جهاد أنبياء بنى اسرائيل وقتلهم النفوس وسبيهم للاطفال والنساء ، وأخذهم الأموال ، وأن الفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية فى مسألة الجهاد أن الشريعة المحمدية حكمها أن يدعى الكافر أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام فاذا لم يقبله أو لم يؤد الجزية يقاتل بخلاف الشريعة الموسوية ، فانه يقاتل أولا وأن النساء والصبيان اذا كانوا من الأمم السبعة فحكمهم القتل فى الشريعة الموسوية ، وذلك أيضا بخلاف الشريعة المحمدية ، فانهم لا يقتلون فيها واما الجواب عن مسألة الهداية والاضلال . فنقول : ان هذا المضمون قد وقعت أمثاله فى كتبهم المقدسة فى أماكن كثيرة وآيات غزيرة ، فيلزم عليهم أيضا أن يقولوا أنها ليست من جانب الله تعالى . ولنذكر لك بعضا منها ان شاء الله تعالى .

فمن ذلك : الآية الحادية والعشرون من الاصحاح الرابع من سفر الخروج ما نصه : « وقال له الرب وهو راجع الى مصر انظر جميع العجائب التى وضعتها بيدك اعملها قدام فرعون ، فأنا أقسى قلبه ، فلا يطلق الشعب » ومنه ما فى الاصحاح العاشر من سفر الخروج ما نصه : « وقال الرب لموسى : ادخل عند فرعون لأنى قسيت قلبه ، وقلوب عبيده لكى أصنع

به آياتى هذه ، وقسى الرب قلب فرعون ولم يطلق بنى اسرائيل » ومنه الآية الرابعة من الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب سفر الاستثناء ما نصه : « ولم يعطكم الرب قلبا فهيما ولا عيونا تنظرون بها ولا آذانا تسمعون بها حتى اليوم » ومنه الآية العاشرة من الاصحاح السادس من سفر اشعياء ما نصه : « اعم قلب هذا الشعب وثقل آذانه وغمض عيونه ، لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنه ويفهم بقلبه ويتوب فاشفيه » انتهى ولا يزيد ما فى القرآن العظيم من قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم » الآية على هـذا عند كل منصف . ومنه : الآية السابعة عشر من الاصحاح الثالث والستين من سفر أشعياء فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٧٣ فى بيروت ما نصه : « لماذا أضللتنا يارب عن طرقك ؟ قسيت قلوبنا عن مخافتك وقسيت قلوبنا أن لا نخشاك » ومنه : الآية التاسعة من الاصحاح الرابع عشر من سفر حزقيال فى التراجم المذكورة ما نصه : « والنبى اذا ضل وتكلم كلام ، فأنا الرب أضللت ذلك النبى ، وأمد يدى عليه وأهلكه من بين شعبى اسرائيل » انتهى فوقع فى كلامهم الاضـلال صراحة ومنه ما فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الأول ما نصه : « ثم قال ميخا أيضا : من أجل هذا فاسمع قول الرب : رأيت الرب جالسا على كرسيه وجميع أجناد السماء قياما حوله عن يمينه وعن شماله ، فقال الرب : من يخدع أو من يغوى أخاب ملك اسرائيل ، فيصعد ليسـقط براموت جلعاد وقال بعضهم قولا وقال بعضهم قولا آخر فخرج روح وقام قدام الرب ، وقال انا أخدعه أو أنا أغويه فقال له الرب : بماذا ؟ فقال : أنا أخرج فأكون روح ضلالة فى أفواه جميع أنبيائه فقال له الرب : تخدع وتقدر على ذلك اخرج وافعل كذلك ؟ والآن قد جعل الرب روح ضـلالة فى أفواه جميع أنبيائك وكانوا نحو اربعمائة هؤلاء ، والرب قال عليك بالشر » انتهى . وهذه الآيات صريحة فى أن الله تعالى يجلس عـلى كرسـيه فى محفل الشـورى لأجل الاغواء والخداع كما ينعقد محفل « برلمنت » عند النصارى فى بلدة « لندن » لأجل رؤية بعض أمورهم المهمة فى السلطنة . فقد أحضر سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا

جنود السماء وأنه استشارهم حتى أرسل روح الضلالة الى الناس ، فانظر أيها العاقل الى هذا القول ، وما فيه . وتدبر ظاهره وخافيه .

وفى الاصحاح الثانى من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى ما عبارته « ولأجل هذا أى لعدم قبولهم محبة الحق سيرسل اليهم عمل الضلال ، حتى يصدقوا الكذب . لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق ، بل سروا بالاثم » أهـ . فمقدسهم هذا ينادى الله سبحانه سيرسل الى الهالكين عمل الضلال أولا ، فيصدقون الكذب ، فيدينهم وبنه الآية السابعة من الاصحاح الخامس والاربعين من كتاب أشعياء فى الترجمة المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٣١ ما نصه هكذا : « المصور النور ، والخالق الظلمة ، الصانع السلام ، والخالق الشر ، ان الرب الصانع هذه جميعها »أهـ ومنه : ما فى الاصحاح التاسع من الرسالة الرومية المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٣ ما لفظه : « هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء . فتقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ، بل من أنت أيها الانسان الذى تجاوب الله ؟ ألعل الجبلة تقول لجابلها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة ، اناء للكرامة وآخر للهوان » فهذه العبارة من مقدسهم كافية لاثبات القدر ، وكون الهداية والضلال من جانبه سبحانه وتعالى .

وقال القسيس طامس انكلس كاتلك فى الصفحة الثالثة والثلاثين من كتابه المسمى بمرآة الصدق المطبوع سنة ١٨٥١ طاعنا على فرقة بروتستنت ما عبارته : « وعاظهم القدماء علموهم الأقوال المكروهة .

الأول : ان الله موجد العصيان .

والثانى : ان الانسان ليس مختارا على أن يجتنب عن الاثم .

والثالث : أن العمل على الأحكام العشرة غير ممكن .

الرابع : ان الكبائر وان كانت عظيمة لا توصل الانسان الى النقص فى نظر الله .

والخامس : ان الايمان فقط ينجى الانسان لاننا ندان بالايمان فقط . وهذا التعليم أنفع وتعليم مملوء بالطمأنينة .

السادس : ان اب اصلاح الدين — يعنى لوطر — قال : « آمنوا فقط واعلموا يقينا انه يجعل لكم النجاة ، وبلا مشقة الصوم ، وبلا مؤنة التقوى ، وبلا مشقة الاعتراف ، وبلا مشقة الأمور الحسنة ، ولكم نجاة يقينى بلا شبهة كما للمسيح نفسه ، اذنبوا ، وبالجرأة التامة اذنبوا وآمنوا فقط ، وينجيكم الايمان ، وان ابتليتم فى يوم واحد ألف مرة بالزنا أو القتل ، آمنوا فقط ، وأنا أقول : ان ايمانكم ينجيكم أه .

فظهر مما قلناه لك : أن ما قاله علماء البروتستانت فى حق القرآن مردود بلا شبهة ، لأنه غير مخالف لكتبهم المقدسة ، ولقول مقتداهم . ولا يلزم من خلق الشر ، أن يكون الله سبحانه شريرا ، كما لا يلزم من خلق السواد وغيره من الأعراض أن يكون البارى جل وعز متصفا به . والحكمة فى خلق الشر ، كالحكمة فى خلق الشيطان الذى هو أصل الشرور ، ورأس المفاسد ، الى نهاية الدهور ، مع علم الله تعالى الأزلى بأن الشيطان سوف يصدر عنه كذا وكذا ، وكالحكمة فى خلق الشهوة والحرص فى طبع الانسان مع علمه القديم بما يترتب عليهما فى كل فرد من افراد الانسان ، وكما كان الله سبحانه قادرا على أن لا يخلق الشيطان أو يخلقه ولا يعطيه القدرة على الاغواء ويمنعه عن الشر ، ومع ذلك خلقه ولم يمنعه عن الشر لحكمة من حكمه العظيمة ، فكذلك هو جل جلاله قادر على أن لا يخلق الشر لكنه فى حكمة ما .

وأما الجواب عن الثالث : فانه لا قبح فى العقل والنقل ان اشتملت الجنة على الحور والقصور وسائر أنواع النعيم والحبور ، ولا يقول المسلمون ان لذات الجنة مقصورة على اللذات الجسمانية فقط ، كما يزعمه فيهم علماء البروتستانت غلطا أو تمويها على العوام ، بل يعتقدون بنص القرآن والأحاديث النبوية أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية

معا ، والأول أفضل من الثانية ، وأعظم لذة وأهنأ مسرة ويحصل بفضله سبحانه كلا النوعين للمؤمنين .

قال الله تعالى فى سورة التوبة : « يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم » وقال تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » فقوله تعالى : « ورضوان من الله » الآية معناه : أن رضوانا من الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره من الجنات والأنهار والمساكن الطيبة . وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطى الله سبحانه فى الجنة هى اللذات الروحانية ، وان كان يعطى اللذات الجسمانية أيضا . ولذلك قال سبحانه : « هو الفوز العظيم » وقدم ذكر الرضوان على الجنات فى الآية الأولى لأن الانسان مخلوق من جوهرين لطيف علوى وكثيف سفلى جسمانى ، وانضم اليها حصول سعادة وشقاوة ، فاذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية ، كان الروح فائزا بالسعادات اللائقة به ، والجسد واصلا الى السعادات اللائقة به ، ولا شك ان ذلك هو الفوز العظيم .

والعجب أن علماء البروتستانت يزعمون ان اجتماعها فى الجنة أيضا قبيح فى عقولهم ، فيقال لهم : لا تهتموا لذلك لأنكم لا يحصل لكم ما هنالك ان شاء الله .

واعلم أن شبهة النصارى فى انكار نعيم الجنة الجسمانى واثباتهم الروحانى فقط ما فى الاصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى فى النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٢ ونصه : « فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين يا معلم قال موسى (١) ان مات أحد

---

(١) أى سفر التثنية ١٢ .

وليس له أولا يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه ، فكان عندنا سبعة اخوة وتزوج الأول ومات ، واذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك الثانى والثالث الى السبعة ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا . ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع ؟ فأجاب يسوع وقال لهم تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله فى السماء . واما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، ليس الله اله أموات بل اله أحياء أ. هـ.

ولنذكر من تفسير الخورى يوسف الياس المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ ما يتعلق بهذه الآيات تكميلا للمقصود ما لفظه : « الفصل التاسع والخمسون : فى ذلك اليوم جاءت اليه الزنادقة قائلين له لا قيامة . فقد سمعوا أن المسيح يعلم بالقيامة ، ويقنع بها الناس بأن يتوبوا ويحسنوا سيرتهم ، فأرادوا مقاومته بهذه المسألة التى كانوا يرونها غير قابلة الحل ، ليفتدوا بها تعليمه ، وسألوه قائلين له يا معلم أن موسى قال لنا فى سفر التثنية ان مات رجل ولم يخلف بنين فليأخذ أخوه زوجته ويقيم لأخيه ذرعا ، أى ذرية . وقد كان عندنا سبعة أخوة ، فأخذ الأول امرأة ومات ولم يخلف ابنا فترك زوجته لأخيه ، وهكذا كان حال الثانى والثالث الى السابع ، وأخيرا ماتت المرأة ففى القيامة لمن من هؤلاء السبعة تكون امرأة ؟ لأن جميعهم تزوجوها . كان الزنادقة يظنون أنهم يفحمون المخلص بهذا السؤال لأنه ان قال : ان هذه المرأة تكون لأحدهم فيهيج الى الغضب والحسد والخصام ، اذ لا وجه لتفضيل أحدهم على غيره بأخذها ، وان قال انها تكون عامة للاخوة السبعة فيشككون فى تعليمه بالقباحة والفساد ، فبدد وهمهم كما يأتى : فأجابهم يسوع قائلا : لقد ضللتم ولا تعرفون الكتب التى يتضح منها أن الموتى يقومون . كما ورد فى أيوب فى الاصحاح التاسع عشر : « وفى الآخرة سأقوم من الأرض ويعود جلد على ، وفى جسدى أبصر الهى الذى أراه أنا بعينى ، وبعيناى أنظره » ولا قوة الله الغير المتناهية

التى يستطيع بها الانسان الميت أن يعود الى الحياة ، مع أن العود الى الحياة بعد الموت ، أيسر من الاتيان من العدم الى الوجود ، لأن الموتى فى القيامة لا يتخذون نساء ، ولا النساء يتخذون رجالا . لكنهم يكونون فى السماء مثل ملائكة الله ، يعنى أن الطوباويين يكونون بعد القيامة ، كالملائكة لا نظرا الى الطبيعة ، بل نظرا الى الطهارة والعفة والحياة الروحية وعدم الفساد وعدم الميتوتة ، ثم السعادة والمجد الخالدين .

ولذا لا يكون احتياج الى زواج وولادة ، ويظهر أن « ايلاريوس و « اثناسيوس » وغيرهما من الآباء توهموا من هذه الآية أنه بعد القيامة لا يكون فى السماء جنس الاناث كما لا يوجد فى الملائكة ، بل تستحيل الاناث الى رجال ، لكن ذلك باطل ، فان جنس اناث حال طبيعية لا رزيلة ، وخلق فى الفردوس آدم وحواء ، وفى القيامة يجب أن تقوم الطبيعة كاملة بالفردية ، وقول المخلص نفسه لا يتخذون نساء ولا النساء تتخذ رجالا ، يفترض أن الموتى يقومون فى آخر العالم رجالا ونساء . « اما قرأتم ما قيل لكم من الله القائل » فى سفر الخروج فى الاصحاح الثالث من شأن قيامة الأموات : « انى أنا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ، وليس الله اله الموتى بل اله الاحياء » يعنى ان الله الموجود من ذاته والمانح الوجود لكل شىء ، لا يمكن أن يكون الها وربا ومجازيا لمن لم يعودوا موجودين ولا أحياء نظرا الى جزء منهم ، وكذا لا يدعى الله الها وربا للبهائم ، مع أنه قال فى سفر الخروج « أنا اله ابراهيم واله اسحق » فاذا هؤلاء لم يزالوا موجودين وأحياء نظرا الى النفس ، وبالتالى يقومون وقتاما نظرا الى الجسد ، فان النفس تطلب طبعا الاتحاد بالجسد لكونه شريكا وقرينا لها ، على أن الزنادقة وغيرهم من الفلاسفة لم ينكروا قيامة الموتى ، لا لانكارهم عدم ميتوتة النفس ، فبرهان عدم ميتوتة النفس يبرهن القيامة أيضا . ولذا نرى الرسول برهن متواترا قيامة الأجساد من عدم ميتوتة النفس » أ. هـ.

وهذا عنه أجوبة ثلاثة :

الأول : ان الانجيل عندنا عبارة عما أنزل على عيسى عليه السلام ، وهذه الاناجيل الاربعة الموجودة الآن ألفت بعد رفع عيسى عليه السلام بسنين عديدة ، كما هو مسلم عند النصارى ، ولم تصل اليهم الا بطريق الآحاد ، ومع هذا ففيها أغلاط ظاهرة فى العيان ، واختلاف النسخ بالزيادة والنقصان . وهذا أمر ثابت فى الميدان ، حتى أنهم الى الآن كلما طبعوا نسخة منها غيروا وبدلوا وزيدوا ونقصوا وتداولتها أيدى الناس الآن فى سائر البلدان كما أوضحنا لك ذلك آنفا يا قوم برهان . فلذا لا يلتفت اليها اذا خالفت القرآن .

الثانى : انها ان صحت عن عيسى عليه السلام فهى مأولة ككثير من آيات الاناجيل المأولة عند النصارى .

الثالث : انا اذا سلمنا أنه قال انهم كالملائكة فى الجنة فلا ينافى ذلك أكلهم وشربهم على مقتضى كتب النصارى ألا يرى أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لابراهيم عليه السلام وأحضر لهم ابراهيم عجلا حنيذا وسمنا ولبنا ، فأكلوا ذلك كما صرح به فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ، وأن الملكين الذين جاء الى لوط عليه السلام صنع لهم وليمة وخبزا فطيرا واكلا ، كما صرح به فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين . وليت شعرى لما أعترفوا بالحشر الجسمانى ، فأى استبعاد فى اللذات الجسمانية ؟ نعم لو كانوا ممن ينكرون الحشر مطلقا كمشركى العرب ، أو كانوا منكرين للحشر الجسماضى ومعترفين بالحشر الروحانى ، كأتباع « أرسطو » لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر ، والأغرب من هذا : أنهم يعتقدون أن البارى سبحانه تجسد واستجن فى بطن مريم وأكل وشرب واعترته سائر اللوازم الجسدية باعتبار أنه انسان ، فلم يستبعدون أكل الناس وشربهم فى الجنة مع تجسدهم ؟ وكما أن عيسى عليه السلام كان يأكل ويشرب الخمر بزعمهم بمقتضى ناسوته فى الدنيا ولا يمنعه ذلك عن اللذات الروحانية ، فلتكن اللذات الجسمانية لبنى آدم فى الجنة غير مانعة لهم عن اللذات الروحانية فى النشأة الأخرى فى الجنة ، كما لا يخفى على كل منصف لبيب .

الشبهة الرابعة : ان القرآن لا يوجد فيه ما يقتضيه الروح ويتمناه .

والجواب عن هذا : أن ما يقتضيه ويتمناه أمران :

احدهما : الاعتقادات الكاملة .

وثانيهما : الاعمال الصالحة . والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه كما عرفت سابقا فى جواب الشبهة الأولى ، ولا يلزم من عدم بعض الأمر الذى هو مقتضى الروح على زعم علماء البروتستنت نقصان القرآن الجليل كما لا يلزم نقصان التوراة والانجيل والقرآن من عدم بعض الأمر الذى هو مقتضى الروح ، على زعم علماء مشركى الهند من البراهمة ، كما هو مشهور عنهم أنهم يقولون : ان ذبح الحيوان لأجل الأكل والتلذذ خلاف مقتضى الروح ، وغير مستحسن عند العقل جدا ، ولا يتصور أن تحصل له الاباحة والاجازة من الله تعالى . فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله سبحانه وتعالى بزعمهم .

الشبهة الخامسة : انه يوجد فى القرآن الكريم الاختلافات المعنوية .

مثل قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » وقوله سبحانه فى سورة الغاشية : « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » وقوله عز شأنه فى سورة النور : « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ،وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » فان هذه الآيات تخالف الآيات التى فيها الأمر بالجهاد ، مثل قوله تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تعالى : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ووقع أيضا فى كثير من الآيات : أن المسيح انسان ورسول فقط ، ووقع فى موضعين بضدها ، وأنه ليس من جنس البشر ، بل منزلته أعلى منه . فالآية التى فيها أنه عبد ورسول قوله تعالى فى سورة مريم : « قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أين ما كنت ، وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا » والموضعان اللذان بضدها : قوله تعالى فى سورة النساء : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » وقوله تعالى فى سورة التحريم : « ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا »

قلت : والآيات التى فى شأن عيسى عليه السلام كثيرة ، منها فى سورة آل عمران وفى سورة النساء وفى سورة المائدة وفى سورة التحريم ، وليس فى شىء من ذلك تناقض أو اختلاف ، بل بعضه يوافق بعضا ويصدق بعضه بعضا ، كما عرفت تفسير الروح والكلمة فيما سبق مرارا ، وكما سنبينه هنا اجمالا ان شاء الله تعالى وهذان الاختلافان من أعظم الاختلافات فى زعم القسيسين . ومنهم صاحب هذا الكتاب « عبد المسيح » ولذا اقتصر عليهما صاحب « ميزان الحق » فى الفصل الثالث من الباب الثالث منه .

فاسمع الآن الجواب عن هذه الشبهة الخامسة : فأما ما زعموه فى مسألة عدم الأمر بالجهاد ، ثم الأمر به . فهذا لا يقال له اختلاف ولا تناقض ، بل هذا من باب النسخ الذى أثبتنا آنفا وروده فى الشرائع المتقدمة ، وكما وقع الأمر الالهى به لبعض الأنبياء ولم يقع للبعض الآخر ، ففى أول الاسلام كانت الحكمة الالهية المؤقتة تقتضى الأمر بالاسلام من دون جهاد ، ثم لما كمل الوقت وحان فى علم الله سبحانه وقت الجهاد ، أمر سبحانه به . والا يلزم أن يكون بين التوراة والانجيل اختلاف ، وأن لا يقبل الانجيل أيضا الوجود الاختلاف المعنوى . وكذا يلزم أن يكون فى نفس أحكام التوراة ونفس احكام الانجيل اختلاف . كما عرفت سابقا . فانظر الى قول المسيح كما فى الاصحاح الخامس من انجيل متى ولفظه : « لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لاكمل ، فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، ونقطة واحدة من الناموس ، وحتى يكون الكل » .

ثم بعد ذلك قال : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » ثم قال : « قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن وأما أنا فأقول لكم : كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لانه خير لك أن يهلك

أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » و « قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب كتاب الطلاق . وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى أيضا . سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة ، بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا ، ومازاد على ذلك فهو من الشرير . سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا » أ. هـ.

وكذا فى التوراة حكم كثير من الحيوانات والمأكولات فى النجاسة والحرمة . وفى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى ما لفظه : « ثم دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا ، ليس ما يدخل الفم ينجس بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان » وكذا مسألة الختان والسبت اللذان هما مؤبدان فى التوراة ، قد نسخت عند النصارى ، وغير ذلك مما لا حاجة الى اعادته هنا .

على أن قوله سبحانه « لا اكراه فى الدين » الآية اختلف فيها المفسرون على أقوال .

الأول : انها منسوخة ، لأن رسول الله ﷺ قد أكره العرب على دين الاسلام وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام . والناسخ لها قوله تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة » وقوله سبحانه : « يستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون »

الثانى : انها ليست بمنسوخة وانما نزلت فى أهل الكتاب . وهم اليهود والنصارى خاصة ، وأنهم لا يكرهون على الاسلام ، اذا أدوا الجزية ولم يحاربوا بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف .

الثالث : انها نزلت فى الانصار خاصة .

الرابع : انها وردت فى السبى متى كانوا من أهل الكتاب .

الخامس : ان سبب نزولها أن المرأة من الانصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما أجليت يهود بنى النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا لا ندع أبناءنا ، فنزلت ، لأنهم قالوا انما جعلناهم على دينهم أى دين اليهود ، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا ، وان الله سبحانه جاء بالاسلام فلنكرهنهم . فلما نزلت خير الأبناء رسول الله ﷺ ولم يكرههم على الاسلام ، فهى حينئذ محكمة غ٦ منسوخة .

وأما ما زعموه فى الآيات التى فى شأن المسيح عليه السلام فليس فيها اختلاف ولا تناقض بوجه من الوجوه كما بينا ذلك مفصلا مرارا فيما فيما سبق . وخلاصته : أن تسميته عليه السلام « كلمة » كما فى قوله تعالى : « يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » لانه وجد بكلمة كن وهو من باب اطلاق السبب على المسبب . وقوله تعالى : « منه » أى من عنده من غير واسطة الأسباب العادية ، أو كقوله تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه »

وأما اطلاق الروح عليه ، فهو للتشريف كبيت الله ورجل الله وابن الله لاسرائيل (١) . وقوله تعالى « نفخنا فيه من روحنا » هو جبريل أو الروح المخلوقة لنا . والاسناد فى نفخنا مجازى ، أسند اليه تعالى من حيث انه الخالق ، فتذكر . والله تعالى اعلم .

تتمة : فى فائدتين :

الأولى : قال الشيخ محى الدين بن العربى فى مفتتح تفسيره المسمى بـ « ايجاز البيان فى الترجمة عن القرآن » : مما جاءت به الرسل صلوات

---

(١) يقصد قول الله فى التوراة عن اسرائيل انه ابنه . والمؤلف تابع ابن قتيبة وابن تيمية فى هذا .

الله تعالى عليهم والصحف المطهرة والكتب المنزلة المشرفة ، وكل صحيفة وكتاب بلسان قوم الرسول الذى أنزلت عليه تلك الصحيفة أو الكتاب . ومن جملة الكتب المنزلة هذا القرآن العربى المنزل على سيدنا محمد ﷺ على طريق الاعجاز عن المعارضة ، فهو محفوظ عن أن يزاد فيه أو ينقص منه بطريق التغيير ، لكونه معجزة « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » من التبديل والتغيير ولم يكن ذلك لغيره من الكتب ، لأن سائر الكتب لم تنزل على طريق الاعجاز فلذلك حرف فيه من حرف وبدل من بدل . ولما طهر الله سبحانه كتابنا هذا وقدسه عن التحريف سماه قرآنا مهموزا ولما جمع فيه ما تفرق فى سائر الصحف والكتب وجميع ما يحتاج اليه من المعارف والعلوم وسمى قرآنا بغير همز ، ولذا قال النبى عليه الصلاة والسلام : « أوتيت جوامع الكلم » جمع كلمة ولما ضم حروفه وآياته وسوره ومعانيه بهذا النظم المعجز ، سماه كتابا ، ولما أزال به شبه الضلالات وظلمة الشكوك وأوضح به المشكلات سماه نورا ، ولما ابان به عن الحق المطلوب وحسن نظمه وبلاغته وجعله مغايرا لسائر الكتب بما حفظه به من التحريف ، جعله عربيا ، ولما ذكر فيه قصص الأولين والآخرين وشرائع المتقدمين ومنازلهم ومراتبهم وسابقتهم ومآلهم جعله ذكرا وسماه به ، ولم يجمع لغيره من الكتب هذه الأسماء كلها . وسائر أسماء الكتب مندرجة فى هذه الأسماء التى اختص بها كتابنا » أ. هـ.

ومن خطة عليه الرحمة نقلته باقتصار .

قلت : ولعله لم يذكر التسمية بالفرقان كما ذكره فى الاتقان للخلاف فى أنه خاص بالقرآن أم عام للتوراة والانجيل ، ففى نهاية ابن الأثير : انه عام . لقوله تعالى : « واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان » و « لقد آتينا موسى وهرون الفرقان » وقيل خاص لقوله تعالى « وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وانزل الفرقان » وقال تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وانما سمى به لانه سبحانه فرق به بين الحق والباطل ، فهو مصدر فى الأصل كالغفران اطلق على

للفاعل مبالغة . وقد عد الحافظ جلال الدين السيوطى له (١) خمسة وخمسين اسما فى النوع السابع عشر من كتابه الاتقان ، من أراد الوقوف عليها فليرجع اليه .

الفائدة الثانية : قال الامام السيوطى فى النوع الخامس والستين فى العلوم المستنبطة من القرآن فى كتابه الاتقان ما ملخصه : قال الله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وقال سبحانه : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقال رسول الله ﷺ : « ستكون فتن » قيل : وما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : « من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الأولين والآخرين » قال الامام البيهقى يعنى أصول العلم . قال : أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان .

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : « جميع ما تقول الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن » وقال أيضا : « جميع ما حكم به النبى ﷺ فهو مما فهمه من القرآن »

قلت : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « انى لا أحل الا ما أحل الله فى كتابه ، ولا أحرم الا ما حرم الله فى كتابه » أخرجه الشافعى فى الأم وقال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجة الأ وجدت مصداقة فى كتاب الله وقال ابن مسعود اذا حدثتكم بحديث انبأتكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل وقال الشافعى ايضا ليست تنزل بأحد نازلة الا فى كتاب الله : الدلسل على سبيل الهدى فيها .

فان قيل : من الأحكام ما ثبت ابتداء بالسنع . قلنا : ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة ، لأن كتاب الله سبحانه وتعالى أوجب علينا اتباع

---

(١) لا يخفى عليك أن كثرة الأسماء تدل على تعظيم شأن المسمى ، ولا سيما عند العرب .

الرسول عليه الصلاة والسلام وفرض علينا الأخذ بقوله فى قوله سبحانه : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال الشافعى مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى . وحكى ابن سراقة فى كتاب الاعجاز عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال يوما ما شىء فى العالم الا وهو فى كتاب الله تعالى . فقال له : فأين ذكر الخانات ؟ فقال : فى قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم » فهى الخانات . وقال ابن برجان : ما قال النبى ﷺ من شىء فهو فى القرآن وفيه أصله قرب أو بعد ، فهمه من فهمه ، وعمه عنه من عمه . وكذلك ما حكم أو قضى به ، وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه . وقال غيره ما من شىء الا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى . وقال ابن أبى الفضل المرسى جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة ، الا المتكلم بها سبحانه . ثم رسوله ﷺ خلافا ما استأثر به سبحانه ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لى عقال بغير لوجدته فى القرآن ، ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم وتضائل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمل الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فاعتنى قوم لضبط لغاته وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات ، الى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ، فسموا القراء . واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة ، واللازم والمتعدى ، ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكلة وبعضهم أعربه كله . واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ، ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفى منه ، وخاضوا فى ترجيح محتملات ذى المعنيين والمعانى ، واعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الاصلية والنظرية مثل قوله سبحانه : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله تعالى ووجوده وبقائه وقدمه وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به سبحانه . وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة من معنى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ، ومنها ما يقتضى الخصوص الى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر ، والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهى والنسخ ، الى غير ذلك من أنواع الأقيسة ، واستصحاب الحال والاستقراء ، وسموا هذا أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فاسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا ، وسموه بعلم الفروع ، وبالفقه أيضا وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا وأوائل الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه لما فيه آخرون من الحكم والأمثال والمواعظ التى تقلقل قلوب الرجال ، وتكاد تدك الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحساب والجنة والنار ، فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر ، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف عليه السلام من البقرات السمان ، وفى منامى صاحبى السجن ، وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة ، وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب ، فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب ، فان عسر ، فمن الحكم ، ثم نظروا الى اصطلاح العوام فى مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذى أشار اليه القرآن بقوله : « وأمر بالعرف » وأخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك ، علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف

والمثنان والثلث والربع والسدس والثمن ، حساب الفرائض ، ومسائل العول ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله ، والنجوم والتخوم والبروج ، وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت . ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب والاطناب والايجاز ، وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع ونظر فيه أرباب الاشارات وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها ، مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط ، وما أشبه ذلك .

هذه الفنون التى اتخذتها الملة الاسلامية منه .

وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .

فاما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى قوله تعالى : « وكان بين ذلك قواما » وقوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اختلاله فى قوله سبحانه : «شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ثم زاد على طب الأجساد بطب القلوب وشفاء الصدور . وأما الهيئة ففى تضاعف سورة من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والأرض ، وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات . وأما الهندسة ففى قوله عز وجل « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب » الآية . واما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة ، وغير ذلك شيئا كثيرا ، ومناظرة سيدنا ابراهيم عليه السلام نمرود ومحاجة قومه ، أصل فى ذلك عظيم . واما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور

فيها ذكر مدد ، وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة ، وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة ، وتاريخ مدة الدنيا وما مضى ، وما بقى مضروب بعضها فى بعض وأما النجامة ففى قوله تعالى : « أو اثارة من علم » فقد فسره بذلك ابن عباس . وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعوا الضرورة اليها .

ثم ان صاحب الاتقان ذكرها مفصلة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع اليه . وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتابه قانون التأويل : « علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد آيات القرآن مضروبة فى أربعة ، اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب ، وما بينهما من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه الا الله تعالى ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفذت كلمات الله فهو وان كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه :

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء ، ونورها يغشى البلاد مشارقا مغاربا

ومن يستبعد هذا فليرجع الى كتب المسلمين ليرى فيها ما يحصل عنده اليقين ولولا خشية التطويل والخروج من الصدد « لسقت لك من صادق الأقاويل » ما فيه الكفاية للخصم الألد » ومن جعل الله تعالى النور ، تبين له صحة ما قاله العلماء كشمس الضحى فى الظهور .

فصـــل

أما قوله : « مثل فلق البحر لموسى » الخ

قال الشيخ الربانى « عبد القادر الكيلانى » قدس سره فى كتابه الغنية أن النبى ﷺ أعطى من المعجزات ما أعطيه غيره من الأنبياء أو زيادة . وقد عدها بعض أهل العلم ألف معجزة الى أن قال : فلذلك صار القرآن معجزة له ﷺ كالعصا فى حق موسى ، لأن موسى عليه السلام بعث فى زمن السحرة والحذاق فى صنعتهم ، وكاحياء عيسى عليه السلام الموتى ،

وابراء الأكمه والأبرص لانه عليه السلام بعث فى زمن ، الناس فيه أطباء حذاق ، فانقادوا اليه وآمنوا به لمجاوزته فى الصنعة عليهم ، وبراعته فى المعجزة فيما تواطئوه منه ، ففصاحة القرآن واعجازه معجزة ، كالعصا واحياء الموتى فى حقهما عليهما السلام ، الى أن قال : ولو جاء عليه السلاة والسلام بمثل ما جاء به الأولون ، لقالوا له : ما جئت بغريب وقد نقلت من موسى وعيسى فأنت من أتباعهم لا نؤمن لك حتى تأتينا بما لم يأت به الأولون . ولهذا لم يؤت الله سبحانه نبيا من أنبيائه معجزة غيره ، بل خص كل نبى بمعجزة غير معجزة من كان قبله » انتهى باقتصار .

وقد ذكرنا ما يتعلق بهذا فى محل آخر فراجعه ولا تغفل .

قوله : « مخلص العالم »

أراد به أن عيسى عليه السلام هو الاله ، وانه أراد أن يخلص عباده من اثم ما ارتكبه أبوهم آدم عليه السلام من الخطيئة فى أكل الشجرة التى نهى عن أكلها فى الجنة ، فأكلها فجاء الاله ودخل فى بطن مريم وصار ولدا متجسدا فولدته أمه صغيرا وغذته ، وأكل وشرب ، ثم صفعه اليهود وصلبوه وقتلوه ثم دفنوه ، فقام من قبره بعد نحو ثلاثة أيام ودخل الجحيم ليكون ذلك تلخيصا لعباده من الخطيئة ، وصار ملعونا ، كما ادعاه بولس فى رسالته . زاعما أن التوراة صرحت بلعنه وحاشاه عليه السلام . وهذه عقيدتهم المدروجة فى أمانتهم التى ذكرناها بعجزها وبجرها فيما تقدم ، وأنت تعلم أن هذه عقيدة مصادمة للعقل والنقل ، لا يقول بها من له أدنى مسكة من تمييز ، وبطلانها وان كان أوضح من أن ينبه عليه الا أنا نقول لهم : أخبرونا عن هذا الخلاص الذى تعنى الرب الأزلى سبحانه وفعل بنفسه ما فعل مما جرى عليه بزعمكم ما هو ؟ وممن خلصكم ؟ ولم خلصكم ؟ وكيف استقل بخلاصكم دون الآب والروح القدس ؟ مع أن الربوبية بينهم أثلاثا لأن الثلاثة واحد بزعمكم ، ويلزم منه الترجيح بلا ترجح . وكيف ابتذل وامتهن فى خلاصكم دون الآب والروح القدس ؟ وهل العن سرى للأقانيم أم خاص بالابن ؟ وهذه عدة أسئلة لا يمكن أن يجاب عنها بما يقبله العقل السليم الى نزول المسيح أو خروج الكليم .

فان زعموا الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها وموتها أكذبهم الحس ، فانا نراهم لا مزية لهم على سائر بنى آدم ، وان كان من هموم السعى فى طلب الرزق والتكسب والعيال ونحو ذلك ، أكذبهم الحس أيضا وان كان من تكاليف الشرع كالصوم والصلاة ونحوهما وأنهم غير مؤاخذين بشىء منها أكذبهم المسيح والحواريون بما وضعوه عليهم من الصوم والصلوات وغيرها . وان زعموا أنه خلصهم من أهوال الدار الآخرة وأن من تعاطى فى الدنيا جريرة منهم وسرق وقتل لا يؤاخذ يوم القيامة بشىء من ذلك أكذبتهم النبوات والأناجيل ، اذ يقول المسيح فيها : « انى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى ، فأقول لأهل اليمين : فعلتم كذا وكذا ، فاذهبوا الى النعيم المعد لكم قبل تأسيس العالم ، وأقول لأهل الشمال : فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى العذاب المعد لكم » فاذا كان هذا حالكم فى الدنيا والآخرة فأين الخلاص الذى تدعون أن الاله تعنى ونزل الى الأرض ، وتولد من مريم وقتل ودخل الجحيم ولعن ، ليخلصكم ، وسميتموه مخلص العالم ؟ فأين الخلاص ؟ ولات حين مناص .

واخبرنا لم اختصصتم بهذا الخلاص دون جميع الناس ؟ مع أن الكل أولاد آدم وجميعهم عبيده وتروون عنه فى الاصحاح الثالث من انجيل يوحنا أن المسيح قال : « لم يبعث الله ابنه الى العالم ليدين العالم ، بل ليحيى به العالم » فلم اختصصتم بخلاصه لكم دون المسلمين واليهود والمجوس والصابين والمشركين والفلاسفة الدهريين ؟ وكان المقتضى أن يقال له : مخلص البروتستنت أو الكاثوليكيين أو النصارى . ولا يقال له : مخلص العالم ، وما فائدة قتل الاله نفسه لهذه الشرذمة القليلة من عباده ؟ وكيف يكون حال المتقدمين على زمن المسيح من الأنبياء الماضين وأممهم السالفين ؟ فان كان لخلاصكم من جهنم فلم ترك الاله أكثر عبيده فيها وخلص نهاه النذر القليل ؟ ولم لم ينزل فى أيام آدم أو نوح أو ابراهيم ويقتل نفسه اذ ذاك ليكون قد خلص الجميع أو الأكثر ؟ ويقتضى أن المسلمين خالصون لأنهم برسالته مؤمنون ، وأنتم بخلاصهم لا تقولون . أو فأخبرونا من خلصكم ؟ هل كان غلبه عليكم غالب أو سلبكم منه سالب أو خلصكم

من الشيطان ؟ فكيف لم يخلص نفسه عندما اقترن معه على الخشبة اللصان ؟ فينبغى أن الشيطان غلبه وقوى اليهود حتى صلبوا الههم على الخشبة . فاجيبوا عن هذه الأسئلة البديهية الواردة على هذه الوساوس السوداوية ، ولا شك أنكم تعجزون عن ذلك الى الدينونة الأخروية والله الهادى الى الصـــواب .

وقوله : « افصح منه كلام اليونانية عند الروم » الى آخره .

لا يخفى على كل متبصر أن هذا الكلام ليس له تماس بدعوى المسلمين ؛ لأنا انما ندعى نهاية فصاحة القرآن وبلاغته واعجازه بالنسبة الى اللغة العربية ، والى العرب ، وأنهم لا يأتون بمثله فى اللسان العربى والنبى ﷺ قد تحداهم بذلك ، فعجزوا عن الاتيان بأقصر سورة منه . وقد شرحنا لك ذلك على أتم وجه فى ما مضى من تأليفنا هذا وأما أن الألسنة العجمية كاليونانية والسريانية والعبرانية والفارسية وغيرها ، فيها فصاحة وبلاغة فى حد ذاتها ، فهذا شىء آخر ليس مما ادعت المسلمون خلافه ، ولا مما نحن بصـــدد تصـــديقه أو تكذيبه ، اذ ادعاءنا عجـــز العرب عن الاتيان بمثل القرآن البالغ نهاية درجة الكمال فى الفصاحة والبلاغة والبيان شىء ، وأن بقية الألسنة أيضا فيها بلاغة وفصاحة شىء آخر ، وما هذا منه الا خروج عن علم آداب البحث والمناظرة ، فأين دعواه المعرفة بالبراهين المنطقية والفلسفية ؟ فهل يصح لمن يناظر فى فصاحة القرآن واعجازه للعرب أن يجعل ما فى لسان الاعجام من الفصاحة التى هى فى لسانهم خاصة ، دليلا على عدم فصاحة وبلاغة القرآن ، وعلى نفى اعجازه للعرب ، عـــلى أن اناقة اللسان العربى وشرفه وتقدمه وتوسعه على بقية الألسنة أمر لا يخفى عـــلى من له ذوق ، حتى أن العجم والروم والفرس العارفين بالعربى وغيره ، يشهدون بتفوقه وحسنه ورقته وعذوبة الفاظه وترفعه على سائر الألسنة ، وهذا أمر مشهور فلا نتعب القلم بايراد شواهد على ذلك فافهم .

وقوله : « قد افتقر فى كتابه الى استعمال لسان غيره » الى آخره .

أنت تعلم أن هذا اعتراض يموه به على من ليس له اطلاع على كشفه وأجوبته ، اذ أجوبته كثيرة ظاهرة على من له أدنى علم بما قاله المفسرون والعلماء اللغويون . فهنا ما نقله الامام السيوطى فى كتابه الاتقان عن أكثر العلماء كالامام الشافعى وابن جرير وأبى عبيدة والقاضى أبى بكر بن مارس وغيرهم ، أنه لم يقع فى القرآن العظيم من الكلمات العجيبة شىء وقد شدد الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه النكير على القائل بوقوع المعرب فى القرآن وقال أبو عبيدة : انما انزل القرآن بلسانى عربى مبين . قال تعالى : « قرآنا عربيا » وقال سبحانه : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : اولا فصلت آياته . أعجمى وعربى » من زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول . وهذه الألفاظ التى يقال انها غير عربية كأباريق وأبا وأخلد والرقيم والسجل ومشكاة وغيرها ، عربية صرفة . ولكن لغة العرب متسعة جداولا يبعد أن تخفى عـلى الأكابر الأجلة قال الامام الشافعى فى الرسالة : « لا يحيط باللغة الا نبى »

ومنها : ما قاله بعض العلماء أنه كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم د شعلقت من لغاتهم ألفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها العرب فى أشعارها ومحاورتها ، حتى جرت مجرى العربى الفصيح ، ووقع بها البيان وعـلى هذا الحد نزل بها القرآن الكريم .

ومنها : أن ما ورد عن ابن عباس من تفسـير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك ، انما اتفق فيه توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد ، قاله ابن جرير .

ومنها : ان وقوع بعض الكلمات اليسـيرة فى القرآن بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا ، فالقصيدة الفارسية مثلا لا تخرج عنها بلفظة

عربية ، وهذا فى غير الأعلام وأما هى فواقعة فيه بلا خلاف بين العلماء الاعلام كموسى وهرون وابراهيم وغيرها من أسماء الأنبياء عليهم السلام .

ومنها : ما قاله ابن ميسرة التابعى الجليل ، وروى عن سعيد بن جبير واختاره الامام السيوطى أن فى القرآن من كل لسان والحكمة فى ذلك : الاشارة الى أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شىء ، فلابد أن تقع فيه الاشارة الى أنواع اللغات والألسن ليتم احاطته بكل شىء ، فاختير له من كل لغة أعذبها واخفها وأكثرها استعمالا للعرب . ثم نقل عن ابن النقيب أنه قال : من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شىء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الفرس والروم والحبشة بعض كلمات » انتهى .

وأيضا : فالنبى ﷺ مرسل الى كل أمة . وقد قال تعالى : « **وما** أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » فلابد وأن يكون فى الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وان كان أصله من لغة قومه .

ومنها : ما قاله أبو عبد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء ، والمنع عن أهل العربية : « والصواب عندى مذهب تصديق القولين جميعا . وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية ، كما قال الفقهاء ، لأنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية . ثم نزل القرآن . وقد اختلطت هذه الحروف **بكلام العرب ، فمن قال أنها عربية فهو صادق** ، ومن قال : هذه الكلمات كـ « مشكاة » ونحوها عجمية فصادق . ومال الى هذا جماعة أيضا » انتهى فافهم .
ق قوله : « حاجوه فقطعوه ، فقال : « بل هم قوم خصمون » الى آخره .

لا يخفى عليك أن كلام هـذا النصرانى تلبيس وخروج عن المعنى اللغوى ، لأن الخصم المختص بالخصومة قال فى النهاية الخصم مصدر

صمته أى نازعته خصما يقال خصمته مخاصمة وخصاما . وقال الله تعالى « وهو ألد الخصام » — « وهو فى الخصام غير مبين » ثم المخاصم خصما ، واستعمل الواحد والجمع ، وربما يثنى ويجمع ، واصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أى جانبه ، وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب . وروى نسيته فى خصم فراشى ، والجمع خصوم واخصام . وقوله تعالى : « خصمان اختصموا » أى فريقان ولذلك قال : « اختصموا » وقال الله « لا تختصموا لدى » وقال تعالى : « وهم فيها يختصمون » والخصم الكثير المخاصمة . قال تعالى : « وهو خصيم مبين » والخصم المختص بالخصومة . قال تعالى : « بل هم خصمون » انتهى فمن أين تبين له من قوله تعالى « خصمون » أنهم حاجوا النبى عليه الصلاة والسلام فقطعوه وغلبوه ؟ وهل هذا الا اختلاف وخلاف ما تقتضيه الآية الكريمة ، لأنها يفهم منها أنهم كثير والخصومة ولا يذعنون للحق ولو كان ظاهر فلا يخفى عليهم ولا على غيرهم ، بل لا يتبعونه عنادا واستكبارا . وأما أنهم خصموا النبى ﷺ وقطعوه عن حجته وغلبوه فى برهانه ، فهذا لا يأتى الى ذهن جاهل فضلا عن فاضل ، لأن هذا ليس مما يستفاد من الآية البتة .

ولنذكر لك ما ذكره المفسرون فى تفسيرها وسبب ورودها لتزداد ايقانا وفهما لما ذكرناه : قوله تعالى فى سورة الزخرف : « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا آلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون ، ان هو الا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل » قالوا : ان سبب نزولها أن لما نال خطابا للمشركين قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال عبد الله بن الزبعرى قبل اسلامه للنبى ﷺ : أليست النصارى يعبدون المسيح وأنت تقول كان نبيا وعبدا من عباد الله تعالى صالحا ؟ فان كان فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ففرحت قريش وضحكوا وارتفعت أصواتهم . وذلك قوله تعالى : « اذا قومك منه يصدون » فالمعنى : ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا ، وحاجك بعبارة النصارى اياه اذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة وضجيج ، فرحا وجدلا . والحجة لما كانت

تسير مسير الأمثال شهرة قيل لها : مثل ، أو المثل بمعنى المثال أى جعله مقياسا وشاهدا على ابطال قوله عليه الصلاة والسلام نفسه مثلا من باب المجاز . وروى عن على كرم الله تعالى وجهه أنه من الصدور أى أن قومك من أجل ذلك يعرضون عن الحق بالجدل بحجة داحضة واهية لأنه سبحانه قال : « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » فالمشركون سمعوا أولا من النبى عليه الصلاة والسلام « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى » كعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام « معبدون » عن جهنم فضربهم هذا المثل هنا من باب العناد لأنه لا يذهب على ذى مسكة بطلانه ، ولكن العناد يعمى ويصم ، فهم قوم لد شداد الخصومة مجبولون على اللجاج . ولذا قال سبحانه : « ان هو » أى ما عيسى « الا عبد أنعمنا عليه » بالنبوة وروادفها . لكن ليس له من استحقاق المعبودية من نصيب ، فهو كلام حكيم مشتمل على ما اشتمل عليه قوله تعالى : « ان الذين سبقت » ولكن على سبيل الرمز ، وعلى فساد رأى النصارى فى ايثارهم عبادته عليه السلام تعريضا بمكان عبادة قريش غيره سبحانه وقوله تعالى : « وجعلناه مثلا » أى أمرا حقيقيا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة « لبنى اسرائيل » حيث خلقناه من غير أب وجعلنا له (من ؟ المعجزات الجمة ما لم نجعل لغيره فى زمانه وقال الطيبى عليه الرحمة : ان قوله تعالى : « ان هو الا عبد » الى آخره جواب عن جدل الكفرة فى قوله تعالى : « انكم وما تعبدون » الى آخره وأن تقريره : ان وجد لكم هذا باطل لأنه عليه السلام ما دخل فى ذلك النص الصريح لأن الكلام معكم أيها المشركون وأنتم المخاطبون به ، وانما المراد بما تعبدون : الأصنام التى تنحتونها بأيديكم وأما عيسى **فهو عبد مكرم منعم عليه بالنبوة ، فمن أين يدخل فى قولنا انكم وما تعبدون ؟ وكذلك لا يدخل من يعبد الملائكة أو غيرهم من الصالحين** . فليفهم .

قوله : « وان مسيلمة الحنيفى والأسود العنسى وطلحة ابن خويلد الأسدى وغيرهم قد عملوا مثل ما عمل صاحبك » الى آخره .

أما مسيلمة بن حبيب المعروف بالكذاب ، فقد كان ظهر باليمامة فى

بنى حنيفة وكتب فى آخر سنة عشر الى النبى ﷺ : « من مسيلمة الى رسول الله محمد رسول الله .

سلام عليك .

أما بعد ..

فانى قد أشركت فى الأمر معك . وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون »

فقدم عليه رسولا له بهذا الكتاب ، فكتب رسول الله ﷺ بهذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب .

السلام على من اتبع الهدى .

اما بعد ..

فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين »

وكان مما شرع لقومه : ان من أصاب ولدا ذكرا ، لا يأتى النساء حتى يصيب ابنا ثم يمسك ، ثم توفى رسول الله ﷺ وهو على دعواه النبوة وارتدت بعض الاعراب واستغلظ أمر مسيلمة واجتمع على طليحة عوام هىء وأسد ، وتبعته غطفان ، وتقدمت كتب أمراء النبى ﷺ تخبر أبا بكر رضى الله عنه بانتقاضهم وتسلطهم على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله ﷺ يحاربهم ، وبعث الى المرتدين السرايا ، بعث عكرمة بن أبى جهل الى مسيلمة وأتبعه شر حبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وبنو حنيفة يومئذ كثيرون ، كانت عدتهم أربعين ألف مقاتل فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم برز خالد ودعا الى البراز ، فلم يبرز اليه أحد الا قتله ، ثم دخلوا الحديقة فدخلها المسلمون عليهم ، واقتتلوا حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى

ولى جبير بن مطعم ، ورجل من الأنصار اما وحشى فدفع اليه حربته وضربه الأنصارى بسيفه ، وأخذهم السيف من كل جانب وكان النصر للمسلمين والدائرة على الكافرين والحمد لله رب العالمين . وستأتى أيضا بعض أقواله وآياته فى ترجمة سجاح قريبا ان شاء الله تعالى .

وأما الأسود العنسى ، فاسمه عيهلة بن كعبين عوف العنسى — بالنون — وعنس بطن من مذحج وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتما متخمرا أبدا وكان فى اليمن ولما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، وتمرض من السفر غير مرض موته عليه الصلاة والسلام بلغه ذلك ، فادعى النبوة وكان مشعبذا فاتبعته مذحج . وكان ردة الأسود أول ردة فى الاسلام على عهد رسول الله ﷺ وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن ، واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة فارس سوى الركبان واستغلظ أمره وكان الأسود تزوج « أزاد » امرأة « شهر بن باذان » بعد قتله . وهى ابنة عم « فيروز » ونزح معاذ بن جبل الى السكون . فعطفوا عليه ، وجاء اليهم والى من باليمن من المسلمين ، كتاب النبى ﷺ يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ فى ذلك وقويت نفوس المسلمين ، وذاكروا زوجته « أزاد » وذكروها بقتله لزوجها « شهر بن باذان » واهلاكه عشيرتها وفضيحة للنساء ، فأجابت وقالت : والله ما خلق الله تعالى شخصا أبغض الى منه ، ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهى عن محرم ، ثم قالت لهم : هو متحرز وليس من القصر شىء الا والحرس محيطون به ،غير هذا البيت . فان ظهره الى مكان كذا وكذا ، فان أمسيتم فانقبوا عليه ، فانكم من دون الحرس وليس دون قتله شىء ، وستجدون فيه سراجا وسلاحا . قال الديلمى : فنقبنا البيت ودخلنا واقتدينا بفيروز ، وكان أشدنا فقلنا : أنظر ماذا ترى ؟ فخرج ونحن بينه وبين الحرس ، فلما دنا من البيت سمع غطيطا شديدا . والمرأة قاعدة فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان ، وتكلم على لسانه وقال ما لى ولك يا فيروز فخشى ان رجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل ، فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه ، ووضع ركبته فى ظهره فدقه ، ثم خرج فأخبرنا

فدخلنا معه فخار كما يخور الثور ، فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة ، يقولون : ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبى يوحى اليه ، فحمدوا الله . وتراجع أصحاب النبى ﷺ الى أعمالهم ، وكان يصلى بنا معاذ بن جبل ، وكتبنا الى رسول الله ﷺ بخبره ، وذلك بحياته ، وأتاه الخبر من ليلته من السماء ، وقدمت رسلنا وقد توفى رسول الله ﷺ فى ليلته التى قتل فيها فقال : « قتل العنسى قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين » قيل : من قتله يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « قتله فيروز » وكان أول أمر العنسى الى آخره ثلاثة أشهر وقيل أربعة أشهر .

وأما طليحة بن خويلد الأســـدى من بنى أسد بن خزيمة ، فقد تنبأ أيضا فى حياة النبى ﷺ فوجه عليه الصلاة والسلام ضرار بن الأزور ، عاملا على بنى أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة ، حتى لم يبق الا أخذه فضربه بسيف ، فلم يصنع فيه شيئا ، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه ، فكر جمعه وتوفى النبى ﷺ وهم على ذلك . فكان طليحة يقول ان جبريل يأتينى وسجع للناس الأكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود فى الصلاة ويقول : « ان الله لا يصنع ما يغفر وجوهكم ويقبح أدباركم شيئا ، اكبر الله واعبدوه قياما » الى غير ذلك . وتبعه بعض من العرب عصبية ، فلذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وهى وأرسلوا الى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة . فقال أبو بكر رضى الله عنه : « لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه » ثم أرسل أبو بكر اليه خالدا ، فاشتدت الحرب وتقاتلوا قتالا شديدا ، وانهزم الناس عن طليحة ، وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته « النوار » فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ، ثم نجا بها ولحق بالشام ، ثم أسلم وجاء بعد وفاة أبى بكر الى عمر رضى الله تعالى عنه فتابعه وقال له : ما بقى من كهانتك ؟ فقال نفخة أو نفختان ، ثم رجع الى قومه ، فأقام عندهم حتى خرج الى العراق وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به ، فسأله خالد عما كان يقول ، فقال : ان مما أتى به : « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغ ملكنا العراق والشام » .

قوله : « وغيرهم »

لعله أراد « سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية » فقد خرجت من الزجيرة وادعت النبوة ومعها هذيل بن عمران ، فى بنى تغلب فكان نصرانيا ، فترك دينه وتبعها . وكانت تريد غزو أبى بكر رضى الله تعالى عنه . واجتمع معها بعض الناس فسجعت لهم سجاح . وقالت : « أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب » ثم خرجت سجاح فى الجنود ، وقصدت اليمامة وبنى حنيفة ، وقالت : « عليكم باليمامة ودفوادفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة » فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها أن يغلبه أبو بكر رضى الله تعالى عنه على اليمامة ، فأهدت لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه ، حتى يأتيها ، فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة ، فقال مسيلمة لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت . وقد رد الله تعالى عليك النصف الذى ردت قريش . ولما جاءها ضرب لها قبة وجمرها ، لتذكر بطيب الريح الجماع ، واجتمع بها . فقالت له : ما أوحى اليك ربك ؟ فقال : « ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى ؟ اخرج منها نسمة تسعى ، بين صفادق وحشى » قالت : وماذا أيضا ؟ قال : « ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجا فتولج فيهن ايلاجا ، ثم تخرج اذا تشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا » قالت : أشهد أنك نبى . قال لك أن أتزوجك وآكل بقومى وقومى وقومك ؟ قالت نعم ، فقال :

وان شئت ففى المخدع ... وان شئت سلقناك

ألا قومى الى النسيك ... وان شئت على أربع

فقد هيى لك المضجع ... وان شئت بثلثيه

فان شئت ففى البيت ... وان شئت به أجمع

قالت : بل أجمع ، فانه أجمع للشمل ، قال : بذلك أوحى الى . فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها . فقالوا لها : ما عندك ؟ قالت : كان

على الحق فتبعته وتزوجته ، قالوا : هل أصدقك شيئا ؟ قالت : لا . قالوا : مارجعى فاطلبى الصداق . فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن ، وقال : مالك ؟ قالت : أصدقنى . قال : من مؤذنك ؟ قالت : شبث بن ربعى الرياحى ، فدعاه . وقال له : ناد فى أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد ، صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة ، فانصرفت ومعها أصحابها . فقال عطارد بن حاجب :

أمست نبيتنا انثى نطوف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة ، تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف ، وانصرفت الى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقة وزيادة لأخذ النصف الباقى ، فلم يفاجئهم الا دنو خالد بن الوليد اليهم فرفضوا ، فلم تزل سجاح فى تغلب ، حتى نقلهم معاوية بن أبى سفيان عام المجاعة ، وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها ، وانتقلت الى البصرة وماتت بها . وقيل : انها لما قتل مسليمة سارت الى اخوالها بنى تغلب بالجزيرة ، فماتت عندهم ، والله تعالى أعلم .

ثم اعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام كما قال أبو هريرة : رضى الله عنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا كلهم يدعى النبوة » ويوافقه ما فى الاصحاح السابع من انجيل متى أن المسيح عليه السلام قال : « احذروا من الأنبياء الكذبة ، الذين يأتون اليكم بلباس الضأن ، وداخلهم ذئاب خاطفة ، فانكم تستعرفونهم بأثمارهم ، هل يقطف الناس العنب من الشوك ؟ أو هل يجنى التين من العوسج » ؟ انتهى . وهذا اخبار من عيسى عليه السلام أنه ستأتى بعده أنبياء كذابون ، ويأتى فيهم الصادق ، وفرق بالعلامات بين الصادق والكاذب . ولأن مفهوم الصفة معتبر كما هو مقرر فى الأصول . ومن تنبأ صادقا بعده : أغابوس بنى انطاكية كما فى الاصحاح الحادى عشر من أعمال الرسل ، وخالد بن سنان فى الجبل ، وخاتمهم سيد العالمين نبينا محمد ﷺ فاستدل بعض النصارى

على انقطاع النبوة بعد المسيح بقوله هذا ، استدلال باطل لأنه مصرح فيه بعدم الانقطاع فهو دليل عليهم لالهم كما لا يخفى .

قوله : « واشهد انى قرات مصحفا لمسيلمة ، لو ظهر لأصحابك ارد اكثرهم » الى آخره .

أنت تعلم وكل عربى يدرى ويفهم أن من ساوى بين القرآن الكريم وأقوال مسيلمة الكذاب الرجيم ، فهو أكذب منه ، اذركالة ألفاظه أمر ظاهر وأنه أشبه بالمضحكات والتوهات التى تضحك منها الأكابر والأصاغر ، وقد تقدم لك شىء منها . ولنردفه بما أنقلت الكتب عنها . فما جاء به وذكر أنه وحى : « يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، أعلاك فى الماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين » وقال أيضا : « الفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل ، ان ذلك من خلق ربنا الجليل » وقال أيضا : « والمبيدات ذرعا والحاصدات حصدا والذرايات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل الدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعيى فأووه ، والباغى فتأووه » واتته امرأة فقالت : ان نخلنا السحيق وان آبارنا الجزر فادع الله لمائنا ونخلنا كما دعا ﷺ لأهل هزمان ، فسأل نهارا عن ذلك ، فذكر النبى ﷺ دعا لهم وأخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه فى الآبار ففاضت ماء ، وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلا قصيرا مكمما ففعل مسيلمة ذلك ففار ماء الآبار ويبس النخل ، ورآه ألوف من الناس واستفاض الخبر عند كل أحد . وقال له نهار : مريديك على أولاد بنى حنيفة ، مثل محمد ، ففعل وأمر يده على رءوسهم وحنكهم ، فقرع بعد ذلك كل صبى مسح رأسه لثغ كل صبى حنكة ، وانما ظهر كل ذلك بعد مهلكه . وعلمه الناس كافة ، وتواترت به الأخبار فى سائر البلدان ، وجاءه طلحة النمرى فسأله عن حاله فأخبره أنه يأتيه رجل فى ظلمة ، فقال له : اشهد انك يا مسيلمة لكاذب ، وان محمدا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر فقتل بمصر يوم عقرباء كافرا — عليهما من الله ما يستحقان .

واذا أحطت خبرا بما فصلناه وأجلت الفكر بما سطرناه من أحوال هؤلاء المتنبئين وأقوالهم التى تمجها أسماع السامعين ، يتبين لك أن ما قاله عبد المسيح مخالف للصواب ، وأنه ما حمله على مساواة كلام الكذبة لكلام رب الأرباب ، الا محض العصبية والغيرة النصرانية ، والا فمن له أدنى مسكة من فهم وعقل كيف يدعى أن كلام مسيلمة من أفصح القول ؟ وليت شعرى اذا رأى المسلمون قوله : « ألا قومى الى النيك » أو قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين » أو قوله : « والمبديات ذرعا » الى آخر الأبيات والفقرات التى ذكرناها آنفا ، لم لم يرتدوا عن دين الاسلام بهذه الأفاظ الركيكة المبنى والمرام ؟ فمن لا يفرق بينها وبين الفرقان لا يعد الا من الانعام ، ومن يغرب عن عقله فيساوى بين التبر والرغام ، فليقطع الكلام ولا عليه السلام .

قال النصرانى : « وكأنى بك قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خبئة لك تستتر تحت فيها ، فانت تعلم أن حجتنا فى اللغة وحجتك واحدة ، والأمر بيننا فيها مشاع غير مقسوم ، واننا فيها شركاء ، فليس لك علينا فيها فضل ، ولا فى يدك . منها ما ليس فى أيدينا ، ولا علمك بأقل فيها من علمنا ، وانك لتقر طائعا : اننا معشر العرب نرجع جميعا فى اللغة الى يعرب بن يشجب بن نبايوت بن اسماعيل أبينا . وانما هـذه الحجة المبهرجة هى دعوى مدلسة تجوز على الأنباط والأسـقاط والعجم والمغفلين والاغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربى ، وانما هم فيه دخلاء فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدقوه ، وتناولوه على قد عجمتهم ، فأما العرب العاربة الذين هم البديون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة . وكل منهم يفهم كلام صاحبه . وأما أهل الحضر ومن نشأ بين الأبيات وخالط العجم والأعراب ، فلعمرى لقد أفسد بعضهم كلام الآخر لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة الى ذكر اللغة ولا لك فى ذلك بلغة ولا ملجأ . فان قلت : ان قريشا افصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة ، وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر أن تنكره ولا تجحد صدقه ، وهـو أن مليكة بنت النعمان الكندية حين اقتضاها صاحبك ، وصارت عنده قالت : أمليكة تحت سوقة ؟ فنحن وأنت لا نشك أن قريشا كانت تجار العرب وسوقها

وكندة كانوا الملوك المسلطين على سائر العرب ولست أقول هذا افتخارا عليك بشرف جنسى من الكندية ولا لموضع نسبى فى العربية ، بل لكى تعلم أن كندة كانوا أقوياء فصحاء بلغاء خطباء شعراء رجالا للملك وقادة للجيوش ذوى انعام وافضال ، حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون فى مصاهرتهم ، ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم ، هذا ما لا يدفعه الا جاهل .

ولقريش من الفضـــل فى الســـؤود والكرم ـــ وخاصة لهاشم ـــ ما لا ينكره الا من قد أعمى الحسد بصره وطمس نور عقله . وكذلك قولى فى جميع العرب وسائر قبائلهم لأن لهم الفخر والسبق بالفضل والكـــرم تخصيصا من الله على سائر العجم ، فان ادعيت أن كلام العرب مدون فى الشـــعر وأن أخبارها قد قيدت به ، فلا نماريك فيه ونسلمه لك ، ولا نلتفت اليه . وذلك قلة اكتراث لهذا القول وقلة مبالاة به ، لأنه قول لا يخفى فساده على ذوى الألباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند أهل النظر ، لأننا قد نجد كل مشغوف مصروف ودعى أعجمى قد قال الشعر ، فاذا نحن قرنا شعره بشـــعر غيره من العرب العاربة اللسان البدوى الشعر ، لم نجده مختلفا عنهم ولا مجانبا لهم ، وجدناه سالكا سلبهم محتذيا منهجهم ، واذا كان هذا كذلك ، فليس تدوين العرب اذن أخبارها وتقييدها كلامها بالشعر ، حجة فى كتب سرائر الله القائل بها حجة ناطقة ، لأنه لا يؤمن أن يكون قد قيل من الشعر ما قد أشبه به شعر المتقدماء من العرب بما وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان . فليس اذن الشعر حجة عند أهل الفحص والنظر ولا دعوى صـــحيحة ، بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان ملوسوسين ، غير اننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره ونقول بمحاسنه بمحاسنه ومفاخره ، ونذكر فضائله ونعلم أن ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة وأحاديث عجيبة ، ولا نشك عند تحملنا الأمور وصدقنا أنفسنا انه قد أفسد ، وأدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة ، لأنه كلام لا يخطر عليه ، وانما هـــو منثور وخواطره النفوس الفارغة ، ومشاع بين الناس جميعا يتناوله من أحب وينالله من طلبه ، تقربا به الى

الملوك للاكتساب والموصلة اليهم بأسبابه ، فلهذا احتمل أن يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان ، فليس اذن الشعر حجة البتة فى شىء من كتب سرائر الا لغة فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب »» انتهى .

فاقول : هذا الكلام كما يقال فى المثل نسمع جعجعة ولا نرى طحنا ، وقعقعة ولا سلاحا يقنى ولعمرى انه يلزم فى كثير من الأحيان أن يمتثل الانسان ما ورد فى العهد القديم عن سليمان من قوله فى الاصحاح السادس والعشرين من أمثاله . ونصه « لا تجاوبن غبيا نظير غباوته لئلا تصير شبيها به ، جاوب الغبى نحو غباوته لئلا يظهر عند نفسه حكيما » انتهى .

على أنا قد أجبنا عن مثل هذه السفسطة مفصلا فى شبهه فى القرآن وقدمنا ما يتعلق بهذه الأبحاث ، ولم ندع أن القرآن شعر ، بل قال الله تعالى : « وما هو بقول شاعر » وقال سبحانه : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقال عليه الصلاة والسلام : « لئن يمتلأ شعرا » فراجعه ان شئت ولا تغفل .

ولنذكر لك ما قاله النسابون فى كندة الذين افتخر بهم تميما لزيادة الاطلاع ، قال العلامة الشيخ محمد أمين السويدى البغدادى فى كتابه « سبائك الذهب فى أنساب العرب » : « كندة واسمه ثور بن عفير بن الحارث بن أدوين زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال المؤيد صاحب حماه فى تاريخه : « وانما سمى كندة لأنه كند أباه — أى كفر نعمته — وكندة هذا ابن أخى جذام ولخم وعامله وبنوه قبيلة من كهلان ، وبلاد كندة باليمن ، وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن » انتهى . وفى القاموس : « الكنود كفران النعمة ، وبالفتح الكفور كالكناد والكافر واللوام لربه تعالى والبخيل والعاصى ، والأرض لا تنبت شيئا من يأكل وحده يمنع رفده ويضرب عبده ، والمرأة الكفور للمودة وكندة بالكسر ويقال كندى لقب ثور بن عفير أبى حى من اليمن ، لأنه كند أباه

النعمة ولحق بأخواله . والكند القطع » انتهى . قلت : فللكندى عبد المسيح ، نصيب من لقب جده القبيح ، وأما خبر مليكة الكندية فقد قدمناه لك فتذكرو ولا تغفل .

قال النصرانى : « فلا تظلم — اصلحك الله — وتنجس تمييزك حقه ، بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبية ، فانه انما يجوز مثل هذا على الأغمار والجهال والآفنين ، وأهل النقص فى الرأى الذين لا عقل لهم ولا معرفة أصول الأخبار المتقدمة . فهم هج كأجلاف الأعراب المعتادين لاكل الضب والحربان قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش فى البوادى والبرارى تسفعهم سمائهم الصيف وزمهرير الشتاء ، وهم فى غاية الجوع والعطش والعرى ، فحيث لوح لهم بذكر انها خمر ولبن وأنواع الفاكهة واللحم الكثير والأطعمة والجلوس على الأسرة والاتكاء على فرش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النساء اللواتى هن كاللؤلؤ المكنون ، واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التى هى صفات منازل الأكاسرة وقع هذا فى جدهم — وكان بعضهم قد رأى ذلك فى اجتيازهم ومسيرهم الى أرض فارس — واستطاروا فرحا وظنوا أنهم قد نالوه فعلا عند سماعهم اياه قولا ، فحملوا نفوسهم على محاربة أهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به .

وقد علمت أن بعضهم قال لبعض فى حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فاكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها : والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب أن نحارب على هذا ، فحاربوا أمة نجسة قذرة قد كانت طفت على الله ، وتجبرت . فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم وأخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكية ، وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ، ينتقم بعضهم من بعض . ومثل الانباط والاسقاط الذين لا خلاف لهم ، قوم انما غذوا بالشفاء وربوا مع البقر فى السواد . ومثل الجواد الذين لا أدب ولا حسنى ولا علم ولا معرفة فحيث تكلموا بالعربية تنطقوا ببسط ألسنتهم واستعربوا عند أنفسهم واستطالوا على الناس ، فأحدهم يدعى الاسلام قولا بلسانه وفى قلبه بعض

من مرض يهوديته ومجوسيته ، فهو لا يعرف من خلقه ولو قيل له : ما الحد الذى تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة ؟ ولم يدر ولم يحسن أن يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه ، وانما هم كما أنعام بل وأضل سبيلا ، وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه أولا ، مثل عبدة الأصنام والمجوسية وأوساخ اليهود وسفلتهم ، الذين انما طلبوا التعزيز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط ألسنتهم على ذوى الأقدار وأولاد الأحرار ، واهل الحسنى والمعرفة ، وأهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب . ومثل أهل الريب والخيانات أيضا والجرائم الذين لم يكن ينهيا لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التى حرمها الله عليهم مع بقائهم فى الديانة النصرانية ، الا بانصباب ذلك لهم بالدخول فى هذه المقالة ومثل من أباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال الى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلبا للعز القليل الزائل الفانى وشبكا للذهاب سريعا منها ، وطرحا للكثير الدائم الباقى الذى لا انقطاع له ولا زوال . وهو فى الآخرة . فانحاز الى هذا القول وجعله سببا له وسلما أوصله ما أراد . اذ كان اقوى أسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التى جعل سلطانها باب المدخل اليها ، والسبيل الى ارتكاب الكبائر والمعاصى فيها ، ومال أيضا الى هذه المقالة من جعلها متجرا ومكتسبا لرزقه ، الذى قد كفاه ، ولقوته الذى فرغ له من الاهتمام به . والا فهل رأيت أكرمك الله أو بلغك من له بصيرة فى الديانة أو علم أو معرفة أو تحصيل للأمور أو قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح ، أو نظر فى حكمه أو مدعى فلسفة صحيح العقل والفكر انقاد الى غير الديانة النصرانية ، وخرج منها جاحدا مقالته ذاكرا معرفته ، من غير سبب دنيوى ، دعاه الاضطرار اليه ، ليجر بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه من الأمور الخسيسة التى كانت الديانة النصرانية تخطرها عليه ، وتمنعه من الدخول فيها وتقبح له فعلها ، بل من لم يكن ينهيا له ذلك ولا يمكنه فعله ، دخل فى دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك آمنا غير خائف تحت سلطان هذه الدولة مظهرا متابعة أهلها على قولهم ، فهذا أكرمك الله أقوى

أسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك ، واجتمعوا معك على اعتقادك وأكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسرون خلاف ما يظهرون » انتهى .

أقول خلاصة كلامه : أن نبينا عليه الصلاة والسلام ادعى النبوة فصدقته الأعراب الذين لم يعرفوا شروط النبوة . **فاعلم** أن النصارى غير هذا المؤلف ، صرحوا بخلاف قوله ، واعترفوا أن كثيرا من العرب كانوا مؤمنين بالمسيح عليه السلام ، وترجموا انجيله الى العربية قبل بعثة نبينا ﷺ وهذا يدل على نفى ما زعمه عبد المسيح من أنهم لا يعرفون شروط النبوة ولذلك آمنوا به . ولننقل لك من كتاب « تحفة الجيل فى تفسير الأناجيل » الذى جمعه « الخورى يوسف الياس الدبس المارونى اللبنانى » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ فانه قال فى مقدمته فى بحث اختلاف تراجم العهدين ، وأن فيها تحريفا واختلافا ظاهرين ، وذكره لمن آمن من العرب بالمسيح عليه السلام ما عبارته : « فاذا تقرر ذلك أقول : زعم « ريناود وسيوس » فى مقالته فى ترجمات الكتاب المقدس عند الشرقيين وغيره من العلماء الأوربابين المتأخرين أنه لم يوجد ترجمة عربية للاسفار المقدسة الا بعد ظهور الاسلام ، وسند « ريناودوسيوس » زعمه هذا الى مجرد مبدأ كاذب ، وهو أن العرب لم يتنصروا الا متأخرا ، أو تنصر منهم قليلون فى مبادىء الكنيسة فخنق شوك مذاهب اليهود والمانيين والوثنية وغيرهم بدار الايمان المقدس ، وأنه لم يكن لهم كنائس ولا أساقفة قبل « ماوية » ملكة الشراكسة التى كانت فى أيام « والس » الذى رقى سدرة الملك سنة ٣٦٤ وأن الايمان مع ذلك لم يتمكن حينئذ عند العرب ، الا أن زعم « ريناودوسيوس » هذا باطل ، والمبدأ المؤسس عليه كاذب . ونكتفى لاثبات ذلك بايراد خلاصة ما كتبه بهذا الشأن العلامة السمعانى فى المجلد الرابع من المكتبة الشرقية . رأس ١٠ فصل ٣ فيقول : هناك قد أحكم « بارونيوس » بملاحظته أن انتشار الدين المسيحى فى العربية كان أولا بواسطة المجوس الذين هم اول من سجدوا للمسيح ، بعد مولده كما عليهم أشعياء بوقله : « ان وفود مدين ، وافا الجميع يأتون من سبأ ويقدمون الذهب والبخور » ومن المعلوم أن المدنيين والسبئيين من أخص قبائل

العرب . ولذا كان المجوس من العرب ، كما أثبت « يوستينوس » الشهيد في خطـــابه مع « تريفون » و « ترتوليانوس » في كتابه ضد اليهود ، و « ابيفانيوس » في مختصر التعليم ، بناء على ما ورد في المزمور « الا ملوك العرب وسبأ يقدمون الهدايا » والخصي الحبشي وكيل « قنداقة » ملكة الحبش الذي عمده « فيلبوس » الرسول (ابركسيس ٨ عدد ٢٧) كان من سبأ المسماة الحبشة كما قدمنا . وأنذر بالايمان أهل وطنه الأعراب . وكان اليهود كثيرين في العربية الحجرية والسعيدة فاليهود الذين أتوا من العربية الى أورشليم يوم البنديكستي وسمعوا الرسل يتكلمون بلغات مختلفة اعتنقوا الدين المسيحي ، وعلموه لمعاشريهم ، وقد جعل « فم الذهب » في مير ٣ من الأبركسيس « بطرس » أول رسول الى العرب ، اذ قال : « ان بطرس كان فم الجميع ، وأول من جمع الكنيسة لا من الأورشليميين واليهود المجاورين لهم فقط ، بل من العرب والدخلاء الرويتايتيين أيضا » ومن علمهم بطرس في أورشليم ، هذبهم بولس في بلاد العربية ، فانه بعد أن آمن بالمسيح في دمشق ، مضى الى العربية قبل أن ينطلق الى أورشليم الى الرسل الذين كانوا قبله ، كما شهد عن نفسه في غلاطية ص ١ عدد ١٥ ويضاف الى بولس الرسول : رسل العرب وأولهم « تادى » الذي أثبت « نيكوفورس » و « فرتوناتوس » و « بيدا » وغيرهم أنه علم شعوب العربية وسورية وبين النهرين . ونسب عباد يشوع التبشـــير في العربية لـ « تادى » الآخر أحد التلاميذ وتلميذه « مارى » أنذر العرب الرحـــل واليمانية ، ثم ان الحبش والهنود الذين بشرهم متى الرسول ، كما روى سقراط وبرتلماوس ، كما ذكر أوريجانوس في التكوين وأوسابيوس ومايتا ، يلزم أن يفهم بهم الحميريون شعوب العربية السعيدة لا الحبش ، سكان « ابيسينيا » الذين لم يستنيروا بالايمان ، قبل « فرومنسيوس الصورى » الذي رسمه القديس « اثناسيوس الاسكندرى » اسقفا سنة ٣٢٧ ويثبت ما قلناه خاصـــة عن متى وبرتلماوس الرســـولين « فيلوسترجيوس » و « سقراط » قال الأول منهما : (ان سكان الهند الأقصى رجعوا الى المسيح بانذار من تلماوس الرسول ، وهؤلاء الهنود رسموا أولا « سبائون »

من مدينة « سبأ » التى هى عاصمة القبيلة كلها . والآن يسمون حميريون) ومن ينكر أن الحميريين من العرب ؟ وقال سقراط فى المحل المذكور آنفا عن « أوفينوس » : (ان متى أصابته قرعة الرسالة فى بلاد الحبش وبرتلماوس فى الهند المجاورة لها . وأما الهند الداخلة التى تسكنها قبائل عديدة مستعملة لغات مختلفة (يريد بذلك بلاد الحبش بالحصر التى كانت تسمى هند أيضا) فلم تستر بالايمان قبل أزمنة « قسطنطين » أى بواسطة « فرومنسيوس » كما قدمنا . ومنذ مبادىء الكنيسة قد أقيمت فى العربية كراسى أسقفيات عديدة ، وكانت متريبوليطيتها منذ البداية مدينة البصرة ، تحت ولاية البطريرك الانطاكى كما يظهر من امضاءات المجامع والرسائل السنيودسية . وعدد السمعانى فى المحل المذكور أسماء الأساقفة العرب والمجامع التى أمضوها من المجمع النيقاوى فصاعدا . وقال : انه كان تحت ولاية متريبوليط البصرة جميع أساقفة كنائس العرب ، الا كنائس دومانباطية وايصوريا وحوران وبلاد الشقيف ، وأنه عقدت عدة مجامع فى العربية وأولها سنة ٣٣٩ للمسيح ، الى أن قال : ان الاسماعيليين كانوا يتقاطرون الى القديس سمعان العمودى أفواقا ، ويجحدون ضلال آبائهم بصوت جهير ، الى أن يذكر تنصر « المنذر » ملك السراكسة فى « الحيرة » الذى جعله « دينا ودوسيوس » من أول من تنصر وآمن العرب بنوع ما ، الى أن قال : « ولنا شواهد أيضا فى اثبات مقصدنا : قال تاوادريطوس : ان الأسفار العبرانية لم تترجم الى لغة واحدة ، بل الى الرومانية والفارسية والهندية والأرمنية والشيتية ، وبالاختصار الى جميع اللغات فالمفهوم بالهندية لا لغة سكان الهند الداخل بل لغة سكان العربية السعيدة التى كان تسمى قديما الهند الخارج ، وسكانها هم العرب الحميريون كما قدمنا » انتهى باقتصار ، وبقيت فيه دلائل كثيرة على **اثبات تنصر كثير من العرب وترجمة الكتب السماوية باللغة العربية قبل بعثة نبينا** خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وأما قوله : « **ولقد علمت أن بعضهم قال لبعض فى حربهم تلك** » الى آخر القصة .

فهو كذب مختلق وبهتان مصنوع وزور موضوع ، **بل الأمر بخلاف ما قال هذا النصرانى وكتاب التوراية** والسير شاهدة بضد ما نسبه الى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

قـــوله : « والا فهل رأيت » الى قوله : « أو نظر فى حكمة أو مدعى فلسفة » الى آخره .

ليت شعرى أن أراد المدعى الحكمة والفلسفة (اثبات) المعتقـــد بالتثليث (أى) أن الله سبحانه الواحد من كل وجه ، الذى لا يشـــبه شىء : صار ثلاثة أجزاء والجزء الواحد منها دخل بعلن مريم ، ثم ولد منها وقتل ومات ، ثم جاء وصعد الى السما ، ثم صار مأكلة للنصارى فى العشا الربانى يأكلون أكلا حقيقيا بشخصه ولحمه ودمه فى كل كنيسة ، وصـــار ملعونا — والعياذ بالله — كما ادعاه « بولس » فى رسالته ، ودخل الجحيم بدل خلقه ، فبأى برهان من البراهين المنطقية ؟ وأى قاعدة وأصـــل من الأصول الحكمية يبرهن الفلسفى المذكور على هاتين الدعوتين والعقيدتين العجيبتين ؟ وبأى مقدمات وقياسات يستدل حتى صحيحة بجواز تجزىء الاله وموته ، وأنه يؤكل لحمه فى كل **يوم ؟ فلينصف اخوان « عبد المسيح »** وليحكموا بما يدل من نصوص الانجيل على القياس الصحيح الواجب الترجيح والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قال النصرانى : « فمنهم من يزدرى على صاحبك فى حسبه ونسبه ، — ومنهم من يسبه ويدعى فى ذلك الكذب والبهتان — ومنهم من يزعم أن غيره كان أحق بالأمر منه ، ولكنه سبب له ذلك بالغلط . وبعض يقـــول : ان روح القدس انقسم ثلاثة أقسام ، فقسم كان فى عيسى ، وقســـم فى موسى ، وقسم فى رجل آخر أكرم ذكره . وان صاحبك خلو من ذلك . فهؤلاء عنـــدى أجهل البرية وأنثر من الزنادقة وأردأ مذهبا منهم . وهم يظهرون الاسلام ويفتخرون به فى ظاهرهم . وكل ذلك ليتعززوا بســـلطان الدولة ، على النصـــارى السليمة قلوبهم المشبهين بالحملان بين الذئاب

الخاطفة ، كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذى أعلمهم بما هو مزمع أن يكون من أمرهم . ولو أسهبت لاصف لك مقالات اصحابك ومعاذ الله أن يكونوا لك أصحابا ، بل هم أصحاب الشياطين وحزبه وشيعته وأولياؤه وما يروونه من الأحاديث الكاذبة الشنيعة ، التى تكاد تخزى الجبال منها للفرية التى فيها على الله جل ذكره أولا ، ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الأباطيل ويشنعون به عليه من الكذب ، الذى لم يخلق الله له أصلا ، وصاحبك برىء منه كله ، لطال كتابى بذكره . فما قولك فيمن يروى عنهم أنهم يقولون : لربما هوينا أمر فوضعنا فيه حديثا . وما أظنك ممن يروى أن الله جل وعز عما يفترون بعث الى أبى بكر يقول : يا أبا بكر أما أنا فراض عنك ، فهل أنت راض عنى ؟ فحسبك بهذا دليلا على فريتهم على الله جل وعز وكذبهم وتشنيعهم ، وكم مثل هذه الأحاديث قد زوروها وألفوا عليها ، فلعمرى لقد صدق صاحبك حيث قال : « انه ما من نبى الا وقد كذبت عليه أمته ، وان أمتى ستكذب على أيضا » ولكنى لا أعرف أمة كذبت على نبيها كذب اليهود . وما أدرى ما أقول فى هؤلاء وفى كذبهم .

وأما الخلاف فى الآذان والتكبير على الجنائز والتشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات ، ووجوه النساء والفتيا ، وما أشبه ذلك فانه أمر يطول خبره جدا . ولولا أننى وأعلم انك الرجل الذى قد عشت أحاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت اليك فى هذا الفن أشياء يطول الخطب فيها لكى أعرفك عالما بجميعها ، غير مشك فى ذلك . وقد سترت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الاسلام والتحلى به والأعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصالحين ، وما يكتمون من النفاق ويظهرون أنهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم ، وهم الدغلون الفاشون لله جل ذكره ولأنبيائه ورسله ، اذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الأحاديث ، فكيف لا تأخذهم الرجفة ؟ وكيف لا تطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ، ولكنه جل وعز لم يزل مستعملا طول الأناة والامهال ، لأنه

جل اسمه لا يخاف الفوت وهم اليه يرجعون ، فهو يمهلهم الى يوم تتكشف فيه الستور ، ونعوذ بالله أن نكون من القوم الظالمين » انتهى .

فاقول : وبالله التوفيق .

قوله : « فمنهم من يزدرى على صاحبك » الى آخره .

لا يخفى أن طوائف الكفرة المكذبين بالأنبياء عليهم السلام كثيرون ، ومن كفر بنبى وصدق نبيا آخر أيضا كثير ، ونبينا عليه الصلاة والسلام كاخوانه الأنبياء فان من الناس من كفر به ومنهم من صدقه ، وهذا أمر بين

فمن كفر ببعثته ورسالته عليه الصلاة والسلام لا شك انه عدو مفتر متجرىء على الحط من قدره الرفيع وشأنه العالى ، فهؤلاء اليهود على اختلاف فرقهم وكثرة عددهم ، يزعمون فى المسيح عليه السلام أنه متولد من زنا — وحاشاه — وأنه ساحر وكذاب فى دعواه وأنه خارج عن الايمان وأنه شريب للخمر مصاحب للنسوان ، فهل يلتفت الى قولهم وكفرهم به ؟ وكذلك سائر الأمم تكذبه سوى المسلمين ، فانهم يعتقدون نبوته ورسالته وعبوديته ، وأنه تولد من أم بلا ذكر ، حتى أن النصارى ما عدا مؤمنوهم المتقدمون كذبوه واختلفوا فيه . فمنهم من يقول انه عبد الله ورسوله كما يقول المسلمون ، وهؤلاء فرقة من المتقدمين على بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من من يزعم ألوهيته وأنه ابن يوسف النجار ، ومنهم من يزعم ألوهيته وأنه بلا أب بل تولد من الله ومن مريم ، فهو الاله المولود ، ومنهم من يقول بأن للمسيح ذاتا واحدة وطبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتيه ، ومنهم من قال طبيعة واحدة ، ومنهم من نفى ألوهيته الروح القدس ، الى غير ذلك **من الأقوال فهل هذه المختلقات الباطلة الصادرة ممن يدعى النصرانية أو الموسوية** تزرى بالمسيح أو تثبت بطلان نبوته أو يشينه ذلك القول القبيح ؟ كلا :

من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شىء ولا يضعه

وكذلك أقوالهم فى مريم فمنهم من يزعم أنها والدة الاله ، ومنهم من يقول من يجعلها أقنوما رابعا . كما صرح به صاحب كتابهم المسمى بأمجاد مريم ، وستقف على عبارته فى محلها . ومنهم من يعبدها ويسجد لها . ويقول فى صلاته : « يا أم الله يا خطيبة الله ، لك تسجد ولك تسجد الملائكة » كما قدمناه لك فى الصلاة والتى يسمونها صلاة العذراء . ومنهم من لا يرى محلها ذلك ، بل يجعلها كسائر النساء ، وأنها زوجة يوسف النجار الى غير ذلك من الأقاويل ، فهل يشين مقامها ما يقال فى حقها من الأكاذيب والبهتان وخلاف الواقع ؟ وهل قول النصارى ان الاله منقسم ثلاثة أقسام آب وابن وروح القدس ، وأن الاله دخل فى بطن مريم وتولد منها ، ثم ضرب وصفع وصلب ، ينقص من الألوهية شيئا . تعالى الله عما يقول المشركون :

قالوا : الاله ذو ولد قالوا : الرسول قد كهنا
ما سلم الله والرسول معا من لسان الناس كيف أنا ؟

ثم أنت تعلم أن أمة موسى عليه السلام انقسمت احدى وسبعين فرقة وأمة عيسى عليه السلام اثنين وسبعين فرقة ، وأمة نبينا محمد عليه الصلام والسلام انقسمت على ثلاث وسبعين فرقة والفرقة التى هى على الحق واحدة منها لا يروى الاختلاف عنها . فلا يبطل نبوة الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام افتراق أممهم واختلاف عقائدهم ، ولا يشين دينهم اذا انتسب اليهم من ليس منهم ، وأدخل فيهم من الكثرة وأهل البدع والأهواء من هم منه براء ، ونسبوا الى شريعة ما ليس فيها زورا وافتراء . على الدين المحمدى — والحمد لله تعالى — نوره ساطع ظاهر لا يبطله كفر كافر ولا جدال مكابر ، ولا يخدشه تدليس الزنادقة ، ولا أكاذيب الفرقة المارقة ، ولا يضره شيئا مما يقوله الأعداء المخالفون ، ويفتريه المفترون « أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون » ولله سبحانه الحكمة (فى انه) قد قسم العبيد الى شقى وسعيد وتقى نقى ، وكافر شقى ، فلا تبديل لخلق الله ، ولا مغير لما قدره وقضاه . فلذا لا ترى

أمة من الأمم الا وظهر فيها من خالف جمهورها ، وارتكب قالا وقيلا « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » ولو أردنا استقصاء أقوال الأمة الموسوية وضلالتها المروية وتعداد ما اختلفت فيه من الأصول والفروع (فى) المذاهب المسيحية ، لطال الكتاب وخرجنا من صدد الجواب على أن أكثر ذلك معلوم وفى صحائف كتبهم وكتبنا مرسوم .

وتكفى لبيان شناعة عقيدتهم مسألتان :

أحدهما : جعل الاله سبحانه انسانا من مريم مولود ، ومهانا مصفوعا مصلوبا بين لصين بأيدى اليهود .

وثانيتهما : انه بعد ذلك صار طعاما مأكولا بالأسنان على طول السنين لأمته ، وخبزا فى البطون لفرقته ، يأكلونه بزعمهم أكلا حقيقيا بلحمه ودمه وشحمه وعظمه . فأى فجيعة أعظم من هاتين الفجيعتين ؟ وأى عقيدة فى الأمم حتى المجوس تماثل هاتين الشنيعتين ؟ بأن الاله المعبود تقتله اليهود ، ثم تأكل جسمه الحقيقى . **وتتفوطه فى كل يوم أتباعه المسيحيون ، ولا تخلصه** من أيدى اليهود والنصارى ملائكة الكروبيون . فانا لله وانا اليه راجعون .

قوله : « وما أظنك ممن يروى أن الله جل وعز بعث الى أبى بكر » الى آخره .

لا يخفى أن هذا الحديث بهذه الرواية وكذا بروايات أخر مع زيادات منكرة اشتهر على بعض الألسنة ورواه بعض من دون ترو الا أن نقاد الحديث فى القديم والحديث نصوا على أنه ليس بحديث صحيح ولا حسن ، بل هو حديث منكر غريب لا يقبله أهل التصحيح والترجيح ، ونبهوا على نكارته على اختلاف رواياته ، ومنهم العلامة ابن حجر المكى فى كتابه الصواعق ، على أنا اذ فرضنا صحته ، فأى بأس فيه بعد ورود القرآن العظيم بالرضا عن الصحابة فى قوله سبحانه : « رضى الله عنهم ورضوا

عنه » وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » وأى بأس فى اخباره سبحانه برضاه عن خلص أحبابه بمعنى قبول أعمالهم ونحوه وبرضاهم عنه سبحانه بمعنى انقيادهم لما أمر به وانتهائهم لما نهى عنه ، وشكرهم لما أنعم عليهم من نعمة الاسلام . ثم ليت شعرى لم يستبعد النصرانى مثل هذا فى حق صحابى مقدم ؟ وقد بلغه عن ربه سبحانه نبى معظم ﷺ بواسطة جبريل المكرم أنه عنه راض بعد أن روى يوحنا فى أصحاحه السابع عشر من انجيله أن عيسى عليه السلام قال فى حق رسله ما لفظه : « كما أنك يا أبت فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا فينا واحدا ، وأنا أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا ، كما نحن واحد . أنا فيهم وأنت فى لنكون مكملين الى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأنا أحببتهم كما أحببتنى » انتهى .

قال مفسرهم الخورى : « المعنى أنى فيهم بجسدى الذى يعطونه قوة حقيقيا أى يأكلونه فى الأوخريستيا ، كما أنك فى الاتحاد لاهوتك بجسدى ، فاذا كان اللاهوت فى جسده وجسده فى المؤمنين ، فيكون اللاهوت فى المؤمنين ، بواسطة جسد المسيح ، ويكون المؤمنون واحدا بالمسيح بسبب جسده ، فيكملون على هـذا فى واحد » انتهى . وفى الاصـحاح الثالث عشر منه ما لفظه : « قام — أى يسـوع المسيح — عن العشاء وترك ثيابه وأخذ منديلا شد به حقويه ، وصب ماء فى مطهرة ، وابتدأ بغسل أرجل تلاميذه ، وكان يمسحها بالمنديل الذى اتزربه » انتهى . فهذا الاله بزعمهم يغسل أرجل أصحابه بيده ، وأنه حل فى أصحابه وفى سائر النصارى بواسطة أكله فى العشاء الربانى ، وأنهم صـاروا مع الله سبحانه واحدا ، وأنه أحبهم . فاذا قلنا بأن الله تعالى بلغ أبا بكر رضى الله تعالى عنه ما بلغه بوساطة الوحى الى نبيه ﷺ فأى بأس فى ذلك ؟ وأى بدع من الأمر فيما هنالك ؟ فافهم والله تعالى أعلم .

قوله : « وأما الأذان والتكبير ووجوه القراءات » الى آخره .

لا يخفى على كل مطلع أن مثل هذه الاختلافات فى الفروع والقراءات لا تعد اختلافا فى الدين عند أهل الديانات . وليس فيه ضرر عند جميع فرق المسلمين . وكم وكم بين علماء الملل اختلاف فى مثل ذلك ولا يقال للمختلف فيها انه فى غير طريق الصواب سالك . وهؤلاء النصارى اختلف مفسروهم فى تفسير الأية من الأناجيل على آراء كثيرة طالت بينهم فيها الاقاويل ، حتى أنهم فى الآية الواحدة ربما يكون لهم فيها نحو سبعين قولا بلا بيان الراجح ولا فائدة . وهذا بديهى لمن طالع تفاسيرهم وسبر أقوالهم . واما وجوه القراءات القرآنية فهذا أمر لا يذكر ولا ينبغى أن يرد جوابه ويحرر ، لأن القراءات نزلت من رب الأرضين والسموات فهى الهية ليست باخبارية ، وليس فيها ما يخل بأمر الدين ولا ما يكذب دين المسلمين . ولنضرب لك مثالا واحدا لتقيس عليه غيره . وذلك مثل قوله تعالى فى الفاتحة : « مالك يوم الدين » و « ملك يوم الدين » فقد قرأ بهما النبى عليه السلام وعامة الصحابة والمسلمين ، والكلمتان من شىء واحد مشتقتان . وليت شعرى لم يتناسى عبد المسيح ما قاله النصارى فى الأناجيل ، وأنها كانت تزيد على أربعين ، ولم لم يتذكر اختلاف هذه الأناجيل الاربعة الموجودة فيما بينهم ؟ ولم ينعامى عن اختلاف نسخ كل انجيل وأنها غير موافقة المبانى ولا متطابقة المعانى فى طبع كل قبيل ؟ ولم يتخافت عما اثبتناه سابقا من التحريف فيها والتبديل ، والله يقول الحق وهو يهدى الى سواء السبيل .

***

قال النصرانى : « واما قولك — أصلحك الله — أنه مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله . فلقد كثر تعجبى منك ، كيف جاز هذا عليك فى فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك ؟ وكيف أمكن أن تتصور مثل هذا فى عقلك انه صحيح ، حتى ترويه ، وتكتب به الى مثلى من اهل اليقين ، ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار ؟ وجوابك فى هذا عندى مما يتمثل به العامة أنك تخدع نفسك وتصنع من عقلك وذهنك ، لأنك فى كلمتك لم تترك شيئا للمشبهة اليهود ، الذين يحدون الله ربهم بانه جالس على عرش محدود ، حتى تكتب على العرش اسمه واسم

آخر من خلقه ، ليت شعرى أهو كتب ذلك الكتاب أم كتب له ؟ ولم كتب ذلك لنفسه ؟ لئلا ينسى اسمه أم لتعرفه الملائكة ؟ فقد كانت عرفته الملائكة ؟ فقد كانت عرفته الملائكة حين أراد خلق النور ، فقال « ليكن النور فكان النور » وعند ذلك مدحته وسبحته ، قائلة : سبحان خالق النور ، وعلمت أنها مخلوقة ، وأن لها خالقا فتلك المعرفة فى الملائكة قائمة غير زائلة بأنه خالقها ، وليس لها حاجة الى أن يكون لها كتاب نصب أعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها . وهى تسبح اسمه وتقدسه من غير فتور ولا انقطاع ، وتنفذ أمره جل وعز فى كل لحظة ، وان كان انما كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به ، لأنهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتابة .

فان قلت : ان ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة ، فاقم لنا دليلا وبرهانا على ذلك صحيحا مقنعا . على أنك تعلم أن الناس كلهم يوم القيامة يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم ، وتبطل فى ذلك الوقت الشكوك وتضمحل الظنون كلها ، ويحصلوا على اليقين الصحيح ، يوم لا ريب فيه ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت ، فلها شغل بما هى فيه . فقد هدر قولك وتهافتت دعواك أن على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وبعد فلم أر أحدا من أصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رأيك ، بل كلهم وأكثرهم ، الراسخون فى العلم يبطلونه ويردونه أشد رد ويكذبون به أعظم تكذيب ، وانه محال لم يأت ذكره فى الأثر ولاله فى كتابك الذى زعمت أنه نزل من عند الله عز وجل ذكر البتة . فليت شعرى من أين جئتنا أنت به ؟ بل أخاف يرحمك الله أن تكون أخذته من سماجات اليهود ، فان لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التى قد وضعوها ودسوها اليكم ، بلطيف حيلهم ودقة كيدهم فى الأدغال طلبا للمعائب والمكابدة ، والقاء الشرور بين الناس . فان صدقت نفسك — أصلحك الله — علمت حقا أن هذا محال لا معنى له ولا منفعة ، وان الله فى حكمته لا يفعل المحال ، وما ليس له معنى . وقد وجدنا اجماعكم على أن الرجل اذا قام خطيبا فيكم ، يبالغ فى دعائه ، ويظن فى نفسه انه قد بلغ الغاية القصوى

فى خطبته ، فيفتتح كلامه قائلا : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، فأراك — أبقاك الله — ظننت أنك قد بالغت له فى الدعاء والصلاة عليه ، اذ تمنيت له وطلبت متشفعا أن يصير مثل ابراهيم أو كاحد آل ابراهيم ، فهذا — أصلحك الله — نهاية الشفاعة ، ان رجلا اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقدست أسماؤه مكتوب على العرش من نور ، وأن أدم بل الدنيا كلها انما خلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت ، وأكره ذكر اسمه فى هذا الموضع ، وكتابك الذى تزعم أنه منزل من السماء يشهد ويكرر الشهادة فى عدة مواضع قائلا : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين » (بقرة) فقد وجب عليك فى هذا القول أن بنى اسرائيل أفضل منك وممن ذكرته بالفضائل وانما كان عهدى بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ، ولم أظن عقلاء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه . وجوابنا لك — أرشدك الله — فى الماضى والمستانف من كتابنا هذا ، على قدر ما يحتمل من الكلام على أنا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك اساسا لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطنة والبذخ والتفخر بالأنساب لأنا اذا حصلنا على العلم بأنفسنا وصدقناها ، عرفنا أنه ليس لاحد على صاحبه فضل فى النسب ، واننا نرجع الى أب واحد وأم واحدة وجميعنا خلقنا من طينة واحدة ، ليس لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم ، وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم . ولقد أحسن عندى القائل : قيمة كل امرىء من علمه . وانى كثيرا ما أستوصب هذا الكلام من قائله ، وانما أدخلت هذا القول فى هذا الموضع وان كان ليس من جنس ما نحن بصدده حتى اذا نظر فى كتابنا بنظر متعنت — ينظر بعين العماهية والجهالة التى ثمرتها الحسدة — لا يسبق الى قلبه لضعفه وركاكته أنى لم أكن عارفا من حقكم أهل البيت ما أعرفه ، وأوجب ما وجبه ، فكيف وأنا معتقد ذلك بجميع ذرية آدم . ولكننى استعملت ما قاله بعض الحكماء : هو أن ترك الجواب فى موضعه عى وظلم للعقل ، فكرهت أن اكون ظالما لعقلى ، ولم التفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت

كلامه وراء ظهرى ، بل لم أتوهمه الا عدوا ، فضـــلا عن التفاتى اليه » انتهى .

فاقول : أما ما نسبه للهاشمى من القول بكتابة لا اله الا الله محمد رسول الله على العرش ، فالظاهر أنه من باب زنا فخذه ، وتقول عليه فرده ، لأن هذا لم يبلغنا عن أحد من السلف الصالح المعتمد أنه رواه (١) ، ولا رأينا كتابا من الكتب الصحاح حواه ، لا سيما والنصرانى نفســه اعترف بأن الراسخين فى العلم يقولون انه ليس لهذا الأثر أثر ولا صحة له فى الخبر ، وأنه من موضوعات الأقوال « وكفى الله المؤمنين القتال »

على أنا ان قلنا بصحته ، فأى بأس فى ذلك عند من سلم قلبه من الوقوع فى مظلم الكفر الحالك ؟ فهذا عيسى عليه السلام عند تعميده من يحيى ، نادى عليه الملك العلام (كما فى) لوقا ص ٣ قائلا : « هــذا ابنى الحبيب الذى به سررت » كما زعمت النصارى ، فيقال لكم : ان كان قال ذلك جهار لتسمع الملائكة ، فلا شــك أن الملائكة تعرف ذلك ، لأن المسيح بزعمكم الههم ، فكيف لم يعرفوه الى ذلك الوقت ؟ وان كان قوله ذلك ليسمع اليهود ويؤمنوا أنه هو ابن الله وحبيبه ، وأنه هو الله تعالى فما سمعوا ولا آمنوا بالوهيته بل ولا بنبوته به ولا بايمانه . ولو سمعوا هذا النداء من الله تعالى فى هذا العالم لما وسعهم الا الاقرار ، مع أنهم ما سمعوا شيئا وأنكروا نبوة المسيح أعظم انكار . وكذا ان قلنا ان بعض المؤلفين من ضعفاء المسلمين ذكره ، فأى نقص يعترى المحدثين المحققين فهذا كتابكم المسمى بالغصن النضير صورتم فيه صورة انسان وقلتم : هذه صورة الاله العليم الخبير . وكذا كتابكم المسمى بأمحاد مريم ونحوه من كتبكم المملوءة من **الخرافات والأخبار المكذوبة المروية عن المسيح وأمه العذراء** فيها ما لا يقوله الأطفال ، ويضحك كل ذى عقل بل ذوى الخبال ، فتتبع وميز الأقوال .

---

(١) مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله . هذا فى انجيل برنابا .

قوله : « فلم ترض أن جلسته على عرش محدود » الى آخره .

يا الله العجب من نصرانى تعلن توراته(١) وأناجيله بالتجسيم ويزعم أن الله سبحانه حل فى بطن مريم تسعة أشهر يأكل الدم وولد فى حالة دنية فى اسطبل فى معلف الدواب ، ثم انه ضرب وصلب ومات ، وبقى فى قبره ثلاثة أيام ثم حيى ورفع الى السماء وجلس عن يمين الله ، كما قال مرقس فى آخر انجيله ، كيف ساغ له أن يعترض على المسلمين الموحدين المنزهين للبارى سبحانه عن التجسيم والحلول القائلين ان له تعالى عرشا مخلوقا حادثا ، كما قال فى القرآن ؟ وانه عز وجل منزه عن المكان والاحتياج اليه ، وانه تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا يشبهه شىء ، وليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ويقولون : ان من اعتقد الجسمية له سبحانه والحلول فى شىء من مخلوقاته ، يكفر **وقد صدق على هذا النصرانى قولهم فى المثل رمتنى بدائها وانسلت** . ولولا خشية التطويل لتكلمت فى كشف هذه المسألة أكثر من هذا ، فافهم وأنصف .

قوله : « وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيبا » الى آخره .

أما هذه الصلاة الابراهيمية ففى ألفاظها روايات . فمنها ما فيه ذكر آل ابراهيم ومنها ما ليس فيه ذكر آل ابراهيم . والتى فيها ذكر لآل أشهر منها . وأى بأس فى ذلك عند من له خبرة بتراكيب الكلام ؟ وأى محذور بعد ظهور المراد من هذا النظام ؟ فاسمع توجيهه وأجوبته مما قاله العلماء الأعلام .

قال العلامة الخفاجى : « والتشبيه انما وقع بآل ابراهيم لشهرتهم وتقريره — فى الرواية الآتية للمسلسلة — اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم الى آخره . واله فيهم أنبياء ورسل ، فشبه

---

(١) التوراة لا تعلن التجسيم ففيها : أن الله ليس كمثله شىء . فى سفر التثنية « ليس مثل الله » والتلمود هو الذى فيه التجسيم . انظر كتابنا نقد التوراة .

المجموع بالمجموع . والأول بالأول . فلا يرد عليه أن المشبه به دون المشبه ، فكيف شبه صلاة نبينا ﷺ بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه فى السؤال المشهور ؟ وقد أجيب عنه بأجوبة هذا محصلها . وللجلال الدوانى فيه رسالة مشهورة . وقال فى موضع آخر : وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه . قال البغوى عن مقاتل : لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا ﷺ ومكافأة له على دعائه لأمة محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : « رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين » أو لمشاركته فى التأذين للحج والايمان ، وأمر بذلك اجابة لدعائه بقوله : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ولأنه أمر بالاقتداء به . وأما التشبيه به والمشبه دون المشبه به ، فقد عرفته وأجيب عنه أيضا بأنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل منه ، أو لسبق زمانه واشتهاره ، لا لعلو مرتبته . وقيل انه من باب التهييج وقيل الكاف للتعليل ، وقيل المشبه آل محمد . وقيل أن التشبيه للمجموع ، فان الأنبياء من آل ابراهيم كثيرون . فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة لمحمد ﷺ أمكن انتفاء التفاضل » انتهى .

وقال العلامة ابن القيم فى جلاء الأفهام : « والأحسن أن يقال محمد ﷺ هو من آل ابراهيم ، بل هو خير آله ، فيكون قولنا كما صليت على ابراهيم متناولا للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية ابراهيم » قال « ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل ابراهيم ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه وجريه على أصله ، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره ، فانه اذا كان المطلوب بالدعاء انما هو مثل المشبه به ، وله أوفر نصيب منه ، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لابراهيم وغيره ، وانضاف الى ذلك ما له من المشبه به من الحصة التى لم تحصل لغيره . فظهر من فضله وشرفه على ابراهيم وعلى كل من آله ، وفيهم النبيون ، ما هو اللائق به . وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له وهى من موجباته ومقتضياته . فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته » انتهى .

قوله : « وان آدم بل الدنيا انما خلقت بسببه »

أقول : لا يخفى عليك أنه وان اشتهر عند كثير من الناس حديث قدسي بهذا المعنى ، غير أن النقاد من الحفاظ المحدثين لم يحكموا بصحة ألفاظه ، والعلماء المتكلمون وان قالوا أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض الا أنها عند التحقيق ليست بخالية عن الحكم والصالح كما قال سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ونحو هذه من الآيات المفصلة في كتاب مفتاح دار السعادة ، وكتاب شفاء العليل للعلامة ابن قيم الجوزية غير أنه لما كان خلق العالم للعبادة ومعرفة التوحيد والوهية البارى تعالى من أجل الحكم وأعظم الأسباب والنعم ، وأن الشريعة المحمدية هي أحسن الشرائع وأعدلها وخاتمتها والناسخة لها والمحفوظة هي من النسخ الى قيام الساعة ، فلا جرم أنه يصح أن يقال : ان آدم عليه السلام بل الدنيا انما خلقوا بسبب محمد ﷺ بمعنى أن الله عز وجل خلق الانس ، والجن للعبادة ، وعبادته وتوحيده سبحانه لا يعرفان الا بالأنبياء عليهم السلام واستقامة الأحوال وانتظام العالم لا يكون الا بارسالهم وانزال الشرائع عليهم ، ولما كان المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام هو خيرتهم وصفوتهم وخاتمتهم ومتولدا من أبي البشر آدم عليه السلام « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فصار كأنه هو العلة والسبب لايجاد آدم وخلق الدنيا اذ به ﷺ عرف الله عز وجل المعرفة المطلوبة وعبد العبادة الحقة ، وببعثته انكشف ضلال اليهود والنصارى وغيرهما ، وظهر دين ابراهيم عليه السلام وتوحيد الأنبياء السابقين ، وهو ﷺ الذي صدق النبوات السالفة كما ورد في التوراة في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء : « جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران . ومعه ألوف الأظهار » كما شرحنا لك هذا ونحوه في محله . وما أحسن في ذلك :

تخيرك الله من آدم ... وآدم لولاك لم يخلق
بجبهته كنت نورا مضيء ... كما ضاء تاج على مفرق
وخلل نورك صلب الخليل ... فبات وبالنار لم يحرق

فجئت من الله فى أخـــذه　　لك العهد منهم على موثق
فيا لاحقا قط لـــم يســـبق　　ويا ســـابقا قط لم يحلق
تصوبت من صاعد هابطا　　الى صـــلب كل تقى نقى
فكان هبوطك عين الصعود　　فلا زلت منحـــدراترتقى

ثم ليت شعرى كيف ساغ لعبد المسيح الكندى أن يعترض على هـــذا القول الذى بينا المراد منه ، ونسى ما قالته النصارى فى المسيح عليه السلام وأمه مريم رضى الله عنها وأنها أقنوم رابع كما نقلناه لك فى كتابنا هذا ، وأن الدنيا والآخرة انما خلقا من أجل مريم ، بل من أجل « ترازيا » الامرأة المعروفة وقت المسيح عليه السلام ففى كتاب المتعبد لمريم تأليف الأنبا بولس الســـنيرى الراهب المطبوع بمدينة رومية سنة ١٧٢٢ فى الصفحة الثالثة والثلاثين فى حق مريم رضى الله تعالى عنها ما لفظه : « على أنها اذا لم تكن الأولى بالعمل ، فهى الأولى بالقصد ، هى العقل الاول المفعول منه تعالى فى مرتبة الخلائق الصرفة ، فالتى تكون هـــكذا تكون أيضا غاية مفعولات الله الأخر » انتهى .

ثم استدل على أن العالم خلق من أجلها بقوله : « أن المسيح قال يوما للقديسة « ترازيا » مظهرا لها تلك المحبة الفريدة التى كانت تميله اليها القديسة : اننى لو لم أكن خلقت العالم ، لكنت أريد أن أخلقه من أجلك فقط » انتهى بلفظه .

ثم انه أطنب بالأدلة الكاذبة على أن العالم خلق من أجل مريم ، فاذا كان خلقه من أجلها أو من أجل ترازيا الامرأة القديسة ، وأن خالقه المسيح فلا بدع اذا قيل ان الله تعالى هو خالقه لأجل عبده ورسوله وصفوته من خلقه محمد بن عبد الله ﷺ بالمعنى المنير المتقدم ، لا بالمعنى الباطل المظلم . فميز الفرق بين القولين ، ودقق الفكر وأمعن النظر فيما قالوه وقلنا ، لينكشف لك الغين عن العين ، والله سبحانه الموفق (١) .

---

(١) حيل علماء النصارى على صحة مذهبهم ، كحيلة هذا الراهب فى هذه القصة : =

« قال الجاحظ : كان بـ « القسطنطينية » رجل نصراني ، اسمه « يوحنا » وكان وضيع القدر ، سخيف الحال . فخرجت ابنة ملكهم يوم عيد . فلما رآها هويها ، ولم يكن يصلح لبنات الملوك ، وعلم أنه قد أحب ما لا يناله . فأمرضه عشقها . فشكا ذلك الى أمه .

فقالت : يا بنى لا تقطع أملك من نيل مثلها . وان كنت لا تصلح لمثلها . فان النجح معقود بالطلب ، والظفر مأسور بالصبر ، والقدرة مقرونة بالحيلة ، والادراك موصول بالتأنى . ولا يخيب الناس الا من (اعتقادهم فى بقاء) ثلاث : بقاء الشـــباب ، والخلد فى الدنيا ، ونيل ما لا يوجد .

وبلغ العشق من « يوحنا » أنه امتنع من الطعام والشراب ، الا فى الشهر مرة . فلما علم أنه قدير على ذلك ، سار الى الملك وسأله أن يتخذ له صومعة يترهب فيها ، على أن يجعل نصف تبتله وترهبه للملك ، وأعلمه أن معه شاهد من التعبد ، ليس مع أحد من الرهبان ، وجعل صبره عن الطعام والشراب شاهدا له . فأحب الملك أن يختبره . فكان يقعده معه نهاره ، وبعض ليله . فاذا أراد الملك النوم أدخله بيتا وأغلق عليه الباب . فاذا أصبح عاد الى مجلسه ، لينظر كيف صبره .

وكان « يوحنا » نام الحسن ، شجى الصوت . فاذا قرأ «الانجيل» اجتمعت اليه نساء الملك وبناته . فكن يبكين لبكائه . فلما تم له شهر . قال له الملك : كيف تجد قوتك ؟ قال : كيوم رآنى الملك . فعظم فى نفسه . فأمر فبنيت له صومعة . فأحب الملك أن يكون تبتل « يوحنا » فى منزله . لما رجا من البركة فى عبادته . فقال له : يا يوحنا . ما فضل الصومعة على البيت . وانما تريد العبادة الخلوة . وأنا أجعلك فى بيت من بيوتى . لا يشغلك أحد عن العبادة ، فأتبرك بعبادتك وآنس بقراءتك ؟

=

سر يوحنا وكره أن يترك الحيلة والتلهى ، اللذين بنى عليهما اساس ارادته . وخاف أن يكون ذلك مكر من الملك .

فقال : أيها الملك . ان صاحب الصومعة آيس من الدنيا ، فارغ من شهواتها ، ممنوع من النزول منها . وصاحب البيت مشغول القلب بالخروج منه ، والرجوع الى لذة الدنيا . فهذا فضل الصومعة على البيت . فلما آيس الملك منه ، دس ابنته . وقال : ان النساء آخذ بقلوب الرجال وأقدر على استمالتهم منهم .

فجاءته من حيث يسمع الملك . وقالت : يا يوحنا . ان الملك مشغول بلهوه . وفينا من تريد العبادة ، وتكره التلهى معه بشىء من أمر الدنيا فما الحيلة ؟ قال : الفرار الى الله . فانه يمنع الفار اليه من التعدى عليه . قالت : فما ترى فى هذه الحيطان الحصينة والأبواب المنيعة وغلظة المتوكلين بها على من يريد الخروج منها ؟ فلو كنت بيننا مقيما نسمع قراءتك ونصلى بصلاتك ، لم يجد الملك علينا سبيلا . قال لها : وكيف يقيم مثلى بينكن ، وأنتن مفسدات الدنيا وهلاك الصالحين والمانعات من الدين ، والمشوقات الى الدنيا ؟

قالت له : ان المشغول القلب يرضى مولاه ، غير مكترث بشىء من أمر الدنيا . ومن صح عزمه ، فسد هواه .

فقال لها : ان الشيطان (كان) عدوا للانسان . وله دبيب يسوق الفحشاء ، ويزرع بها فى قلوب الرجال محبة النساء . وهن أكبر مصائبه ، لافتتان قلوب العابدين . وليس الراحة الا فى التخلى من الدنيا من الدنيا ومنكن ، وفى اليأس من الرجوع اليها واليكن . ولابد من صعود الصومعة .

فثقل ذلك على الملك وأحزنه ، وعلق حبه بقلب الملك وقلب ابنته . فقال لها الملك : ويحك . إنا نرجو ببركة هذا الحبر معنا الكرامة من الله ، والعز فى الدنيا والثواب فى الآخرة . فما الحيلة ؟

قالت : أشغل قلبه بصنوف الأموال وبحسان النسوان .. قال لها : فلا أعرف أكثر منى مالا ، ولا فى النساء منك جمالا . فاعملى فى ذلك على ما يقطع عزمه عن مفارقتنا . فاتخذت له بيتا وجعلت سقفه بصفائح الذهب ، وكللتها بالجواهر . وكذلك حيطانه . وتزينت وكشف شعرها ، وجلست فى صدر ذلك البيت . وبعثت الى يوحنا : أنه مسنى طيف من أهل الأرض . وقد رجوت ببركة دعائك ، ويمن عونك أن أصير الى عافية . فصر الى .

فقام يوحنا يمشى مشى امرىء قد ذعره الخوف . يرتعد ارتعاد الخائف ، ويسلس سلس الآمن (مظهرا) أن ارتعاده من خشية الله ، وسكنية (من) طمأنينته الى الصومعة . فلما رأى البيت وحسنه ، ونظر الى الجارية ، هاله ذلك ، وظن أنها تجربه . فغمض عينيه وعلم أنه ان فتحهما شغله النظر اليها عن الحيلة والتأنى . فلم تزل الجارية تدنيه ، حتى أقعدته معها وجعلت تكلمه . فلما رأته لا يفتح عينيه ضمته الى نفسها . فباعد يدها عنه . فزاد امتناعه منها فى حرصها عليه . فدعت بأبيها . فقالت ان يوحنا يظن أن هذا الأمر الذى أفعله من غير اذن الملك ورأيه . فقال الملك : بل هو عن رأيى واذنى . فقال : أيها الملك لا تجعل افتتانى فى الدنيا على يديك ، ولعلك أن تخزينى . قال : بل أريد اكرامك لطاعتك لله تعالى وحسن عبادتك اياه . فقال : أيها الملك . لست أفعل هذا أو أستخير الله سنة . فان عزم لى على شىء أثبته . وهو الموفق . فازداد الملك فيه رغبة وأمهله وكان يحضر مجلسه ، ولا يقطع أمرا دونه .

قوله : تمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت ، وأنا أكره ذكر اسمه »

لم يتبين لى من قصد النصرانى بهذا الكلام . ولعله قصد به الأنبياء الكرام من آل ابراهيم عليه السلام كلوط أو داود أو سليمان لأنهم رموا الأول وحاشاه بالسكر والزنا فى بنيته ، ورموا الثانيين بالزنا والكفر وعبادة الأصنام ، وحاشاهما . كما فصلنا ذلك غير مرة فى كتابنا هذا ، فان كان قصدهما هذا من آل ابراهيم أو نحوهما ، فليس ببعيد من حال هذا النصرانى المكفر للأنبياء الذين هم لالهة بزعمه آباء ، فقد نسب هو واخوانه اليهود اليهم كل شنعاء . قال الله عز وجل فى سورة النساء فى حق اليهود : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا

=

ويوحنا فى ذلك يديم الأمر الذى بدأ به ، والقيام على العبادة ، والصبر على عدم الطعام والشراب . فقال له الملك ذات يوم : يا يوحنا انى عملت أعمالا قبيحة . فما الذى يطهرنى منها ؟ فقال : ما من شىء أطهر للعباد من التوبة ، والتخلى من الدنيا والاقبال على الآخرة . فقال : كيف ترى لى أن أعمل حتى يخرج جنب الدنيا من قلبى ؟ قال : تجمع رعيتك على السمع والطاعة لى ، وتصعد الى هذه الصومعة . فان قويت على العبادة ، فبتوفيق الله والا نزلت وأخذت ملكك ممن لا ينازعك فيه ، وتأذن لى فى صعودها . فقال الملك : نعم .

فجمع أهل مملكته على طاعة يوحنا ، فسار فيهم بالعدل ، حذرا من نزول الملك ، فاجتمعت القلوب على الطاعة له ، حتى لو نزل الملك ليأخذ الملك لقتلوه . فلما استوثق يوحنا من الملك والرعية ، أقبل على بنت الملك . فنال منها ما دبره على سبيل العبادة ، بالحيلة والتأنى ، وقاداه الى الملك . وليس من أهله » (مخطوط كتاب المصون فى سر الهوى المكنون ٦٠٢ مكتبة عارف حكمت) .

آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيرا » قال المفسرون : « نزلت هذه الآية بسبب حسد اليهود للنبى ﷺ على النبوة أو حسده وحسد أصحابه على النصرة وقهر الأعداء ، وبين سبحانه لهم أن ما أعطاه لمحمد عليه الصلاة والسلام ليس بأبدع مما أعطاه لآل ابراهيم كداود وسليمان ، فقد أعطاهما النبوة والملك والنساء ، فلم يشغلهم ذلك عن أمر النبوة ، فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية ، وقوله تعالى : « فمنهم من آمن به » أى من اليهود من آمن بالنبى عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه ، وقيل الضمير راجع الى **ما ذكر من حيث آل ابراهيم ، وقيل : الضمير راجع الى ابراهيم ، والمعنى :** فمن آل ابراهيم من آمن بابراهيم ، ومنهم من صد وأعرض عنه » انتهى غليفهم .

قوله : « فقد وجب عليك فى هذا القول أن بنى اسرائيل أفضل منك »

لا يخفى عليك أن النبى عليه الصلاة والسلام أعقل العقلاء وسيد البلغاء وخاتمة الأمناء ، فكيف يتصور فى عقل عاقل فضلا عن مطلع فاضل أن يتناقض فى أقواله ، ويقول مرة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويقول قولا آخر : ان بنى اسرائيل مفضلون على العالمين الأولين والآخرين مع وجود المشركين مترقبين للانتقاد عليه ، فما هذا التصور الا من متجاهل أو جاهل ، لأن تفسير الآية معلوم وفى دبر الاولين والآخرين مرسوم ، وكم وكم فى الأناجيل وغيرها من الآيات التى تؤول وتصرف عن الظاهر كما يعرفه كل خريت ماهر .

ولنذكر مثالا واحدا يستدل به على غيره . قال الكاثوليكى فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٧ فى بيروت بمطبعة المرسلين اليسوعيين ، رادا به على البروتستنت ما بعضه : « وهذا مصدر تناقض البروتستانت فى تأويل الآيات الالهية وبلوغ ذلك التناقض الى حد هذا الفحش ، حتى ان قول السيد المسيح الاجلى وهو فى العشاء السرى : « هذا هو جسدى » قد

أوله البروتستانيون الى ما ينيف على مائتى تأويل ، الى عهد العلامة الشهير « الكردينال بلرمينوس » الذى توفى سنة ١٦٢١ والله أعلم بكم زاد ذلك العدد منذ ثلثمائة سنة ونيف » انتهى . ولو أردنا ايراد كثير من ذلك لطال الكلام .

غير أنا نذكر ما فى هذه الآية من تفاسير الأعلام ، قال الوالد عليه رحمة العلام : « الكلام فى الآية على حذف مضاف ، أى فضلت آباءكم الذين كانوا قبل التغيير أو باعتبار أن نعمة الآباء نعمة عليهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « واذ أنجيناكم من آل فرعون » الآية ، والمخاطبون لم يروا فرعون ولا آله ، ولكنه تعالى ذكرهم أنه لم يزل منعما عليهم ، والمراد بالعالمين سائر الموجودين فى وقت التفضيل ، وتفضيلهم بما منحهم من النعم المشار اليه بقوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، **اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا** » فلا يلزم من الآية تفضيلهم على النبى ﷺ ولا على أمته ، الذين هم خير أمة أخرجت للناس » انتهى .

قوله : « وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم »

فنقول : نعم أنه سبحانه وتعالى لما جعل ذات سيدنا محمد ﷺ أشرف الذوات وخصها بأكمل الصفات ، وهو عز اسمه يخلق ما يشاء ويختار ، واختاره للرسالة وخصه بالنبوة « والله أعلم حيث يجعل رسالته » فاستمع شيئا من خصاله العلية وأخلاقه السنية ومزاياه التى فاق بها البرية ، فقد قال الماوردى : « الباب العشرون » فى شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ المهيأ لأشرف الأخلاق وأجمل الافعال المؤهل لاعلى المنازل وأفضل الاعمال لانها أصول تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر عما باينها وخالفها ، ولا منزلة فى العلم أعلى من النبوة التى هى سفارة بين الله تعالى وعباده ، تنبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق ، فكان أفضل الخلق بها أخص وأكملهم بشروطها أحق بها وأمس ، ولم يكن فى عصر الرسول من دانا طرفيه ، ومن قاربه فى فضله ، ولا داناه فى كماله خلقا وخلقا وقولا وفعلا ، وبذلك وصفه الله تعالى فى كتابه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »

فان قيل : فليست فضائله دليلا على نبوته ، ولم يسمع بمن احتج بها على أمته ، ولا عول عليها فى قبول رسالته لأنه قد يشارك فيها حتى يأتى بمعجز يخرق العادة ، فيعلم بالمعجز أنه نبى لا بالفضل . **قيل :** الفضل من امارتها وان لم يكن من معجزاتها ، ولأن تكامل الفضل معين فصار كالمعجز ، ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب ، وليس من كذب فى ادعاء النبوة بكامل الفضل ، فصار كمال الفضل موجبا للصدق ، والصدق موجبا لقبول القول ، فجاز أن يكون من دلائل المرسل .

فصـــل

فاذا وضـــح هذا فالكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه : **أحدها :** كمال الخلق **والثانى :** كمال الخلق . **والثالث :** فضائل الأقوال . **والرابع :** فضائل الأعمال .

فأما الوجه الأول : فمال خلقه بعد اعتدال صـــورته ، يكون بأربعة أوصاف : **أحدها :** السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى التقديم والتسليم ، وكان أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته ، حين أتوه مع ارتياضهم بصـــوله الأكاسرة ومكاثرة الملوك والجبابرة ، فكان فى نفوسهم أهيب ، وفى أعينهم أعظم ، وان لم يتعاظم بأهبة ولم يتطاول بسطوة ، بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطاء معروفا .

فصـــل

والثانى : الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة . وقد كان ﷺ محبوبا ، ولقد استحكمت محبة طلاقته فى النفوس ، حتى لم يمله مصاحب ولا تباعد عنه مقارب ، وكان أحب الى أصـــحابه من الآباء والأبناء وشرب البارد على الظمأ .

فصـــــل

والثالث : حسن القبول الجالب لمايلة القلوب . حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته ، وقد كان قبول منظره مستوليا على القلوب ، ولذلك استحكمت مصاحبته فى النفوس ، حتى لم ينفر منه معاند ، ولا استوحش منه مباعد ، الا من ساقه الحسد ، وقاده الحرمان الى مخالفته .

فصـــــل

والرابع : ميل النفوس الى متابعته وانقيادها لموافقته وثباتها على شدائده ومصابرته ، فما شذ عنه معها من اخلص ، ولاندعنه فيها من تخصص وهذه الأربعة من دواعى السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل له ما يوازيها واستحق ما يقتضيها .

فصـــــل

واما الوجه الثانى فى كمال اخلاقه فيكون بست خصـــال : احداهن : وحاجة عقله ، وصحة وهمه ، وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحســن تألفه ، وانه ما استغفل فى مكيده ولا استعجز فى شديده ، بل كان يلحظ الاعجاز فى المبادىء فيكشف عيوبها ويحل خطوبها . وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم وأوضح جزم .

فصـــــل

والخصلة الثانية : ثباته فى الشدائد ، وهو مطلوب ، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ، ونفسه فى اختلاف الأحــوال ساكنة لا يحار فى شديدة ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ، وقد لقى بمكة من قريش ما يشيب النواصى ، ويهد الصياصى . وهو مع الضعف يصابر ،

صبر المستعلى ، ويثبت ثبات المستولى . وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علىّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شىء يواريه ابط بلال » وروى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما شبع آل محمد من الشعير يومين ، حتى قبض رسول الله ﷺ ومن صبر على هذه الشدائد فى الدعاء الى الله تعالى ، امتنع أن يريد به الدنيا وقد زويت عنه ، وما ذاك الا لطلب الآخرة . ومستحيل ممن كذب فى ادعائه اليها ان يستوحشها أو كذب على الله تعالى ان يثاب بها .

فصـــل

والخصلة الثالثة : زهده فى الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها ، فلم يمل الى غضارتها ولم يله لحلاوتها . وروى هلال بن أبى خباب عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثر فى جسمه فقال له : يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوطأ من هذا . فقال : « مالى وللدنيا والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ، ثم راح وتركها » وروى حميد بن بلال بن أبى بردة قال أخرجت الينا عائشة رضى الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا ، وقالت : قبض رسول رسول الله ﷺ فى هذين هذا وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ، ومن أقصى اليمن الى شجر عمان . وهو أزهد الناس فيما يقتضى ويدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر ، ولم يخلف عينا ولا دينا ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا ، ليصرفهم عن الرغبة فى الدنيا كما صرف نفسه عنها ، فيكونوا على مثل حاله فى الزهد فيها وروى أبو سلمة عن أبى هريرة قال جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنه تريد الميراث ، فمنعها . فقالت : من يرثك ؟ قال ولدى وأهلى فقالت : فلا ترث رسول الله تعالى عليه وسلم بنته ؟ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله

يقول : انا لا نورث ما تركناه فهو صدقه ، فمن كان رسول الله ﷺ يعوله فأنا أعوله ، ومن كان رسول الله ﷺ ينفق عليه ، فأنا أنفق عليه . وحث رسول الله عليه الصلاة والسلام على الزهد فى الدنيا والاعراض عن التلبس بها ، ليكون عونا على السلامة من تبعاتها وصرف النفوس عن شهواتها .

وروى أو موسى الأشعرى ان رسول ﷺ قال : « من أحب دنياه بآخرته ، آثر ما يبقى على ما يفنى » وروى عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وروى أبو الدرداء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « فانها أسحر من هاروت وماروت » وروى أبو جعفر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود ، وهو يسعى لدار الغرور » وروى عوف عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « انما مثل الدنيا كمثل الماشى على الماء . هل يستطيع الذى يمشى على الماء ان لا تبتل قدماه ؟ » ولهذه الدواعى والوصايا اقتدى به خلفاؤه فى زهده وانتقلوا بالأمور من بعده . فكان أبو بكر يتخلل عباءة له وهو خليفة وتأتيه الأموال من كل جانب ، فسمى ذا الخلالين . وكان عمر رضى الله عنه يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من أدم ويطوف فى الأسواق وعلى عاتقه درة يؤدب بها الناس ، ويمر بالنوى فيلقطه ويلقيه فى منازل الناس ، حتى ينتفعوا به ، ويطوف وحده بالليل عسسا ويتطلع غوامض الأمور تجسسا ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فافتتح البلاد القاصية ودانت له النفوس الطاغية وكان عثمان يقوم الليل وكان يختم القرآن فى ركعة ، وجاد بما له الكثير ، وفدى الخلق بنفسه . وقال : انا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد وعلى كرم الله تعالى وجهه مع كونه خليفة رسول الله ﷺ وزوج ابنته وابن عمه ، وكثرت أموال بيت المسلمين فى خلافته ، لم يزل يأكل الخشن ويلبس الخشن ويفرق الأموال على المسلمين ، حتى رث بيت المال ونام فيه . وقال : يا صفراء يا بيضاء غرى غيرى ، وكان نهاره صائما وليله الله تعالى قائما . وحقيق بمن كان فى الدنيا بهذه الزهادة ، حتى اجتذب أصحابه اليه ، أن لا يهتم

بطلبها ويكذب على الله تعالى فى ادعاء الآخرة بها ويقع فى العاجل ، وقد سلب الآجل بالميسور النذر ، ورضى بالعيش الكدر .

وقد روى عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول فى شهر رمضان : « قدمى عشاءك المبارك » وربما لم يكن الا تمرتين . وروى عبد الله بن مسلمة عن مالك بن أنس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد ، فوجد أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فسألهما . فقال : « ما أخرجكما ؟ » فقالا : أخرجنا الجوع . فقال لرسول الله ﷺ : « فاذهبوا . وأنا أخرجنى الجوع » فذهبوا الى ابى الهيثم بن التيهان ، فأمر لهم بحنطة أو شعير عنده يعمل ، وقام فذبح لهم شاة . فقالا له : « نكب عن ذات الدر » واستعذب لهم ماء ، علق على نخلة . ثم أتى بذلك الطعام ، فأكلوا منه ، وشربوا من ذلك الماء . فقال رسول الله ﷺ : « لتسألن عن نعيم هذا اليوم » ثم ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها .

فصـــل

والخصلة الرابعة : تواضعه عليه الصلاة والسلام للناس وهم أتباعه ، وخفض جناحه لهم وهو مطاع ، يمشى فى الأسواق ويجلس على التراب ، ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه ، فصار بالتواضع متميزا ، وبالتذلل متعززا . ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته . فقال : « خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه ، فهى غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها ، لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد .

فصـــل

والخصلة الخامسة : حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه ، فقد كان أحلم فى النفار من كل حليم ، وأسلم فى الخصام من كل سليم .

وقد منى بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادره ولم يحقر عليه بادره ولا حليم عيره الا ذو عثرة ولا وقور سواه الا ذو هفوة ، فان الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ، ليكون بأمته رءوفا ، وعلى الخلق عطوفا . وقد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة ، وهو صبور عليهم ومعرض عنهم ، وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم ، بل تمالأ عليه الجبلة والدون ، فكلما كانوا عليه الأم وألح ، كان عنهم أعرض وأصفح ، حتى قهر فعفى وقدر فغفر ، وقال لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه : « ما ظنكم بى ؟ » فقالوا : ابن عم كريم فان تعف فذاك الظن بك ، وان تنتقم . فقد أسأنا . فقال عليه الصلاة والسلام : « بل أقول كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » قال ﷺ : « اللهم قد أذقت أول قريش نكالا فاذق آخرهم نوالا » وقد بقرت « هند » بطن عمه « حمزة » ولاكت كبده ، فصفح عنها وأعطاها يده لبيعتها .

فان قيل : قد أمر بضرب بعض الرقاب صبرا ، فأين موضع العفو والصفح ؟ **فالجواب** : انما فعل ذلك فى حقوق الله تعالى ، فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى وانما يختص عفوه عليه الصلاة والسلام بحق نفسه .

فصل

والخصلة السادسة : حفظ العهد ووفاؤه بالعهد ، فانه ما نقض لحافظ عهدا ، ولا أخلف لراقب وعدا ، برى الغدر من كبائر الذنوب ، فى الاخلاق من مساوىء الشيم ، فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب ، حفظا لعهده ووفاء بوعده ، حتى يبتدىء معاهدوه بنقضه ، فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بنى قريظة وبنى النضير ، وكفعل قريش بصلح الحديبية ، فجعل الله تعالى نكثهم خيرا له .

فهذه ست خصال تكاملت فى خلقه ، فضله الله تعالى بها على جميع خلقه .

فصـــل

وأما الوجه الثالث فى فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال :

احداهن : ما أوتى من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الجمة الباهرة وهو أمى من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من اتقان ما أبان ، واحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل فى قول أو عمل ، وجعل مدار شرعه على أربعة أحاديث ، أو حزبها المراد وأحكم بها الاجتهاد : **أحدها قوله ق :** « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » **والثانى** : قوله : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمـــور مشتبهات ، ومن يحم حـــول الحمى يوشك أن يقع فيـــه : **والثالث** : قوله : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » **والرابع** قوله : : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حكموا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا صلاح للعالم الا بدين ينقلدون له ويعملون به ، فما راق لها أثر ولا فاق لها خبر ، وهم ينبوع الحكم وأعيان الأمم ، وما هذه الفطرة فى الرسول الا من صفاء الجوهر .

فصـــل

والخصلة الثانية : حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصـــص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم فى الزمن الاقدم حتى لم يغرب عنه منها صغير ولا كبير ، ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير ، وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه ، وما ذاك الا من ذهن صحيح وصدر

فسيح وقلب شريح . وهذه الثلاثة آلة لما استودع من الرسالة ، وحمل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثا وعلى القيام بها محثوثا .

فصـــل

والخصلة الثالثة : أحكامه لما شرع بأظهر دليل ، وبيانه بأوضـــح تعليل ، حتى لم يخرج منه ما يوجب معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت الى الحكمة اختصارا » لأنه نبه بالقليل على الكثير ، فكف عن الاطالة وكشـــف عن الجهالة ، وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان واليه مقاد .

فصـــل

والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق ، ودعا اليه من مستحسن الآداب ، وحث عليه من صلة الأرحام ، وندب اليه من التعطف على الضعفاء والأيتام ، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاســـد وكف عنه من التقاطع والتباعد ، فقال عليه الصلاة والســـلام : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » لتكون الفضـــائل فيهم أكثر ومجلس الأخلاق بينهم أنشر ومستحسن الآداب عليهم أظهر ، وتكون الى الخير أسرع ومن الشر أمنع ، فيتحقق فيهم قول الله تعـــالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فلزموا أوامره وأتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم ، حتى عزبهم الاسلام بعد ضعفه ، وذل بهم الشرك بعد عزه ، فصاروا أئمة أبرارا وقادة أخيارا .

فصـــل

والخصلة الخامسة : وضوح جوابه اذا سئل وظهور حجاجه اذا جودل ، لا يحصره عى ولا يقطعه عجز ، ولا يعلرضه خصم فى جدال الا

كان جوابه أوضح وحجاجه أرجح ، أتاه أبى بن خلف بعظم نخر من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد ، ثم قال : يا محمد أنت تزعم أنا وآباؤنا نعود اذا صرنا هكذا ، لقد قلت عظيما ما سمعناه من غيرك « من يحى العظام وهى رميم » فانطلق الله تعالى رسوله ببرهان نبوته ، فقال « يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم » فانصرف مبهوتا ولم يحر جوابا ولما قال عليه الصلاة والسلام : « لا عدوى ولا طيرة » قال له رجل يا رسول الله : انا نرى النقبة من الجرب فى مشفر البعير فيعدو سائرة ، قال : « فمن أعدى الأول » واسكته .

فصـــل

والخصلة السادسة : انه محفوظ اللسان من تحريف فى قـول واسترسال فى خبر يكون الى الكذب منسوبا وللصدق مجانبا ، فانه لم يزل مشهورا بالصدق فى خبره فاشيا وكثيرا ، حتى صار بالصدق مرقوما ، وكانت قريش بأسرها تتيقن صـدقه قبل دعوتهم الى الاسلام فجهروا بتكذيبه فى استدعائهم اليه، فمنهم من كذبه حسدا ، ومنهم من كذبه عنادا ، ومنهم من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة فى غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه فى الرسالة . ومن لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر ألزم ، ومن عصم منه فى حـق نفسه كان فى حقوق الله تعالى أعصم . وحسبك بهذا دفعا لجاحد ورداً لمعـاند .

فصـــل

والخصلة السـابعة : تحرير كلامه فى التوخى بـه ابان حلجته ، والاقتصار منه على قدر كفايته ، فلا يسترسل فيه هدرا . ولا يحجم عنه حصرا ، وهو فيما عدا حالتى الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتا وأحسنهم سمتا ، وكذلك حفظ كلامه ، حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل ،

واستعذبته الأفواه حتى بقى محفوظا فى القلوب ، مدونا فى الكتب ، لن يسلم الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل .

أكثر اعرابى عنده الكلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا اعرابى كم دون لسانك من حجاب ؟ » قال شفتاى وأسنانى فقال ﷺ : « ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام ، فنضر الله وجه امرىء قصر من لسانه واقتصر على حاجته »

فصـــل

والخصلة الثامنة : أنه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معانى ، لا تظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف . وقال ﷺ : « أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون » وقال عليه الصلاة والسلام : « اياك والتشدق »

فصـــل

فمن كلامه الذى لا يشاكل فى ايجازه قوله ﷺ : « الناس بزمانهم أشبه » وقوله : « ما هلك أمرؤ عرف قدره » وقوله : « لو تكاشفتم ما تدافنتم » وقوله « السعيد من وعظ بغيره » وقوله : « حبك الشىء يعمى ويصم » وقوله : « العقل ألوف مألوف » وقوله : « اللهم أعوذ بك من طمع يهدى الى طبع » وقوله : « افضل الصدقة جهد المقل » وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقوله : « ترك الشر صدقة » وقوله : « الخير كثير وقليل فاعله » وقوله : « الناس كمعادن الذهب » وقوله : « نزلت المعونة على قدر المؤنة » وقوله : « اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه » وقوله : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » وقوله : « المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم » وقوله : « الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه ، وجنة الكافر ورخاؤه »

فصـــــل

ومن كلامه الذى لا يشاكل فى فصاحة قوله ﷺ : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة والصدقة مغرما » وقوله : « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم » وقوله : « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع » وقوله : « هل يطمع أحدكم الا غنى مطغيا ، أو فقرا منسيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو الدجال فهو شر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » وقوله : ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فاما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والاقتصاد فى الغنى والفقر ، والحكم بالعدل فى الرضا والغضب . واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » وقوله : « تقبلوا لى بست أتقبل لكم الجنة » قالوا : وما هى يا رسول الله ؟ قال : « اذا حدث أحدكم فلا يكذب ، واذا وعد فلا يخلف ، واذا أؤتمن فلا يخن ، غضـــوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم » وقوله عليه الصلاة والسلام فى بعض خطبه : « الا ان الأيام تطوى ، والأعمار تفنى ، والابدان فى الثرى تبلى ، وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ، ويقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد . وفى ذلك عباد الله ما نهى عن الشهوات ، ورغب فى الباقيات الصالحات » وقوله فى بعض خطبه وقد خاف من أصحابه فترة : « أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب . وكان الذى نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوأهم اجداثهم ، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه . طوبى لمن شـــغله عيبه عن عيوب الناس »

وهذا يسير من كثير لا يأتى عليه احصاء ، ولا يبلغه استقصاء ، وانما ذكرنا مثالا ، ليعلم أن كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة ، ولو مزج بغيره لتميز بأسلوبه ، ولظر فيه آثار التنافر ، فلم يلتبس حقه من باطله ، ولبان صدقه من كذبه . هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة ولا مخالطا

لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء ، وانما هو من غرائز فطرته وبدائه جبلته وماذاك الا لغاية تراد ، وحادثة تشاد .

فصـــــل

فان قيل اذ كان كلامه مخالفا لكلام غيره فى البلاغة والفصـــاحة ، حتى لم يكن فيه مساجلا ، أيكون له معجزا ؟ قيل له : لو كان هكذا وتحدى به صار معجزا ، ولا يكون مع عدم التحدى معجزا .

فصـــــل

وأما الوجه الرابع فى فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال :

احداهن : حسن سيرته ، وصحة سياسته ، فى دين ابتكر شرعه حتى استقر ، ودبر أحسن وضعه حتى استمر ، نقل به الأمة عن مألوف ، وصرفهم به عن معروف الى غير معروف ، فأذعنت به النفوس طوعا وانقادت خوفا وطمعا والعادة شديد منزعها الا لمن كان بالتأييد الالهى معانا ، بجزم صـــائب وعزم ثاقب . ولئن كان مأمورا بما شرع ، فهى الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فيها ، فهى الآية الباهرة وحسبك بما استقرت قواعده الى الأبد ، حتى انتقل الى خلف يزاد فيهم حلاوته ويشيد فيهم جدته . ويرونه نظاما لأعصار تنقلب صروفها ، ويختلف مألوفها . أن يكون لمن قام به برهانا ولمن أرتاب به بيانا .

فصـــــل

والخصلة الثانية : أنه جمع بين رغبة من اســـتمال ، ورهبة من استطال ، حتى اجتمع الفريقان على نصرته ، وقاموا بحقوق دعوته ، رغبا فى عاجل وآجل ، ورهبا من زائل ونازل ، لاختلاف الشيم والطبـــاع فى الانقياد الذى لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا .

فصـــل

والخصلة الثالثة : انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصارى فى التشديد (١) وعن تقدير اليهود فى التقصير ، الى التوسط بينهما . وخير الامور أوساطها ، لانه العدل بين طرفى اسراف وتقصير ، فليس لما جارز العدل حظ من شديد ولا نصيب من سداد . وقد قال ﷺ : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، فشر السير القحقحة ، وان المنبت لا أرضا قطع ولا أظهرا أبقى .

فصـــل

والخصلة الرابعة : أنه لم يمل بأصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود ، ولا الى رفضها كما ترهبت النصارى ، وأمرهم فيها بالاعتدال أن يطلبوا منها قدر الكفاية ، ويعدلوا عن احتجاب واستزادة . وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه : « خيركم من لم يترك دنياه لا آخرته ولا آخرته لدنياه . ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » وهذا صحيح لأن الانقطاع الى أحدهما اخلال ، والجمع بينهما اعتدال . وقال ﷺ : « نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة » وانما كان كذلك لأن منها يتزود لآخرته ، ويستكثر فيها من طاعته ، ولأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروما مضاعا ، أو محروما مراعى . وهو فى الأول كل ، وفى الثانى مستذل . وأثنى على رجل بخير عند رسول الله ﷺ . وقالوا : يا رسول الله كنا اذا ركبنا لا يزال يذكر الله تعالى حتى ننزل ، واذا نزلنا لا يزال يصلى حتى نرفع . فقال : « فمن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه ؟ » قالوا : كلنا . قال : « فكلكم خير منه »

---

(١) النصارى ألغوا العمل بأحكام التوراة . وشرعوا لرعاياهم أن يلتزموا بقوانين البلاد التى يحلون فيها . ودين الاسلام قد ألغى من أحكام التوراة أحكاما . فلذلك هو دين الرحمة لأنه وضع الاصر والأغلال .

وفعل النصارى مخالف لقول لمسيح عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس » .

فصـــل

والخصلة الخامسة : تصديه لمعالم الدين ، ونوازل الأحكام حتى أوضح للامة ما كلفوه من العبادات ، وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات . وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود مناكح ومعاملات ، حتى احتاج اليهود فى كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه ، ولم يحتج شرعه الى شرع غيره . ثم مهد لشرعه أصولا تدل على الحوادث المغفلة ، ويستنبط لها الأحكام المعللة ، فأغنى عن نص بعد ارتفاعه ، وعن التباس بعد اغفاله . ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بانذاره ويحتج باظهاره ، فقال ﷺ : « بلغوا عنى ولا تكذبوا على ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » فأحكم ما شرع من نص وتبيينه ، وعم بما أمر من حاضر وبعيد ، حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديا ، ولما تقلده من حقوق الأمة موفيا ، لئلا يكون فى حقوق الله تعالى زلل ، ولا فى مصالح الأمة خلل . وذلك فى برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب ، حتى أوجز وأنجز ، وما ذاك الا بديع معجز .

فصـــل

الخصلة السادسة : انتصابه لجهاد الأعداء ، وقد أحاطوا بجهاته ، وأحقدوا بجنباته . وهو فى قطب مهجور ، وعدو محقور ، فزاد به من قل وعز به من ذل ، وصار باثخانه فى الاعداء محذورا ، وبالرعب منه منصورا ، فجمع التصدى لشرع الدين ، حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر ، والجمع بينهما معوز الا لمن أمده الله بمعونته ، وايده بلطفه ، والمعوز معجزة .

فصـــل

الخصلة السابعة : ما خص به من الشجاعة فى حروبه ، والنجدة فى مصابرة عدوه ، فانه لم يشهد حربا فى فزاع الا صابر حتى انجلت عن

ظفر أو دفاع ، وهو فى موقفه لم يزل عنه هربا ولا حاز فيه رغبا ، بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن ، قد ولى عنه أصحابه يوم حنين وبقى بازاء جمع كثير وجم غفير فى تسعة من بيته وأصحابه عـلى بغلة مسبوقة ان طلبت ، غير مستعدة لهرب ولا طلب . وهو ينادى أصحابه ويظهر نفسه . ويقول : « الى عباد الله . أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب » فعادوا شذاذا وارسالا .

و « هوازن » تراه وتحجم عنه ، فما هاب حرب من كاثره ، ولا انكفأ عن مصاولة من صابره . وقد عضده الله تعالى بانجاد انجاد ، فانحاز له وصبر حتى أمده الله تعالى بنصره . وما لهذه الشجاعة من عديل . ولقـد طرق المدينة فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم اليه ، فتلقوه عائدا على فرس عربى لأبى طلحة الأنصـارى . وعليه السيف ، فجعل يقول : « أيها الناس لم تراعوا بل تراعوا » ثم قال لأبى طلحة : « انا وجدناه بحرا » وكان الفرس يبطىء فما سبقه فرس بعد ذلك . وماذاك الا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره ، وأن دينه سيظهره ، تحقيقا لقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله » وتصديقا لقول رسول الله ﷺ : « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » وكفى بهذا قياما بحقه وشاهدا على صدقه .

فصـــل

الخصلة الثامنة : ما منح من السخاء والجود ، حتى جاد بكل موجود وأثر بكل مطلوب ومحبوب ، وتوفى عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة(١) عند يهودى على أصوع من شعير لطعام أهله ، وقد ملك جزيرة العرب . وكان فيها ملوك وأقيال ، لهم خزائن وأموال ، يقتنونها ذخرا ، ويتباهون بها فخرا ، ويستمتعون بها أشرا وبطرا . وقد حاز ملك جميعهم ، فما اقتنى

---

(١) منع القرآن الرهن فى الحضر ، لقوله تعالى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة »

دينارا ولا درهما ، يأكل الخشب ولا يلبس الا الخشن ، ويعطى الجزل الخطير ، يوصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الاقلال ، ويصبر على سغب الاختلال . وقد حاز غنائم هوازن وهى من السبى ستة آلاف رأس ، ومن الابل أربعة وعشرون ألف بعير ، ومن الغنم أربعون ألف شاه ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه وعاد خلوا .

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشىء . وروى عمر بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يسرنى أن لى أحد ذهبا أنفقه فى سبيل الله ، أموت يوم أموت ، وعندى منه دينار الا أن اعدم لغريم » وكان ﷺ اذا سئل وهو معدم ، وعد ولم يرد وانتظر ما يفتح الله سبحانه . فروى حماد بن زيد عن الحسن ان رجلا جاء الى النبى ﷺ يسأله . فقال : « اجلس سيرزقك الله » ثم جاء آخر ، فقال لهم : « اجلسوا » فجاء رجل بأربع أواقى فأعطاه اياها . وقال : يا رسول الله . هذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم فما قام أحد ، فلما كان الليل وضعها تحت رأسه — وفراشه عباءة — فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى ، فقالت له عائشة : يا رسول الله حل بك شىء ؟ قال « لا » قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال « لا » قالت : انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله فأخرجها . وقال : « هذه التى فعلت بى ما ترين ، انى خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها » وروى الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن ترك دينا فعلى ، ومن ترك مالا فلورثته »

فهل مثل هذا الكرم والجود كرما وجودا ، أم هل لمثل هذا الاعراض والزهادة اعراضا وزهدا ؟ هيهات هل يدرك شأو ، من هذه شذور من فضائله . ويسير من محاسنه التى لا يحصى لها عدد ، ولا يدرك لها مدد ، لم تكمل فى غيره فيساويه ، ولا كذب بها ضد يناوئه ، ولقد

جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق وملحد أن يزرى عليه فى قول أو فعل أو يظفر بهفوة فى جد أو هزل ، فلم يجد اليه سبيلا . وقد جهد جهده وجمع كيده ، **فأى فضل أعظم من فضل تشاهده الحسدة والأعداء ، فلم يجدو فيه مغمزا** لثالب أو قادح ، ولا مطعنا لغامز أو فاضح ، فهو كما قال الشـــاعر :

شهد الأنام بفضله حتى العدى والفضـــل ما شهدت به الأعداء

وحقيق لمن بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغايات الأمور آلتها أن يكون لزعامة العالم مؤهلا وللقيام بمصالح الخلق موكلا ولا غاية بعـــد النبوة أن يعم به صلاح أو ينحسم به فساد ، فاقتضى أن يكون لها أهلا وللقيام بها مؤهلا . ولذلك استقرت به حين بعث رسولا ، ونهض بحقوقها حين قام بها كفيلا . فناسبها وناسبته ، ولم يذهل لها حين أتته . وكل متناســـبين متشاكلان وكل متشاكلين مؤتلفان . وكل مؤتلفين متفقان . والاتفاق وفاق ، وهو أصل كل انتظام وقاعدة كل التئام ، فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته ، وأظهر الامارات فى صدق رســـالته ، فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح ، والحمد لله الذى وفق لطاعته ، وهدى الى التصديق برسالته . انتهى .

***

قال النصرانى : « واما ما دعوتنى اليه من الصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان فالجواب فى ذلك : اقرارك بلسانك فى كتاب وما خططته باصابعك من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا ، فقد رأيت ذلك معاينة وسمعته ، وشاهدت تلك الامور الالهية المخالفة ما دعوتنى اليه من الامور المبهرجة المدلسة ، فاكتف — أكرمك الله — بما رأيت ، وليكن لك دليلا وجوابا ، فلست أجيبك فى هذا بأكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك .

وأما قولك أن نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سنة أبينا ابراهيم ، فجوابك قول المســـيح الرب لليهود ، وقد قالوا له :

لم لا يغتسل تلاميذك ؟ فاجابهم الروح المحيى مخلص العالم : وما الذى يغنى عن البيت المظلم أن يكون فى ظاهره مصباح يتقد ، وباطنه مظلم ، وانما يجب أن تغســـل النيات والقلوب من دنس الفكر وغسل الخطايا المؤدية الى الشرور ، والى ادخال المكروه على الناس ، واذا نظفت ثيله وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الردىء ، حينئذ يغسل ظاهر بدنه بالماء ، فميز هذا القول ـــ أصلحك الله ـــ وانظر فيه بعقلك ، أليس هو قول مقنع وجواب شاف » ؟

***

أقول : « من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا »

ولا يخفى على كل مطلع لبيب أن صلاة النصارى لا يخص بها البارى سبحانه عندهم ، فانهم يصلون ويسجدون له تعالى وللمسيح وللصليب ولمريم وللقديسين ـــ أى الأولياء ـــ وللملائكة كما نقلناه واثبتناه فى كتابنا هذا ، ويصلون متوجهين الى مشرق الشمس ، وهى غير القبلة التى كان يصلى اليها المسيح لأن قبلته بيت المقدس (١) ثم ان بولس اليهودى الذى أوقعهم فى جب الهلاك ، هو الذى خولها من تلقاء نفسه . وكذا الصيام الذى عندهم عبارة عن ترك بعض أنواع الأطعمة لا عبارة عن ترك الأكل والشرب ، كما هو صيام المسلمين واليهود ، فهم خالفوا المسيح لأنه كان يصلى لله وحده ويصوم بترك الأكل والشرب ونحوهما من المفطرات ، فصلواتهم لله وللعبيد . وكذا صومهم المبدل الى الحمية من بعض المأكولات .

قال النصرانى مؤلف كتاب القسطاس المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٨ ما لفظه : « ان تعليم الكنيسة الرومانية من جهة المطهر والغفرانات

---

(١) الله تعالى لم يحدد لموسى بن عمران قبلة ، ففى أى جهة يتجه ، يقبل الله منه الصلاة ولما بنى سليمان الهيكل فى القدس ، عظمه اليهود العبرانيون من تلقاء أنفسهم واتجهوا اليه فى الصلاة . وعظم السامريون هيكل جرزيم . وعيسى بن مريم عليه السلام قبلته هى قبلة موسى . وقد صرح ـــ كما فى انجيل يوحنا ـــ بنزع القبلة من الهيكلين الى جهة أخرى .

والسجود والعبادة للصور وللذخائر وكذا الصلاة للقديسين ، أمر باطل مخترع ، لغو غير مؤسس على سند من الكتاب المقدس ، بل بالأحرى مناقض لكلمة الله (قاعد الدين ع ٢٢) انتهى بحروفه .

فهذا كلام البروتستنت فى ابطال ما يعتقده اخوانهم الكاثوليك .

وفى كتـــاب البراهين الانجيلية للمعلم ميخائيل المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٤ ما لفظه : « ونكتفى هنا بما يقال فى كنيسة الروم الباباوية نحو صورة المباركة مريم العذراء ، هكذا : فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون لصورتك المقدسة يا والدة الاله التى صورت من لوقا الانجيلى الكلى الطهر ، التى بها اهتدينا الى الأمانة المستقيمة »

وفى كتاب الشهر المريمى وهو شهر آيار المطبوع سنة ١٨٥٢ فى أورشليم ما لفظه : « أولا تقدم الى مريم جميع العبادات المستعملة فى كل الشهر مخصصا اياها الى قلبها للسجود له » وفيه أيضـــا ما لفظه : « ليت شعرى أيمكن لأم حنونة أن تخيب ابنا عابدا لها ، مع أنها هى التى منحت مرات كثيرة أنعاما فريدة لأكبر الخطاة لأجل تلاوة ورديتها أو صوم مقدم لاكرامها » انتهى .

وفى كتاب أمجاد مريم فى الصحيفة (١٥٠) ما لفظه : « نحن نتوسل الى القديسين فى أن يصلوا لوجه مريم بحسب كونها ملكتهم وسيدتهم » وفيه أيضا فى صفحة (٣٧٥) : « أن البتول القديسة لكى تصير والدة للاله ، قد احتاجت لأن تعلو الى مرتبة التساوى على نوع ما بأقانيم الالهية ، لهذا يقول بطرس دامايونس ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة أنواع : فاتحاد مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ، فمن ثم يهتف هذا القديس قائلا : ان الله يسكن فى البتولة ومعها يحوى جـــوهر طبيعة واحدة هى ذاتها » انتهى . وفيه فى صحيفة (١٥٤) ما لفظه : « الله ما يقدر يمنح النعم بدون تصرفات أو شفاعة مريم » وفى صفحة (٢٢٦) : « الله يوصى للشيطان من يصلى الى مريم لا تؤديه الى جهنم » انتهى .

ولمثال هذا كثير فى كتاب المتعبد لريم والأمجاد وغيرهما . وهذا بضد ما فى التوراة من قوله : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثال . مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ، ولا ما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن » انتهى . فتبين **أنهم لا صلاة لهم ولا صيام ولا عبادة خالصة للملك العلام** ، ولا طاعة موافقة لما جاءت به الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .

***

قوله : « وأما قولك أن نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة » انتهى .

فلا يخفى على كل طاهر القلب سالم اللب أن الانسان اذا صلى وعبد الله سبحانه وهو طاهر البدن والثياب والمحل ، أحسن من أن يكون بنجسها عند مناجاة الله تعالى وعبادته ، والحضور فى معبده . فهؤلاء الملوك اذا أردنا مجالستهم ومخاطبتهم ، نلبس لذلك أحسن ثيابنا ونكون فى أجمل أحوالنا ونتطهر من المقذرات ونتجنب عن الأوساخ والنجاسات ، فالبارى سبحانه أحق بذلك على أن هذا أمر تعبدى لا يسأل عن حكمته ، بعد أن أمرت الشرائع بسلوك طريقته . على أن التطهر من الجنابة ونحوها موجود فى الشريعة الموسوية التى قال فيها المسيح : « انى جئت لأكملها (١) » لابد لها كما نقلناه بلفظه غير مرة .

وأما قول المسيح عليه السلام هنا وجوابه لليهود الذى زعمه عبد المسيح ان صح أنه قاله ، فله محمل حسن ، لأنه عليه السلام لما عرف خبث بواطنهم ونفاق سرائرهم ، أراد نصحهم وأن يعرفهم أن غسل الأبدان من النجاسة والجنابة والطهارة ، لا يفيدان شيئا لمن خبث منه الجنان ، وفسق وخالف فى فعله ما أتى به موسى بن عمران وليس مقصده عليه السلام أنه يجوز للانسان أن يصلى أو يأكل وهو نجس اليد والبدن متضمخ بالنجاسة ظاهرا وباطنا ، ولا مراده رفع أحكام التوراة الواردة بذلك . فان هذا لا يقوله

---

(١) أى أصححها .

عاقل ، فضلا عن مثل هذا الرسول الكامل . وهذا ظاهر أيضا مما نقله النصرانى عبد المسيح من كلامه عليه السلام هنا ، كيف لا والمسيح متبع للتوراة فى مثل هذه الأحكام كما لا يخفى على من اطلع على أحواله عليه السلام . ففى الاصحاح الخامس عشر من سفر الأحبار المسمى بسفر اللاويين ما لفظه : « وكلم الرب موسى وهرون . وقال لهما : كلما بنى اسرائيل وقولا لهم : كل انسان يكون له سيل من جسده فذاك نجس ، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ، وكل ما يركبه ذو السيل فهو نجس ، وأى اناء من فخار مسه من يقطر زرعه فليكسر ، وان كان الاناء من خشب فليغسل بالماء ، وأيما رجل خرجت منه جنابة فيغسل جسده كله بالماء ، ويكون نجسا الى المساء وأى ثوب أو جلد وقعت عليه النطفة فليغسل بالماء ويكون نجسا الى المساء ، واذا جامع الرجل المرأة فليستحما كلاهما بالماء ويكونان نجسين الى المساء ، والمراة اذا كان بها حيض الدم حيضها دما فى جسدها ، فلتجس طامثة سبعة أيام وكل من يلمسها يكون نجسا الى المساء ، وكل شىء تنام أو تجلس عليه فى أيام حيضها فانه نجس ومن لمس فراشها فليغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا حتى الليل .

فأبعدا بنى اسرائيل عن النجاسة لئلا يموتوا فى نجاستهم ، ولا ينجسوا مسكنى الذى بينهم » انتهى .

وبقيت فيها أحكام كثيرة شبه هذه تركناها خشية الملل ، فليت شعرى أى قولى النصارى والأناجيل نأخذ ونعتمد عليه ؟ أنعتمد على ما عزوه له من عدم لزوم الغسل من الجنابة والتطهر من النجاسة . أم على ما رووه عنه انه قال : « لم آت لابطل الناموس » أى التوراة « بل لأؤيد وأأكد أحكامها ؟ » وهل هذان القولان الا متناقضان وحكمان متخالفان ؟ فيقال لعبد المسيح : ان الذى ينبغى أن يسمى ناقض نفسه هى الأناجيل لا كما زعمت الفرقان ، فافهم وأنصف . وستأتيك ان شاء الله مسألة الختان . وبالله تعالى المستعان .

قوله : « وغل الخطايا النفسة »

لا يخفى عليك أن ازالة الخطايا متوقف على غفران قسوسهم ، واذا تاب الانسان من خطاياه وذنوبه الى الله تعالى وحده ، لا تغفر الا اذا اعترف المخطىء للكاهن بذنوبه وغفرها له ، فحينئذ تغفر له . وهذه عقيدة الكنيسة الرومانية ، كالكاثوليكيين ومن تبعهم من جمهور النصارى ، كالأرمن الكاثوليك الحديث ، والروم الحديث ، والسريان الحديث ، والروم الحديث ، الكاثوليك واللاتين . فكلهم يزعمون غفران ذنوبهم كبائرها وصغائرها اذا اعترفوا بها للكهنة والقسيسين . وتسمى هذه العقيدة عندهم سر التوبة ، وخالفت فى ذلك فرقة البروتستانت . ولنذكر لك كلامهم عليهم والسهام الخارجة منهم اليهم ، ليقف الناظر على عقيدة سيئة ، ليس لهم بها سلف ، وليعرف ابتداعهم فى الدين المسيحى من لم يكن عرف . قال المعلم ميخائيل فى كتابيه « الدليل الى طاعة الانجيل » و « البراهين الانجيلية » ما لفظه : « ان الكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها تزعم أنه يجيب اعتراف الخطاة للكهنة بخطاياهم ، لكى ينالوا منهم المغفرة عما اقترفوه ضد البارى تعالى . و تسمى هذه الصناعة سر التوبة ، وكان الأولى أن تسميها سر المغفرة أو الحل لأن الظاهر من معتقدها وأعمالها عدم الانتفاع بالتوبة أو لا تتم بها مغفرة الخطيئة ، بل تمام المغفرة يكون بالحل ا لذى يناله المعترف من الكاهن ، هذا ولم تكتف بأنها اخترعت هذا التعليم الذى ليس له أصل فى الشريعة المسيحية ، ولا بأنها تجاسرت على أن تسميه سرا الهيا ، وتنسب اليه تعالى أمرا لم يأمر به ، ولا بأنها جعلته سرا مساويا لسرى المعمودية والافخرستيا ، بل تجاسرت على أن تجعله ضروريا للخلاص بضرورة الواسطة ، ولا يمكن خلاص المذنب بدون الاعتراف للكاهن . ولذا ترى أكثر اجتهاد القسيسين فى أن يلزموا المسيحى بالاعتراف لهم ، وهكذا المريض يسارعون لاستماع اعترافه ، وهو اختراع حادث قبيح مضر على أنفس المعرف والمعترفين من أوجه عديدة ، ولا جرى استعماله الا فى الجيل الثالث عشر فى مجمعها اللاتزالى ،

وغايتها : ورد فى التعاليم قولهم للخاطىء تب لعل الله يغفر لك ، وصورة استعمال هذا السر أن الكاهن يجلس على كرسى مرتفع فى الكنيسة ، ويركع المعترف تحت يده على الأرض مكشوف الرأس ، ويقول : أنا أعترف لله القادر على كل شىء وللقديسة المباركة مريم العذراء الدائمة البتولية والقديس مار ميخـــائيل رئيس الملائكة والقديس مار يوحنـــا المعمدان والقديسين الرسولين بطرس وبولس ولك يا أبانا ، لقد أخطأت بالفكر والقول والفعل ، اقبل اعترافى وسامحنى وبهذا الكلام يفهم أن الاعتراف ليس لله وحده ، فالظاهر أنهم يعتقدون أن هؤلاء القديسين شركاء البارى تعـــالى فى حقوقه ، ثم ان الكاهن يسأل المعترف : كم لك من الزمان بلا اعتراف ؟ فيجيبه كذا من الأشهر أو من الأيام . ثم يسأله ثانيا : هل وفيت قانونك ؟ فيجيبه بالواقع فيأمره أن يشكى على نفسه وحينئذ يبتدىء المعترف بتقرير خطاياه واحدة فواحدة ، بحيث لو ترك أدنى شىء منها سأله عنه بكل تدقيق . وعلى الخصوص خطيئة الزنا ، وربما من كثرة التدقيق يتصل الكاهن الى معرفة الشخص المشترك معه فى الخطيئة ، وهو أول عيب يحدث من الاعتراف . ثم ان المعترف غالبا لا يكون ســـاقطا فى جميع الخطايا ، ويوجد كثيرون من البسطاء لا يعرفون جميع الخطايا ليفعلوها ، فالكاهن لكى يفطنهم فيما يظن أنهم سهوا عن الاعتراف به يبتدىء فى تعداد الخطايا لهم واحدة فواحدة . وبذلك ينبههم عـــلى ارتكاب ما لم يكونوا ارتكبوه ، وربمـــا يعلمهم خطايا لم يكونوا يعرفوها وهذا عيب ثـــان يحدث من الاعتراف ، ثم لا نقدر أن نجزم أن جميع الكهنة ولا سيما الغير المتزوجين لا يقدرون على ضبط شهواتهم ، فاستماعهم الاعترافات مما ينهض شهواتها ويحركها للوقوع فى فخ الشيطان ، ويسهل عليهم طريق الوصول الى مرغوبهم ، لأنهم بواسطته يعرفون من هى أهل لذلك . ولولا هـــذه المعرفة ربما كان برقع الوظيفة يجعلهم يستحون من الطلب ، خوفا من أن الباب الذى يقرعونه لا يفتح لهم ، فيفتضحون وبواسطة هذا الاعتراف يرفع عنهم هذا الخوف ويتجاسرون على فعل الخطيئة ، وهـــذا عيب ثالث يكون من الاعتراف . والعيب الرابع أن بعض النساء والرجال اذا عملوا

خطيئة وكانوا من أرباب الحياء أو يخشون اظهارها ، فيتركون التوبة ، وربما يكون ذلك باعثا لهم على فتح باب الخطـــايا وارتكاب المحرمات ، فيتعافون عن التوبة ، لعلمهم أنها لا تغفر الخطيئة الا عند القس والعيب الخامس يحدث فى نهاية الاعتراف عندما يفرض الكاهن القانون على المعترف ويحله من خطاياه ، لأن هذا المعترف المسكين يتوهم انه حمل خطاياه الثقيل عن ظهره فى ساحة مراحم القسيس ونال منه المغفرة لها ، وانه دفع ثمنها ذلك القانون الذى فرضه عليه ولم يبق عليه شىء لله تعالى ، فيتوجه ويتناول عشية الرب ويأكل الهه بكل راحة ضمير فهذا التعليم الباطل كلى الضرر على المسيحيين ، ليس فيما يتعلق بأمور الدنيا فقط من وضع ضمائر تحت ادارة هؤلاء الكهنة الجهلة فى الغالب وتسليمهم نساءهم وبناتهن ليكشفن ضمائرهن سر الرهبان شبان غير متزوجين ، وغالبا يمكنونهم من الانفراد معهن والاختلاء بهن والتردد عليهن عندما يكون الرجال غائبين فى حوانيت أشغالهم ولا يعرفون ما يعمل لهؤلاء الكهنة فى بيوتهم ، بل ذلك مسلم الى مروتهم . وأما الضرر الأعظم فهو وضع نفس المسيحى تحت خطر الهلاك الأبدى بسبب الاتكال على المغفرة الممنوحة من ذلك الكاهن ، لأن التمسك بها كالتمسك بحبال الهباء . وهذا التعليم هو اختراع أكليروسى محدث ، لأجل استيلائهم على ضمائر الناس ودراهمهم ، وأن المسيح والرســـل لم يعملوا به ولا كنيسة المسيح الأولى استعملته ، لا كما زعمت هذه الفرق بأنه من أمر المسيح والرسل ، وأن البراهين التى يستندون عليها لا تفيد شيئا مما يزعمونه ، بل أخذوا آيات متضمنة معنى آخر صريحا ، فأولوها الى معان مبهمة ، وينتجون منها فاسدة لا تطابق المقدمات ، ويموهون بها على عقول الناس بالمكر والخديعة ، اذ لا يقدر أن يغفر الخطايا غير الله وحده الذى يحق له المجد » انتهى باقتصار .

وقد أطنب فى ذكر أدلتهم وأجوبتها وتركناها لعدم اللزوم بها ، فيما نحن بصدده ، ومن أرادها فليرجع الى الكتابين المتقدم ذكرهما . هـــذا واذا علمت ذلك فلا يخفى عليك أن هذا المؤلف النصرانى « عبد المسيح »

ممن يذهب الى وجود هذا الاعتقاد القبيح ، لأنه ممن جوز فى كتابه هـذا السجود للصليب ، وكل من يجوز السجود له من النصارى يقول بمسألة الغفران ، فلينظر هو بعين عقله الى أن هذه العقيدة هل يقول بها ذو عقل ويجوزها غيور على البنات والأهل ؟ وهل هذه نظافة القلوب والصدور ، أم آلة الفسق والفجور ، ودنس لا يزيله الماء ، ووسخ لا تطهره وان أمطرت عليه السماء ؟ فتأمل وأنصف .

قال النصرانى : « واما الختان فينبغى لك أولا أن تعلم قصـته ، ثم تحث الناس على ذلك ، وان يمتثلوا سنة ابراهيم أبيهم فاقول : ان الله — جل اسمه — لما كان مزمعا أن يدخل بنى اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم أرض مصر ، ولم يزل عالما أن الشره سوف يحملهم عـلى ارتكاب المفواحش التى قد حرمها عليهم ونجس اهلها ، جعل هذا سببا لمن أراد ارتكاب الفاحشة من امراة مصرية ، نظرت الى هذه العلامة التى فى جسده — وهى الختان — فامتنعت ولم تؤاته ، فوسمهم الله بهذه السـمة لهذه العلة ، فكيف تحث الناس على الختان وأنت تعلم أن صاحبك لم يختتن ، كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه ، أنه لم يكن مختونا بتة ، لأنهم شبهوه كما ادعوا له ذلك انه كآدم أبى البشر ، وشيث ونوح وحنظلة ابن أبى صفوان ؟ وهذا خبر ليس أحد من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك فى صحته ، فان قلت ان المسيح قد اختتن . قلنا لك : اختتن لاقامة سنة التوراه ، لئلا يرى أنه استخف أو نقض شيئا شيئا من سننها ، ثم اكد ذلك بقوله : (لم آت لأنقض بل لأتمم وأكمل) (متى ٥) .

وكذلك قال رسول الحق بولس : « ان كنتم انما تختتنون لأن المسيح اختتن ، فان ذلك لا ينفعكم شيئا ولا المعزلة أيضا تضر شيئا مع الايمان الصحيح والقلب السليم النقى ، والا فيجب عليك أيضا أن تقرب القرابين وتحفظ السـبت وتعمل الفصح وتقيم شرائع التوراة كلها ، كما أقامها المسيح سيدنا ، فانه فعل ذلك ورفعه عنا وأكمله وأتمه بفعله اياه وكفانا مؤنة العمل بشىء منه وأغنانا بسنته الحسنة الالهية ، وشرائعه الروحانية

الذى رفعها الينا عن السنن التى شهد جل وعز على لسان نبيه ، قائلا : انى أعطيتكم — يعنى بنى اسرائيل سننا ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا أن تجيئوا بها . فان أنصفتنا علمت أن الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لأن كتابك الذى تدعى أن فيه شرائع ديانتك ، يذكر أن ليس الختان شريعة واجبة ، وانما هو سنة من شاء استحسنها وعمل بها ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها . ومن اختتن من أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة ، فليس يفعل ذلك لأنه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له ألا القيام بها ، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتشبه بأهل دهره الذى هو مقيم بين أظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير ، لعلمنا أن من تفوط كان أحق أن يفيض عليه الماء السابغ بالغسل بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة وقبيح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التى لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة ، بل يتولد منها انسان كامل المعرفة والعقل والعلم ، يكون منه النبى المرسل والملك المسلط والحكيم الناقد والعبد الصالح المسبح لله ليلا ونهار ، أو كذلك يفعل من اجتنب منا أكل لحم الخنزير كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمال ، لأن ذلك غير محرم عليه ، لأن الله لم يخلق شيئا قبيحا ، كقوله جل اسمه فى التوراة على لسان موسى نبيه فى سفر الخليقة : «فنظر الله الى جميع ما خلقه ، فرآه حسنا جدا» فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق ، أفأجترىء أنا وأقول عن شىء خلقه انه قبيح أو حرام ؟ اذن أكون معاندا لله مقاوما ما خلقه واستحسنه . ومعاذ الله أن أكون لربى معاندا ، بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسى ويجوز لى فى طبيعتى أكله ، فهو مطلق لى ولجميع ولد آدم ، غير أكل الدم والميتة وما ذبح للاصنام فانه نزل فى تحريمه أمر من الله نص . والسبب تحريم الخنزير والجمل وغيرهما مما حرم على بنى اسرائيل أكله ، فذلك انما حرم عليهم لعلة معروفة مشهورة : لأنهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى أهل مصر يعبدون الأصنام التى كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ، ألا ترى كيف أجاب موسى فرعون قائلا له : « لن يجوز أن نقرب لله قرابين تجاه المصريين ، لأننا انما نريد أن نقرب القرابين التى يعبدونها ، وهى آلهتهم ،

فاذا فعلنا ذلك بين أيديهم لم نؤمن أنهم يرجموننا ، اذا قربنا آلهتهم ونبحناها » فدل بهذا القول أن أهل مصر كانوا يعبدون الثيران والكباش وسائر الغنم . ودليل آخر : أن موسى حيث أقام فى طور سينا وثب بنو اسرائيل على هرون أخيه قائلين له : اتخذ لنا آلها نعبده ، فان موسى قد أبطأ علينا ولا نعلم حاله وانما اتخذ لهم صنما على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة أهل مصر مثله ، فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ، ويقربون لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما أشبه ذلك من الأشياء التى عندهم أخس ، فى الخلقة من خلقة آلهتهم ، فحيث أمر الله موسى بالقرابين ، أمره أن يقرب له من الثيران والبقر وسائر الغنم لا غير ذلك . وأمر أن ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليعلموا أن هذه نجسة فى أكلهم اياها فضلا عن تقريبها لى ، اذ كان المصريون يقربونها لآلهتهم ، بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التى كانت آلهة عند أولئك وقربوا لى منها وتجنبوا أكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك . ولا تقربوا لى شيئا منها أصلا لأنها نجسة غير زكية لذلك السبب ، فزهدهم فى عبادة الثيران والغنم والكباش والبقر ، باطلاقه لهم أكل لحومها وتقريب القرابين منها ، وزهدهم فى عبادة الخنازير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك ونفرهم منها ، بأنه صيرها نجسة غير زكية ، ولم يطلق القربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعا ، فليس الحرام والنجاسة أن يؤكل لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس ، بل الحرام والنجاسة أن نعبد هذه ونتخذها آلهة من دونه جل وعز ، فأما من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده أنها آلهة أو قرب منها شيئا للاصنام ، فليس ذلك بحرام عليه . ولا بالنجس عنده وماكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس اليه حلال ورزق من الله طيب ، يأكله الانسان مطلقا ما لم تعفه نفسه ، أو ينفر منه طبعه ، فان ترك أكل الجميع أو بعضه ، فذلك البتة لا لوم عليه فيه .

فاما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها واطلاق اكل الجمل وتقريب قربان منه ولحم الحمار والفرس الذى اتى به صاحبك ، فالسبب فيه من دينك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه ، اللذين افسدا الدنيا واهلكا الأمة ، وصاحبك برىء من هذا كله .

فاما ما خفض النساء فالقصة فيه : أن سارة زوج ابراهيم لما رات اعجاب ابراهيم بهاجر أمتها المصرية حين وهبتها له ، واطلقت له أن يطأها لحقها ما يلحق النساء من الغيرة على أزواجهن ، فخفضت أمتها بيدها أرادت التشويه بها ، وأن تهتك الموضع الذى توهمت أن ابراهيم يعجب به منها . فكان ذلك على جهة ايقاع العيب بهاجر أمتها ، والتشفى منها . فلما صارت هاجر الى بلدتها ((تهامة)) وتزوج اسماعيل عمدت الى امرأته فخفضتها لئلا تعيرها بذلك ، وأوهمتها أنها سنة لابراهيم . فلما ولد لاسماعيل ولد عمد الى الذكور من ولده . وولد ولده ، وأقام فيهم سنة ابراهيم ، وعمدت امرأة اسماعيل الى الاناث من اولادهم تخفضتهن واقامت فيهن العلامة التى ورثتها من هاجر ، على أنها سنة كالختان للذكور . والدليل على ذلك : أنه لم ينزل فيه أمر ولا نهى ، ولا جرى له ذكر فى شىء من الكتب المنزلة ، وانما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنة البلد ، ولولا أن الديانة عندى أشرف من الحسب الجسدانى الزائل ، لكان يسعنى السكوت عن هذه الأمور ، اذ كنت أنا أيضا من ولد اسماعيل منتميا اليه ، لكنى رجل نصرانى ولى فى هذه الديانة سابقة هى حسبى ونسبى وشرفى ، الذى أتشرف به وأفتخر بمكانى منه ، وأرغب الى الله فى أمانتى على هذه الديانة ، وحشرى عليها فانه غاية أملى ورجائى الذى أرجو به الخلاص من العذاب فى نار جهنم ، والدخول الى ملكوت السماء ، والخلود فيها بفضله واحسانه وسعة رحمته)) انتهى .

فأقول : يا سبحان الله من هذا التناقض العجيب والتهافت الغريب بين الانجيل ، وما يدعيه هذا النصرانى وما يثبته وينفيه ، فهو ينقل عن الانجيل أنه قال فيه : « لم آت لأنقض بل لأتمم وأكمل » ولنذكر جميع عبارته

ونصها : « لا تظنوا أنى جئت لأحل الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لاحل بل لاكمل ، فالحق أقول لكم : حتى أن تزول السماء والارض ، ياء واحدة أو خط واحد لا يزول من الناموس ، حتى يكون كله ، فمن أحل احدى هذه الوصايا الصغار ، وعلم الناس هكذا يدعى فى ملكوت السموات صغيرا ، فأما الذى يعمل ويعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » انتهى من الاصحاح الخامس من انجيل متى .

فهذا كلام ظاهر فى أن عيسى عليه السلام لم يأت ليبدل أو يغير شيئا من أحكام التوراة أو الأنبياء السابقين ، بل أتى حاكما بها محكما لها مكملا (١) غير منقض من أحكامها شيئا ، وأنت قد أقررت بذلك من غير شعور بما يرد عليك من المهالك ، وعلمت أن الله سبحانه كلم موسى قائلا : كلم « بنى اسرائيل وقل لهم : فى اليوم الثامن يختتن الصبى » كما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الاخبار . وقال لابراهيم كما فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « وأنت فاحفظ ميثاقى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، فليختتن منكم كل ذكر ، وتختنون لحم غرلتكم ليكون علامة للميثاق بينى وبينكم ، فالطفل ابن ثمانية أيام يختتن بكم كل ذكر فى أجيالكم المولود فى البيت والمبتاع ، فليختتن ، وكل من لم يكن من نسلكم . وسيكون ميثاقى فى لحمكم عهدا مؤبدا ، فالذكر الذى غرلته لا تكون مختونة ، فتباد تلك النفس من شعبها ، لأنها أبطلت ميثاقى » انتهى بحروفه .

وأقررت أيضا : أن المسيح عليه السلام بنفسه اختتن ونقلت الرواة أيضا والكتب جميعها : أن الختان كان فى عصر المسيح عليه السلام الى أن رفع الى السماء ، ثم بعد مدة متطاولة رفعتموه ، فبعد هذه العبارات

---

(١) المسيح لم يأت مكملا . بل أتى مصححا . لأن الأصل اليونانى فيه : ما جئت لانقض ، بل لاصحح . ولو قلنا بالتكميل لاثبتنا أن المسيح أتى بشرع جديد على ما تركه موسى . وهذا الشرع الجديد هو ما تركه موسى — الذى أقره المسيح — وما أزاده عليه . وهذا لا يصح لأن المسيح أوصى تلاميذه بأن يسمعوا كلام علماء اليهود (متى ٢٣ : ١ — ٣)

الصريحة من التوراة والانجيل فى وجوب الختـــان ، وبعد أن قال سبحانه فى التوراة : ان هذا حكم مؤبد ، فوصفه بالتأبيد والأبد لا نهاية له (١) ولم يخصصه بزمان ولا مكان ولا قبيلة مخصوصة ولا أناس مخصـــوصين بهم ولا حر ولا عبد وجعله فى الذرارى ، ما تناسلت الى أبد الآبدين ودهر الداهرين . وحكم أن تلك النفس التى لم تختتن تباد من شعبها ، وبعد أن اختتن عيسى عليه السلام بنفسه ، وقال : « انى لم آت لأنقض » أو أبدل أحكام التوراة ، وبعد أن بقيت العرب أيضا على تلك السنة الابراهيمية الى زمان البعثة المحمدية ، ثم هو أيضا اختتن وأبقاها — عليه أفضل الصلاة والتحية — وكان أيضا الاختتان موافقا للمنافع البشرية والحكم الطبية ، فكيف يسوغ لعاقل يؤمن بأن التوراة كلام الله . وقد أمر فيها بالاختتان ابراهيم الأواه ، وموسى كليم الله ، وامتثلها عيسى روح الله ، وأيدها (٢) رسول الله ســـيدنا محمد بن عبد الله بعدل عن الاختتان ، ويكابر نفسه ويجحده كالشمس التى فى العيان ، ويتشبث ببيت عنكبوت الأوهام ، ويورد تأويلا لا تقبله ذوو الألباب وبلاعتصام ، ويريد أن يقابل السيوف القاطعة فى الكفاح بقصة لانهابها أصحاب الوشاح ؟ وليت شعرى من أين علم هـــذه الحكمة الاسرائيلية والتقية المسيحية ؟ وكيف اختلق هذه العلة العليلة التى لا تقبلها ملة جليلة . وهو على ما فى التوراة حكمه أن يباد من الحياة ، ويحلق مع أمثاله بالأموات ، وهلا رجع الى نفسه وطلب منها الانصاف وقبولها للحق بعد ظهوره ، والاعتراف . وهلا بعد أن طلبه من صاحبه وظهر له هلال الحق مشرقا فى مغاربه أن يقبله مذعنا ، ويصدقه مؤمنا ، ولا يراجع بعد كلام الله وفعل أنبيائه ومسيحه ، قسيسا ولا كاهنا . اذا الحق بدا ،

---

(١) الأبد له نهاية . هى الى زمان انتهاء العمل بشريعة موسى . لأن موسى نبه على نبى مثله سينسخ شريعته . فالأبد محدد . بمجىء هذا النبى .

(٢) اختلف المسلمون فى الختان على الذكر وعلى الأنثى . كما سيذكر المؤلف .

والحمد لله سبحانه ظاهر ولا يمارى ولا يجادل بالباطل ، الا من غش نفسه من كل مكابر ، والشكر له أولا وآخرا .

ثم اعلم : أن الختان ورد فى أحاديث تدل على الوجوب عن النبى ﷺ على هذه الأمة المحمدية منها قوله عليه الصلاة والسلام : « اختتن ابراهيم وهو ابن ثمانين سنة » وقد قال سبحانه فى القرآن العظيم : « ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم » فوجب على الأمة اتباع ابراهيم بذلك . وروى الامام البخارى عن ابن عمر وأبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « من الفطرة قص الشارب والختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الأظافر » وروى أبو داود ، أن رجلا أسلم عند النبى ﷺ فقال له : « ألق عنك شعر الكفر واختتن » وروى جابر أن النبى ﷺ ختن حسنا وحسينا لسبعة أيام ، وغير ذلك من الأحاديث فذهب الامام الشافعى وجمهور أصحابه وسحنون من المالكية وعطاء الامام أحمد فى رواية أنه فرض حتى قالوا : لو أسلم الكبير لم يتم اسلامه حتى يختتن . وقال أبو حنيفة : انه واجب . وذهب بعض العلماء : الى أنه واجب فى حق الرجال أو سنة ومكرمة فى حق النساء . ورواية أخرى عن الامام أبى حنيفة أنه سنة النبى ﷺ ويأثم تاركها . وعلى جميع أقوال المسلمين ان تارك الختان مخالف لسنة ابراهيم أب النبيين ولنبيه محمد — عليه أفضل صلاة المصلين — ومتحمل اللائم يوم الدين والعقاب من رب العالمين .

ثم ان ما ذكره هذا النصرانى من اعتقاد جميع المسلمين أن النبى عليه الصلاة والسلام ولد مختونا ، فهو نقل كذب لا أصل له ، بل المسألة ، فيها أقوال عندنا ، فقيل ختن عند مرضعته حليمة السعدية ، وقيل ولد عليه الصلاة والسلام مختونا ككثير من الأنبياء عليهم السلام وككثير من سائر الناس الذين يوجدون مختونين أى صورته صورة المختون والذى عليه أكثر العلماء المحققين أنه ختنه جده عبد المطلب أى أمر بختنه يوم سابعه ، لأنها سنة توارثوها من ابراهيم واسماعيل لا بمجاورة اليهود كما يشير اليه فى حديث هرقل : « أرى ملك الختان قد ظهر » وصنع له مأدبة وسماه محمدا .

رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس . وقد ألف كمال الدين بن العديم كتابا مخصوصا فى هذه المسألة وبين فيه انه عليه الصلاة والسلام ختن على عادة العرب .

قال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد : « وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها . وأما حديث أنه ﷺ **ولد مختونا** فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات » انتهى .

فتبين لك كذب ما ادعاه « عبد المسيح » وأن دعواه كذب صريح .

وأما قوله : « وكذلك قال رسول الحق بولس » الخ

فاسمع شرح حاله مما قاله العلامة القرافى فى الأجوبة الفاخرة بما لفظه : « وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم : ان عيسى عليه السلام لما دعى بنى اسرائيل للايمان اجابه نفر يسير ، ثم رفع فاستحلى الناس كلامه ، حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل ، فكانوا يجاهدون فى بنى اسرائيل ، ويدعون للايمان ، فقام بولس (٣) اليهودى وكان ملكا فى بنى اسرائيل فهربهم وأخرجهم من الشام الى الدروب ، فأعجزوه . فقال بولس : ان كلام هؤلاء يستحلى ، وقد قدموا على عدوكم وسيردوهم الى ملتهم ويتكثرون علينا فتعاهدوننى على كل شىء خيرا كان أو شرا ، ففعلوا فترك ملكه وخرج اليهم ، وقد لبس لباسهم ليضلهم ، وقالوا الحمد لله الذى أمكن منك . فقال لهم اجمعوا أكابركم فانه لم يبلغ منى حمقى أن آتيكم الا ببرهان . فقال أكابرهم : مالك . قال : لقد لعننى المسيح عند منصرفى عنكم فأخذ سمعى وبصرى وعقلى ، فلم أسمع ولم أبصر ولم

---

(٣) وفى كتاب سنة سليمان فى أصول العقائد والأديان لنوفل النصرانى المؤلف سنة ١٨٧٢ أن بولس المذكور فريسى من قبيلة بنيامين وكان اسمه شاول وسمى أخيرا بولس ، وانه هو الذى أبطل الختان وأباح أكل جميع الدواب والوحوش .

أعقل ثم كشف عنى ، فأعطيت الله تعالى عهدا أن أدخل فى أمركم ، فأتيت لاقيم فيكم وأعلمكم التوراة وأحكامها ، فصدقوه ، وأمرهم أن يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا ليعبد الله ففعلوا ، وعلمهم ما شاء الله . ثم أغلق الباب فأطافوا به وقالوا : نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه ، ثم فتح بعد يوم فقالوا : رأيت ما تكرهه ؟ قال : لا . ولكنى رأيت رأيا أعرضه عليكم ، فان كان صوابا فخذوه ، وهو هل رأيتم سارجة تسرج الا من عند ربها ، وتخرج الا من حيث تؤمر بـــه ؟ قـــالوا نعـــم . قـــال : فانى رأيت الصـــبح والليل والشمس والقمر والبروج انما تأتى من ههنا . وذلك أحق الوجوه أن يصلى اليه قالوا : صدقت . فردهم عن قبلتهم ببيت المقدس الى الشرق المحض ، ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين ففزعوا أشد من الأول ، وأطافوا به ، ففتح الباب فقالوا : رأيت شيئا تكرهه ؟ قال : لا . ولكنى رأيت رأيا قالوا : : هات . قال : ألستم تزعمون أن الرجل اذا أهدى الى الرجل هدية فردها ، شق عليه ؟ قالوا : نعم . قال : ان الله تعالى سخر لكم جميع ما فى الأرض وما فى السماء ، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه ، فما بل بعض الأشياء حلال وبعضـــها حرام ؟ ما بين البقة الى الفيـــل حلال . قالوا : صدقت فاتبعوه فى اباحة المحرمات ، ثم أغلق بعد ذلك ثلاثة أيام ففزعوا أشد من الثانية ، فلما فتح لهم ، قال : انى رأيت رأيا . قالوا : هات . قال : ليخرج كل من فى البيت الا يعقوب ونسطور وملكون والمؤمن ، فقال : هل علمتم أن أحدا من الانس خلق من الطين خلقا ، فصار نفسا . قالوا : لا . فقال : هل علمتم أن أحدا من الإنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى ؟ قالوا : لا . قال : فانى أزعم أن المسيح هو الله تعالى ، تجلى لنا . ثم احتجب فقال بعضهم : صدقت وقال بعضهم لا . ولكنه ثلاثة والد وولد وروح القدس . وقال بعضهم : اله وولده . وقال بعضهم : هو الله تعالى تجسم لنا فافترقوا على أربع فرق . فأما يعقوب فأخذ بقول بولس ان الله تعالى هو المسيح ، وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية ، وأما نسطور فقال : المسيح ابن الله على جهة الرحمة ، وبه أخذت شيعته النسطورية ، الا أن شيعته لم يعتقدوا أنه ابن على سبيل الرحمة ، بل على ما تقدم ، وأما ملكون فقال : ان الله تعالى ثلاثة وبه أخذت شيعته ،

وهم الملكانية . فقام المؤمن وقال لهم : عليكم لعنة الله تعالى . والله ما جاول هذه الا لافساد دينكم ، ونحن أصحاب المسيح قبله وقد رأينا عيسى عليه السلام : ونقلنا عنه ، وانما هذا يضلكم .

فقال بولس للذين اتبعوه : وقوموا بنا نقاتل هـذا المؤمن ونقتله هو وأصحابه ، والا أفسد عليكم دينكم ، فخرج المؤمن الى قومه . وقال ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله . وكذا قال لكم ؟ قالوا : بلى . قال : فان هذا الملعون أضل هؤلاء القوم ، فركبوا أثرهم فهزموا المؤمن وأصحابه ، فخرجوا الى الشام فأسرتهم اليهود ، فأخبروهم الخبر ، وقالوا : انما خرجنا اليكم لنا من فى بلادكم وما لنا فى الدنيا من حاجة ، انما نلتزم الكهوف . والصوامع ونسيح فى الأرض ، فتركوهم ، ثم فعل بعض الذين كفروا مثل أصحاب المؤمن من الصوامع والرهبنة ، فهو قـوله تعالى : « ورهابنية ابتدعوها » الآية . وأدرك النبى ﷺ من أتباع المؤمن ثلاثين راهبا فاتبعوه . وماتوا على الاسلام وفيهم نزل قوله تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين » أى بالحجة وكانت هذه الواقعات بعد رفع المسيح بأربع سنين .

ثم لم يزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع قدم الى زمن الملك « قسطنطين » فيصر الروم بعد رفع المسيح عليه السلام بثمانين سنة أو أقل ، فكثر عدوه وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه ، وضعفهم وكسلهم عن نصرته ، فرام جمعهم على شريعة واحدة ، فأشار عليه أهل الرأى من دولته أن يتعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك أنسب لنصرته ، فوجد اليهود يذكرون فى تواريخهم أن رجلا جاءهم يدعى نسخ التوراة والانفراد بالتأويل فطلبوه وهو فى نفـر يسير ممن اتبعه ، فظفروا بواحد منهم وشهد رجل بأنفه هو المطلوب ، فأخذوه وصلبوه وله يحققوا أنه هو الا بكونه لم يوجد بعد ذلك . فحينئذ عهد قسطنطين الى من ينتسب الى دين المسيح عليه السلام فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم ، فاستخرج ما بقى من رسم شريعتهم المنسـوبة للمسيح عليه السلام وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما أعجبه منها وتحكم فيهـا

باختياره ، وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت ليتعبد قومه بطلب دم المصلوب ، وكترك الختان لأنه شأن قومه . ثم أكد ذلك بمنام ادعى أنه رآه فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه ، وقال رأيت أنى أنصر بهذا الشكل وأغلب الأمم أى بالصليب ، فأعظموا ذلك .

وفى زمنه كاهنة بعث اليها فقالت مثل ذلك . فتأكد قوله ومنامه ، ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل ، حتى غزا غزوة به فغلب ، فهول عليهم ووعظهم وبالغ فى ذلك ، فسألوه عن سر الشكل وألحوا عليه ، فقال لهم : أوحى الى فى نومى أنه كأن الله تعالى هبط الى الأرض من السماء فصلبه اليهود ، فهالهم ذلك كثيرا أيضا . فانقادوا اليه انقيادا حسنا . وتأكدت أسباب دولته ، وشرع هذه الشرائع التى بأيديهم اليوم وأكثرها .

ولعل أكثر ما فى الانجيل أو كثير منه من تلفيقات « قسطنطين » وهذه التواريخ لا ينكرها النصارى من حيث الجملة ، وأن أنكروا بعض تفاصيلها . ولا يقدروا أن يجحدوا محاربة « بولس » اليهودى ولا اجلاءهم من الشام . وكذلك رؤية قسطنطين .

وبولس هذا ، هو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد ، والمغير لمعالم شريعتهم ، والحال لنظام أحكامهم فى الختان وغيره ، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث . ومع ذلك فالنصارى فى غاية الاجلال ، وعلى رأيه فى غاية الاقبال . وكفى بهذه الثلاثة العظيمة فى دين النصارى خللا عظيما ، لم تترك لهم عقلا مستقيما ، ولا قلبا سليما .

وقد وقع فى كتبهم الفقهية تأويل للختان التزموا فيه على التوراة الباطل والبهتان . فقالوا : المراد بالختان فى التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب ، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفا . فغلوفة القلب هى المضرة واما غلفة اللحم فلا مضرة فيها ، بل الأحسن ترك الاختتان كما خلقها الله تعالى .

قال القرافى : « هذا نص كلام النصرانى . فانظر كذبهم على الله تعالى فى قولهم انه أراد غلوفة القلب . ولو كان صحيحا لبينة لموسى عليه السلام ، ولما فعل الختان يحيى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام ، الذين حكموا بالتوراة ولم يزالوا يأمرون بالختان ، لقوله سبحانه فى التوراة : « ليكون عهدى ميسما فى أجسادكم عهدا دائما الى الأبد » وثانيها : أنهم فهموا أحكام الله تعالى ورسل الله سبحانه حيث قالوا : لا منفعة فى ذلك ، مع أن الله تبارك وتعالى قد حكم به وبلغة رسله وعملوا به .

ثم انا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم فى قولهم لا فائدة فيه ، فمنها ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى فى الدار الآخرة . وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة . ومنها أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة فى النظافة ، ومع زوالها يتأتى ذلك . ومنها أنه الذ فى الجماع وأسرع لمجيء الشهوة . وقد تكسل الغرلة عن الانزال . ووجهه : أن رأس الحشفة أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد الانزال ، بل النعومة أصل فى هذا الباب .

ومنها أنه أسرع فى تدافق الانزال وانزعاج الماء لعدم الغلوف ، والغرلة تثبطه وتفتره واذا خرج فأنزل قلت اللذة ، وبعد عن محل التخليق فيبعد حصول الولد ، الذى هو أهم المقاصد فى النكاح ، استقياء للنوع الانسانى الشريف وتسببيا لايجاد من يوحد الله تعالى ويعبده . ومنها أوامر الله تعالى وطاعته ، خلع احسان وأيادى امتنان . وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها ولا يبقى لها أثر فى الوجود الا الختان ، فانه يبقى مخلدا فى الجسد الى الممات . وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقى الانسان على توجه الأمر الربانى عليه والاتابة والطاعة لديه ، وكفى بهذه المنتر شرفا للانسان على الأزمان ، واليها الاشارة بما تقدم من التوراة : « ليكون عهدى ميسما فى أجسامكم عهدا دائما على الأبد » فهذه خمس فوائد جليلة جهلها الأغبياء ، وشقى بتركها السفهاء . وثالثها : أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم وتابعوا الهوى والتحكم وتأولوا من غير حجة للتأويل ، ورفضوا النص الصريح فى التنزيل . وذلك هو التحريف والتبديل . ورابعها : ما كفاهم دفع كتاب الله عز وجل

حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله تعالى : فقالوا : والأحسن أن تترك الأجساد كما خلقت ، وتبقى كما برئت ، ولم يعلموا أن لله سبحانه حكما فى خليقته ، تدق على الأفكار ، وأحكاما أبدها مادام الليل والنهار ، فثبا لمجمع بحكم بعقله القاصر ، ويبطل ما أمرت به كتبه الأوائل والأواخر ، من غير دليل خفى أو ظاهر . وما هذا الا غاية الجهل والعناد ، واخترع شريعة لم ينزلها البارى سبحانه للعباد »

تتمة :

ولننقل لك من كتبهم ما يؤيد ما أسلفناه من حال بولس ، ومسألة الختان، ليزداد لك الحال وضوحا وتبيانا . قال مفسرهم الخورى فى أول تفسيره للرسائل فى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٤٣ مسيحية « **ترجمة القديس بولس الرسول** : مخرجه من سبط بنيامين ومولده طرسوس فينيقيا ، وقد كان لأهل « طرسوس » من « يوليوس قيصر » و « اغوسطينوس » حق الأهلية الرومانية ، لأن أهل « طرسوس » عاونوا الرومانيين فى الحرب ، فجعل لهم الملكان المذكوران حق الاهلية . وعليه كان بولس رومانيا مدنيا ، تعلم العلوم الرياضية فى مدينة « طرسوس » واما العلوم المذهبية فتلقاها فى « أورشليم » وكان فى الحرب فريسيا ، ولتوهمه أن النصرانية تلقى اليهودية وتنقضها ، حمل على اضطهاد النصارى ومقاومة المسيحيين ، فقاوم على رجم القديس اسطفانوس ، أول شهيد من المسيحيين ، واستكتب رئيس كهنة اليهود فى أورشليم رسالة الى مجمع اليهود فى الشام ليبيحوه أن يضبط كل من يجده هناك من المسيحيين ، فلما كان متوجها الى الشام ، صرح فى طريقه واستصرخ به المسيح من العلا : شاول شاول لماذا تضطهد فى ؟ فغشية العماء ولم يعد يبصر ، فقيد الى الشام وفيها أضافة رجل اسمه يهودا ، من طرسوس ، وأتاه حنانيا الذى كان قد كوشف من الله عن أمره فشفاه من عمائه وعمده ووضع عليه اليد . وذلك سنة ٣٤ أى بعد صعود المسيح بنحو سنة ، فانقلب يبشر بالمسيح هناك ، ثم فى « أرابيا » ثم عاد الى « دمشق » فتغاوى اليهود هناك على هلاكه ، فأفلت منهم

متدليا على السور ، وجاء الى « أورشليم » وفيها صادف الرسل وخاطبهم ، فأثبتوا تعليمه ، وصححوه أى شهدوا بصحته وصدقه ، لأنهم وجدوه مطابقا لتعليمهم ، ثم ذهب الى قبرص حيث عمد سرجيوس بولس الوالى سنة ٤٥ فدعى باسمه على ما قال بعضهم ، وهنالك أعمى نبيا يهوديا كاذبا لمقاومته له ومحاولته ازاحة الوالى المذكور عن ايمانه ، وفي سنة ٥١ حضر المجمع الأول فى أورشليم ثم انه حكم بأن الختان ليس بضرورى للشعوب ، لأن جملة ممن كان يتظاهر بالفضائلية من الرسل الكذبة يدعون للختان ، ويوجبونه على المؤمنين لحفظ رسوم الشريعة القديمة ، التى ألغاها المسيح ، وأعتق المؤمنين من عبوديتها ، ثم انه بعد ذلك بمدة ختن « طيموثاوس » وذلك ليكون طيموثاوس مقبولا عند اليهود ، فان بولس الرسول المذكور لما أراد أن يرسله الى اليهود ليعلمهم ، رأى ان اختتانه أبلغ ما يكون فى تحبيبه اليهم ، فختنه ، وانما كان لبولس هذا الخيار فى الختان ، من حيث ان الشريعة القديمة التى كانت قد ألغيت وأبطلت ، لم تكن وقتئذ محرمة ، بل كان يجوز حفظها فى مثل هذه الحالة المذكورة .

ثم ان بولس ذهب يتفقد الكنائس التى كان قد أنشأها فى « أرابيا الصغرى » وجال « سوريا » و « قيليقيا » ثم انه أخرج شيطانا من فتاة فجلد وحبس ، فارتجت الأرض وانحلت سلاسله .

ثم ان اليهود هاجت عليه ، فانهزم منهم الى « بيرا » ثم انه جال بعض البلاد وعمد من كان قد تعمد بمعمودية يوحنا ، وما برح يكابد اضطهادات مبرحة ومتاعب موجعة الى أن جىء به مقيدا الى رومية سنة ٦١ ، ثم فى سنة ٦٩ قطع رأسه فى رومية » انتهى باقتصار .

وتهافت هذا الكلام وتناقضه فى النقض والابرام لا يخفى على ذوى الفطن والأفهام . وقال بولس المذكور فى الأصحاح الخامس من رسالته الى أهل غلاطية فى ابطاله الختان ما لفظه : « لاننا نحن انما ننتظر رجاء البر ، بالروح الذى من الايمان ، لأن فى يسوع المسيح ليس الختان شيئا ولا الغرلة ، بل الايمان الذى يكمل بالحب » انتهى .

قال مفسرهم الخورى « يوسف » : « يبرهن فى هذا على أن المتهودين الذين يرومون أن يتبرروا من الناموس قد سقطوا من المسيح ودينه ، وما هم مسيحيون حقا ، لأن المسيحيين الحقيقيين يطلبون البر المرجو من ايمان المسيح ، ومن روح النعمة والمحبة الذى هو من الايمان لا من الختان وغيره من أعمال الناموس » أ.هـ باقتصار . وقال : فى رسالته الى أهل رومية : « طوبى للرجل الذى لا يحسب الله له خطيئته ، فهذه الطوبى الآن أللختان هى أم للغرلة ؟ اننا نقول : ان ايمان ابراهيم حسب له برا ، فكيف حسب له ؟ أفى الختان أم فى الغرلة ؟ ليس كان ذلك فى الختان ، بل فى الغرلة . وأخذ الختان سمة وختما لبر ابراهيم فى حالة الغرلة ليكون أبا لكل من يؤمن من أهل الغرلة ليحسب لهم الايمان برا ويكون أبا الختان لا للذين من أصل الختان فقط ، بل أيضا للمتبعين آثار ايمان غرلة أبينا ابراهيم » أهـ .

قال مفسرها الخورى : « اعلم أن الختان بالنظر الى ابراهيم كان علامة لثبوت ايمانه بولادة المسيح من زرعه ، وعلى ذلك قبل الختان فى عضو الزرع ، وأما من جهة الله فكان بمقام شهادة منه لابراهيم فى ايمانه . وقد شاء — تعالى اسمه — أن يبرر ابراهيم وهو أغلف ويجعل الختان علامة لايمانه كلفا بأن يكون أبا روحيا للامم الغلف ليحسب لهم ايمانهم بالمسيح بن ابراهيم للبر نظيره ويكون أبا أيضا لليهود أهل الختان ليكونوا أولاد اله لا باللحم والختان فقط ، ولكن بالايمان أيضا الموافق لايمانه بالمسيح ، على أنه لم يصر هو خليلا لله تعالى ومقبولا لديه الا بالايمان . كذلك اليهود فانهم لم يصيروا من أولاده الروحيين المحبوبين عند الله الا بايمانهم بالمسيح ، وكان الختان علامة الاقرار والايمان بالمسيح الآتى ، فختان اليهود الخالى من هذا الايمان ختان باطل » أهـ باقتصار .

ومن جميع ما نقلناه لك تعلم أن ترك الختان لم يكن فى زمن المسيح عليه السلام بل أبطله « بولس اليهودى » المذكور غشا للنصارى ، وأن بولس كان ذا مكر وخديعة ، وأضل النصارى بحيله وأكاذيبه التى منها

دعواه أنه عرج به الى السماء الثالثة كما صرح به فى رسائله . وأن قول عبد المسيح فى رسالته هذه : « ان سبب الختان كان لأجل دخول بنى اسرائيل فى مصر » لم يقله أحد من النصارى غيره ، وما ادعاه ظاهر البطلان وتبين لك أنهم أبطلوا قول الله تعالى فى التوراة أن الختان مكتوب عليهم الى الأبد فتفطن ولا تغفل .

وأما عروجه الى السماء الثالثة والفردوس فقد ادعاه فى الاصحاح الثانى عشر من رسالته الثانية الى أهل كورنثوس قال مفسرها الخورى ما لفظه : « وأما اختطافه الى السماء الثالثة فقد جرى فى السنة الثامنة بعد ايمانه فى السنة الرابعة والأربعين للمسيح ، وذلك حين أرسل هو وبرنابا الى أنطاكية لا فى الأيام الثلاثة التى أقام فيها بعد ما صرعه الدب فى سفره الى الشام ، أما ايمانه بالمسيح فكان فى السنة السادسة والثلاثين فيكون اختطافه أى عروجه بعد ايمانه بثمان سنين ، وأما من جهة اختطافه بالجسد والروح معا حدث أم بالروح فقط ؟ فلا يعلم هو حقيقة ذلك لأن عقله سبى وشغل بما رآه ، والهى بما كشف له من الوحى ، فمن المفسرين من ذهب الى أنه بالجسد وانتقل انتقالا مكانيا ، ومنهم من ذهب الى أن روحه بارحت جسده وسمع هناك أقوالا لا يحل لانسان أن يتلفظ بها » أ.هـ باقتصار .

فتأمل ما قلناه بقلب خال عن العصبية ، والله سبحانه الموفق لاتباع الشريعة الأحمدية صلى الله تعالى على صاحبها فى كل بكرة وعشية وسلم تسليما .

قوله : « لعلمنا أن من تغوط كان أحق أن يفيض عليه الماء » قد مر عليك فى هذا الكتاب ، وسلم عند ذوى الشرائع والألباب أن الأحكام التعبدية لا تعلل ولا يلزم علينا أن نعرف حكمتها وقد اعترف أيضا مفسروهم بذلك كما نقلناه لك أيضا فى غير هذا الموضع من كتابنا ، ما قاله الخورى فى تفسيره لرسالة بولس الأولى ، نمبر ٣ « أن بشارة الانجيل هى للطاعة لا للمجادلة ، ونحن مرسلون لبثها لا لبحثها ونشرها ، لا لاثبات سرها ،

على أن ما قاله الله تعالى حقيق بالقبول والامتثال دون بحث وجدال » أ.هـ

على أن الحكمة فى الاغتسال من الجنابة دون التغوط ظاهرة . والفرق بينهما جلى ، لأن المنى يخرج فى أزمنة قليلة بالنسبة الى خروج البول والغائط فلو وجب فيهما الاغتسال للزم الحرج على العباد ، وقد قال تعالى : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » ووجوب الاغتسال بعد الجماع وخروج المنى لحكم ، منها أداء لشكر هذه النعمة ، ومنها أن الانسان اذا اغتسل بعدهما تنشط أعضاؤه وتعود قوته ويذهب فتوره الذى حصل عند الجماع ، حتى أنه ربما يشتهى الجماع مرة ثانية ، ولو كان الأمر كما زعم عبد المسيح لما وجب الاغتسال فى شريعة موسى على الحائض ولجاز التقرب منها والنوم معها لزوجها ، مع أن الاغتسال واجب عليها والتقرب منها غير جائز فى شريعته (١) .

وقال العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه أعلام الموقعين : « ان ايجاب الشرع الغسل من المنى دون البول ، فهذا من أعظم محاسن الشريعة ، وما اشتملت عليه من الرحمة والحكمة والمصلحة ، فان المنى يخرج من جميع البدن ، ولهذا سماه الله تعالى سلالة ، لأنه يخرج ويسيل من جميع البدن . وأما البول فانما هو فضلة الطعام والشراب المستحيلة فى المعدة والمثانة ، فتأثر البدن بخروج المنى أعظم من تأثره بخروج البول . وأيضا : فان الاغتسال من خروج المنى من أنفع شىء للبدن والقلب والروح بل جميع الأرواح القائمة بالبدن فانها تقوى بالاغتسال والغسل يخلف عليه ما تحلل منه بخروج المنى . وهذا أمر يعلم بالحس . وأيضا : فان الجنابة توجب ثقلا وكسلا والغسل يحدث له نشاطا وخفة ، ولهذا قال أبو ذر رضى

---

(١) كان يجب على المؤلف أن يذكر هذا النص : « واذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجسا الى المساء . وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجسا الى المساء . والمرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بماء ويكونان نجسين الى المساء » (لاويين ١٥ : ١٦ — ١٨)

الله تعالى عنه لما اغتسل من الجنابة كأنما ألقيت عنى جبلا . وبالجملة : فهذا أمر يدركه كل ذى حس سليم وفطرة صحيحة ، ويعلم أن الاغتسال من الجنابة يجرى مجرى المصالح التى تلحق بالضروريات للبدن والقلب ، مع ما تحدثه الجنابة من بعد القلب والروح عن الأرواح الطيبة ، فاذا اغتسل زال ذلك البعد .

وقد صرح أفاضل الأطباء بأن الاغتسال بعد الجماع يعيد الى البدن قوته ويخلف عليه ما تحلل منه ، وأنه أنفع شىء للبدن والروح ، وتركه مضر ، ويكفى شهادة العقل والفطرة بحسنه ، على أن الشارع لو شرع الاغتسال من البول لكان فيه أعظم حرج ومشقة على الأمة ، ولمنع حكمة الله تعالى ورحمته واحسانه الى خلقه . وبالله التوفيق » أ.هـ

ثم اعلم أن هذا النصرانى يقبح الأحكام الالهية الثابتة فى الشريعة المحمدية والموسوية برأيه الفاسد واتباع هواه الذى هو بأس رائد فيحسن القبيح ويقبح الحسن . فأما الأول فتحسينه بأن يأكل الانسان ما يشتهيه من لحم الخنزير ودود الغائط وسائر الحيوانات والحشرات والنجاسات ، مع أن الله سبحانه حرمها عليهم فى التوراة . وأما الثانى فيقبح التطهر والاغتسال من الجنابة والتوضؤ للصلاة والاستنجاء من النجاسة ، مع أن الله عز وجل أوجب التطهر والاغتسال من الجنابة فى التوراة ، وشدد عليهم فى ذلك أكثر مما فى الشريعة المحمدية ، وعيسى عليه السلام لم يبطل أحكام التوراة على ما نقلوه عنه فى أناجيلهم أنه جاء مكملا (أى مصححا) لا مبطلا وناقضا . وقال متى فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيله ما لفظه : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : جلس الكتبة والفريسيون على كرسى موسى ، فكل ما قالوا ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه »

فحكم عليه السلام بأن كل ما قالوه يجب حفظه ، ولا شك أنهم قالوا برجوب حفظ أحكام التوراة التى فيها فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الأحبار (اللاويين) ما لفظه : « وأيما رجل خرجت منه جنابة ليغسل جسده كله بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ، وأى ثوب أو جلد

وقعت عليه النطفة ؛ فليغسل بالماء ، ويكون نجسا الى المساء ، واذا جامع الرجل المرأة فليستحما كلاهما بالماء ويكونان نجسين الى المساء ، والمرأة اذا كان بها حيض الدم وكان حيضها دما فى جسدها فلتجلس طامثة سبعة أيام ، وكل من يلمسها يكون نجسا الى المساء ، وكل شىء تنام أو تجلس عليه فى أيام حيضها فانه نجس ، ومن لمس فراشها فليغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسا حتى الليل ، فأبعد بنى اسرائيل عن النجاسة لئلا يموتوا فى نجاستهم ولا ينجسوا مسكنى الذى بينهم » أ.هـ باقتصار . وقد نقلناه فيما سبق ، فتذكر .

فاذا زعم المسيحى أن هذه الأحكام نسخها المسيح وأجاز عدم التطهر من النجاسة والجنابة والحيض ، فنقول : ان شريعتنا جاءت متوسطة خالية عن تشديد التوراة وعن تخفيف الانجيل كما قال تعالى : « جعلناكم أمة وسطا » فافهم .

تنبيه : الأعجب من ترك النصارى لهذه النصوص التوراتية ترك اليهود لها ، فقد سألت غير واحد من اليهود عن حكم الاغتسال من الجنابة والحيض عندهم فأجابوا أنهم الآن لا يغتسلون من الجنابة ، غير أن نساءهم يغتسلن عند تمام مدة الحيض فقط ، فاعترضت عليهم بهذه الأحكام التوراتية ، فأجابوا بأن بيت المقدس لما أخذ من أيديهم وخرب قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام تركوا الاغتسال من الجنابة بلا أمر الهى ، لأنهم فى حالة الحزن وهى لا يوافقها التطهر ، فقلت لهم : اذن ينبغى بزعمكم أن تترك المرأة الغسل من الحيض كما تركت الاغتسال من الجماع ، فبهتوا ولم ينطقوا ببنت شفة ، **فانظر الى هذا التحريف والتبديل واتباع الهوى والسفه** وأعجب بمن اتخذ الهه هواه ورهبانهم أربابا من دون الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

قوله : من اجتنب منا أكل لحم الخنزير لأن ذلك غير محرم عليه » الخ .
العجب من النصارى وتناقض أقوالهم ، فانهم ينقلون فى أناجيلهم عن

المسيح عليه السلام أنه قال : « لا يزول شيء من أحكام التوراة » وأنه جاء مكملا مع أن الخنزير محرم فى التوراة ، ويدعون عدم جواز النسخ ليتوصلوا بذلك الى ابطال نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، ثم يدعون أن حرمة أكل الخنزير منسوخة .

ولننقل لك هنا عبارة التوراة وما حرره النصارى عليها وما يتعلق بذلك من كلامهم ، ليتضح لك كيف لعب بهم مقدسهم بولس الذى ترجمنا لك حاله : ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر الأحبار المسمى بسفر اللاويين أيضا ما لفظه : « وكلم الله موسى وهارون وقال لهما : كلما بنى اسرائيل . وقولا لهم : الأنعام التى تحل لكم أن تأكلوا منها من جميع الأنعام التى على الارض كل الانعام المشقوقة الظلف وتقسمه ظلفين وتجتر كلوا منها الا هذه فلا تأكلوها مما تجتر ومما يشق الظليف : الجمل لأنه يجتر ولكنه لا يشق ظلفا فهو عليكم حرام » الى أن قال : « والخنزير لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين ولكنه لا يجتر فهو عليكم حرام ، فلا تأكلوا من لحم هذه البهائم ولا تمسوا لحومها لأنها نجسة محرمة عليكم » أ.هـ من النسخة المطبوعة فى الموصل بمطبعة الآباء الدومنكيين سنة ١٨٧٥ .

وقال محبيها ما لفظه : « قد ميز الله سبحانه بين الحيوانات لبنى اسرائيل وحرم عليهم أكل بعض منها لأسباب صوابية منها أن يعودهم على القناعة فى الأكل ، ومنها أن يمنع الأذيات الحاصلة من هذه الحيوانات النجسة التى أغلب أكلها مضر بعافية الجسد أو مهيجة للشهوة ، ومنها : أن يميزهم من سائر الأمم الذين كانوا يأكلون هذه الحيوانات فيبعدهم عن عبادتهم ورذائلهم ، ومنها : أن يكون لهم هذا التمييز الخارجى بين النجس والطاهر ، دليلا على دنس النفس بكسر وصايا الله وطهارتها بعمل الفضائل ولا يخفى أن نجاسة هذه الحيوانات التى حرمها الله على اليهود لم تكن جوهرية فى نفسها ، فكانت هذه الشريعة وقتية ، وقد نسخها المسيح اذ أعتقنا من عبودية التوراة ، فحلال لنا أن نأكل من لحم كل حيوان لا تأنف منه النفس ولا يضر بصحة البدن » أ.هـ

فما ادعاه « عبد المسيح » من سبب تحريم الخنزير لا دليل له . وقد اعترف غيره من النصارى أن من أسباب التحريم أن الخنزير ونحوه مما حرم على بنى اسرائيل انما كان لنجاسته وأن أكله مضر بمعافية الجسد ، وأما النسخ الذى ادعوه فلا دليل عليه أيضا ، بل تجويز أكل هذه النجاسات ونحوها لهم ، من جملة ما ابتدعه بولس اليهودى ، كما فصلناه لك غير مرة ، ومن المعلوم أن الخنزير انما حرم لأن الغذاء يصير جزء من جوهر المغتذى ، فلابد أن يحصل للمغتذى أخلاق وصفات من جنس ما كان فحاصلا فى الغذاء والخنزير ، مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى المشتهيات ، فحرم أكله على الانسان ، لئلا يتكيف بتلك الكيفية ، وهو بخلاف الشاة ، فانها حيوان فى غاية السلامة ، فكأنها ذات عارية عن جميع الأخلاق ، فلذلك لا يحصل للانسان بسبب أكل لحمها كيفية أجنبية عن أحوال الانسان وهذه العلة دائمة فى الخنزير ، فكيف يحله الله تعالى بعد ما حرمه ؟ وشاهد الوجود من أعظم الأدلة على ما ادعيناه ، وهو أنا نرى من يأكل ذلك تسلب منه الغيرة الانسانية ، ويتصف بصفات غير مرضية ، وربما يبتلى بعلل ردية ، كما هو مسلم عند كل منصف .

قوله : « لأن الله تعالى لم يخلق شيئا قبيحا » الخ

لا يخفى أن الله تعالى أحسن كل شىء خلقه ، كما قال سبحانه فى سورة السجدة من القرآن العظيم : « الذى احسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون » قال المفسرون فى الآية أوجه : **الأول** : معنى « أحسن » : حسن لأنه ما من شىء الا وهو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة ، فكل المخلوقات حسنة . **والثانى** : أن يكون ضمن « أحسن » معنى أعطى ، والمعنى أعطى كل شىء خلقه ، الذى خصه به . وهذا على قراءة اسكان اللام فى خلقه . **الثالث** : ان المعنى أتقن وأحكم خلق مخلوقاته ، فبعض المخلوقات وان لم تكن حسنة فى نفسها ، فهى متقنة محكمة ، فتكون هذه الآية معناها معنى «أعطى كل شىء خلقه» أى لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ،

ولا خلق البهيمة على خلق الانسان . وقيل هى عموم فى اللفظ خصوص فى المعنى» أى أحسن خلق كل شىء حسن . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أما رأيت القردة ليست بحسنة ، ولكنه أحكم خلقها . وعنه فى الآية . قال : أما ان امت القردة ليست بحسنة ، ولكنه سبحانه أحكم خلقها . وقال : « خلقه » صورته . وقال : أحسن كل شىء ، القبيح والحسن والعقارب والحيات ، وكل شىء مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك . وأخرج الامام أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد ، قال : أبصر النبى ﷺ رجلا قد أسبل ازاره فقال : « ارفع ازارك » فقال : يا رسول الله انى أحنف تصطبك ركبتاى . فقال : « ارفع ازارك كل خلق الله حسن » وقال بعض الافاضل ان الله تعالى خلق فى كثير من المخلوقات منافع ومضار ، فالحية ونحوها فيها من المنافع ما لا يعلم علمه الا الله تعالى ، وكذلك فيها من المضار الظاهرة ظهور الشمس فى رابعة النهار .

ويقال لعبد المسيح : هل الشيطان هو **من جملة المخلوقات حسن أم قبيح ؟** وكذا كثير من المخلوقات كالسم القاتل والنار والجحيم والعقارب والحشرات هل هى قبيحة أم حسنة .

قوله : « فالسبب فيه من ذينك اليهوديين »

لا يخفى عليك أن هذا كذب ظاهر لأن ابن سلام أسلم بعد الهجرة ، ووهب بن منبه ليس من الصحابة بل من التابعين ، ووفاته سنة أربع عشرة ومائة كما تقدمت لك ترجمته ، **فكيف يقال : انهما اللذان أفسدا ؟** فما هذا القول من النصرانى الا ترهات ، وتمويه على ضعفة العقول من أهل دينه ، فلا تغفل

قوله : « فأما خفض النساء » الخ .

فكلام ليس له أصل ولم نره فى العهد القديم ولا الجديد ، بل الذى فيهما أن ختان الذكور فرض على بنى اسرائيل الى الأبد ، وأن عيسى عليه السلام وآباءه الكرام كلهم ، اختتنوا ، كما نقلناه وبيناه لك غير مرة . وأما خفض النساء **اختتانهن — فلم نره فى العهدين . وما نقله من السبب**

فلم تر له أثر ولا عين . والخفض للنساء عندنا من الأمور المستحبة المستحسنة لا الواجبة .

قوله : « ان هاجر صارت الى بلد تهامة ، وفعلت بالنساء » للمقصد الذى زعمه .

فلا يخفى عليك أن هذا النصرانى يختلق لأحكام الشرائع أسبابا من تلقاء نفسه ، ليروج بها باطله ، والظاهر أن هذا من جملتها . ثم اعلم أنه لم تساعده نفسه لمآربه الخبيثة أن يصرح بأن هاجر رضى الله تعالى عنها صارت الى مكة المعظمة ، بل قال الى تهامة ، لأن تهامة كما فى القاموس بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض معلومة لا بلد .

وفى سفر التكوين من التوراة عند ذكر أحوال سيدنا ابراهيم عليه السلام وهاجر أنها لما أخذت اسماعيل عند ما طلبت سارة اخراجه « فخرجت به وتاهت فى البرية ووضعته تحت شجرة ومضت وجلست بعيدا عنه ، لئلا ترى موته ، فناداها الملك : أن قومى وخذى الصبى فانى أجعله لشعب عظيم ، ففتح الله عينيها ، فنظرت بئرا من ماء ، فملأت السقاء ، وسقت الصبى ، وكان الله معه ، ونمى وسكن برية فاران » انتهى من الاصحاح الحادى والعشرين . وفاران هى مكة كما أثبتناه لك فيما سبق ، والبئر هى بئر زمزم كما هو معلوم غير أن النصرانى أتى بلفظ تهامة لأن قلمه لم يساعده على التصريح بأن هاجر سكنت فى مكة التى تسمى فى التوراة فاران ، لأن فيها ان النبوة والشريعة تظهر من فاران ، فاذا قال ان هاجر صارت الى فاران أو الى مكة يخشى أن يستدل عليه حينئذ بما ورد فى التوراة لنبوة نبينا محمد ﷺ « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره » وتفصيل مجيىء سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى مكة المشرفة وتعميرهما البيت وصيرورة مكة بلدا مشهورا مدون فى الكتب التفسيرية والتاريخية ، ولعلنا نذكره فى محل آخر ان شاء الله تعالى . والله سبحانه الموفق .

***

قال النصرانى : « وأما دعواك لى بالحج الى بيت الله الذى بمكة ورمى الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام ، فسبحان الله ما أعظم هـذا الكلام ، لقد جئت بأمر فرى ، كأنك تكلم صبيا أو تخاطب غبيا أو تجـادل عييا ، فليت شعرى أليس هو الموضع الذى عرفناه جميعا حق معرفته ، ووقفنا على أصول أسبابه ؟ وكيف كانت القصة فى ثباته ؟ وكيف جرى أمره الى هذه الغاية ؟ أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذى يسمونه النسك بأصنامهم بالهند ، فانهم يفعلون فى بلدهم هذا الفعل بعينه الذى يفعله المسلمون اليوم ، من الحلق والتعرى الذى يسـمونه الاحرام ، والطواف ببيوت أصنامهم الى هذا الوقت على هذه الحالة ، فلم تزد عليه أنت شيئا ولا نقصت منه ذرة ، فانك أخذته بذلك الفعل الذى سـميته السـك متمسكا بتلك العادة محتذيا تلك السبل ، الا أنك تفعله فى السنة مرة واحدة فى وقت مختلف ، وأولئك يفعلونه فى السنة مرتين فى دفعتين معروفتين عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الربيع ، وفى دخولها أول دقيقة من الميزان وهو الخريف ، ففى الأول لدخول الصيف ، وفى الثانى لدخول الشتاء ، فهم يضحون كما تضحى أنت ، وينسـكون كنسكك لأصنامهم وانذارهم ، فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وأفعالك تلك الأعجوبات . وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال فى قديم الزمان منذ بنت هذا البيت ، فلما جاء صاحبك بالاسلام لم نره زاد فى هذه الأفعال ولا نقص منها شيئا ، غير أنه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤنة جعله حجة واحدة فى السنة ، وأسقط من التلبية ما كان فيه شناعة والقصة هى تلك القصة بعينها التى تفعلها الشمسية والبراهمة ببلاد الهند الى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها . وأنى لاستصوب قولا لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال : « والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضران ، ولكنى رأيت رسول الله يقبلكما ، فأنا أقبلكما كذلك » فان كان الرواة الصادقون رووا هذه الرواية عنه ــ كذبوا عليه أو لم يكذبوا ــ فقد صدقوا فى ما حكوه عن هذين الحجرين ، وان كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك ، فلقد قال قولا

حقا ، فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق .

فاما ما يريد العائب أن يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرى ويعدو ، ويرمى بالجمرات ، فهذا فعل من قد غرب عقله ، وأنكر فهمه ، ومن يتخبطه الشيطان ، فقد نجد مساغا للعيب وموضعا للثلب . ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم ، وقلنا : انما يفعلونه من جهة التعبد وليس فى التعبد عيب ، فأجابنا : أن الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنعة التى تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل ، بل السنن التى يستحسنها العقل ويفضلها — أعنى السنن الواضحة التى ارتضاها الله وفرضها على عباده — أن يدينوا له بها ويتقربوا باقامتها اليه ، والا فما انكاركم على المجوس الأنجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والاخوات وتطهرت بالبول المعتق ، وأوقفت النساء أمام الوابذة حتى ينضحوا البول المعتق على فروجهن بعد الولادة . فان كان هذا قبيحا فى التعبد ، فما انتم فاعلوه من الحلق والتعرى والرمى بالحجارة والهرولة أقبح ، وأقبح من هذا كله : ما جاء فى ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلا آخر يسمى الاستحلال ، وان يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك هذا ، وقد يكون لها أولاد رجال نبل وبنات نساء كبار ذوات بيوت ، والزوج الذى له الشرف النفيس والحسب الخطير ، وتكون هى المرأة النبيلة فى قومها المشار اليها فى عشيرتها البهية فى أهلها ذات المجد والبيت الرفيع ، فهذا أقبح وأشنع من فعل المجوس الأقذار الأنجاس ، وان كان ذلك فى غاية القبح والقذارة والنجاسة ، فهل ترى — أصلحك الله ورضى عنك — أن تدعونى الى مثل هذا الذى تستشنعه البهائم وتستقبح فعله ؟ فانى أظن بغير شك أنها لو سئلت فاذن لها فى النطق لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشناعها اياها وأعلمتنا — لو أجبنا الى دعوتك — أنا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا . وأعوذ بالله أن أكون من القوم الظالمين » انتهى .

فأقول : انا نذكر لك أولا مما ورد فى الكتب السماوية من ذكر « مكة » زادها الله تعالى شرفا ، ثم نرجع الى رد كلماته أيضا بتوفيقه

سبحانه واعانته فمن ذلك ما فى الاصحاح الرابع والخمسين من كتاب اشعياء بشيرا الى مكة زادها الله تعالى شرفا ، ما لفظه : « اسبحى أيتها العاقر التى لست تلدين ، أنشدى بالحمد ، وهللى التى لم تلدى من أجل أن الكثيرين من بنى الوحشة أفضل من بنى ذات رجل ، يقول الرب . أوسعى موضع خيمتك وسرادق مضاربك أبسطى ، لا تشفقى طولى حبالك ، وبنى أوتادك لأنك تفذين يمنة ويسرة ، وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة ، لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلين فانك لا تستحين ، من أجل أنك تنسى صبائك تنساه ، وعارية ملك لا تذكرين أيضا ، فانه يتولى عليك الذى صنعك رب الجنود اسمه وفاديك قدوس اسرائيل الله جميع الأرض يدعى ، انما الرب دعاك مثل امرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ الصبا مرذولة ، قال الهك لساعة فى قليل تركتك ، وبرحمات عظيمة أجمعك فى ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهى عنك ، وبالرحمة الأبدية رحمتك قال فاديك الرب ، مثلما فى أيام نوح لى هذا الذى حلفت لـه أن لا أصب مياه نوح على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ، وأن لا أوبخك ، فان الجبال ترتجف والتلال تزلزل ورحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتحرك ، قال رحيمك الرب . فقيرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية ها أنا ذا أبلط بالرتبة حجارتك وأؤسسك بالسفير وأجعل يسبا محاصنك وأبوابك حجارة منقوشة وجميع حدودك لأحجار مشتهية ، جميع بنيك متعلمين من الرب ، وكثرة السلام لبنيك ، وبالبرتؤسسين ، فابتعدى عن الظلم لأنك لا تخافين ، ومن الهيبة لأنا لا نقرب منك ، ها يأتى الحار الذى لم يكن معى ، والذى قد كان قريبا يقترب اليك ها أنا ذا خلقت صائغا الذى ينفخ فى النار جمرا ، ويخرج اناء لعمله ، وأنا خلقت قتولا للاهلاك كل اناء مجبول ضدك لا ينجح ، وكل لسان يخالفك فى القضاء تحكمين عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب ، وعد لهم عندى يقول الرب » انتهى بحروفه .

ولا يخفى عليك أن المراد بالعاقر « مكة المعظمة » لأنها لم يظهر منها نبى بعد اسماعيل عليه السلام ، ولم ينزل فيها وحى بخلاف «أورشليم»

لأنه ظهـــر فيها الأنبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحى . والمراد ببنى الوحشة أولاد « هاجر » لأنها بمنزلة المطلقة المخرجة من البيت ساكنة فى القبر ، ولهذا ورد فى حق اسماعيل فى وعد الله تعالى هاجر : « هذا سيكون انسانا وحشيا » كما هو مصرح به فى الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين . وقوله : « من بنى ذات رجل »أراد به أولاد « سارة » فخاطب الله تعالى مكة آمرا لها بالتسبيح والتهليل والاتيان بالشكر الجزيل ، لأن كثيرين من أولاد « هاجر » صاروا أفضل من أولاد « سارة » فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها . ووفى سبحانه بما وعد بأن بعث نبينا محمدا ﷺ رسولا أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها فى أولاد هاجر وهو المراد بالصائغ الذى ينفخ فى النار جمرا ، وهو القتول الذى خلق لاهلاك المشركين ، وحصلت لها الوسعة بواسطة هذا النبى الأمين ﷺ ولم يحصل لغيرها من المعابد ما حصل لها ، اذ لا يوجد فى الدنيا معبد مثل الكعبة المكرمة من ظهوره عليه الصلاة والسلام الى هذا الوقت ، بل والى الأبد والتعظيم الذى يحصل لها من القرابين فى كل سنة من مـــدة ألف وثلثمائة سنة لم يحصل لبيت المقدس الا مرتين ، مرة فى عهـــد سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ، ومرة فى السنة الثامنة من سلطنة يوشيا .

ولا شك أن هذا التعظيم باق بحوله تعالى الى آخر الدهر كما وعد سبحانه بقوله : « لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلين لأنك لا تستحين » وبقوله : « برحمات عظيمة أجمعك وبالرحمة الأبدية رحمتك » وبقوله : « حلفت أن لا أغضب عليك ، وأن لا أوبخك » وبقوله : « رحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتحرك » وملك زرعها شرقا وغربا وورثوا الأمم وعمروا المدن فى مدة قليلة ، لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة ومثل هذه الغلبة فى مثل هذه المدة القليلة ، لم يسمع من عهد آدم عليه السلام الى زمان نبينا المصطفى ﷺ لمن يدعى الدين الجديد . وهذا مفاد قول الله سبحانه : « وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة » وسلاطين الاســـلام سلفا وخلفا اجتهدوا اجتهادا تاما فى بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما

وحفر الآبار والبرك والعيون فى مكة المكرمة ونواحيها ، ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان — أدام الله تعالى دولتهم الى آخر الدوران ، وغفر لأسلافهم ووفقهم للعدل والخير الدائم مدى الزمان — فكم وكم لهم من خدمة فى الحرمين المعظمين ، وتعمير شيد للمسجدين المحترمين ، حتى جعلوا خادم الحرمين الشريفين لهم لقبا ، وبنوا فيهما أبنية جسيمة وآووا فيهما من الطائفين والعابدين والزائرين الغرباء فجاور الناس وحجوا ، وقصدت البيت فى كل سنة ألوف من الأنام وثجوا ، وأتته من أقاليم مختلفة برا وبحرا ومشرقا ومغربا وشمالا وجنوبا ، منهم الراكب ومنهم الماشى على قدميه ، لا يشكوا ألما ولا تعبا . وهذا مطابق لقوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ووفى الله عز وجل أيضا بما وعد فى قوله : « كل اناء مجبول بضدك لا ينجح » وقد شوهد مرارا أن من قصدها بسوء من المخالفين أذله الله تعالى ، وخيب قصده كما ذكرنا لك فى كتابنا هذا ، من حال أصحاب الفيل الذين أرسل عليهم طيرا أبابيل ونحو ذلك مما نخشى بذكره التطويل .

وقد ورد من الاخبار فى الكتب السماوية نحو هذا شىء كثير ، فاستدل على الوافر بالقليل « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

ففى الاصحاح الثانى والاربعين من سفر أشعياء فى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٢ ما لفظه : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه ، فيخرج الحق للأمم لا يصرخ ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفىء الى الأمان يخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر ، حتى يضع الحق فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ، أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك ، وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس

المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ، أنا الرب هـذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحى للمنحوتات . هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها ، قبل أن تنبت أعلمكم بها .

غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ، لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديـار التى سكنها قيدار ، لترنم سكان سالع من رءوس الجبال ، ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ، الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه ، قد صمت منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة أصيح أنفخ وأنخر معا اخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها ، ولاجعل الأنهار يبسا وأنشف الآجام وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها فى مسالك لم يدروها ، أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة ، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم ، قد ارتدوا الى الوراء يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات : أنتن آلهتنا أيها الصم اسمعوا أيها العمى انظروا لتبصروا ، من هو أعمى الا عبدى ، وأصم كرسولى الذى أرسله ، من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب ناظر كثيرا ولا تلاحظ ، مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب ، قد سر من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمها ، ولكنه شـعب منهوب ومسلوب قد اضـطهد فى الحفر كله ، وفى بيوت الحبوس اختبأوا ، صاروا نهبا ولا منقذ ، وسلبا وليس من يقول رد ، من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد ، من دفع يعقوب الى السلب واسرائيل الى الناهبين ، ألس الرب الذى أخطأنا اليه ولم يشاءوا أن يسلكوا فى طرقه ولم يسمعوا لشريعته ، فسكب عليه حمو غضبه وشدة الحرب ، فاوقدته من كل ناحية ولم يعرف وأحرقته ولم يضع فى قلبه » انتهى جميع الاصحاح بحروفه .

ولننقله أيضا من النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ على النسخة المطبوعة فى رومية سنة ١٦٧١ لتتضح لك بعض ألفاظ النسخة المتقدمة ، وتعلم أن كتب العهد القديم والجديد ، كيف غيرت وحرفت ، وأنهم لم يكتفوا

بذلك ، حتى حرفوا كل نسخة طبعت أو تطبع ، وأنهم لا يزالون فى كل طبع ، يغايرون الطبع المتقدم ، بحيث أنه الآن لا توجد عندهم نسختان متفقتان وهذا دينهم وشنشنتهم فى كتبهم .

ونص هذه النسخة بحروفها هو هذا : « ها هوذا عبدي ، فاقبله مختاري سرت به نفسي ، أعطيت روحي عليه ، يخرج القضاء للأمم لا يصرخ ولا يحابى بشخص ، ولا يسمع صوته خارجا القصبة المرضوضة لا يكسرها والكتان المدخن لا يطفئه ، بالعدل يخرج القضاء لا يكون حزينا ولا متعبسا ، حتى يجعل فى الأرض القضاء وشريعته تنتظرها الجزائر ، هكذا يقول الرب الاله خالق السموات وباسطها مثبت الأرض وبانيها معطى النسمة للشعب الذى عليها ، ومعطى الروح للساكنين فيها . أنا الرب دعوتك بالعدل ومسكت بيدك وحفظتك وجعلتك عهدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيون العمى وتخرج من الحبس المسجون من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ، أنا الرب هذا هو اسمى كرامتى لا أعطيها لغيرى ، ومدحى للمنحوتات التى قد كانت » .

أولاها قد أتت . وأنا مخبر أيضا بالأحداث قبل أن تحدث ، واسمعكم اياها ، سبحوا للرب تسبيحة جديدة ، حمده من اقاصى الأرض راكبين فى البحر وملؤه الجزائر وسكانهن ، يرتفع البرية ومدنها فى البيوت ، تحل قيدرا سجوايا سكان الكهف ، من رءوس الجبال يصيحون . يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به فى الجزائر ، الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة بصوت ويصيح على أعدائه يتقوى سكت دائما صمت صبرت صبرا فأتكلم مثل الطالقة أبدد وابتلع معا أخرب الجبال والآكام وكل نباتهن ، أجفف وأجعل الأنهار جزائر والبحيرات أجففهن ، وأقيد العمى فى طريق لم يعرفوها والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها . أصير أمامهم الظلمة نورا والعقب سهلا . هذا الكلام صنيعة لهم ، ولم أخذلهم اندبروا الى ورائهم فلينخزوا خزيا المتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة : أن أنتم آلهتنا يا أيها

الصم فاسمعوا ، أيها العمى انظروا لتروا من هو أعمى الا عبدى ، ومن أصم الا الذى أرسلت رسلى اليه ، من أعمى الا المبيوع ، ومن أعمى الا عبد الرب أيها الناظر الأشياء الكثيرة ألست أنت حافظا يا صاغى الآذان ، ألست تسمع والرب أراد أن يطهره ويعظم الشريعة ويرفع ، فأما هو شعب منتهب ومخرب فخ الشبان جميعهم ، واختفوا فى بيوت السجون صاروا نهيبة وليس من ينقذ وللغنيمة ، وليس من يقول رد من هو بينكم أن يسمع هذا يصغى ويسمع الآتية من أعطى يعقوب غنيمة واسرائيل للنهب ؟ أليس الرب بذاته الذى أخطئنا اليه ولم يريدوا يسلكوا بطرقه ، ولم يسمعوا لشريعته ، فصب عليهم سخط رجزه وحربا شديدا وأحرقه كما يحوط به ولم يدرى وأوقده ولم يفهم » انتهى بحروفه .

وفى انجيل متى زاعما أن هذا الاصحاح مبشر فى المسيح ، وناقلا هو ومفسرهم الخورى عنه أن من جملة عبارته : « ها هو ذا عبدى » وفى الكلدانية : « ها هوذا المسيا » وقرأت اللاتينية : « فتاى الذى ارتضيت به وحبيبى الذى تاقت اليه نفسى أضع روحى عليه ، ويبشر الأمم بالحكم لا يماحك ولا يصيح ولا يسمع أحد صوته فى الشارع(١) ، قصبة مرضوضة لا يكسر وسراجا مطفطفا لا يطفىء حتى يخرج الحكم الى الظفر » وقرأت العبرانية : « حتى يبرز الحكم الى الحق وعلى اسمه تتكل الأمم » وفى العبرانية « الجزائر » انتهى .

فانظر كيف اختلفت عبارات الانجيل أيضا عما هو محرر فى أشعياء مع أنه نقل عنه . وانظر هداك الله تعالى الى نور الايمان كيف غيرت النصارى كتبهم ، واختلفت نسخهم وتصرفوا فى الألفاظ والمعانى ، فأما الألفاظ فقد رأيتها . وأما المعانى فحملهم لها على أنها بشارة بالمسيح ، مع أنها دالة على البشارة بنبينا عليه السلام ابن اسماعيل الذبيح ، واخبار بأنه المبعوث الى كافة الناس وأن « مكة » ستكون محل الحج بلا التباس ، وأن « المدينة » سيسكنها الموحدون الأكياس ، كما سيظهر ذلك هنا بحوله تعالى أتم

---

(١) الاصحاح الثانى والاربعين من سفر اشعياء .

الظهور ، وينقشع بنور الفجر الصادق ظلام الديجور ، فاستمع ما يتلى عليك من البراهين بعون الله الواحد المعين .

البرهان الأول : ان متى ان صح عنه أنه كتب هذا مستشهدا به على البشارة بالمسيح عليه السلام فهو انما بعد رفع المسيح قبل بعثة نبينا ﷺ ولما بعث عليه الصلاة والسلام تبين فساد ظنه وخطأ فكره لأن الاناجيل كما عرفته مرارا ألفت بعد المسيح ، وتعدد مؤلفوها وتناقض مصنفوها ، وكثرت اكاذيب جامعيها كما اتضح ذلك مرارا ، فعلى هذا لا يلتفت الى قول متى الانجيلى أن هذه البشارة تومىء الى عيسى عليه السلام .

البرهان الثانى : ان هذه الأوصاف لا تطابق أوصاف المسيح بل كثير منها مضاد لاوصافه ، فمن ذلك أن النصارى يزعمون أنه هو الله تعالى بذاته ، وليس هو غير الله — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا — فكيف « هوذا عبدى » ؟ فلابد وأن يكون هذا النبى المبشر به عبد الله ، والمسيح ليس بعبد ، بل هو الله بزعمهم ومن ذلك قوله : « لا يسمع فى الشارع صوته » فذلك لا يوافق قول النصارى أن المصلوب صرخ صرخة عظيمة فى ذلك المجمع العظيم . ومن ذلك قوله : «قصبة مرضوضة لا يقصف » الى آخره ، فهو أيضا لا يوافق قول النصارى ، أنه قتل وصلب ، فأى رض وقصف أعظم من القتل ؟ فقد وقع عليه الكسر الذى ليس له جبر ، وكذلك أغلب رسله ومن ذلك قوله « وأحفظك » فأى حفظ حصل له بزعمهم ، وقد كان يتخفى وينهزم من مخافة اليهود أن يقتلوه ، حتى أوقعوا به ذلك بزعمهم ومن ذلك قوله : « وعلى اسمه تتكل الأمم » وهذا لا يوافق قول المسيح كما فى الاصحاح الخامس عشر من متى : « لم أرسل الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » وهم ليسوا بأمم بل أمة واحدة . وفى هذه الكلمات أشياء أخر لا تطابق أوصاف المسيح عليه السلام لا تخفى على ذوى الأفهام .

البرهان الثالث : أن هذه الأوصاف تطابق أوصاف نبينا عليه الصلاة والسلام لا محالة فمن ذلك قوله : « عبدى » فهو عبد الله ورسوله ، قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الأقصى » ومن ذلك قوله « أعضده » فقد قال تعالى : « ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه : « لا تحزن ان الله معنا » ومن ذلك قوله « مختارى » فقد قال عليه الصلاة والسلام « فاختارنى منهم » كما سيأتى تمامه . وقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » أى مختارا من أحسنكم ومن ذلك قوله : « سرت به نفسى » يتبين منه أنه هو غير نفسه ، حتى تسر نفسه . وعند النصارى المسيح نفسه . فكيف تسر النفس بنفسها اذ السرور غير المسرور ومن أجله كما لا يخفى . ومن ذلك قوله : « أضع روحى عليه » هو جبريل عليه السلام فانه هو المبلغ له الأحكام عن الملك العلام والمعاضد الناصر له فى الزحام ، قال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها » وقوله تعالى : « وأيده بجنود لم تروها » ومن ذلك قوله : « يخرج القضاء للأمم » فيه صراحة بأن هذا المبشر به نبى لجميع الناس ، وانه حاكم قاض بلا التباس ، فان نبينا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وقاضيا ، قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » والمسيح عليه السلام قال : « لم أجىء قاضيا » لما أراد المحاكمة عنده خصمان من بنى اسرائيل ، كما تقدم لك نقله . وقال : « انى لم أرسل الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » كما مر عليك نقله ومن ذلك قوله : « لا يصرخ » الى آخره . فقد كان عليه الصلاة والسلام متصفا بهذه الأوصاف كما أجمعت عليه أصحاب الشمائل **والمحدثون وأهل الأخبار** كما هو مفصل فى جميع الاسفار ، والمسيح قد صرخ بزعم النصارى على الخشبة صراخا عظيما ، فنال عذابا أليما . وقوله : « شريعة تنتظرها الجزائر والأمم » مما أثبتناه مرارا عديدة فى البشارات عنه ﷺ التى فى التوراة والانجيل ، ولا سيما أن أهل الجزائر كجزيرة العرب وغيرها كانت تنتظره ، قال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » وقال تعالى : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وهو « الفيرقنيط » كما

أوضحناه لك فيما سبق . وقال تعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها به الأنبياء

وقوله : « نور الأمم » الى آخره لا يحتاج الى بيان ، لظهوره والله يهدى من يشاء لنوره . ولما كانت أغلب الأمم تعبد الأصنام وغيرها ، وهم فى ظلمة الشرك والكفر ، كان عليه الصلاة والسلام نورا مزيلا لذلك الظلام ، والقرآن أيضا نور تهتدى به الأنام على مدى الأيام .

كنت نورا وكان ثم عماء ونبيا وليس طين وماء

وقوله « اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر » دليل ظاهر على عدم كون هذه البشارة بالمسيح لأنهم يزعمون فى أمانتهم أن عيسى هو الله فقد أعطى اسم الله ومجده كما يزعمون ذلك بقولهم : « ان الابن مساو له » وقوله : « ولا تسبيحى للمنحوتات » هذا أيضا ينافى ما تفعله أكثر فرق النصارى من سجودهم للصليب المنحوت ، ولمريم كما قدمناه لك ، فتذكر وقوله : « والحديثات أنا مخبر بها » أى الأشياء التى ستأتى كنبوة محمد ﷺ أخبركم بها قبل كونها ، وغير ذلك من المغيبات ، قال تعالى : « عالم الغيب والشهادة » وقوله « سبحوا للرب تسبيحة جديدة » وهم المسلمون آمنوا بالله وأذنوا للصلوات الخمس فى كل يوم فى مساجدهم ، وفى سائر بقع الأرض وكبروا وهللوا وسبحوا ، وحمدوه من أقاصى الأرض وأتوا الى مكة برا وبحرا ملبين مسبحين مكبرين مصلين ذاكرين الله تعالى فى كل جبل وسهل ، قال تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » وقال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك » الآية . وقال سبحانه أيضا حكاية عنه : « عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة » وقوله : « الديار التى سكنها قيدار » ظاهر فى أن هذه بشارة بالنبى ﷺ فان قيدار المذكور ابن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كما فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين . وكونه كان فى الحجاز ومكة أمر مسلم عند كل خبير بالكتب السماوية والتاريخية وهو جد النبى ﷺ ومنه تولد . وليس لهذه البشارة مماسة

بعيسى عليه السلام بوجه من الوجوه ، لأنه ليس من أولاد قيدار بن اسماعيل بل من أولاد اسرائيل بن اسحاق كما هو مسلم عند الجميع . وقوله: « لترنم سكان سالع » الى آخره ظاهر أيضا فيما ادعيناه ، فسلع كما فى القاموس وغيره جبل بالمدينة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وحبل لهذيل . وقد رأيت كيف حرفها صاحب النسخة الثانية بقوله « يا سكان الكهف من رءوس الجبال » ومع تحريفه فهى أيضا ظاهرة الدلالة ، فأى اهل ملة يكبرون الله تعالى ويوحدونه فى آذانهم ويلبونه من رءوس الجبال ، ويصلون فى كل أرض ؟ ولو لم يكن كنيسة ومعبد غير المسلمين . وهذا جبل عرفة تأتيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها فيكبرون الله تعالى عليه ويصلون له ويدعون ويستغفرون فتبين بهذه البشارة بأن بعثة النبى عليه الصلاة والسلام تكون فى مكة والمدينة ، وأن دعوته تعم مشارق الأرض ومغاربها ، وأن رسالته عامة فكان كذلك ، وبقى فى ألفاظ هذه البشارة ما لا يخفى عليك الاستدلال به على المقصود ، وانما ذكرناه لك بطوله ، لتعلم ما فى نسخهم من التبديل والمخالفات وتعرف بعض ما قال أنبياء بنى اسرائيل فى حق اليهود والله سبحانه وحده هو المعبود والمقصود .

تتمة :

بعد أن حررت هذا الاصحاح من النسختين والانجيل رأيت العلامة القرافى المتوفى سنة ٦٢٢ هجرية قد حرر شيئا منه **فى كتابه الأجوبة الفاخرة . ولنذكره لك** لتزداد اطلاعا على تحريفهم وخبرة بأنه نص فى البشارة بنبينا المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم قال « البشارة الثلاثون : قال أشعياء عليه السلام فى نبوته منبها على محمد عليه الصلاة والسلام : « عبدى الذى يرضى نفسه أعطيه كلامى ، فيظهر فى الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يصخب ، يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الميتة ، وما أعطيه لا أعطيه غيره ، أحمد يحمد الله تعالى حمدا جديدا ، يأتى من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها ، ويوحدون الله تعالى على كل شرف ويعظمونه على كل رابية ، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى ، ولا يذل الصالحين ،

الذين هم كالقصب الضعيف ، بل يقوى الصديقين المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفىء أثر سلطانه على كتفه » وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جدا . **منها** : الاشارة الى كونه أفضل الرسل بقوله : « عبدى الذى يرضى نفسى » وهذه صيغة حصر كقولك : الله حسبى ، هو الذى يرزقنى أى لايرزقنى غيره . **ومنها** : الاشارة الى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى الى جميع الثقلين ، بقوله : « أعطيه كلامى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا » وهذا لم يكن قط الا لمحمد عليه الصلاة والسلام . **ومنها** : أن الله تعالى ينشر هديه وييسر على الأمم اجابته وتصديقه ، لقوله: « يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيى القلوب الميتة » وهى صيغة عموم وشمول فى جميع الخلائق ، ولم يتفق ذلك الا لمحمد عليه الصلاة والسلام . **ومنها** : أن شريعته أفضل الشرائع وكتابه أفضل الكتب وأمته خير الأمم لقوله : « وما أعطيه لا أعطيه غيره » **ومنها** : التصريح باسمه أحمد كما صرح باسمه محمد قبل هذا ، ولم تكن هذه الأسماء لغيره عليه السلام ومنها أن مكة: أشرف الأرض لقوله : « يأتى من أفضل الأرض » وقد تعين أنه أحمد فتكون أفضل الأرض مكة . **ومنها** : أنه «تفرح به البرارى والقفار وسكانها » وهذه الصفة لم تكن لغير العرب ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله تعالى الا محمد ﷺ فيكون هو المقصود . **ومنها** : أن هذه الرسالة تقتضى عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف ، وهو من خصائص هذه الأمة فان الأمم قبلها لا يصلون الا فى البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة وأذنت وسبحت وهللت ، فتكون هذه الأمة هى الموعود بها . **ومنها** : أن دينه يدوم الى يوم القيامة لقوله : « وهو نور الله الذى لا يطفأ » **ومنها** : أن بكتفيه علامة نبوته لقوله : « اثر سلطانه على كتفه » ولم يكن على كتف أحد علامة نبوة الا محمد عليه الصلاة والسلام فهو المبشر به .

فهذه عشر علامات من أشعياء عليه السلام لا يحتاج معها فى الرد على أهل الكتاب الى غيرها . ومن أنصف منهم لا يجد محيدا عنها » انتهى بحروفه .

ثم انه عدد بشائر فمن أرادها فليرجع اليه ، فتبين لك اختلاف هاتين النسختين عن النسخة التى كانت موجودة زمن « القرافى » الذى توفى قبل ستمائة سنة واثنين وعشرين سنة ،ولو لم تكن عبارتها بهذه الحروف التى حررها كيف يمكنه أن يعزى ذلك الى سفر أشعياء وهو يعلم أن النصارى سيرون كتابه هذا ، لأنه ألفه جوابا لاعتراضاتهم على المسلمين ، فلا شك أنه يخشى التكذيب لو كانت عبارته مخالفة للكتب الموجودة بين أيديهم .

ونقل هذه البشارة أيضا بهذه الحروف أبو الفضل المالكى فى رده على النصارى .

وقال العلامة المحقق ابن القيم فى هداية الحيارى ما لفظه : « الوجه الثالث والعشرون قوله فى كتاب أشعياء أيضا : « عبدى وخيرتى ورضى نفسى أفيض عليه روحى » أو قال : « انزل عليه روحى ، فيظهر فى الأمم عدلى ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته ، يفتح العيون العمى — أو العور — ويسمع الآذان الصم ويحيى القلوب العلف ، وما أعطيه لا أعطى غيره ، لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل الى اللهو ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ ولا يخصم ، حتى تثبت فى الأرض حجتى وتنقطع به المعذرة» فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؟ فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبيا جمع هذه الاوصاف كلها ، وهى باقية فى أمته الى يوم القيامة غيره عليه الصلاة والسلام فقوله : «عبدى» مطابق لقوله تعالى فى القرآن : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » وقوله : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقوله : « لما قام عبد الله يدعوه » وقوله : «وخيرتى ورضى نفسى » مطابق لقوله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم » وقوله « لا يضحك » مطابق لوصفه الذى كان عليه ﷺ ، قالت الصحابة : « ما رؤى رسول الله ﷺ ضاحكا

حتى تبدو لهواته انما كان يتبسم تبسما ، وهذا لأن كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل ، بخلاف التبسم ، فانه من حسن الخلق وكمال الادراك . وأما صفته ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة بأنه الضحوك القتال ، فالمراد به أنه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه عن القتل اذا كان حدا لله تعالى وحقا له ، ولا يمنعه ذلك عن تبسمه فى موضعه ، فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال ، فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق وكثرته من الخفة والطيش ، والاعتدال بين ذلك غير منكر . وقوله « انزل عليه وحى » مطابق لقوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا » وقوله تعالى : « ينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » وقوله : « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، لينذر يوم التلاق » فسمى الوحى روحا لأن حياة القلوب والأرواح به كما أن حياة الابدان بالارواح . وقوله : « فيظهر فى الأمم عدلى » مطابق لقوله تعالى : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم » وقوله عن أهل الكتاب : « فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » وقوله : « يوصى الأمم بالوصايا » مطابق لقوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقوله تعالى فى سورة الأنعام : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا » الى قوله تعالى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » ثم قال : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » الى قوله تعالى « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » ثم قال : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ووصاياه ﷺ هى عهوده الى الأمة بتقوى الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له والتمسك بما بعثه الله عز وجل به من الهدى ودين الحق ، والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه .

وقوله : « ولا يسمع صوته » يعنى ليس بصخاب ، لا له قدر كحال

من ليس له حلم ولا وقار . وقوله : « ويفتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب » اشارة الى تكميل مراتب العلم والهدى الحاصل بدعوته فى القلوب والابصار والاسماع ، فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها فان الهدى يصل الى العبد من هذه الأبواب الثلاثة وهى مغلقة على أحد لا تفتح الا على أيدى الرسل ، ففتح الله تعالى بمحمد ﷺ الأعين العمى فأبصرت بالله والآذان الصم ، فسمعت عن الله تبارك وتعالى والقلوب الغلف فغفلت عن الله سبحانه ، فانقادت لطاعته عقلا وقولا وعملا وسلكت سبيل مرضاته ذللا . وقوله : « وما أعطيه فلا أعطى غيره » مطابق لقوله ﷺ « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى » ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل : « لقد أعطى هذا النبى ما لم يعط نبى قبله ، ان عينيه ينامان وقلبه يقظان » فمن ذلك انه بعث الى الخلق عامة وختم به ديوان الأنبياء عليهم السلام ، وأنزل عليه القرآن لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه وأنزل على قلبه محفوظا متلوا وضمن له حفظه الى أن يأتى الله بأمره وأوتى جوامع الكلم ونصر بالرعب فى قلوب أعدائه ، وبينهما مسيرة شهر وجعلت صفوف أمته فى الصلاة على مثال صفوف الملائكة فى السماء ، وجعلت الأرض له ولأمته مسجدا وطهورا ، وأسرى به الى أن جاوز السموات السبع ورأى ما لم يره بشر قبله ورفع على سائر النبيين ، وجعل سيد ولد آدم وانتشرت دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح الى المسيح عليهما السلام .

فأمته ثلثا أهل الجنة ، وخصه بالوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة بالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وبالشفاعة العظمى التى يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأعز الله تعالى به الحق وأهله عزا لم يعزه بأحد قبله وأذل به الباطل وحزبه ، ذلا لم يحصل بأحد قبله وأتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الالهية ما لم يؤته نبى قبله ، وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وصلى الله

تعالى عليه وهو وجميع ملائكته وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ، وقرن اسمه باسمه فاذا ذكر الله تعالى ذكر معه كما فى الخطبة والتشهد والآذان فلا يصح لأحد آذان ولا خطبة ولا صلاة ، حتى يشهد أنه عبده ورسوله ولم يجعل لأحد معه أمر يطاع لا ممن قبله ولا من هو كائن بعده الى أن تطوى الدنيا ، ومن عليها وأغلق أبواب الجنة الا عمن سلك خلفه واقتدى به .

وجعل لواء الحمد بيده ، فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وأول من يدخلها فلا يدخلها أحد من الأولين والآخرين الا بشفاعته ، وأعطى من اليقين والايمان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه ، والشكر له والتنوع فى مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية فى نفسه وفى الخلق ما لم يعط نبى غيره . ومن عرف أحوال العالم وسير الأنبياء وأممهم يتبين له أن الأمر فوق ذلك ، فاذا كان يوم القيامة وظهر للخلائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (علم) أن يكون أبدا .

وقوله « ولا يضعف ولا يغلب » هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ما ضعف فى ذات الله تعالى قط ، ولا فى حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الأرض على حربه ، بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جأشا وأشجعهم قلبا ، حتى أنه يوم أحد لما قتل أصحابه وجرحوا ما ضعف ولا استكان ، بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة الفرح حتى أرعب منه العدو وكر خاسئا على كثرة عددهم وعددهم وضعف أصحابه ، وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس فى نفر يسير دون العشرة والعدد وقد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثبت فى العدو ، ويقول : أنا النبى لا أكذب أنا ابن عبد المطلب . ويتقدم اليهم ، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فولوا منهزمين .

ومن تأمل سيرته وحروبه عليه الصلاة والسلام علم أنه لم يطرق

العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر ، وكان أصحابه مع أنهم أشجع الأمم اذا احمر البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به ، فكان أقربهم الى العدو ، وكان أشجعهم هو الذى يكون قريبا منه .

وقوله : « ولا يميل الى اللهو » هكذا كانت سيرته أبعد الناس من اللهو واللعب ، بل أمره كله جد وحزم وعزم ، مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وايمان ووقار وسكينة . وقوله : « ولا يسمع فى الأسواق صوته » أى ليس من الصخابين بالأسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها . وقوله : « ركن للمتواضعين » من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعا للصغير والكبير والمسكين ، والأرملة والحر والعبد ، يجلس معهم على التراب ، ويجيب دعوتهم ويسمع كلامهم وينطلق مع أحدهم فى حاجته ، ويخصف لأحدهم نعله ويخيط له ثوبه ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع أن يطالبه به .

وقوله : « وهو نور الله الذى لا يطفأ ولا يخصم ، حتى يثبت فى الأرض حجتى وينقطع به العذر » هذا مطابق لحاله وأمره عليه الصلاة والسلام ولما شهد به القرآن فى غير موضع ، كقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون » وقوله : تعالى « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » وقوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ونظائره فى القرآن كثيرة . وقوله : « حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة » مطابق لقوله تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقوله تعالى : « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين » وقوله سبحانه : « أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ، أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ، فقد جاءتكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » فالحجة انما قامت على الخلق بالرسل

وبهم انقطعت المعذرة ، فلا يمكن من بلغته دعوتهم وخالفها أن يعتذر الى الله تعالى يوم القيامة ، اذ ليس له عذر يقبل منه .

واعلم : أن هذه البشارة مطابقة لما فى صحيح البخارى أنه قيل لعبد الله ابن عمر : أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال : انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، لا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ، ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، فافتح أعينا عمياء وآذانا صماء وقلوبا غلفا بأن يقولوا : لا اله الا الله »

وقوله : ان هذا فى التوراة لا يريد به التوراة المعينة التى هى كتاب موسى فقط ، فان لفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة ، ويراد به الجنس تارة ، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور ، وبلفظ التوراة عن القرآن وبلفظ الانجيل عن القرآن أيضا وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ : « خفف على داود القرآن ، فكان ما بين أن تسرج دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن » والمراد به : قرآنه وهو الزبور . وكذلك قوله فى البشارة التى فى التوراة : « سأقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم نبيا » أنزل عليه توراة مثل توراة موسى . وكذلك فى صفة أمته ﷺ فى الكتب المتقدمة : « أناجيلهم فى صدورهم » فقوله : « أخبرنى بصفة رسول الله ﷺ فى التوراة » اما أن يريد به التوراة المعينة ، وليست المبدلة التى فى أيدى اليهود الآن ، أو جنس الكتب المتقدمة وعلى التقديرين فاجابة عبد الله بن عمر بما هو فى التوراة التى هى أعم من الكتاب المعين ، فان هذا الذى ذكره ليس فى التوراة المعينة فقط ، بل هو فى كتاب أشعياء كما حكيناه عنه . وقد ترجموه أيضا بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة : « عبدى ورسولى الذى سرت به نفسى أنزل عليه وحيى ، فيظهر فى الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته فى الأسواق ،

يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحدا ، يحمد الله حمدا جديدا ، يأتى من أقطار الأرض وتفرح به البرية وسكانها ، يهللون لله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية ، ولايضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى ، مشفح ولا يذل الصالحين ، الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين . وهو نور الله الذى لا يطفأ ، أثر سلطانه على كتفه » وقوله « مشفح » بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم وهى لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظا ، مقاربا لمطابقته « مؤد مؤد » بل أشد مطابقة ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانيين ، فانها بين الحاء والهاء وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ، ولا يرتاب عالم من علمائهم منصف أنها مطابقة لاسم محمد » .

قال أبو محمد قتيبة : « مشفح محمد بغير شك » واعتباره : انهم يقولون « شفحالاها » اذا أرادوا أن يقولوا : الحمد لله . واذا كان الحديث فمشفح محمد بغير شك . وقد قال لى ولغيرى بعض من أسلم من علمائهم : ان ميد ميد هو محمد ، وهو بكسر الميم والهمزة ، وبعضهم بفتح الميم ويدنيها من الضمة » قال : « ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد »

وان سكتنا عن ايراد ذلك وضربنا عن هذا صفحا ، فمن هذا الذى انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواه ؟ ومن هذا الذى أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه ، رآه الناس عيانا مثل زر الحجل ؟ فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ وبعد البصيرة الا العمى ؟ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

فصفات هذا النبى ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته فى كتبهم ، يقرءونها فى كنائسهم ويدرسونها فى مجالسهم ، لا ينكره منهم عالم ولا يأباه جاهل ، ولكنهم يقولون : لم يظهر بعد ، وسيظهر ونتبعه .

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن أبى محمد بن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يهود كانوا يستفتحون على

الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته . فقال سلام بن مسلم أخو بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه وما هو الذى كنا نذكر لكم ، فأنزل الله عز وجل : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين »

وقال أبو العالية كان اليهود اذا استنصروا بمحمد على مشركى العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعثه الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » وقال ابن اسحق : حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه قالوا : ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله عزوجل وهداه ، ماكنا نسمع من رجال يهود : كنا أهل شرك أصحاب أوثان . وكان أهل الكتاب عندهم علم ليس عندنا فكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله تعالى رسوله ﷺ أجبنا حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا به تعنتا . وفيهم نزلت هؤلاء الآيات التى فى سورة البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » انتهى ما فى هداية الحيارى .

وفى رد النصارى لجواد بن ساباط المطبوع سنة ١٢٢٩ هجرية فى

المقالة الثالثة من التبصرة الثالثة ناقلا سبع براهين من رؤيا يوحنا التى هى عندهم من جملة العهد الجديد آيات مخبرة بمكة وأنها ستقصدها الأمم وتكون قبلة ، ولننقل لك بعضا منها تأكيدا لما أسلفناه .

قال : ومما ورد فى الاصحاح الثانى والثالث من سفر الرؤيا قوله : « وسأعطى المظفر الذى يحفظ جميع أفعالى سلطانا على الأمم ، فيرعاهم بقضيب من حديد ، فيسحقهم كآنية الفخار كما أخذت أنا من أبى ، وأعطيه أيضا نجمة الصباح ، فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح لكنائس » وفيها أيضا : « المظفر أجعله عمودا فى هيكل الهى ولا يخرج خارجا واكتب عليه اسم الهى واسم مدينة الهى أورشليم الجديدة التى نزلت من السماء من عند الهى ، واكتب عليه اسمى الجديد . فمن كانت له اذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس » وفيها أيضا : « المظفر أهب له الجلوس معى على كرسى كما ظفرت أنا أيضا وجلست مع أبى على كرسيه ، فمن كانت له أذن سامعة فليستمع ما تقول الروح للكنائس »

ثم ان « ابن سانباط » أطنب فى كشف البراهين المذكورة اطنابا مفيدا ، ومن ارادة فليرجع اليه . وأقول : ان اجلاس النبى عليه الصلاة والسلام على العرش ورد أيضا مما رواه بعض المفسرين فى تفسيره قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك قاما محمودا » أن المقام المحمود هو اجلاسهم على العرش ، فقد أخرج الطبرانى عن ابن عباس أنه سبحانه يجلسه فيما بينه وبين جبرئيل عليه السلام ويشفع لأمته . فذلك المقام المحمود . وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنه قال : المقام المحمود أن يجلسه معه على العرش . وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : يقعده على العرش . وفى المقام المحمود أيضا وجوه أخر من أرادها وأراد زيادة البحث عن الاجلاس ، وما قيل فيه ، وأن الحجر الأسود نزل من السماء ، فليرجع الى روح المعانى والى فتح البيان وغيرهما من التفاسير المطولة ، فانها تدفع كل معضلة . والمقصود هنا : اثبات أن مكة المكرمة قد وردت البشارة بها فى الكتب المتقدمة ، فلا مجال للانكار عند من رزقه الله تعالى

نور البصيرة والابصار ، وهو سبحانه الموفق الهادى .

تكملة : ولنذكر لك ما ورد ايضا فى القرآن الكريم من ذكر مكة والكعبة الواجبة التعظيم ، وكيف عمرها سيدنا الخليل ابراهيم عليه افضل الصلاة والتسليم ، قال سبحانه وتعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن . قال : انى جاعلك للناس اماما . قال : ومن ذريتى ؟ قال : لا ينال عهدى الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا . واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل : أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم : رب اجعل هذا بلدا آمنا ، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال : ومن كفر . فأمتعه قليلا ، ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا . انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب من ملة ابراهيم الا من سفه نفسه . ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه . ويعقوب : ان الله اصطفى لكم الدين . فلا تموتن الا وأنتم مسلمون »

وقال عز وجل : ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا . وهدى للعالمين .

فيه آيات بينات ، مقام ابراهيم . ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »

وقال سبحانه حاكيا عن خليله عليه السلام : « رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب انهن أضللن كثيرا من الناس . فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة ،

فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات . لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن . وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق . ان ربى لسميع الدعاء »

ولنحرر اجمالا ما يفسر هذه الآيات بعونه تعالى قال المفسرون : الابتلاء فى الأصل الاختبار ، والمراد به هنا التكليف أو المعاملة معاملة الاختبار مجازا ، اذ حقيقة الاختبار محال عليه تعالى لكونه عالم السر والخفيات . والكلمات جمع كلمة وأصل معناها اللفظ المفرد وتستعمل فى الجمل المفيدة . وتطلق على معانى ذلك لما بين اللفظ والمعنى من شدة الاتصال . وقد اختلف فى الكلمات المذكورة . والمشهور أنها الشرائع . وقال ابن عباس رضى الله عنهما انها العشرة التى من الفطرة : المضمضة والاستنشاق وقص الشارب واعفاء اللحية وفرق الرأس ونتف الابط وتقليم الأظفار وحلق العانة والاستطابة — وهو غسل محل الغائط والبول — والختان . وروى أيضا أنها أكثر ، فأتمهن ابراهيم أى أتى بهن على الوجه الأتم .

وقوله تعالى : « ومن ذريتى » الخ أى واجعل من بعض ذريتى أئمة لأنه أعلم أن يكون فى بعض ذريته ظالمون . وقد أجيب عليه السلام الى طلبته . قال تعالى : « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » فكل نبى أرسله الله تعالى وكل كتاب أنزله سبحانه بعد ابراهيم ففى ذريته وقال تعالى : « وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » وقوله تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس » الآية أى اذكر وقت جعل البيت مثابة أى مجمعا لهم ومرجعا يرجع الحجاج اليه بعد تفرقهم عنه . وقيل : المثابة من الثواب أى يثابون هنالك . ومأنا أى موضع أمن اما لسكانه من الخطف أو الحجاجة من العذاب ، ويمحو ما قبله غير حقوق العباد والحقوق المالية . والمراد من البيت الكعبة ، وهو من الأعلام الغالبة كالنجم للثريا والآيات البينات التى فى مكة كثيرة منها عدم

نفرة الطير من الناس هناك . ومنها عدم تعرض ضوارى السباع للصيود فيه . ومنها قلة الجمرات على كثرة الرماة . ومنها أن أى ركن من البيت وضع الغيث فى مقابلته كان الخصب فيما يليه من البلاد ، واذا عم البيت كان فى جميع البلدان . ومنها مقام ابراهيم وهو الحجر الذى كان يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار أتاه اسماعيل به ليقوم فوقه ، وكان أثر أصابع رجلى ابراهيم فيه فاندرست بكثرة المسح بالأيدى . وانما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ، ولم يزل هذا معروفا تعرفه العرب فى جاهليتها . ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المعروفة باللامية :

وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة على قدميه ، حافيا غير ناعل

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا . وقيل المراد بمقام ابراهيم : الحرم كله أو مواقف الحج كلها ، أو عرفة ومزدلفة والجمار . ومعنى اتخاذها مصلى : ازيد فيها ويتقرب الى الله تعالى عندها . وانما سئل ابراهيم عليه السلام أن يرزق أهله من الثمرات لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمرة ، فاستحاب الله تعالى له ، وجعل مكة حرما آمنا يجىء اليه ثمرات كل شىء . والقواعد جمع قاعدة . وهى الأساس . وقيل الجدر والمراد من المناسك : مناسك الحج ومعالمه ، أو الأعمال التى تعمل فيه ، وقال مجاهد فى قول ابراهيم « وأرنا مناسكنا » لما قال ، أتاه جبريل فأتى به البيت فقال : ارفع القواعد ، فرفع وأتم البنيان ، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به الى الصفا . قال : هذا من شعائر الله . والشعائر واحدتها شعيرة ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس والواحد مشعر . ثم انطلق الى الصفا . قال : هذا من شعائر الله . ثم انطلق به الى المروة . فقال : وهذا من شعائر الله ، ثم انطلق به نحو منى ، فلما كان من العقبة اذا ابليس قائم عند الجمرة ، فقال كبر وارمه ، فكبر ورماه ، ثم انطلق ابليس فقام عند الجمرة الوسطى ، فلما جاز به جبريل وابراهيم ، قال له : كبر وارمه . فذهب الخبيث ابليس . وكان الخبيث أراد أن يدخل فى الحج شيئا . فلم يستطع فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى المشعر الحرام . فقال : هذا المشعر الحرام ، فأخذ بيد ابراهيم حتى أتى به عرفات . قال : قد عرفت ما أريتك . قالها

ثلاث مرات . قال : نعم . والمراد من الرسول الذى يبعث من الذرية — وهم العرب من ولد اسماعيل : هو نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ، ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد ﷺ والمراد بقوله : « عن سفه نفسه » من جعلها مهانة ذليلة . والمراد من قوله « أسلم قال أسلمت » : الاستسلام والانقياد والاخلاص له سبحانه وتعالى .

و « بكة » لغة فى « مكة » عند الأكثرين . وقيل : هى موضع المسجد ◙ ومكة : البلد بأسرها ، وأصلها من البك بمعنى الزحم . يقال تباك الناس اذا ازدحموا ، وكأنها انما سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها . وقيل : مأخوذة من بكأت الناقة اذا قل لبنها ، وكأنها انما سميت بذلك لقلة مائها وخصبها قيل : ومن هنا سميت البلد مكة أيضا ، أخذا لها من أمتك الفصيل ما فى الضرع اذا امتصه ، ولم يبق فيه من اللبن شيئا . وقيل : غير ذلك .

وسبب نزول هذه الآية : أن اليهود قالت بيت المقدس أعظم من الكعبة ، لأنها مهاجر الأنبياء ، ولانه فى الارض المقدسة . فقال المسلمون : بل الكعبة أعظم . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت .

ومباركية البيت كونه كثيرا الخير لما أنه يضاعف فيه ثواب العبادة أو دوام العبادة فيه ولزومها أو لانه يجبى اليه ثمرات كل شىء ، وكون الحرم من دخله كان آمنا حتى الوحش والطير ، بل والنبات أمر ظاهر ، والأمن يراد به الأمن فى الدنيا من القتل وسائر العقوبات . فقد كان الرجل فى الجاهلية يلقى قاتل أبيه فيه ، فلا يتعرضه بسوء . وفى الآخرة من العذاب . فقد روى عنه ﷺ أنه قال : « من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » وروى : « من قبر بمكة مسلما بعث آمنا يوم القيامة » وقد عمر البيت ابراهيم عليه السلام ، وبنى الأقصى بعده بأربعين سنة . وورد فى الآثار : أن أول من بنى البيت الملائكة . وقد بنوه قبل آدم عليه السلام . ثم بناه آدم ثم شيث ثم ابراهيم ، ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ، ثم عبد الله بن الزبير ، ثم الحجاج بأمر عبد الملك ابن مروان ◙

ولما أرادت قريش قبل الاسلام بناء الكعبة كانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فشرفت على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون . وذلك أنه كان لايدنو منها أحد الا كشت وفتحت فاها . فكانوا يهابونها فبينا هى يوما تشرف على جدار الكعبة ، بعث الله تعالى اليها طائرا ، فاختطفتها فذهب بها . فقالت قريش انا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا ، فبنوها من كسبهم الطيب .

وقال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية :

عجبت لما تصوبت العقاب ... الى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت ... عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة ترفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب
أعزبه المليك بنى لوى ... فليس لا صله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى ... ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا ... وعند الله يلتمس الثواب

وورد عن على كرم الله تعالى وجهه أنه قال : لما أمر ابراهيم عليه السلام ببناء البيت خرج معه اسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى على رأسه فى موضع البيت مثل الغمامة ، فيه مثل الرأس ، فكلمه . قال : يا ابراهيم ابن على ظلى ، أو قال : على قدرى ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف اسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر يا ابراهيم الى من تكلنا ؟ قال : الى الله . قالت : انطلق ، فانه لا يضيعنا . قال : فعطش اسماعيل عطشا شديدا فصعدت هاجر الى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئا ، حتى أتت المروة فلم تر شيئا ، ثم رجعت الى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئا ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فرجعت الى اسماعيل وهو يفحص فى رجله من العطش ، فنبعث زمزم .

ويجمع بين هذه الرواية وما تقدم من أن اسماعيل بناه مع أبيه بأن ابراهيم عليه السلام بنى البيت أولا بأن حوطة ، ثم لما كبر اسماعيل عليه السلام بنياه معا ، كما ورد فى الكتاب العظيم ، فافهم .

وفى قصة بناء البيت وانزال الحجر الأسود من السماء وكذا فى الكعبة روايات وتفاصيل أخر تركتها خشية الملل . ومن أرادها فليرجع الى كتب التفسير كتفسير ابن كثير ، وروح المعانى وغيرها وكتب الحديث وشروحها وكتب السير والتواريخ ، فانها مفصلة فيها على أتم وجه . والله تعالى أعلم .

فصـــل

قوله : « وتقبيل الركن والمقام » فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام » الى آخره .

ليت شعرى هل ينبغى أن يستعظم مسألة الحج المشتملة على العج والثج والنسك والعبادة والانقياد الى أمر الله تعالى واظهار الذل لـــه والخضوع وكثرة التلبية والدعاء له والتضرع اليه والطلب منه ســـبحانه بلا توسيط أحد من مخلوقاته فى محل خصه لذلك وعينه على لسان نبيه فيما هنالك .

نصرانى يسجد للصليب المنحوت بيده من الخشب ويأكل فى عشائه الربانى وخبزه الحوارى ، الهه ومعبوده وخالقه ومسجوده بجسمه الذى زعمه وروحه الذى جسمه ، أفلا يتذكر هذا النصرانى ما قاله المسيح : ينظر فى عين أخيك القذى ولا تنظر الخشبة التى فى عينك » على أنه والحمد لله تعالى لا قذى هنا فى عين أخيه ، بل الخشبة فى عينه فقط . والتقبيل ليس للركن والمقام . وهذا غلط منه ، بل الوارد تقبيل الحجر الأسود أنزل من الجنة ، وسيأتى ان شاء الله تعالى الكلام المفصل على ذلك ، فانتظره ولا تغفل .

قوله : « أليس هو الموضع الذى عرفناه جميعا حق معرفته » الى آخـــره .

لا يخفى أن البارى سبحانه — كما هو مسلم عند النصارى وغيرهم — اختص بعض الأماكن والأزمنة بعبادات تكون فيها بأن يعبد فى ذلك المحل فى ذلك الزمن ، كالصلاة مثلا عند الصباح والصلاة والدعاء فى بيت المقدس ، وجبل طور سيناء لمناجاة موسى الكليم ، وجبل الزيتون للتجلي على عيسى عندما جاء موسى وابراهيم كما حكاه فى الانجيل . واختصاص أورشليم بخصائص لم تكن فى غيره ، فكذلك اختص مكة المكرمة والكعبة المعظمة وجبل عرفات وفاران بخصائص . وأمر أن يعبد هنالك فى زمن مخصوص فى هيئة مخصوصة ، كما سنشرح لك مفصل ذلك قريبا ان شاء الله تعالى .

على أن هـــذا النصراني يتناسى ما ذكره علماؤهم من أن الأسرار الالهية لا يعترض عليها ولا يسأل عنها . فمن ذلك سر العشاء مع كونهم يعترفون بأنه مخالف للعقل ، ويقولون : ان له سرا وذلك السر مجهول . ومن ذلك ما قاله الخورى فى تفسيره لرسالة بولس الأولى نمبر ٣ ما لفظه : « ان بشارة الانجيل هى للطاعة لا للمجادلة ونحن مرسلون لبثها ونشرها لاثبات سرها . على أن ما قال الله تعالى حقيق بالقبول والامتثال دون بحث وجدال » انتهى .

قوله : « أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذى يسمون النسك لأصنامهم بالهند » الى آخره .

لا يخفى على كل منصف أن الكافر اذا عمل فى عباداته ما يوافق فى بعضه بالصورة الظاهرة ، عبادة المؤمنين ، لا يكون ذلك ابطالا لعبادة المؤمن ولا تزييفا لها . وفرق بين ما يفعله البراهمة وما يفعله المسلمون فالمسلمون نسكهم وعبادتهم واحرامهم وتلبيتهم لله وحده سبحانه ، بقولهم لبيك اللهم لبيك » الخ . والبراهمة ان سلمنا أنهم يفعلون نحو ذلك فهو لاصنامهم وأوثانهم التى يعبدونها بالخاصة ، لتقربهم زلفى الى الله تعالى . وهؤلاء النصارى يسجدون للصليب المنحوت من الخشب والصور المنقوشة ولمريم العذراء ويخاطبونها فى صلاتهم بقولهم : « لك نسجد » ويستقبلون مطلع الشمس عند صلاتهم كما أن اليهود تستقبل بيت المقدس . والكل

يحجونه . واذا اعترضنا عليهم بأن السجود للصليب عبادة صنم وسجود محرم لغير الله ، يقولون : انا نسجد لله ولا نعبد غيره . وأن صدر منا هذا الفعل ، والمسلمون لايسجدون لصنم ولا صليب ولايعبدون بناء ولا أحجارا ولا أرضاولاشمسا . فكيف يحسن من عاقل منصف أن يعترض عليهم بأن حجهم هذاكفعل البراهمة العابدين للاصنام ؟ فهل هذا الا فرية وظلم ، مع أن بين فعل النصارى وفعلهم مشابهة تامة ، وليس للمسلمين تماس بفعلهم ولا مشابهة بصنيعهم ، مع أن الكافر اذا كان فى أعماله وعبادته ما يشبه عبادة المؤمن ، لا يقال : ان المؤمن قلده فى ذلك العمل ، بل يقال أن الكافر قلد المؤمن واتبعه فيه ، لأنه لما رأى المؤمن يعبد الهه الحق بهذه العبادة الدالة على تعظيمه والانقياد اليه والطاعة والذلة له ، أراد أن يحاكيه ويشابه فى ذلك ويعبد صنمه والهه الباطل بنحو ما يعبد المؤمن الهه الحق ، فهؤلاء عباد الأصنام لما رأوا أن من تعظيم الاله الحق الصلاة له والتضرع اليه وطلب الحوائج منه وتقديم القرابين له ، وان المؤمنين يفعلون جميع ذلك ، لأن الأنبياء كانوا قد شرعوا ذلك ، اذ حج البيت من زمن ابراهيم عليه السلام بل من زمن آدم عليه السلام اذ كان يطوف به ، بل الملائكة كانت تطوف به قبله كما ذكره العلماء الاعلام .

فشرعوا يعملونه لالهتهم الباطلة لما اعتقدوها الهة حقة ، فهل يقول عاقل ان ما يفعله الأنبياء والمؤمنون من السجود لله سبحانه والصوم له يفعله أيضا عباد الأصنام لأصنامهم ، فينبغى أن يتركه المؤمنون لئلا يشابهوا الكافرين فى هذه العبادة ؟ وهذا كلام لا يقوله عاقل فتقرب أهل الشرك الى معبوداتهم الباطلة بنحو ما يتقرب به أهل الايمان من عباداتهم المشروعة الى معبودهم الحق ، لا يوجب شيئا عليهم ولا يفضى الى لومهم ، ولا يوجب تركهم لها أو يحتم ابطالها .

واستمع نحلة البراهمة والشمسية لينجلى لك الحال ويتميز كاذب العز وعن صادق المقال .

قال : العلامة الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل من أهل الهند جماعة أثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل ،

فى صورة البشر من غير كتاب ، فيأمرهم بأشياء وينهاهم عن أشياء ، ويسن لهم الشرائع ويسن لهم الحدود ، وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا . واستغنائه عن الاكل والشرب والبعال . ومن ذلك الكمالية زعموا أن رسولهم ملك روحانى أتاهم فى صورة بشر متمسح بالرماد ، على رأسه قلنسوة من لبود حمراء طولها ثلاثة أشبار محيط عليها صفائح من قحف الناس ، متقلدا قلادة من أعظم ما يكون متمنطق من ذلك بمنطقة متسور منها بسوار ، مخلخل منها بخلخال وهو عريان ، فأمرهم أن يتزينوا بزينته ويتزيوا بزيه ، وسن لهم شرائع وحدودا ، ومن ذلك البهادونية قالوا ان بهادون كان ملكا عظيما أتانا فى صورة انسان عظيم ، وكان له اخوان قتلاه وعملا من جلدته الأرض . ومن عظامه الجبال ومن دمه البحر وصورة بهادون راكب دآبة كثير الشعر قد أسبله على وجهه . وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبلة كذلك على نواحى الرأس قفاء ووجها ، وأمرهم أن يفعلوا كذلك وسن لهم أن لا يشربوا الخمر ، واذا رأوا امرأة هربوا منها ، وان يحجوا الى جبل يدعى حورعنى ، وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون . ولذلك البيت سدنة لا يكون المفتاح الا بأيديهم فاذا فتحوا الباب سدوا أفواههم حتى لا تصل أنفاسهم الى الصنم ، ويذبحون له الذبائح ويهدون له الهدايا ، واذا انصرفوا من حجهم لم يدخوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى أحد بسوء وضرر من قول وفعل وغير ذلك . ومن ذلك الناسوتية زعموا أن رسولهم ملك رحانى على صورة بشر ، فأمرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب والأدهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم شجرة بخيط يعقدونه من مناكبهم الأيامن الى تحت شمائلهم ، ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر ولا يأكلون من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل ، وأمرهم أن يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغناء والرقص ، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا بالتوبة الى المتمسح بها أن لا يجوزوا نهر الكيل .

ومن ذلك اليهودية زعموا أن رسولهم ملك روحانى على صورة ليث واسمه يهودا أتاهم وهو راكب ثورا ، على رأسه اكليل مكلل بعظام الموتى من عظام الرءوس ومتقلد من ذلك بقلادة ، باحدى يديه قحف انسان وبالأخرى مرزاب ذو ثلاث شعب يأمرهم بعبادة الخالق عز وجل ، وبعبادته معه ، وأن يتخذوا على مثاله صنما يعبدونه وأن لا يعافوا شيئا وأن تكون الأشياء كلها فى طريقة واحدة لأنها جميعا صنع الخالق وأن يتخذوا من عظام قلائد يتقلدونها وأكاليل يضعونها على رءوسهم ، وأن يمسحوا أجسادهم ورءوسهم بالرماد . وحرم عليهم الذبائح وجميع الأموال وأمرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم الا من الصدقة .

ثم قال الشهرستانى فى عبدة الكواكب : ولم ينقل الهند مذهب فى عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئية فى توجههم الى الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والالهية عليهم فعبدة الشمس زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها تفكر وعقل ، ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، وتكون الموجودات السفلية ، وهى ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء . وهؤلاء يسمون الدسكينية ، أى عباد الشمس . ومن سنتهم أن اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار ، وله بيت خاص بنوه باسمه ، ووقفوا عليه ضياعا وقرى وله سدنة وقوام ، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات وتأتيه أصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون ، وعبدة القمر زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، واليه تدبير هذا العالم السفلى والأمور الجزئية ومنه يصح الأشياء المتكونة واتصالها الى كمالها ، وبزيادته ونقصانه تعرف الازمان والساعات وهو تلو الشمس وقرينها ، ومنها نوره وبالنظر اليها زيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الجند رنكية أى عبادة القمر ، ومن سنتهم أن اتخذوا أصناما على صورة عجل تجره أربعة ، وبيد الصنم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدونه ويصومون النصف من كل شهر ولا يفطروا ، حتى يطلع القمر ، ثم يأتون الصنم بالطعام والشراب واللبن ، ثم يدعون وينظرون الى القمر ،

ويسألونه حوائجهم ، فاذا استهل الشهر صعدوا على السطوح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ، ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب بالفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة ، وفي وفي نصف الشهر اذا نزعوا من الافطار أخذوا فى الرقص واللعب والمعازف بين يدى الصنم والقمر »

ثم قال : « ان عبدة الأصنام الذين ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الأمر الى عبادة الاصنام ، اذ كان لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه . وعن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها . وبالجملة وضع الأصنام حينما قدر انما هو على معبود غائب ، حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيئته نائبا منابه قائما مقامه ، والا فيعلم قطعا أن عاقلا ما لا ينحت خشبا بيده صورة ، ثم يعتقد انه الهه وخالقه . واله الكل اذ كان وجوده مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته ، لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا أحوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله عز وجل ، كان عكوفهم على ذلك وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها . وعن هذا كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالهية لا تعدوا عنها الى الرب الأرباب » انتهى .

قلت : وعلى ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » — « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » — « واذا ركبوا فى الفلك » الآيات .

وقول مشركى العرب فى التلبية : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

وقول حصين بن المنذر لما قال له رسول الله ﷺ : « يا حصين كم تعبد ؟ » قال : سبعة ، ستة فى الأرض ، وواحد فى السماء قال : « فيمن الذى تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال : الذى فى السماء . رواه الامام أحمد وغيره .

قوله : « وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك » الخ .

قد ذكرنا لك فى كتابنا هذا : أن العرب كانت على بقية من دين ابراهيم واسماعيل فى هذه المناسك ، الا أنها غيرت وبدلت كثيرا منها . قال الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال : ومن كفر ، فأمتعه قليلا ، ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ، واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فكانت العرب عند بعثته عليه الصلاة والسلام تطوف بالبيت ، غير أنها عراة حتى قال ﷺ : « لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » وكانت تلبى الا أنها تشرك فى تلبيتها وتقول : لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك ، حتى أمر بترك ذلك ولبى بقوله : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك » وقد فصلنا لك حال دين العرب قبل البعثة فى كتابنا هذا ، فراجعه ان أردت ولا تغفل .

قال العلامة الشيخ أحمد المشهور بشاه والى الله الدهلوى فى كتابه المسمى « حجة الله البالغة » فى باب أسرار الحج : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان ، يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . ومكان فيه آيات بينات قد قصد جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله تعالى الخير وتكفير الخطايا ، فا الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة . وهو قوله ﷺ : « ما رئى الشيطان

يوما هو فيه أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة » الحديث

وأصل الحج موجود فى كل أمة لابد لهم من موضع يتبركون به ، لما رأوا من ظهور آيات الله تعالى فيه وان قرابين وهيئات مأثورة عن أسلافهم يلتزمونها لأنها تذكر المقربين ، وما كانوا فيه وأحق ما يحج اليه بيت الله ، فيه آيات بينات بناه ابراهيم صلوات الله عليه ، المشهود له بالخير على ألسنة أكثر الأمم بأمر الله تعالى ووحيه ، بعد ان كانت الأرض قفرا وعرا ، اذ ليس غيره محجوج الا وفيه اشراك أو اختراع ما لا أصل له .

ومن باب الطهارة النفسانية ، الحلول بموضع لم يزل الصالحون يعظمونه ويحلون فيه ويعمرونه بذكر الله عز وجل . فان ذلك يجلب تعلق همم الملائكة السفلية (به) ويعطف عليه دعوة الملأ الأعلى الكلية لأهل الخير ، فاذا حل به غلب ألوانهم على نفسه .

وقد شاهدت ذلك رأى عين .

ومن باب ذكر الله تعالى رؤية شعائر الله وتعظيمها ، فانها اذا رؤيت ، ذكر الله كما يذكر الملزوم اللازم ، لا سيما عند التزام هيئات تعظيمية وقيود وحدود تنبه النفس تنبيها عظيما . وربما يشتاق الانسان الى ربه أشد شوق ، فيحتاج الى شىء يقضى به شوقه فلا يجده الا الحج ، وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة ، ليتميز الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد ، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ويتعارف أهلها فيما بينهم ، فكذلك الملة تحتاج الى حج ليتميز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد مما ليس عنده ، اذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والترائى . واذا جعل الحج رسما مشهورا ، نفع عن غوائل الرسوم . ولا شىء مثله فى تذكر الحالة التى كان فيها أئمة الملة والتخصيص على الأخذ بها . ولما كان الحج سفرا شاسعا وعملا شاقا لا يتم الا بجهد الأنفس كان مباشرته خالصا لله مكفرا للخطايا هادما لما قبله بمنزلة الايمان أ.هـ

وقال فى باب تعظيم شعائر الله تعالى : « وأما الكعبة فكان الناس

فى زمن ابراهيم عليه السلام توغلوا فى بناء المعابد والكنائس باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب ، وصار عندهم التوجه المجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون الحلول فيه والتلبس به ، نقر بأمتهم ، أمرا محالا تدفعه عقولهم بادى الرأى ، فاستوجب أهل ذلك الزمان ان تظهر رحمة الله تعالى بهم فى صورة بيت يطوفون به ويتقربون به الى الله تعالى ، فدعوا الى البيت وتعظيمه ، ثم نشأ قرن بعد قرن على علم أن تعظيمه مساوق لتعظيم الله تعالى والتفريط فى حقه مساوق للتفريط فى حق الله عز وجل ، فعند ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه ، فمنه أن لا يطوفوا الا متطهرين ، ومنه أن يستقبلوها فى صلاتهم ، وكراهية استقبالها واستدبارها عند الغائط » أ . هـ.

قوله : « وانى لاستصوب قولا لعمر بن الخطاب ، وقد وقف على الركن والمقام » الى آخره .

لا يخفى عليك أن هذا النصرانى خلط بكلامه ولم يميز الركن والمقام والحجر الأسود ، والحديث فى صحيح الامام البخارى عن عابس بن ربيعة عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه جاء الى الحجر فقبله ، فقال : انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك . وفى شرحه للامام الحافظ ابن حجر أنه ورد فى الحديث ان الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم ، وانه يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق ، وأن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ، ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب .

وعن ابن عباس قال : رأيت عمر قبل الحجر ثلاثا ثم قال : « انك حجر لا تضر ولا تنفع » — أى الا باذن الله — « ولولا انى رأيت الرسول ﷺ قبلك ما قبلتك » ثم قال : « رأيت رسول الله فعل مثل ذلك »

قال الامام الطبرى انما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل فى الجاهلية ، فأراد عمر رضى الله

تعالى عنه أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته ، كما كانت الجاهلية تعتقد فى الأوثان .

قال المهلب : « وانما شرع تقبيله اختبارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم »

وروى أن آدم عليه السلام لما حج استلم الأركان كلها وأن ابراهيم واسماعيل لما فرغا من بناء البيت طافا به سبعا يستلمان الأركان » أ. هـ.

ولعل له حكما آخر تعجز عن ادراكها أفكار النصارى على أن الأمور التعبدية التى أمرت بها الرسل عليهم السلام اتباعهم ، لا يلزم البحث عنها ويجب العمل بها كما سيأتيك اعترافه بذلك قريبا ، والعجب أن هذا المؤلف يعترض على هذه المسألة الجزئية التى هى عبارة عن التبرك الخالى عن العبادة والسجود للحجر ، وينسى ما ذكره عن الصليب وتعظيمه وتقبيله والسجود اليه وله واستحالة الخبز والخمر الى لحم الهه ودمه وأكله وشربه ، وغفل عن قول المسيح : « لا تنظر القذى بعين أخيك وتنسى الخشبة التى فى عينك » وقد فصلنا لك عبادتهم للصليب وصورة مريم ، ورد جميع ذلك ، فتذكره ولا تغفل .

قوله : « فاما ما يريد المعائب أن يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرى ويعدو ويرمى بالجمرات » الخ .

لا يخفى عليك أن كل كلامه هذا خلط وتمويه وتدليس وكذب على من لم يعرف دين المسلمين وحجهم ، فأما حلق شعر الرأس أو بعضه أو ولو شعرة منه أو تقصير بعضه ما عدا النساء ، فانما يكون عند تمام الحج والخروج منه اذ حلق ذلك لا يكون قبل الحج ولا فى أثنائه ، بل هو عند الاكمال وعند لبس الثياب المعتادة ، وأما التعرى فهو كذب بل من أراد الحج الذى هو عبارة عن الوقوف فى منى الجبل المعروف والأرض المعلومة وعبارة عن زيارة الكعبة والسعى بين الصفا والمروة المحل المعروف

أيضا ، وعبارة عن دعاء الله سبحانه وحده فيها والصلاة له والطلب منه عز وجل فى ذلك المكان الشريف ، فانه يترك الجماع فى تلك المدة ولا يلبس الثياب المخيطة بل يلبس ثيابا غير مخيطة ويتزربها ، ولا يجوز له أن يتعرى بل يكون كأنه فى أكفان الموتى ورأسه حالته السابقة لا يحلقه ولا يقصره ، غير أنه لا يجعل عليه قلنسوة ولا عمامة ولا يستره بشىء سوى شعره الذى عليه ، سواء كان كثيرا أم قليلا . على أن هذه قد تسقط عنه اذا كان معذورا أو يخرج فدية ويقدم للفقراء شيئا معلوما فى الشرع . وهذا وان كان أمرا تعبديا لا يسئل عن حكمته الا أن بعض حكمه ظاهرة ، لأن هذه الحالة مشعرة بكمال انقياد الانسان الى خالقه اذا أتاه فى حالة شبيهة بحال الموتى فى أكفانها ومضاهية لحالة البعث والنشور ، وفيها غـــاية الذل لأن الانسان اذا تذلل لملك من الملوك ولا سيما اذا كان ذا جناية يجعل ما برأسه فى رقبته ، ويدخل الى الملوك مكشوف الرأس . وهذه من عادة العرب الى الآن فانها توجد هذه العادة فى كثير منهم ،، حتى ان الافرنج وسائر من يقلدهم من النصارى اذا ادخلوا على رجل جليل يرفعون قلنسواتهم من رءوسهم ولا يلبسونها الى وقت خروجهم من مقامه ، فأى عيب من تذلل العبد لربه سبحانه وتعالى أن يكشف رأسه تذللا اذا أتى الى محل عبادته فى السنة مرة واحدة بل فى عمره مرة واحدة وأن يستر جسمه يوما بثياب غير مخيطة ؟ وهؤلاء رهبانكم ومترهباكم فى كنائسكم لهم لباس مخصوص بهم ، ولهم زنانير وهيئات يستعملونها فى وقت عبادتهم ، فهلا تذكرتم وتذكرت أنواع العبادات المخترعات التى تستعملونها فى كنائسكم مما لو أردنا بسطه لطال المقال بانكشاف الحال ؟

وأما العدو فهو عبارة عن السعى والاسراع فى المشى بذلك لعبادة الله تعالى وقهر الأعداء والكفار .

وأما رمى الجمرات فهو عبارة عن لعن الشيطان الذى تقاوم مـــع المسيح عليه السلام الاله بزعمكم ، فاذا كان التصارع مع الاله محققا لديكم فلا بأس علينا اذا نحن رميناه بحصيات ولعناه .

قوله : « وقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا انما يفعلونه من جهة التعبد فاجابنا » الخ .

لا يخفى عليك أن الحج وان كان أمرا تعبديا ولا يلزم بيان حكمته لأن الأمور التعبدية لا يلزم بيان حكمتها غير أن حكمه كثيرة . منها ما هو ظاهر بلا التباس . ومنها ما هو خفى على كثير من الناس .

فمن الحكم الظاهرة : أن المسلمين اذ ادعوا البارى سبحانه فيما ينفعهم فى الدنيا والآخرة مجتمعين ، فانه يكون أقرب لاجابة المضطرين وأنفع فى ابتهال الداعين .

ولذا أمرت الشريعة المطهرة بترتب الاجتماعات على أربع مراتب : **فأولها** : فى أداء الصلوات الخمس فى الجماعات ، لأن القوم اذا اجتمعوا حصلت من تلك الجمعية آثار لا تحصل عند الانفراد . **وثانيها** : صلاة الجمعة ، فان الجمعية هناك أتم وأكثر ، فلا جرم تكون قوتها أكمل وأفضل .

وثالثها : صلاة العيد والجمعية فيها أكثر وأتم مما فى صلاة الجمعة . **ورابعها** : اجتماع أهل العالم فى موقف الحج ، فان الحج العظيم من أهل المشرق والمغرب يجتمعون فى ذلك الموقف ويوجهون أفكارهم وأذهانهم الى استنزال الرحمة وطلب المغفرة من الله تعالى ، بقلوب منكسرة وأفئدة اليه سبحانه منقطعة ، وهم مع ذلك على هيئة خروجهم من القبور للبعث والنشور ، ليس عليهم من الثياب الا ما يحاكى الأكفان ، ولا يطلبون من سواه الغفران . وكلهم غرباء الأوطان ملبون لندائه من البر والبحر وأبعد البلدان ، فلا جرم يحصل فى هذا الحال والاجتماع من التأثير ما لا يحصل من سائر الوجوه وفى بقية البقاع ، كما لا يخفى على المطلع الخبير .

تتمة : قد وقع فى العهد القديم ما أوجب أيضا استهزاء الملاحدة عليه ، ولنذكره لك لترى الفرق بينه وبين مناسك الحج التى شرعت للمسلمين .

وفيها الحكم الظاهرة والمنائع للناسكين ، ففى الاصحاح الرابع من سفر حزقيال من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤ ما لفظه : « وأنت تنام على جانبك الأيسر وتجعل آثام بيت اسرائيل عليها على عدد أيام ترقد عليها وتتخذ اثمهم أما أنا أعطيتك سنى آثامهم على عدد أيام ، ثلثمائة وتسعين يوما ، وتحمل اثم آل اسرائيل ، ثم اذا كملت هذا تنام على جانبك اليمين ثانية ، وتتخذ اثم آل يهوذا أربعين يوما ان يوما عوض سنة جعلته لك ، وتقبل بوجهك الى محاصرة أورشليم ، وذراعك تكون مشدودة وتبنى عليها ، هوذا شددتك بوثاق ولا تلتفت من جانبك الى الجانب الآخر حتى تتم أيام محاصرتك ، وأنت خذلك حنطة وشعير وفولا وعدسا ودخنا وجاورس ، وتجعلهن فى اناء واحد وتخبزلك خبزا على عدد الأيام التى ترقد فيها على جانبك ثلثمائة تسعين يوما تأكله ، وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالا فى كل يوم ، من وقت الى وقت تأكله ، وتشرب ماء بمقدار السدس من القسط من وقت الى وقت تشربه ، وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الانسان فى عيونهم »

فأمر تعالى حزقيال عيه السلام ثلاثة أحكام : **الأول** : أن يرقد على جانبه الأيسر ثلثمائة وتسعين يوما ويحمل آثام اسرائيل ، ثم يرقد على جانبه الأيمن أربعين يوما ويحمل اثم آل يهوذا . **والثانى** : أن يقبل بوجهه الى محاصرة أورشليم وتكون ذراعه مشدودة ولا يلتفت من جانب الى جانب آخر ، حتى تتم أيام المحاصرة . **والثالث** : أن يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوما كل يوم خبزا ملطخا بغائط الانسان . والملاحدة يستهزءون من هذه الأحكام كما قاله النصارى فى كتبهم ، ويستبعدون أن تكون هذه أحكاما الهية ، ويقولون اما أمكن أن يكون ادام النبى المقدس غير براز الانسان ؟ الا أن يقال ان الغائط المذكور يكو طاهرا فى حق الطاهرين . كما يفهم من كلام مقدسهم بولس فى الآية الخامسة عشر من الاصحاح الأول من رسالته الى نيطس ، على أن الله تعالى قد أخبر بواسطته : « أن النفس التى تخطى فهى تموت ، والابن لا يحمل اثم الأب ، والأب

لا يحمل اثم الابن . وعدل العادل يكون عليه ، ونفاق المنافق يكون عليه » كما هو مصرح فى الآية العشرين من الاصحاح الثامن عشر من كتابه . فكيف أمره أن يحمل آثام يهوذا واسرائيل ؟ ووقع أيضا فى الاصحاح العشرين من سفر أشعياء : أن الله أمره أن يكون يكون عريانا حافيا الى ثلاث سنين ، ويمشى على هذه الحالة . والملاحدة أيضا يقولون مستهزئين كيف يمكن أن يأمر الله تعالى نبيه أن يمشى ثلاث سنين مكشوف العورة بين النساء والرجال ؟ ووقع أيضا فى الاصحاح الأول من سفر هوشع أن الله تعالى أمره أن يتزوج زانية ويولد أولاد زنا . ثم وقع فى الاصحاح الثالث من السفر المذكور أن يتعشق امرأة فاسقة محبوبة لزوجها ، مع أنه فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الأحبار ما نصه : « ولا يتزوج الكاهن الا امرأة عذراء . ولا يتزوج أرملة ولا مطلقة ولا منجسة بالزنا ، فلا يتزوج من هـؤلاء البتة ، بل يتزوج عذراء من قومه »و فى الاصحاح الخامس من انجيل متى : « كل من ينظر الى امرأة يشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » فكيف يأمر الله نبيه بما ذكر ؟

اذا علمت ذلك فليكن التعرى فى الحج كتعرى أشعياء مع أن الفرق ظاهر ، اذ لا تعرى فى الحج بل هو عبارة عن لبس ثياب ساترة لجميع البدن ، غير أنها ليست بمخيطة . وأما أكل الغائط فليس له نظير فى حكم من أحكام الاسلام وغيرهم . وليت شعرى كيف غفل « عبد المسيح » عن هذه الأحكام حتى اعترض على مناسك الاسلام ؟ وكيف نسى أحكام النصارى التى بيناها غير مرة ؟ وكيف كتم الطامات الكبرى والتبديلات العظمى حتى هتك الجواب سترة ؟ فنعوذ بالله تعالى من الخذلان وله الحمد على توفيقه لأحسن الأديان .

قوله : « فما انكاركم على المجوس » الخ .

لا يخفى على المطلع المنصف أنه لا مشابهة ولا مناسبة بوجه من الوجوه بين عبادة المسلمين وعبادة المجوس . والفرق بينهما ظاهر كالفرق بين

الصبح والليل الكافر ، اذ المسلمون لا يعبدون الا الله وحدة لا شريك له ولا يسجدون لمخلوق من مخلوقاته ولا يعبدون رسولا من أنبيائه ولا ملكا ولا انسا ولا جنا ولا حجرا ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا ولا يجعلون بينهم وبينه وسائط لجلب نفع أو دفع ضرر .

فالمشابهة بين المجوس والنصارى ظاهرة ، لا يقدرون على التخلص منها . كما فصلناه لك فى كتابنا هذا من عبادتهم وسجودهم للصليب ، ولصورة المسيح عليه السلام وأمه مريم البتول رضى الله تعالى عنها ولصور الملائكة والقديسين ولمن ظنوه من الصالحين فيصلون لهم ويسجدون ويوسطونهم فى أمورهم ويبتهلون ويتضرعون ، لأن يقضوا حوائجهم ويزيلوا كروبهم ويخلصونهم من نار الجحيم . وهذه كتبهم طافحة بذلك ، فأى فرق البين المجوس ومن يسلك هذه المسالك ؟ وليت شعرى من لا يتنزه عن النجاسات ويأكل الخبائث ويستبيح أكل الخنزير والقاذورات ويأكل فى الاوخرستيا — وهو العشاء الربانى — جسم من يعتقده الها ويشرب دمه الحقيقى ، ويزعم أن هذا الاله المأكول ملعون بلسان التوراة ويدخل الجحيم — كما نقلنا جميع ذلك وأمثاله مرارا عديدة من كتبهم — كيف يسوغ له أن يعترض على المسلمين فى حجهم ومناسكهم ؟ مع ما تفعله النصارى فى حجهم الى بيت المقدس وما يفعلونه فى أعيادهم من الافعال الشنيعة ويتخذونه الى التقرب ذريعة ، وذلك مثل ما يفعلونه فى عيد مريم وغيره من أعيادهم من الشنائع التى لم تسبقهم اليها الأم ، فتتبع وانصف .

قوله : « واقبح من هذا كله ما جاء فى ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلا آخر يسمى الاستحلال » الخ .

لا يخفى على من اطلع على كتب الاسلام ووقف على أحاديث نبينا عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام أن مسألة التحليل التى زعمها النصرانى محرمة وملعون فاعلها . فقد قال ﷺ : « لعن الله المحلل والمحلل له » وسماه عليه الصلاة والسلام التيس المستعار ، فهى حرام عند المسلمين

بالوجه الذى موه به النصرانى والمسألة مبسوطة فى الكتب . ولشيخ الاسلام تقى الدين الحرانى كتاب مخصوص مفصل فى هذه المسألة ، وكذا الشيخ شمس الدين بن القيم بسط هذا البحث فى كتابه « أعلام الموقعين » وان هذا لفعل حرام ملعون فاعله ومعاقب يوم الدين . ولولا خشية التطويل لذكرت أقوال الأئمة فى تحريمها ولعن فاعلها ومن أراد زيادة البيان فليرجع اليها .

وقال العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين : ، واما تحريم المرأة على الزوج بعد الطلاق الثلاث واباحتها له بعد نكاحها الثانى ، فلا يعرف حكمته الا من له معرفة بأسرار الشريعة وما اشتملت عليه من الحكم والمصالح الكلية . فنقول وبالله تعالى التوفيق : لما كان اباحة فرج المرأة للرجل بعد تحريمه عليه ومنعه منه من أعظم نعم الله تعالى عليه واحسانه اليه كان جديرا بشكر هذه النعمة ومراعاتها والقيام بحقوقها وعدم تعرضها للزوال . وتنوعت الشرائع فى ذلك بحسب المصالح التى علمها الله تعالى فى كل زمان ولكل أمة ، فجاءت شريعة التوراة باباحتها له بعد الطلاق ما لم تتزوج (١) فاذا تزوجت حرمت عليه ولم يبق له سبيل اليها . وفى ذلك من جهة الحكمة والمصلحة ما لا يخفى ، فان الزوج اذا علم انه اذا طلقها وصار أمرها بيدها وان لها أن تنكح غيره وأنها اذا نكحت غيره حرمت عليه أبدا كان تمسكه بها أشد وحذره من مفارقتها أعظم ، وشريعة التوراة جاءت بحسب الأمة الموسوية فيها من الشدة والاصر ما يناسب حالهم ، ثم جاءت شريعة الانجيل (٢) بالمنع من الطلاق بعد التزويج البتة ، فاذا تزوج بامرأة فليس له أن يطلقها ، ثم جاءت الشريعة الكاملة الفاضلة

---

(١) التثنية ٢٤ .

(٢) الانجيل ليس شريعة منفصلة عن شريعة التوراة لقول المسيح : « ما جئت لأنقض الناموس » (مت ٥ : ١٧) وتحريم الطلاق الا لعلة الزنا موجود عند النصارى وهو من مبتدعاتهم ، لأن المسيح لم ينسخ التوراة وفيها اباحة الطلاق .

المحمدية التى هى أكمل شريعة نزلت من السماء على الاطلاق وأجلها وأفضلها وأعلاها وأقومها بمصالح العباد فى المعاش والمعاد بأحسن من ذلك كله وأكمله وأوفقه للعقل والمصلحة ، فان الله سبحانه أكمل هذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته وأباح لها من الطيبات ما لم يبحه لأمة غيرها ، فأباح للرجل أن ينكح من أطايب النساء أربعا وأن يتسرى من الاماء بما شاء ، وليس التسرى فى شريعة غيرها (١) اذ لعل الأولى لا تصلح له ولا توافقه فلم يجعلها غلا فى عنقه وقيدا فى رجله وأصرا على ظهره ، وشرع له فراقها على أكمل الوجوه لها وأن يفارقها واحدة ، ثم تتربص ثلاثة قروء . والغالب انها فى ثلاثة أشهر فان تاقت نفسه اليها وكان له فيها رغبة وصرف مقلب القلوب قلبه الى محبتها ، وجد السبيل الى ردها ممكنا والباب مفتوحا فراجع حبيبته واستقبل أمره وعاد الى يده ما أخرجته يد الغضب ونزغات الشيطان منها ثم لا يؤمن غلبات الطباع ونزغات الشيطان من المعاودة ، فمكن من ذلك أيضا مرة ثانية . ولعلها أن تذوق من مرارة الطلاق وخراب البيت ما يمنعها من معاودة ما يغضبه ويذوق هو من ألم فراقها من يمنعه من التسرع الى الطلاق . فاذا جاءت الثالثة جاء ما لا مرد له من أمر الله ، وكأنه قيل له قد اندفعت حاجتك بالمرة الأولى والثانية ولم يبق لك عليها بعد الثالثة سبيل ، فاذا علم أن الثالثة فراق بينه وبينها وانها القاضية امسك عن ايقاعها فانه اذا علم انها بعد الثالثة لا تحل له الا بعد ثلاثة قروء ، وتزوجت زوج راغب فى نكاحها وامساكها فان الأول لا سبيل له اليها حتى يدخل بها الثانى دخولا كاملا يذوق فيه كل واحد منهما عسيلة صاحبه بحيث يمنعها ذلك من تعجيل الفراق ثم يفارقها بموت أو طلاق أو خلع ، ثم تعتد من ذلك عدة كاملة يبين له حينئذ بأس بهذا الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله تعالى وعلم كل واحد منهما أنه لا سبيل له الى العود بعد الثالثة ، لا باختياره ولا باختيارها وأكد هذا المقصود

---

(١) التسرى فى شريعة التوراة موجود . وكان لسليمان عليه السلام سبعمائة سرية وهو على شريعة التوراة . وكان لابراهيم عليه السلام تسرارى وانجب منهن (تكوين ٢٥)

بأن لعن الزوج الثانى اذا لم ينكح نكاح رغبة يقصد فيها الامساك ، بل ينكح نكاح تحليل ،ولعن الزوج الأول اذا ردها بهذا النكاح بل ينكحها الثانى كما نكحها الأول ، ويطلقها كما طلقها الأول ، ويطلقها كما طلقها الأول . وحينئذ فتباح للأول كما تباح لغيره من الأزواج .

وأنت اذا وازنت بين هذا وبين الشريعتين المنسوختين (٢) تبين لك عظمة هذه الشريعة وجلالتها وهيبتها على سائر الشرائع ، وأنها جاءت على أكمل الوجوه وأتمها وأحسنها وأنفعها للخلق . وهذه الدقائق ونحوها مما يخص الله تعالى بفهمه من شاء ، فمن وصل اليها فليحمد الله ومن لم يصل اليها فليسلم لأحكم الحاكمين واعلم العالمين ، وليعلم أن شريعته فوق عقول العقلاء وفوق فطر الأولياء :

وقل للعيون الرمد لا تتقدمى
الى الشمس ، واستغشى ظلام الليالیا

وسامح ولا تنكر عليها وخلها
وان انكرت حقا فقل خل ذاليا

عاب التفقه لا عقول لهم
وما عليهم اذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة
ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وأما مسألة الطلاق فهى من الأحكام الشرعية الالهية ولم يخترعها علماؤنا من أنفسهم ، كما اخترع « بولس » بعد المسيح أحكاما مضادة للتوراة ، كمسألة الختان وأكل لحم الخنزير وتغيير قبلتهم من بيت المقدس الذى كان يستقبله المسيح الى مشرق الشمس وغير ذلك ، ولم تكن شريعتنا بدعا

---

(٢) يقصد أن الانجيل شريعة ، والتوراة شريعة . والصحيح أن الانجيل هو البشرى بمجيء النبى ﷺ . والمسيح بين فيه انه ملتزم بالتوراة .

فى مسألة الطلاق ، فالتوراة مصرحة بجواز ذلك كما نقلناه لك غير مرة ، على أن نسخ الشرائع أثبتناه لك مفصلا فى محله .

فاذا سلمنا وقلنا ان هذه المسائل مختصة بالشريعة المحمدية ، فأى بأس فى ذلك بعد أن يكون النسخ ثابتا فى الشرائع السالفة ؟ فهذه مسألة الطلاق والختان تسلمون أنهما كانا فى عهد موسى عليه السلام الى أن رفع المسيح ، ثم نسختا وحرمتا عندكم ، فلتكن كثير من مسائل المسلمين ناسخة لما قبلها من شرع المرسلين ، فلا يضرنا هذا شيئا بعد أن أثبتنا ولله تعالى الحمد نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وأنه خاتم النبيين ، وأن النسخ واقع والحكم الالهية ليس لها دافع ، وقد ذكرنا لك فى بعض المواضع من كتابنا هذا جملة من محاذير عدم جواز الطلاق عند النصارى ، وما يترتب عليه من وقوع المحاذير والزنا من الامرأة . والرجل منهم اذا كانا متباغضين أو أحدهما شاب والآخر بخلافه كما شوهد مرارا لا سيما والتزوج بأكثر من واحدة ممنوع أيضا . فافهم وأنصف وسيأتيك ان شاء الله تعالى زيادة كلام على هذه المسألة فانتظرها ولا تغفل .

قال النصرانى : « واما قولك : تنظر الى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة .

فقد صدقت ى أكرمك الله — فى قولك : انها مواضع عجيبة اعجب من تلك المواضع عند ذوى العقول والتمييز التى يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل ، والتمييز الذى فضل الله به الانسان على سائر البهائم ، وأنعم به عليه ؟

وأما قولك : « انها مواضع مباركة »

فخبرنى ما الذى صح عندك من بركتها ؟ أى مريض مضى اليها فبرىء من مرضه ؟ أو أى زمن قصدها فنهض من زمانته ، أو أى أبرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه ، أو أى أعمى صيرته الى تلك البقعة فانفتحت عيناه ، أو أى مخبط من الشيطان حمل الى ذلك البلد فرجع صحيحا سليما ؟ فما أظنك

ـ أبقاك الله ـ بل كيف اظنك وحدك ولا أجد أحدا ممن يتقلد متالتك أو يرى رأيك يجترىء أن يفكر فى مثل هذا ويقول أن مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك ، فضلا أن يدلنا على أحد يومىء اليه انه كان عوفى وانصرف عن مثل الحال التى طالبناك بها . وكيف أقول وأنت وأهل ملتك ونبيك الذى تفتخر به وبحجك اليه ليس أحد على وجه الأرض ممن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر ان يدعى شيئا مما طالبناك به ، أو يصح فى يديه الا من انتحل الملة النصرانية ؟ فهـذا أمر قاطع فيك وفى غيرك من جميع أهل الأديان والملل ، فمامعنى اضافتك ذكر البركة والتشريف ، والحاقك ذلك فى هذه المواضع ؟ وانما عرفنا البركات تحل فى المواضع التى يعبد الله فيها حق عبادته ، ويأويها الأبرار الصالحون الاتقياء الذين قد وهبوا أنفسهم لله فهم فى طاعته دائبون ليلهم ونهارهم ، لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل ، قد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشىء من أمرها ، فهم أحق بأن تنزل البركات من عند الله عليهم وعـلى مساكنهم وتنزل الأشفية والعوافى على أيديهم . واذا سألوه تعالى أعطاهم ، واذا طلبوا أنجح طلبتهم ، واذا تشفعوا اليه شفعهم ، واذا دعوه أجابهم لأن موعده لا يخلف فيه ولا يضيع عنده أجر المحسنين . وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبى : ((يطلب الأبرار فيجدونه)) وقال فى موضع آخر : ((الرب قريب ممن يدعوه بالحق ، ويأت مسرة أتقيائه ، ويسمع دعاءهم ، فيخلصهم ، والرب يحفظ جميع من يغشاه)) (مزامير ٣٤ ـ ١٤٥) وأكد هذا القوب الرب المسيح فى انجيله المقدس بقوله : ((اسئلوا تعطوا اطلبوا تجدوا)) ثم قال فى موضع آخر : ((ايما رجلان منكما يتفقان على مسألة أمر ما من الأمور باسمى فانهما يعطياها من أبى الذى فى السموات)) (متى ١٨) فقد أنجز موعده وحقق قوله وصـدق ما جـاء به من النور والهدى فى انجيله ، فليس من مكروب ولا ملهوفه ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بايمان صحيح ، ونية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المقدس الطاهر الا فرج عنه همه وغمه وكربه وكفى مؤنة حزنه ، ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة أوليائه ،

وبركة دعاء الصالحين عبادة ، لأنه طلب الأمر . من جهته وسأل حـــاجته من الناحية التى تسأل الحوائج منها . فهذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التى يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأوى فيها الرهبان ، ممتلئة من هذه البركات تفيض على جميع من صار اليها وقصدها باخلاص نيته وسلامة قلبه ، واسترسال الى من يسكنها وتصديق لما فى أيدى من يطلب منه ذلك فيضا لا يطلب من أحد ثمنا ولا مكافاة ، ولا ينال على ذلك جزاء ولا شكر الا أن السيد المسيح مخلص العالم قال فى انجيله الطاهر : « مجانا أخذتم مجانا اعطوا ، ولا تأخذوا ذهبا ولا فضة » (متى ١٠)

فهم حافظون لوصـــيته تابعون مقتفون أثره وهو جل ذكره راع يسمع دعاءهم ويؤتى البركات وينزل الرحمة والاشفية على أيديهم للنـــاس كافة الا من عاند الحق وارتد خائبا وصد معرضا عن التقوى ، فانه يخيب ويخسر . على أنه ان رجع قبل كما يقبل الأب الابن الحبيب الذى نظير الضالة يشرد عن بيت أبيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادما تائبا عارفا بما يجب عليه من الحق اللازم له مقرا بخطئه متنصلا من ذنبه متخذلا ذليلا لما جنى من نكوصه وشره ، فتلقاه رحمة أبيه فتقبله حـــق القبول ويسر بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته واوبته ولا يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له : انك كنت ميتا فعشت وضالا فاهتديت ومستغويا فرشدت ، فمين اصلحك الله الامرين ولا تتداخلنك الحمية ، فانها ثمرة كيد الشيطان ان الشيطان كان للانسان عدوا » فهل ترى لى يرحمك الله أن أدع ما فى يدى من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التى تغبطنى الملائكة عليها فضلا عن بنى البشر من ذرية آدم وما كانت الأنبياء والملوك والأبرار تترجاه وتتوق أنفسها اليه وآخذ بما كتبت به الى مما يأنف منه طبعى ويأباه تمييزى ، ويلومنى عليه عقلى وينفر منه . ما أظننى أكون اذا فعلت ذلك لنفسى من الناصحين » أ. هـ.

أقول : ان كلام النصرانى هنا كلام لا طائل تحته ولا يحتاج فى الحقيقة الى الرد ، غير أنا لم نتركه من الجواب خشية ظن النصارى أنه كلام له

أهمية وفيه ما يوجب الطعن فى دين الاسلام ، وأنا عجزنا عن جوابه ، مع أن الأمر ليس كذلك لأن المسلم الهاشمى الذى تقول النصرانى على لسانه هذه الرسالة المرسولة منه الى النصرانى ، لا تظن صحتها وان ظننا صحتها لا تثبت جميع كلماتها عن المسلم ، لأن دس النصرانى فيها بعض الكلمات ليبنى عليها فاسد مقاصده واعتراضاته من أقرب ما يجيء الى الذهن ، على أنه ليس فيها بأس عند من انصف . وذلك مثل قوله : « وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة » فان بركة المدينة المنورة والحرم النبوى أمر لا ينكره مسلم ووصفها بالعجيبة ان صح لفظ الهاشمى بها فلما رأى المسلمون من الخوارق الواقعة فى الحرم النبوى من الأنوار الساطعة والأشعة اللامعة على الروضة المطهرة ومن الكرمات التى أكرمها الله تعالى نبيه ﷺ واستجابة الدعاء هناك لمن دعا بقلب خالص وانابة صادقة الى الله تعالى وما وقع لكثير من الزائرين وما رأوه من المعجزات النبوية والخوارق التى ملأت منها بطون الكتب ، وعرفها المسلمون وصدقها الموحدون . ولو أردنا ذكرها لأفضى بنا الحال الى الاطناب .

ومن ذلك القصة الشهيرة التى وقعت فى أيام السلطان « نور الدين » فقد ذكر الوالد نور الله تعالى ضريحه فى كتابه « الطراز المذهب » ناقلا عن التواريخ المعتبرة ما لفظه : « ان الحجرة النبوية الشريفة اليوم محاطة بالرضا من تحت الأرض لأمر اقتضى ذلك وهى حادثة الاشقرين ، فقد نقل أن السلطان نور الدين بن زنكى — عليه الرحمة — رأى النبى ﷺ فى المنام ثلاث مرات فى ليلة واحدة ، وهو يقول كل مرة : « **يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين** » لشخصين أشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح ، فأخبره . فقال له : هذا أمر حدث فى المدينة ليس غيرك له . فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيرها حتى دخل المدينة ، على حين غفلة من أهلها ، فلما زار طلب الناس عامة للصدقة ، وقال لا يبق أحد بالمدينة الا جاء فلم يبق الا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان فى الناحية التى وراء الحجرة المكرمة عند دار آل عمر ، التى تعرف اليوم بدار العشرة ، فسئلا عن سبب فتخلفهما . فقالا : نحن فى كفاية ، فجد فى طلبهما ، حتى جيء بهما فلما رآهما قال للوزير : هما

هذان . فسألهما عن حالهما وما جاء بهما . فقالا : جئنا لمجاورة النبى ﷺ فكرر السؤال عليهما حتى أفضى الى العقوبة ، فأقرا أنهما من النصارى جاءا لينقلا النبي ﷺ من حجرته ، ووجدهما قد حفرا نقبا من تحت حائط المسجد القبلى يجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الذى شرقى الحجرة المطهرة خارج المسجد ، ثم أحرقا وجعل للحجرة المعظمة خندقا وملأه رصاصا حذرا من وقوع مثل ذلك ، ثم ركب متوجها الى الشام — عليه رحمة الملك العلام — .

وهذه القصة مما شاع وذاع فى سائر البلاد والبقاع » أ. هـ — وكذا ذكرها والاشارات اليها قد وقع قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام وأدرج فى الكتب [redacted] والتاريخية كما ذكرنا غير مرة . **ومن ذلك** : ما ذكره العلامة ابن خلدون فى الجزء الثانى من تاريخه فى بحث ملوك التبابعة من حمير وأوليتهم باليمن عند ذكر تبع الأصغر ، وهو تبان أسعد أبو كرب . ويقال له : الرائد وأنه أخذ بدين اليهودية ، وذكر فى سبب تهوده ما لفظه : « لما غزا الى المشرق مر بالمدينة يثرب ، فملكها وخلف ابنه فيهم ، فعدوا عليه وقتلوه غيلة ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بنى النجار ، فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها فجمع هذا الحى من أبناء قيلة لقتاله فقاتلهم ، وبينما هم على ذلك جاء حبران من أحبار يهود من بنى قريظة ، وقالا له : لا تفعل فانك لن تقدر ، وانها مهاجر نبى قرشى يخرج آخر الزمان وتكون قرارا له ، وأنه أعجب بهما واتبعهما على دينهما ، ثم مضى لوجهه . ولقيه دون مكة نفر من هذيل وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز ، فنهاه الحبران عن ذلك . وقالا له : انما أراد هؤلاء هلاكك فقتل النفر من الهذليين وقدم مكة ، فأمره الحبران بالطواف بها والخضوع ، ثم كساها وأمر ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات ، وجعل لها بابا ومفتاحا ثم سار الى اليمن . وقد ذكر قومه ما أخذ به من دين اليهودية وكانوا يعبدون الأوثان فتعرضوا لمنعه ، ثم حاكموه الى النار التى كانوا يتحاكمون اليها فتأكل الظالم وتدع المظلوم ، وجاؤوا بأوثانهم وخرج الحبران متقلدين المصاحف ودخل

الحميريون فأكلتهم وأوثانهم ، وخرج الحبران منها توشح رجوههم وجباههم عرقا فآمنت حمير عند ذلك ، وأجمعوا على اتباع اليهودية ، ثم ذكر من شعره بعد أن قاتل قباد بن فيروز ملك العراق قوله :

اذ حسينا جيادنا من دماء ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
واستبحنا بالخيل خيل قياد وابن اقليد جاءنا مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم آل لله ملأ منضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا

على أن أمر صحة نبوته عليه الصلاة والسلام ليس متوقفا على أن يشفى عند قبره المريض والأبرص ويفتح بصر الأعمى ويصح عقل المجنون ويبرأ الزمن ، لأتألم ندع ألوهية نبينا عليه الصلاة والسلام وتصرفه فى الكون حيا وبعد مفارقة الدنيا ، بل الأمر كله لله يفعل بعبيده ما يشاء ويحكم ما يريد ، ويظهر على يد أنبيائه المعجزة متى شاء ويظهر على يد أوليائه الكرامة متى شاء . وليس من شروط النبى أن تظهر له معجزة بعد وفاته ، وأن يفعل الله تعالى كل ما أحب فى حال حياته ، وأن يتصرف فى الكون بعد وفاته فيكون شريكا لله تعالى فيما قدره على عبيده وقضاه .

وليس من شروط أولياء الله تعالى أن تظهر لهم كرامات أو يخلق الله تعالى لهم ما هو من خارق العادات ، بل يفعل لهم ذلك عند تعلق ارادته فى تصرفه بخليقته . وليت شعرى هل يسوغ لعاقل أن ينكر نبوة موسى وغيره من المرسلين ، لاندراس قبره الآن وقبورهم ، أو ينكر نبوة يونس عليه السلام المعروف بيونان ، لأنه الآن ظاهر مشهور بنينوى قرب الموصل ، ولم نر وجود هذه الأشياء عند قبره ؟ مع أن ذا العاهات يقصدونه فلم يشف مريض هناك ، ولم يفتح بصر أعمى ولم يقع شىء من هذه الخوارق هناك . ولم نر شيئا وقع من هذه الأشياء فى بيت المقدس أو بيع النصارى وكنائسهم ومعابدهم أيضا ، على أن من الأنبياء كيحيى وزكريا وغيرهم من قتله بنو اسرائيل ولا يخل قتلهم بأمر نبوتهم أو تسلط أعدائهم عليهم

وعدم خلاص أنفسهم من شرهم . فهل يكون ذلك دليلا على عدم نبوتهم ؟ مع أنا نرى ما يقع لعباد الأصنام من الخوارق عند زيارة أصنامهم والدعاء عندها ، وما يقع لعباد النار والماء والكواكب من الخوارق عند الابتهال بالدعاء لمعبوداتهم الباطلة . فهل يكون ذلك دليلا على صحة دينهم وحقيقة نحلتهم واصابة فعلهم ، مع أن بطلان دينهم وعقيدتهم من الأمور المسلمة عند المسلمين والنصارى واليهود ؟ فأولياء الشيطان ربما يقع لهم من الخوارق ما لا يقع لأولياء الرحمن ، واستدراج المارقين ربما يعجل به قبل استجابة دعاء الصالحين ، لحكم الهية واردات من خالق البرية المتصرف فى عباده كما يشاء ويختار »

والأمر كله لله لاراد لحكمه ولا مشارك له فى قضائه . فهذا عيسى روح الله بزعم النصارى طلب عند الصلب من الله تعالى أن يؤخر عنه كأس الموت فما أخره وطلب المغفرة والعفو منه سبحانه لصالبيه فما قدره — كما حكاه مؤلف هذا الكتاب فيه — فهل يخل عدم استجابة دعائه بنبوته أو الالوهية على زعمهم الباطل ؟ على أن كثيرا من صلحاء المسلمين دعوا الله تعالى بمكة والمدينة المشرفتين وغيرهما وأجيبت دعواتهم ، وظهرت لهم كرامات وخوارق لا تعد ولا تحصى . وقد ملأت بطون الكتب وقرعت الأسماع والبقاع فى كل عصر مما يضيق كتابنا هذا عن ذكرها .

وأما ما جعله هذا النصرانى دليلا على صدق دينه من ترفه حال النصارى ونيلهم للدنيا ببيعهم وشرائهم وسعة ذات يدهم وتمولهم وشفاء بعض مرضائهم بدعائهم من المسيح ؛ فكلام يقضى منه العجب ، وتمويه على صقيعى العقول ، لأن المجوس وعبدة الأوثان ومتبعى الشيطان والمشركين بالرحمن والبراهمة ، ونحوهم من الملل المخطئة يقع لهم أكثر مما يقع للنصارى من تمولهم واستجابة دعائهم من آلهتهم الباطلة ومن معبوداتهم الشيطانية ، كما لا يخفى على كل ذى رؤية .

قال النصرانى : « ثم قلت : أدعوك الى سبيل الله الذى هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضربا بالسيف وسبا وسبيا

حتى يدخلوا فى دين الله ويشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صـــاغرون ، فهل أردت ـ أبقاك الله ـ العاقل الحكيم أن تدعونى الى فعل الشـــيطان المنزوعة منـــه الرحمـــة الذى انما أفرغ حسده لآدم وذريته فى شرذمة منهم ، استغواهم ، فافرغ فيهم غيظه وملأهم حنقه وحدته وجعلهم ســـلاحا له وأولياء ، ينقادون لارادته ويبلغون مشـــيئته ويأتون مسرته وينتهون الى طاعته ومحبته فى القتل والسلب والسبى ، فعرفنى كيف أجمع بين قوليك وبين تباعدهما ؟ وأنت القائل نقضا لهذا فى كتابك الذى تدعى أنه منزل من عند الله : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران) ثم تكتب : « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » (بقرة) ثم تزيد فى هذا شيئا : « لو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا . أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله » (يونس) أفلا ترى كيف يناقضك هذا القول ، ثم تكتب : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » (يونس) ثم تكتب أيضا فى موضع آخر : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » (هود) ثم تكتب تأكيدا لهذا القول عن صاحبك أنه بعث بالرحمة للناس كافة ، فأى رحمة مع القتل والسبى والســـلب ؟

واننى لكثيرا ما أتذكر بعض اليهود اذ يسمى كتابك « ناقض نفسه » وأنا لا أسمى كتابك بهذا الاسم الشنيع ، بل أسمى « كلامك » فانه حقا مناقض نفسه ، الا فأنت مدع ما أنت دائم تدعى . ثم ترجع الى نفســـك وتنقض كلامك ، لكننى أسألك أن تخبرنى عن سبل الشيطان ، هل هى الا القتل والسفك والسلب والسبى والسرقة ؟ أتقدر أنت أو غيرك أن تقول فى هذا : انه ليس كما كتبت اليك ؟ فان احتججت علينا بموسى ـ نجى الله تبارك وتعالى ـ أنه قاتل الكفار وعبدة الأصنام قلنا لك : اذكر ـ أصلحك الله ـ ما قرأته فى التوراة كم من أعجوبة ، وكم من آية فعلها

موسى حتى صدقناه ان الذى أتاه من الحرب وقتال عبدة الأصنام كان عن أمر الله . وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقفا لـــه وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها الا من كان من أولياء الله عز وجل ، فأية آية تقدر أنت على ذكرها ؟ أو اية أعجوبة تخبرنا أن صاحبك جاء بها مقدمة تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا به . وخاصة قتل الناس بأمره وأن يسلبهم أموالهم ويسبى ذراريهم ، ويقصد بذلك قوما هم أولياء الله المعتصمون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه . وقد بذلوا مهجهم فى دينه وآمنوا بمسيحه واتقوه حق تقاته ، فهداهم الى الحق المستقيم ، فوجوههم مضيئة فى الدنيا والآخرة .

ثم لم يقنعك حتى سميته سبيل الله ، فحاشا لله جل وعز أن يكون اقترف شيئا من هذه المآثم أحد من أوليائهم أو من أهل طاعته ، لأن الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين . وكيف أقول فى تناقض هذا الأمر وتضاده ؟ اذ تكتب (لا اكراه فى الدين) وتزعم أن الله تبارك وتعالى قد قال : « وقل للذين اوتو الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (آل عمران) وأنت الذى تقول : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا فمنهم آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد (بقرة) وأنت الذى تقول : « قل : يا أيها الكافرون » ثم تختم ذلك فتقول : «لكم دينكم ولى دين» (الكافرون) وتقول : «ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » (عنكبوت) ثم أنت تحث على قتل الناس ضربـــا بالسيف وسلبا وسبيا ، حتى يدخلوا فى دين الله كرها وقهرا ، وكيفا أصنع بك ؟ وبأى قوليك آخذا ؟ بالأول ام بالثانى ؟ فتدخل على قولك أنه ناسخ ومنسوخ ، فانك الذى تدعيه هذا ، وان ادعيته لم تلحق معرفته لأنك لا تدرى أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ ، فلعل الناسخ هو الذى عندك المنسوخ ، وكذلك ينعكس عليك القول فيه أن الذى هو عندك المنسوخ هو الناسخ ، فاذا قد أقررت بالجهل بهذا ، وانك لم تحط معرفته ولم تثبت له عـــندك حجة ولا تقـــدر أن تقيم فيه برهانا صـــحيحا عند من يطالبك بالبرهان

الصحيح ، فليس بك ولا بنا حاجة الى ذكره ، فقد خلصنا منك الآن .

على انك خالفت وأبطلت قولك ودحضت حجتك ونقضت شرطك فى أنك ادعيت أن صاحبك بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة وأن لا اكراه فى الدين ، وفى قولك أن تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا فى دينك كرها ويقولوا بقولك قسرا ويشهدوا بشهادتك قهرا ، فاذا كنا الى هذه الغاية لم نقف بعد هذا كله على صدق أحد قوليك ، ولم نقدر على تحقيق أحدهما بأن نفرق بين الحق منهما والباطل ، وأيهما المنزل والمأخوذ به ، وجب عليك من هذه المقدمات أن تكون النتيجة فى ذلك أن القولين كليهما باطلان غير محقين ، لأن الذى هو عندك حق ، يجب أن يعمل به ، لعله هو الباطل المتروك الذى لا يجب أن يؤخذ به ولا يعول عليه ، وأن الله جل ثناءه لم يأمر ولا شىء منهما ، فهل بلغك — يرحمك الله — أو قرأت فى شىء من الكتب المنزلة وغيرها أن أحدا ممن استجلب الناس الى مقالته ودعاهم الى الاقرار بما جاء به قهرا وكرها أو ضربا بالسيف وتهديدا بالسلب والسبى ، غير صاحبك .

فقد عرفت قصة موسى وما أتى به من الآيات المعجبة وقرأت أقاصيص الأنبياء بعده وما فعلوا ، وكان ذلك محققا وشاهد لما جاءوا به أنه من عند الله » أ. هـ.

أقول : قد بينا لك سابقا : أن القرآن الكريم ليس فيه تناقض ولا اختلاف كما قال سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » وما قاله بعض أهل الالحاد من أن فيه تناقضا فهو من جهلهم ، وقد ألف العلماء كتبا فى رد كلامهم وبيان عدم التناقض ، فلا حاجة الى التكرار ، ونقلنا لك أيضا شيئا مما يتعلق بحال أناجيلهم وكتبهم ، ولنزيدك اطلاعا هنا أيضا ، ولنذكر لك أولا شيئا يسيرا من كثير مما فى الانجيل من التناقض الظاهر فى ظاهره والتحريف اللائح من باطنه . ثم نعود ان شاء الله تعالى الى رد كلامه .

(وأنا) العاقل الحكيم ان تدعوني الى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة ؟

فمن ذلك ما فى الاصحاح للرابع والعشرين من انجيل متى بعد أن ذكر علامات قيام الساعة (١) وسقوط النجوم من السماء ومجىء المسيح على السحاب والنفخ فى الصور ونحو ذلك ، ما لفظه : « الحق أقول لكم : ان هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله ، والسماء والأرض يزولان ، ولكن كلامى لا يزول ، فأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » وفى انجيل مرقس : « ولا الابن أيضا » انتهى .

وأنت تعلم أن ذلك الجيل من الناس قد زال ولم تقم الساعة ، رأن عيسى لو كان هو الله كما يزعمون ، لعلمها ، ولما قال : « ولا الابن أيضا » والعجب من مفسرى النصارى بعد أن ذكروا هذه الآية قالوا : ان هذا القول يراد به الحاضرون وقتئذ لا الآتون بعدهم الذين لا مانع من ان يعرفوا ذلك بوحى الهى أو طريقة أخرى كما حكاه الخورى يوسف فى تفسير الانجيل المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٨ وأقره .

ومن ذلك قوله فى الاصحاح السادس عشر من متى ما لفظه : « ان ابن الانسان لعتيد أن يأتى بمجد أبيه مع ملائكته القديسين وحينئذ يجازى انسانا فانسانا حسب أعماله ، الحق أقول لكم : ان ههنا قوما من القيام لا يذوقون الموت حتى يعاينوا ابن البشر آتيا فى ملكوته » انتهى . وفسره كثير منهم بمجيئه الى الدينونة العامة و (فسروا الذى لا يذوق الموت . يوحنا الانجيلى ، وأنت تعلم أن المسيح بزعمهم قال « قوما » ويوحنا مفرد لا يطلق عليه لفظ القوم وضمير الجماعة يأبى ذلك أيضا ، مع أنا لم أحدا من أولئك القوم بقى حيا الى الآن والنصارى معترفون أيضا بعدم حياة القوم المذكورين ، فهل هذا الكلام الا مخالف لما اتفقت عليه الأقوام .

---

(١) هو لا يقصد قيام القيامة بهذا التعبير ، وانما يقصد مجىء المسلمين لاحتلال القدس على يد المسلمين . وقد بينا ذلك فى كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل — نشر دار البيان العربى بمصر .

ومن ذلك ما فى الاصحاح السادس من انجيل متى انه أمرهم أن يقولوا فى جميع صلواتهم : « أعطنا الخبز كفاية يومنا » ثم يقول : « لأن أباكم عالم بما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه » ثم يقول : « فلهذا أقول لكم لا تهتموا لنفسكم بما تأكلون ولا بما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون تأملوا طير السماء التى لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الأهداء وأبوكم السماوى يقينها الستم بالحرى أفضل منها » ثم يقول : « اسئلوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم ، لأن كل من يسأل الله أمرا يأخذ » انتهى

ومن ذلك ما فى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى قول المسيح : « لم أرسل . الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » فهذا اعتراف صريح من المسيح عليه السلام أنه لم يرسل الا الى الضالين من بنى اسرائيل ، لا الى العرب ولا الى العجم والمجوس ، وهو يناقض دعواهم أن رسالته عامة لكافة الناس (٢) .

ومن ذلك ما فى الاصحاح التاسع عشر من انجيل قول المسيح « لماذا تدعونى الصالح ؟ وليس الصالح الا الله الواحد » وهذا أيضا يناقض قول النصارى ان عيسى هو الله .

ومن ذلك أن عيسى عليه السلام جاء مؤيدا لشريعة موسى لا ناسخا لها كما تحكيه أقوالهم عن أناجيلهم ، وهو يناقض ما ورد فى الانجيل ورسائل رسلهم مما يخالف التوراة كعدم الختان ، وعدم الطلاق وعدم التجنب عن أكل النجاسات واباحة جميع الحيوانات التى كثير منها محرم عن بنى اسرائيل فى التوراة .

ومن ذلك أنهم نقلوا فى الأناجيل أن المسيح قال : « طوبى لك يا شمعون رأس الجماعة ، وأنا أقول : انك الحجر وعلى هذا الحجر تبتنى بيعتى ،

---

(٢) لاحظ أنه وجه دعوته بالضرورة أو بالحرى الى اليهود .. وبعد ما فهم اليهود غرضه ، أمرهم بالانطلاق الى الأمم .

فكل ما أحللته على الأرض يكون محللا فى السماء وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء » ثم بعد أسطر يقولون عنه انه قال له : « اذهب عنى يا شيطان ولا تعارض ، فانك لى شك » أو جاهل ، فكيف يكون شيطانا جاهلا مطاعا فى السموات ؟ وفى انجيل متى أن المسيح قال : « لا تحسبوا أنى جئت لأصلح بين أهل الأرض لكن حربا وأفرق بين المرء وابنه » ثم يقول : « انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا وأصلح بين الناس » ونحو هذا مما لو أردنا استقصاءه هنا لطال الكلام وخرجنا عن الصدد والمرام .

ثم اعلم أنا قد أثبتنا مرارا عديدة فى كتابنا هذا مسألة جهاد الكفار عن موسى ويوشع وغيرهما من الأنبياء الأبرار ونبينا عليه الصلاة والسلام قد أمر كما أمروا من جانب الله سبحانه . وهذا أمر فرغنا منه فلا حاجة الى التكرار سيما والخصم معترف هنا بقتال موسى للكفار ، وفرغنا أيضا من اثبات معجزاته الدالة على صدق دعواه عليه الصلاة والسلام .

ولنقدم قبل تفسير الآيات التى ذكرها ما يصلح له جوابا عن تمويهه من تفسير الخورى ، ثم نرجع الى تفسيرها ان شاء الله تعالى ففى الاصحاح السادس من انجيل متى فى بحث صلاة النصارى أن يقولوا : « أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس أسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السما كذلك على الأرض ، أعطنا الخبز كفاية يومنا ، واغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا لمن أخطأ الينا ، ولا تدخلنا للتجارب ، لكن نجنا من الشرير آمين » قال مفسرهم الخورى « يوسف الياس » على قوله : « لتكن مشيئتك » ما لفظه : « هذه هى الطلبة الثالثة ، ونطلب بها أن كل ما يريد الله ويأمر به يتممه الناس على الأرض بكمال واتفاق وسرعة كما يتممه الملائكة والقديسون فى السماء ، ثم ان ارادة الله أى مشيئته على قسمين ارادة السرور وارادة الدلالة ، فان السرور هى التى يريد الله بها شيئا ما بالاطلاق وهذه تكمل فى كل شىء ولا يصدها شىء ، وفيها قال المرتل : « كل ما أراد الله صنع فى السماء والأرض » مزمور ١١٣ وأما ارادة الدلالة فهى التى

فهى التى يدلنا بها تعالى بشرائعه ووصاياه على ما يلزم أن نفعله . وهذه لا تكمل دائما ويمكن ارادتنا أن تقاومها كقول ماربطرس فى الأبركسيس : « أنتم دائما تقاومون ارادة الروح القدس » وجميع الآباء يفهمون هـذه الطلبة عن هذه الارادة الثانية ، لأن ارادة السرور تكمل دائما ولا شىء يصدها فلا حاجة الى أن نطلب تكميلها ، ثم ان مطابقة ارادتنا لارادة الله لا تمنع من أن نتوسل الى الله ليزيل بعض مصائب يكون أنزلها أو سمح بها عقابا لخطايانا ، فالله كان يريد دمار « صادوم » (١) ومع ذلك كـان ابراهيم يتوسل اليه أن لا يصنع بها ذلك . ولهذا أمثال عديدة » انتهى بحروفه فليفهم .

ولنرجع الى تفسير ما ذكره الخصم من الآيات البينات :

قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة » الأمة الجماعة التى تؤم أى تقصد لأمر ما وتطلق على اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ، وعلى القدوة . ومنه : « ان ابراهيم كان أمة » وعلى الدين والملة وعلى الزمان وعلى غير ذلك « يدعون الى الخير أى الى ما فيه صلاح دينى أو دنيوى فعطف قوله سبحانه : « ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » عليه من باب عطف الخاص على العام ايذانا بمزيد فضلهما على سائر الخيرات ، ومنهم من فسر الخير باتباع القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ومنهم من فسره بالايمان بالله تعالى وجعل المعروف فى الآية ما عداه من الطاعات .

وقال الامام مقاتل ان الخير الاسلام والمعروف طاعة الله تعالى والمنكر معصية ، والخطاب فى لآية عام . وقيل متوجه الى أصحاب رسول الله ﷺ ومن للتبعيض وقيل للتبيين وهى تجريدية كما يقال لفلان من أولاده جند يراد بذلك جميع الأولاد وأولئك هم المفلحون » أى المختصون بالفلاح الكاملون فيه . ثم انه سبحانه أمر هذه الأمة بعد أن أمرها بالدعاء الى

---

(١) يريد هلاك قرية « سادوم » على الفاسقين الذين وعظهم لوط عليه السلام .

الخير بأن لا تكون كاليهود والنصارى بقوله سبحانه : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وليت شعرى أى تناقض فى هذه الآية وأى مخالفة فيها لغيرها من الآيات حتى يسود هذا النصرانى صحائفه بما لا يخفى باطله وتمويهه على من له أدنى مسكة من عقل وثبات ؟

قوله : « ثم تكتب ليس عليك هداهم » الآية .

قال المفسرون : « ليس عليك هداهم » أى لا يجب عليك أيها الرسول أن تجعل هؤلاء المأمورين مهتدين قابلين لما أمروا به ونهوا عنه . فالهدى مصدر مضاف الى المفعول ، أو ليس عليك أن يهتدوا فيكون مضافا لفاعله « ولكن الله يهدى » هداية موصلة الى المطلوب قطعا « من يشاء » هداية منهم « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » أى لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم قال ابن عباس فى سبب نزول هذه الآ : ان النبى ﷺ كان يأمرنا أن لا نتصدق الا على أهل الاسلام ، حتى نزلت هذه الآية وفى رواية كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرابة وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت . والآية نزلت فى جواز دفع الصدقة لكافر فأى تناقض بينها وبين غيرها من الآيات كما لا يخفى على كل مذعن للحق غير مكابر ؟

قوله : « ثم تزيد فى هذا شيئا : « ولو شاء ربك » الآية

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير ما لفظه : « اعلم أن هذه السورة من أولها الى هذا الموضع فى بيان حكاية شبهات الكفار فى انكار النبوة مع الجواب عنها ، وكانت احدى شبهاتهم أن النبى ﷺ كان يهددهم بنزول العذاب على الكافرين ويعد أتباعه أن الله ينصرهم ويعلى شأنهم ويقوى جانبهم ، ثم ان الكفار ما رأوا ذلك ، فجعلوا ذلك

شبهة فى الطعن فى نبوته عليه الصلاة والسلام وكانوا يبالغون فى استعجال ذلك العذاب على سبيل السخرية ثم ان الله سبحانه وتعالى بين أن تأخير الموعود به لا يقدح فى صحة الوعد ، ثم ضرب لهذا أمثلة وهى واقعة نوح وواقعة موسى عليهما السلام مع فرعون وامتدت هذه البيانات الى هـذه المقامات ، ثم فى هذه الآية بين أن جد الرسول ﷺ فى دخولهم فى الايمان لا ينفع ، ومبالغته فى تقرير الدلائل وفى الجواب عن الشبهات لا تفيد ، لأن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته وارشاده وهدايته ، فاذا لم يحصل هذا المعنى لم يحصل الايمان » أ. هـ.

وليت شعرى أى تناقض فى هذه الآية أيضا عند كل منصف ؟

قوله : « ثم تكتب « يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » الآية .

لا يخفى على كل مطلع على القرآن العظيم وشريعة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم أن نبينا لم يؤمر اولا بجهاد الكفار بالسيف ، بل بالانذار والموعظة الحسنة ثم أمر بالقتال كما وقع لكثير من اخوانه المرسلين — سلام الله عليهم أجمعين — فهذه الآية منسوخة الحكم عندنا بأية السيف وكل ذلك من الحكم الالهية والارادات الربانية ، فهذا موسى أمر بالقتال وكذا يوشع وغيره وأمر عيسى بالنصيحة فى المقال ، ونسخ كثير مما أتى به موسى كالختان بزعم النصارى وأكل الحيوانات التى كانت محـرمة وتحريم الطلاق المحلل عند موسى عليه السلام ، فالبارى سبحانه لم يرسل نبيا واحدا ولا شريعة واحدة ، بل عدد الأنبياء فى الأزمنة المختلفة ونسخ بعض الأحكام وحرم ما كان اباحه وأباح ما كان حرمه وأمر بعض أنبيائه بالجهاد وأرسل بعضهم غير مأمورين بمقاتلة أهل العناد ، وهدى بعض عباده المرشاد وجبل بعضهم على الكفر والفساد « ومن يضلل الله فما له من هاد » وكل ذلك غير خال عن حكم ومصالح وابتلاء للصالح والطالح ، كما فعل بفرعون ، فقد أرسل له موسى ودعاه للايمان ، وقسى قلبه كما فى التوراة وفرعون العون ، فلا يسأل عما يفعل ، اذ لا يفعل ما عنه يسأل . ويمثل

ما ورد به القرآن فى هذا الشأن جاءت أيضا كتب أهل الأديان فانظر التوراة والانجيل ، ففيهما شىء كثير مما يطابق القرآن من هذا القبيل ، والله يحق الحق بكلماته ويهدى الى سواء السبيل ٥

قوله : « ثم تكتب فى موضع آخر : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » الآية .

قال المفسرون أى مجتمعين على الدين الحق بحيث لا يقع من أحد منهم كفر لكنه لم يشأ سبحانه ذلك فلم يكونوا مجتمعين على الدين الحق . ونظير ذلك قوله سبحانه : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » وروى هذا عن ابن عباس . وروى عن الضحاك أن المراد لو شاء لجعلهم على هدى أو ضلالة « ولا يزالون مختلفين » بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، ولعل المراد الاختلاف فى الحق والباطل من العقائد التى هى أصول الدين ، بقرينة المقام « الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » أى الناس والاشارة الى المصدر المفهوم من مختلفين . ونظيره .

اذا نهى السفيه جرى اليه .

كأنه قيل وللاختلاف خلق الناس على معنى لثمرة الاختلاف من كون فريق فى الجنة وفريق فى السعير خلقهم ، واللام لام العاقبة والصيرورة لأن حكمة خلقهم ليس هذا ، لقوله سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ولأنه لو خلقهم له لم يعذبهم على ارتكاب الباطل .

قوله : « يسمى كتابك ناقض نفسه »

حاشا لله أن يكون متناقضا كلام الكريم « سبحانك هذا بهتان عظيم » — « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » نعم ان التوراة والانجيل لكونهما محرفين تجد فيهما التناقض الكثير والتحريف الوفير ، كقصة زناء لوط عليه السلام بابنتيه بعد ما أسكرتاه وكفر سليمان عند نصبه

الأصنام فى بيته وعبادتها وجعل المسيح الها مع اطلاق ابن الانسان وابن داود عليه (١) وأنه يطلب من ربه سبحانه أن يؤخر عنه الموت ، وأنه لا يكون ما يريد بل ما يريد الله . وقوله لمن سماه صالحا : « لا صالح الا الله وقوله فى القيامة (٢) : « لا يعلم وقتها الا الله وحده » وأكل جسمه فى العشاء الربانى الذى يسمونه أوخرستيا وغير ذلك من التناقض والتحريف والتبديل الذى أثبتناه فى التوراة والانجيل .

قوله : « بل اسمى كلامك فانه حقا مناقض نفسه »

لا يخفى على كل منصف أن هذه الرسالة المنسوبة الى الهاشمى ، وان كان يغلب على الظن انها مفتعلة مختلقة من النصارى على لسان الهاشمى ، فليس فيها من التناقض شىء ، بل هى عبارة عن بيان بعض ما يتعلق بدين الاسلام والنصيحة فى أتباعه لكونه أحسن أديان الأنام وبيان شىء من محسناته وذكر يسير من الأحكام القرآنية وآياته وهو عن التناقض بمعزل وبعيد عنه بألف ألف منزل . والتناقض بديهى فى كلامك يا عبد المسيح لأنك تستقبح جهاد النبى ﷺ للمشركين ، وتدعى أن القتل والسفك من سبل الشياطين ، ثم تقر هنا أن موسى وغيره من المرسلين فعلوا أكثر من ذلك بالمخالفين فقد سبوا وسلبوا وقتلوا ونهبوا وكل ذلك بحكم رب العالمين ، وبعد أن أثبتنا نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بنحو ما ثبتت به رسالة الأنبياء الكرام فلا يعترض عليه عله الصلاة والسلام بمسألة جهاده للكفار الآبين عن الاسلام بعد دعوتهم وامتناعهم عن توحيد الملك العلام . لأن ذلك من الارادات الالهية وسنة الله التى قد خلت فى الأمم السالفة كأمة نوح ولوط ويشوع وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكر

---

(١) لقب ابن الانسان من القاب نبى الاسلام فى الاصحاح الثانى من سفر دانيال . ولقب ابن داود مأخوذ من المزمور الثانى لداود . وقد بينا ذلك فى كتاب المسيا وفى كتاب البشارة .

(٢) هو لا يقصد القيامة وانما يقصد تأسيس ملكوت السموات فى أورشليم القدس (انظر كتاب البشارة بنبى الاسلام) .

وقائعهم وما فعلوه وما فعله الله تعالى بمن امتنع عن الايمان بهم من الاغراق الاهلاك والقتل والنهب والسبى والاسترقاق ونحو ذلك . وكل من طالع التوراة وتواريخ الأمم يعلم ذلك .

قوله : « وآمنوا بمسيحه »

ليت شعرى كيف يكون مؤمنا من يجعل المخلوق من تراب رب الأرباب ، ويعتقد أن عبد الله المسيح بن مريم هو الله لا غيره ، ثم يحكم عليه بأنه قتل وصلب وضرب بأيدى اليهود وسلب ؟ ثم انه يؤكل لحمه فى الكنائس كما يؤكل لحم الظبى الكانس والطير الآنس ، ومع هذا فانه ملعون بمقتضى نص التوراة كما زعم بولس فى رسالته وأنه دخل الجحيم وحاشاه عليه السلام من جميع ذلك ، فاذا لم يجاهد فى كل زمن من يقول ذلك ، فقل لى هداك الله من ؟

قوله : « اذ تكتب « لا اكراه فى الدين »

اعلم أن القول المشهور للمفسرين أن هذه الآية أيضا منسوخة (٣) بآيات الأمر بالقتال ، مثل قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وقوله جل وعز « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمن » وقوله تعالى : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال » الى قوله سبحانه : « حتى يثخن فى الأرض » وقوله عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى يطول البحث بذكرها لأن رسول الله ﷺ وأصحابه بعده وأمراء المؤمنين قد أكرهوا العرب على دين الاسلام وقاتلوهم ولم يرضوا منهم الا الاسلام وقاتلوا غيرهم من أهل الكتاب على الاسلام أو قبول الجزية كما أمر كثير من أنبياء بنى اسرائيل

---

(٣) انظر كتابنا لا نسخ فى القرآن . نشر دار الفكر العربى بمصر .

بمثل ذلك وعدنا جملة منهم فيما مر ، ويأتى أيضا من كتابنا هذا ، حتى انه عليه الصلاة والسلام أمر أن الجهاد قائم الى آخر الزمان ولم يتركه عليه الصلاة والسلام الى وفاته ، فعلم بفعله وقوله المتواتر وفعل أصحابه والآيات المعلوم وقت نزولها أن آيات السيف والقتال ناسخة لآيات عدم الاكراه ، وقوله تعالى : « يا أيها الكافرون » الى آخرها وأمثال ذلك مما يدل على الأمر بعدم مقاتلة الكافرين وهـــذا شىء معلوم بالضرورة والبداهة لكل من يقرأ ويطالع التواريخ وسيرة سيد الأكوان . ولو كان الأمر كما يزعم هذا النصرانى من عدم معرفتنا تقدم آية عدم الاكراه على آية السيف ، وأن الأمر لعله بالعكس لقال الصاحبة يا رسول الله : انا كنا نجاهد الكفار لنزول الأمر بقتالهم ، والآن لما نزلت آية عدم الاكراه لا يباح لنا قتالهم ، وكل عاقل يعلم أنه لا يمكن أن يقول عليه الصلاة والسلام لأصحابه ان هذه الآية نزلت فى عدم القتال ، ثم انه يطلب منهم أن يقاتلوا الكفار والمشركين وعشائرهم الأقربين .

فقول عبد المسيح الآتى : « انك لا تدرى أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ » كلام لا يرتضيه من له أدنى عقل ، وأضعف دراية فى العلم ، وأقل رسوخ اذ كيف يمكن أن يقول أعقل العقلاء واعلم الأنبياء لمثل عمر بن الخطاب الذى اتفقت على صدعه بالحق وسياسته وصفاء فكرته أولو الألباب ان الله سبحانه قد أمر بالقتال ، ثم يقول انه تعالى أمر بعدم الاكراه ، ثم يشرع يقاتل بلا أمر الهى ؟ وحاشـــا فيسكت عمر وغيره من الأصحاب ويقاتلون مع علمهم أن فعلهم هذا مخالف للكتاب ، فتدبر ما قلته لتعرف حقيقة ما ذبرته ، وتعلم أن كلام هذا النصرانى من أوله الى آخره سفسطة لا يقبلها من له أدنى خبرة بأقاصيص الأنبياء ووقوف على سيرة نبينا امام الأصفياء ﷺ ما قام الجهاد فى الأرجاء .

ثم ان فى الآية قولا آخر لبعض المفسرين وهو أنها نزلت فى أهل الكتاب خاصة ، وأنهم لا يكرهون على الاسلام اذا أدوا الجزية للامام ، بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم الا السيف أو الايمان ،

وهذا حكم مستمر الى آخر الزمان . وسبب نزولها على ما حكاه ابن عباس : أن رجلا من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما فقال للنبى ﷺ الا أستكرههما فانهما قد أبيا الدخول فى دين الاسلام ؟ فأنزل الله تعالى فيه ذلك ، فافهم ما قلناه واسلك فى الآيات المصدق بعضها بعضا أوضح المسالك .

قوله : « وأنت الذى تقول : « قل يا أيها الكافرون » الى آخره .

هذه السورة سواء قلنا انها منسوخة بآيات السيف أو غير منسوخة ، ليس فيها مناقضة لغيرها من الآيات الكريمة .

وسبب نزولها : أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الهه سنته ، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم لا أعبد ما تعبدون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن قريشا دعت رسول الله ﷺ الى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ، فان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح ، قال : ما هى ؟ قال : تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة ، فنزلت هذه السورة ، ونزل قوله تعالى : « قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » الى قوله : « بل الله فاعبد ، وكن من الشاكرين » وقال الحافظ ابن القيم فى البدائع ما حاصله : ان بعض العلماء ظنوا أن هذه السورة منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن قوله تعالى : « لكم دينكم ولى دين » اقتضت التقرير لهم لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم ، وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين ضعيفان اذ لا نسخ فى السورة ولا تخصيص بل هى محكمة ، عمومها نص محفوظ . وهذه السورة أخلصت التوحيد والآية اقتضت البراءة المحضة ، وان ما أنتم عليه من الدين لا أوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لا نشرككم فيه ولا تشركوننا فى ديننا الحق ، فهذا غاية البراءة من موافقتهم فى دينهم ، فأين الاقرار حتى يدعى النسخ

والتخصيص ؟ افترى اذ اجوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة ، لا يصح أن يقال لهم كم دينكم ولى دين ؟ بل هذه الآية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى أن يظهر الله تعالى منهم بلاده وعباده انتهى .

قوله : « وتقول : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » الى آخره .

قال المفسرون : أى بالخصلة التى هى أحسن للثواب ، وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه ، وجاء اجابتهم الى الاسلام لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة . وعن ابن عباس قال بالتى هى أحسن بلا اله الا الله الا الذين ظلموا منهم بأن أفرطوا فى المجادلة ، ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالاغلاظ عليهم والتحسين فى مجادلتهم ، ويكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى . وقيل معنى الآية : ولا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم الا بالتى هى أحسن يعنى بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أهل الكتاب ويكون المراد بالذين ظلموا على هذا القول هم الباقون على كفرهم ، قال مجاهد : هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها ، وقيل هى منسوخة بآية القتال . وقيل المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله ﷺ فجدالهم بالسيف ، حتى يسلموا أو الجزية ، وقيل الا الذين أثبتوا الولد والشريك فيدخل فيه أهل الشرك وعبدة الأوثان ، والآية تدل على جواز المناظرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تحقق المجادلة المحقة التى هى أحسن .

اذا علمت ما تقدم الى هنا علمت ما تقدم الى هنا ، علمت أن الجهاد من الأنبياء عليهم السلام للكفرة اللئام أمر واقع وسنة متبعة ، وقد حكته الكتب السماوية واعترف به كل من تخلى عن العصبية ، وسلم من الأقوال السفسطائية وأن نسخ الآيات والأحكام معلوم بالضرورة من ارسال الأنبياء عليهم السلام وأحكامهم المتبدلة للانام كمسألة تزوج أكثر من امرأة

وكأكل سائر الحيوانات وكمسألة السبت والختان واللاطق وغير ذلك مما تعرفه النصارى وتدعيه بالنسان ».

قوله : « فانك لا تدرى أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ » الى آخر ما قال .

فاقول : الجواب عن مسألة النسخ هذه ، معقود لك فى ثلاثة مقاصد :

فالمقصد الأول : فى بيان ما يتعلق بنسخ بعض الآيات القرآنية والأحكام الشرعية . **والمقصد الثانى :** فى جواز نسخ ملة بملة وشريعة بشريعة اخرى . **والمقصد الثالث :** فى ثبوت النسخ فى شرائع أهل الكتاب . ومنه سبحانه نستمد التوفيق .

المقصد الأول : قال الله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ؟ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ؟ وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ، أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » قال المفسرون : نزلت هذه الآية لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون الى محمد ﷺ يأمر أصحابه بأمر ثم يناهم عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ، ما هذا القرآن الا قول محمد ﷺ يقوله من تلقاء نفسه . وهو كلام يناقض بعضه بعضا أ.هـ

فعبد المسيح انما قال ما قاله اخوانه المتقدمون واعترض على المسلمين بما اعترض به المشركون . واعلم انه كما أفرد العلماء بالتصنيف الجواب عن التناقض ، كذلك الناسخ والمنسوخ أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستانى وأبو جعفر النحاس وابن الانبارى وابن العربى وآخرون . قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ .

وفى هذا البحث مسائل :

الأولى : يرد النسخ بمعنى الازالة كنسخت الشمس الظل ، وبمعنى التبديل ومنه قوله تعالى « واذا بدلنا آية مكان آية » وبمعنى التحويل وبمعنى النقل من موضع الى موضع . وشرعا هو بيان انتهاء حكم شرعى بخطاب آخر شرعى .

الثانية : قال الامام السيوطى فى الاتقان : « النسخ لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه ، وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء ، كالذى يرى الرأى ثم يبدو له ، وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الامانة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء كذلك الأمر والنهى .

الثالثة : لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ، ولو بلفظ الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ، ومنه الوعد والوعيد .

الرابعة : النسخ أقسام أحدها نسخ المأمورية قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة **الثانى** : ما نسخ مما كان شرعا لمن كان قبلنا كآية شرع القصاص والدية وانما يسمى هذا نسخا تجوز . **الثالث** : ما أمر به بسبب ثم يزول السبب .

الخامسة : قال السيوطى رحمه الله تعالى :

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد ... فانحلوا فيه آيا ليس تنحصر
وهاك تحرير أى لا مزيد لها ... عشرين حررها الحذاق والكبر
أى التوجه حيث المرأ كان ، وأن ... يوصى لأهلية عند الموت مختصر
وحرمة الأكل بعد النوم مع رفث ... وفدية لمطيق الصوم ومشتهر
وحق تقواه فيما صح من أثر ... وفى الحرام قتال للأولى كفروا
والاعتداد بحول مع وصيتها ... وأن يبان حديث النفس والفكر
والحلف والحبس للزانى وترك أولى ... كفر ، واشهادهم والصبر والنفر

ومنع عقد لزان أو لزانية وما على المصطفى فى العقد مختطر
ودفع شىء لمن جاءت وآية نجوا كذاك قيام الليل يستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

فان قلت : ما الحكمة فى رفع الحكم وبقاء التلاوة ؟ فالجواب من وجهين : احدهما : ان القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به ، يتلى لكونه كلام الله تعالى ، فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة والثانى : أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة لهذه الحكمة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة .

السادسة : ليس فى القرآن ناسخ الا والمنسوخ قبله فى الترتيب الا فى آيتين : آية العدة فى البقرة ، وقوله تعالى : « لا يحل لك النساء »

السابعة : قال أبو بكر بن العربى : كل ما فى القرآن من الكف والاعراض عن الكفار فهو منسوخ بآية السيف . وهى « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين » الآية .

الثامنة : قال ابن الحصاد : « انما يرجع فى النسخ الى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابى يقول آية كذا انسخت كذا » قال : « وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به ، مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر ، فالمعنى فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد » انتهى باقتصار .

المقصد الثانى : اعلم ان اليهود ما عدا الفرقة العيسوية منهم ، قالوا لا يجوز النسخ عقلا ولا سمعا فلا تنسخ ملة بملة لأنه يوهم البداء على الله تعالى وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها ، حتى نسخ ما مضى لأجلها .

قال البوصيرى فى منظومته الشهيرة :

مثل ما قالت اليهود ، وكل لزمته مقالة شنعاء

اذهم استقروا البـــداء وكم ســـا ق وبالا لديهم اســـــتقراء
رأراهم لم يجعلـــوا الواحـــد القها ر فى الخلق فـــــاعلا ما يشـــاء

قال العـــلامة ابن حجر : واعلم أن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا فى شريعة عيسى عليه السلام هل هى ناسخة لشريعة موسى عليه السلام أو مخصصة ؟ والأظهر أنها مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » قلت : وعلى ذلك تدل آيات الانجيل كقوله : « جئت مكملا لناموس » كما تقدم لك غير مرة .

وقال الامام فخر الدين فى المطالب العالية(١) : « الشرائع منها مايعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا ، فهذا يتمنع طرق النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله سبحانه . ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرق نسخه وتبديله . وحكمة نسخه : أن الأعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة ، وظن أنها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده ، بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق ، وعلم أن المقصود من الأعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة ، فان الأوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى تطهير السرائر »

وقال غيره : « حكمته أن الخلق طبعوا على الملالة من الشىء ، فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة لينشطوا فى أدائها وأعظم حكمة أظهار شرف نبينا ﷺ فانه نسخ بشريعته شرائعهم ، وشريعة لا ناسخ لها لأنه نبى الساعة .

ومن حكم النسخ أيضا : ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم ، وبآخر فى يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة . وان كان الثانى أبعد ، ثم ان ما زعمته اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل ، لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لأحوال المكلفين أو الأزمنة . وذلك

---

(١) المطالب العالية من العلم الالهى : ٩ أجزاء فى ٥ مجلدات نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة — تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا

لا يستلزم البداء ، بل ولا يقتضى أن الله تعالى ظهر له شىء بعد أن لم يكن .

وقولهم ان الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه أو قبيح فيستحيل الأمر به ، فالنسخ محال . فجوابه أن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان ، وان قلنا انهما عقليان فالعلم العادى قاطع بأن الفعل قد يكون مصلحة فى وقت ومفسدة فى وقت آخر ، وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد ومفسدة فى حق آخر ، ولا مانع أن علمه تعالى يتعلق بأن حرمة كذا ينتهى بوقت أو فعل كذا ، قالوا : والسمع يمنع النسخ أيضا لأن اللفظ الدال على شرع موسى ، اما أن يدل على الدوام ، فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض ، وان لم يضم له كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ .

قالوا : ومما يمنعه أيضا : ما علم بالتواتر من قول التوراة « تمسكوا بالسبت أبدا » وجوابه : معلوم لديك مما مر عليك غير مرة : أن التوراة غير متواترة . وقد ثبت التحريف فيها . على أنه يمكن أن يراد من لفظ الأبد طول المدة والزمن .

والعجب : أن اليهود اعترفوا بالمسخ ، وهو أن كثيرا منهم حولت صورته الى أقبح منها فى زمن موسى عليه السلام لما خالفوه فى السبت ، فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير ، ولم يعترفوا بالنسخ مع أنه لا يلزم عليه محذور كما عرفت من حده . فالقول بالنسخ أولى من القول بالمسخ ، لأن ذلك بالاحكام وهذا بالذوات . وقالوا : ان النسخ بداء وهو غير جائز على الله تعالى لانه ظهور مصلحة له بعد خفائها ، حتى نسخ ما مضى لأجلها ، مع أنهم يقولون : انه سبحانه وتعالى ندم على خلق آدم ويعترفون بمسألة اسحق الذبيح ، وأنه بعد أن أمر ابراهيم بذبحه أمره بعدم ذبحه .

ولقد أحسن البوصيرى بقوله :

جوزوا النسخ مثال ما جوزوا المسـ ـخ عليهم لـو أنهم فقهاء
ليس الا أن يرفع الحكم بـا لحكم ، وخلق فيه وامر سواء

ولحـــكم من الزمـــان انتهـــاء ولحـــكم من الزمـــان ابتـــداء
فســـلوهم أكـــان فى مســـخهم النســـخ لآيات الله أم انشـــاء ؟
وبـــداء بقـــولهم نـــدم الله عـــلى خلق آدم أم خطـــاء

المقصـــد الثالث :

ملخص من اظهار الحق فى اثبات النسخ فى التوراة والانجيل وما يتعلق بذلك . اعلم : أن النسخ كما تقدم فى اللغة : الازالة . ومنه نســـخت الشمس الظل . وفى اصطلاح المسلمين : بأن انتهاء مدة الحكم العملى الجامع للشروط ، لأن النسخ لا يطرأ عندنا على ما قصه الله تعالى علينا من التصص ، ولا على الأمور القطعية العقلية ، مثل أن صانع العـــالم موجود ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل ، ولا عـــلى الأدعية ولا على الاحكام التى تكون واجبة نظر الى ذاتها ، مثل آمنوا ولا تشركوا ، ولا على الأحكام المؤبدة ، مثل قوله تعالى : « ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا » ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين ، مثل قوله عز وجل : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » بل يطرأ على الأحكام التى تكون عملية محتملة للوجود والعدم غير مؤبدة وغير مؤقتة ، وتســـمى الأحكام المطلقة ، ويشترط فيها أن لا يكون الوقت والمكلف والوجه متحدون بل لابد من الاختلاف فى الكل أو البعض من هذه الثلاثة ، وليس معنى النسخ المصطلح : أن الله تعالى أمر أو نهى أولا وما كان يعلم عاقبته ، ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الأول ، ليلزم الجهل ، أو أمر أو نهى ثم نسخ مع الاتحاد فى الامور المسطور ليلزم الشناعة عقلا . وان قلنا : انه كان عالما بالعاقبة فان هذا النسخ لا يجوز عندنا — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — بل معناه : أن الله تعالى كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيا على المكلفين الى الوقت الفلانى ، ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرســـل حكما آخر ظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقا . ففى الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول ، لكن لما لم يكن الوقت مذكورا فى الحكم الأول ، فعند ورود الثانى يتخيل لقصور علمنا فى الظاهر أنه تغيير .

ونظـــيره بلا تشبيه : أن تأمر خادمك الذى تعلم حـــاله بخدمة من الخدمات ، ويكون فى نيتك أن يكون على هذه الخدمة سنة مثلا فقط ، وبعد السنة يكون على خدمة أخرى لكن ما أظهرت عزمك ونيتك له ، فاذا مضت المدة وعينته لخدمة أخرى ، فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أخبرته عن نيتك تغيير . وأما فى الحقيقة وعندك فليس بتغيير . ولا استحالة فى هذا المعنى لا بالنسبة الى ذات الله سبحانه ، ولا الى صفاته ، فكما أن فى تبديل المواسم كالربيع والخريف والصيف والشتاء ، وكذا فى تبديل الليل والنهار وتبديل ألوان النباتات وتبديل حالات الناس من الفقر الى الغناء ومن المرضى الى الصحة ، وغيرها حكما لله تعالى ومصالح للناس ، سواء ظهرت لنا أو لم تظهر فكذلك فى نســـخ الأحكام حكم ومصالح نظرا الى حال المكلفين والزمان والمكان . ألا ترى الحكيم الحاذق كيف يراعيه حـــال المريض من الزمان والمكان والأدوية ومخالفة العقاقير على حســـب ما تقتضيه المصلحة والحكمة والطبابة ، ولا يحمل ذلك أحد على جهله ، فكيف يظن عاقل بالحكيم المطلق العليم بالأشياء كلياتها وجزئياتها بالعلم القديم الأزلى الابدى أنه يفعل شيئا خاليا عن الحكمة أو يأمر بغير ما تقتضيه المصلحة عبثا ؟

واذا علمت هذا فاعلم أنه ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد القديم والجديد منسوخة عندنا . نعم بعضها كذب مثل أن لوط عليه السلام زنى بابنه وحملتا منه كما فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ، وأن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت منه وولدت توأمين فارص وزارح كما فى الاصحاح الثامن والثلاثين من السفر المذكور ، مع أن داود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولا فارص المذكور كما فى الاصحاح الأول من انجيل متى ، وأن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت منه ، وأنه أهلك زوجها بالمكر ، ثم تزوجها كما فى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى ، أو أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الارتداد ، وبنى المعابد لها كما هو مصرح به فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ، أو أن هارون

عليه السلام صاغ عجلا وعبده وأمر بنى اسرائيل بعبادته كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج .

فنقول : ان هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ، ولا نقول : انها منسوخة . والأمور القطعية العقلية والحسية والاحكام الواجبة والاحكام المؤيدة الوقتية قبل أوقاتها والأحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحد ، لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة ، ليلزم الشناعة . وكذا لا تكون الادعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخا بالمعنى المصطلح عندنا ، ولا نقول قطعا انه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الانجيل كما افتراه صاحب ميزان الحق على أهل الاسلام . وقال : ان هـذا مصرح به فى القرآن والتفاسير ، وانما منعنا عن استعمال الزبور والكتب الأخر من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوكة يقينا بسبب عدم اسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى كتابنا هـذا .

ويجوز النسخ فى غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ فنعترف بأن بعض أحكام التوراة من الأحكام التى هى صالحة للنسخ ، منسوخة فى الشريعة المحمدية ، ولا نقول : ان كل حكم من أحكامها منسوخ كيف وبعض أحكام التوراة لم ينسخ يقينا مثل حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواطة والسرقة وشهادة الزور والخيانة فى مال الجار وعرضه ، ووجوب اكرام الأبوين وحرمة نكاح الآباء والأبناء والامهات والبنات والاعمام والعمات والاخوال والخالات وجمع الاختين وغيرها من الاحكام الكثيرة ، وكذا بعض أحكام الانجيل لم ينسخ يقينا مثل ما وقع فى الاصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس ما لفظه : « فقال له عيسى وهو يحاورة ان أول الأحكام قوله : اسمع يا اسرائيل فان الرب الهنا رب واحد ، وأن تحب الرب الهك بقلبك كله وروحك كله وادراكك كله وقواك كلها . هذا هو الحكم الأول . والثانى مثله : وهو أن تحب جارك كنفسك وليس حكم آخر أكبر من هذين » فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا على أوكد وجه وليسا بمنسوخين .

والنسخ ليس بمختص فى شريعتنا بل وجد فى الشرائع السابقة أيضا كثيرا بكلا قسميه أعنى النسخ الذى يكون فى شريعة نبى لا حق لحكم كان فى شريعة نبى سابق ، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبى لحكم كان فى شريعة نبى سابق ، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبى لحكم آخر من شريعة هذا النبى وأمثلة القسمين فى العهد العتيق والجديد غير محصورة ، لكن نكتفى ههنا ببعضها فنقول :

أمثلة القسم الأول هذه :

الأول : تزوجت الاخوة بالاخوات فى عهد آدم عليه السلام وسارة **زوجة ابراهيم عليه السلام** أيضا كانت اختا علاتية له كما يفهم من قوله فى **حقها المندرج فى الآية الثانية** عشر من الاصحاح العشرين من سفر التكوين **فى الترجمة** العربية سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ والمطبوعة سنة ١٨٣١ فى هذه : « وهى أيضا أنها أختى بالحقيقة ابنة أبى وليست ابنة أمى وقد تزوجت بها » والنكاح بالأخت حرام مطلقا فى الشريعة الموسوية عينية كانت الأخت أو علاتية أو خيفية ، ومساو للزنا والناكح ملعون ، وقتل الزوجين واجب كما فى الآية التاسعة من الاصحاح الثامن عشر من سفر الاحبار هكذا : « لاتكشف عورة أختك من أبيك كانت أو من أمك التى ولدت فى البيت أو خارجا من البيت » والآية السابعة عشر من الاصحاح العشرين من السفر المذكور هكذا : « أى رجل تزوج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمه ورأى عورتها ورأت عورته فهذا عار شديد فيقتلان أمام شعبهما . وذلك لأنه كشف عورة أخته فيكون اثمهما فى رأسهما » والآية الثانية والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : « يكون ملعونا من يضاجع أخته من أبيه أو أمه »

فلو لم يكن هذا النكاح جائزا فى شريعة آدم وابراهيم عليهما السلام يلزم أن يكون الناس كلهم أولاد الزنا والناكحون زانين وواجبى القتل وملعونين ، فكيف يظن هذا فى حق الأنبياء عليهم السلام ؟ فلابد من الاعتراف

بأنه كان جائزا فى شريعتهما ثم نسخ .

فائدة : ترجم صاحب الترجمة العربية المطبوعة فى بيروت سنة ١٨١١ الآية الثانية عشر من الاصحاح العشرين من سفر التكوين هكذا : (هى قريبتى من أبى لا من أمى) فالظاهر أنه حرفه قصدا لئلا يلزم النسخ بالنسبة الى نكاح سارة لأن قريبة الأب تشمل بنت العم والعمة وغيرهما .

الثانى : قول الله تعالى فى خطاب نوح وأولاده فى الآية الثالثة من الاصحاح التاسع من سفر التكوين فى النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨ وسنة ١٨٣١ (وكل ما يتحرك على الأرض وهو حى يكون لكم مأكولا كالبقل الأخضر) فكانت جميع الحيوانات حلالا فى شريعة نوح عليه السلام كالبقولات وحرمت فى الشريعة الموسوية الحيوانات الكثيرة ، منها الخنزير أيضا كما هو مصرح به فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الأحبار والاصحاح الرابع عشر من سفر الاستثناء ولفظه : (ولا تأكلوا مما يجتر وهو غير مشقوق الظلف كالجمل والأرنب والوبر فهى حرام عليكم والخنزير أيضا فانه يشق الظلف وليس يجتر فهو حرام ولا تأكلوا من لحومها) .

فائدة : حرف ههنا أيضا صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ وترجم الآية الثالثة المذكورة هكذا : (كل دبيب طاهر حى يكون لكم مأكلا كخضر العشب) فزاد لفظ الطاهر من عنده لئلا يشتمل (على) الحيوانات المحرمة فى شريعة موسى لأنه نص فى التوراة أنها نجسة .

الثالث : جمع يعقوب عليه السلام بين الاختين ليا وراحيل ابنتى خاله كما صرح به فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين . وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية كما صرح به فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار ولفظها هكذا : (ولا تتزوج أخت امرأتك فى حياتها فتحزنها ولا تكشف عورتهما جميعا فتحزنهما) فلو لم يكن الجمع بين الاختين جائزا فى شريعة يعقوب ، يلزم أن يكون أولادهما أولاد زنا والعياذ بالله تعالى وأكثر أنبياء بنى اسرائيل من أولادهما .

الرابع : أن يوخابذ زوجة عمران كانت عمته فكان أبو موسى تزوج عمته وهذا نكاح محرم فى الشريعة الموسوية ففى الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار : « لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك » فلو لم يكن هذا النكاح جائزا قبل شريعة موسى ، للزم أن يكون موسى وهرون ومريم أختهم من أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى . ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب الى عشرة أحقاب كما هو مصرح به فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء .

الخامس : فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر أرمياء : « ها هوذا ستأتى أيام يقول الرب وأعاهد بيت اسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا ، ليس مثل العهد الذى عاهدت آباءهم فى اليوم الذى أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر عهدا نقضوه ، وأنا تسلطت عليهم يقول الرب » انتهى .

والمراد من العهد الجديد : الشريعة الجديدة ، فيفهم أن هذه الشريعة الجديدة تكون ناسخة للشريعة الموسوية ، وادعى مقدسهم بولس فى الاصحاح الثامن من رسالته الى العبرانيين أن هذه الشريعة شريعة عيسى ، فعلى اعترافه شريعة عيسى عليه السلام (تكون) ناسخة لشريعة موسى عليه السلام وهذه الأمثلة الخمسة لالزام اليهود والمسيحيين جميعا ، ولا الزام المسيحيين أمثلة أخرى ستأتيك قريبا ان شاء الله تعالى .

السادس : يجوز فى الشريعة الموسوية أن يطلق الرجل امرأته بكل علة ، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول كما صرح به فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الاستثناء ، ولا يجوز الطلاق فى الشريعة العيسوية الا بعلة الزنا ، كما صرح به فى الاصحاح الخامس والتاسع عشر من انجيل متى ولما اعترض الفريسيون على المسيح عليه السلام فى هذه المسألة قال مجيبا لهم : « ان موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم الا لقسوة قلوبكم ، وأما من قبل فانه لم يكن كذلك ، وأنا أقول لكم ، ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى ، فقد زنى .

ومن يتزوج بتلك المطلقة يزنى » فعلم من جوابه عليه السلام أنه ثبت النسخ فى هذا الحكم مرتين ، مرة فى الشريعة الموسوية ومرة فى شريعته ، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقا لحال المكلفين ، وان لم يكن حسنا فى نفس الأمر .

السابع : كانت الحيوانات الكثيرة محرمة فى الشريعة الموسوية ونسخت حرمتها فى الشريعة العيسوية ، وثبتت الاباحة العامة بفتوى بولس كما فى الاصحاح الرابع عشر من رسالته الى اهل رومية ولفظها : « فانى أعلم واعتقد بالرب عيسى أن لا شىء نجس العين بل ان كل شىء نجس لمن يحسبه نجسا » وبما قاله أيضا فى الاصحاح الأول من رسالته الى طيطوس ولفظه : « فان جميع الأشياء طاهرة للطاهرين وليس شىء طاهر للنجسين والمنافقين لأنهم كلهم نجسون ، حتى عقلهم وضميرهم » وهاتان الكلمتان فى قوله : « ان كل شىء نجس » الخ وقوله : « جميع الأشياء طاهرة » الخ عجيبتان فى الظاهر ، ولعل بنى اسرائيل لم يكونوا طاهرين فلم تحصل لهم هذم الاباحه العامة ، ولما كان المسيحيون طاهرين حصلت لهم الاباحة العامة ، وصار كل شىء طاهرا لهم ، وكان مقدسهم جاهدا فى اشاعة حكم الاباحة العامة ، ولذلك كتب الى تيموثاوس فى الاصحاح الرابع من رسالته الأولى ما لفظه : « لأن كل ما خلق الله حسن ولا يجوز أن يرفض منه شىء اذا أكلناه ونحن شاكرون ، لأنه يتقدس بكلمة الله وبالتضرع ، فان ذكرت الاخوة بهذا فقد صرت للمسيح خادما جيدا متربيا فى كلام الايمان والتعليم الصحيح الذى اتبعت أثره » انتهى .

الثامن : احكام الاعياد التى فصلت فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاحبار كانت واجبة أبدية فى الشريعة الموسوية كما تدل على أبديتها الآية الرابعة عشر والآية الحادية والعشرون والحادية والثلاثون والحادية والأربعون من الاصحاح المذكور من السفر المزبور .

التاسع : كان تعظيم السبت حكما أبديا فى الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، ومن خالف يجب قتله . وقد تكرر

بيان هذا الحكم فى كتب العهد العتيق فى مواضع كثيرة منها ما فى الاصحاح الثانى من سفر الخروج ، ومنها ما فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج ، ومنها ما فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الأحبار ، ومنها ما فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر الخروج ، ولفظه : « كلم بنى اسرائيل وقل لهم أن يحفظوا يومى يوم السبت من أجل أنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أننى أنا الرب الذى أطهركم فاحفظوا يومى يوم السبت ، فانه طهرلكم ، ومن لا يحفظه فليقتل قتلا ، من عمل فيه فتهلك تلك النفس من شعبها اعملوا عملكم ستة أيام واليوم السابع هو يوم سبت راحة طهر للرب ، وكل من عمل عملا فى هذا اليوم ، فليقتل ، وليحفظ بنو اسرائيل السبت وليتخذوه عيدا بأجيالهم ميثاقا الى الدهر بينى وبين بنى اسرائيل علامة الى الأبد ، لأن الرب خلق السماء والارض فى ستة أيام ، وفى اليوم السابع استراح من عمله »

ومنها ما فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر الخروج : « لاتشعلوا النار فى جميع مساكنكم يوم السبت » وفى الاصحاح الخامس عشر من سفر العدد : « أن من عمل فيه يرجم بالحجارة حتى يموت » وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لأجل عدم تعظيمه للسبت ، وكان هذا أيضا من أدلة انكارهم عليه كما فى الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا ما لفظه : « ومن أجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه كان قد فعل الأشياء يوم السبت » .

واذا علمت هذا تبين لك أن مقدسهم بولس الذى ترجمنا لك حاله فى كتابنا هذا نسخ هذه الأحكام التى مر عليك شرحها ، وبين أن هذه الأشياء كلها كانت اضلالا فى الاصحاح الثانى من رسالته الى أهل كولوسى من قوله : « فلا يدنيكم أحد بالمأكول أو المشروب أو بالنظر الى الاعياد أو الأهلة أو السبوت ، فان هذه الاشياء ضلال للامور المزمعة بالاتيان واما الجسد فانه للمسيح » وقد ذكر مفسروهم أن هذه الأشياء نسخت .

العاشر : حكم الختان كان أبديا فى شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام

كما صرح به فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، ولذلك بقى هذا الحكم فى أولاد اسماعيل واسحاق عليهما السلام وبقى فى شريعة موسى أيضا وقد ختن المسيح عليه السلام ، وقد نسخه بولس كما فى الاصحاح ق الخامس من رسالته الى أهل غلاطية كما فصلناه فى محله .

الحادى عشر : أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبدية فى شريعة موسى ، وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية .

الثانى عشر : الاحكام الكثيرة المختصة بآل هرون من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرها كانت أبدية ، وقد نسخت كلها فى الشريعة العيسوية .

الثالث عشر : نسخ الحواريون بعد المشاورة التامة جميع الاحكام العملية للتوراة الا أربعة ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا فأبقوا حرمتها وأرسلوا كتبا الى الكنائس ، وهذا محرر فى الاصحاح الخامس عشر من أعمال الحواريين ، وانما أبقوا هؤلاء الأربعة لئلا ينفر اليهود الذين هم قريبوا عهد بالدخول فى دين النصرانية ، لأنهم كانوا يحبون التوراة ورسومها . ثم لما رأى مقدسهم بولس بعد هذا الزمان أن هذه الرعاية ليست بضرورية نسخ حرمة الثلاثة الأولى . وعليه اتفاق جمهور البروتستنت ، فما بقى من أحكام التوراة العملية الا الزنا ولما لم يكن فيه حد فى الشريعة العيسوية ، فهو منسوخ أيضا من هذا الوجه .

فقد حصل الفراغ فى هذه الشريعة من نسخ جميع الأحكام العملية التى كانت فى الشريعة الموسوية ، أبدية كانت أو غير أبدية .

ثم انه أتى بشواهد تنوف على العشرين من أرادها فليرجع الى كتابه ، الى أن قال :

وأمثلة القسم الثانى فهذه :

المثال الأول : ان الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل كما صرح به فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين .

الثانى : انه نقل قول نبى من الأنبياء فى حق عالى الكاهن فى الاصحاح الثانى من سفر صموئيل الأول هكذا : « فالله اله اسرائيل يقول : انى قلت ان بيتك وبيت أبيك يخدمون بين يدى دائما لكن يقول الله الآن حاشا لى لا يكون الأمر كذلك ، بل أكرم من يكرمنى ومن يحقرنى يصير ذليلا ، وانى أقيم لنفسى كاهنا متدينا » الخ . فكان وعد الله سبحانه وتعالى أن منصب الكهانة يبقى فى بيت عالى الكاهن وبيت أبيه ثم اخلف وعده ونسخه ، وأقام كاهنا آخر . وفى تفسير دوالى : « ورجردمينت » قول الفاضل « باترك » هكذا : « ينسخ الله ههنا حكما كان وعد به واقر به بان رئيس الكهنة يكون منكم الى الأبد (ثم) أعطى هذا المنصب لعازر الوالد الأكبر لهارون ، ثم أعطاه لثامار الواد الأصغر لهارون ، ثم انتقل الآن بسبب ذنب أولاد عالى الكاهن الى أولاد العازار » انتهى . فوقع الخلف فى وعد الله تعالى مرتين الى زمان بقاء الشريعة الموسوية ، وأما الخلف الذى وقع فى هذا الباب عند ظهور الشريعة العيسوية مرة ثالثة ، فهذا لم يبق أثرا ما لهذا المنصب لا فى أولاد العازار ولا فى أولاد ثامار ، والوعد الذى كان لالعازار مصرح به فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد ، ما لفظه : « انى قد وهبت له ميثاقى بالسلام ، فيكون له ميثاق الحبورة ولخلفه من بعده الى الدهر » انتهى . ولا عجب من خلف وعد الله عز وجل على مذاق أهل الكتاب لأن كتب العهد العتيق طافحة به ، وبأن الله تعالى يفعل أمرا ثم يندم (عليه) — تعالى الله عما يقول الظالمون — .

وقد نقل فى الآية التاسعة والثلاثين من الزبور الثامن والثمانين أو التاسع والثمانين على اختلاف التراجم ، قول داود عليه السلام مخاطبا للبارى عز وجل بما لفظه : « ونقضت عهد عبدك ونجست فى الأرض مقدسة » وفى الاصحاح السادس من سفر التكوين ما حروفه : « فندم

على عمله الانسان على الأرض ، فتأسف بقلبه داخلا ، وقال : أمحوا البشر الذى خلقته عن وجه الأرض ، من البشر حتى الحيوانات ، من الدبيب حتى طير السماء ، لأنى نادم أنى علمتهم » انتهى .

فهذا يدل على أن الله تعالى ندم وتأسف على خلقه الانسان . وفى الزبور الخامس بعد المائة : « فنظر الرب فى أحزانهم اذ سمع صوت تضرعهم ، وذكر ميثاقه وندم لكثرة رحمته » وفى الآية الحادية عشر من الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول قول الله هكذا : « ندمت على أنى صيرت شاول ملكا انه رجع فى ورائى ، ولم يعمل بما أمرته » ثم فى الآية الخامسة والثلاثين من الاصحاح المذكور هكذا : « ان صموئيل حزن على شاول لأن الرب اسف على أنه ملك شاول على اسرائيل .

قال فى اظهار الحق : « وههنا خدشة يجوز أن نوردها الزاما ، وان كنا لا نعتقدها . وهى أنه لما ثبتت الندامة فى حق الله وثبت أنه ندم على خلق الانسان ، وعلى جعل شاول ملكا ، فيجوز أن يكون قد ندم على ارسال المسيح عليه السلام بعد ما أظهر دعوى الأولوهية على ما زعمه أهل التثليث لأن هذه الدعوى من البشر الحادث أعظم جرما من عدم اطاعة شاول أمر الرب سبحانه ، وكما لم يكن الله تعالى واقفا على أن شاول يعصى أمره ، فكذا يجوز أن لا يكون واقفا على أن المسيح عليه السلام يدعى الالوهية ، وهذا ذكرناه الزاما للخصم لانا لا نعتقد ندامة الله سبحانه ولا ادعاء المسيح الالوهية ، بل البارى تنزه عن ذلك ، وعيسى بن مريم معصوم مما هنالك » انتهى .

الثالث : فى الاصحاح الرابع من سفر حزقيال فى النسخة المطبوعة سنة ١٨٣١ فى لندن ما لفظه : « وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالا فى كل يوم من وقت الى وقت تأكله وتشرب ماء بمقدار السدس من القسط ، من وقت الى وقت تشربه . وكخبز ملة من شعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الانسان فى عيونهم . وقال الرب هكذا يأكل بنو اسرائيل

خبزهم نجسا بين الأمم الذين أطردهم اليهم ، فقلت آه آه آه يارب الاله ، ها هوذا نفسى لم تتنجس والميت والفريسة من السبع لم آكل منه منذ صبای ، حتى الآن ولم يدخل فى فمى كل لحم نجس ، فقال لى ها أعطيتك زبل البقر عوض رجيع الناس ، وتصنع خبزك فيه » انتهى . فأمره أولا بالرجيع ثم لما استغاث حزقيال عليه السلام نسخ هذا الحكم قبل العمل .

الرابع : فى الاصحاح العاشر من انجيل متى ما لفظه : « هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، ولكن انطلقوا خاصة الى الخراف التى هلكت من بيت اسرائيل » وفى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى قول المسيح عليه السلام فى حقه ما لفظه : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » فعلى هذا كان عيسى عليه السلام يخصص رسالته الى بنى اسرائيل ، ونقل قوله مرقس فى الاصحاح السادس عشر من انجيله بما لفظه : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » فأحد الحكمين منسوخ (١) أو الآيتان متناقضتان كما لا يخفى .

الخامس : فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : جلس الكتبة والفريسيون على كرسى موسى ، فكل ما قالوا لكم فاحفظوه وافعلوه » اهـ فحكم بأن كل ما قالوا لكم فافعلوه ، ولا شك أنهم يقولون بحفظ جميع الاحكام العملية للتوراة لا سيما الأبدية — على زعمهم — كلها منسوخة فى الشريعة العيسوية كما علمت ذلك مفصلا آنفا . فهذا الحكم منسوخ البتة ، وقد بقيت أشياء كثيرة وآيات فى العهدين وغيرة تدل على النسخ ، تركناها خشية التطويل .

---

(١) لا تناقض هنا فى قول المسيح فان قوله ولكن انطلقوا خاصة أو اذهبوا بالحرى يدل على بدء الدعوة ، أى تكون لليهود بالضرورة ، واذا فهموها انطلقوا الى العالم فلا تناقض . وقد بينا هذا فى كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة .

واذا عرفت أمثلة القسمين لم يبق لك شك ولا ريب فى وقوع النسخ بقسميه فى الشريعة الموسوية والعيسوية ، وظهر أن ما يدعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل ، كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين ، فبعض الاحكام يكون مقدورا للمكلفين فى بعض الاوقات ولا يكون مقدورا فى بعض آخر ويكون البعض مناسبا لبعض المكلفين دون بعض ؟ الا ترى أن المسيح عليه السلام قال مخاطبا للحواريين : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ، لكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا ، واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » كما صرح به فى الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا . وقال للابرص الذى شفاه : لا تخبر عن هذا الحال أحدا » كما صرح له فى الاصحاح الثامن من انجيل متى ، وكذلك ما أمر بنو اسرائيل بجهاد الكفار ما داموا فى مصر ، وأمروا بعد ما خرجوا .

هذا وما ذكرناه لك قل من جل ، وتبين لك أن كلام هذا النصرانى هنا ، تلبيس وتدليس وتمويه لا طائل تحته ولا ثمرة له فيه ، غير تسويد وجوه الأوراق وأن يكون لما قال الشاعر مصداق :

اذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

فنعوذ بالله أن نكون كمن اتبع هواه ، وأضله الشيطان وغواه . ونسأله التثبيت على الصراط المستقيم ، انه سبحانه هاد لمن استهداه كريم .

قال النصرانى : « وقد هذرت المجوس الأنجاس فيما ادعت وزعمت عن « زرادشت » أنه حيث صار الى جبل سيلان ، نزل عليه الوحى هناك ، فحينئذ دعا كشتاسف الملك ، ودعاهم فاجابوه وأذعنوا له ، حيث أراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع فى الطباع ، مثل الفرس الذى أحياه بعد موته ، ومثل ذلك الهذيان أتى به من باب الزمزمة الذى زعم أنه يشتمل على كل لسان ، وجمع فيه كلام أكمل لغة نطق بها

الآدميون وكتبه فى اثنى عشر ألف جلد من جلود الجواميس ، وسماه « زندوستا » أى كتاب الدين ، فهم اذا سئلوا عن تفسيره انكروا معرفته وأقروا بجهله ، وكذلك فعل « البد » بالهند حيث أراهم — كما زعموا — عنقاء مغرب وفى بطنها جارية ، وهى تهتف بهم وتخبرهم أن « البد » صنم محق فى كل ما دعاهم اليه وخبرهم به .

فهذه بعض أخبار المستحسين وخدعهم ، فهل تجد — أكرمك الله — أحدا من الدعاة الذين دعوا الى حق أو باطل الا وقد جاء بحجة أو دليل ؟ صحيح بأن ذلك أمر بين وهو مموه فى الظاهر ممتزج الى أن يدخل فى ميزان المحنة ، فحينئذ يتبين عند العيان صحته من خبثه ، وكذلك فعل كل ذى دعوة بأهل دعوته ، غير صاحبك فانا لم نر ه دعى الناس الا بالسيف وبالسلب والسبى والاخراج من الديار ، ولم نسمع برجل غيره جاء فقال : من لم يقر بنبوتى وأنى رسول رب العالمين ، ضربته بالسيف وسلبته بيته وسبيت ذريته ، من غير حجة ولا برهان . فأما المسيح سيد البشر ومحى العالم فيتعالى ذكره ويجل قدره أن تذكر دعوته فى مثل هذا الموضع ، وأنت عالم بالقصة كيف كانت . وكفى بعلمك ؟ أفرأيت — أصلحك الله — من استخار لنفسه فى مثل عقلك وأدبك أن تدعو مثلى مع شدة امتحانى الأمور وتحصيلى لها الى مثل ما دعوتنى اليه ، وخاصة وأنا أتلو كلام سيدى يسوع المسيح ليلى ونهارى ، وهو شعارى ودثارى ، وأسمعه يقول : « تفضلوا على الناس جميعا وكونوا رحماء ، كى تشبهوا أباكم الذى فى السماء فانه يشرق شمسه على الأبرار والفجار ، ويحدر مطره على على الأخيار والأشرار » (متى) فكيف يظن بمثلى والمسيح يخاطبنى بمثل هذه المخاطبة . وقد ربيت فى هذه النعمة ونجحت بهذه البركة ، وجرت فى أعضائى وفى جسمى مع الدم دما ، وفى عظامى مع المخ مخا ، نشأت فى هذا النجاح والرحمة ونبت لحمى وشعرى عليها ، فحاشا أن يقسو قلبى ، وأتمرد متشيطنا حتى أصير فى صورة ابليس العدو القاتل ، فأضرب وأقتل أبناء جنسى وذرية آدم المجبول بيد الله ، وعلى صورته تعالى

والله جلت قدرته هو القائل « : لست أحسب موت الخاطىء لأنه اليوم في خطاياه وغدا يتوب ، فاقبله كالأب المرحوم » سيما وقد شرف الله سبحانه وتعالى النوع الانسانى بأن كلمته الخالقة تجسدت منه واتحدت به وأعطته ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة ، فصارت الملائكة تسجد له وتقدس اسمه ، وتسبح ذكره كما يسبح اسم الله وذكره ، ولا تفرق فى ذلك بينهما ، ثم زيد نعمة الى النعمة المتقدمة بأن أعطى الجلوس عن يمين ذى العزة تشريفا لذلك الجسد المأخوذ منا الذى هو من ذرية أبينا آدم ، فهو مثلنا وأخونا فى الطبيعة ، وخالقنا والهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة ، ثم دفع اليه تفضلا منه عليه واكراما له وانعاما جميع السلطان فى السموات والأرض ، وخوله تدبير الخلائق وصير البعث والنشور والدين اليه ، وان يحكم حكما نافذا جائزا على الملائكة والانس والشياطين ، أفتريد — يا حبيب — أنى أنا أضاد أمر الله — تبارك اسمه — واضربهم بالسيف واسلبهم وأسبيهم ؟ ان هذا الجور على الله عز وجل وعناد لأمره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لاحسانه وكفران لاحسانه وقلة شكر لتفضله . وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه » انتهى .

أقول : ان مقصد هذا النصرانى هنا أن خوارق المعادات قد تظهر من غير نبى حق ، فلا تدل على نبوته . وذلك مثل ما ظهر من « زرادشت » والصنم المسمى بـ « البد » ليتوصل بزعمه الباطل الى ابطال نبوة نبينا خاتم الأنبياء ﷺ الذى بلغت معجزاته الحد وتجوزت العد ، وقد ذكرنا لك منها جملة سالمة الغش لدى السبك والنقد . والفرق بين ما يظهر من الساحر ونحوه من الخوارق وبين ما يظهر من النبى الصادق . حررناه لك فى محله من هذا الكتاب ، فراجعه ان شئت لتقف على بهرجة المخرق الكذاب ، ولا يخفى أن مثل ما أشار به عبد المسيح ليتوصل به الى الطعن القبيح قد قاله الزنادقة ومنكرو النبوات كالبراهمة فى حق سائر الأنبياء عليهم من الله تعالى أكمل الصلوات والتسليمات ، وأنت تعلم ما قاله فرعون وقومه فى حق موسى وهرون وما جرى من الأقوام مع زكريا ويحيى ويوشع بن نون . وهؤلاء اليهود قالوا فى المسيح عليه السلام من الأقوال الشنيعة

التى تحجم عند ذكرها الأقلام وادعوا أنه ابن ربية ساحر ورموه بالعظائم والكبائر ، فصلبوه بزعمهم الفاجر ، فهل نقص ذلك شيئا من قدره العالى ؟ اذ لا يضر نبح الكلاب القمر المتلألىء .

وقد ذكرنا لك فى كتابنا هذا بعض عقائد المجوس ، التى لا تقبلها طيبات النفوس . ولنذكر لك هنا شيئا من حال رئيسهم المنحوس .

ففى شرح المنظومة التاريخية بنظم الجمان ، للشيخ أحمد بن أبى عدسة المقدسى عليه رحمة الملك الديان ما لفظه :

اين زرادشت الذى قد حكما ومن الى نحلته قد انتمى ؟
وما الذى أسسه من البدع فى ملة الفرس وما قد صنع ؟
ثم أتى الموت فما استطاعا من حيلة . ولم يجد دفاعا

زرادشت صاحب كتاب المجوس ، قيل : انه كان صاحب نيرنجيات وسحر وحيل ، وقيل : انه كان غلاما لأشعياء النبى عليه السلام قد عليه غبرص وأظهر زرادشت كتابا لهم زعم أن الله تعالى أنزل عليه . وقال البارى تعالى انه خالق النور والظلمة ومبدعها ، وأنه واحد لا شريك له ، وان الخير والشر والصلاح والفساد انما حصلوا من امتزاج النور بالظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، ولا يزال المزاج حتى يغلب النور على الظلمة . ثم يخلص الخير الى عالمه والشر الى عالمه ، وقبلة زاردشت الى الشرق ، حيث تطلع الأنوار ولهم فى خلقه كلام ، يقولون : ان الله تعالى خلق خلقا واحتف به تسعون الفا من الملائكة المكرمين ، وخلق الشمس والقمر والكواكب والأرض وبقيت غير متحركة ثلاث آلاف سنة ثم جعل روح « زرادشت » فى شجرة أنشأها فى أعلى عليين وغرسها فى جبل من جبال « آذربيجان » تعرف بـ « اسمو متدجر » ثم مازح شبح « زاردشت » بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت واسمه « نور » فصار نطفة ثم مضغة فى رحم أمه ، واسمها « وعدد » وهى (من) قرية من قرى آذربيجان فقصدها الشيطان وغيرها . فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالة برئها فبرئت ، ثم لما ولدته

ضحك تنيها لمن حضر ونشأ بعد ذلك الى أن بلغ ثلاثين سنة ، ثم بعثه الله تعالى رسولا على زعمهم ، ولم تزل الفرس على دينه الى أيام « مردك » وله كتاب الزمزمة يسمى « زندواستيا » يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم ، ليس فى حروف سائر اللغات أكثر حرفا من هذا وكتبه فى اثنى عشر ألف جلد بالذهب ولم تزل ملوكهم تعمل بما فيه الى عهد « الاسكندر » فأحرق الاسكندر بعضه ، وهلك « زرادشت » وعمره سبع وتسعون سنة » انتهى باقتصار .

وفى روح المعانى عند تفسير قوله تعالى : « ولهم عذاب عظيم » ما لفظه : « نفى العذاب مطلقا مما لم يقل به أحد ممن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ، حتى أن المجوس لا يقولونه ، مع أنهم الذين بلغوا من الهذيان أقصاه فان عقلاءهم — والعقل بمراحل عنهم — زعموا ان ابليس عليه اللعنة لم يزل فى الظلمة بمعزل عن سلطان الله تعالى لم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب ، فصار فى سلطان الله تعالى وأدخل معه الآفات والشرور ، فخلق الله تعالى هذا العالم شبكة له ، فوقع فيها فصار لا يمكنه رجوع الى سلطانه ، فبقى محبوسا يرمى بالآفات ، فمن أحياه الله تعالى أماته ، ومن أصحه أسقمه ، ومن أسره أحزنه ، وكل يوم ينقص سلطانه . فاذا قامت القيامة وزالت قوته طرحه الله تعالى فى النجو وحاسب أهل الأديان وجازاهم على طاعتهم للشيطان وعصيانهم له .

نعم المشهور عنهم أن الآلام الدنيوية قبيحة لذاتها ولا تحسن بوجه من الوجوه ، فهى صادرة عن الظلمة دون النور ، وبطلان مذهب هؤلاء أظهر من نار على علم » انتهى .

وفى كتاب **الملل والنحل** للفاضل أبى الفتح محمد الشهرستانى ما بعضه : « من ذلك المجوس وأصحاب الاثنين والمانوية وسائر فرقهم المجوسية » الى أن قال : « منها المجوس أثبتوا أصلين كما ذكرنا الا أن المجوس الاصليين زعموا ان الاصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلى والظلمة محدثة ، ثم لهم اختلاف فى سبب حدوثها . أمن النور حدثت أم من شىء آخر ؟ وهؤلاء يقولون : المبدأ الأول من الأشخاص

« كيومرث » وربما يقولون : « اردوان الكبير » والنبى الآخر « زرادشت » والكيومرثية يقولون : هو آدم عليه السلام . وقد ورد فى تاريخ الهند والعجم أن كيومرث آدم ، ويخالفهم أصحاب التواريخ . والكيومرثية أثبتوا أصليين « يزدان » و « أهرمن » وقالوا : يزدان أزلى قديم ، وأهرمن مخلوق .

ومن ذلك الروزانية قالوا ان النور أبدع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ، ولكن الشخص الأعظم الذى اسمه رزوان شك فى شىء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك .

ومن ذلك الزرادشتية أصحاب زرادشت بن نوردشت الذى ظهر فى زمان كشتاسف بن لهراسف الملك ، وأبوه كان من آذربيجان وأمه من الرى ، زعموا أن لهم أنبياء وملوكا أولهم كيومرث فكان من ملك الأرض وكان مقامه باصطخر ، وبعده هوشيخ بن فراوك نزل أرض الهند ، وكانت له دعوة ثمة ، وبعده طهمورث وظهرت الصابئة فى أولى سنة من ملكه ، وبعده أخوه جم الملك ، ثم بعده أنبياء وملوكا منهم بنو جهرك ، ونزل بابل وأقام بها ، وزعموا أن موسى عليه السلام ظهر فى زمانه ، حتى انتهى الملك الى كشتاسف بن لهراسف ، وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم ، وتدعى **الزرادشتية** له خوارق .

ومن الزرادشتية صنف يقال لهم السيسانية ورئيسهم رجل من رستاق نيسابور ، خرج فى أيام أبى مسلم صاحب الدولة كان زمزميا يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعى المجوس الى ترك الزمزمة ورفض عبادة النيران ، ووضع لهم كتابا وأمرهم بارسال الشعور وحرم الأمهات والبنات والاخوات وحرم عليهم الخمر ، وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة ، ولا يذبحون الحيوان ، حتى يهرم ، وهم أعدى خلق الله للمجوس الزمازمة ثم ان أبا مسلم قتله على باب جامع نيسابور ، فقال أصحابه : انه صعد الى السماء على برذون ، وسينزل عليه فينتقم من أعدائه .

ومنهـــا الثنوية يزعمون أن الظلمة والنور أزليان قديمان ، بخـــلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام .

ومن ذلك المانوية أصحاب مانى بن ماين الحكيم الذى ظهر فى زمان شابورس أزدشير ، فقتله أمان بن شابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام ، أخذ دينا بين المجوس والنصرانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام واعتقاده فى الشرائع والأنبياء أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أول البشر ، ثم شيثا بعده ، ثم نوحا بعده ثم ابراهيم بعده عليهم السلام ، ثم بعث بالبدرة الى أرض الهند وزرادشت الى أرض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب ، وبولس بعد المسيح اليهم ، ثم يأتى خاتم النبيين ﷺ الى أرض العرب .

ومن ذلك المزدكية هو مزدك الذى ظهر فى أيام قباد ، والدنوشروان . ومن ذلك الديصانية أصحاب ديصان . ومنهم المرقونية أثبتوا أصـــلين قديمين النور والظلمة وأصلا ثالثا وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج ، ومنهم من يقول هو روح الله وابنه . من ذلك : الكينونية والصيامية وأصحاب التناسخ ذكر جماعة من المتكلمين أن الكينونية زعمت أن الأصول ثلاثة النار والأرض والماء ، وانما حدثت الموجودات من هذه الأصول دون الاصلين اللذين أثبتهما الثنوية ، قالوا : والنار بطبعها خيره نورانية والماء ضدها فى الطبع ، فما كان من خير فى هذا العالم فمن النار ، وما كان من شر فمن الماء ، والأرض متوسطة . وهؤلاء يتعصبون للنار شديدا وتوجهوا فى عباداتهم الى النيران تعظيما لها وأمسكوا أيضا عن النكاح والذبائح .

والتناسخية منهم قالوا بتناسخ الأرواح فى الأجساد .

واما بيوت النيران للمجوس فكانت قبل زرادشت فى بلاد كثيرة ، ثم جد زرادشت بيت نار نيسابور ، وآخر بنسا . والمجوس انما يعظمون النار لمعان منها أنها جوهر شريف علوى . ومنها ما أحرقت الخليل عليه السلام . ومنها ظنهم أن التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار .

وبالجملة : هي قبلة لهم ووسيلة وشارة » انتهى باقتصار .

وأن اردت تفصيل أقوالهم فعليك بالملل . والنحل وكتب التوليخ والله تعالى أعلم .

وأما قوله : « البد »

فأصحاب البددة صنف من البراهمة المنتسبين الى رجل منهم اسمه برهام ، قد مهد له نفى النبوات أصلا ، وقرر استحالة ذلك عقلا ومعنى البد عندهم على ما قال الشهرستانى : شخص فى هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ، واول بد ظهر فى هذا العالم اسمه « سالمين » وتفسيره السيد الشريف من وقت ظهروه الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة ، قالوا : ودون مرتبة البد مرتبة النور ، وزعموا أن البددة أتوهم وأعطوهم العلوم وظهروا لهم فى أجناس وأشخاص شتى ، واختص ظهور البددةبأرض الهند وفى القاموس : « البد بالضم البعوض والصنم ، معرب بت وجمعه بددة وأبداد وبيت الصنم » انتهى .

فاذا علمت ما يتعلق بالمجوس واحطت خبرا بما حررناه لك غير مرة من اثبات الجهاد ومشروعية من رب العباد ، ووقفت على ما أبطلنا به مرارا دعواه التثليث والوهية المسيح ، تبين لك أن هذا الكلام الذى سود به وجه صحيفته عبد المسيح ، من أوله الى آخره متهافت متناقض لا طائل تحته ولا حجة تقوم على صدقه ولا برهان يؤيده ، ممزوج بدعاوى كاذبة واعتقادات غير صائبة .

وقد تقدم منا ما يرد باطله ويبين عاطله ، بل هو لعمر الله لا يحتاج الى رد ولا جواب لظهور فساده على ذوى الألباب ، غير أنا نبين عدم عمله بقوله « أفرأيت أصلحك الله من استخار لنفسه فى مثل عقلك وأدبك أن تدعو مثلى مع شدة امتحانى الأمور وتحصيلى لها الى مثل ما دعوتنى اليه » الى آخره . فالعجب من هذا النصرانى يدعى التفلسفة والعقل وامتحانه للامور ، مع أنه يعتقد التثليث المضاد للعقل ويزعم أن المسيح الذى جعله الهه يؤكل لحمه ويشرب دمه فى كل يوم وفى كل معبد للنصارى ، فهل يعد قائل ذلك من العقلاء أو يمنح سمعا لعجيب هذا الافتراء .

ولنورد ذلك على ما يأتي على هذه العقيدة من المحال ونسوق لابطالها أدلة تفقد صدور علمائهم على الاعجاز فى الجدال ولا يجدون لها أجوبة ، ولو اجتمعوا بالمسيح الأعور الدجال . ولنذكر أولا ما قالوه فى كتبهم عند تعليمهم لهذه العقيدة المضحكة من الكتاب الموسوم بمختصر التعليم المسيحى ، المطبوع فى « الموصل » طبعة ثالثة فى دير الآباء الدومنكيين سنة ١٨٨٥ فى الصحيفة ٢١٢ ما لفظه :

الفصل التاسع فى سر الأوخرستيا وفيه خمسة مباحث أولا فى حقيقة سر الاوخرستيا .

س : ما الاوخرستيا . ج : الاوخرستيا وتسمى أيضا القربان المقدس هى سر يحوى فى الحقيقة والجوهر جسد ودم سيدنا يسوع المسيح مع نفسه وألوهيته تحت اشكال الخبز والخمر .

س : متى رسم المسيح سر الاوخرستيا ؟ ج : رسم المسيح سر الاوخرستيا يوم الخميس المقدس ليلة موته .

س : كيف رسمه ؟ ج : ان المسيح لما أراد أن يرسم سر الاوخرستيا أخذ خبزا وبارك عليه وكسره وأعطاه لتلاميذه قائلا خذوا كلوا هذا هو جسدى ثم تناول كاسا فيه خمر وقال خذوا واشربوا هذا هو دمى اصنعوا هذا لذكرى .

س : أى أعجوبة صنع المسيح بقوله هذا هو جسدى وهذا هو دمى ؟ ج : ان المسيح بهذه الكلمات هذا هو جسدى وهذا هو دمى صنع أعظم العجائب لأنه حول الخبز الى جسده والخمر الى الى دمه .

س : لماذا ربنا يسوع المسيح بعد هذه الاستحالة قال لرسله اصنعوا هذا لذكرى ؟ ج : ربنا يسوع المسيح بعد هذه الاستحالة قال لرسله اصنعوا هذا لذكرى حتى يعطيهم لهم ولخلفائهم من أساقفة وقسوس سلطانا أن يحولوا مثله الخبز الى جسده والخمر الى دمه .

س : متى يستحيل الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه ؟ **ج** : يستحيل الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه فى ذبيحة القداس وقت الكلام الجوهرى حينما الكاهن يلفظ كلمات المسيح بذاتها هذا هو جسدى وهذا هو دمى .

س : هل يبقى خبز وخمر بعد التقديس أى بعد الكلام الجوهرى على المذبح ؟ ج : بعد التقديس لا يبقى على المذبح خبز ولا خمر بل تبقى اشكالهما أو اعراضهما أى صورة خبز وخمر فقط .

س : ما المراد باشكال أى اعراض الخبز والخمر ؟ **ج** : المراد باشكال اعراض الخبز والخمر ما يبان لحواسنا منها أى لون وصورة وطعم ورائحة الخبز والخمر .

س : هل يوجد المسيح بصحته حيا ممجدا فى كل من شكلى الخبز والخمر ؟ **ج** : نعم يوجد المسيح بصحته حيا وممجدا تحت كل من شكلى الخبز والخمر حتى أن أصغر جزء منهما يحوى المسيح بصحته حيا وممجدا كمثل أكبر جزء منهما .

س : هل يخلى المسيح السماء عندما يحضر فى القربان المقدس ؟ **ج** : أن المسيح لا يخلى السماء عندما يحضر فى القربان المقدس بل هو معا فى السماء وتحت كل من الجوهرات المقدسة حيا وممجدا .

س : هل يجب علينا أن نسجد لجسد المسيح ودمه فى القربان المقدس ؟ **ج** : نعم يجب علينا أن نسجد لجسد المسيح ودمه فى القربان المقدس لأن جسده ودمه متحدان مع اللاهوت بلا انفصال .

س : لماذا رسم المسيح الاوخرستيا ؟ **ج** : رسم المسيح الاوخرستيا لكى يقرب ذاته فيها قربانا لله أبيه ولكى يكون لنا قوتا وحياتنا ولها اياه » انتهى .

وفى كتاب « القسطاس » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٨ ما لفظه :

س : ما هو تعليم الكنيسة الرومانية فى الأسرار ؟ ج : أن العقيدة الثالثة من قانون ايمان البابا بيوس الرابع هى اعترف ايضا أنه لا ريب فى أن فى الشريعة الجديدة سبعة أسرار مرسومة من ربنا يسوع المسيح ، وهى فى غاية الموافقة وضرورية لخلاص كل البشر وهى المعمودية والتثبيت والعشاء الربانى والاعتراف والمسحة الأخيرة ودرجات الكهنوت والزيجة واما حكم مجمع تزيت فهو كل من يحكم أن أسرار العهد الجديد ليست جميعها مرسومة ، من يسوع المسيح ربنا أو أن بعضها ليست أسرارا حقيقة ، ولا تستحق أن تدعى كذلك فليكن ملعونا » انتهى .

ومثل هذا فى كتبهم على اختلاف عباراتهم كثير جدا وعلى هذه العقيدة جمهور النصارى وأكثر فرقهم ، الا أن بعض فرقهم يخالف فى ذلك مما هو مبسوط فى كتبهم وأشرنا الى بعضه فى أثناء كتابنا هذا فاطلبه فيه ، ان أردته .

وهذه العقيدة باطلة من وجوه :

الأول : ان قولهم ان القربان ذبيحة غير دموية وان كل من لا يقول ان دم المسيح موجود فيه كاملا يكون محروما ، فان كان ذبيحة غير دموية ، يكون قولهم ان الدم موجود فيه باطلا ، وان كان الدم موجودا فيه ، يكون قولهم ان الذبيحة غير دموية باطلا .

الثانى : ان كان القربان ذبيحة حقيقية كما يقولون ، فان المسيح يموت كل يوم مرارا كثيرة ، وعندهم انه لا يموت الا مرة واحدة ، وان كان ذبيحة سرية فهو تذكار موته كما ذهب اليه البروتستنت ، فالاستحالة باطلة والسر اشارة الى الحقيقة عندهم لا هو عين الحقيقة .

الثالث : قولهم ان المسيح يحل فى خبز القداس فان كان الأمر كذلك ، يكون الخبز قد بقى خبزا والمسيح حال فيه وان كان قد استحال

الى المسيح فقد اجتمع مسيحان ، وان كان المسيح يبقى فى السماء والقرابين تصير مسحاء كثيرين فما أشنع هذا الكفر بل هو حيوان صرف .

الرابع : ان كان المسيح أعطى جسده الحقيقى على زعمهم لتلاميذه قبل آلامه ، وأكلوه كله حقيقة ، فالذى كان بعد ذلك حيا معهم يخاطبهم فى البستان ويصلى معهم كان خيالا لا مسيحا ، لأنهم كانوا قد أكلوه بزعمهم قبل ذلك ، وان كان هو المسيح وكان باقيا معهم الى نهاية أمره فالذى أكلوه قبلا هو خبز فقط فالاستحالة باطلة .

الخامس : ان كان الذى أكله التلاميذ ، هو المسيح حقيقة ، فاليهود حينئذ لم يصلبوه بل صلبوا خيالا أو غيره ، وان كان هو الذى صلب كما يزعمون فالتلاميذ أكلوا خبزا فقط لا مسيحا فالاستحالة لا أصل لها .

السادس : يقولون أن المسيح غائب بالجسد والبابا الذى فى رومية الحاضر نائب عنه وهو مثله فان كان كذلك ، فالقربان ليس هو المسيح وان كان القربان الحاضر كل يوم هو المسيح ، فلا حاجة الى نيابة البابا عنه .

السابع : ان الخبز بزعمهم اذا استحال وصارا لها ويسجد له فان كان هذا حقا يلزم دوامه مادام الله موجودا بلا زوال ولا فساد مع أنه ليس بدائم لأنهم كل يوم يحتاجون أن يقدسوا غيره ، لأن ما قبله قد فسد وتلاشى ، فالاستحالة باطلة ، وهى مكر وغش وخديعة من رؤسائهم .

الثامن : يقولون أيضا أن القربان هو الذبيحة الغافرة ، التى قربها المسيح لمغفرة الخطايا وفى كل يوم قداس يحصل الغفران التام فان كان الأمر كذلك فينبغى أن يكون قداس واحد كافيا لخلاص خاطىء واحد من المطهر ، الذى يزعمونه بل لخلاص الوف الى أبد الدهر كما قالوه فى ذبيحة الصليب وان كان قداس واحد يكفى لخلاص الخاطىء من المطهر ، فالذين يأخذون أجرة القداديس الأخرى كاذبون محيلون .

التاسع : يقولون ان يسوع المسيح لما كسر الخبز ، وقال انه هو الذى يكسر ويهرق لاجل مغفرة الخطايا فان كان هذا حقا يكون موته على الصليب اخيرا عبثا لانه اوجد الغفران كاملا قبل ذلك بكسر الخبز واعطاء الكاس وان كان موته على الصليب ، كان لازما ، فالذى فعله أولا لم يكن استحالة فبطل العشاء الربانى والاستحالة .

العاشر : ان المسيح على زعمهم بعد ان قال هذا هو جسدى الى آخره قال اصنعوا هذا لذكرى فان كان القربان هو المسيح فى الحقيقة ملا يكون ذلك تذكارا له بعد ذلك ، لأن تذكار الشىء ليس هو حقيقة الشىء وان كان تذكارا له بعد غيبوبته عنهم بالجسد فالاستحالة باطلة كاذبة لانه لم يقل لهم اصنعوا هذا لحضورى .

الحادى عشر : ان المسيح تالم كثيرا عند موته الحقيقى الذى يزعمونه ، فان كان الآن أيضا يتحمل فى كل قداس آلاما عندما يقدس الكاهن فهو قتل جديد وآلام مترادفة غير منقطعة ، وان قالوا انه بلا الم فهو انكار لضرورى وان قالوا : ليس بقتل حقيقة فقد بطلت الاستحالة ويكون السجود للقربان عبادة اصنامية .

الثانى عشر : ان المسيح لم يزل بعد الاتحاد ذا طبيعة انسانية ، لم تستحل ، واذا كان هذا حقه فجسده فى السماء ، عن يمين الآب فقط كما يزعمون ذلك وان كان حاضرا فى كل القرابين كما يزعمونه ، فقد نفوا انسانيته واستحال كله الهه ما بقى ذا طبيعتين كقول الذين يدعونهم لراتقة ، وان كان الأمر كذلك فلا يلزم انحصار جسده فى القربان فقط ، بل يكون حاضرا فى كل بالاجمال .

الثالث عشر : انهم زعموا أن المسيح باللاهوت حاضر واما بالجسد فهو غائب ، فان كان القربان المنظور اليه هو المسيح بعينه فهذه الشهادات الالهية ، التى يدعونها كاذبة مثل قوله انا لست معكم كل حين وقوله : « أنا ماض الى الآب ولستم ترونى بعده » فان كان قوله صادق فى المنظور اليه ليس هو المسيح ، فالاستحالة باطلة .

الرابع عشر : أن كان يمكن ان نفس المسيح الناطقة تسكن وتحل في جماد الخبز كما يزعمونه ، فيها أيضا أن تسكن الأرواح فى الصور والأصنام وتباح العبادة لها كالوثنيين ، وان كان لا يمكن ذلك ، فلا تجوز العبادة للقربان ، فبطلت الاستحالة .

الخامس عشر : ان كان خبز القربان هو الجسد المأخوذ من العذراء بعينه وهو انساني فليأكلوا لحم أى انسان كان وان كان بينهما فرق فقد فرق بين الماهية الانسانية مع أن الماهية الانسانية واحدة ، وان قالوا أن هذا الجسد يؤكل كلونه حل فيه اللاهوت ، فقد اكلوا الناسوت واللاهوت وهو باطل .

السادس عشر : انهم يزعمون ان عيسى هو الله سبحانه وانه يكون الخبز عينه فينبغى أن من أكله يكون الاله حالا فيه وان تحل فيه صفاته أيضا ، فصارت النصارى كلها آلهة فلما بعد ذلك ، يغفر لهم القس ذنوبهم أيضا ؟ ولماذا بعد موتهم يأخذ منهم دراهم ليخلصهم من نار جهنم ؟ وكيف جاز على من حل به الاله أن يموت أو يعذب ويدخل النار ؟ فبطلت الاستحالة .

السابع عشر : اذا حل وبقى القربان فى جسد الأكل الذى هو مرتكب للخطايا فهل يدخل معه الى جهنم أم لا فان دخل معه فقد دخل المسيح أيضا ، وان لم يدخل لم يكن متحدا .

الثامن عشر : اذا دخل معه ، ودخل مع غيره أيضا فاما أن يتعدد أو يتجزىء ، وكلاهما باطلان .

التاسع عشر : اذا خرج منه هل خرج من بطنه بحاله أم تغير ؟ وكلاهما فاسدان باطلان .

العشرون : أنه لو كان واقعا لصح المريض عند أكله ، مع أنه لا يصح ولا يشفى .

الحادى والعشرون : ينبغى أن العبادة بعد أكله تسقط عن الآكل لأنه استحال الها ، والاله معبود لا عابد ، فبطلت الاستحالة .

الثانى والعشرون : ما قاله المعلم مخيائيل فى كتابه « الدليل » ما لفظه : والأغرب من هذا جميعه أن الكاهن بعد أن يقدس ويصير بين يديه مسيح كامل يقسمه الى أجزاء صغار ليوزعها على المتناولين فكل متناول جزء منها يتناول مسيحا كاملا بلاهوته وناسوته ، وما بقى من هذه الأجزاء يتناوله الكاهن . فنسأل هذا الكاهن أنه عندما قسم هذا القربان الى أجزاء شتى ، هل تقسم المسيح على عددها أم صار مسحاء شتى ، كل واحد منهم فى جزء من أجزاء هذا القربان ؟ فاذا كان تقسم على عدد الأجزاء لا يكون المتناول آخذا مسيحا كاملا ، فمن أين جنابه أوجد المسحاء الزائدين عن الواحد ؟ انه على زعمه حينما قدس التقدمة استحالت الى مسيح واحد لا الى مسحاء كثيرين ، واذا سلمنا أن كل جزء قد احتوى على مسيح كامل . وأما الأجزاء التى تزيد عن عدد المتناولين وربما كانت كثيرة ، فهذه يتناولها الكاهن جميعها فيلزم أنه تناول مسحاء كثيرين على مقدار عدد الأجزاء ، أم أنها استحالت جميعها الى مسيح واحد أم أن المسحاء الزائدين عن الواحد تلاشى وجودهم » أ. هـ.

وليعلم أنه لشناعة هذه العقيدة وظهور بطلانها خالف فيها فرقة البروتستانت سائر فرق النصارى القائلين بها ، كما أنهم خالفوهم أيضا فى مسألة الصور ، وجواز السجود لهن ، وفى غفران القسوس ذنوب المذنبين وبيعهم الجنة لهم ، وفى مسألة تزوج القسيسين ، وغير ذلك فحكموا بضلالهم وكفرت البروتستانت سائر فرق النصارى القائلين بها .

والعجب منهم أنهم لا يقولون بحقيقة العشاء الربانى ، بل يجعلونه للتذكار بلا حقيقة ، لأن القول مخالف للعقل عندهم ، ومع ذلك يقولون بالتثليث المخالف للعقل أيضا .

ولننقل لك من كلامهم مع الكاثوليك وغيرهم وردهم عليهم ليزداد الناظر منهم علما فى بطلان هذه العقيدة ، فقد قالوا فى ردهم المطبوع

فى بيروت سنة ١٨٥٩ أن الكتب المقدسة تعلمنا أن المسيح لم يزل فى السماء عن يمين أبيه بناسوته ، وليس يأتى ليسكن فى القربان ، ولا القربان يصير مسيحا آخر ، ونقول أيضا : ان الذى خلق حواسنا لا يلزمنا أن نؤمن بخلاف المحسوس بها ، لأنه كما حقق تحويل الماء خمرا أمربذوقه ، وأحيا العاذر وغيره لتصرفوك مع الأحياء ، وعند دخوله على التلاميذ والأبواب مغلقة قال : جسونى ، وانظروا الى آخره . وقال لتوما : ضع يدك فى جنبى ، وفى كل ذلك لم يلزم أحدا ان يؤمن بالوهم ضد حواسه . فكيف يلزمنا أن نؤمن بأن الخبز صار لحما بل الها ونحن نراه خبزا كما كان لم يتغير أصلا .

قالوا : ونحن نقول أيضا ان ربنا له المجد لم تأنس لم تستحل ألوهيته ولا بعد صعوده الى السماء ، فيا للعجب كيف يصير الخبز الها حينما يرفع على أيدى القسوس ؟ وأى قوة فى أيديهم حتى يصنعوا من تراب الأرض الها خلق السموات والأرض ؟ وأى علامة عندهم لاثبات ذلك قالوا : ونقول أيضا : أن جسما عنصريا مخلوقا لا يمكن وجوده فى مكانين معا فى وقت واحد ، وذلك الاله المتجسد أعنى المسيح اذ كان على الأرض لم يكن قط فى مكانين معا فى وقت واحد ، فكيف يحضر جسده بعد صعوده الى السماء فى ألوف من الأمكنة بدقيقة واحدة ؟ وماذا يقصد فى ذلك الا ان يملأ اكياس الكهنة من أجرة القداديس ؟

نعم لو قيل انه حاضر بالروح واللاهوت ، لكان ذلك مسلما بالضرورة وأما الجسد فكيف يكون ذلك ؟ وما الدليل عليه ؟ قالوا : وأيضا نقول : ان كان يمكن تحويل الخبز الها أو الاله خبزا لجاز لنا أن نؤمن أن الله تعالى يتغير من أزلى الى زمنى ، ومن روح الى جسد ، ومن غير منظور الى منظور ، فتعالى الله سبحانه عن مثل هذا الكفر الشنيع .

قالوا أن الكنيسة الرومانية ومن يتبعها تعتقد أن الخبز والخمر المتقدمين من جميع الكهنة فى العالم بأسره ولو كانوا مليونات من الكهنة يقدسون فى دقيقة واحدة على حده وتستحيل تقدمة كل منهم الى مسيح

كامل بلاهوته ونفسه الناطقة وجسده ، فكيف يمكن أن يكون كل من هؤلاء المسحاء هو عين الآخر مع ان مادة تقدمة كل واحد منهم غير مادة تقدمة الآخر ؟ فهذا يستحيل وقوعه فى الأجسام والأنفس المخلوقة والبارى تعالى لا يطلب منا أن نؤمن بالمستحيلات والمسيح يحسب ناسوته تحت هـذا القانون ، لأنه كان يجوع ويأكل ويعطش ويشرب ويتعب .

قالوا : ونقول أيضا ان الجسد والدم يؤكلان لا محالة ، وأما اللاهوت والنفس اللذان على زعمكم يوجدان فى القربان ، فكيف يمكن اكلهما وهما روحيان ؟ وأى فائدة من نزولهما الى الجوف النجس الذى ينطرد كل شىء منه آخرا الى المخرج ؟ قالوا : ونقول أيضا يا من تصدق أن القربان الذى تناولته مرة كان المسيح بعينه ، وتريد أن تتناوله مرة اخرى ، ان كان الأول باقيا فى بطنك ينبغى أن تكتفى به عن الثانى لأنه عين الاول ، وان كنت تظن أن الأول هرب من بطنك فلا تحبس الثانى فيه ، لأن الأحسن له أن يسكن فى السماء لا فى هذه الجيفة ، وان كنت تظن أن الأول فسدا ولهذا تريد الثانى والثالث ، فصاعدا فلا شك أن الفاسد ليس هو المسيح الذى لا يناله فساد ، فلا تسجد لهذا القربان ، ولا تكفر بالحق بل احكم بالعدل . وان قلت انه لم يبق فى بطنه بل اتحد بجسمى ودمى ، فيرد عليك الاعتراضات السابقة التى لا تجد لها جوابا البتة .

ونقول أخيرا أن كان القربان يصير الها بالحقيقة فيجوز السجود له ، وان كان لا يصير الها فيكون السجود له عبادة أصنامية لأن كل سجود لغير الله فهو صنم ، وان قلت : انى وأن سجدت للقربان فذلك السـجود هو لله تعالى ، فيقال لك انك لو سجدت له بالروح بلا قربان ، أفلا يقبلك ؟ أو يكون سجودك له بواسطة القربان عنده أفضل ؟ وأى دليل لك ؟ ولعلك تحب أن يكون الهك منظورا لعينيك ، مثل بنى اسرائيل لما فرحوا بعبادة العجل المنظور أو مثل الوثنيين الذين يفرحون بأصنامهم أكثر من الاله الغير المنظور ، قالوا : وأكثر النصارى يقولون انه توجد فى الديانة بعض أمور عسرة الفهم وفائقة العقل البشرى ، ومنها مسألة الاسـتحالة ،

منجيبهم انا نسلم انه ربما يوجد فى بعض المسائل أمور عسرة الفهم الا أن ذلك يكون فيما يخص جوهر اللاهوت لا خبز القربان الذى هو عنصر التراب ، وقد قال عنه المسيح « واصنعوه لذكرى » لا اعبدوه عوضا عنى ، فما قاله الكاثوليكيون ومن وافقهم شىء لا تقبله العقول ، ولا تعاضده النقول ، فهو كفر وضلال وتضحك منه الأطفال فضلا عن عقلاء الرجال .

والعجب أن البروتستانت لما رأوا شناعة هذه العقيدة الباطلة الخطأ والكاثوليك ونحوهم لتكذيب الظاهر لهم واستحالة ما قالوه عقلا استبعدوا ألوهية المسيح وكون الاله يكون ثلاثة أجزاء ويحل فى بطن مريم ، مع أن ذلك أيضا يكذبه الظاهر ويحيله العقل . فايمانهم بمحال وكفرهم بمحال آخر شبهه ، مما يقضى منه العجب أيضا ، فاعرف ولا تغفل . وأما دعواه التثليث وألوهية المسيح عليه السلام فقد تقدم ردها ، وستأتيك أيضا زيادة على ذلك وتأكيد لما مر هنالك فانتظرها ولا تسأم .

قال النصرانى : « فان قلت : انه جل ذكره قد نراه يميتهم ويبليهم بالأسقام والأوجاع فما يمنعك من التشبه به ، فاجبيك أصلحك الله بأحضر جواب واضح ليس كجوابك فى الروح ، حيث سالت عن أمر الروح فكان جوابك انه من أمر الله ، وهو جواب لم يسمع السامعون بمثله ، أما نحن فنجيبك فى هذا ونقول ان الله تبارك وتعالى انما يبتلى ويميت عباده لا لأنه يريد الاضرار بهم أو عن بغض منه لهم ، ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وانما خلقهم جودا منه وتفضلا وانعاما عليهم ، اذ نقلهم من العدم الى الوجود وأصارهم من لا كون الى كون لينقلهم من هذه الدنيا التى هى زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة الى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة ، فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيسة الى مدينة شريفة أو من مدينة شريفة أو من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه أراد بصاحبه سوءا وتعدى عليه ظلما بل هو محسن متفضل أولا وآخرا .

وأما قولك انه أبلاهم بالأسقام المؤلمة والأوجاع المؤذية فجوابنا فى هذا أنه انما أراد بذلك أن تكون مستحقين الأجر والثواب ، وأن يكون

تبارك وتعالى مع تفضله عليهم ينالون ما ينالون ما ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم فى الحالتين جميعا كالطبيب الماهر المشفق الذى يشفى المريض بالأدوية المرة الطعم البشيعة الرائحة ، وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الأعضاء من أجسادهم بالحديد ، وبعض يمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظرا منه واشفاقا عليهم ، فنقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة ، بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحة أبدانهم وانقاءهم من الأسقام والأدواء والمؤذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التى هى فيها الى حال العافية وطيب العيش .

فان قلت قد كان يمكنه أن يتفضل عليهم ويأجرهم من غير أن يعذبهم بالأسقام والأوجاع قلنا لك : وقد كان أيضا يمكنه ألا يخلق الدنيا وكان يخلق الآخرة والجنة ، ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكنا فى قدرته لكنه خطأ فى التدبير لأن المتعقب كان يتعقب ، فيقول : لم يمكنه أن يخلق الا خلقا واحدا فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول مبيت لا نزول اقامة ، فينتقلون منها الى دار الاقامة التى هى الغاية القصوى ليكون لهم فيها تقرة الخلود . هذا هو الثواب فى التدبير ، فخلقهم تبارك وتعالى جودا منه وأبلاهم بالأسقام والأوجاع خيرة لهم فى زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ليجزيهم ويأجرهم تفضلا منه عليهم واستحقاقا من ثوابهم واتماما للنعمة عندهم فى تلك الدار التى لا زوال فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم .

فان كان وصاحبك هذا يرحمك الله الذى ادعيت له ما ادعيت ودعوتنا الى اتباعه بما دعوتنا اليه انما يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبى ذراريهم ويجليهم عن ديارهم ، يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه الى ما هو خير منه ، فقد لعمرى نصح وتفضل وأحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه الخالق الجواد ، ولكنه ما فعل الذى فعله لهذا ولا خطر

بباله ولا فكر فيه وما أراد الا نفع نفسه واصحابه واقامة دولته فى العاجل والدليل على ذلك قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون » أفلا ترى أيها المميز أنه لم يرد بما فعل أن ينقلهم مما هو عنده أنه شرك وكفر الى ما زعم أنه الدين القويم نظرا منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولـــكنه أراد بلوغ اربه وانفاذ مرامه وتوطين سلطته كما يفعل المتغلب هذا وهو يقول فى كتابه الذى يدعى أنه منزل : « قل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » ألا ترى أصلحك الله أنه أمر ان يقول ويبلغ بلسانه ونهى عن القتل والســـبى ؟ فأمعن يرحمك الله فى هـــذا الأمر وميز هذا التناقض وأفهمه » أ. هـ.

فأقول : ان أغلب كلام هذا النصرانى هنا خارج عما هو بصدده من اثبات نبوة وألوهية سيدنا عيسى عليه السلام وانكاره لنبوة نبينا الأكرم ﷺ وليس له مدخل فى موضوع البحث وليس تحته طائل ، وكان اللائق عدم الجواب عنه الا انا نخشى من ظنه وظن أمثاله أن المسلمين عاجزون عن جوابه ، فلنجب ان شاء الله تعالى عن المهم بما فيه .

فأما قوله : « ليس كجوابك فى الروح » الى آخره .

فيقال له : انا بعد أن أثبتنا نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بما تثبت به نبوة غيره من الأنبياء الكرام من معجزاته المتواترة وأخبار الكتب السماوية ومعجزة القرآن العظيم والآيات الباهرة لدى كل ذى قلب ســـليم وعقل مســـتقيم ، فلا تمس الحاجة الى الجواب عن هذا الاعتراض فى بحث الروح ، لأن هذا كلام الله سبحانه وهو اعلم بالحكم والمصالح وما يقتضى بيانه للناس ، وما لا يقتضى وهذا شىء كثير لا يمكننا حصره ، ومنه أنه سبحانه لم يعلم أحدا بأجله ورزقه وسعادته وشقاوته وعمله ولم يطلع أحدا بوقت قيام الساعة ونزول الأمطار وأمارات الساعة الكبرى ، ونحو ذلك مما أجمع عليه أهل الملل من عدم علمه لأحد الا الله سبحانه وتعالى .

فمن ذلك ما فى الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ما نصه : « وأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات الا الآب وحده » انتهى على أن المسيح لما سأل عن السلطان الذى يعمل به الأعمال لم يبين للسائل ذلك كما فى الاصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس ما نصه « فأجاب يسوع وقال لهم : ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » أ.هـ

على أنا نذكر ما قاله العلماء المفسرون فى تفسير هذه الآية الكريمة قال تعالى فى سورة الاسراء : « ويسألونك عن الروح ؟ قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق ، وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل الكتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود : سألوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شىء منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبى ، فسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الأول ما كان من أمرهم ، فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره وعن الروح (١) فسألوه ، فقال النبى ﷺ : « أخبركم بما سألتم غدا » ثم نزل فى الفتية قوله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب : « ويسألونك عن ذى القرنين » ونزل فى الروح : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى »

قال الوالد عليه الرحمة فبين ﷺ لهم القضيتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة والآية على هذا مكية وعلى قول مدنية وجمع بعضهم بين ذلك بأن الآية نزلت مرتين واختلف العلماء فى الروح المسأول عنها فالجمهور على أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدار البدن الانسانى ومبدأ حياته ، لأن ذلك من أدق الأمور التى لا يسع أحدا انكارها وتكل

---

(١) فى كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوز، بحث موطل عن الروح القدس .

الأذهان عنها ولا تكاد تعلم الا بوحى . وقال بعض السلفيين أن المسئول عنه الروح الذى أخبر الله تعالى عنه فى كتابه انه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام قال لأنهم انما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرف الا بالوحى وذلك هو الروح عند الله تعالى لا يعلمه الناس ، وأما أرواح بنى آدم فليست من الغيب وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال : الروح خلق من خلق الله تعالى وصورهم على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح ، ثم تلا قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة » وأخرج أبو الشيخ وغيره من طريق عطاء عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال فى الروح المسئول عنه هو ملك واحد له عشرة آلاف جناح جناحان منهما ما بين المشرق والمغرب وله ألف وجه لكل وجه لسان وعينان وشفتان يسبح الله تعالى بذلك الى يوم القيامة .

وقال الحسن وقتادة : الروح هو جبريل عليه السلام وقد سمى روحا فى قوله تعالى « نزل به الأمين على قلبك » والسؤال عن كيفية نزوله وتلقائه الوحى اليه عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم : هو القرآن وقد سمى روحا فى قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقيل عيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته ، ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقيل غير ذلك .

وعلى القول بأنه المركب فى الخلق الذى يحيا به الانسان ، فقد تكلم فيه قوم ، فقيل هو الدم وقيل نفس الحيوان وقيل هو عرض وقيل هو جسم لطيف ، وأولى الأقاويل أن يوكل علمه الى الله سبحانه ◻

وقوله تعالى : « من أمر ربى » كلمة من تبعيضية وقيل بيانية ، والأمر واحد الأمور بمعنى الشأن . والاضافة للاختصاص العلمى لا الايجادى ، اذ ما من شىء الا وهو مضاف اليه عز وجل بهذا المعنى ، وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما فى الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه أى هى من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التى لا تكاد تدركها عيون عقول البشر .

وقال غير واحد : معنى كون الروح من أمره تعالى أنه من الابداعيات الكائنة بالأمر التكوينى من غير تحصل من مادة وتولد من أصل كالجسد الانسانى فالمراد من الأمر واحد الأوامر أعنى « كن » والسؤال عن الحقيقة . والجواب اجمالى ومآله أن الروح من عالم الأمر مبدعة من غير مادة لا من عالم الخلق وهو من الأسلوب الحكيم كجواب موسى عليه السلام سؤال فرعون اياه « ما رب العالمين ؟ » اشارة الى أن كنه حقيقته مما لا يحيط به دائرة ادراك البشر ، وانما الذى يعلم هذا المقدار الاجمالى .

انتهى باقتصار .

وقال الامام فخر الدين الرازى عليه الرحمة بعد أن ذكر أبحاثا كثيرة تتعلق بالآية الكريمة ما لفظه : « بل المختار عندنا أن اليهود سألوا النبى عليه الصلاة والسلام عن الروح وأنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه أجاب عنه على أحسن الوجوه . وتقريره ان المذكور فى الآية انهم سألوه عن الروح والسؤال عنه يقع على وجوه كثيرة : أحدها أن يقال ما ماهية الروح ؟ أهو متحيز أم حال فى المتحيز أم موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز . وثانيها أن يقال : الروح قديمة أم حادثة ؟ وثالثها : أن يقال الأرواح هل تبقى بعد موت الأجسام أو تفنى ؟ ورابعها أن يقال : ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها ؟ وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة . وقوله سبحانه « ويسألونك عن الروح » ليس فيه ما يدل على أنهم عن أى شىء من هذه المسائل سألوا الا انه تعالى ذكر فى الجواب عن هذا السؤال قوله عز وجل : « قال الروح من أمر ربى » وهذا الجواب لا يليق الا بمسألتين من المسائل التى ذكرناها احداهما : السؤال عن ماهية الروح . والثانية عن قدمها وحدوثها .

أما البحث الأول : فهو أنهم قالوا ما حقيقة الروح وما هيته ؟ أهو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام أم هو عبارة عن موجود يغاير هذه الأشياء ؟ فأجاب سبحانه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض . وذلك لأن هذه الاجسام وهذه الاعراض أشياء تحدث من امتزاج

الاخلاط والعناصر ، وأما الروح فانه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمجرد قوله كن ، فقالوا لما كان شيئا مغايراً لهذه الأجسام ، ولهذه الأعراض فما حقيقته وماهيته ؟ فانا لا نعقل شيئا سوى هذه اعراض وهذه الأجسام . فأجاب الله تعالى عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله تعالى وتكوينه وتأثيره فى افادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقة المخصوصة نفيه ، فان أكثر حقائق الاشياء وما هياتها مجهولة ، فانا نعلم أن السكنجبين له خاصة تقطع الصفراء ، فأما اذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فلذلك غير معلوم ، فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولا يلزم من كونها مجهولة نفيها فكذا ههنا ، فهذا هو المراد من قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

وأما المبحث الثانى : فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى : « وما أمر فرعون برشيد » وقال « فلما جاء أمرنا » أى فعلنا فقوله سبحانه « قل الروح من أمر ربى » أى من فعل ربى . وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه الروح قديمة أم حادثة ؟ فقال : بل هى حادثة ، وانما حصلت بفعل الله تعالى وتكوينه وايجاده ، ثم احتج على حدوث الروح بقوله عز وجل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » بمعنى أن الأرواح فى بدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ، ثم تحصل فيها المعارف والعلوم فهى لا تزال تكون فى التغير من حال الى حال وفى التبدل من نقصان الى كمال ، والتبدل والتغير من أمارات الحدوث ، فقوله سبحانه : « قل الروح من أمر ربى » يدل على أنهم سألوه الروح حادثة أم لا ؟ والجواب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله تعالى وتكوينه . وهو المراد من قوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » انتهى المراد منه ، فاعرفه ولا تغفل .

وبقى فيها أبحاث كثيرة تركناها خشية الخروج من الصدد وسآمة الطالبين وبالله تعالى التوفيق .

قوله : « ولكنه ما فعل الذى فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما أراد الأنفع نفسه » الى آخره .

ليت شعرى كيف ساغ له انكار الأمور المعلومة بالضرورة اذ الأمارات الدالة على انه عليه الصلاة والسلام ما أراد الا نفعهم متعددة والأدلة على ذلك ظاهرة متواترة ، لانه ﷺ ما دعاهم الا للتوحيد الذى دعت الأنبياء كلهم اليه كافة العبيد والتصديق بسائر الانبياء وتبرئة ابن مريم العذراء ، وطلب منهم فعل الخيرات ونهاهم عن المنكرات ولو كان أراد نفع نفسه كما زعم النصرانى لادخر الاموال وتنعم بهاتيك النفائس ولأكل انفس الأطعمة ، وللبس أفخر الملابس ، ولكنز الصفراء والبيضاء ولشيد القصور وسكن أعلى البناء من الدور ، ولجعل النبوة سلطنة بعد فتحه عليه السلام للبلاد وانقياد العباد ، مع أن سيرته العلية وزهده فى الدنيا الدنية واخلاقه النبوية لا تحتاج الى بيان ، فقد ملئت الكتب وقرطت الآذان وتواتر لدى المؤمن والكافر والعدو والمسلم حسن أخلاقه العظيمة وطيب سيرته الكريمة بحيث لا يختلج فى ذهن عاقل أن ذلك كان لاقامة دولته فى العاجل كما زعم هذا القائل ، ولو أردنا أن نذكر هنا عشر معشار صفاته السنية مما هو مذكور فى كتب السيرة النبوية ، لطال الكلام وخرجنا عن الاقتصار فى المرام .

وأما دليله الذى ساقه على قوله الفاجر أنه عليه الصلاة والسلام أمر بأخذ الجزية من الكافر (١) فهذا شىء عمله قبله كثير من النبيين كما فصلناه لك سابقا فكن من الذاكرين ، على أنا نذكر ما قاله المفسرون فى تفسير هاتين الآيتين ونرى كل مصنف انه لا تناقض فى البين .

فأما قوله تعالى فى سورة التوبة : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » قال

---

(١) قوله تعالى « تقاتلونهم أو يسلمون » دليل على أن الجزية لا تؤخذ من أهل الكتاب فقط (انظر تفسير القرطبى فى سورة الفتح وسورة التوبة) .

المفسرون أمر الله تعالى بقتال أهل الكتابين اثر أمرهم بقتال المشركين ، ومنعهم من أن يحوموا حول المسجد الحرام والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك فى سلك المشركين ، وايمانهم الذى يزعمونه ليس على ما ينبغى فهو كلا ايمان وقوله سبحانه « ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » أى ما ثبت تحريمه بالوحى متلوا أو غير متلو ، فالمراد بالرسول نبينا ﷺ وقيل المراد به رسولهم الذى يزعمون أتباعه ، فانهم بدلوا شريعته وأحلوا وحرموا من عند أنفسهم أتباعا لأهوائهم فيكون المراد لا يتبعون شريعتنا ولا شريعتهم ومجموع الأمرين سبب لقتالهم وان كان التحريف بعد النسخ ليس علة مستقلة . وقوله : « ولا يدينون دين الحق » أى الدين الثابت فالاضافة من اضافة الموصوف الى الصفة ، والمراد به دين الاسلام الذى لا ينسخ بدين كما نسخ كل دين به ، وقوله سبحانه : « من الذين أوتوا الكتاب » أى جنسه الشامل للتوراة والانجيل ، ومن بيانية لا تبعيضية ، وقوله سبحانه : « حتى يعطوا الجزية » أى يقبلوها وهى مشتقة من جزى دينه أى قضاه أو من جزيته بما فعل اذا جازيته لأنهم يجيزون بها من عليهم بالعفو عن القتل ، وقوله سبحانه « عن يد » يحتمل أن يكون حالا من الضمير فى « يعطوا » وان يكون حالا من الجزية . واليد يحتمل أن تكون اليد المعطية وأن تكون اليد الآخذة وعن تحتمل السببية وغيرها أى يعطوا الجزية عن يد مواتية ، أى منقادين أو مقرونة بالانقياد أو عن يدهم أى مسلمين أو مسلمة بأيديهم لا بأيدى غيرهم من وكيل ورسول لأن القصد فيها التحقير ، وهذا ينافيه أو عن غنى أى أغنياء أو صادرة عنه . ولذلك لا تؤخذ من الفقير العاجز ، أو عن قهر وقوة أى أذلاء عاجزين ، أو مقرونة بالذل أو عن انعام عليهم ، فان ابقاء مهجهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة ، أى منعما عليهم أو كائنة عن انعام عليهم ، أو نقدا أى مسلمة عن يد الى يد أو مسلمين نقدا .

وقوله سبحانه « وهم صاغرون » أى أذلاء وذلك بان يعطوها قائمين والقابض منهم قاعد .

واعلم أنها تؤخذ عند الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى من أهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم والمجوس ، لا مشركى العرب لأن كفرهم قد تغلظ لما أن النبى ﷺ نشأ بين أظهرهم وأرسل اليهم وهو عليه الصلاة والسلام من أنفسهم ، ونزل القرآن بلغتهم . وذلك من أقوى البواعث على ايمانهم ، فلا يقبل منهم الا السيف أو الاسلام زيادة فى العقوبة عليهم ، مع اتباع الوارد فى ذلك . وعند الامام أبى يوسف رحمه الله تعالى لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمى كتابيا كان أو مشركا وأخذها من المجوس ثبت بالسنة عن النبى ﷺ . وتفصيل بحثها فى روح المعانى وغيره .

والمقصود هنا أن الجزية الالهية المضروبة فى دين المسلمين قد حكم بمثلها بعض أنبياء بنى اسرائيل على بعض قومهم الكافرين . فالاعتراض على الاسلام بذلك محمول على جهل المعترض وعدم اطلاعه على كتبه السماوية المصرحة فيما هنالك . على أن المصالح الدينية التى ترتبت على أخذ الجزية وحكمها الخيرية أظهر من أن تطيل الكلام بتعدادها غير انا نذكر بعضا مما قاله الوالد تغمده الله برحمته .

قال « وقد استشكل أخذ الجزية من هؤلاء الكفرة بأن كفرهم من أعظم الكفر فكيف يقرون عليهم بأخذ دراهم معدودات . وأجيب بأن المقصود من أخذ الجزية ليس تقريرهم على الكفر ، بل امهال الكافر مدة ربما يقف فيها على محاسن الاسلام وقوة دلائله فيسلم وقال الاتقانى ان الجزية ليست بدلا عن تقرير الكفر ، وانما هى عوض عن القتل والاسترقاق الواجبين ، فجازت كاسقاط القصاص بعوض أو هى عقوبة على الكفر كالاسترقاق ، ومن قال انها بدل عن الاقرار على الكفر فقد توهم وهما عظيما » أ. هـ مافهموالله تعالى أعلم .

وأما قوله : « هذا وهو يقوله فى كتابه الذى يدعى أنه منزل : « قل للذين أوتوا الكتاب » الى آخره .

فيقال له : ان هذين الحكمين ليس فيهما تناقض بل هذا من باب الناسخ والمنسوخ ، الذى ورد فى جميع الشرائع ، واثبتناه لك سابقا وكذلك الجزية المأخوذة فى نبوة بعض الأنبياء ، فلا حاجة الى التكرار والتطويل .

ولنذكر لك ما قاله الوالد عليه الرحمة فى تفسيره وهو قوله تعالى : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » عطف على الشرطية والمعنى فان حاجك أهل الكتاب فقابلهم بذلك فان أجدى ، فعمم الدعوة ، وقل للاسود والاحمر : ءأسلمتم متبعين لى كما فعل المؤمنون ؟ فانكم قد جاءكم من الآيات ما يوجبه ويقتضيه أم أنتم على كفركم بآيات الله تعالى واصراركم على العناد . وهذا كما تقول اذا لخصت لسائل مسألة ولم تدع من طرق البيان مسلكا الا سلكته ، فهل فهمتها على طرز « فهل أنتم منتهون » اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى ما حرم تعاطيه ، وفى ذلك تعبير لهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخ بالبلادة وجمود القريحة ، والكثيرون على أن الاستفهام للتقرير وفى ضمنه الأمر ووضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين المتعاطفين والمراد من الأميين الذين لا يكتبون من مشركى العرب قاله ابن عباس وغيره « فان أسلموا فقد اهتدوا » على تضمين معنى الخروج أى اهتدوا خارجين من الضلال كذا قيل ، وبعض يفسر الاهتداء باللازم وهو النفع أى فقد نفعوا أنفسهم قالوا وسبب اخراجه عن ظاهرة ان الاسلام عين الاهتداء فان فسر على الأصل اتحد الشرط والجزاء ، وفيه منع ظاهر ، وان تولوا أى أعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا « فانما عليك البلاغ » قائم مقام الجواب ، أى لا يضرك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد أديته على أكمل وجه وأبلغه ، وهذا قبل الأمر بالقتال ، فهو منسوخ بآية السيف « والله بصير بالعباد » تذييل فيه وعد على الاسلام ووعيد على التولى عنه اهـ

ولا يخفى عليك أن الله سبحانه أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بدعوة الكفرة الى دين الاسلام باللسان من غير قتال بسيف وسنان ، وذلك قبل كثرة المسلمين وقوتهم على قتال المشركين ، ثم لما انتشر الاسلام وقوى منه الدعام وتكاثر الموحدون وتناصر المسلمون ، واتضح الحق وعلا مناره

وذل الشرك وجنى أوازه ، أمر سبحانه نبيه الأكرم ﷺ باعلاء كلمة التحيد وأن يجاهد الموحدون بأنفسهم وأموالهم كل عنيد ، ليوحده العباد ويقر منكرهم يوم التناد ويقبل الجزية من أهل الكتاب ولا يقبل الا الايمان من الأعراب ، ليكون الدين كله لله ويستضيىء الأحمر والاسود والعربى والعجمى بنوره وضـــياه .

وحكمة أخذ الجزية قدمناها آنفا اليك فتذكرها واقبل والا يحق القول عليك .

قال النصرانى : « ثم أعجب من هذا تسميتك من قتل من أصحابك شهداء فهلم ننظر فى أخبار الذين قتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم ، أهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة ، أم أصحابك الذين يقتلون فى طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها ؟ فقد بلغنا كيف صبر أولئك ومسارعتهم الى بذل دمائهم ومهجهم ودماء أولادهم والخـــروج عن دنياهم ونعيمهم ، وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم ، وكانوا يسارعون الى أن يقربوا أجسادهم الى الذبح والقتل وأنواع العذاب قربانا لله ، وقد كان يقتل الواحد فينتصر من ساعته فى ذلك المكان المائة والأكثر والأقل ، فقتل فى زمان من تلك الازمنة أحـــد ملوك الروم المردة ، وقد لج فى قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض أصحابه : أيها الملك انك انما تزيد فيهم من حيث تظن أنك تنقص منهم ، فقال : كيف ذلك ؟ فقيل له انك قتلت أمس كذا وكذا فتنصر أضعاف هذا العدد ، فقال : وما السبب فى هذا ؟ فقيل له : ان القوم يقولون ان رجلا يطلع عليهم من السماء فيشجعهم فعند ذلك أمران يرفع عنهم السيف ، وكان هذا القول داعيا الى تنصر الملك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل أولياء الله .

فانظر الى هؤلاء الذين كانت لهم البصـــائر بالديانة وشدة اليقين والاخلاص وجودة الايمان كيف لم يفتر ايمانهم والسيوف تأخذهم ، وكانوا يعذبون بانواع العذاب وهم على ذلك محبون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون مسرورون جذلون متيقنون انهم اذا أتوا ذلك فهم مقصرون عما فى أنفسهم من أداء حق النعمة التى أوتوها من الدخول فى الديانة النصرانية ، فيبذلون أجسادهم اختيارا كما بذلوها ، فمنهم من سلخ وهو حى ، ومنهم من قطعت أعضاؤه وهو ينظر الى ذلك ، ومنهم من أحرق بالنار ، ومنهم من ألقى للسباع وبعض نشر جسده بالمنشار ، وهذا دائم ثابت فى من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو فى وقت من الأوقات من أن يبذل نفسه للموت طوعا واختيارا أو يرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم .

ونحن نعلم وأنت وجميع من يقول بالحق أنه ليس فى دين من الأديان احد يأتى بمثل هذا الأمر ويحمل نفسه عليه غير أهل هذه الشريعة ، اذ كان

هؤلاء فى العذاب الذى لا توصف شدته ، وهم فى جميع ذلك على غاية التمسك بديانتهم ، وفى غاية الفرح بما ابتلوا ، حتى سأل واحد منهم وهو يعذب عذابا شديدا وهو فى حالة تلك ، يتلفت يمنة ويسرة ويضحك ، فقيل له : ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وأنت فى ذلك العذاب ، أما كنت تجد ألما ؟ فأجاب : ما كنت أجد ألما فى ما كنت اعذب به ، وقد كنت فى تلفتى أرى رجلا شابا بالقرب منى وهو يضاحكنى ويمسح الدماء التى كانت تسيل من جراحاتى بخرق بيض كانت معه ، وكنت أرى ذلك العذاب كأنه انما يقع بواحد من الذين يعذبوننى ، فعملنا أنه كان صادقا فى قوله والا فما صبره على تلك الشدة من العذاب ؟

وتعلم أن الله وتعالى يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبرهم على الشدائد .

فان قلت : لو أمر الله ذلك الملك الذى وكله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه أن يصد عنه من كان متوليا تعذيبه ، فيكون سببا لتوبتهم ورجوعهم . قلت : أنت أصلحك الله تعلم أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لو شاء أن يجمع الناس كلهم على الايمان به ، ويجبرهم عليه لكان قادرا على ذلك ، غير أنه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم أو يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم ، لا على الذى يجبرهم عليه هو ، ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله ، فلذلك أظهر على يد هؤلاء فى ذلك الزمان آياته وبراهينه ، ليستكملوا قبول الدين وأمسك عن الباقين ، ليظهر أنهم مستطيعون ، ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم فى ذلك أجر لأنهم انما تابوا قهرا أو قسرا ، ولكنه تركهم حتى بلغوا ارادتهم ولم يغفل عن معونة أوليائه ليظهر استطاعة الحرية وثمرة العقل ، وجعل فكره فى كيفية قبول الأولين لأنه برهان واضح وحجة لازمة ويجب على كل ذى لب اليقين ، بأنه لم ينتقل هؤلاء المختلفون فى أجناسهم وأهوائهم وأديانهم الى هذا الدين اذ خلا من الخصال كلها الا بالآيات المعجبة ، ومع هذا فان قوة أصل تلك الآيات قائمة باقية فى أصل هذا الدين الى هذه الغاية نعاين آثارهم بابصارنا ونسمعها بآذاننا ونعى منها بعقولنا

من الجرائح التى تجرى على أيدى أصحابهم ورهبانهم وأحبارهم من رفع الجنون والتخيل وابراء أنواع الأمراض فى الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا أحوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة .

فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيه الجزء من عظامهم فتكون منها هذه النعمة فى كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وأرض الشام وبلاد فارس وأرض الحبشة وجزائر البحر وأمصار العراق وبلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجىء اليهم فى هذا النحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فانه من ذلك خلو صفر لأنه لم يقع اليه من هؤلاء القوم ولا صار فى ناحيته أحد ممن يعبد هذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما : سرجيوس المسمى لسطريوس ، ويوحنا المعروف بحيرا .

ثم ليست هذه الفضيلة فى شىء من الأديان ولا يدعيها أحد من اهل المقالات خلادين النصرانية فان ذلك لهم ورثة قائمة فيهم الى هذه الغاية والى انقضاء الدنيا ، فاى دليل واضح وأى حجة أضوء وأنور وأسطع من من هذه لطالب الحق ، فهلم أكرمك الله ننظر فى هذا الأمر نظر نصفة ويقين واستقصاء وتجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى ، فمن هو أصلحك الله أحق بأن يسمى شهيدا ويشهد له أنه قتل فى سبيل الله ؟ أمن قرب نفسه قربانا عن ديانته وقد قيل له اسجد للقمر والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الأيدى واتخذها أربابا لك من دون الله واترك عبادة الله وكلمته وروحه ، فأبوا ذلك وبذلوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وحياتهم وأهاليهم وأولادهم أم من خرج طالبا للسلب والسرقة والغنيمة وسبى الذرارى ونكاح الفروج التى هى محرمة محرمة وشن الغارات ، ثم يسمى ذلك جهادا فى سبيل الله ، ويقول من قتل أو قتل فهو فى الجنة .

فانصف أيها الحبيب فاننا رجلان تقدمنا اليك فحكمناك فى الأمر فاى حكم كنت تحكم اذا أنت آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة ؟ فنقول

ان لصا ثقب منزل رجل ليسرقه ، فسقط عليه حائط أو وقع فى بئر وبادره صاحب البيت ، فضربه ضربة تلفت نفسه منها ، أتوجب لهذا اللص دية ؟ ما اظنك أيها القاضى تفعل ذلك . فكيف توجب الجنة لمن مضى الى قوم آمنين مطمئنين فى مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فسرقهم ونهبهم وسلبهم وقتلهم وفجر فيهم ، ثم لا يقنعك ذلك اذ فعلته وتعود الى ربك نادما على ذنبك مستغفرا تائبا عما كان منك ، بل تقول انه ان قتل أو قتل فهو فى الجنة ونسميه شهيدا فى سبيل الله ، فان أنت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذى هو عدو آدم وذريته قديما الا دون حكمك على أنى أعلم أن عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ، ولا يطلقانه لك . وقد علمنا — أحاطك الله — ما اشترطته لنا من الصبر على الحجة اذا وردت بك ، اذ لم تكن منا المسألة وانما كان الابتداء فى المبالغة فى الحجة منك ، فقبلنا ذلك من قولك . وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الا وقد قصرنا لأن لو كشفنا فى هذا الفن من كلامنا ، لفعلنا كما فعل غيرنا ، وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداؤك واذا عدلت فى القول ، علمت أن الأمر كالنار التى تستكن فى الحجر والحديد فكلما استقدحتها بزنادك استعرت اضطراما . وقولى أكرمك الله لك فى هذا ولغيرك ممن ينظرون فى كتابى قول واحد)) أ. هـ.

أقول : لا يخفى عليك مما قدمناه مرارا زيف مثل هذا الكلام وبطلانه من أوله الى آخره وأنه مموه مختلق لا يروج الا على عديمى الاطلاع والبله من أهل نحلته ، وأنه لا طائل تحته . فلذا نضرب صفحا عن التطويل فى رده وبيان باطله ، غير أنا لا نتركه هملا عن بيان بعض ما فيه من التمويه .

فأما قوله : « فهلم تنظر » الى آخره فيقال انا نظرنا ولله الحمد واطلعنا على أخيار الملتين ورأينا أن دين المسيح فى مبدأ امره كان دينا غير مغير ولا مبدل ، وأنه دين قويم والذى بعث به هو رسول الله وعبده ، وأن أتباعه على الحق ، وقد نهجوا طريق الصدق ، وليس لنا كلام فى ذلك الى أن غيره قومه وحرفوا الانجيل وحملوا معناه على مردود الأباطيل ،

---

(١) النصرانى يشير الى تقديس المزارات الأضرحة . وقد نهى الله تعالى عن ذلك . ونهاهم عن اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله .

وادعوا أنه عليه السلام اله مولود وابن انسان معبود ، حتى بعث نبينا عليه الصلاة والسلام وأظهر المعجزات الجمة كما أظهر اخوانه الأنبياء معجزاتهم فى كل أمة ، فنسخت شريعته وانتهت الى ذلك العصر دعوته ، كما أخبرت بذلك التوراة والانجيل فى صريح الآيات التى ذكرناها قبل هذا ، ولا تحتمل التأويل ، فعند ذلك جاهد فى الله حق الجهاد كما جاهدت أسلافه من الأنبياء عليهم السلام أهل الكفر والعناد ، وقد شرحناه لك مفصلا وأعدناه غير مرة مجملا .

واتبعه أصحابه عليه السلام وخلفاءه وأنصار دينه فى ذلك وتبين مسيرهم على القتل والتعذيب وحسن ابتلائهم فيما هنالك وشربهم للسم ودخولهم الى النيران وظهور كراماتهم الخارقة فى العيان أكثر مما ذكرت لو صح عن أصحاب المسيح ومتبعيه ، مما لو أردنا ذكره لطال الكلام على سامعيه ، ونكتفى مما بسط العلماء فى كتبهم واستقصوه فى سيرهم ، فمن أراده فليرجع اليه ويكفى العاقل دليلا أنهم رضى الله تعالى عنهم فتحوا البلاد الشاسعة بأقرب أمد ، واستولوا بأقل عدد وأضعف عدد على الممالك الواسعة واستأسروا الملوك ، ودخل فى الدين المحمدى شرقا وغربا الغنى والصعلوك وأكثرهم عن حب له واختيار رجلهم عن ترجيح له وعدم اجبار ، وصبر كثير منهم على ما نال لأجل ذلك من عذاب الكفار والبعد عن الأهل والمال والديار ، فلو لم يكن هذا الدين الهيا ، والحزب مؤيدا من الله سبحانه نبويا ، لما أسهل الله تعالى نشره واستطالته وبلوغه الى آخر المسكونة واتباع أهل المشرق والمغرب والجنوب والشمال له من عرب وعجم وترك وفرس وهند وديلم ويهود ونصارى ومجوس وروم وسودان وغير ذلك ، ولما دام متزايدا هذه المدة الطويلة واستقام متكثرا السنين العديدة وقبله أصحاب كل لسان واستحسنت أحكامه الرصينة فى كل شأن ، اذ الباطل له جوله ويزول وسيف الحق لا يعتريه فلول .

وقد علمت النصارى وغيرهم أحوال الأنبياء الكذبة ، وأن كل فرد منهم لم يبلغ أربه ، وتبينت للناس بأقصر زمن أحوالهم وظهر لكل عاقل وجهلهم ومحالهم ولم يتبعهم فى حياتهم سوى أفراد قليلون ، ولم يستمع

أقوالهم الا شرذمة جاهلون ، ثم تفرق عنهم الناس وارتفع بأقصر مدة عن عينهم الالتباس ، حتى هلكوا فماتت معهم أباطيلهم واختفت كذكرهم أقاويلهم ، فكانوا فيما ادعوه ضحكة لكل عاقل وعبرة للأواخر والأوائل .

وأما حال نسطوريوس ويحيى فقد أسلفناه لك فلا حاجة الى الاعادة وأما مدحه للنصارى الذين لا يسجدون للقمر والشمس والخشب وغيره مما صنعته الأيدى ، فقد أثبتنا فى كتابنا هذا خلافه عنه لأنه يسجد لغير الله اذ كل نصرانى يسجد للمسيح ويعتقده الله ، ويسجد لمريم وللصليب المنحوت من الخشب ويأكل فى خبزه لحم ذلك الرب ويرميه بكل عيب ، ثم يطلب منه ومن القس والملائكة غفران الذنوب ، ويزعم ان حجته فى مطلبه لامعة ومطالبه فى أفق الحق ساطعة ، ولم يدر هذا النصرانى أن الشيطان حسن له أعماله وهواه صحح له أقواله ، وأن ما يدعيه لا يخفى بطلانه بالتمويه .

فليسمع الآن ما قاله العلامة البوصيرى فى أمثاله وفيه أنه وأيم الله يكفيه ، فافهم وتأمل فى نظمه ظاهره وخافيه :

جاء المسيح من الاله رسولا ... فأبى أقل العالمين عقولا
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا ... من جهلهم لله فيه حلولا
وعصابة ما صدقته واكثرت ... بالافك والبهتان فيه القيلا
لم يأت فيه مفرط ومفرط ... بالحق تجريحا ولا تعديلا
فكأنما جاء المسيح اليهم ... ليكذبوا التوراة والانجيلا
فأعجب لأمته التى قد صيرت ... تنزيهها لالههـا التنكيلا
واذا أراد الله فتلة معشر ... وأضلهم رأوا القبيح جميلا
هم بجلوه بباطل فابتزه ... أعداؤه بالباطل التبجيلا
وتقطعوا أمر العقائد بينهم ... زمرا ، ألم تر عقدهم محلولا
هو آدم فى الفضل الا أنه ... لم يعط حال النفخة التكميلا
أسمعتم أن الاله الحاجة ... يتناول المشروب والمأكولا
ويضام من تعب ويدعو ربه ... ويروم من حر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذى لم يستطع ... صرفا له عنه ولا تحويلا

ياليت شعرى حين مات بزعمهم ... من كان بالتدبير عنه كفيلا ؟
هل كان هذا الكون دبر نفسه ... من بعده أم آثر التعطيلا
زعموا الاله فدى العبيد بنفسه ... وأراه كان القاتل المقتولا
أجزوا اليهود بصلبه خيرا ولا ... تجزوا يهوذا الآخذا البر طيلا
أيكون قوم فى الجحيم ويصطفى ... منهم كليما ربنا وخليلا ؟
واذا فرضتم أن عيسى ربكم ... أفلم يكن لفدائكم مبذولا ؟
وأجل روحا قامت الموتى بـه ... عن أن يرى بيد اليهود قتيلا
فدعوا حديث الصلب عنه ودونكم ... من كتبكم ما وافق التنزيلا
تشهد الزبور(١) بحفظه ونجاته ... أفتجعلون دليله مدخولا ؟
أيكون من حفظ الاله مضيعا ... أو من أشيد بنصره مخذولا
أيجوز قول منزه لالة : ... سبحان قاتل نفسه . فأقولا
أو جعل من جعل اليهود بزعمكم ... شوك القتاد لرأسه اكليلا
ومضى لحتف صليبه مستسلما ... للموت مكتوف اليدين ذليلا
كم ذا أبكتكم ولم تستنكفوا ... أن تسمعوا التبكيت والتخجيلا
ضل النصارى فى المسيح وأقسموا ... لا يهتدون الى الرشاد سبيلا
جعلوا الثلاثة واحدا ولواهتدوا ... لم يجعلوا العدد الكثير قليلا
عبدوا الها من اله كائنا ... ذا صورة ضلوا بها وهيولا
فدع النصارى واليهود ولا تكن ... بهم على طرق الهدى مدلولا
فالمدعو التثليث قوم سوء غووا ... قد خالفوا المعقول والمنقولا
والعابدون العجل قد فتنوا به ... ودوا اتخاذ المرسلين عجولا
فاذا أتت بشرى اليهم كذبوا ... بهوى النفوس وقتلوا تقتيلا
أبناء حيات ألم تر أنهم ... يجدون درياق السموم قتولا ؟

---

(١) شهادة الزبور أى سفر المزامير لا تنطبق الا على المسياء الذى يفسره المسيح (انظر فصل المسيا المتألم من كتاب المسيا المنتظر) .

قال النصرانى : « فاما ما دعوتنى اليه وعددته من الأمور الزائلة الفانية التى هى كالحلام النائم والبرق الخلب الذى يضىء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه فى الظلام مقيما لو كانت اشياء دائمة غير زائلة ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية وقيمة غير منقطعة ، لما كان يجب على ذى راى ولا على ذى لب أن يرغب فيها ولا يميل اليها فكيف وهى مشاركة الخنازير والكلاب والتشبيه بالحمير وسائر البهائم التى انما همتها الاكل والشرب والنوم ، وانما هذه الدنيا كلها بالأقدر لها ولا قيمة عند ذى عقل اذ يعلم أن الأمر فيها أسرع وأعجل من أن يبقى على شىء واوشك ان يفنى ويضمحل فى اسرع وقت وانما يميل الى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشره فى اخلاقه وطباعه ، ولا أظنك اكرمك الله عرفتنى بالراغب فى هذا وشبهه ، فليت شعرى كيف أردت أن تصيدنى بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التى انما يميل اليها ويفتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم ، فاما المميزون الذين قد نظروا فى الأمور فانهم ابرياء من مثل ما ذكرته وعددته ، بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد فى أن يدفعوا آفات أبدانهم التى لاقوام لهم الابهار ، ولو تهيا لهم دفعها فى الطبائع أو كان ممكنا لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد أن يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك ، وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ولا مثله يبعثهم من الموت يوم القيامة فانت تزعم فى كتابك : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (الذاريات) فلا أراك الا مناقضا لقولك لأنك قلت انما قلت للعبد ثم تقول فتنقض وتهدم بناءك المتداعى ، وتقول : « انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ومن الاماء « ما ملكت أيمانكم » وأن تاكل وتشرب مثل البهائم التى لا خطر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنة الكتاب » أ.هـ.

أقول قوله : « وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق » الى قوله : وتقول « انكحوا ما طاب لكم من النساء » الى آخره .

يريد هذا الذصرانى أن من قال ان العباد خلقوا للعبادة ينبغى له أن لا يجوز نكاح النساء ولا يرتكبه ، وأن لا يأكل ولا يشرب الطيبات ولا زيادة على اللازم ، وزعم أن آية خلق الجن والانس للعبادة ، وآية نكاح النساء

بالناقصات ، والسفيه في كلامه الموه المختلق المتقدم الى أن توصل الى هذا بما لا طائل تحته ، ونسى ما قاله المسيح في حق يحيى بن زكريا وحق نفسه ، اذ يقول لوقا في الاصحاح السابع أن المسيح قال : « جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا ، قلتم ان فيه شيطانا جاء ابن الانسان يأكل ويشرب ، قلتم ان هذا رجل أكول يشرب الخمر ، ويواد العشارين والخطاة » ونسى ما في الاصحاح المذكور أيضا وما في السادس والعشرين من متى ، ويوحنا « ان مريم المجدلية أى الخاطئة جاءت الى المسيح عليه السلام ومعها قارورة طيب ثمين جدا فأفرغته على رأس يسوع وعلى قدميه وهو متكىء في الوليمة ، ولذ شاهد تلاميذه هذا تقدموا قائلين : لم هذا الضياع ؟ وقد كان ينبغي أن يباع هذا بثمن كثير ويعطى للمساكين » أ. هـ.

ونسى هذا النصراني أيضا ما قدمناه لك مرارا من جواز ونكاح أكثر من امرأة واحدة في شريعة موسى وأن ابراهيم عليه السلام وداود ، وسليمان وغيرهم تزوجوا النساء المتعددات في زمن واحد ، وأن الزواج يترتب عليه كثرة النسل وزيادة من يعبد الله تعالى ولولاه لما بقي النوع الانساني ، ولولا النساء لما ولد بزعمهم الاله من مريم — تعالى الله عما يقول المشركون — ولولا الأكل والشرب لفنى النوع البشرى والجنس الحيواني والله سبحانه لم يخلق هذه المأكولات والنباتات والفواكه الطيبات الا لهم « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقال سبحانه : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » فقد حد الله تعالى لنا حد الأكل والشرب ، وبين رسوله عليه الصلاة والسلام آداب ذلك والمباح منه والمحرم والمكروه ، وفصله العلماء في كتبهم المفصلة ، وبينوا ما يتعلق به في تأليفاتهم المطولة وعملوا بما فيها ولا حاجة لنا الآن الى تفصيل ما هو معلوم مشهور ، والى الاطناب في رد كلامه الذى لا يحتاج الى رد لكمال الظهور ، غير أنا نذكر تفسير الآيتين على طريق الاختصار ليتبين منه خيط الليل من النهار .

قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » قال المفسرون : هى جملة مستانفة مقررة لما قبلها لأن كون خلقهم لمجرد العبادة مما ينشط رسول الله ﷺ للتذكير وينشطهم للاجابة .

قيل : هذا خاص فيما سبق بعلم الله تعالى انه يعبده فهو عموم مراد به الخصوص ، قال القشيرى : والآية دخلها التخصيص بالقطع لأن المجانين والصبيان لم يؤمروا بالعبادة ولا أرادها منهم وقد قال سبحانه : « ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس » ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة ، فالآية محمولة على المؤمنين منهم . وقيل المعنى ليعرفوننى لأنه او لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده قالوا : وهذا قول حسن وقيل المعنى الا لآمرهم وأنهاهم ، يدل عليه قوله تعالى « وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » وقال بعضهم : هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ، خلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الأشقياء للمعصية ، فخلق سبحانه موسى لطاعته وفرعون للكفر به ، وقسى قلبه . كما فى التوراة . وقيل المعنى ليوحدون ، فأما المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء ، وأما الكافر فيوحده فى الشدة دون النعمة ، كما فى قوله تعالى : « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » الآية وقال جماعة الا ليخضعوا الى ويتذللوا ، ومعنى العبادة فى اللغة الذل والخضوع والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدره عليه ، خلقهم على ما أرادوا رزقهم كما قضى لا يملك أحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا وقيل معنى « ليعبدون » ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها قاله ابن عباس ، وعنه وقيل « الا ليعبدون » أى مستعدين لأن يعبدوا بأن خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التى تتحصل بها العبادة ، وهذا لا ينافى فى تخلف العبادة بالفعل من بعضهم لأن هذا البعض وان لم يعبد الله تعالى لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذى هو الغاية بالحقيقة قال فى فتح البيان : وهذا الوجه أحسن .

ثم انه سبحانه بين استغناءه عن عبيده بقوله : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » أى لا أريد منهم منفعة كما يريده السادة من

غيبتهم بل هو الغنى المطلق الرزاق المعطى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » هذا تعليل لعدم ارادة الرزق منهم فلا رازق سواه ولا معطى غيره .

وأما الآية الثانية فقد حذف بعضها ترويجا لفاسد مطلبه ، وهى قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا » ومعنى الآية انكحوا النوع الطيب من النســـاء أى الحلال وما حرمه الله تعالى فليس بطيب .

وقيل : مادمتم مستحسنين للنكاح فانكحوا من الواحدة الى الأربعة أو انكحوا واقتصروا على ما ملكت أيمانكم من السرارى . وذلك النكاح فقط أو التسرى أقرب الى أن لا تعولوا أى تجوروا ، والمعنى ان خفتم عدم العدل بين الزوجات هذه التى أمرتم بها أقرب الى عدم الجور .

وقيل ان معنى « أن لا تعولوا » لا تكثر عيالكم ، وقيل عال بمعنى افتقر ، وهذه الآية ناسخة لما كان المشركون فى الجاهلية والمســـلمون فى أول الاسلام يتزوجون من الحرائر ما شاؤوا فقصرهم الله تعالى بهذه الآية على أربع من الحرائر وما ملكت أيمانهم وان ظنوا الجور فواحدة ، والنكاح عندنا معاشر المسلمين كما هو مبين فى كتبنا الشرعية ينقسم الى أقسام فمنه ما هو واجب وذلك عند التوقان وخوف الزنا فاذا تيقن أنه اذا لم يتزوج يزنى ، فحينئذ يفرض عليه الزواج اذا قدر على المهر والنفقة ، وقسم دون الواجب يعنى سنة مؤكدة وينوى بتزوجه التحصين والولد ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ، وقسم منه مكروه وتحريما اذا خاف الجور فان تيقن الجـــور على الامرأة حرم الزواج لأن النكاح انما شرع لمصلحة النسل وتحصين النفس وتحصيل الثواب ، وبالجور يأثم ويرتكب المحرمات ، فتنعدم المصالح لرجحان هذه المفاســـد .

قال بعض المحققين ومن الحكم أن الرجل أبيح له التزوج من الواحدة الى الأربعة بالشروط المذكورة لأن المرأة قد تحيض ويعتريها النفاس والحبل والاستحاضة وغير ذلك من الامراض ولعل الرجل الذى هو مركب من العناصر الاربعة من دم وسوداء وصفراء وبلغم لا يصبر على ترك الجماع كما هو مشاهد فى كثير من الناس ، ولعل منهم من يجامع كل ليلة واذا لم يجامع مدة تحصل فيه أمراض عظيمة أو يخشى الزنا ، فالبارى سبحانه بمقتضى لطفه وحكمته أباح أكثر من واحدة ليحصن الرجل فرجه ويحفظ من الزنا نفسه ، ويزداد نسله الذين يوحدون الله ويعبدونه ويكثر نوع بنى آدم الذين خلقهم الله تعالى للتناسل كما سبقت مشيئته ، وانما أبيحت الأربعة ليكن على تعداد فصول السنة لأن الامزجة الانسانية تختلف طباعها لاختلاف عناصرها باختلاف الفصول ، ولعل منهن من تظهر علتها أو حيضها أو استحاضتها صيفا والأخرى شتاء أو ربيعا أو خريفا فاذا حصل لواحدة منهن شىء فى فصل ، فلعل الأخرى تكون سالمة صحيحة فيحصن بها فرجه ويدفع ألم شهوته ولا ينظر الى الأجنبيات ولا يخشى عليه ما يخشى الآن على المترهبات والمترهبين من البليات والسيئات المهلكات ، لا سيما والبارى سبحانه خلق البنين من البنات ثم ان هذا الحكم موجود فى الكتب السماوية والأمم الماضيات كما ذكرناه لك كرات ومرات .

وأما ملك اليمين فانه أيضا كان فى بنى اسرائيل ففى الاصحاح التاسع عشر من سفر الأحبار ما لفظه : « وأيما رجل ضاجع امرأة مضاجعة الزرع وهى أمته ذات زيجة لم تبع بثمن ولم تعتق فيجلدا اثنيها ولا يقتلا انها لم تعتق » أ. هـ. وفى الاصحاح الثانى والعشرين منه ما لفظه : « وان اشترى الخبز مملوكا بثمن من ماله فليأكل من خبزه » أ. هـ. وفى الاصحاح الخامس والعشرين منه أيضا ما لفظه : « وأما عبيدكم واماؤكم الذين تتخذون فليكونوا من الأمم الذين حولكم ومن الغرباء السكان معكم ، فاتخذوا منهم عبيدا أو من نسلهم الذى توالد فى أرضكم ويكونوا لكم ميراثا ورثوهم بنيكم من بعدكم واستبعدوهم الى الأبد وأما من اخوتكم بنى اسرائيل فلا يستعبد الرجل منكم أخاه استعبادا شديدا » ا هـ

فتبين مما فى التوراة أن ملك اليمين كان حلالا فى بنى اسرائيل ، ونحصل أيضا أن التزوج بالوجه المزبور مطابق للعقل والنقل موافق لقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » لأنه كلما أكثر النسل كثرت العبادة ، وان الأكل والشرب المأمور بهما فى قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » مما يتم به أمر العبادة اذ بهما قوام البدن وبقاء النفوس والقوى ، وأما الزهد والعبادة والأعمال الصالحة فهى فى الأمة المحمدية أشهر من أن تذكروا ظهر من أن ينبه عليها وتشهر ، وأما عدم تزوج النصارى من أكثر من واحدة فستأتيك محاذيره ان شاء الله تعالى قريبا مع بيان محاذير منع الطلاق بحول الله وقوته .

تتمة : ولننقل لك بعضا مما قاله العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين مما يزيدك اطلاعا على بعض حكم الشريعة الأحمدية المقدسة الطاهرة قال : « وأما قصر عدد المنكوحات على أربع واباحة ملك اليمين بغير حصر ، فهذا من تمام نعمته وكمال شريعته فى موافقتها للحكمة والرحمة والمصلحة ، فان النكاح يراد للوطىء وقضاء الوطر ، ثم من الناس من يغلب عليه سلطان هذه الشهوة فلا تندفع حاجته بواحدة ، فأطلق له ثانية وثالثة ورابعة ، وكان العدد موافقا لعدد طباعته وأركانه ، وعدد فصول السنة ولرجوعه الى الواحدة بعد ضرب ثلث عنها .

وأما الاماء فلما كن بمنزلة سائر الأموال من الخيل والعبيد وغيرها لم يكن لقصر المالك على أربعة منهن أو غيرها من العدد معنى فكما ليس فى حكمة الله تعالى ورحمته أن يقصر السيد على اربعة عبيد وأربعة دواب وثياب ونحوها فليس فى حكمته ان يقصره على أربع اماء وأيضا فللزوجة حق على الزوج اقتضاه عقد النكاح يجب على الزوج القيام به ، فان شاركها غيرها وجب عليه العدل بينهما فقصر الأزواج على عدد يكون العدل فيه أقرب مما زاد عليه ، ومع هذا فلا يستطيعون العدل ولو حرصوا عليه ، ولا حق لا مائة عليه فى ذلك . ولهذا لا يجب لهن قسم . ولهذا قال تعالى « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » والله تعالى أعلم » أ. هـ.

ثم قال : « والله سبحانه لم أباح للرجل أن يتزوج بأربع زوجات ولم يبح للمرأة أن تتزوج بأكثر من زوج واحد ؟ فذلك من كمال حكمة الرب سبحانه واحسانه ورحمته بخلقه ورعاية مصالحهم ويتعالى سبحانه عن خلاف ذلك ويتنزه شرعه أن يأتى بغير هذا ولو أبيح للمرأة ان تكون عند زوجين فأكثر لفسد العالم وضاعت الأنساب وقتل الازواج بعضهم بعضا وعظمت البلية واشتدت الفتنة وقامت سوق الحرب على ساق » وكيف يستقيم حال امرأة فيها شركاء متشاكسون وكيف يستقيم حال الشركاء فيها ؟ فمجيء الشريعة بما جاءت به من خلاف هذا من أعظم الأدلة على حكمة الشارع ورحمته وعنايته بخلقه . فان قيل : فكيف روعى جانب الرجل وأطلق له أن يستمر ويقضى وطره وينتقل من واحدة الى واحده بحسب شهوته وحاجته وداعى المرأة داعية وشهوته شهونها وشهوتها شهوته ؟ قيل : لما كانت المرأة من عادتها أن تكون مخبأة وراء الخدر ومحجوبة فى كن بيتها لحكم أكثرها ظاهر وكان مزاجها أبرد من مزاج الرجل وحركتها الظاهرة والباطنة أقل من حركته ، وكان الرجل قد أعطى من القوة والحرارة التى هى سلطان الشهوة أكثر مما اعطيته المرأة ، وبلى لم تبل به ، أطلق له من عدد المنكوحات ما لم يطلق للمرأة ، وهذا مما خص الله تعالى به الرجال وفضلهم به على النساء كما فضلهم بالرسالة والنبوة والخلافة والملك والامارة وولاية الحكم والجهاد وغير ذلك ، وجعل الرجال قوامين على النساء ساعين فى مصالحهم ، يدأبون فى أسباب معيشتهن ويركبون الأخطار ويحرثون العقار ، ويعرضون أنفسهم لكل بلية ومحنة فى مصالح الزوجات ، والرب تعالى شكور حليم ، فشكر لهم ذلك وجبرهم بأن مكنهم مما لم يمكن به الزوجات .

وأنت اذا قايست بين تعب الرجال وشقائهم وكدهم ، ونصبهم فى مصالح النساء من الغرة وجدت حظ الرجال من تحمل ذلك التعب والنصب والدأب أكثر من حظ النساء من تحمل الغيرة ، فهذا من كمال عدل الله وحكمته ورحمته ، فله الحمد كما هو أهله .

وأما قول القائل ان شهوة المرأة تزيد على شهوة الرجل ، فليس كما كما قال والشهوة منبعها الحرارة وأين حرارة الأنثى من حرارة الذكر ؟

ولكن المرأة لفراغتها وبطالتها وعدم معاناتها لما يشغلها عن أمر شهوتها وقضاء وطرها يغمرها سلطان الشهوة ويستولى عليها ولم تجد عندها ما يعارضه ، بل يصادف قلبا فارغا ونفسا خالية فيتمكن منها كل التمكن ، فيظن الظان أن شهوتها أضعاف شهوة الرجل وليس كذلك ، ومما يدل على ذلك أن الرجل اذا جامع امرأته أمكنه ان يجامع غيرها فى الحال ، وطاف سليمان عليه السلام على تسعين امرأة فى ليلة واحدة ، ومعلوم أن له عند كل امرأة شهوة وحرارة باعثة على الوطء والمرأة اذا قضى الرجل وطرها فترت شهوتها وانكسرت نفسها ولم تطلب قضاها من غيره فى ذلك الحين ، فطابقت حكمة القدر والشرع والخلق والأمر ، ولله الحمد .

ثم قال : « وانما أباح سبحانه للرجل أن يستمتع من أمته بملك اليمين بالوطء وغيره ، ولم يبح للمرأة أن تستمتع من عبدها لا بوطء ولا غيره ، فهذه أيضا من كمال هذه الشريعة وحكمتها ، فان السيد قاهر لمملوكه حاكم عليه مالك له ، والزوج قاهر لوجته حاكم عليها وهى تحت سلطانه وحكمه ، تشبه الأسير ، ولهذا منع العبد من نكاح سيدته للتنافى بين كونه مملوكها وبعلها وبين كونها سيدته وموطوءته ، وهذا أمر مشهود بالفطر والعقول قبحه ، وشريعة أحكم الحاكمين تنزه أن تأتى به » أ. هـ.

وقد مر عليك ما يتعلق بهذه المباحث فتذكر فما فى العهد من قدم والله تعالى أعلم .

قال النصرانى : « فأما باب الطلاق والاستجلال والمراجعة الذى أحله صاحبك ، فلولا كراهية التطويل لتلوته عليك ، مما قرع الله به أهله على لسان ارمياء النبى ، لكنك تعلم ما فى هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل ، وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه ، وأنى لأتهى نفسى عن سعة المخاطبة فيه ، وترديد الذكر له ، وأرفع قدر كتابى عن ادخال شىء من ذكره آنفا منه ، وتنزيها لكتابى فهذا الجواب فيه . وأما قولك فاكتب آمنا مطمئنا لا فرق ولا خائف انك لا تظلم ولا يتعدى عليك ، فان سيدنا المسيح مخلص العالم حيث شجعنى فى انجيله المقدس وأعلمنى ما هو عتيد ان يكون ، قال : (لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس ، بل ينبغى لك أن تخاف ممن هو قادر أن يعذب الجسد والنفس معا فى جهنم) فقد آمنت بقوله أن ليس لأحد على نفسى سلطان الا الذى خلق نفسى وخلق جسدى ، وقد زادنى فى ذلك أمانا ما بسط الله من عدل سيدى أمير المؤمنين وانصافه ورأفته للضعيف ، الذى مثلى ممن يقرب من وجوده ، ويعيش فى ظل حمايته ، فانه قد شملنا عدله وعمنا انصافه ووسعتنا رحمته ، أثابه الله تعالى على ذلك وأعطاه مأموله فى نفسه وولده من أمر دنياه وأجاب صالح دعائى له بمنه » أ. هـ.

فأقول : لا يخفى عليك أن شريعتنا لم تكن بدعا فى مسألة الطلاق كما أنها لم تكن بدعا فى أمر تعدد النساء بل كل ذلك ايضا فى شريعة موسى عليه السلام والتوراة ناطقة مصرحة بذلك كما عرفته غير مرة ، حتى جاء عيسى عليه السلام ويزعم النصارى أنه نسخ ما هنالك ، مع نقلهم عنه فى الاصحاح الخامس من متى قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأحل الناموس أو الأنبياء ما جئت لاحل بل لأكمل » أ. هـ.

ومما يصرح بأن الطلاق عندهم انما حرمه المسيح (١) ما فى هذه

---

(١) المسيح لم يحرم الطلاق مطلقا ، لأنه غير ناسخ للتوراة كما ذكر المؤلف ، ولم يمنعه بأمر الالزام ، وانما نصح بأن يكون لسبب قوى وهو

الاصحاح الخامس ونصه : « قد قيل من يطلق امرأته فليدفع لها كتاب الطلاق وانا اقول لكم من يطلق امرأته من غير كلمة الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنى » وما فى الاصحاح التاسع عشر من متى أيضا ما لفظه : « قالوا له فلماذا أمر موسى أن تعطى كتاب الطلاق ويسرحها ؟ قال لهم ان موسى من اجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ، ومن البدء لم يكن هكذا ، فانى أقول لكم ان كل من طلق امرأته الا بسبب الزنا ونكح أخرى فقد زنى ، ومن تزوج مطلقة فقد زنى ، وقال له تلاميذه : ان كانت هكذا علة الرجل مع امرأته ، فخير له أن لا يتزوج فقال لهم ليس كل أحد يقبل هذا الكلام ، الا الذين قد أعطوا ، لأن خصيانا ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، وخصيانا خصاهم الناس ، وخصيانا خصوا انفسهم من أجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يأخذ فليأخذ » أ. هـ.

وفى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الأحبار ما لفظه : « وان أرملت ابنة الكاهن أو طلقت ولم يكن لها اولاد ثم رجعت الى بيت ابيها فلتأكل جميع ما كانت تأكل فى صبائها من خبز أبيها » أ. هـ.

فتبين أن الطلاق فى شريعة موسى ثابت ، وفى قول المسيح لا يجوز الا بسبب الزنا ، ثم ان مقدسهم بولس فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس فى الاصحاح السابع منها منعهم بزعمهم من الطلاق ولو زنت ، مخالفا لما قاله المسيح عليه السلام .

وأما مسألة المراجعة فأى بأس فيها وأى شنار يعتريها ؟ فالبارى سبحانه مع اباحته للفراق ، بين نبيه الأكرم ﷺ أن أبغض حلال الى الله تعالى الطلاق فهو عند اللزوم والضرورة مباح ، وعند عدمه مبغوض محظور ، فاذا أطلق ثم تراضيا على المراجعة أو تجديد النكاح فأرجعها

علة الزنا . وذلك فى قوله فى نهاية النص : « من استطاع أن يأخذ فليأخذ » وكان عند اليهود فى زمان المسيح رأى يقول أن الطلاق لا يكون الا للزنا ، ورأى يقول لأى سبب كما بين الدكتور فردريك فارار فى كتابه حياة المسيح . فضم عيسى عليه السلام صوته للرأى الأول .

فاى بأس فى ذلك ، وأى عيب فيما هنالك ؟ نعم المحاذير العظيمة والبلايا الوخيمة فيما يفعله النصارى من عدم جواز تعدد الزوجات ومنع الطلاق ، فكم من رجل شاب منهم يزنى لقبح زوجته ، أو لاطلاعه على ريبتها وزناها ولم يجد طريقا لدفع عناها وأخذ سواها أو لكبر سنها أو لمرضها وطول مدته أو تكون قرناء أو عاقرا فلا تكون له ذرية أو تكون سيئة الأخلاق ردية وكم من امرأة شابة تسافح لمرض زوجها أو عقمه أو عنته أو كبره او كبره أو سوء عشرته أو قبح صورته وسيرته أو عسره وقلة ذات يده ، فيكون كل منهما على صاحبه طوق بلاء وقيد ابتلاء ونقمة خالية عن آلاء ، فالزنا أقرب اليها من حاجبها لعينها .

واما مسألة التحليل فالبارى سبحانه جعله تأديبا للمطلق زوجته ثلاثا بتة لأنه لمخالفة السنة لا يحل له ارجاعها الا بعد زوج آخر حتى يمتنع الناس عن الطلاق الذى أبيح للحاجة اليه ، واشترطوا أن لا يكون تزوج الثانى بشرط التحليل .

وقال نبينا الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم « لعن الله المحلل والمحلل له » وفى رواية اخرى « الا أخبركم بالتيس المستعار ؟ هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له وقال عمر بن الخطاب كما نقله العلامة ابن القيم فى كتاب أعلام الموقعين « لا أوتى بمحلل ولا محللة الا رجمتهما » وقد تبين أن فاعل ذلك ملعون من رحمة الله لأنه عليه الصلاة والسلام لا يلعن رجلا من أمته نكح نكاحا شرعيا صحيحا ولم يرتكب فى عقده محرما ولا قبيحا ، وما لعنه الا لأنه تجاوز الحدود الشرعية وأتى بالفعلة الردية ، وقد مر عليك أيضا مما يتعلق بالطلاق فتذكر .

تتمة :

لنذكر لك من تفسير النصارى الذى ألفه الخورى يوسف الياس وطبع فى بيروت سنة ١٨٦٨ تكميلا للبحث وشرحا لا جمال ما قدمناه آنفا من الأناجيل ، وحيث تكررت هذه الآية المتقدمة فى انجيل متى فى موضعين الاصحاح الخامس والتاسع عشر ، وتكلم عليها مفسرهم

المذكـــور ، فلننقل لك من كلامه فى المحلين ، حتى يزيدك اختلافهم عبرة بأحوالهم وأقوالهم .

قال : « ان المسيح هنا يصلح ويكمل شريعة الطلاق أولا لأن الشريعة كانت تسمح بالطلاق لأسباب عديدة والمسيح سمح بالهجر لعلة الزنا فقط وثانيا ان الشريعة كانت تسمح للمطلق والمطلقة بالزواج بعد الطـــلاق والزوجان حيان والمسيح نهى عن ذلك ، وثالثا ان الشريعة كانت تمنح الرجل وحده الحق على الطلاق والمسيح ساوى بحق الهجر الرجل والمرأة كما علم الرسول فى رسالة كورنثوس ، وقال بعضـــهم انه يفهم بالزنا الكفر ، اذ كثيرا ما دعاه الأنبياء زنا الا أن اكثر المفسرين يفهمون الزنا حقيقة فكيف اذن لا يجوز الهجر لغير الزنا ؟ نعم يجوز ، وقدعينت الكنيسة لجوازه ثلاثة أسباب خاصة الأول : اذا ارتكبت المرأة الخطيئة الصارومية ، الثانى : اذا وقعت فى الأرطقة . الثالث : اذا حاولت ايقاع الرجل فى اثم ثقيل ، والمهجورة لعلة غير الزنا يلتزم الرجل بردها متى أصـــلحت نفسـهـا » أ. هـ.

وقال أيضا : « وهذا يعنى أن الطلاق لم يكن منذ الابتداء لأن الله تعالى جعل بين آدم وحواء رباط زواج غير منحل ، والطبيعة المنفســـدة امتضت السماح بحله مؤقتا ، وأما الآن فقد أتى مصلح الناموس ومكمله ولهذا أريد أن يكون الطلاق محرما وأن يعود الزواج الى ما كان عليه فى بداية الطبيعة قبل انفسادها ، وأن يكون منذ الآن فصاعدا مثالا للاتحاد الغير المنفك بين أقنومى الالهى والطبيعة البشرية ولاتحادى مع كنيستى »

ثم قال مفسرهم المذكور : « زعم الروم ولوتاروس وكلونيوس وتباعهما وأراسموس وغيرهم سندا على هذه الآية أنه يجوز طلاق المرأة لعلة زنائها والتزوج بغيرها ، والحال ان ذلك كاذب ومضاد تعليم الكنيسة لأن مرقس ولوقا يذكر القيد الذى هو قوله من غير زنا وفى رسالة الرومانيين الاصحاح السابع أن المرأة مادام بعلها حيا فلا تفارقه الا اذا مات ، ورسم المجمع القرينيتينى أن من تزوج غير امرأته سواء وجد الزنا أو لم يوجد يزن »

ثم ان هذا المفسر اطنب فى الأدلة على انه ليس للزوج أن يتزوج وان ثبت الزنا منها ، وهى ليس لها التزوج بغيره أبدا ورد على من يقول منهم ان لها التزوج اذا زنت ، فعلى هذا القول المصحح المعمول به عندهم أن الرجل اذا رأى بعينه ان امرأته تزنى مرارا عديدة مدى الليالى والأيام وتكون من ذوات الاعلام فليس له فراقها ولا يصح بوجه من الوجوه الى الأبد طلاقها ، فلتزن ما شـــاءت بعدوه ، والقه رغما على ذقن الديوث وأنفـــه .

وليت شعرى هل جهل عبد المسيح هذه المسألة الفاضحة أم علمها وعدها من الأمور الصالحة والتجارة حتى اعترض على المسلمين فى تجويز الطلاق المأمور به فى شريعة موسى كليم رب العالمين وانتقد مسألة المراجعة والتحليل لو فرضنا صحتها كما يزعم ، لكانت بعيدة عن شناعة زناء زوجاتهم بألف ألف ميل ؟ مع أن الزواج بشرط تحليل الزوجة للزوج الأول محرم فى الشريعة المحمدية على القول المقول ، وقد قدمنا لك ماورد فيه عن نبينا صاحب الأحكام المفصلة من قوله عليه الصلاة والسلام « لعن الله المحلل والمحلل له » والمراجعة عبارة عن أن يطلق الرجل زوجته طلاقا رجعيا أو بائنا ثم يراجع بلسانه أو بمهر جديد حليلته وذلك قبل أن يتزوجها غيره من الأنام كما هو مفصل فى كتب الأئمة الأعلام ، فما أقوال هذا النصرانى الا افتراء وتمويه على الجهلاء وتهويل ليس عليه تعويل وقلب للحقائق وتحرير للاكاذيب ليموه أنه مطلع وفى نقله صادق .

قال النصرانى : « واما قولك اسلحك الله ان هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسنتك ومن ينتحل نحلتك ، وانى اذا دخلت فيه وشهدت مثل شهادتك كنت مثلك ، وحسبى بك شرفا فى الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك ، فاما دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن أراد أن يمتحن ما ذكرته ، واما الشرف فى الدنيا والآخرة . فلعمرى لقد أتاك الله فى هذه الدنيا الخلافة التى جعلها فى أهل دينك ، فنسأله تعالى أن يديم لك النعم ويبقى عليك ولا ينزعه عنكم يا اهل البيت وأما شرف الآخرة فلا يعرف الا العمل الصالح ، وقد حكى عن صاحبك أنه قال : « يا بنى عبد مناف انى لست أغنى عنكم شيئا عند الله فلا تاتونى بالأنساب ويأتينى غيركم بالأعمال فان خيركم عند الله أتقاكم » فان كان قال هذا فقد هدر شرف الآخرة بالعمل الصالح ، ولم نجد أولياء الا القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف فى الدنيا وانما شرفهم فى الآخرة العمل الصالح ، فانت وغيرك ان عدتم العمل الصالح كان لكم الشرف والنسب ، ولنسنا نحب أن نفتخر بما لنا من السبق والنسق فى العربية وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفا غير مجهول لآبائنا وأجدادنا فقد علم ذى علم ولب كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب ، لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس « لا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف » فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الا دين النصرانية ، الذى هو المعرفة بالله وبه نهتدى الى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ، ونتقرب اليه ، وهو الباب المؤدى الى الحياة والنجاة من نار جهنم » أ.هـ.

أقول : لا يخفى أنه لا يفهم من هذا الكلام المنسوب الى « الهاشمى » أن « عبد المسيح » اذا أسلم يكون مثله فى الشرف النسبى والدينى حتى يطيل بما لا طائل تحته بل مقصده المماثلة له عند اسلامه فى الشرف الدينى فقط ، والهاشمى يعلم ما قاله سبحانه فى كتابه الكريم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله تعالى : « فلا أنساب بينهم يومئذ » وقوله عز وجل لنوح عليه السلام فى حق ابنه : « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح »

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ومع هذا فشرف النسب اذا اتفق مع شرف التقوى ، فهو نور على نور ، وعراقة النسب ان كانت لمسلم تكون كالأطواق فى النحور .

وعلى أن النصارى يفتخرون باتصال نسب المسيح بداود (١) وهو بزعمهم إله معبود ، فكيف انكر شرف الانساب حتى أطال الكتاب بما لا مدخل له فى الجواب ، والله سبحانه الملهم للصواب . وأما حال بولس الذى زعم أنه رسول الحق ، فقد عرفناك به فى موضعه من هذا الكتاب ، وأما كندة فقد بينا لك نسبهم أيضا فيه ، وكيف يتسنى له أن يرفعهم بالشرف على سائر العرب ، مع ان الباقى على كفره منهم ذهب شرفه اذ لا شرف الا بالاسلام لا بدعوى التثليث للملك العلام ، وليت شعرى بعد دعواه أن الله سبحانه تجزأ ودخل فى بطن مريم ، وولد وقتل ، كيف ساغ له أن يقول ونعرف الله حق معرفته ؟ فانظر كلامه أيها العاقل وأنصف ولا تغفل .

قال النصرانى : « فاما قولك بان نبيك يقول يوم القيامة اذ يكون كل مشغول بنفسه « اهل بيتى اهل بيتى أمتى امتى » وما يجاب اليه من الشفاعة ، فنامت عينك يا خليلى ، وخيرا رأيت يا حبيبى ، ما هذه الا أضغاث احلام وخرافات العجائز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لأننا لا نشك أن سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى شهد له كتابك انه هو الوجيه فى الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديان الخلق والخلائق يوم القيامة لابد من أن يكافىء كل احد على عمله ان خيرا وان شرا فشرا ولا محاباة عنده ولا هوادة لأحد بل يحكم بالقسط ويقضى بالحق بين الخلائق فى ذلك اليوم ، فانا لك من الناصحين ، فاقبل منى ولا تمل الى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح

---

(١) النصارى يفتخرون بنسبته الى داود . والصحيح : أن المسيح عيسى عليه السلام ينتسب الى هرون النبى أخى موسى عليه السلام وليس الى داود . وقد بينا ذلك فى كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

نصيحته فى هذه الدنيا مقبولا فتزود منها ما تنتفع به ، فان ينفع فى ذلك اليوم الا التقوى فضع عنك الميل الى احاديث الكسالى وعليك بالجد والجد ، فان الرحيل سريع والموت قريب والوقوف بين ايدى المسيح الديان صحيح ، ولابد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة « يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » فاتق الله فى نفسك يا هذا ، واعلم أن تقوى الله خير تجارة ، تاتيك الأرباح فيها بغير بضاعة ، فقد رأيت اجتهاد أولئك الرهبان كيف هو ؟ وكيف تصبوا أجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل فى نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة ، فان قبلت منى فانى لك من الناصحين » أ.هـ.

أقول : لا يخفى على كل ذى عقل سليم أن هذا كلام ليس تحته طائل وتمويه لصحيفته بما لا يدندن فى سمع كل عاقل ، وليس له مدخل فى رد المسلمين عما اثبتوه من رسالة النبى ﷺ لأن نبينا عليه الصلام والسلام بعد أن ثبتت نبوته وسلمت رسالته فكل ما يقوله حق لا ريب فيه ولا شك يعتريه ، فهو قد أخبرنا ان يوم القيامة يأذن الله تعالى لأنبيائه ومقربيه وعباده الصالحين ، فيشفعون لمن هو أهل لأن يشفع له وهو عليه الصلاة والسلام سيد الشفعاء ومقدم الأصفياء الذى ثبتت رسالته فى التوراة والانجيل وبالمعجزات المتواترة جيلا بعد جيل ، وأما سيدنا المسيح فهو أيضا من جملة الشافعين ووجيه كما اخبرنا الكتاب المبين ، ولو لم يخبر بوجاهته لما عرفنا ذلك له ، ولو لم يشهد نبينا بفضله لم نكن نشهد له ، فالتصديق بوجاهة عيسى عليه السلام موقوف على التصديق بالقرآن فمن لم يصدق بالقرآن كيف يسوغ له أن يستدل به على وجاهة المسيح عليه السلام غير انا نسأل من النصارى ولا سيما من هذا القائل هنا أن المسيح هو الذى يدين الخلائق يوم القيامة ويحاسبهم ويحكم بالقسط ويقضى بالحق بين الخلائق لا غيره ، ونقول لهم : حصل لنا فى ادعائكم هذا اشكال عظيم واعتراض قويم وسؤالا لا يجد له جوابا كل منصف حكيم ، وذلك أن المسيح اذا صار هو الديان كما زعمتم فكيف يتحاكم مع اليهود الذين صلبوه فهو الخصم والحكم ؟ فلابد أن يكون الحكم غيره فاذا تحاكموا

عند أحد فلابد وان يتحاكموا عند الله تعالى ، فحينئذ يتبين أن عيسى ليس هو الله ، لأنه لو كان هو الله فقد تجزأ جزءين وصار بعضه حاكما لبعضه ، والله تعالى لا يتجزأ وان قلنا هو غير الله وتحاكموا عند الله ، فلابد أن الله يحكم لليهود لأنهم لابد أن يدعوا اذ ذاك أن عيسى أبرء ذمتهم فى الدنيا عن قتلهم له ودعا لهم وطلب عند صلبه من أبيه المغفرة لهم ، وقال « يا أبت اغفر لهم فانهم لا يعلمون ما يفعلون » لوقا ص ٢٣ كما حكاه المؤلف فى كتابه هنا ، فلم تبق لعيسى عليه السلام دعوى معهم فيكونون من أهل الجنة لأنه طلب المغفرة لهم وهو الوجيه فى الدنيا والآخرة فلابد أن يقبل الله شفاعته فيهم ودعاءه لهم ، لا سيما وهو الخصم المقتول ظلما ، وقد نزل عن دعواه فى الدنيا فلم يبق له حق المطالبة فى الآخرة ، وان لم يتحاكموا عند الله بل عند المسيح عليه السلام ليقضى بنفسه لنفسه على خصمائه وقال لهم انى أريد أن أمر بكم الى جهنم لقتلكم لى ظلما وكفرا فلا شك أنهم يقولون له يا ربنا أنت عند الصلب غفرت لنا ذنبنا وشهدت انا لا نعلم ما نفعل فلم لما كنت معنا فى الدنيا غفرت والآن رجعت عما قلت ودعوت ؟ فما الذى بدل حكمك وغير فكرك وأبطل قولك ؟ والرب لا يبدل القول لديه ولا تبديل لحكمه ولا يليق به الرجوع عن عطائه وشهادته ، فالملازم أن يأمر بهم حينئذ الى الجنة وتزول عنهم كل محنة ، ثم انه بعد ذلك اذا حاكم المسلمين وأراد ادخالهم الى النار يقولون له : ليس من عدل العادل وحكمة الحكيم أن يدخل أعداءه وقاتليه الكافرين به الى جنات النعيم ، ويدخل محبيه ومن يعترف بنبوته ورسالته وجاهته وبراءته مما يزعم قاتلوه فيه عذاب الجحيم ، مع أنهم لم يتولوا قتله وقد عرفوا فضله ، فلا ريب انه يدخلهم الجنة دار القرار كما أدخل قاتليه الأشرار الفجار .

وقد استوفينا هذا السؤال فى محله وأعدناه هنا لمناسبة ما ادعاه عبد المسيح فى باطل قوله ، فافهم هذا وذاك ، والله تعالى يتولى هدانا وهداك .

ثم انا نقول لهذا النصرانى : انك قد حصرت الشفاعة والوجاهة فى المسيح عليه السلام ، وانه لا ديان سواه مع انكم جعلتموه شريكا للبارى

سبحانه بل عين البارى تعالى ثم ناقضتم قولكم وجعلتم أم الاله بزعمكم مريم والملائكة والقديسين منكم شفعاء أيضا ، وصرحتم بذلك فى كتبكم .

ولننقله هنا ليسمعه طالب الحق من السامعين ، ويتبين لهم الكاذبون من الصادقين ، ففى كتاب ايجاد مريم تاليف الفونسوس ليكورى المطبوع فى رومية ١٨٢٧م صحيفة ١٢٠ : « ان الله لا يهبنا نعمة الخلاص من دون شفاعة مريم » الى أن قال : « نحن نتوسل للقديسين فى أن يصلوا لوجه مريم بحسب كونها ملكتهم وسيدتهم ، من أجل خيرنا واسعافنا » وفى صحيفة ١٥٩ منه أيضا ما لفظه : « لم تتصل فيما بعد الى خليقة ما من الخلائق ولا نعمة واحدة من الله الا بواسطة مريم وعن يدها » وقال أيضا فيه : « ان مريم ولئن كانت تستمد من الاله ابنها النعم متوسلة فمع ذلك هى تتضرع اليه على نوع ما بروح رياسى بحسبما هى والدته ، فاذن نحن من دون ريب تحصل جميع ما ترغبه وتطلبه لأجلنا » وقال أيضا فى صحيفة ١٦٦ : « البشر أجمعون بواسطة شفاعتها ينالون الخلاص الأبدى » أ. هـ.

والعجب أنهم لم يكتفوا بشفاعتها وشركتها فى الأمر حتى جعلوها شريكة فى الألوهية والاقانيم فقد قال فى الكتاب المذكور فى صحيفة ٣٧٥ « ان الله لم يقدر أن يرفع مريم العذراء رفعة اكثر سموا مما رفعها اليه فى سر التجسد الالهى يكفى فى هذا الموضوع القول أن الله قد صير هذه البتول أما له ، وبذلك يعرف أن الله تعالى لم يقدر أن يعلى شأنها ويرفع مقامها بأكثر مما صنع معها لأنها ما عدا الله هى أعلى من الجميع مطلقا »

الى أن قال : « ان البتول القديسة لكى تصير والدة الاله قد احتاجت لأن ترتقى الى مرتبة التساوى على نوع ما بأقانيم الالهية ، لهذا يقول بطرس راميانوس ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة أنواع فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ،

ثم يهتف هذا القديس قائلا أن الله يسكن فى البتولة ومعها يحوى جوهر طبيعة واحدة هى ذاتها » أنت هى بلفظه .

وقد نقلنا فى كتابنا هذا مفصل صلواتهم وعبادهم للملائكة والقديسين ، فلا حاجة بنا الى ذكرها هنا . وقد تبين كذب قول المؤلف انه لا وجيه سوى المسيح ولا شفيع سواه ، مع أنهم قد عددوا الشفعاء وجعلوا أيضا مريم شريكة لله ، فلا حول ولا قوة الا بالله — تعالى الله عما يقول الظالمون —

قال النصراني : « فلما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذى حكيت ، هيهات هيهات ليس ما سولت لك نفسك ، والمسيح سيدنا يقول فى انجيله المقدس حيث بالغ فى الوصايا واكد وحتم : « اذا فعلتم كل ما امرتم به وكملتم كل البر ، قولوا اننا عبيد بطالون اننا عملنا ما امرنا به ، على فضل لنا » وهو السيد الذى قال « ما اضيق الطريق الذى يؤدى الى النجاة والخلاص ، وما قل السالكين فيها والواردين اليها ، وما أوسع الباب الذى يدخل الى التهلكة ، وما أكثر السائرين اليه والداخلين منه » (متى) .

فهذا اكرمك الله خلاف ما تدعو أنت اليه وأشبه بامور الآخرة من تسهيلاتك العجينة وأبوابك الواسعة ، وقولك : « حبب الى الطيب والنساء » « وانكحوا ما طاب لكم من النساء » ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور فى فهمك من هذا الأمر الذى قد توهمت أنك منه على صحة واستقامة ، ويعز على كيف قد خفى عنك تدليسه وبهرجته ، فاسأل الله الذى يهدى من الضلال الى الرشاد ، أن يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدى به وتستضىء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التى أنت منغمس فيها ، فان ذلك واجب على أن ادعو لك خاصة وللناس جميعا عامة ، اذ كان عندنا معشر النصارى أن صلواتنا لا تتم الا بالدعاء للناس كافة بالهدى للتائهين عن سبيل الحق أن يفتح الله على بصيرتهم ويكشف كمنة الغى عن قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ، ويرجعوا عنه الى طاعته ، والمهتدين أن يثبتهم فيما أنعم عليهم به ، فعل الله ذلك بك وبجميع اخواننا بحوله وقوته » ا. هـ.

أقول : ان هذه الرسالة التى زورها ولفقها النصرانى ونسبها المسلم ليبنى كلامه عليها ، ليس فيها التصريح بما ادعاه عبد المسيح بل فيها ذكر شىء من محاسن دين الاسلام وما شرعه لعباده الملك العلام من الأحكام ، وأما التسهيلات بالمعنى الذى يزعمه هذا الملفق فليس منها شىء فى الشريعة المحمدية والأحكام الالهية نعم ان الله تعالى يريد بناء اليسر

ولا يريد بنا العسر ، وان الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه ، وانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانه « يحب التوابين ويحب المتطهرين » وما جعل علينا فى الدين من حرج ، لكنه سبحانه فرض علينا معاشر المسلمين فرائض وسن رسوله عليه الصلاة والسلام سننا .

فمن فرائضه الاغتسال من الجنابة كالجماع والاستحلام وعند تمام الحيض والنفاس ، وفرض علينا الوضوء للصلوات الخمس فى اليوم والليلة والتطهر من النجاسات وتطهير الثياب والبدن وموضع الصلاة والاستنجاء ، وفرض علينا الجهاد والحج على من استطاع اليه سبيلا ، وفرض الصوم وهو عدم الأكل والشرب والجماع فى شهر رمضان كله ما عدا الليل ، وفرض الزكاة وهى أن يخرج الغنى ربع العشر من ماله فى كل سنة ويعطيها الفقراء ، وهذا ما عدا الصدقات الأخر .

وحرم علينا الزنا والربا وقتل النفس ظلما وشهادة الزور والكذب والبهتان والحسد والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل مال اليتيم وأخذ أموال الناس بغير حق ، وحرم لظلم والاضرار والفحواش ما ظهر منها وما بطن والاثم والتعدى على الغير ، وحرم الخبائث والخمر والقمار وأكل الميتة وما أهل به لغير الله ، وحرم علينا لحوم كثير من الحيوانات كالخنزير والكلب ونحوهما مما هو مفصل فى الكتب الاسلامية ، حرم أكل النجاسات والحيوانات المؤذيات والمفترسات .

وأمرنا أن لا نعبد سواه ولا نصلى ولا نسجد ولا نذبح القرابين ، ولا ننذر لغيره من انس او جن أو ملك أو صنم او صورة او حجر او شجرة او حيوان وان نجعل بيننا سبحانه وسائط نتضرع اليهم ونطلب منهم ، وأن لا نستعين الا به ولا نتكل الا عليه ولا نتوب الا اليه ، ولا نطلب غفران الذنوب الا منه ، وأن لا نجعل معه الها آخر ، وأن نعتقد أن جميع المخلوقات والموجودات من العوالم انما وجدت بخلقه وقدرته وكلهم عبيده ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة الا به ، واحد احد لا أول ولا شبه له ولا ند ولا آخر له ، متصف بالصفات

العليا لا يعتريه نقص ولا زوال ولا يشبهه شيء من خلقه ولا يحتاج الى مصنوعاته ، رازق لا رازق سواه ، يحيى ويميت ، وهو موجود حى قادر دائم عالم سميع بصير مريد متكلم ، يعلم ما كان وما يكون ولا يخفى عليه شيء من حركة ولا سكون ولا يعجزه شيء ولا يستعين بشيء ولا يفوته شيء .

أرسل رسلا من عباده لعباده مبشرين ومنذرين ، وجعل خاتمهم سيد المرسلين سيدنا محمد النبى العربى الصادق الأمين ، وأنزل عليه القرآن مصدقا لما تقدمه من كتب النبيين — عليه وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه اجمعين — وأنه يعيد الناس ويحشرهم ويحاسبهم بلا التباس « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فمن كفر به وبرسله ففى النار ومن آمن به وبرسله ففى الجنة خالدا فيها بلا فناء ، وأمرنا أن نعفو عن المخطئين ونحب اخواننا المؤمنين ونبغض الفاجرين ونغض البصر عن رؤية المحرمات ، ونتجنب الملهيات ، ونستر العورات ، ونشتغل بالطاعات وناكل الطيبات ونذكر الله تعالى ونطلب غفرانه ، وأن نستعيذ به من عذابه .

ونبينا ﷺ سن لنا سننا كثيرة فى العبادات .

فاذا علمت ما عليه المسلمون ، وعرفت ما يتدين به المسيحيون ، تجزم ان كنت من العارفين ان ما عزاه عبد المسيح تمويه وترويج لباطله على الحق الصريح ، لأن النصارى عندهم التسهيلات وقلة الكلفة وعدم المشقة فى الطاعات .

فمن ذلك أن المسلمين لا يعبدون الا الها واحدا والنصارى قد عبدوا آلهة فسهل الأمر عليهم لأنهم يهرعون فى أمرهم الى أحد الثلاثة فاذا لم يقضها قضاها بزعمهم الاله الآخر ، والا فتقضية مريم أم الاله وخطيبة الاله لأنهم كما قدمناه لك فى الصلاة المسماة عندهم بصلاة العذراء يقولون لها : « لك نسجد » مع أن الله تعالى قال لهم فى التوراة : « لا تسجد لغير الهك » فمادام أنهم سجدوا لها تبين أنها عندهم هى اله ، والا لما

مسجدوا لها . والمسلمون لا يعتقدون الا الها واحدا ولا يعبدون الا الها واحدا ولا يهرعون الا اليه ، وليس لهم غيره فاذا لم يستجب لهم لا يذهبون الى أحد سواه ، فانظر هل التسهيلات عندنا أم عندهم ؟

ومن ذلك أن المسلمين يختتنون كما فرض الله تعالى ذلك فى التوراة وابراهيم اختتن وموسى وعيسى ويحيى المعمدان ، وبنو اسرائيل اختتنوا ، والنصارى لا يختتنون خوفا أن يقطعوا من لحمهم شيئا ، فهل التسهيلات عندنا أم عندهم ؟

ومن ذلك أنهم يتغوطون ويبولون ولا يستنجون بخلاف المسلمين ، فهل التسهيلات عندنا أم عندهم ؟ ومن ذلك أنهم يحتلمون أو يجامعون أو تحيض نساؤهم وتنفس ولا يغتسلون لشىء من ذلك ، والمسلمون سواء كان صيفا أو شتاء حرا أو بردا رجالا أم نساء من كل واحد منهما يغتسلون بالماء الحار أو البارد ، فهل التسهيلات عندنا أم عندهم ؟ ومن ذلك أنهم يصلون بلا وضوء ولا طهارة الثياب ولا المكان ، والمسلمون لابد أن يتوضأوا ويغسلوا وجوههم وأيديهم وأرجلهم ثلاث مرات ، ويمسحوا رءوسهم للصلوات الخمس ليلا أم نهارا صيفا وشتاء بالماء البارد أم الحار نساء ورجالا ويطهرون ابدانهم وثيابهم ومكان صلواتهم من كل نجس وحدث وخبث ، حتى من قطرات البول ، والنصارى لا تفعل جميع ذلك ، وتصلى بحدثها وخبثها ولا يتكلفون لغسل شىء ولا لطهارته ، فهم فى راحة من كلفة ذلك ومشقته ، فهل التسهيلات عندنا أم عندهم ؟ ومن ذلك ان الانسان اذا عمل معصية وظلم أحدا فعندنا لابد أن يرضى خصمه ويتوب الى الله تعالى فانه لا يغفر الذنوب الا هو واذا فاته شىء من عباداته لابد وأن يقضيه ويأتى به ويتوب ويستغفر ، فلعل الله تعالى يتوب عليه ، والنصارى اذا عمل أحدهم ذلك يأتى الى القس أو البطرك ليغفر له ويقر له بخطيئته ، ولو كانت المخطئة امرأة وقد زنت فتعترف له بخلوة صحيحة بينها وبينه ، فالقس يغفر الذنوب للمخطىء والمخطئات ، فيكون غفرانه بدلا عن غفران خالق الأرض والسموات ، فلذلك الآن يبيعون صكوك

الخنزيرات ، ودخول الجنات ببيع الخنازير والخضروات ويقبض بتركهم بدلها دريهمات ، والمسلمون لا تباح لهم هذه الهنات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم يزعمون أن الصوم فى السنة مرة وهم يأكلون ويشربون ليلا ونهارا كسائر الحيوانات ، غير أنهم يمتنعون عن بعض أنواع المأكولات ، والمسلمون يصومون فى كل سنة شهر رمضان كاملا ولو وافق فى أشد الحر وأحر البلاد ، ولا يأكلون ولا يشربون شيئا ولا يجامعون من طلوع الفجر الى الليل ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم لا يصلون فى اليوم والليلة خمسة أوقات (١) ونحن نصليها ما عدا ما نصليه من المسنونات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم يستبيحون أكل جميع الحيوانات البحرية والبرية والحشرات والميتة والدم ، وليس يستثنى عندهم منها شىء ، حتى لو أراد الانسان أكل النجاسات ودود الغائط فهو ليس من المحرمات ، ولا يحكمون بنجاسته شىء من النقاذورات ، فالنجاسة عندهم معصومة أو من الأمور الموهومة ، والمسلمون — ولله تعالى الحمد — سالمون من التضمخ بالنجاسات ، ولا يأكلون الا الطيب من الحيوانات والنباتات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟

ومن ذلك أنهم يشربون الخمر والمسكرات ويأكلون الربا ويجالسون الأجنبيات ، وكل ذلك عندنا من المحرمات ، فهل عندنا أم عندهم التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم لا يرجح (٢) عندهم ولا اعتبار فلا يعملون بعملاتهم فى الأسفار ولا ينفقون نفقة ولا يفارقون أهلا ولا يخرجون من دار ، والمسلمون يتحملون مشاق السفر ويبذلون أموالهم امتثالا لما أمرهم الله فى الآيات فهل عندهم أم عندنا التسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم لا يعتقدون المعاد الجسمانى (٣) بل يثبتون الروحانى . والمسلمون يعترفون بأن الناس يخرجون ويحشرون من الأرض كما يخرج الله سبحانه النبات ، فهل

---

(١) النصارى يصلون سبع صلوات ، صلوات أدعية .

(٢) النصارى يحجون الى بيت القدس للبركة والذكرى .

(٣) بعض فلاسفة المسلمين يعترفون بالمعاد الروحانى (انظر شرح الارشاد لأبى بكر بن ميمون / نشر الانجلو المصرية) .

عندنا أم عندهم للتسهيلات ؟ ومن ذلك أنهم يعتقدون أن عيسى إلههم ، وقد نزل في بطن مريم ، وولد وصلب لأجل تخليصهم من الخطيئات ، وعندنا لا يخلص المؤمن بعد غفران الله تعالى الا الأعمال الصالحات ، فهل عندنا أم عندهم للتسهيلات ؟

والمثال هذه المسائل كثيرات ولو أردنا تعدادها لتسلسلت الكلمات ، ويغني قليل العبارات عن كثيرها عند ذوي القياس من أرباب الدرايات ، فاصقلها ولا تغتر بما نقده المؤلف من زيف التمويهات ، واسأله تعالى اتباع آياته البينات .

ثم انه عد الطيب والنكاح من التسهيلات ، ويعد ورودهما في السنة من العجيبات ، فالعجه العجاب من فتح هذا الباب ، ألم يعلم بأن المسيح كان يحب الطيب أيضا ولولا حبه له لما أفرغت مريم المجدلانية الخاطئة المطعونة قارورة الطيب على رجلي المسيح عليه السلام ، حتى اعترض عليه الحواريون بسبب ذلك ، ولولا النساء لما ولد الاله من مريم حتى يخلص النصارى من نار جهنم ، فما هذه الاعتراض الا كهذيان المحموم أو كتشفس المزكوم ، وقد أجبنا عنهما أيضا في غير هذا المحل بجواب مفصل ، وليت شعري أي بأس اذا كان الطيب محبوبا عند الأنبياء ؟ وأي نقص يعتريهم اذا أحبوا الحلال من النصار ؟

على أن نبينا عليه الصلاة والسلام ليس بدعا في ذلك ، فكم وكم غيره من الأنبياء عدد الزوجات ، وغدا السراري المتعددات مالك ، كما صرح به في التوراة عليه الصلاة والسلام لما بعث كان كثير من الناس في الجاهلية تحتهم عشرة أزواج أو أكثر ، ولما نزلت الآية وبلغها لهم اقتصروا على الأربعة (٤) وسرحوا الزائد عليها ، فهو عليه الصلاة والسلام لم يزد على ما كانت عليه الأمم السالفة بل نقص عنهم بمقتضى الأمر الالهي ، وأما زيادتهن لتفسه ﷺ وأخذه لتسع ، فقد بسطنا جوابه الشافي أيضا في محله من هذا الكتاب ، فراجعه لتكون على بصيرة تامة في الجواب ، والله سبحانه الهادي الى صوب الصواب .

---

(٤) يقال ان العدد اكثر من أربعة (تفسير ابن كثير في أول النساء)

قال النصرانى : « اما قولك — اصلحك الله — دع ما انت عليه من الكفر والضلالة ، وقولك بالأب والابن والروح القدس ، وعبادة الصليب التى تضر ولا تنفع ، فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن امرهما كشفا يغنى عن الاعادة واتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان عليه ، ومن هو المقيم على الكفر ، ولا حاجة لنا الى اكثر من ذلك . واما التخليط فكانك اصلحك الله كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل ان الانسان عدو لما جهل ، واعوذ بالله من ذلك ، فليس الأمر على ما توهمت ، فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها مادام خصبك غائبا لأنه ليس من فعل أهل التخرج والأدب ، فان الذى وسمته بالتخليط واجترأت عليه بمثل هذا القول ، هو سر الله ، الذى كانت الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون يركضون فى طلبه ، ويرغبون فى معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اسمه الخلق ، فلم تكن تعطى منه الا الشىء اليسير باللمح الخفى ، ولم تطلع منه الا على النزر بالرمز المستور ، حتى جاء الابن الحبيب السيد نازلا من حضن أبيه فكشفه لأوليائه وأهل طاعته ، فالهمهم معرفته ودفعه اليهم كاملا مشروحا مفسرا مبينا ، فقال لهم مصرحا : « امضوا فادعوا الناس الى المعرفة الصحيحة الكاملة ، التى هى باسم الآب والابن والروح القدس » فقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر ، فادوه الينا معشر المؤمنين بالمسيح ، فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ، ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته الى انقضاء العالم .

واما قولك عبادة الصليب التى تضر ولا تنفع لما رأيت من تعظيمنا اياه وتقبيلنا له وتبركنا به ، فنجيبك عنه قائلين : انا نفعل ذلك للذى مثل لنا فيه من أمر المسيح وما جرى به تدبيره فى خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه ، والموت لأجلنا ، فان النعمة عندنا فى ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفى به شكر والصليب ممثل هذه النعمة نصب اعيننا يحثنا على شكر موليها والمنعم بها واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا الى الخشب وغيره مما تصنع منه الصلبان ، ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا الصليب من غيره ولكنا نتخذ من الخشب

والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطه خطا ونرسمه بايماننا وذلك دليل على اننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التى تتخذ منها الصلبان ، بل من هو ممثل بالصليب وكما انه من السنة تعظيم كل شيء من أمر الملك وما نسب اليه وخاصة الممثل فيها شخصه ، فان السنة جارية فيها على وجه الدهر بان نتحفها بالسجود تعظيما للملك ، وما مثل فيها من أمره ، فكذلك توجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته واستلامه اذ كان ممثلا لنا امر المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا .

ثم ان الناس فى الدهر ايضا على بقية من هذه السنة ، فانهم يقبلون أيدى ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاما لهم ، فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من انفسهم برا ورشدا ، فكيف الآن تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامه ومحله عندنا المحل الذى وصفنا واننا نجد فى الكتب المنزلة من عند الله أن الأنبياء كانوا يعظمون التابوت الذى عمله موسى بأمر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه ، وكان موسى كلما حمل التابوت الذى عمله موسى بامر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه ، وكان موسى كلما حمل التابوت يقول : « قم يارب وليهز من شانئوك » واذا وضع يقول : « عد يارب الى الألوف وعشرات الألوف من بنى اسرائيل » أنهم خروا سجدا بين يدى التابوت معظمين له عائذين به مما نالهم ، وداود النبى حين نقل التابوت الى اورشليم عظمه غاية التعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين ، وشيعه بالتسبيح والتهليل وافتتح ذلك بمثل مقالة موسى النبى فقال : « ليقيم الله ولتتبدد جميع أعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه » وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيما لله لا للخشب وغيره ، فنحن على هذه السنة ايضا فى تعظيم الصليب ونجرى فيها على ما جرى عليه الأنبياء الأبرار ، فلم — أصلحك الله — غلب عليك النسيان فى هذا الموضع ، كأنك جاءتك حمية الاسلام ومرضتك العصبية الهاشمية فازاغتك عن سبيل الحق ، وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذى أنت أقررت به بفيك ولفظ به لسانك ، مما جريت من القوة الحالة فى الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابة ، وحين هربت ممن هربت منه ، وحين لقيت الذى

لقيت فى طريقك ، وانت ماش الى عبر الكوخ ، وبعين نفاك القسه وتاريت سابات الدانن ، افترك — اسامحك الله تنسيه هذه المواقف ، فان كنت انت تسيتها فنحن فاكرون انها نظم — اسامحك الله — فكر بالنعمة وتكافيه بالشر ، وتقل من الشكر وتنكر المعروف ، وليس هذا مذهب من هو مثلك من أهل التخرج والتمسك بالصدق ، ولم قلت :ان عبادة الصليب تضر ولا تنفع ؟ فليت شعرى اى ضررنا لك عند تعوذك بالصليب وانت تعلم انا معشر النصارى لا نعبد الصليب وانما نعبد القوة الحالة فى الصليب ، والتاييد الذى ايدنا به والخلاص الذى اوتيناه بسببه ، ألم يجر بيننا من الكلام والمحاجة بحضرة من جرى ما قد اقتعك ؟ وتعلم كيف كان الحكم عليك فى ذلك المجلس ، فلم رجعت عما كان صح عندك واقررت بصوابه ، حتى ذكرت انك امتحنت ذلك فوجدته صحيحا ؟ او كان ذلك من الحكم الذى جرى عليك ممن قد علمته أم انما اردت مدافعة ذلك الوقت ؟ على انى ارجو ان لا يكون هذا القول منك فى الصليب اعتقادا ، ولا ابطال للفضيلة التى رأيتها حالة فيه » ا. هـ.

فاقول وبالله تعالى التوفيق ان ما فى هذا الكلام من ادعاء الوهية المسيح عليه السلام قد رددناه غير مرة فيما تقدم ، وتأتيك أيضا زيادة عليه فى محلها فلا حاجة بنا لاتعاب البنان هنا ، وأما ما فيه من التهافت والتناقض والتمويه والاختلاق على الهاشمى بما لا يقبله ذو فطنة لا يخفى على كل متبصر فطن ، وقد تقدم لك ردا مثاله مرارا فلا حاجة لنا الى بيان زيفه الظاهر ، واما ما فيه من التمويه بقدر سيدنا المسيح عليه السلام واثبات نبوته فلا كلام لنا فيه اذ نحن ولله تعالى الحمد ممن يقر بعبوديته لله سبحانه ورسالته منه لا كما تزعم اليهود أهل الغضب والجحود ، ولا كما تزعم النصارى الغالون فيه ، حتى جعلوه الها مسجودا له ومعبودا ، غير اننا نذكر ما يتعلق بأمر السجود للصليب وان كفانا مؤنة رده علماء البروتستنت من النصارى فى تصنيفاتهم لئلا يظن الناظر عجزنا عن رده وتقاصرنا عن بيان فاسده .

فاستمع بعض الصواعق النازلة منهم عليهم ، وانظر بعض الشرر المحرق لهم الخارج من بينهم الذى قاله أهل ملتهم .

قال المعلم ميخائيل مشاقه فى كتابه البراهين الانجيلية ضد الأباطيل البابوية الذى رد به على كتاب يوحنا الجرماتى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٣ ما لفظه : « الاصحاح الحادى والعشرون : يتكلم المؤلف فى هذا الفصل عن استعمال الصور » وكيفية عبادتها فى كنائسهم وأنهم يسجدون لها السجود التكريمى فقط ، وأنهم لا يعتقدون فيها وجود قوة فعالة ، الى آخره ، فهذا المؤلف ابان أنه فى جيله الماضى لم تكن اتصلت كنيسة رومية فى عباداتها الأصنامية الى ما اتصلت اليه فى عصرنا وابان أنه قد استحى وأخفى الجزء الأعظم من الاعتقاد البابوى الذى يأمر بالسجود المطلق والعبادات الفائقة كما للذات الالهية نحو بعض المواد المخلوقة كخشبة الصليب وصور السيد المسيح بأنواعها وأشكالها والخبز والخمر المقدسين ، فهذه العبادات الوثنية قد تكلمت عنها بالكفاية فى رسالة الدليل فلا حاجة لتكرار الكلام عليها ، ولكننى اكتفى بأقله بما أمر به البارى تعالى فى الوصية الثانية التى سرقها البابويون وأخفوها عن أعين الشعب ، ولما نقص مع عددها وصارت تسعا والشعب يسمع أنها عشرة فهجموا على الأخيرة منها وقطعوها شطرين وجعلوا كل شطر وصية كاملة سترا لغشهم وخداعهم ، فان الله قد قال فيها بالقلم الصريح « لا تتخذ لك صورة ولا تمثيل كل ما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ولا ما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن فانى أنا ربك العزيز الغيور وأجتزىء ذنوب الآباء من الأبناء الى ثلاثة والى أربعة أجيال لأعدائى وافعل الحسنة الى ألف جيل لاحبائى وحافظى وصاياى فأنا نرى البارى تعالى فى وصيته ، قد أطلق تحريم السجود لها كما أطلقه بتحريم عبادتها . وهكذا لم يجعل فرقا ما بين صورة من هو فى السماء ومن هو فى الأرض أو تحتها ، ولم يذكر لنا سجود لا تريا ولا سجودا ييرضوليا مما يفرعه البابويون فى تعاليم عباداتهم الباطلة .

وأما احتجاجه بالكاروبيين اللذين وضعا على ظهر التابوت فان سليمان لم يصنع الكواريب فقط ، بل صنع أيضا ثيرانا وأسود ونخيلا وجميعها كانت للزينة لا للعبادة ، حسبما هو واضح فى نص الكتاب ، فاذا كان ذلك مستحقا أن يسجد له فيجب أيضا أن يسجد امام البقية لا بل حينئذ بنوع أوجب يجب السجود لذات الأرض ، وممن للكنيسة البابوية انها فى وقت

لا تحدد وجوب عبادة الكرة الأرضية لأنها مختلطة بكثير من تلك العظام البالية التى تتخذ منها الذخائر المقدسة ، وكم من مرة جبل ترابها بدماء الشهداء وكم من الأنبياء والرسل حتى السيد المسيح قد مشوا على سطحها وخلا عن ذلك أن هذا مؤيد بنص الهى صريح ومأمور به بخلاف دعوى الصور التى تدفعها وصايا الله ، فان الكتاب المقدس قال عن الله : « ان السماء كرسيه والأرض موضع قدميه » وقال أيضا : « اسجدوا لموطىء قدميه » فأى برهان أوضح من هذا على وجوب عبادة الكرة الأرضية ، ثم من المعلوم أن تابوت العهد قد وضع بأمر الله وكان يخاطب بنى اسرائيل من فوقه ، فيشوع بن نون لم يسجد للتابوت بل سجد مع شيوخ بنى اسرائيل لله على الأرض أمام التابوت ، لاله ، وأن الله حينئذ قد خاطبه وأمره بما يريد أن يعلمه . وقط لم يتوسل يشوع الى التابوت ولا الى قسط المن واللوحين الحجرين أو عصا هرون الموجودات ضمنه ، بل توسل الى الله فقط ، وأما الباباويون فيلتمسون من الموضوعات التى يسجدون لها نوال احتياجاتهم الروحية والزمنية ، كما أوضحنا ذلك فى مواضع كثيرة ، ونكتفى هنا بما يقال فى كنيسة الروم الباباوية نحو صورة المباركة مريم العذراء هكذا : « فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون لصورتك المقدسة والدة الاله التى صورت من لوقا الانجيلى الكلى الطهر التى بها اهتدينا الى الامانة المستقيمة » فأين اعتقادهم هذا بأن هدايتهم للأمانة كانت بواسطة تلك الصورة من قول المؤلف ؟ انهم لا يلتمسون من تلك الصورة شيئا وما كفاهم تورطهم فى هذه العبادة الاصنامية المحضة حتى اتهموا القديس لوقا الانجيلى بأنه كان يصنع التماثيل ، نظير ديمتريوس الأفسى ، حاشاه من ذلك .

ثم اننى أقول للمؤلف بأن يشوع بن نون عند سجوده أمام التابوت ، قد استجاب الله لطلبته وخاطبه بكلام مفهوم ، فياترى عندما يسجد حضرته أمام أحد أوثانه فهل يستجيب الله له ويخاطبه كما يخاطب يشوع ؟ فربما يجيبنى انه لم يحصل معه ذلك قط ، الا اذا كان يقع معه كما يخبرون عن الوثنيين القدماء بأن الشيطان كان يخاطبهم من داخل الصنم ، ثم اذا كان الله لم يخاطبهم حين التجائهم الى الصورة عندما يسجدون لها ولم يكن لها

خواص ، فما بالهم لا يعملون ما عمله حزقيا الملك عندما كسر الحية النحاسية وتلف وجودها احتراسا من تورط الشعب فى عبادة الأوثان ، مع كونها مصنوعة بأمر الله ، هذا ومع أن علماء الباباويين عند الاعتراض عليهم يحاولون بأنهم قط لا يقدمون عبادة الى أوثانهم ، ومع ذلك فهم يوقدون أمامها الشموع ويطلقون البخور ، وأما الشعب البسيط فيعتقد وجود القوى والفعل فى ذلك تلك الأوثان ، وما ذلك الا من فحاشة تعليم رؤسائهم ووضع الصور فى المعابد .

الفصل الثانى والعشرون فى هذا الفصل يتكلم المؤلف عن أنواع عبادتهم التى يقدمونها نحو الذخائر المقدسة التى تخجل من تسميتها عبادة فيسميها تكريما الذى بواسطته يعطون عربونا يثبت ثقتهم بشفاعة القديسين ، التى هى أيضا غريبة عن التعليم الانجيلى ، وكأنه يقصد بتعليمه هذا أن يؤيد التعليم الباطل بشفاعة القديسين بباطل آخر نظيره بأن يلتجىء الى كسرة عظم بالية أو قطعة قماش رثة أو خشبة نخرها السوس ، مع تمادى الأجيال ثم يبرهن على وجوب هذه العبادة الوثنية بما ورد فى نص الكتاب المقدس عن الميت الذى طرحوه فى قبر اليشع النبى ، وعندما لمس جسمه عظام اليشع رجعت الحياة لذلك الميت كما فى الاصحاح الثالث عشر من سفر الملوك (عدد ٤) وهكذا نازفه الدم التى شفيت بلمسها ثوب المخلص (ص ٩ متى) وان كثيرين شفوا من أمراضهم بمجرد ظل مارى بطرس وبمسهم منديل مارى بولس (اعمال ٥) .

وان بعض الآباء قد مدحوا هذا العمل ثم انه ينكر على هذه الذخائر مزية ما أو قوة سرية مكنونة فيها ، غير أن الله يصنع بعض الأحيان نعما عظيمة بواسطتها .

فنجيب بأننا لا نشك بكون البارى قد صنع ويصنع عجائب كثيرة يستخدم فيها بعض المواد الأرضية كالصخرة التى شرب منها بنو اسرائيل فى البرية وعصا موسى التى عمل بها معجزات شتى وعصا هارون المفرخة والنهر الذى اغتسل فيه نعمان السريانى وبركة سيلوها والتراب الذى صنع منه السيد المسيح الطين لشفاء عينى الأعمى وجرة الدقيق وقلة الزيت اللتان كاننا عند الأرملة فى صارفية صيدا ولم تفرغا الى حين ما أمطرت السماء بكلمة ايلياء النبى ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .

فاذا كان البارى تعالى قد استخدم شيئا من هذه الأشياء فى وقت لاظهار قدرته الفائقة ، فهل تكون تلك الأشياء قد اكتسبت لذاتها قوة أو خواص تستحق بواسطتها العبادة ؟ كلا فان المؤلف ذاته يعرف بأنه لا قوة بها ولا خواص ، فاذا كانت هى عديمة القوى والخواص السرية فى ذاتها فتكون هى وبقية الأشياء التى من طبيعتها على حد سوى ولا فرق بين عظام الفونسيوس ليكورى وعظام غيره من البشر ولا بين عصا موسى وغيرها من نوع خشبها لأن التركيب الطبيعى أو الكيمياوى هو متساو فى أفراد النوع ، ولو وجدت عصا موسى ذاتها فى يد المؤلف أو فى يد معلمه البابا الذى يدعى امتداد سلطانه فى السماء والأرض ، فهل يقدر أن يصنع بها ما صنعه الله بيد موسى النبى ؟ والنهر الذى شفى نعمان السريانى بالاغتسال فى مائه ، هل بقى محفوظا فيه خواص الشفا لمن يغتسل فيه الآن ؟ وعظام اليشع التى قام الميت بملامستها ، هل لامسها ميت آخر ورجعت اليه الحياة ؟

واليهود المشحونة أدمغتهم بالعقائد الخرافية وتصديق الأباطيل ، هل اتخذوا عظام هذا النبى ذخيرة مقدسة واعتبروها واسطة لاحياء موتاهم ، وقدموا لها أنواع العبادة ؟ كلا بل انهم مع سرعة تصديقهم للأمور الخرافية لم يخبرنا الكتاب بأنهم أخرجوا هذه العظام من مدفنها . هذا وان الكتاب المقدس لم يعلمنا بأن نعمل شيئا مثل ذلك ولا يلزمنا أن نعبد شيئا من المواد التى استخدمها البارى تعالى فى أعمال عجائبه والا لكان يلزمنا أن نعبد الخشب لأن عصى موسى كانت خشبا ونعبد الأنهر لانها من طبيعة النهر الذى اغتسل فيه نعمان ، ونعبد الحجارة لأنها من طبيعة الصخرة التى شرب منها بنو اسرائيل ، ونعبد مجامع المياه احتراما لبركة سيلوحا ، وذلك قياسا على ما أوجبه الباباويون من عبادة عظام القديسين لكون الله أحيا ميتا بملامسة عظام اليشع النبى ، وهذا الموضع يحتمل الكلام الكثير ، وهو من الأمنالية المأخوذ كفيرها عن الوثنيين وعن السحرة ، الذين يشعبذون على ضعيفى العقول بأخذهم أشياء من أثر الانسان أو بتعقيد شعر أو خيوط على قطعة من العظم أو الخشب او كتابة احرف وأرقام عددية على عظم كتف خروف أو تيس أو جلد يحفظونها

فى أحد المقابر أو فى سقف البيوت لأجل نوالهم بعض مقاصد يبتغونها ، فالمسيحيون القدماء لم يلتفتوا الى خرافات وسخريات مضحكة كهذه يخجل انسحاب العقول من ذكرها فضلا عن الاعتماد عليها ، أفلا يخجل ذلك الأسقف الباباوى الأعمط من نفسه عندما يلبس تلك الاثواب المشغولة بالنقوش والقصب مما هو خاص بزينة النساء ، ويتقلنس بذلك التاج الهارونى المرصع بالجواهر الثمينة ، ويحمل بيده الواحدة شبه عصا هارون المفرّعة مصوغة من المعادن ، وهو معتد بنفسه بأن دماغه قد امتلأ وطفح من العلوم العقلية واللاهوتية ، ومع عظمته هذه يحمل بيده الأخرى اناء ضمنه شظية نخرة من عظام أحد الموتى يدور فيها بزياح احتفالى بين المصابيح الموقدة نهارا مع دق الأجراس ، وأخيرا يسجد لهذا الأعظم البالية ويقبلها ويلتمس منها المعونة والنجاة من الأمراض والهلاك ، ويتوقع بواسطتها نوال الخلاص الأبدى .

فانظروا الى هذا الأمر العجيب .

ثم نختم الكلام بما يقع من الغش والخداع فى بيع هذه الذخائر ونكتفى عن جميع الحوادث بخبر واحد مما ورد عن تصرف الباباوات بأنه يوجد اعتقاد شائع عند باباوى أوربا بأن أسنان مارى انطونيوس البادوانى لها خواص الشفاء من وجع الرأس لمن يحملها فالمصابون بالصداع يقتنون ذخيرة من هذه الاسنان ، مثبتة صحتها بحجة من الطرف الأقدس الباباوى ، مصحوبة معها ، ففى مملكة الانكليز التى كانت بالسابق أشد تعصبا مما عداها بالمذهب الباباوى ، عندما زال عنها ظلام المذهب الرومانى وأشرقه عليها نور الانجيل أخذ الشعب يبحث فى التعاليم الباباوية ويرفعها من بين التعاليم الانجيلة كمن يقلع الزوان من بين القمح وكان مما دخل تحت الفحص بأنهم جمعوا ذخائر أسنان مارى انطونيوس المثبتة بسندات مكتوبة من طرف البابا ، وذلك فى مملكة الانكليز وحدها فاجتمع منها ثلاثة براميل مملوة ، ومن غباوة الانجيليين وجهلهم قد افتكروا بأن البابا كان يجمع أسنان الموتى ويبيعها على أنها من أسنان القديس المذكور ، واما ذوو العلم والتقوى من الباباويين لم يجهلوا يكون ذلك أعجوبة باباوية .

فان السيد المسيح قد بارك الخبزات وكثرها وأما نائبه فقد كان يبركه الأسنان التى تطحنها .

ونكتفى بذكر هذه القضية عن كثير من أمثالها فنسأله تعالى أن يتحنن على عبيده ويزيح عن بصيرتهم برقع الظلمة البابوية ، ليروا نور الانجيل ويرفضوا الأضاليل المهلكة »

انتهى ما كتبه المعلم ميخائيل مشافة النصرانى بحروفه .

وقال المعلم ميخائيل أيضا فى كتابه المسمى بالدليل الى طاعة الانجيل المطبوع فى بيروت سنة ١٨٦٠ فى الباب الخامس منه فى عباد الأيقونات ما لفظه « ان كنيسة رومية المتأخرة ومن يجرى مجراها تستعمل دائما فى هياكلها التماثيل والصور ، لكى تقدم لها أنواع العبادة كالتبخير وكشف الرأس واحنائه لها وتقبيلها وايقاد الشموع والقناديل ، وقرع الصدور والسجود أمامها وتغطيتها بأستار مزركشة والتضرع اليها وطلب المعونة منها التى لا ينبغى للمسيحى أن يطلبها الا من الله وحده ولا يكتفون فى غلطهم هذا ، حتى أنهم يسفهون فى صلواتهم بالشتائم وطلب الانتقام لكل من لا يعمل هذا العمل المضاد لوصايا الله على الخط المستقيم ، ولا سيما فى الصلاة المسماة بالباركلميسى الموجودة فى طقس الشرقيين الروم المفروضة اقامتها عندهم كل يوم بعد صلاة الغروب فى مدة الأربعة عشر يوما التى يصومونها للقديسة المباركة مريم العذراء مبتدئين بها من أول شهر « آب » وهى تتضمن طلبات وتوسلات الى طوبايتها مما يليق بالسيد المسيح وحده ، ليس هنا محل بيانها ثم فى أواسط هذه الصلاة يصرخ المرتل بأعلى صوته قائلا : فلتخرس شفاه الذين لا يسجدون لأيقونتك المقدسة يا والدة الاله التى صورت من لوقا الانجيلى الكلى الطهر التى بها اهتدينا الى الأمانة المستقيمة . وهذه الألفاظ لا توجد مكتوبة رسميا ضمن كتب الطقس ، بل ان استعمالها عند الروم الكاثوليكيين وغير انكاثوليكيين — على زعمهم — من التقليدات الغير المكتتبة ، وحينئذ كل من فى الكنيسة يخر ساجدا ويقبل الارض أمام تلك الصورة المنصوبة أمام تلك الصورة المنصوبة أمام الهيكل على مائدة مرتفعة وهى مغطاة الرأس ، والشموع متقدة أمامها ولم يكتفوا بفظاعة غلطهم هذا فيما يصنعونه من

العبادات ، لا من خشبة مطلية بالزرنيخ والسندروس وبقية الألوان ولا من اعترافهم بأن هدايتهم الى الأمانة المستقيمة كانت من صورة على خشبة ، لا من الله ولا من مسيحه ولا من رسله .

بل يزيدون على ذلك افتراءهم على هذا الانجيلى المغبوط بأنه هو أصل هذا التعليم الباطل ، اذ يتهمونه أنه هو الذى اخترع الصور فى كنيسة المسيح ، مع أنه قد كتب اعمال الرسل والانجيل ولم يذكر فيهما شيئا من ذلك ، وفيهم يذكر الرسول صناعته ، ويقول انه كان طبيبا لا مصورا ، واذا اعترض على الكنيسة الرومانية بأن هذه العبادة أصنامية ، نجيب اننا لا نعبد هذه الصورة عبادة مطلقة بل نكرمها بعبادة تقوية اكرامها عائدا الى عنصرها ولكونها صورة احياء المسيح فاكرامها يرجع الى المسيح نفسه ، وأما السجود بالعبادة المطلقة فلا نقدمه الا نحو خشبة الصليب التى ارتفع عليها المخلص ، ونحو تصاويره المقدسة وتصاوير الآب الأزلى والروح القدس لأن عنصرها هو الله تعالى ، ونحن نسجد له سجودا للاتريا فهكذا يلزمنا أن نسجد نحو تماثيله وصوره .

نعم انهم يقولون ما ذكرناه عن السجود نحو صور القديسين ، ولكن التصرف العام فى الكنائس بخلاف ذلك لأن العامة يقدمون أنواع العبادة المطلقة نحو جميع صور القديسين بدون استثناء لا بل يوقرون صورة مريم العذراء أكثر من صورة المخلص ، وينذرون النذور لنفس صورتها ويأخذون ستر رأسها ويضعونه على رءوس المرضى طلبا للشفاء ، ولا يفعلون ذلك مع صورة المخلص ، وجميع هذه الأعمال بمشاهدة القسوس والمطارنة مرشديهم ولا يوجد منهم من ينهيهم عنها .

غير أن السيد مكسيموس بطريرك الروم الكاثوليكيين قد سمع منه فى بعض مخاطباته الشفاهية بعض النهى ، المتضمن أنه يجب أن يقدم السجود الاكرامى لصور القديسين ، وأما السجود العبادى المطلق فهذا يجب تقديمه لعود الصليب المقدس ، ولصور المخلص والآب الأزلى والروح القدس فقط ، وبما أن صور القديسين والملائكة تنفى عبادتها الذين صورت على أشباههم ، نترك الكلام عليها الى الباب الموضوع لذلك .

وأما الآن نتكلم على عبادة عود الصليب وصور الثالوث الاقدس الذى هو بذاته مستحق للعبادة المطلقة ، ونظر هل يجب علينا أن نعبد هذه التماثيل كما هو واجب علينا أن نعبد الله ؟ أن البارى تعالى قد نهانا نهيا عاما مطلقا عن اتخاذ الصور والتماثيل وعن عبادتها وعن السجود لها ولم يستثن لنا منها شيئا تجب عبادته بل أطلق التحريم عليها كما أوضح لنا ذلك بلسان موسى النبي ﷺ فى الوصية الثانية من الوصايا العشر بقوله : « لا تتخذ لك صورة ولا تمثيلا كل ما في السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خر ٢٠) فيا ترى هل الذين تتخذ صورهم سواء كان الثالوث الأقدس ، أم القديسين ، أم الملائكة لا يصدق عليهم أنهم مما في السماء او الارض او الماء تحت الارض ؟ وهل هم بمعزل عن الوجود في أحد هذه الامكنة الثلاثة لكى يكونوا بمعزل عن دخولهم تحت حد هذه الوصية فيجوز لنا اتخاذ صورهم وتماثيلهم ونقدم لها السجود والعبادة الممنوعين من الله نفسه أن يقدما لصورة وتمثال كل ما يوجد فى هذه الأمكنة الثلاثة ؟

والجواب : انهم ضمن هذا الحد ، فاذن لا نقدر على تقديم أنواع العبادات لصورهم وتماثيلهم بدون مخالفة أمره تعالى مخالفة صورية ، هذا ما عدا أن البارى تعالى قد عرف بسابق علمه سرعة فساد قلوب البشر وأنه لو ظهر عيانا لبنى اسرائيل ربما كانوا يضلون ويتخذون له صورة وتمثالا ويعبدونهما ، ولذلك لم يظهر لهم ذاته البتة وقد حذرنا من ذلك بقوله : « احتفظوا بأنفسكم بحرص فانكم لم تروا شبها يوم كلمكم الرب فى حوريب من جوف النار ، لئلا تطغوا وتصنعوا لكم شبها منحوتا أو صورة ذكر أو انثي » (تث ٤ : ٢٣) .

ثم يكرر التحذير فى الاصحاح ذاته بقوله : « فاحتفظ ولا تضل أبدا ميثاق الرب الهك الذي واثقك وتصنع لك شبها منحوتا من الأشياء التي الرب الهك منع عملها » (٤٠ : ١٨) .

وهكذا أشعياء النبى يقول : « فالآن شبهتم الله أو أى صورة تجعلون له ؟ ألعل الصانع صاغ منحوته أم الصانع صورة من

ذهب » (٤٠ : ١٨) وهو يكرر ذلك أيضا بقوله تعالى : « بمن شبهتموني وسويتموني ومثلتموني وشكلتموني » (٤٦ : ٥) ثم ان بولس الرسول يشير الى ذلك فى رسالته الى رومية بقوله : « واستبدلوا بمجد الله الذي لا يناله فساد ، شبه صورة الانسان الفاسدة » الخ (١ : ٢٣) هذا ، وموسى النبى قد ختم الكلام فى سفر الاستثناء بقوله : « ملعون من يصنع منحوتا ومسبوكا ، فهو مرجوس عند الرب عمل أيدى الصناع »(٧) والكتب المقدسة مشحونة من التحريمات واللعنات والتحذيرات والتوعدات لكل من يعمل شيئا من هذه الأشياء .

فقد اتضح جليا من نصوص الكتب الالهية نفسها التى لم يكن فيها أدنى التباس أن الله تعالى لم يحرم علينا فقط اتخاذ صور القديسين والملائكة المخلوقين منه تعالى مثلنا ، بل أمرنا عاما مطلقا أن لا نتخذ شبها ولا صورة ولا شكلا لذاته تعالى ، فمن بعد هذه النواهى الشديدة والتحريمات القاطعة ، من أين جاز للكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها أن تستعمل وتأمر بعمل ما حرم الله تعالى عمله تحريما واضحا قاطعا لكل حجة ، الا أن تكون بعملها هذا قد نبذت وصاياه تعالى وراء ظهرها وسلكت طريق أسلافها قدماء الرومانيين ، واستردت المشترى هيكل القديس بطرس حيث ملأته من التماثيل المتنوعة الأشكال حسب عادته القديمة ؟ هذا وهى تستند على ما لا يستند اليه ولا يفيد ما تزعمه ، وهو أن البارى تعالى قد أمر موسى النبى أن يصنع كاروبين فوق الغفران ، كما ورد فى سفر الخروج (٢٥) .

ولكن يا ترى هل كان البارى تعالى فى أمره هذا مبيحا لعمل قد حرمه بعد ذلك على ألسن أنبيائه كما تقدم بيانه آنفا أم بالحري يجب علينا أن نفهم ان ذلك العمل من أصله حرام مطلق ، لاستلزامه تقديم العبادات لغير الله لا سيما أن الأنبياء قد كتبوا بتحريمه من بعد عمل الكاروبين ؟ فلو كان الأنبياء حصلوا على درجة علوم الرومانيين بادراك اللاهوتيات ، لكانوا يأمروننا أن نقدم السجود وأنواع العبادات الى

الكواريب وبقية التماثيل ، وكفوا عن تحذيرنا من ذلك ولكن استيلاء الجهل على أهالى تلك الاعصار قد منعهم عن الوصول الى معرفة المتأخرون من علماء رومية اللاهوتيين .

ولسوء حظنا لم يعرف الرسل اكثر من أن يوضحوا لنا تحريم هذه الأعمال تحريما قاطعا مطلقا ولذلك صرنا مجبورين أن نقف عند أقوالهم لأننا عند افتراض صحة زعم كنيسة رومية بجواز اتخاذ التماثيل اعتمادا على قضية الكاروبين ، لم نزل مجبورين على العمل بمقتضى الوصية الأخيرة ، لأن العمدة عليها لنقضها ما تقدمها نقضا صريحا ليس فيه ادنى التباس البتة ، وقط لم يأمر الله تعالى موسى أن يقدم شيئا من أنواع العبادة لهذين الكاروبين ولا قدم لهما موسى ولا بنو اسرائيل شيئا من ذلك ، واذا كان يجب علينا تقديم العبادة لهما لأنهما عملا لأجل آلة القدس ، فحينئذ يلزمنا تقديم العبادة ليس الى الكواريب فقط ، بل الى الثيران والأسود والنخل لأن هذه الاشياء أيضا قد صنعت فى بيت المقدس ولكن هل صنعت للعبادة ؟ كلا بل للزينة والنقش كما هو واضح من الكتب المقدسة .

أولا : من سفر الملوك الثالث حيث يقول : « ونقش الكاربيم والنخل بنوع زينة ظاهرة وألبس النقش كله ذهبا » (٦) ثم يقول : « وصنع البحر على اثنى عشر ثورا » (٧) الى أن يقول : « ونقش على تلك الألواح التى من نحاس وعلى زواياها كاروبيما وأسودا ونخلا » (٢٦).

ثانيا : من حزقيال اذ يقول : « ومنقوش فى مصارع الهيكل نقش كاروبيم ونقش نخيل ، مثلما كانت منقوشة فى الحيطان » (حز ٢٥) .

مع ان الآباء القدماء كانوا يفهمون أن ذلك قد عمل للزينة لا للعبادة ، كما هو واضح فى مؤلفاتهم ، وان كان ما فهموه لا يكون برهانا على نقض صريح النصوص الالهية الا أن ذلك يفيد العوام الذين تموه عليهم صنعة الاكليروس بقولهم لهم ان هذه الأشياء قد اعتقدت بها الآباء القدماء وجميع المسيحيين فى كل زمان ومكان ، مع أن ما يزعمونه كذب محض

والذى يشجعهم على تطبيق هذه الأكاذيب أمران :

الأول : غفلة الشعب واعتقادهم وهما بهؤلاء الأشخاص انهم خلفاء الرسل ، وأنه يجب تصديقهم وتحرم مخالفتهم .

والثانى : منع الشعب عن مطالعة الكتب المقدسة وعن الوقوف على كتب أضـــدادهم الذين ينبهون الراقدين من غفلتهم ، لكى يبصروا الحق ، وبهذه الوسيلة قد وضعوا اللجم فى افواه الرعية ، وركبوا على ظهورهم وساقوهم الى حيثما أرادوا وقبضوا بأيديهم سوطا جهنميا حتى كل من يرفس أو يتأخر عن السلوك فى طريقهم كما يريدون بدون أدنى معارضة ، يجلدونه به من غير شفقة تأديبا له وعبرة لغيره .

فمن الشهادات الموروثة من الكتب المقدسة ومن شـــهادات كثيرة غيرها لم نذكرها طلبا للاختصار يتضح جليا أن عمل هذه الأشياء انما كان لأجل التنميق والنقش فقط لا لأجل تقديم العبادة لها ، لانه لو كان عملها للعبادة لكان يتحقق وجود التناقض الممتنع وجوده فى أوامـــر البارى تعـــالى .

قيل فى سفر العدد : « قال الرب لموسى اصنع حية من نحاس واجعلها آية لمن تلدغه حية ، فينظر اليها فيحيى » (٢١) وهكذا صنع موسى ، وفى سفر الملوك الرابع يخبر عن الملك حزقيا المتقى الله أنه قطع حية النحاس التى عمل موسى لأن بنى اسرائيل كانوا يقدمون لها البخور (١٨) مع أن هذه الحية كانت تمثال المخلص كما فهمتها الآباء القدماء استنادا عـــلى قوله تعـــالى فى يوحنا : « وكمـــا رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن البشر » (٣) وكان الواضع لها موسى النبى الشارع الشريعة بأمر الله تعالى ومع كل ذلك لم يحتمل بتخيرها حزقيا الملك ، ورأى أن هذا الفعل عبادة اصنامية لأنه مقدم الى تمثال فكسرها حالا ولم يلمه أحد على ذلك ، بل مدح عليه فى العهدين القديم والجديد ، فاذن لم يكن لكنيسة رومية سند على الكتب المقدسة فى جواز اتخاذها الصور والتماثيل لأجل العبادة ، لا بل ان الكتب المقدسة تنهى وتحرم استعمال ذلك نهيا وتحريما عامين مطلقين وتلعن من يرتكبه .

وأما اعتمادها على التقليدات فهذا يظهر بطلانه بأدنى تبصر ، لأنه لو كان هذا التقليد صحيحا لكان يوجد له دليل أو اشارة أو مطابقة أو قياس من الكتب المقدسة ؛ أو بالأقل كان يوجد عاما فى جميع الكنائس فى كل زمان ومكان ، ولم يكن من يطعن عليه فى الأجيال الاولى القريبة العهد ، لتسليم هذا التعليم ولا كان احتاج الأمر الى عقد مجامع يعارض بعضها بعضا في هذا المعتقد .

وأما الكتب المقدسة فليس أنها لا تثبت اتخاذ الصور وعبادتها فقط ، بل تحرم وتلعن من يفعل ذلك كما تقدم بيانه آنفا . واذا وجدنا تقليدا ما مغايرا لنصوص الكتب المقدسة ، فهل يمكن أن يكون هذا التقليد صادقا ومأخوذا عن الذين كتبوها ؟ وهل يمكن أن الأنبياء والرسل المعصومين من الله تعالى ينهون عن الشيء ثم يفعلونه بأنفسهم ؟ واذا كانوا يفعلون ضد ما كتبوه ، فلربما كان الشعب يرجههم .

ومما تقدم يظهر أنه لا يوجد لها سند راهن على التقليدات .

وأما اذا كان كنيسة رومية تعتمد بفعلها هذا على ما تقرر فى المجمع السابع ، فنقول :

أولا : أن المجمع المذكور لم يحدد أنه يجب تقديم العبادة المطلقة لشيء من التصاوير ، حتى ولا لصورة المخلص كما هو واضح من أعماله ، حتى ان طائفة الروم الغير الكاثوليكيين مع شدة تمسكهم بتحديدات هذا المجمع وبأقوال الآباء القديسين لا يعتقدون بوجوب تقديم العبادة المطلقة نحو صورة المخلص كما تعتقد كنيسة رومية المتأخرة ، فاذن يكون استنادها على تحديد المجمع المذكور باطلا .

ثانيا : ان آباء المجمع المذكور بعيدون عن عصر الرسل وكان قد دخل على بعض الكنائس تعاليم غريبة من معلمي الزور وكثيرون من السذج تمسكوا بعوائد غريبة اما لجهلهم واما من غش المعلمين كما هو الحال في عصرنا هذا فلا عجب أن الذين ارتئوا تكريم الأيقونات لا عبادتها بسبب المجمع المذكور ، وقد اغتروا بأن ذلك هو تقليد حقيقى اعتمادا على وجود هذه العادة عند البعض المغشوشين بسذاجتهم ، أو بمعلمى

الفرنس ، وهذا المجمع لم يكن محتويا على جميع الكنائس بل على البعض منها ، ولذلك وجد كثيرون لم يرتضوا بهذا التعليم حتى أن مجمع فرانكفورت المحتوى على أكثر من ثلثمائة أسقف قد عارض هذا التعليم ، وهذا المجمع لا يقال عنه أنه صغير لأنه احتوى على أساقفة أكثر مما احتوى عليه بعض المجامع المسكونية ، وهو يضاهي المجمع النيقاوي الأول . وهكذا مجمع باريس الملتئم سنة ٨٢٥ لم يقرر عبادة الأيقونات بل رفضها غير أنه لم يأذن بتكسيرها ، ولهذا مما يؤكد عدم اتفاق الكنيسة على هذا الرأي ، وعدم وجود الاعتماد عليه ، ولا سيما أن اكثر الشوقيين فى ذلك الوقت ، لم يقبلوا هذا التعليم .

ثالثا : لو اتفق لبس بعض الاساقفة بل العالم بأسره على قضية فى مجمع عام وكان اتفاقهم هذا مخالفا لنص الكتاب المقدس ، لا يكون عليه اعتماد بل يجب رذله بالكلية والاعتماد على كلام الله ، واننا لا نلتفت الى الكثيرين لنزيغ عن الحق لأن الله تعالى صادق وكل الناس كاذبون ، وهذه القضية قد تكلمت الكتب الالهية ضدها بنص صريح .

ولننظر الآن فيما يلزم أن يلتحق بما يصنعه عباد الأيقونات من تقديمهم لها العبادة المطلقة بسجودا للاتريا .

فأولا نقول : لكنيسة رومية أن خشبة الصليب المقدس يجب أن تقدم لها العبادة المطلقة ، لأنها قد مست جسد المسيح وهو ارتفع عليها . وهذا يلتحق به أنه يلزمنا أيضا أن نقدم العبادة المطلقة الى ذلك الحمار الذى ركبه المخلص ، فكان موضع راحته ودخوله ممجدا الى اورشليم بأنه ملكها الحقيقي ، وبالتبعية يلزمنا تقديم السجود نحو جميع الحمير لأنها تمثل لنا ذلك الجحش ابن الأتان بنوع حى من ذات جنسه ، هذا وأما موضوع الاكرام الحقيقى فهو ليس خشب الصليب ، بل تعليم الصليب أى موت المسيح على الصليب ، لكى ينجى العالم من الموت الأبدى ، فهذا التعليم هو أساس ديننا ومستحق الاكرام الفائق بل القبول القلبى من كل انسان ، لأن خلاص النفس يتعلق عليه . واذا قيل ان فضل الصليب انما صار بسبب كونه واسطة للفداء بموت المسيح

لأجل خلاصنا ، فالذى ينتج من ذلك أن الواسطة الأولى هى الاحق بهذا ، وهو يهوذا الدافع ، لأنه لولا تسليمه المخلص لم يكن لليهود مسكه ليصلبوه ، فهل نلتزم أن نعبد يهوذا المذكور لأنه صار السبب فى موته المخلص ؟

واذا قيل ان السبب هو سيلان دمه الكريم على تلك الخشبة ، فالحال أن دمه الأقدس قد سال أيضا على الشوك المضفور اكليلا على رأسه ، فما بالنا نشعله بالنار ؟ وعلى حسب رأيكم كان يجب أن نعبده أيضا .

فقد اتضح أن هذه العبادة لم تكن مبنية على قاعدة وثيقة لا من الكتب المقدسة ولا من التقليدات ولا من القياس على نظائرها ، ويظهر أنها من وساوس المتنصرين من الوثنيين ، قد أدخلوها فى الكنيسة غشا .

ثانيا نقول : انه يجب تقديم العبادة لصور الثالوث الأقدس لكونه الاله الواحد ، فنجيب .

أولا لو فرضنا جواز ذلك لم يمكنا ان نتحقق هذه الصورة المصنوعة هل هى مطابقة لصورته تعالى أم لا ؟ فربما تكون مطابقة لصورة أحد اللصوص أو الكفار فيقع سجودنا لمن هى على شكله لأن السبب فى عبادة الصور هو لكونها تمثل الذين تصورت على أشباههم ، والا لكان يجوز لنا أن نسجد لصورة قرد مثلا ، ونعنى به عبادة توما اللاهوتى .

ثانيا : اذا كان يجب السجود لصورة الله ، فسبحانه وتعالى قد قال انه خلق الانسان على صورته ومثاله ، فلماذا لا تعلم الكنيسة الرومانية بوجوب السجود العبادى المطلق لكل انسان ؟ وهكذا البابا الرومانى لماذا لا يسجد لكل الانسان يقابله بل عوضا عن ذلك يحتقر صورة الله ويمد رجله لذلك الانسان لكى يقبل حذاءه .

ثالثا : اذا قلتم انه لا يضر اجتلاف الصورة عن شكل عنصرها لأن المرجع الى ضمير الساجد أنه يسجد لله الحقيقى لا لها ، فيجب أنه اذا كان الأمر هكذا فقد صار وجود الصورة عبثا ، ويكفى أن الساجدين يسجدون

لله بالروح والحق حسب أمره تعالى ويحفظون أنفسهم من الأصنام حسب تحذير يوحنا الرسول لأن عابدى الأصنام لا يعملون غير ذلك ويعرفون جيدا أن الاصنام هى صنعة أيديهم ولكنهم يعبدون الآلهة بها على أنها صورها وكما نهم يجهلون معرفة صورها الحقيقة ، هكذا كنيسة رومية ومصوروها يجهلون ذلك ، ويوحنا الانجيلى يقول : « الله لم يره أحد قط »

وان قلتم ان بعض الأنبياء قد رأوه فظلك لا يقبل .

أولا : لأن الذى كان يظهر للأنبياء هو أحد الملائكة وكانوا يسمونه الله وبرهانه واضح من الكتب المقدسة كما ورد فى سفر القضاة حيث يقول : « ولم يعد ملاك الرب يتراءى لنوح وامرأته ، حينئذ لوقته فرق منوح أنه ملاك الرب ، فقال منوح لامرأته بموت نموت لأننا عاينا الله »(١٣) فاتضح جليا أن الملاك الذى كان يظهر للأنبياء كان يسمى الله فى بعض الأوقـــات .

ثانيا : لو سلمنا أن الذى رآه ذاك النبى هو صورة الله تعالى ، فمن أين نتحقق أن التماثيل التى يصورها المصورون الآن هى طبق الصورة التى ظهرت للنبى لأن المصور لم يشاهدها عيانا ، حتى يقدر أن يعمل شبهها ، واذا كان لم ير البارى تعالى لا يمكن أن يقدر على عمل صورته كما هو ، ومتى لم تكن صورته كما هو فالسجود لها هو عين عبادة الأصنام المنهى عنهـــا .

وليكن ما أوردناه فى هذا الباب كافيا لايضاح أن الله تعالى قد حرم اتخاذ الصور والتماثيل للسجود والعبادة ، سواء كانت عـــلى شـــبهة تعالى ام على شبه غيره ، وأن الأنبياء والرسل لم يستعملوا ذلك بل نهوا عنه نهيا عاما مطلقا ، وأنه فى كل وقت قد وجد فى الكنائس من يقـــاوم استعمالها حتى قبل المجمع السابع وبعده ، وأنه اذا كان يجب السجود لصورة ما ، فقد كان يجب السجود والعبادة لكل انسان لأنه مصنوع على صـــورة الله تعـــالى ومثاله ، ولذا كان يجب عبادة الصـــــليب يجب أيضـــا عبادة الحمار ويهوذا الدافع وشـــوك الغـــواب ، وان كل عبادة تتقدم لغير الله فهى عبادة أصنامية ولا فرق بينهما وأن الساجدين

لله ينبغى أن يسجدوا له بالروح والحق لأن المسيد له المجد قد نفى السجود لغيره تعالى نفيا عاما مطلقا بقوله : « للرب الهك تسجد وله وحده تعبد » (مت ٤) والذى يتجاسر ويقول : انه مع آباء المجمع المسكونى يصرخ قائلا : « فليكن محروما وملعونا من يزعم ان تكريم الأيقونات عبادة وثنية » أجيبه انفى اصرخ مع الله وموسى النبى وسائر الأنبياء « ملعون من يصنع منحوتا ومسبوكا فهو مرجوس عند الرب عمل أيدى الصناع (تث ٢٧) وأهتف مع بولس الرسول قائلا : « ان أتاكم ملاك من السماء وبشركم بخلاف ما بشرناكم فليكن محروما » (غل ١) انتهى بلفظه .

الى أن قال فى عبادة الملائكة والقديسين وطلب معوناتهم وشفاعاتهم أن الكنيسة الرومانية ومن يجرى مجراها قد تجاوزت الحد فى اكرام الملائكة والقديسين حتى اتصل غلطها ليس فقط الى تقديم العبادات الاكرامية ، بل انها تصلى وتتضرع اليهم وتطلب منهم الشفاء من الأمراض الجسدية والروحية والحماية والصيانة من الناس ، ومن الشيطان ، والشفاعة والمعونة حتى وخلاص النفس ايضا من عذابات جهنم وتطلق البخور وتشعل الشموع وتسجد أمام صورهم ، ونحو ذلك من الأعمال السمجة التى لو عرفها الذى تقدم لهم لم يرتضوا بها أصلا لكونها تحط شرفهم لأنها أحباء الله ومسيحه القدوس ، فلا يريدون أن يقدم لهم او يطلب منهم ما يجب أن يكون تقديمه وطلبه لله تعالى ومسيحه فقط .

نعم انه يجب علينا تقديم الاكرام اللائق لملائكة الله وقديسه بألفاظ التوقير والاحترام ، واذا كانوا على الأرض معنا فنقدم لهم لسجود التكريمى كما يسجد الابن لأبيه والرعية لحاكمها والوطنى للغريب (١) حسب الاستعمال منذ الأجيال القديمة ، لان هذا معلوم عند الجميع أنه لا يتضمن شيئا من العبادة ولا يقع منه شبهة عبادة فى ضمائر الشعب ، وأما الذى لا يجوز استعماله نحو الملائكة والقديسين هو ما يسمونه عبادة تقوية ، ويضعون تحتها التماس المعونة والشفاعة وخلاص النفس والذبح وما أشبه ذلك من الأشياء المطلق تحريمها بنصوص الكتب المقدسة لأنه

---

(١) هكذا فى الأصل . وفى ظنى : والغريب للوطنى .

لا يجوز تقديم السجود والعبادة لغير الله تعالى وكل ما يقدم منها لغيره تعالى سواء كان لملاك أم لقديس أم للشمس أم للقمر أم لشيء من المخلوقات ، هو عبادة أصنامية لأن عبادة الاصنام تشمل كل معبود غير الله تعالى ولا فرق بين هذه المعبودات ان كانت ملائكة أو خشبا أو حجارة ، فانها على حد سواء لأنها مخلوقة من الله فلا تصلح لأن يقدم لها شيء مما يخص الباري تعالى وحده .

قال تعالى في سفر الاستثناء « ليذهبوا أو يعبدوا آلهة أخرى ويسجدوا للشمس والقمر ولكل أجناد السماء مما لم آمر به أنا » (١٧).

ولعل المتشددين يعترضون أن التحريم كان لتركهم عبادة الله .

والجواب : انهم كانوا يعبدون الله ويحلفون به وهكذا يعبدون جنود السماء يحلفون بها كما هو تعليم كهنة كنائس هذا العصر أن تعبد الله تعالى ونعبد أيضا مار الفونسيوس مثلا ونحلف به أو بالكنيسة المشيدة على اسمه كما نحلف بالله تعالى ، ومن كلام الله تعالى بلسان صفنيا النبي يتضح جليا أنهم كانوا يعبدون الله ويحلفون باسمه غير أنهم يزيدون على ذلك عبادة اشياء أخرى كالملائكة (صف ١) وربما كانت كهنتهم ترشدهم بتعليمها لهم أن هذه الزيادة لا تضر بل هي مرضية عنده تعالى ومقبولة لديه لكونها فضيلة تقوية كما تعلم الآن كهنة الرومانيين وأمثالها ولكن الله تعالى لم يرض من بني اسرائيل لهذه الزيادة في العبادة وأظهر ارادته ضد ما كانوا يعلمون أولئك الكهنة الذين أهلكهم الله بغشهم واهلك الشعب المستمع لهم ولم يقبل اعتذارهم بأن كهنتهم قد أضلوهم لأنه أعطاهم كتاب شريعة ليسلكوا بموجبها ولا يحيدوا عنها يمنة ولا يسرة . ولهذا حق عليهم الهلاك وأما ما يحتج به عابدو البشر والتماثيل والصور من سجود السجان لبولس وسيلا ، فهو حجة من يستند عليها (كأنه يستند) على الهواء ، وأولاد المكاتب تقدر على دحض حجتهم هذه الواهية .

فأولا : أن ما فعله السجان لا يطلق عليه سجود لكونه وقع عند اقدامهما من الخوف الذي اعتراه بسبب الزلزلة العظيمة التي حدثت ظانا ن المحبوسين قد هربوا ولذلك استل سيفه وأراد أن يقتل نفسه

كما هو واضح فى سفر الأعمال ، وانه دخل وهو يرتعد ووقع على أقدام بولس وسيلا (١٩) .

ثانيا : اذا فرضنا أن وقوعه على أقدامهما يحسب سجودا ، فماذا ينتج من ذلك ؟ لأنه رجل وثنى لا يحرم عنده سجود مثل هذا قد اعتاد أن يسجده قدام الحجارة والأخشاب فضلا عن البشر .

وأما تقديم التضرعات والتوسلات الى القديسين لكى يخلصونا أو يشفعونا من الأمراض أو يشفعوا فينا ، فهذا يضاده الايمان والعقل من وجهين :

الأول : أن هؤلاء القديسين أموات لا يشعرون بما نطلبه منهم .

والثانى : انهم لا يقدرون على خلاصنا ولا يجوز لنا أن نطلب ذلك منهم .

أما كونهم لا يشعرون بطلباتنا فذلك لسببين :

اولهما : عدم امتلاكهم قوة الوجود فى كل مكان لأنها مختصة بالذات الالهية وحدها .

والثاني : كونهم موتى لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعلمون ما يحدث فى الأرض لانهم بشر مثلنا .

وبرهانه واضح من الكتب المقدسة .

قال فى سفر الجامعة « والموتى ليس يعرفون شيئا من بعد » (٩).

وأما كون هذا الطلب لا يجوز لنا أن نطلبه منهم وكونهم لا يقدرون ان يخلصوا احدا ، فلقول بولس الرسول فى رسالته الأولى الى تيموثاوس ان الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد انسان يسوع المسيح » (٢) وقال الله بلسان حزقيال النبى « نوح ودانيال وأيوب موجودون فى وسطها حى أنا يقول الرب الاله انهم لا ينجون لا ابنا ولا بنتا بل هم ينجون أنفسهم ببرهم » (٢٠٤) وقال فى سفر ارمياء « هكذا يقول الرب : ملعون الرجل الذى يتوكل على الانسان » (١٧) فاذا كان الله تعالى قد لعن الرجل الذى يتوكل على الانسان ، فكيف نتجاسر أن نضع أنفسنا تحت هذه

اللعنة بتوكلنا على القسيسين او الباباوات أو غيرهم لأن جميعهم من النوع الانسانى وليس هم آلهة ؟

ثم ان هؤلاء الكهنة يموهون على الشعب بقضية تقديم الصلاة أى الدعاء الى الملائكة والقديسين والاستشفاع بهم والتماس معونتهم بمثل فاسد يضربونه لهم . وهو أنه كما لا يمكننا الوصول الى السلطان أو الوالى الا بالواسطة لكى نقدر على قضاء حوائجنا هكذا تلزمنا هذه الواسطة عند الله تعالى لأنه أعظم من كل سلطان وبواسطتهم يقضى حوائجنا لأنه « كما فى السماء كذلك على الأرض » فالبسطاء من الشعب يسارعون الى تصديق قياسات ملفقة فاسدة مثل هذه مما يلقيه هؤلاء الكهنة المشعبذون فى آذانهم من غير تبصر ولا رؤية ويقبلون منهم تفاسير معوجة مثل هذه لاعتمادهم على صدق الكهنة وتوهمهم أنهم ملتزمون أن يفهموا المعنى كما يفسرم لهم هؤلاء الكهنة لا سيما أنهم قد ولدوا ونشأوا على هذا المعتقد الذى تسلموه من آبائهم ولا يتفكرون ولا يتجاسرون أن يجاوبوهم على فساد قياسهم هذا بأن الحاكم لكونه انسانا وربما كان ظالما عديم الشفقة لا يرحمنا وليس له محبة نحونا ، فلذلك نضطر الى اتخاذ الواسطة بيننا وبينه من حاشيته الذين نستميلهم بالرشوة أو بغيرها فنجعلهم يحبوننا أكثر لنا وبواسطتهم نستميل قلبه الى محبتنا ، وما البارى سبحانه فلا نقدر أن نجعله قاسيا علينا الا أن نقع فى التجديف لأنه كلى الصلاح والرأفة نحونا أكثر مما يترأف الأب على بنيه ولا يمكن كون القديسين محبين لنا أكثر منه تعالى ، لكى تكون رأفتهم علينا اكثر من رأفته وهذا الاله العيظم قد جعل وسيطنا عنده ابنه الوحيد الذى أظهر محبته لنا ببذل نفسه فداء عنا ، فكيف يسوغ لنا أن نسلب حق وظيفة المسيح ونجعل لنا وسيطا غيره ، وهو يقول « لا يقدر أحد أن يأتى الى الآب الا بى »

هذا وانه لا يمكننا التحقيق على أن هؤلاء القديسين جميعهم حاصلون على السعادة ، بل ذلك بموجب الظن والترجيح لأننا لا نعلم أفكارهم عند موتهم ولا فى حياتهم فحكمنا بقداستهم انما هو بمقتضى ظواهرهم لأنه من

بعد انتقال الرسل الأطهار من هذا العالم لم يعد يوجد عندنا من يخبرنا عن الذين توفوا بعدهم الى أن ذهبوا بوجه التحقيق ، والكنيسة الرومانية لم تجعل فرقا بين الآباء القدماء الذين شهد المسيح ورسله بخلاصهم ، والذين شهدت هى لهم بالسعادة ، وربما تكون غلطت فى ذلك ، وغلطها هذا يلتحق ضرره بالمسيحيين لأنه ربما تكون قدست واحدا لتعبده الناس ويكون هو فى جهنم ، فتكون حينئذ عبادتهم لرجل هالك . وقد ورد فى سفر الجامعة قوله : « رأيت منافقين مقبورين الذين فى حياتهم كانوا ماكثين فى مكان مقدس ، وكانوا يمدحونهم فى المدينة كأنهم أبرار » .

هذا واننا نرى الاختلاف فى ذلك بين طوائف الكاثوليكيين أنفسهم فان الشرقيين منهم يعتقدون مثلا بقداسة الملك قسطنطين الكبير ويطلبون شفاعته ، والرومانيين لا يقبلونه قديسا ، يقولون انه كان آريوسيا ولهذا ربما كان هالكا وهكذا المارنيون يعتقدون قداسة بطريكهم الأول يوحنا مارون ، ويتخذونه شفيعا خصوصيا لطائفتهم ، ويطلبون شفاعته ومعونته مقدمين اليه صلواتهم وتضرعاتهم ، ويشيدون كنائس على اسمه ، وأما الرومانيون مع باقى طوائف الكاثوليكيين فيعتقدون أن يوحنا مارون المذكور هو رأس بدعة المونثيليين فى جبل لبنان ، ومحكوم عليه بالهرطقة ، ومن كان هذا حاله فهو حالك فى جهنم »

ثم قال : « والآن فلنترك هذا البحث لتحقيقاتهم الباطلة وننظر فيما يقولونه نحو القديسين والملائكة فى صلواتهم بهذه الأجيال المتأخرة ، هل تركوا لنا شيئا نقوله نحو البارى تعالى ومسيحه القدوس أم اختصوا الجميع الملائكة والقديسين ؟

فمن ذلك ما يقولونه للقديسة المباركة مريم العذراء فى صلاة نصف الليل وغيرها : « افتحى لنا باب التحنن يا والدة الاله المباركة فاننا باتكالنا عليك لا نخيب ، وبك نخلص من كل المحن لأنك أنت خلاص لجنس المسيحيين يا رجاء من لا رجاء لهم ، انقذينى يا عذراء من وهاد الجحيم وخلصينى اعتقينى من النار الأبدية »

ومن ذلك « هلم نسعى بحرص واجتهاد نحن الخطاة الحقيرين البائسين ونركع لها بالتوبة ساجدين ونصرخ اليها من عمق القلب » الى أن يقول : « أيتها البتول اشف أمراض نفوسنا وطيبى اوجاع اجسادنا لكيما نمجدك يا نقية الى سائر الأدهار »

وأما غيرها فيقال نحو القديس أرشبيش فى شباط : « ان الكنيسة مقنيتك ككوكب عظيم يا ارشبش ، ومستنيرة بشهاب عجائبك وصارخة اليك خلص المكرمين بايمان لتذكارك » وكذلك لغيره مما يطول شرحه ، ويقولون نحو الملاك جبرائيل فى تموز : « أيها الناظر فى السماء مجد لله والمانح النعمة من العلو للذين على الأرض يا غبريل زعيم الملائكة الحكيم خادم مجد الله والعاضد الالهى ، للعالم خلص وصن الهاتفين اليك كن لنا معينا لئلا يكون أحد علينا » ويقال نحو الملاك الحارس فى التسبيحة السابعة من قانون الملاك : « عندما تزمع أن تدينني وتحاكمنى أنا المخصوم المدان من ضميرى يا الهى وحاكمى ، فقبل تلك الدينونة افتدنى أنا عبدك الخاطىء ولا تنسنى » .

فهذا الكلام لا يوجد مبالغة أكثر منه وكنت أظن أنه متجه نحو البارى تعالى او نحو السيد المسيح ، وبعد مراجعة القانون المذكور من أوله الى آخره لم أجد فيه شيئا منسوبا الى البارى تعالى أو الى السيد المسيح ، وقد سألت عن ذلك بعض القسوس العارفين ، فأجابنى أن هذا مما يتعلق بالملاك لأنه يصح هذا القول عليه فأخذتنى الرعدة من هذا الافراط المهلك ، ولذلك دونتها فى رسالتى هذه تنبيها للغافلين من الشعب المسيحى لينظروا الى أين اتصل حد التفريط فصار من المعلوم أن الكتب المقدسة تعلمنا بخلاف ما يعلمنا الآن بابا والبطرك وقسوسها لأن الكتاب المقدس يقول « لا تعبد ولا تسجد لغير الله » وهم يعلموننا أن نعبد ونسجد للقسيسين والملائكة والصور والتماثيل والكتاب المقدس يخبرنا أنه ليس لنا شفيع عند الله غير المسيح ، وهم يعلموننا بوجود ألوف من الشفعاء والكتاب المقدس يعلمنا أنه لا يغفر الخطايا الا الله وحده ، وهم

يزعمون أن مغفرة الخطايا مفوضة لهم ، وناهيك بهذا التعليم الذى لا يوجد تجديف ضد الله أعظم منه .

ولا يسعنا أن نذكر كل تعاليمهم المضلة التى بها يضادون شريعة الله الحقيقية ويعلمون شريعة الوثنيين تحت اسم شريعة الله » انتهى كلام المعلم ميخائيل باقتصـــار .

وقال القس كرنيليوس فان ديك فى كتابه المسمى « كشف الأباطيل فى عبادة الصور والتماثيل » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٣ مسـيحية ما لفظه : « قال الله لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب الهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع احسانا الى الوف من محبى وحافظى وصاياى » (خر ٣ : ٤ : ٦) فنقول ان هذه الكلمات هى جزء من الشريعة الأدبية أى وصايا الله العشر التى نطـق بـها تعـالى من جـــوف النـــار فى مســامع شـــعب اسرائيل وهم قـديما وحـديثا قـــد حســبوها وصية مســتقلة قائمة بذاتها وعــدوها الثانية من العشر فى العدد ، وقد وافقهم على ذلك المسيحيون الأولون عموما . وهكذا أكثرهم فى أيامنا هذه خلافا لطائفة منهم التى تحسبها جزء من الوصية الأولى التى هى قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » وبناء على ذلك قـد حذفوها من بعض كتبهم الكنائسية كأنها فضلة لا حاجة الى ذكرها ولكن الأمر واضح لدى كل ذى بصيرة ، ان قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة اخرى أمامى » هو مختص بالمعبود أى أنه يدلنا على من تجب عبادته ، وقـــوله « لا تتخذ لك صورة » الى آخره مختص بطريق العبادة أى أنه يدلنا على كيفية عبادة ذلك المعبود الذى دلنا عليه الكـــلام الأول ولا يخفى ما بين الأمرين من التفاوت وذكر هذين الأمرين فى الوصايا الادبية لابد منه لسبب جهالة البشر بالعبادة التى بها يرتضى الله بدون اعلان منه تعالى لأننا لو كنا نعبد الله بدون هذه الوصية لربما كنا نعبده على طريقة غير مرضـــية له ، مما يهان به عوضا أن يكرم فيكون وجود تلك العبادة أشر من عدمها

فاذا لا وجه لزعم البعض انها بدل من الأولى أو تفسيرية لها ، وغاية الذين يحسبونها هكذا انما هى أن يدفعوا عن أنفسهم التهمة بمخالفة وصايا الله فى استعمالهم الصور والتماثيل فى العبادة ، ولكنهم بقولهم هذا يثبتون على أنفسهم نفس الخطية التى يريدون أن يتبرؤوا منها لأنه اذا كانت هذه الألفاظ كما يزعمون بدلا من قوله تعالى : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » أو تفسيرا له ، ينتج من ذلك ان استعمال الصور والتماثيل هو بالذات اتخاذ اله آخر غير الله ، لأن التفسير لا داعى له عند الوضوح ، ولكن اذا وقعت جملة مبهمة يؤتى بعدها بجملة أخرى تفسرها ، وعلى حسب زعم هؤلاء يكون قوله : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » مبهما مفتقرا الى تفسير ، فيسأل وبماذا يقوم اتخاذ اله آخر غير الله ؟ فيجاب : انه تعالى فسر مراده فى ذلك بقوله « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما » الى آخره فاذا الذين يتخذون صورة أو تمثالا قد اتخذوا آلهة أخرى غير الله حسب التفسير الذى يفسرونه هم أنفسهم ، وحسب قولنا أن هذه الوصية قائمة بذاتها يكونون قد تعدوها باستعمالهم الصور والتماثيل فى العبادة ، فالتعدى واقع على كلا الوجهين .

ثم اذا اعتبرنا سمو شأن العقل البشرى وامتداد قواه ومعرفته الطبيعة بالله فضلا عن معرفته الأدبية الناتجة عن النظر الى أعماله تعالى نظن أن سقوطه فى عباده صنعة الأيادى أمر مستحيل ، وأنه ليس بممكن له ان ينحنى امام صورة أو حجر منقوش أو يغرس شجرة فينميها المطر ثم يأخذ منها حطبا للنار ، فيطبخ عليه طعاما ويصطلى به ، ومن البقية يأخذ لوحا أو جذعا ويركع قدامه قائلا : خلصنى أنت الهى أو اشفع فى فانك رجائى (أش ٤٤ : ٩ الى ٢٠) ولكن الأمر الواقع يرينا ضرورية هذه الوصية لأن الناس قد سقطوا فى العبادة منذ زمان نوح وفى عصرنا هذا لم يزل الثلثان من أهل المسكونة عبدة أصنام أسما وفعلا ، ونحو الثلثين من المسيحيين هم كذلك بالفعل ، وان لم يكونوا بالاسم ، فاذا ذكر هذه الوصية ضرورى وعوضا عن حذفها أو اخفائها يجب أن ينادى بها فى مسامع البشر بأعلى صوت .

فلننظر أولا الى أصل استعمال الصور والتماثيل فى العبادة وامتداده فى العالم وذلك على سبيل الاختصار ، فنقول : الظاهر أن هذه العادة

ابتدأت بين نسل نوح بعد الطوفان بمدة وجيزة لأن الكتاب المقدس يعلمنا أنها كانت قد قويت وامتدت كثيرا فى عصر ابراهيم الذى كان قبل المسيح بنحو ألفى سنة ، فاننا نقرأ فى سفر يشوع بن نون (٢٤ : ٢) هكذا : « قال الرب أله اسرائيل آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى ووجد اصنام فى بيت لابان ابى ليا وراحيل امرأة يعقوب (تك ٣١ : ١٩ و ٣٠ و ٣٥ : ٢ و ٤) وفى سفر أيوب الذى كان بالقرب من عصر ابراهيم (٣١ : ٢٦ و ٢٢) نقرأ عن هذه العبادة هكذا « ان كنت قد نظرت الى النور حين ضاء أو الى القمر يسير بالبهاء وغوى قلبى سرا ، ولثم يدى فمى فهذا أيضا ثم يعرض للقضاة لأنى أكون قد جحدت الله من فوق » فمن هذه الآيات نرى أن العبادة الباطلة كانت شائعة فى تلك الأيام .

ومن بعض تقليدات اليهود بيان أنها ابتدأت بين قوم نمرود بن كوش بن نوح فى أرض الكلدانيين فى نواحى بابل لأننا نقرأ فى سفر يهوديت ص ٥ أن اسلاف ابراهيم سكنوا فى أرض الكلدانيين حتى طردهم الأهالى من هناك لأنهم لم يعبدوا آلهتهم فارتحلوا الى ما بين النهرين ، وسكنوا هناك .

فالظاهر أن عبادة الأصنام فى ذلك العصر كانت قد عظمت جدا حتى أن أصحابها اضطهدوا الذين لم يوافقوهم عليها وطردوهم من بلادهم ، وكان ذلك بعد الطوفان بنحو أربعمائة سنة وكان فى أول الأمر يعبدون الأجرام السماوية الشمس والقمر والكواكب السيارة .

وطائفة منهم صنعوا لهذه الأجرام تماثيل لكى يوجهوا عبادتهم اليها متى كانت غائبة عن أبصارهم ، وآخرون كانوا يضرمون نارا يشيرون بها الى نور الشمس ويعبدونها نيابة عن الشمس وبعد حين دعيت الأولى الطائفة الصابئة والأخرى الطائفة المجوسية ، ثم عند ما توفى بعض مشاهيرهم جعلوا لهم مواسم واعيادا تذكرة لهم ، وبعد قليل تحولت التذكرة الى عبادة ، فانه على توالى الزمان زاد اعتبار هؤلاء الأشخاص عند قومهم شيئا فشيئا ، حتى ارتقوا الى درجة الألوهية وهكذا تكاثرت

معبودات الناس وتنوعت طرق العبادة ، وعلى حسب أقوال بعض المؤرخين القدماء كانت التماثيل فى أول الأمر بسيطة جدا مثل قائمة من الحجارة أو قطعة من الخشب أو من الحجر او من المعادن الكريمة بدون عمل ولا نقش ولا هيئة معينة وكانت الغاية بها التذكير والتفطين فقط لأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا الله ولا للاجرام التى كانوا يعبدونها هيئة معلومة ثم متى أقاموا البعض من البشر آلهة كما ذكرنا ، صنعوا لهم تماثيل على هيئة بشرية وأحيانا على هيئة حيوانات متصفة ببعض صفات الاشخاص المذكورين كهيئة الأسد للشجاع وهيئة الحية للحكيم وهيئة الثعلب للمحتال، وهلم جرا .

ولا يلزم أن تحسب قوم نمرود الذين انشأوا هذه العبادة قوما متبربرين لأنهم كانوا يعرفون شيئا من العلوم والصنائع كما يتضح من مدنهم وأبنيتهم ، وهم الذين قسموا النجوم الى أبراج وصور ورسموها بأسماء مختلفة كالحمل والثور والسنبلة وغير ذلك ، وقد بقى ذلك التقسيم والتسمية الى أيامنا هذه . وكذلك لا يجب الظن بأنهم عدوا فى نفس الخشب أو الحجر ولا أنهم زعموا التمثال نفس المعبود الذى قصدوا عبادته ، بل انما اعتبروا ذلك رمزا واشارة ، او مثل تاريخ صامت استعانوا به على عبادة عنصره ، وبالتدريج زاد عندهم اعتبار نفس التمثال أو الصورة حتى تخيلوه مسكنا أو مقرا ماديا للمعبود وتوهموا حضور ذلك المعبود بنوع خصوصى حيثما حضر التمثال أو الصورة ، ثم ان قوم نمرود الذين انشأوا هذه العبادة فى ارض « شنعار » قويت شوكتهم ، وامتدت سطوتهم مدة من الزمان حتى تشتتوا وتفرقوا بتبلبل الألسنة وبالحروب التى وقعت بينهم بعضهم مع بعض ، ومع طائفة من نسل سالم .

فمنهم من انتقل الى نواحى الهند ومنهم الى أرض كنعان ، ومنهم الى بلاد العرب ومصر والحبش ، ومن هذه الأماكن ارتحل قوم منهم الى آسيا الصغرى وبلاد اليونان وثراقية وايطالية ، ومواطن أخرى فى مجاورة البحر المتوسط ، وحيثما توجهوا أخذوا معهم آلهتهم وأقاموا عبادتهم ، واذا نظرنا الى آلهة اليونانيين والرومانيين والمصريين القدماء ، أو الى

آلهة أهل الهند فى أيامنا هذه يسهل ردها بالتسلسل الى ارض شنعار والى الأعصار القريبة من الطوفان ، ومن ثم الى مجىء المسيح لم تبق معرفة الاله الحقيقى وعبادته الابين شعب اليهود فقط ، وهم أيضا قد التطخوا كثيرا بالعبادة الأصنامية مع وجود هذه الوصية بين أيديهم ، ومع كثرة الربط التى قيدهم الله بها لكى يمنعهم عن السقوط فى هذه الرذيلة ، ولما قويت الديانة المسيحية وامتد التبشير بها فى المسكونة آمن بها كثيرون من الأمم وتركوا عبادة الأصنام كما يتضح من قول ديمتريوس صانع بيوت الفضة لأرطاميس آلهة الأفسيسيين (أع ١٩ : ٢٦) حيث يقول : « وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من افسس فقط ، بل من جميع آسيا تقريبا استمال وأزاغ بولس هذا جمعا كثيرا ، قائلا : ان التى تصنع بالأيادى ليست آلهة » أ. هـ.

وكهنة الأوثان فى تلك الأيام وبعدها اشتكوا من امتداد الديانة للمسيحية وتأثيرها فى الشعب ، حتى كادت هياكل الأصنام تهجر بالتمام وبقى هذا العمل على التزايد حتى آمن قسطنطين للملك ، فنفيت الأصنام من المملكة الرومانية بأسرها .

٢ — ولننظر ثانيا الى دخول استعمال الصور والتماثيل فى الديانة المسيحية ، وهل من فرق فى الحقيقة بينه وبين العبادة الوثنية ، حتى لا يحسب تعديا على هذه الوصية أن شعب اليهود قد وقعوا كثيرا فى العبادة الوثنية مرة بعد أخرى ، حتى أرسلهم الله الى بابل مدة سبعين سنة ، وهذا السبى شفاهم من مرضهم هذا شفاء تاما حتى لم يستطيعوا بعد ذلك أن يطيقوا ذكر الأصنام فضلا عن عبادتها ، والرسل وتلاميذهم الأولون كانوا يهود أو مثل قومهم بوجه العموم كرهوا الصور والتماثيل كراهة شديدة ووعظوا تلاميذهم من الأمم أن لا يجلسوا فى بيت الوثن ولا يأكلوا مما ذبح له أع ١٥ : ٢٩ و ٢١ : ٢٥ واكو ٨ و ١٠ : ١٩ و ٢٠ و ٢٨) فبعد ما شددوا عليهم كثيرا فى اجتناب هذا العمل ، هل كان يسعهم أن يسمحوا لهم باتخاذ صور أو تماثيل . ولو كانت على اسم الله او الملائكة او القديسين ؟

واستمر هذا النفور الشديد من استعمال صنعة الأيادى فى العبادة حتى غلبت الديانة المسيحية على الوثنية كما تقدم ، ولكن كثيرين من الأمم العتادين على الهياكل المزخرفة المملوة من التماثيل ، ومن أفخر أنواع صنعة الأيادى وعلى أشكال ملابس الكهنة ورهج الزفاف واطلاق البخور ونحو ذلك لم يلتذوا بالدخول الى كنائس المسيحيين الخالية من هذه الزخارف المبهجة ، ولم يرتضوا ببساطة العبادة المقتصرة على تلاوة الانجيل واقامة الصلوة والترتيل وتناول عشية الرب .

ولأجل ارضاء هؤلاء واجتلابهم ابتدأ المسيحيون فى القرن الرابع يستعملون البخور والصور فى بعض الكنائس ، ثم ازداد هذا العمل حتى أخذوا الهياكل الأصنامية كما هى وجعلوها كنائس مسيحية وغيروا أسماء التماثيل الموجودة فيها من أوضاعها الوثنية الى اوضاع مسيحية ، فالتمثال الذى كان على اسم زفس صار على اسم بطرس ، والذى كان على اسم هرمس صار على اسم بولس ، والذى كان على اسم الزهرة صار على اسم العذراء المباركة ، وهلم جرا فهيكل جميع الآلهة فى رومية مع تماثيل أصبح كنيسة جميع القديسين .

ثم ان جانبا كبيرا من المسيحيين فى ذلك العصر من الاكليروس والهوام اخذوا فى مقاومة هذا العمل باجتهاد بليغ وفى سنة ٧٥٤ فى أيام الملك قسطنطين ابن لاون ، التأم المجمع القسطنطينى وكان فيه ٣٣٨ أسقفا من الشرقيين والغربيين ، وبعد ستة اشهر من المفاوضة فى هذا الأمر حكم هذا المجمع بأن استعمال الصور والتماثيل فى العبادة مطلقا مناقض للديانة المسيحية وأنه ليس الا رجوعا الى الديانة الوثنية ، ثم بعد ذلك تجددت المخاصمة والمنازعة فى الكنائس شرقا وغربا بين أصحاب هذا المجمع وأضدادهم ، حتى قوى حزب الأضداد ، والتأم المجمع النيقاوى الثانى فى سنة ٧٨٧ بأمر الملكة ايرينا وكان فيه ٣٥٠ أسقفا من الغرب ، ولم يكن فيه ولا واحد من الشرق وبعد اجتماعهم ٨ يوما حكموا بوجوب استعمال الصور والتماثيل ، وهكذا دخلت هذه العبادة فى الكنيسة .

غير أن اهل الغرب قبلوا الصور والتماثيل واهل الشرق قبلوا

الصور فقط ، ونفروا من التماثيل ، ولم يزل هذا الفرق بينهم الى يومنا هـــذا .

فهذه العاده مناقضة أولا لأوامر الرب الواضحة المكررة فى أماكن شتى من الكتاب المقدس كما فى الوصية المتقدم ذكرها وكذلك قوله تعالى فى سفر اللاويين ٢٦ : ١ « لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له » وفى ســـفر تثنية الاشتراع ٤ : ٥ قيل أيضا : « فاحتفظوا جدا لأنفسكم فانكم لـــم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا ، وتصنعوا لكم منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو انثى » الى آخره .

انظر أيضا نبوة أشعياء ٤٤ : ٩ الى ٢٠ « ولكن اصحاب هـــذه العبادة يحتجون بأن موسى صنع كروبيم فى قبة الشهادة وحية النحاس فى البرية ، أما الكروبيم فكانت داخل الحجاب حيث لا يراها أحد من الناس اصلا ، فلم تمكنهم عبادتها خر ٢٥ : ٣ الى ٢٢ و ٢٦ : ٣٣ و ٣٧ .

وهذا مسلم عند جمهور من أصحاب عبدة الصور كما ذكر فى كتاب « المجامع الكبير » تأليف لاباى اليسوعى مجلد ٨ صحيفة ١٩٣٨ حيث يقول : ان الكروبيم لم توضع للعبادة قط ، وأما حية النحاس فقد كسرها الملك حزقيا حالما ابتدؤا فى تبخيرها دون عبادتها ، وسماها قطعة نحاس ، واذا وجبت عبادة كل ما وجد فى قبة الشهادة أو فى هيكل سليمان يجب أن نعبد تماثيل الثيران والأسود وشجرة النخل وغيرها مما وضـــع فى الهيكل للزينة ، وينبغى أن نذكر هنا ما كتب به البابا غريغوريرس الثانى فى هذا الشأن الى الملك لاون الأيسورى كاسر الصور ، حيث يقول : « أنت شبيه بعزيا الذى كسر تلك الحية النحاسية المقدسة التى أدخلها داود مع التابوت الى الهيكل » أ. هـ.

والحال أن عزيا هو جد ابى حزقيا الذى كسر الحية وكل من له أدنى اطلاع على العهد القديم ، يعلم أن الهيكل لم يبن فى أيام داود ، ومن هذا الكـــلام .

اولا : نرى شيئا من عصمة باباوات رومية ومعرفتهم بالكتب المقدسة ، فكيف استطاع عزيا أن يكسر حية النحاس بعد موته بسنين عديدة ؟ وكيف استطاع داود أن يدخلها الى بيت لم يبن بعد ؟ ومن شك فى صحة هـذه القصة فليراجع رسالة البابا المذكور بعينها فى كتاب المجامع الكبير تأليف لاباى اليسوعى مجلد ٨ صحيفة ٦٥٨ .

ثانيا : ان هذه العادة مناقضة لعادة الكنيسة فى أكثر من ثلاثة قرون باتفاق المؤرخين جميعا .

قال بعضهم ان الصور لم توجد فى الكنائس مدة ثلاثة قـرون ولا فى البيوت أيضا . وقال آخرون انه لم تر فى الكنائس صورة فى الثلاثة قرون الأولى واقوال كثيرة مثل هذه .

انظر اصول الديانة المسيحية للمعلم جونيين مجلد ٤ وجه ٣٨٠ وتاريخ المعلم دانيال مجلد ٢ وجه ٧٧ وتاريخ المعلم اسكندر مجلد ١٤ وجه ٦٥٤ و ٦٥٥ ر ٦٥٦ ومصنفات المعلم أبرزمس مجلده وجه ١١٨٧ ومجلد ١١ وجه ١٧٧٠ وفى تصانيف ايرنيوس أسقف ليون ، وتصانيف لوسابيوس أسقف قيصرية ، وأبيفانيوس اسقف قبرس ، واثاناثيوس وابرونيموس) تجد ذكر الاشياء المستعملة فى طقوس المسـيحيين بالتفصيل ، ولـكن لا يذكرون بينها الصور ولا التماثيل أصلا ، وهذه العادة ابتدأت بين طوائف من الأراتقة مثل السيمونية والمانيكية والغنوستكية الذين صنعوا تماثيل على اسم المسيح ، وفيثاغوروس وأفلاطون .

ومن هذه الطوائف امتدت الى الكنائس الارثوذكسية وآباء المجمع النيقاوى الثانى لم يقدر رواقط أن يستندوا على شهادة أحد الآباء الذين كانوا قبل القرن الرابع ، فاحتاجوا أن يبنوا رأيهم على حكايات خـرافية وقصص باطلة لا أصل لها قد اخترعها الناس فى القرن السادس ، مثـل حكايتهم عن الصورة التى أرسلها المسيح الى الأيجر ملك الرها التى لم يخبر عنها أحد ، ولم يسمع بها احد فى مدة ستمائة سنة بعد المسيح ، فكيف بقيت هذه الصوره العجائبية مختفية مدة ستة قرون لم يعلم أحد بوجودها الى

قرب ايام المجمع النيقاوى مع أن أوسابيوس أسقف قيصرية فى فلسطين الذى كان فى نحو سنة ٣١٥ ذكر فى تاريخ الكنيسة كتابة جرت بين المسيح والملك المذكور ، ولكن هذه الصورة لم يذكرها اصلا مع انها اولى من الكتابة بالذكر ، فالظاهر انه لم يسمع شيئا ولم يعلم بشىء عن هذه الصورة .

ولما أرسلت الملكة قسطنطيا الى هذا الأسقف طالبة منه صورة المخلص ، لكونه مقيما فى أرض فلسطين حيث تردد المخلص ، اجابها : أنه لا يجوز تصوير صورة المسيح لا لاهوته ولا ناسوته ، لأن اللاهوت ليس له هيئة يتصور عليها والناسوت اللابس مجد اللاهوت لا يدل عليه بتركيب الألوان »

هذا قول أوسابيوس أحد المشاهير فى أوائل القرن الرابع وكذلك ابيفانيوس أسقف قبرص فى مروره على فلسطين وجد فى بعض الأماكن سترا عليه صورة المخلص ، فمزقه قائلا : ان مثل هذا الأمر عيب على الشعب المسيحى ، وأما قولهم ان لوقا الانجيلى كان مصورا وأنه صور صورة العذراء المباركة ، فهذا أول من قاله رجل اسمه نيسفوروس كلستى كان فى القرن الرابع عشر ، وأما قبل ذلك ففى مدة أربعة عشر قرنا لم يسمع أحد قط أن لوقا الانجيلى كان مصور .

ثالثا : ان هذه العادة مناقضة لحكم عدة من المجامع ، منها مجمع التام فى مدينة الغيراى اندلس فى اسبانيا فى القرن الرابع ، فهذا المجمع حكم بانه لا يجب وضع الصور فى الكنائس ، لئلا ينقاد الناس الى عبادتها وهذا حكم المجمع القسطنطينى الذى ليس لهم حق فى رفضه أكثر من غيره ، لأنه التام بأمر ملكى مثل سائر المجامع وكان فيه من الأساقفة عدد كثير ولم تحجز حريتهم بشىء ، وان قيل ان البابا الرومانى لم يرسل اليه وكيلا ، فنجيب انه أيضا لم يرسل وكيلا الى المجمع المسكونى الثانى ولا الى الثالث . وان قيل انه لم يحضر فيه وكلاء من قبل بطاركة اسكندرية وأورشليم وانطاكية بقول : كذلك لم يحضر أحد من الشرق فى المجمع النيقاوى الثانى ، ومجمع باريس حكم بوجوب الاحتراس من عبادة الصور على أى نوع كان .

رابعا : ان هذه العادة مناقضة لحكم عدة من الأساقفة المشهورين كما رأينا آنفا فى ما قاله أوسابيوس وابيفانيوس وفى سنة ٦٠١ كتب غريغوريوس أسقف رومية الى سربينوس أسقف مسيلا قائلا : « لا تكسر الصور لأن هذا الاسقف كان قد كسر الصور فى كنيسته لكن امنع الناس من أن يقدموا لها أى نوع كان من العبادة » انظر كتاب « المجامع الكبير » مجلد ٦ صحيفة ١٥٦ .

ثم ان الوصية الثانية تنهانا عن اتخاذ الصور وعن عبادتها وعن السجود لها . وأصحاب هذه العبادة يحامون عن أنفسهم بقولهم ان هذه الصور لا يقدم لها سجود اللاتريا الذى يجب تقديمه لله وحده بل يقدم لها نوع من العبادة دون اللاتريا وقد قسموا العبادة الى ثلاثة أنواع : لاتريا وهيبرضوليا وضوليا (انظر كتاب خلاصة المجامع تأليف القس غريولانوس الفرنسيسى وجه ٣٩١ ومنشور البطريك مكسيموس مظلوم المحرر فى القسطنطينية فى ١٥ نيسان سنة ١٨٤٢) فعلى قول غبطة وقول معلمى كنيسة رومية بوجه العموم يجب تقديم اللاتريا الصورة المخلص وللصليب .

وفى كتاب البنتفكالى الرومانى قد قيل ان صليب القاصد الرومانى يجب وضعه على اليمين لأنه يقدم له سجود لاتريا .

وفى كتاب الخدمة اليومية الرومانية وكتاب خدمة العذراء المباركة فى الترنيمة التى يقال فى السبت الواقع قبل جمعة الآلام وفى بعض الأوقات الأخر يقال هكذا : « السلام لك يا أيها الصليب ، الرجاء الوحيد ، رد نعمة للأتقياء ، وهب للمذنبين مغفرة الخطايا » وفى كتاب رتبة الزياحات يقال « أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع اليوم لتسبيحتك ، أيها الصليب الذى أتى بالخلاص للأشقياء » أ. هـ.

فماذا يمكن أن يقال لله أكثر من ذلك ؟ ولكن كهنة الرومانيين يقولون : هذه الألفاظ باللغة اللاتينية وعامة الشعب لاتفهم ما يبررون به فى تلك اللغة الميتة .

ثم انهم ادعـــوا فى القرن السادس والسابع أن بعض الصـــور تصورت بمجرد وضع لوح على صورة المخلص ، فانطبعت الصورة عليه ، وكثرت هذه الصور فى القرن السابع وسموها غير مصنوعة بالأيادى وكانت تقال لها هذه التسبيحة وهى مترجمة من ترنيمة يونانية : « كيف نستطيع بالأعين الجسدية أن ننظر الى هذه الصورة التى لا تقدر الأجناد السماوية أن ننظر الى بهجتها ، الساكن فى السماء قد شاء أن يزورنا اليوم بواسطة صورته الموقرة ، ذلك الجالس على الكروبيم افتقدنا اليوم بصورة قد صورها الآب بيده الكلية الطهارة ، ونحن نقدسها مسبحين لها بالخوف والمحبة » انتهى .

فقد رأينا أنه بحسب رأى عبدة الصور يجب أن تتقدم لصور المخلص وللصليب اللاتريا أى نفس العبادة التى تتقدم لله ، وقد ذكروا نوعـــا آخر من العبادة يجب تقديمه لصورة العذراء المباركة ، وهو دون اللاتريا قليلا ، ونوعا ثالثا يجب تقديمه لصور القديسين بوجه العموم وســـمو الأول منها هيبرضوليا والآخر ضوليا كما مر .

قال السيد مكســـيموس فى منشوره المشار اليه آنفا « ان تعليم الكنيسة الرومانية واضح فى أن العبادة التقوية التى تتقدم للايقونات والتماثيل المقدسة ليست فى رتبة واحدة متساوية للجميع ، كلا لأنـــه من حيث أن هذا التكريم راجع الى العنصر الأصلى الممثل بتلك المـــواد المنسوبة اليه ، فبالضرورة يلزم التمييز فى هذا التكريم » أ. هـ.

ثم يستتلى ذكر أنواع العبادة الثلاثة التى ذكرناها آنفا فلنسأل عبدة الصور ، من منكم اذا ركع قدام صورة يفتكر فى نفسه أولا أن هذه الصورة يجب أن أقـــدم لها اللاتريا أو هذه صـــورة قديس لا يستحق منى الا الضوليا ؟ فحاشا أن أعطيه أكثر من استحقاقه . ونسألهم ايضا عـــلى أى شىء يتوقف التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة ؟ هل على الألفاظ التى يستعملونها ؟ كيف نسمعهم يقولون للعذراء المباركة ولبعض القديسين نفس الأقوال التى تقال لله الآب أو للرب اليسوع ، كما فى مزامير القديس

بونا ونتورا ، الذى رفع اسم الله من مزامير داود ، ووضع اسم العذراء عوضا عنه ؟ فاننا نقرأ فى مزاميره هكذا : « معظمة أنت يا سيدة وممجدة جدا فى مدينة الهنا وفى بيعة مختارية ، يا أم الهنا تشفعى فينا لأنك خلاص الملائكة والناس الى مريم صرخت فى شدتى فأجابتنى برفعتها اليك ، يا سيدة رفعت نفسى فى قضاء آلهى ، فلا أخرى ، ان معونتنا بقوة اسمك وبك تستقيم أعمالنا كلها » وعبارات أخرى كثيرة نظير هذه .

ومن هذا القبيل أيضـــا قول طلبة ماريوسف عند الطائفة المارونية « يا أيها القديس شريك الثالوث الأقدس فى خلاص النفوس » وأعظم من ذلك ما يقال عند طائفة الروم والروم الكاثوليكيين فى عيد اسبيريدونوس وهو هذا : « لقد ظهرت محاميا عن المجمع وصانعا العجائب ، يا أبانا سبيريدنوس اللابس اللاهوت »

أفهذا ضوليا أم هبأضوليا أم لاتريا ؟ وكذلك الترنيمه التى تقال عند اللاتينية فى عيد القديسة تريسا : « لك أن تخلصنى الشعوب من نـــار جهنم » وفى بداية كتاب خدمة العذراء المباركة نجد هذه الطلبة للثالوث الأقدس ، ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح وللعذراء المباركة الدائمة البتولية ولجميع القديسين « ليكن الحمد والكرامة والثناء والمجد من كل الخليقة ولنا مغفرة جميع خطايانا الى أبد الآبدين آمين » فهنا قد وضـــع الثالوث الأقدس والصليب والعذراء وجميع القديسين فى منزلة واحـــدة ، فأين التمييز الضرورى بين اللاتريا والهبيرضوليا والضوليا ؟

وان لم يتوقف الفرق بين هذه الأنواع على الألفاظ التى ينطق بها ، فهل يتوقف على حاسيات القلب التى يشعر بها المصلى ؟ وهل يمكن لأحد من معلمى كنيسة رومية أن يرينا الحد بين اللاتريا والهبيرضوليا والضوليا حتى لا نغلط من هذه الجهة ؟ واذا استطاع المعلم الحاذق فى التمييز بين حاسيات القلوب المختلفة أن يحفظ نفسه من الخطأ فى هذه القضية اذا ركع أمام صورة ، وأن يعرف جيدا كيف ينتقل من أحد هذه الأنواع الى آخر منها ، فهل يمكن لعامة المسيحيين أن يعرفوا ذلك ؟ وهل لا يكون

الرجل البسيط فى خطر من السقوط فى الخطية بتقدمته الهبير ضوليا أو اللاتريا لأحد القديسين وهو لا يستحق الا الضوليا أو بتقدمته الضـــوليا للعذراء المباركة ، وهى تستحق الهبيرضوليا ، فيكون قد أهان شرفهـــا بذلك وتفتاظ منه ، عوضا عن أن تسربه ؟

واذا عرف الفرق بين هذه الأنواع أفلا يظن أحيانا أنه يزيد صلاته قبولا عند أحد القديسين بتقدمه له نوعا من العبادة أفضل مما يســـتحقه فيرفض ذلك القديس عبادته ، لأنها مخالفة للحق ؟ هذا وقد رأينا أن هذه العبادة أوقعت أصحابها والمحامين عنها فى أوهام واحتجاجات مشوشة بعيدة عن دائرة الحـــكمة كما تقدم ، ولابـــد أن نذكر هنا تفســـير البابا غريغوريوس الثانى لقول المسيح : « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور» قال ان الجثة هى المسيح والنسور هم رجال أتقياء طاروا الى أورشليم ، مثل النسور ، وصوروا صورة المسيح ويعقوب واستفانوس والشهداء . وهذا التفسير من البابا المدعى بالعصـــمة (انظر كتاب المجامع للابى اليسوعى مجلد ٨ وجه ٦٥٥ و ٧٧٠) .

ونرى أيضا أن عبادة الصور والتماثيل فى الكنائس تطابق العبادة الوثنية فى الطقوس والاحتفالات اذا قابلنا الواحدة منهما بالأخرى ، فانهم فى هياكل الأصنام يبدأون بالطقس صباحا ويكملونه فى أوائل النهار ، ومهما تأخروا فلابد من اتمام كل شىء قبل الظهر ، وكذلك عبدة الصـــور يبدأون بأعظم طقسهم فى أول النهار وينتهون قبل انتصـــافه . وكاهن الأصنام كان يدخل الى الهيكل من باب عن جانب المذبح وهو لابس ثوبا أبيض فوقه رداء من ألوان مختلفة ثم يـــدور حول المذبح ويصنع عـــدة مطاينات ثم يقف قدامه متجها نحو الشعب ، وحول المذبح مصابيح وشموع كثيرة موقدة ولو كانت الشمس فى عنفوان اشراقها والكهنة من الرتبة الثانية والخدام يبخرون ويصنعون مطاينات كثيرة ، ومتى انتهى الطقس يصنعون الاله الذى يعبدونه فى علبة ويقفلون عليها ثم يدور الكاهن نحو الشعب قائلا : « قد تم كل شىء فامضوا » وعند خروجهم يرش عليهم الخدام ماء

ممزوجا بملح فيمضون الى سبيلهم والذبيحة التى كانوا يقدمونها لم تكن دائما من الحيوانات ، بل كانوا أحيانا كثيرة يقدمون قرصة من البرشان ، يزعمون انها ترفع خطايا الشعب وهذه الذبيحة رتبها الملك نوما وهو من أول ملوك الرومانيين ، وسماها الذبيحة غير الدموية وكانوا يحملون آلهتهم بزفاف وترتيل وايقاد شموع ، واطلاق بخور ، وما يشبه ذلك .

ولا يسعنا هنا أن نذكر جميع أوجه المشابهة بين عبادة الصور والتماثيل عند الوثنيين وعبادتها عند المسيحيين ، فقد رأينا أن هذه العادة مخالفة لوصايا الله ومخالفة لكنيسة اليهود القديمة ، ومخلفة للكنيسة المسيحية فى أكثر من ثلاثة قرون ومخالفة لحكم عدة من المجامع والأساقفة فى القرون الأولى ، وفى القرن السادس ، وأنها شديدة المشابهة بعبادة الأوثان عند الوثنيين وأنها توقع المحامين عنها فى ارتكاب أوهام باطلة سخيفة تشين الجوهر العقلى وتخفض شأن النفس وتجعل صاحبها عرضة للاستهزاء وتصير المذهب المسيحى أضحوكة بين الأمم .

ترى مما تقدم شرحه : فساد الطبيعة البشرية ، فلا شك أن سام وحام ويافث أولاد نوح عرفوا الله وعلموا أولادهم عبادته تعالى وسام عاش الى عصر ابراهيم ، فدخلت العبادة الباطلة وزادت وامتدت حتى عمت أكثر الناس فى مدة حياة هذا الأب الذى كان يعلمهم خلاف ذلك لا محالة .

ولا شك أن الناس فى تلك الأيام كانوا يوقرون هذا الأب كثيرا كما كان ينبغى لهم ولكن مع كل احترامه ووقاره عندهم ، لم يقدر أن يصد الطبيعة عن ميلها الشديد الى الابتعاد عن الله وعن عبادة غيره ، وهكذا نبعوا الآلهة الباعله وعبدوا الأصنام مع وجود هذه الوصية بين أيديهم والبروق فى أعينهم اتخذوا عجلا للعبادة ، وهكذا مرارا عديدة وبعد ذلك نبعوا الآلهة الباطلة وعبدوا الأصنام مع وجود هذه الوصية بين أيديهم وصوت انذار الأنبياء فى مسامعهم والآيات والمعجزات تحت نظرهم ، وهكذا المسيحيون عندما انتصرت ديانتهم ديانتهم على الديانة الوثنية ، جمعوا الأصنام التى كانت لأمم قد تركتها وغيروا أسماءها وجددوا عبادتها .

ولا سبب لهذا الميل الى هذه العبادة الا فساد لطبيعة وابتعادها عن الله حتى تفضل ما تستحسنه هى على وصيته تعالى .

نرى أيضا مما تقدم : خبث الشيطان ومكره اذ لا شك أن غاية هذا المضل انما هى نفى المعرفة بالله من العالم بأسره ، وهو قد أضل الجانب الأكبر من البشر وأعزاهم بعبادة الأصنام وأعدمهم معرفة الله تماما وأما فى الاماكن التى دخل اليها نور الانجيل فاذ لم يستطيع أن يلاشى منها المعرفة بالله اخترع طرقا لافساد عبادته تعالى ورأى الناس أنهم يعبدون الله عبادة مقبولة بسجودهم لصورة أو تمثال على اسم أقنوم من الأقانيم الثلاثة أو على اسم قديس من القديسين ، مع أنه تعالى قد أخبرنا علانية أنه لا يرتضى بأن نعبده على هذه الطريقة أصلا ، ولما تلاشت مملكة الشيطان فى جانب كبير من العالم بانتشار والديانة المسيحية وهجرت هياكل الأصنام وأنحط شان الصور والتماثيل ، فبالواسطة المذكورة أقامها ثانية فى وسط الكنيسة المسيحية حتى خفض شرفها بين الطوائف الأخر وأبعدهم عن الايمان بها .

ونرى المسيحيين الذين يعبدون الصور يستحون من ذلك عند مقابلة الأمم فالطوائف الوثنية لا يقبلونها لأنهم لا يرون فيها ما يفضلها على مذهبهم والطوائف الأخر لا يقبلونها لشدة نفورهم من عبادة الأصنام ، فلنطلب من الله أن ينير عقول الجميع ويهديهم الى طاعة وصاياه الواضحة الصريحة ، فيطهرون الكنائس من الأصنام كما طهر يوشيا الهيكل من رجسائه (٢ مل ٢٣ : ٧ الى ٦) .

وبعد أن أحطت خبرا بما قاله المنصفون من النصارى فى رد ما ادعاه عبد المسيح من جواز عبادة الصليب ، وما قدمناه لك فى ضمن الأبيات السالفة انه ينبغى اهانته لا عبادته لانه قد صار اله لاهلاك الاله بزعمهم

وان اللازم أن يداس ولا يباس ، تبين لك فساد زعمه وبطلان قوله ، وأن هذا شىء ترده الشرائع والعقول ، ويضاده المنقول والمعقول ، وأنه كفر صريح وعبادة وثن فعلها قبيح ، وقد شهدت أيضا ببطلانها علماء ملته والمنصفون من أهل نحلته .

وأما المسلمون والحمد لله فهم ممتثلون لما ورد فى التوراة ولا يعبدون الا بالله ولا يستعينون الا بالله كما ورد فى القرآن الكريم من قوله سبحانه « اياك نعبد واياك نستعين » ولا يعظمون تمثالا ولا صورة ويحرمون عملها وجودها فى بيوتهم ومساجدهم ولا يسجدون لغير الله سبحانه ولا يشركون بعبادة ربهم أحداكما فى الكتاب المقدس « للرب الهك تسجدو له وحده تعبد » فانظر أيها المنصف وتدبره أنقلناه عن الملليين واتبع الحق تكن من المؤمنين ، وخذ ما افدناك وكن من الشاكرين .

تتمة لنا كانت عبادة الصور والصليب والتماثيل من جملة عقائد أكثر الثلثين ما عدا فرقة البروتستنت ، وقد بينا بطلانها وأن هذه العقيدة مخالفة للتوراة والأناجيل ، وكذا نبهناك على بطلان العشاء الربانى فيما تقدم وبقيت مسائل أخر من الأشياء التى يسمونها الأسرار الستة أجبت التنبيه عليها أيضا اجمالا لتزيدك اطلاعا على عقائدهم .

منها الطريقة الرهبانية وهى عدم التزوج (١) قال ميخائيل مشاقة البروتستانتى فى كتابه « البراهين » ردا على اخوانه المثلثين : « ان هذه الطريقة اختراع شيطانى قبيح لم يكن له رسم فى الكتب المقدسة ولا فى أجيال الكنيسة الأولى ، وهو مضر على أنفس الرهبان وعلى الشعب ، ومن المعلوم أن الاكثرين من رسل المسيح كانوا ذوى نساء تجلن معهم ، وأن شريعة موسى أباحت تعدد الزوجات الا أن المسيح نقصها الى واحدة ، ومن المعلوم أيضا ان الطبيعة البشرية تغصب الانسان على استيفاء حقها ، ومن العدل أن تستوفيه ، وليس بمحرم عليها استيفاؤه حسب الاشريعة ولا استطاعته لجميع البشر على حفظ البتولية ، ولذلك نرى

---

(١) ليس فى القرآن الكريم نص على وجوب أن يضاجع الرجل امرأته فى الليل أو فى النهار بمرات معدودة . وانما النصوص التى تدل على أن المرأة حرث للرجل ، وعلى الرجل أن يأتى امرأته من اجل الحرث فى أى وقت يشاء من ليل أو نهار . فقد قال تعالى : « نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم » فقد شبه المرأة بحقل يوضع فيه البذر ، والبذر =

ينمو ويكبر ويفيد واضعه . وكذلك الرجل يضاجع المرأة ويضع فيها منيه ، فيصير فيما بعد ذكرا يفيد ، أو أنثى تفيد . ولو أن الزارع قد أصلح الحقل وأعده ، ثم وضع فيه البذر ، ورآه بعينيه قد طلع ونما ، فانه فى هذه الحالة لا يضع بدله بذرا ، وكذلك الحال فى رجل ضاجع امرأته ، وانقطع منها دم الحيض ، واستيقن بانقطاعه أنها قد حملت ، فانه لو ضاجعها مرة أخرى ، يكون كمن يبذر بذرا فى أرض مزروعة ، لا ينوبه منها الا خسارة الحب الذى ألقاه فيها . وهذا التشبيه الذى أورده القرآن بين المرأة والحقل ، يدل ظاهره على أن الرجل لا يضاجع امرأته اذا حبلت . ولماذا يضاجعها والحرث الذى يبغيه منها قد وضع بذرته وتأكد من صلاحية البذر فى الرحم ؟

فان قال قائل : انها شهوة . وكيف يصبر الرجل عليها الى أن تضع المرأة وليدها ثم تتهيأ له بعد النفاس ، وكيف تصبر المرأة ؟ يقال : وكيف صبر من الصغر الى أن تزوج ؟ وكيف صبرت هى ؟ وكيف يصبران أيام الحيض وأيام الولادة والنفاس ؟

ويقال : ان آلة التناسل قد خلقها الله وأعدها لحفظ النسل ، ولذلك حرم الزنا وحرم اللواط والسحاق والاستمناء بأى شكل من الأشكال . فلو أن امرأة قد مات عنها زوجها ، وظلت من بعده أربعة أشهر وعشرة ايام ، أو لو أن رجلا ماتت زوجته أو طلقت ، وهو غير قادر على مهر امرأة ، فكيف يكون الحال ؟ وكيف تقضى الشهوة ؟ اذن يمكن الصبر عليها ، والتغلب على دواعيها . وهذا هو مراد الشريعة ، الظاهر من هذا النص .

فان قال قائل : ان الله يقول : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وهذا يدل على أن المرأة كالفاكهة ، ليست محرمة اذا ما اشتهاها . يرد عليه : بأن المرأة اذا طابت للزواج بكبر سنها ، وأنها صارت محبوبة لمن يريدها ، وأراد الزواج منها فليتزوجها ، واذا دخل بها . فلتكن للحرث . وليس للشهوة وحدها . وعلى هذا يكون المعنى : ما طاب لكم من النساء تنكحوهن من أجل الحرث . ومثل هذا المعنى يقال فى الجوارى فانهن نساء . أى اذا اشترى جارية أو استرقها فى حرب ، وحسنت فى

فليستبرىء رحمها ، ثم ليدخل عليها من أجل الحرث كالحرة سواء بسواء . ولو كانت الجارية تنكح من أجل الشهوة وحدها ، ما أمر الشارع باستبراء رحمها اما بحيض واما بوضع حمل قبل أن يمسها سيدها .

واذا قيل : ان الله نصح بالزواج من الحرة ، وأباح الأمة عند الضرورة فى قوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات ، فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ثم قال : « ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم » وهذا يدل على أن الشهوة قد تضطر الرجل الى الزوجة لئلا يزنى . يقال : انه أباح الأمة عند عدم القدرة على مهر الحرة والانفاق عليها ، والعنت قد يفسر بالمشقة على عدم النكاح وهو تائق له وقد يفسر العنت بتفسيرات أخرى ، كان يكون الرجل وحيدا يحتاج الى أنيس ، أو يحتاج الى من تخدمه فى المأكل والمشرب والملبس ، أو يحتاج الى من تساعده فى مرض ألم به ، أو شاغل مهم شغله ومع هذا العنت ، حث على الصبر عن آلامه ورغب فيه ، وبحثه على الصبر فان الرجل يكون قادرا — اذا شاء — على أن يمتنع عن شهوة النساء . وهى شهوة مقدور عليها .

ووسائل القدرة عليها كثيرة منها اداء الصلوات فى أوقاتها والمرابطة فى سبيل الله ، وصلاة الليل ، والاستغفار ، وصلاة الضحى ، وما شابه ذلك من أنواع العبادات والقربات الى الله عز وجل . والتقليل من الطعام والشراب مفيد فى دفع الشهوة . لأنه ما الفائدة فى أن يأكل الرجل كثيرا ، والأمعاء تنشغل به وتتعب فى هضمه ، الى أن يصير قوة فى البدن ثم ينزو على المرأة ، ويفرغ على الأرض فى لحظات ما انشغلت به الأمعاء فى ساعات طويلة ؟ وما الفائدة فى أن يتعب فى تحصيل رزقه طوال النهار ، ثم فى لحظات يضيعه ، كأنه ما حصل شيئا ؟ ان الشريعة لظاهر قوله « حرث لكم » لا تبيح الوطء الا فى موضع الحرث ، واذا تم الجماع وحصل اللقاح . فليمتنع الرجل ليحفظ صحته من الضياع .

هذا اذا حبلت المرأة . وان كانت عاقرا فكيف يكون الحال ؟ لأن حظها وحظ رجلها من الشهوة سيكون كبيرا . اذا البذر لم يوضع بعد ، وامتناع الرجل عن اتيانها ليس عليه من دليل . وليس من نصيحة والحال

هكذا الا بأن يكون الرجل « حكيما » والحكمة هى وضع الشىء فى موضعه . فاذا تأكد له أن لا فائدة من الجماع تكون ، فليبتعد عنه صاحب الأذن السليمة عن سماع اللهو ، لئلا يستعمل آلة فى غير ما خلقت له .

وقد قرأت فى بعض الكتب : أن صب المنى على الأرض جائز فى حال ضرورة ، كمن سافر الى أرض بعيدة فى طلب علم أو تجارة وليس معه من زوجة . فيرتكب أخف الضررين وهما ، ضرر الزنا ، وضرر الاستمناء على الأرض . وأخفهما ضرر الاستمناء على الأرض . لانه لا يؤدى الى ظهور نسل ، وليس فيه تعدى على حرمة الغير . هذا ما قرأته . وفى كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » مثله .

وربما قاسوا النكاح على الطعام ، فى حال الضرورة . فان الميتة والدم ولحم الخنزير من الأطعمة المباحة فى حال توقع الموت وليس من أطعمة مباحة تسد الرمق . وعند هذا القياس — الذى سيتبين فيما بعد فساده — يقرأون قوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » وهذا القياس فاسد . فان الطعام اذا لم يوجد ، كان الهلاك بسبب الجوع من الأمور المؤكدة . أما المرأة اذا لم توجد ، فان الانصراف عن مثير الشهوة أمر ممكن . بأن لا يتخيل ما يكون من المرأة حال الجماع ، أو اذا طرأ التفكير فى اتيان الشهوة ، يصرفه بالتفكير فى أمر غيره ، أى أمر يحزن أو يفرح . أو اذا رأى امرأة غانية ، يغض من بصره ، أو ينصرف عن سماع اللهو ، والخوض فى الباطل . كل هذا ممكن . وهو يؤدى الى منع الشهوات . لكن لا يمكن للجائع أن يستغنى عن طعام . ولذلك ترى الناس يموتون من الجوع ، ويصحون من ترك الشهوات . فاذا أبيح فى الأسفار الاستمناء على أنه أخف الضررين فى حال الضرورة . فليس من ضرورة غير أن « الشيطان سول لهم وأملى لهم » وفى الحقيقة أن الاستمناء على الأرض ضرر ، وليس هو باخف الضررين على فاعله . ذلك لأن الذى يتعوده ما أن يفرغ من مرة الا وتحركه نفسه الى غيرها ، خاصة اذا كان كسولا منطويا على نفسه . فاذا فعل فى اليوم أكثر من مرة ، والزانى ربما ينتظر شهورا حتى يجد الفاسقة التى توافقه . فأين أخف

كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة لا بل من البابوات المدعين بالعصمة ، قد تكردسوا فى هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعى ، ومن طالع التواريخ علم أنه كان لكثير منهم عدة اولاد من الزنا ، وبعضهم كان كافرا وآريوسيا ويعقوبيا » انتهى باختصار .

وقد ذكرنا لك أيضا ما يتعلق بأمر الزواج فى محله ، فان أردته فارجع اليه ومنها وجوب اعتراف المخطئين للقسيسين بذنوبهم وغفرانهم لهم وهو شىء اخترعوه ويقال له الاعتراف السرى ولم يعرف قط فى عصر الرسل ولاعلموا به ، وغاية ما ورد فى تعاليمهم وقولهم للمخطىء « تب لعل الله يغفر لك » وقد فصلنا لك ما يتعلق بهذه العقيدة من المفاسد العديدة ، فراجعها فى محلها ان أردت . ومنها وجوب اعتقاد المطهر والغفرانات ، وهو أن الكنيسة الرومانية بعد زمان الرسل بأجيال كثيرة زعمت أن أنفس المسيحيين عند مفارقتها لأبدانها ترسل الى محل هو غير جهنم ، كأنه مقطتع منها ، وهو تحت أمر البابا يدخل فيه من شاء ويخرج منه من يريد ، فى أى وقت أراد .

الضررين عند الفاعل ؟ ان هذا ضرر وذاك ضرر . والشريعة قد نهت عن الضررين معا . والعاقل من حفظ بطنه ، وحفظ فرجه .

وهذا الذى قدمته هو فى ظاهر النص الكريم « نساؤكم حرث لكم » والذين أباحوا من العلماء الجماع فى قبل المرأة فى أى وقت غير وقت الحيض والنفاس وشبههما ، استدلوا بأن المراد من آية الحرث هو منع اتيان المرأة من الدبر . وقد استيقنوا بأن هذا هو المراد من قوله تعالى : « أتاتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم » ؟ فانهم كانوا يأتون الذكور فى أى وقت ، لأن الشهوة تأتى فى أى وقت ، فنهاهم عن الذكور الى النساء ، وليس الغرض من النهى استبدال مكان بمكان ، بل الغرض : هو ترك الذكر مطلقا والالتفات الى الأنثى التى خلقها الله لتكون سكنا للذكر ، ولتكون موضع حرثه لبقاء نسله ، وتخليد ذكره .

هذا هو الخلاف فى هذا الموضوع . وقد ذكرنا الرأيين بأدلتهما من القرآن . وهو موضوع جدير بالدراسة والبحث .

وهذا الاطلاق قد يكون بالايمان وقد يكون مجانا بالامتنان .

وما كان منه بالثمن فهو على وجهين اما بموجب تذكرة غفران من البابا مطبوعة أو مختومة من وكيله فيعتق بها ذلك المعذب من سجنه ، ويدخل بواسطتها الى السماء حينما تدفع ورثته ثمنها ، واما بموجب قداسات تعلمها القسوس بالثمن عن نفس ذلك الميت ، وحينئذ يخلص ، وأما الفقراء الذين ليس لهم مال فتفرض القسوس على المعترفين بخطاياهم أن يقدموا شيئا من الدراهم بدل أنفس هؤلاء المساكين الذين يسمونهم المنقطعين أو يعملون فى الكنائس ما يسمونه نصيبا روحانيا ، وهو نوع من القمار أو صور أخر وتفصيلها فى كتاب « الدليل الى طاعة الانجيل » لميخائيل المذكور ، وهى صورة كالحة تضحك الأطفال .

ومنها عصمة البابا وأنه مثل المسيح وأنه لا يخطىء ، مع أن المسيح — كما فى الانجيل — لما قال له رجل : يا صالح قال له : « لم تدعونى صالحا ؟ لا صالح الا الله »

ومنها أن البابا هو القاضى الأعلى للحكم على معانى الكتب المقدسة فلذا لا يبيحون قراءة الانجيل لكل أحد ، حتى تكون النصارى فى عماء لئلا يعرفوا شيئا من الدين الا ما يقوله قسيسهم لهم ، ويكون لهم السلطان الكامل عليهم .

ومنها اعتقادهم أن الولادة الثانية يحصل عليها الانسان بالمعمودية بالماء ، وأن هذا الماء هو الذى يصدر نعمة الروح القدس بتلاوة المعمد صورة الكلام الذى قاله المسيح لتلاميذه كما فى انجيل متى : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح والقدس » مع سكب الماء على رأس المتعمد أو تغطيسه فيه — على خلاف بينهم — والبروتستنت أيضا تخالفهم فى هذه العقيدة فعندهم — كما قالوا — أن الولادة الثانية هى تجديد القلب المقترن بالايمان لأن التغطيس فى الماء مع عدم تجديد القلب والايمان الصادق لا يفيد شيئا البتة .

ولنختم هذه القصة بما فى « تاريخ البيعة » المطبوع بالعربية فى مدينة رومية : « انه فى سنة ١٢٦٧ م أهدى البابا أوبانوس ليوحنا الملك شمعة عسلية مباركة وكان مكتوبا بالشعر حولها وكان لتلك الشمعة قوة فى النجاة من الموت الفجائى ، ومن حريق النار ومن غريق الماء ومن تجارب الشياطين ، ومن السقوط فى الخطايا وكانت تمحو وتغفر الخطايا العرضية ، كما كتبه البابا المذكور للملك المسطور » فقس على هذه الفعلة العجيبة أفعال البابا المعصوم وقبول أقواله عند كل مسيحى محروم ، وكم وكم لهم مثل هذه الأفعال والأقوال ، مما لو نقلناه لاورثت الملل فاعتبر الكثير على القليل ، والله الهادى الى سواء السبيل .

قال النصرانى : « وأما قولك انك اشفقت على من النار ورضيت لى ما رضيته لنفسك ، فهذا القول يجب شكرك على ظاهره ، واذا عكست قولى لك فيه وجب شكرى عليك فى باطنه ، فميز أعزك الله هذا الموضع وافهمه ، فانه أصلح فى البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذى لا نفع فيه ولا خير ؟ وكيف أقول وأنت تسأل وتتضرع الى الله كل يوم فى صلواتك الخمس قائلا : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ؟ فان كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغنيت عن المسالة والتضرع فى كل وقت ، وعند فاتحة كل صلاة أن يهديك اذ لا معنى لطلبك الهداية ، وأنت مستغن عنها ، وان كنت لم تهتد بعد وكنت طالب الهداية فاعلمنى أكرمك الله من هم هؤلاء المنعم عليهم الذين تسأل ربك تبارك اسمه ليلا ونهارا أن يهديك الى صراط ويلحقك بهم ؟ وأنت تدعى أنكم خير أمة أخرجت للناس ، وأن الدين عند الله الدين الذى رضيته أنت لنفسك ، وأنه لم يقبل غيره من الأديان والنحل ، هم المجوس عبدة الشمس والنار ذووا الشرائع النجسة التى تبيح نكاح الأمهات والأخوات والبنات وما شا كل ذلك من السنن الدنسة التى تانفها النفوس وتستشنعها بالعقو وتنفر منا الطبائع فانت تعلم وكل ذى خبرة أيضا أن هؤلاء لم ينعم عليهم بالمعرفة التامة ، اذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانة وتعالى معبودهم ابليس فليست المجوس اذن المنعم عليهم فاخبرنى هل هم اليهود الذين تبرأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم انهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الأمم الملقى عليهم الذل والمسكنة ومنهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبى ورسول فليست اليهود اذن المنعم عليم الذين تسال أن نهدى الى صراطهم ما صراطهم بمستقيم وأن قلت عبدة اللات والعزى ويغوث ويعوق وكثرى وشمس وجهار وهبل ونسر وسواع وود وأسان وَنائلة وذى الكفين ومناة وسعد وذى الخاصة وسائر الاصنام التى كانت العرب تعبدها بمكه وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلا «ووجدك ضالا فهدى» فالضالون اذن هم عبدة الأوثان اذ قال « وجدك ضالا فهدى» لأن صاحبك لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولامجوسيا وانما كان حنيفايعبه

اسان ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والأحابيش قلما من الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذى ذكرناه سالفا سأل ربه أن يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبـده الأصنام فان ادعيت وقلت أن صراط الدهـرية والجرهانية والسمانية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم فى المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم ، وهم المنعم عليم قلنا لك هذه المقالات أنت تعلموكل ذى عقل وعلم أن صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التى يجاوب فيها عنها بل تعوذ منهم ومن صراطهم واذ قد تعوذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضوب عليهم وصراط عبدة الاصنام الذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجرهانية والسمانية والبراهمة فما بقى الا صراط المنعم عليهم الذين هم النصارى وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحة عز وجل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت لصالحك الله شيئا لا تفهمة وانما ذكرتك ما تعلمة والا فهل تقدران تجحدنا حقنا هذا الذى فى أيدينا ولنا من النعمة التى اوتيناها وهو نور الأنجيل وهدايتة ما اقر لنا به صاحبك فى كتابه ولم يذكره وجميع الأديان والامم مقرون مذعنون لنا به لا يتهيا لهم دفعة ولا يمكن لهم ابطاله فامعن يرحمك الله النظر فى هذا الفصل من كتابنا وردد فكرك فيه كفعل من يريد نصح نفسه لا كفعل من يريد غشها فان النصيحة واجبة على الناس جميعا وهى على المرء لنفسة خاصة حق والحق حق ينزع فلا ينبغى أن تبخس الحق حقة ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم بحولة وقوته انتهى .

اقول اعلم أن هذه الاية التى ذكرها النصرانى هى من سورة الفاتحة التى نقراها فى كل صلاة كما أن النصارى يقرؤن فى كل صلاة اعطنا خبزنا الكمات الاتى ذكرها اخر البحث ان شاء الله تعالى ولنذكر تفسير جميع كلماتها على وجه الاجمال لنرى الفرق بين الصلاة الخبزية النصرانية وبين الفاتحة المشتملة على الثناء وعلى الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده وانها هى الوافية الكافية والسبع المثانى ، الشافية الحاوية لعلوم

تعجز عن حصرها الأقلام وتكل عما فيها من دقائق المعانى أفكار العلماء الأعلام قال الله تعالى فى كتابة العظيم المنزل على نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم بسم الله الرحمن الرحيم هى على القول المشهور من خواص هذه الأمة المحمدية لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر بكتابة باسمك اللهم الى أن نزل « باسم الله مجراها » فأمر بكتابة باسم الله ، حتى نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى » فأمر بكتابة بسم الله الرحمن الى أن نزلت آية « انه من سليمان وانه الله الرحمن الرحيم » فأمر بكتابتها .

وقيل أن الله تعالى افتتح بها كل كتاب . والباء للاستعانة والمصاحبة ، والمراد التبرك باسم الله تعالى وفى الاستعانة تلميح من أول وهلة الى اسقاط الحول والقوة ونفى استقلال قدرة العباد وتأثيرها ، وهو استفتاح لباب الرحمة ، وظفر يكثر لا حول ولا قوة الا بالله . ومتعلق الجار والمجرور محذوف أى اتلو وابتدىء أو ابتدائى ، والاسم هو اللفظ الدال على المسمى وقد يطلق عين المسمى على نفس الذات والحقيقة والوجود والعين وهى اسماء مترادفة فالاسم اذ ذاك والله علم عربى مرتجل جامد عند الأكثر خلص لذات واجب الوجود تفرد به البارى سبحانه ، بحيث لم يطلق على غيره ولا يشركه فيه أحد .

وقيل مشتق من اله بمعنى مألوه أى معبود ، وقيل من اله كفرح اذا تحير لتحير العقول فى كنه ذلته وصفاته ، وثبت فى الحديث الصحيح «أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » وقال تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » « والرحمن الرحيم » المشهور أنهما صفتان مشبهتان بنيتا لافادة البالغة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : هما اسمان أحدهما أرق من الآخر وقيل معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيد ، والرحمة ارادة الخير والاحسان لأهله . وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب ، واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الأول صفة ذات ، وعلى الثانى صفة فعل ، وأسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون

المبادىء التى هى انفعالات ، وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة .

وقد ورد فى انجيل لوقا اطلاق لفظ الرحيم عليه تعالى ففى الاصحاح السادس منه ما لفظه : « فكونوا رحماء كما هو رحيم أبوكم » أ. هـ.

ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهى نوع الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلى الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال ، فقال جل شأنه : « الحمد لله رب العالمين » والحمد على المشهور : هو الثناء باللسان على الجميل ، سواء تعلق بالفضائل أم بالفواضل .

وقال ابن جرير : الحمد ثناء أثنى به سبحانه على نفسه وفى ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه ، فكأنه قال قولوا الحمد لله ، ثم رجح اتحاد الحمد والشكر . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : الحمد لله كلمة الشكر ، وقال عليه الصلاة والسلام « اذا قلت الحمد لله رب العالمين ، فقد شكرت الله تعالى فزادك » وآل فى الحمد للاستغراق أو الجنس ، والرب اسم من اسماء الله تعالى ولا يقل عندنا أعنى المسلمين فى غيره تعالى الا بالاضافة كرب الدار مثلا وهو فى الأصل مصدر بمعنى التربية ، وهى تبليغ الشىء لى كماله بحسب استعداده الأزلى شيئا فشيئا ، وكأنها من ربى الصغير كعلا اذا نشأ فعدى بالتضعيف ووصف به للمبالغة الحقيقية أو الصورية فيكون مجازا .

وقيل هو صفة مشبهة ، وقيل اسم فاعل وأصله راب فحذفت الفه كما قالوا رجل بار ويطلق أيضا على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب ، وحمله الزمخشرى هنا على معنى المالك . والعالمين قيل جمع عالم وهو كالخاتم اسم لما يعلم به الخالق تعالى شأنه ، وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض ويطلق على مجموع الأجناس وهو الشائع كما يطلق على واحد منها فصاعدا ، فكأنه اسم للقدر المشترك .

وقال ابن عباس — رضى الله عنه — العالمون هم الجن والانس . وقيل اسم جمع عالم بالفتح وليس جمعا له لأن العالم عام فى العقلاء وغيرهم ، والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه . وذهب كثير الى أنه جمع عالم حقيقية الجمع .

« مالك يوم الدين » أي وقت الحساب والجزاء للخلائق وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ، الا من عفى عنه ، فلا يملك أحد معه تعالى فى ذلك اليوم حكما كملكهم فى الدنيا ، ولا يدعى أحد هنالك شيئا ولا يتكلم أحد الا باذنه ، والدين الجزاء يقال كما تدين تدان . وقال تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين » يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله» وفى الحديث«البر لا يبلى والاثم لاينسى والديان لايموت فكن كما شئت » وفى هذه الآية من الفاتحة اثبات المعاد كما أن فيما سبق توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فى قوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » أى نخصك بالعبادة ولا نعبد غيرك ونوحدك ونطيعك خاضعين لك ، ومنك لا من غيرك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا . والعبادة أعلى مراتب الخضوع ولا يجوز شرعا ولا عقلا فعلها الا لله تعالى لأنه المستحق لذلك لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما ، ولذلك يحرم السجود لغيره سبحانه لانه وضع أشرف الاعضاء على أهون الأشياء وهو التراب ، وموطىء الاقدام والنعال غاية الخضوع ، وتستعمل بمعنى الطاعة وبمعنى الدعاء وبمعنى التوحيد ومنه قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وكلها متقاربة المعنى .

وذكر بعض المحققين أن لها ثلاث درجات ، لأنه اما ان يعبد الله رغبة فى ثوابه ورهبة من عقابه ، ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متابعة الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو أدوم وأشرف ، وهذه مرتبة نازلة عند أهل الله وتسمى عبادة ، واما أن يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته أو لقبوله لتكاليفه أو بالانتساب اليه ، وهذه مرتبة متوسطة ، وتسمى بالمعبودية ، واما أن يعبد الله تعالى لاستحقاقه الذاتى من غير نظر الى نفسه بوجه من الوجوه لا يقتضيه الا الخضوع والذلة ، وهذه أعلى الدرجات وتسمى بالعبودية ، واليه الاشارة بقول المصلى : أصلى الله تعالى فانه لو قال : أصلى لثوابه تعالى مثلا أو للتشرف بعبادته فسدت صلاته .

وفى هذه الآية ابطال الجبر والقدر معا ، ووجه الاستدلال : أن « اياك

نعبد » مشير الى صدور الفعل من العباد ، وذلك يستدعي قدرة يكون بها الايجاد ، ومن لا قدره له أو له قدرة لا مدخل لها فى الايجاد ، لا يقال أوجدو « اياك نستعين » يدل على نفى الاستقلال فيه ، وأنه باذن الله تعالى واعانته كما يشير اليه لا حول ولا قوة الا بالله . وهذا هو اللبن السائغ الذى يخرج من بين فرث ودم فلا جبر ولا تفويض ، ولولا خشية الخروج مما نحن بصدده ، لاستوفينا الكلام فى هذه المسألة التى حيرت أفهام الأنام :

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى فؤادى . ولكن للمقال مواضع

ولنذكر لك فوائد :

الأولى : فى سر قوله « نعبد» دون أعبد ، فقد قيل هو الاشارة الى حال العبد كأنه يقول الهى ما بلغت عبادتى الى حيث أذكرها وحدها لأنها ممزوجة بالتقصير ولكن أخلطها بعبادة جميع العابدين ، وأذكر الكل بعبارة واحدة حتى لا يلزم تفريق الصفقة ، وقيل لو قال اياك أعبد لكان ذلك بمعنى أنا العابد ، ولما قال « اياك نعبد » كان المعنى انى واحد من عبيدك وفرق بين الأمرين ، وسيأتيك فى كلام العلامة « ابن القيم » ما يزيدك وضوحا فى هذا المقام .

الثانية : فى سر تكرار « اياك » فقيل التنصيص على طلب العون منه تعالى فانه لو قال اياك نعبد ونستعين لا حتمل أن يكون اخبارا بطلب المعونة من غير أن يعين ممن يطلب . وقيل لأنه لو اقتصر على واحد ربما توهم أنه لا يتقرب الى الله تعالى بالجمع بينهما والواقع خلافه . وقيل انه جمع بينهما للتأكيد وقيل أنه تعليم منا فى تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة .

وقال الوالد نور الله تعالى مرقده ان التكرار للاشعار أن حيثية تعلق العبادة به تعالى غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه ، ولو قال اياك نعبد ونستعين لتوهم أن الحيثية واحدة ، والشأن ليس كذلك ، اذ لابد فى طلب الاعانة من توسط صفة ولا كذلك فى العبادة ، فلا اختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها اليه .

الثالثة : انما قدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رءوس الآى ولكون الأولى وسيلة الى الثانية .

الرابعة : انما عدل من الغيبة الى الخطاب للتفنن فى الكلام والعدول من أسلوب الى آخر تطربة له وتنشيطا للسامع ، وفيه الترقى من البرهان الى العيان ، والانتقال من الغيبة الى الشهود ، ومن المعقول الى المحسوس .

وقيل لما شرح الله صدر عبده وافاض على قلبه وقالبه نور الايمان والاسلام من عنده ترقى فى بذريعة الحمد المستجلب لمزيد النعم الى رتبة الاحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، مع أن العرب يستكثرون من الالتفات فى كلامهم لفوائد تستدعيه ويرون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب آخر كان أدخل فى القبول وألذ للقلوب وأكثر ايقاظا كما تقور فى علم المعانى .

ثم قال تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » الى آخر السورة وحيث أن عبد المسيح قد اعترض على هذه الآيات البينات ، فلنذكر ما قاله العلامة الحافظ ابن القيم فى كتابه « بدائع الفوائد » مما يتعلق بجوابه على وجه الاقتصار ومنه ينقشع ظلام الليل ويتبين لكل ذى عينين ضياء النهار .

فقد قال فيه : « ان فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » الآيات عشرين مسألة احداها ما فائدة البدل فى الدعاء والداعى مخاطب لمن لا يحتاج الى البيان والبدل يقصد به بيان الاسم الأول ؟ الثانية : ما فائدة تعريف الصراط المستقيم باللام ؟ وهلا اخبر عنه بمجرد اللفظ دونها كما قال تعالى : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » ؟ الثالثة : ما معنى الصراط ؟ ومن أى شىء اشتقاقه ؟ ولم جاء على وزن فعال ؟ ولم ذكر فى أكثر المواضع فى القرآن بهذا اللفظ وفى سورة الاحقاف ذكر بلفظ الطريق فقال « يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » ؟ الرابعة : ما الحكمة فى اضافته الى قوله تعالى « الذين انعمت عليهم » بهذا اللفظ ولم يذكرهم خصوصهم فيقول صراط النبيين والصديقين ؟ فلم عدل الى لفظ

المبهم دون المفسر ؟ الخامسة ما الحكمة في التعبير عنهم بلفظ الذين مع صلتها دون ان يقال المنعم عليهم وهو أخص كما قال « المغضوب عليهم » ؟ وما الفرق السادسة : ولم فرق بين المنعم عليهم والمغضوب عليهم فقال في أهل النعمة « الذين أنعمت عليهم » وفي أهل الغضب « المغضوب عليهم » بحذف الفاعل ؟ السابعة : لم قال « اهدنا الصراط » فعدى الفعل بنفسه ولم يعد بالى كما قال سبحانه « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقال « واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » الثامنة : ان قوله تعالى « الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » يقتضى أن نعمته مختصة بالأولين دون المغضوب عليهم والضالين ، وهذا حجة لمن ذهب الى انه لا نعمة لله على كافر فهل هذا استدلال صحيح أم لا ؟ التاسعة ان يقال لم وصفهم بلفظ غير ، وهلا قال لا المغضوب عليهم كما قال ولا الضالين ؟ وهذا كما تقول مررت بزيد لا عمرو .

العاشرة : كيف جرت صفة على الموصول وهى لا تتعرف بالاضافة وليس المحل محل عطف بيان ، اذ بابه الاعلام ولا محل ابدال ، اذ المقصود في باب البدل هو الثانى والأول توطئة وفى باب الصفات المقصود والأول والثانى بيان ، وهذا شأن هذا الموضع ، فان المقصود ذكر النعم عليهم ووصفهم بمغايرقهم فريقى الغضب والضلال .

الحادية عشر : اذا ثبت ذلك في البدل ، فالصراط المستقيم مقصود للاخبار عنه بذلك ، وليس فى نية الطرح ، فكيف جاء صراط الذين أنعمت عليهم بدلا منه ؟ وما فائدة البدل هنا ؟ الثانية عشر : أنه قد ثبت فى الحديث الذى رواه الترمذى والامام أحمد وأبو حاتم تفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود ، والنصارى بأنهم الضالون ، فما وجه هذا التقسيم والاختصاص ، وكل من الطائفتين ضال مغضوب عليهم ؟ الثالثة عشر : لم قدم المغضوب عليهم فى اللفظ على الضالين ؟ الرابعة عشر : لم أتى فى أهل الغضب بصيغة مفعول المأخوذة من فعل ، ولم يأت فى الضلال بذلك فيقال المضلين ، بل اتى فيهم بصيغة فاعل المأخوذة من فعل ؟ الخامسة عشر ما فائدة العطف بلا هنا ، ولو قيل المغضوب عليهم والضالين لم يخل الكلام

وكان أوجز ؟ السادسة عشر : اذ قد عطف بها ، فباب العطف بابها مع الواو والنفي ، نحو ما قام زيد ولا عمر ، وكقوله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون » الى قوله سبحانه « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم » وأما بدون الواو فبابها الايجاب نحو مررت بزيد لا عمرو .

فهذه ست عشر مسألة فى ذلك السابعة عشر : هل الهداية هنا هداية التعريف والبيان أو هداية التوفيق والالهام ؟ الثامنة : عشر كل مؤمن مأمور بهذا الدعاء أمرا لازما لا يقوم غيره مقامة ولابد منه ، وهذا انما يسأله فى الصلاة بعد هدايته ، فما وجه السؤال لأمر حاصل ؟ وكيف يطلب تحصيل الحاصل ؟ التاسعة عشر : ما فائدة الاتيان بضمير الجمع فى « اهدنا » والداعى يسأل ربه لنفسه وخارجها لا يليق به ضمير الجمع ؟ ولهذا يقول رب اغفر لى وارحمنى وتب على .

العشرون : ما حقيقة الصراط المستقيم الذى يتصوره العبد وقت سؤاله ؟ فهذه أربع مسائل حقها أن تقدم أولا ، ولكن جر الكلام اليها بعد ترتيب المسائل السادسة عشر .

فالجواب بعون الله تعالى وتعليمه : فانه لا علم لأحد من عباده الا ما علمه ولا قوة له الا باعانته .

أما المسألة الأولى : وهى فائدة البدل فى الدعاء أن الآية وردت فى معرض التعليم للعباد الدعاء ، وحق الداعى أن يستشعر عند دعائه ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الايمان الا به ، اذ الدعاء مخ العبادة ، والمخ لا يكون الا فى عظم والعظم لا يكون الا فى لحم ودم ، فاذا وجب احضار معتقدات الايمان عند الدعاء ، ووجب أن يكون المطلب ممزوجا باثناء فمن ثم لفظ الطلب للهداية والرغبة فيها مشوبا بالخبر تصريحا من الداعى بمعتقده وتوسلا منه بذلك الاعتقاد الصحيح الى ربه فكان متوسلا اليه بأيمانة واعتقاده أن صراط الحق هو الصراط المستقيم أنه صراط الذين اختصهم بنعمته وحباهم بكرامتة ، فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم » والمخالفون للحق يزعمون انهم على الصراط المستقيم أيضا ، والداعى يجب عليه اعتقاد خلافهم

واظهار الحق الذى فى نفسه ، فلذلك أبدل وبين لهم ليمرن اللسان على اعتقاد الجنان ، ففى ضمن هذا الدعاء المهم الاخبار بفائدتين جليليتين احداهما فائدة الخبر والثانية فائدة لازم الخبر ، فأما فائدة الخبر فهى الاخبار عنه بالاستقامة ، وأنه الصراط الذى نصبه لأهل نعمته وكرامته . وأما فائدة لازم الخبر فاقرار الداعى بذلك وتصديقه وتوسله بهذا الاقرار الى ربه سبحانه . فهذه أربع فوائد : الدعاء بالهداية اليه ، والخبر عنه بذلك ، والاقرار والتصديق بشأنه ، والتوسل الى المدعو اليه بهذا التصديق وفيه فائدة خامسة : وهى أن الداعى انما أمر بذلك لحاجته اليه وان سعادته وفلاحه لا يتم الا به ، وهو مأمور بتدبير ما يطلب وتصور معناه ، فذكر له من أوصافه ما اذا تصور فى خلده وقام بقلبه كان أشد طلبا له وأعظم رغبة وأحرص على دوام الطلب والسؤال له ، فتأمل هذه النكتة البديعة .

وأما المسألة الثانية : وهى تعريف الصراط باللام هنا فاعلم أن الألف واللام اذا دخلت على اسم موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره الا ترى أن قولك جالس فقيها وعالما ليس كقولك جالس الفقيه والعالم ، ولا قولك أكلت الطيب ، ألا ترى قوله ﷺ أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ، ثم قال ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثة وادخلها على اسم الرب تعالى ووعده وكلامه ، فاذا عرفت هذا فلو قال اهدنا صراطا مستقيما لكان الداعى انما يطلب الهداية الى صراط مستقيم على الاطلاق ، وليس المراد ذلك ، بل المراد الهداية الى الصراط المعين الذى نصبه لأهل نعمته وجعله بطريقا لرضوانه وجنته وهو دينه الذى لا دين له سواه ، فالمطلوب أمر معين فى الخارج والذهن لا شىء مطلق من ذلك ، فاللام هنا للعهد العلمى الذهنى ، وهو أنه طلب الهداية الى معهود ، وقد قام فى القلوب بمعرفته والتصديق به وتميزه عن سائر طريق الضلال ، فلم يكن يدل من التعريف .

فان قيل : فلم جاء منكرا فى بعض الآيات نحو قوله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » ؟ فالجواب : انها ليست فى مقام الدعاء والطلب ، وانما هى فى مقام الاخبار من الله عز وجل عن هداية رسوله

اليه ، ولم يكن للمخاطبين عهد فيه ، ولم يكن معروفا لهم فلم يجىء معرفا بلام العهد المشيرة الى معروف فى ذهن المخاطب ، قائم فى خلده ، ولا تقدمه فى اللفظ معهود تكون اللام مصروفة اليه ، وانما يأتى لام العهد فى أحد هذين الموضعين اعنى أن يكون لها معهود ذهنى أو ذكري لفظى ، واذ لا واحد منهما فى هذه المواضع ، فالتنكير هو الأصل وهذا بخلاف قوله « اهدنا الصراط المستقيم » فانه لما تقرر عند المخاطبين أن لله صراطا مستقيما هدى اليه أنبياءه ورسله وكان المخاطب سبحانه المسئول منه هدايته عالما به ، دخلت اللام عليه .

وأما المسألة الثالثة : وهى اشتقاق الصراط فالمشهور أنه من صرطت الشىء أصرطه اذا بلعته بلعا سهلا فسمى الطريق صراطا لأنه يسترط المارة عليه ، والصراط ما جمع خمسة أوصاف : أن يكون طريقا مستقيما سهلا مسلوكا واسعا موصلا الى المقصود فلا تسمى العرب الطريق المعوج صراطا ولا الصعب المشتق ولا المسدود غير الموصل .

ومن تأمل موارد الصراط فى لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك .

قال الشاعر :

أمير المؤمنين على صراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

وبنو الصراط على فعال لأنه مشتمل على سالكة اشتمال الحلق على الشىء المصروط . وهذا الوزن كثير فى المشتملات على الأشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب وأما ذكره له بلفظ الطريق فى سورة الأحقاف خاصة ، فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمنى الجن أنهم قالوا لقومهم « انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » وتعبيرهم عنه ههنا بالطريق فيه نكتة بديعة ، وهى أنهم قدموا قبله ذكر موسى وان الكتاب الذى سمعوه مصدقا لما بين يديه من كتاب موسى وغيره ، فكان كالنيابة عن رسول الله ﷺ فى قوله لقومه : « ما كنت بدعا من الرسل » أى لم أكن أول رسول بعث الى أهل الأرض بل تقدمت قبلى رسل من الله تعالى الى الأمم وانا بعثت مصدقا لهم بمثل ما بعثوا به من التوحيد والايمان ، فقال مؤمنو الجن

« انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » أى الى سبيل مطروق ، وقد مرت عليه الرسل قبله وأنه ليس ببدع كما قال فى أول السورة نفسها فاقتضت البلاغة والاعجاز لفظ الطريق لأنه فعيل بمعنى مفعول أى مطروق مشت عليه الرسل والأنبياء قبلى فحقيق على من صدق رسل الله تعالى وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه ، فذكر الطريق ههنا اذا أولى لأنه أدخل فى باب الدعوة والتنبيه على تعين اتباعه عليه الصلام والسلام .

وأما المسألة الرابعة : وهى اضافته الى الموصول المبهم ، دون أن يقول : صراط النبيين والمرسلين ، ففيه ثلاث فوائد .

أحدها احضار العلم واشعار الذهن عند سماع هذا بأن استحقاق كونهم من المنعم عليهم ، هو بهدايتهم الى هذا الصراط ، فيه صاروا من أهل النعمة ، وهذا كمل تعلق الحكم بالصلة دون الاسم الجامد ، لما فيه من الاعلام باستحقاق ما علق عليها من الحكم بها ، وهو كقوله « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم » — « والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون » — « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم » وهذا الباب مطرد ، فالاتيان بالاسم موصولا أدل على هذا المعنى من ذكر الاسم الخاص .

الفائدة الثانية : فيه اشارة الى نفى التقليد عن القلب واستشعار العلم بأن من هدى الى هذا الصراط ، فقد أنعم عليه ، فالسائل مستشعر بسؤاله الهداية اليه ، طلب الانعام من الله تعالى عليه . والفرق بين هذا الوجه والذى قبله : أن الأول يتضمن الاخبار بأن أهل النعمة هم أهل الهداية ، والثانى يتضمن الطلب والارادة أن يكون منهم .

الفائدة الثالثة : ان الآية عامة فى جميع طبقات المنعم عليهم ، ولو أتى باسم خاص لم يكن فيه سؤال الهداية الى صراط جميع المنعم عليهم ، فكان فى الأتيان بالاسم العام من الفائدة أن المسئول الهدى الى جميع

تفاصيل الطريق التى سلكها كل من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وهذا أجل مطلوب وأعظم مسئول ولو عرف الداعى قدر هذا السؤال لجعله هجيراه وقرنه بأنفاسه ، فانه لم يدع شيئا من خير الدنيا والآخرة الا تضمنه ، ولما كان بهذه المثابة فرضه الله تعالى على جميع عباده فرضا متكررا فى اليوم والليلة لا يقوم غيره مقامه ، ومن هنا تعلم تعين الفاتحة فى الصلاة وأنها ليس عنها عوض يقوم مقامها .

وأما المسألة الخامسة : وهى أنه قال « الذين أنعمت عليهم » ولم يقل المنعم عليهم كما قال المغضوب عليهم » فجوابها .

وجواب المسألة السادسة : واحد ، وفيه فوائد عديدة :

أحدهما : أن هذا جاء على الطريقة المعهودة فى القرآن وهى أن أفعال الاحسان والرحمة والجود تضاف الى الله سبحانه فيذكر فاعلها منسوبة اليه ولا يبنى الفعل معها للمفعول ، فاذا جاء الى أفعال العدل والجزاء والعقوبة ، حذف الفاعل وبنى الفعل معها للمفعول أدبا فى الخطاب ، فمنه هذه الآية فانه ذكر النعمة فاضافها اليه ولم يحذف فاعلها ، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول ، فقال « المغضوب عليهم » وقال فى الاحسان « الذين أنعمت عليهم » ونظيره قول ابراهيم عليه السلام « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين » وقوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن : « وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم رشدا » ونحو هذا كثير فى القرآن الكريم .

الفائدة الثانية : أن الانعام بالهداية تستوجب شكر المنعم بها ، وأصل الشكر ذكر المنعم والعمل بطاعته ، وكان من شكره ابراز الضمير المتضمن لذكره تعالى ، الذى هو أساس الشكر ، وكان فى قوله سبحانه « أنعمت عليهم » من ذكره واضافة النعمة اليه ما ليس فى ذكر المنعم عليهم لو قاله ، فتضمن هذا اللفظ الأصلين ، وهما الشكر والذكر المذكورين فى قوله تعالى : « فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

الفائدة الثالثة : أن النعمة بالهداية الى الصراط لله وحده ، وهو المنعم بالهداية دون أن يشركه أحد فى نعمته فاقتضى اختصاصه بها أن تضاف اليه وقصرها عليه ، فقال : « أنعمت عليهم » أى أنت وحدك المنعم المحسن المتفضل بهذه النعمة ، وأما الغضب فان الله سبحانه غضب على من يكن من أهل الهداية الى هذا الصراط وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم ، وذلك يستلزم غضبهم عليهم موافقة لغضب ربهم عليهم ، فموافقته تعالى تقتضى أن تغضب على من غضب عليه وترضى عمن رضى عنه ، فتغضب لغضبه وترض لرضاه . وهذا حقيقة العبودية . واليهود قد غضب الله عليهم فحقيق بالمؤمنين الغضب عليهم ، فحذف فاعل الغضب وقال « المغضوب عليهم » لما كان للمؤمن نصيب من غضبهم على من غضب الله عليه ، بخلاف الانعام فانه لله وحده ، فتأمل هذه النكتة البديعة .

الفائدة الرابعة : ان المغضوب عليهم فى مقام الاعراض عنهم وترك الالتفات اليهم والاشارة الى نفس الصفة التى لهم والاقتصار عليها ، وأما أهل النعمة فهم فى مقام الاشارة اليهم وتعينهم والاشادة بذكرهم ، واذا ثبت هذا فالألف واللام فى المغضوب ، وان كانت بمعنى الذى فليست مثل الذى فى التصريح والاشارة الى تعيين ذات المسمى ، فان قولك الذين فعلوا وقولك الضاربون والمضربون ليس فيه ما فى قولك الذين ضربوا أو ضربوا ، فتأمل ذلك ، فالذين أنعمت عليهم اشارة الى تعريفهم بأعيانهم وقصد ذواتهم ، بخلاف المغضوب عليهم ، فالمقصود التحذير من صفتهم والاعراض عنهم وعدم الالتفات اليهم ، والمقول عليه من الاجوبة ما تقدم .

وأما المسألة السابعة : وهى تعدية الفعل هنا بنفسه دون حرف الى فجوابها : ان فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة وبحرف الى تارة وباللام تارة والثلاثة فى القرآن الكريم فمن المعدى بنفسه هذه الآية وقوله تعالى « ويهديك صراطا مستقيما » ومن المعدى باللام قوله تعالى فى قول أهل الجنة « الحمد لله الذى هدانا لهذا » وقوله عز وجل « ان هذا القرآن يهدى

للتى هى أقوم » والفروق بين هذه المواضع تدق جدا عن أفهام العلماء ولكن نذكر قاعدة تشير الى الفرق وهى أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لابد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر ، وهذا بحسب اختلاف معانى الحروف فان ظهر اختلاف الحرفين ظهر فرق نحو رغبت فيه ورغبت عنه ، وعدلت اليه وعدلت عنه ، وان تقاربت معنى الأدوات عسر الفرق نحو قصدت اليه وقصدت له ، وهديته الى كذا وهيدته لكذا .

وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر .

وأما المحققون من غيرهم فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ، ومعنى مع غيره فينظرون الى الحرف وما يستدعى من الأفعال فيشربون الفعل المعدى به معناه وهذه طريقة امام الصناعة سيبويه ، وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل ولا يقيمون الحرف مقام الحرف ، وهى قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعى فطنة ولطافة فى الذهن ، وهذا نحو قوله تعالى « عينا يشرب بها عباد الله » فانهم يضمنون يشرب معنى يروى فيعبدونه بالباء التى يطلبها فيكون فى ذلك دليل على الفعلين أحدهما بالتصريح به والثانى بالتضمن والاشارة اليه بالحرف الذى يقتضيه ، مع غاية الاختصار ، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها .

ومنه قول الشاعر فى السحاب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضرلهن نئيج

أى روين به ثم ترفعن ، وهذا أحسن من أن يقال يشرب منها فانه لا دلالة فيه على الرى ، وأن يقال يروى بها لأنه لا يدل على الشرب بصريحة بل باللزوم ، فاذا قال يشرب بها دل على الشرب بصريحه وعلى الرى بحرف الباء فتأمله ، فاذا عرفت هذا ففعل الهداية متى عدى تضمن الاتصال الى الغاية المطلوبة ، فأتى بحرف الغاية ومتى عدى باللام تضمن التخصيص بالشىء المطلوب ، فاتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين ، فاذا قلت هديته لكذا فهم معنى دخرته له وجعلته له وهيأته ونحو هذا ، واذا

تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك وهو التعريف والبيان والالهام ؛ فالقائل اذا قال « اهدنا الصراط المستقيم » هو طالب من الله سبحانه وتعالى أن يعرفه اياه ويبينه له ويلهمه اياه ويقدره عليه ، فيجعل فى قلبه وعلمه وارادته والقدرة اليه فجرد الفعل من الحرف وأتى به مجردا معدى بنفسه ليتضمن هذه المراتب كلها ولو عدى بحرف لتعين معناه وتخصص بحسب معنى الحرف ، فتأمله ، فانه من دقائق اللغة وأسرارها .

وأما المسألة الثامنة : وهى أنه خص أهل الهداية بالنعمة دون غيرهم ، فهذه مسألة اختلف الناس فيها وطال الحجاج من الطرفين ، وهى أنه هل لله تعالى على الكافر نعمة أم لا ؟ فمن نافه يحتج بهذه الآية وبقوله عز وجل « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فخص هؤلاء بالنعام ، فدل على أن غيرهم غير منعم عليه ، وبقوله سبحانه لعباده المؤمنين « ولأتم نعمتى عليكم » وبأن الانعام ينافى الانتقام والعقوبة ، فأى نعمة على من خلق للعذاب الأبدى ؟ ومن مثبت محتج بقوله عز شأنه « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » وقوله سبحانة لليهود : يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » وهذا خطاب لهم فى حال كفرهم ، وبقوله تعالى فى سورة النعم وهى سورة النحل التى عدد فيها نعمه المشتركة على عباده من أولها الى قوله « كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ، فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وهذا نص صريح لا يحتمل صرفا .

واحتجوا بأن البر والفاجر والمؤمن والكافر كلهم يعيش فى نعمة الله تعالى ، وكل أحد مقر لله بأنه يعيش فى نعمته وهذا معلوم بالاضطرار عند جميع أصناف بنى آدم الا من كابر وجحد حق الله سبحانه وكفر بنعمته .

وفصل الخطاب فى المسألة : أن النعمة المطلقة مختصة بأهل الايمان لا يشركهم فيها سواهم ومطلق النعمة عام للخليقة كلهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم ، فالنعمة المطلقة التامة هى المتصلة بسعادة الأبد

وبالنعيم المقيم — فهذه غير مشتركة — ومطلق النعمة عام مشترك ، فان أراد النافى سلب النعمة المطلقة ، أصاب ، وان أراد سلب مطلق النعمة أخطأوا ، وان أراد المثبت اثبات النعمة المطلقة للكافر أخطأوا وان أراد اثبات مطلق النعمة أصاب ، وبهذا تتفق الأدلة ويزول النزاع ويتبين أن كل واحد من الفريقين معه خطأ وصواب ، والله تعالى الموفق .

وأما قوله تعالى « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى » فانما يذكرهم نعمته على آبائهم ، ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة بأن أنجاهم من آل فرعون وبأن فرق بهم البحر وبأن وعد موسى أربعين ليلة ، فضلوا بعده ، ثم تاب عليهم وعفى عنهم ، الى غير ذلك من نعمه التى يعددها ، وانما كانت لأسلافهم وآبائهم فأمرهم أن يذكروها ليدعوهم ذكرهم لها الى طاعته والايمان برسوله والتحذير من عقوبته بما عاقب به من لم يؤمن برسوله ولم ينقد لدينه وطاعته ، فكانت نعمته على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعى منهم شكرا ، فكيف تجعلون مكان الشكر عليها كفركم برسولى وتكذيبكم له ومعاداتكم اياه ؟ وهذا لا يدل على أن نعمته المطلقة التامة حاصلة لهم فى حال كفرهم والله تعالى أعلم .

وأما المسألة التاسعة : وهى انه قال : « غير المغضوب عليهم » فيقال لا ريب أن « لا » يعطف بها بعد الايجاب ، كما تقول جاءنى زيد لا عمرو ، وجاءنى العالم لا الجاهل ، وأما غير فهى تابع لما قبلها وهى صفة ليس لا كما سيأتى ، وأخراج الكلام هنا مخرج الصفة احسن من اخراجه مخرج العطف ، وهذا انما يعلم اذا عرف فرق ما بين العطف فى هذا الموضع والوصف ، فنقول لو أخرج الكلام مخرج العطف وقيل « صراط الذين أنعمت عليهم » لا المغضوب عليهم لم يكن فى العطف بها اكثر من نفى اضافة الصراط الى المغضوب عليهم ، كما هو مقتضى العطف ، فانك اذا قلت جاء فى العالم لا الجاهل لم يكن فى العطف أكثر من نفى المجىء عن الجاهل واثباته للعالم ، وأما الاتيان بلفظ غير فهى صفة لما قبلها فأفاد الكلام معها وصفهم بشيئين : أحدهما : انهم منعهم عليهم

الثانى : أنهم غير مغضوب عليهم ، فأفاد ما يفيد العطف مع زيادة الثناء عليهم ومدحهم ، فانه تضمن صفتين ثبوتية وهى كونهم منعما عليهم وصفة سلبية وهى كونهم غير مستحقين لو صف الغضب ، وأنهم مغايرون لأهله . وهذا لما أريد بها هذا المعنى جرت صفة على الذين انعم عليهم ، ولم تكن منصوبة على الاستثناء لأنها يزول منها معنى الوصفية المقصود .

وفيه فائدة أخرى : وهى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى أدعوا أنهم هم المنعم عليهم دون أهل الاسلام فكانه قيل لهم المنعم عليهم غيركم لا أنتم وقيل للمسلمين : المغضوب عليهم غيركم لا أنتم فالاتيان بلفظه « غير » فى هذا السياق أحسن وأدل على اثبات المغايرة المطلوبة فتأمله ، وتمأل وتأمل كيف قال « المغضوب عليهم ولا الضالين » ولم يقل اليهود والنصارى ، مع أنهم الموصوفون بذلك ، تجريدا لوصفهم بالغضب والضلال الذى به غايروا المنعم عليهم ، ولم يكونوا منهم بسبيل ، لأن الانعام المطلق ينافى الغضب والضلال ، فلا يثبت لمغضوب عليه ولا ضال ، فتبارك من أودع كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد .

وأما المسألة العاشرة : وهى جريان « غير » صفة على المعرفة وهى لا تتعرف بالاضافة ففيه ثلاثة أجوبة أحدها أن غيرا هنا بدل لا صفة وبدل النكرة من المعرفة جائز وهذا قول مردود من وجوه مذكورة فى محلها الثانى أن غير ههنا صح جريانه صفة على المعرفة لأنها موصول والموصول مبهم غير معين ، ففيه رائحة من النكرة لابهامه ، فانه غير دال على معين ، فصح وصفه بغير لقربه من النكرة الثالث — وهو الصحيح — أن غيرا ههنا قد تعرفت بالاضافة فان المانع لها من تعريفها شدة ابهامها وعمومها فى كل مغاير للمذكور فلا يحصل بها تعيين ، ولهذا تجرى صفة على النكرة فتقول رجل غيرك يقول كذا ويفعل كذا فتجرى صفة للنكرة مع اضافتها الى المعرفة ، ومعلوم أن هذا الابهام يزول بوقوعها بين متضادين

بذكر أحدهما ثم تضيفها الى الثانى فتتعين بالاضافة ويزول الابهام الذى يمنع تعريفها بالاضافة ، كما قال :

نحن بنو عمرو الهجان الأزهر النسب المعروف غير المنكر

افلا تراه أجرى غير المنكر صفة على النسب كما أجرى عليه المعروف لأنهما صفتان معينتان فلا ابهام فى غير لأن مقابلها المعروف وهو معرفة وضده المنكر متميز ، فتعين كتعين المعروف أعنى تعين الجنس وهكذا قوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » فالمنعم عليهم هم غير المغضوب عليهم فاذا كان الأول معرفة كانت غير معرفة لاضافتها الى محصل متميز غير مبهم فاكتسب منه التعريف ، وينبغى أن يتفطن ههنا لنكتة لطيفة فى غير تكشف لك حقيقة أمرها وأين تكون وأين تكون نكرة وهى أن غيرا هى نفس ما تكون تابعة له وضد ما هى مضافة اليه ، وهى واقعة على متبوعها وقوع الاسم المرادف على مرادفه ، فان المعروف هو نفسه غير المنكر والمنعم عليهم هم غير المغضوب عليهم ، هذا حقيقة اللفظ فاذا كان متبوعها نكرة لم تكن الا نكرة ، وان أضيفت كما اذا قلت رجل غيرك فعل كذا وكذا ، واذا كان متبوعها معرفة لم تكن الا معرفة كما اذا قلت المحسن غير المسىء محبوب معظم عند الناس ، والبر غير الفاجر مهيب ، فهذا لايكون فيه غير الا معرفة فتأمله .

وأما المسألة الحادية عشر : وهى فائدة اخراج الكلام فى قوله سبحانه « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » مخرج البدل مع أن الأول فى نية الطرح .

فالجواب : أن قولهم الأول فى البدل فى نية الاطراح كلام لا يصح أن يؤخذ على اطلاقه ، بل البدل نوعان نوع يكون الأول فيه فى نية الطرح وهو بدل البعض من الكل وبدل الاشتمال لان المقصود هو الثانى لا الاول وقد تقدم نوع لا ينوى فيه طرح الاول وهو بدل الكل من الكل بل يكون الثانى فيه بمنزلة التذكير والتوكيد وتقوية النسبة مع ما تعطيه النسبة الاسنادية اليه

من الفائدة المتجددة الزائدة على الاول فيكون فائدة البدل للتوكيد والاشعار بحصول وصف البدل منه فانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم فكأن الذهن طلب هل هذا الصراط مختص بنا أم سلكه غيرنا ممن هداه الله تعالى ؟ فقال « صراط الذين أنعمت عليهم » وهذا كما اذا دللت رجلا على طريق لايعرفها واردت توكيد الدلالة وتحريضة على لزومها وأن لا يفارقها فانت تقول له هذه هى الطريق الموصلة الى مقصودك ، ثم تزيد ذلك عنده توكيدا وتقوية فتقول هى الطريق التى يسلكها الناس والمسافرون وأهل النجاة ، فلا ترى كيف أفاد وصفك لها بأنها طريق السالكين الناجين قدرا زائدا على وصفك لها بأنها طريق موصلة وقريبة سهلة مستقيمة فان النفوس مجبولة على التاسى والمتابعة فاذا ذكر لها من تتاسى به في سلوكها انست واقتحمتها عليهم

وأما المسألة الثانية عشر : وهى ما وجه تفسير المغضوب عليهم باليهود ، الضالين بالنصارى مع تلازم وصفى الغضب والضلال ؟

والجواب : أن يقال : هذا ليس بتخصيص يقتضى نفى كل صفة من أصحاب الصفة الاخرى فان كل مغضوب عليه ضال وكل ضال مغضوب عليه لكن ذكر كل طائفة باشهر وصفيها وألحقها به والصفة بها وأن ذلك هو الوصف الغالب عليها وهذا مطابق لوصف الله تعالى اليهود بالغضب فى القرآن والنصارى بالضلال ، فهو تفسير الآية بالصفة التى وصفهم بها فى ذلك الموضع أما اليهود فقال تعالى فى حقهم « فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » وفى تكرير هذا الغضب هنا أقوال : منها أن الغضب الأول بسبب ما عطلوه من شرائع التوراة وتحريفهم وتبديلهم وتكذيبهم المسيح ، والغضب الثانى بكفرهم بمحمد ﷺ .

وقال تعالى فى شأنهم « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله : من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير » فهذا غضب مشفوع باللعنة والمسخ وهو من أشد ما يكون من الغضب .

وأما وصف النصارى بالضلال ففى قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » فهذا خطاب للنصارى لأنه فى سياق خطابه معهم بقوله سبحانه « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح

مريم ، وقال المسيح : يا بنى اسرائيل اعبدوا الله » الى قوله « وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة ٧٢ — ٧٧) فوصفهم بأنهم قد ضلوا أولا ثم أضلوا كثيرا وهم أتباعهم ، فلما بعث النبى ﷺ ازدادوا اضلالا آخر بتكذيبهم له وكفرهم به ، فتضاعف الضلال فى حقهم .

ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل الى نيله الا بمعرفة الحق وايثاره على غيره ، ولما كان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق والغى يمنعه من ارادته ، كان العبد أحوج شىء الى أن يسأل الله كل وقت أن يهديه الى الصراط المستقيم تعريفا وبيانا وارشادا والهاما وتوفيقا واعانة ، فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريدا له قاصدا لاتباعه ، فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم ، والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال .

ومن تصور وعلم أحوال هاتين الأمتين وعلم أحوال الخلق عرف أن ليس للعبد دعاء أنفع من هذه السورة ولا أوجب من هذا الدعاء عليه ، وأن حاجته اليه أعظم من حاجته الى الحياة والنفس ، لأن غاية ما يقدر بفوتهما موته .

قلت وليت شعرى هل يشبه دعاء النصارى فى صلواتهم وقراءتهم التى هى عندهم بمنزلة الفاتحة عندنا من قولهم « أعطنا خبزنا » المارة عليك سابقا فاتحة الكتاب عند ذوى الألباب ، فنسأل الله تعالى أن يهدينا الى الصراط المستقيم « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

وأما المسألة الثالثة عشر وهو تقديم المغضوب على الضالين فلوجوه عديدة احدها : أنهم مقدمون عليهم بالزمان الثانى : أنهم كانوا هم الذين يلون النبى ﷺ من أهل الكتابين فانهم كانوا جيرانه فى المدينة والنصارى كانت دبارهم نائية عنه ، ولهذا تجد خطاب اليهود والكلام معهم فى القرآن أكثر من خطاب النصارى الثالث : ان اليهود على ما قيل أغلظ كفرا من النصارى ، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة ، فان كفرهم عن عناد وبغى لا سيما وقد كفروا بنبيين وهما نبينا ﷺ وعيسى عليه السلام ،

فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أهم وأحق بالتقديم الرابع : أنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الانعام ، والسورة هى السبع المثانى التى يذكر فيها الشىء ومقابله ، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم ، ففيه من الازدواج والمقابلة ما ليس فى تقديم الضالين ، فقولك : الناس منعم عليه ومغضوب عليه ، فكن من المنعم عليهم أحسن من قولك : منعم عليه وضـــال .

واما المسألة الرابعة عشر : وهى أنه أتى فى أهل الغضب باسم المفعول ، وفى الضالين باسم الفاعل ، فجوابها ظاهر فان أهل الغضب من غضب الله تعالى عليهم وأصابهم غضبه فهم مغضوب عليهم ، وأما أهل الضلالة فانهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ، ولهذا استحقوا العقوبة عليه ولا يليق أن يقال ولا المضلين مبينا للمفعول ، لما فى رائحته من اقامة عذرهم وأنهم لم يكتسبوا الضلال بل فعل فيهم .

ولا استرواح فى هذا للقدرية (١) فانا نقول : انهم هم الذين ضلوا ، وان كان الله تعالى أضلهم بلى . فيه رد على الجبرية الذين لا ينسبون الى العبد فعلا الا على ، جهة المجاز لا الحقيقة فتضمنت الآية الرد عليهم كما تضمن قوله سبحانه : « اهدنا الصراط المستقيم » الرد على القدرية ففى الآية

---

(١) يقصد بالقدرية : المعتزلة ــ أهل العــدل التوحيد ــ والمؤلف قال : « ففى الآية ابطال قول الطائفتين والشهادة لأهل الحق أنهم هم المصيبون وهم المثبتون للقدر ، توحيدا وخلقا ، ولاضافة أفعال العبــاد اليهم عملا وكسبا » وظاهر عبارته هو اثبات الاختيار ، وباطنها هو اثبات الجبر الا أن يكون كلاما لا معنى له . وبيان ذلك :

١ ــ قول الله تعالى « ختم الله على قلوبهم » يدل ظاهره على الجبر

٢ ــ قول الله تعالى « فبظلم من الذين هادوا ، حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » يدل على الاختيار . أى أنهم ظلموا فى البدء . وهذا اختيار . ولما ظلموا وكانوا قادرين على أن لا يظلموا ، حرم الله عليهم طيبات كانت من قبل طعاما لهم . وللتوفيق بين النصين هذين . قالت المعتزلة : أن الله تفضل بجوده ورحمته على عباده بنعمة العقل وحرية الارادة ليتحقق عدله =

ابطال قول الطائفتين ، والشهادة لأهل الحق أنهم هم المصيبون وهم المثبتون للقدر توحيدا وخلقا ولاضافة أفعال العباد اليهم عملا وكسبا ، وهو متعلق الأمر والنهى ، كما أن الأول متعلق الخلق والقدرة فاقتضت الآية الكريمة اثبات الشرع والقدر والمعاد والنبوة ، فان النعمة والغضب هو ثوابه وعقابه والمنعم عليهم رسله واتباعهم ليس الا وهداية اتباعهم انما تكون على أيديهم ، فاقتضت اثبات النبوة بأقرب طريق وأبينها وأدلها على عموم الحاجة وشدة الضرورة اليها وانه لا سبيل للعبد أن يكون من المنعم عليهم الا بهداية الله تعالى له ، ولا تنال هذه الهداية الا على أيدى الرسل وأن هذه الهداية لها ثمرة وهى النعمة التامة المطلقة فى دار النعيم ولخلافها ثمرة وهي الغضب المقتضى للشقاء الأبدى ، فتأمل كيف اشتملت هذه الآية مع وجازتها واختصارها على أهم مطالب الدين وأجلها والله تعالى الهادى الى سواء السبيل .

وأما المسألة الخامسة عشرة وهى : ما فائدة زيادة « لابين » المعطوف

=

فى اثابة المطيع وتعذيب العاصى . وختمه على قلوبهم لم يكن الا بعد ظلمهم لأنفسهم . ويؤكده قوله تعالى : « وضرب الله مثلا : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ، بما كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) فانهم بسبب صنعهم ، أذاقهم ، ولم يذقهم قبل اختيارهم للصنع .

والجبرية نظروا فى القولين هذين . وقالوا : ان الله يختم على قلب العبد اذا أراد ولا راد لمشيئته . ولم يعملوا العقل للتوفيق بين القولين . واكتفوا بقولهم ان الظلم الذى حصل من اليهود ، قد نسبه الله اليهم مجازا . وفى الحقيقة لا فاعل الا هو — كما قال المؤلف —

قال المؤلف : نحن نأخذ بالقولين ، ولا نعمل العقل للتوفيق بينهما . فنسلم بمشيئة الله المطلقة . ونسلم بمشيئة للعباد . كما نسلم بيد لله لقوله « يد الله » ونسلم بنفى الكيفية لقوله « ليس كمثله شىء » ومن يسلم بيد ، وينفى كيفيتها فقد أثبت جسما ومن أثبت جسما فقد أثبت جهة . ومن أثبت جهته ، اثبت خلو جهات من الله . وهذا هو الذى يدفع المعتزلة لتأويل اليد بالقدرة .

والمعطوف عليه ففى ذلك أربع فوائد احدها : أن ذكرها تأكيد للنفى الذى تضمنه « غير » فلولا ما فيها من معنى النفى ، لما عطف عليها بلامع الواو ، فهو فى قوة لا المغضوب عليهم ولا الضالين أو غير المغضوب عليهم وغير الضالين . الفائدة الثانية : ان المراد المغايرة الواقعة بين النوعين وبين كل نوع بمفرده ، فلو لم يذكره لقيل غير المغضوب عليهم والضالين ، أوهم أن المراد ما غاير المجموع المركب من النوعين ، لا ما غاير كل نوع بمفرده ، فاذا قيل : ولا الضالين كان صريحا فى أن المراد صراط غير هؤلاء وغير هؤلاء . وبيان ذلك : أنك اذا قلت ما قام زيد وعمرو فانما نفيت القيام عنهما ولا يلزم من ذلك نفيه عن كل واحد منهما بمفرده ، فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو وكان صريحا فى تسليط النفى على كل واحد منهما الفائدة الثالثة : رفع توهم أن الضالين وصف المغضوب عليهم ، وانهم صنف واحد وصفوا بالغضب والضلال ، ودخل العطف بينهما كما يدخل فى عطف الصفات بعضها على بعض نحو قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون » الى آخرها . فان هذه صفات المؤمنين . ومثل قوله تعالى : « سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » ونظائره فلما دخلت « لا علم » أنهما صفتان متغايرتان مقصودتان بالذكر .

وكانت « لا » أولى بهذا المعنى من « غير » لوجوه : احدها : أنها أقل حروفا الثانى : التنائى من تكرار اللفظ الثالث : الثقل الحاصل بالنطق بغير مرتين من غير فصل الا بكلمة مفردة ، ولا ريب أنه ثقيل على اللسان الرابع أن لا انما يعطف بها بعد النفى ، فالاتيان بها مؤذن بنفى الغضب عن أصحاب الصراط المستقيم كما نفى عنهم الضلال ، وغير وان افهمت هذا فلا أدخل فى النفى منها . وقد عرف بهذا جواب المسألة السادسة عشر وهى أن لا انما يعطف بها فى النفى .

وأما المسألة السابعة عشر : وهى أن الهداية هنا من أى أنواع الهدايات ؟ فاعلم أن أنواع الهداية أربعة .

أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة فى قوله تعالى : « الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » أى أعطى كل شىء صورته التى لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهيأته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه الى ما خلقه له من الاعمال . وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بارادته الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخر لما خلق له ، فله هداية تليق به وان اختلفت أنواعها وضروبها ، وكذلك بكل عضو هداية تليق به ، فهدى الرجلين للمشى واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين بكشف المرئيات ، وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان الى الازدواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد الى التقام الثدى عند وضعه وطلبه ، وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصى عليها ثم تأوى الى بيوتها وهداها الى اطاعة يعسوبها وأتباعه ، ثم هداها الى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها الا هو فتبارك الله رب العالمين .

ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة فى العالم شهد له بأنه الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وانتقل من معرفة هذه الهداية الى اثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طرق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة ، فان من لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة بل هداها الى هذه الهداية التى تعجز عقول العقلاء عنها ، كيف يليق به أن يترك النوع الانسانى الذى هو خلاصة الوجود الذى كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملا وسدى معطلا لا يهديه الى أقصى كمالاته وأفضل غاياته ، بل يتركه معطلا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه ؟ وهل هذه الا مناف لحكمته ونسبته له الى ما لا يليق بجلاله ؟

ولهذا انكر ذلك على من زعمه ونزه نفسه وهى أنه وهى أنه يستحيل نسبة ذلك اليه وانه يتعالى عنه فقال سبحانه « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق » فنزه نفسه عن

هذا الحسبان ، فدل على أنه مستقر بطلانه فى الفطر السليمة والعقول المستقيمة ، وهذا أحد ما يدل على اثبات المعاد بالعقل وأنه مما تضافر عليه العقل والشرع كما هو أصح الطريقتين فى ذلك . ومن فهم هـذا فهم سر اقتران قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون » بقوله تعالى : « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ؟ قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون » وكيف جاء ذلك فى معرض جوابهم عن هذا السؤال والاشارة به الى اثبات النبوة ، وأن من لم يهمل أمر كل دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ، بل جعلها أمما وهداها الى غايتها ومصالحها كيف لا يهديكم الى كمالكم ومصالحكم ؟ فهذه أحد أنواع الهداية وأعمها .

النوع الثانى : هداية البيان والدلالة والتعريف لتحدى الخير والشر وطريقى النجاة والهلاك ، وهـذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فانها سبب وشرط لا موجب ، ولهذا ينتفى الهدى معها كقوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » أى بينا لهم وأرشـدناهم ودللناهم فلم يهتدوا . ومنها قوله تعالى : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم »

النـوع الثالث : هداية التوفيق والالهام وهى الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها . وهى المذكورة فى قوله تعالى « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » وفى قوله تعالى « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل » وفى قول النبى ﷺ « من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له » وفى قوله تعالى : « انك لا تهدى من أحببت » فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان ، فى قوله : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم »

النوع الرابع : غاية هذه الهداية وهى الهداية الى الجنة والنـار اذا اسيق أهلهما اليهما قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصـالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » وقـال

أهل الجنة فيها : « الحمد لله الذى هدانا لهذا » وقال تعالى عن أهل النار : « احشروا الذين ظلموا أزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم » اذا عرف هذا فالهداية المسئولة فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » انما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة ، فهى طلب التعريف والبيان ، وهو حاصل له . وكذلك الالهام والتوفيق ، قيل : هذه هى المسألة الثانية عشر ، وقد أجاب عنها من أجاب بأن المراد انتثبيت ودوام الهداية ، ونحن نبين بحمد الله أن الأمر فوق ما أجاب به وأعظم من ذلك بحول الله تعالى .

فاعلم : أن العبد لا يحصل له الهدى التام المطلوب الا بعد ستة أمور ، هو محتاج اليها : الاول : معرفته فى جميع ما يأتيه ويذره بكونه محبوبا للرب تعالى مرضيا له فيؤثره ، وكونه مبغوضا له مسخوطا له فيجتنبه فان نقص من هذا العلم والمعرفة شىء نقص من الهداية التامة بحسبه . الأمر الثانى : أن يكون مريد الجميع ما يحب الله تعالى منه أن يفعله عازما عليه ومريدا لترك جميع ما نهى الله تعالى عنه عازما على تركه بعد خطورة بالبال مفصلا وعازما على تركه من حيث الجملة مجملا ، فان نقص من ارادته لذلك شىء نقص من الهدى التام بحسب ما نقص من الارادة . الأمر الثالث أن يكون قائما به فعلا وتركا فان نقص من فصله شىء نقص من هداه بحسبه ، فهذه ثلاثة هى أصول فى الهداية ويتبعها ثلاثة هى من تمامها وكمالها أحدها : أمور هدى اليها جملة ولم يهتد الى تفاصيلها فهو محتاج الى هداية التفصيل فيها . الثانى : أمور هدى اليها من وجه دون وجه ، فهو محتاج الى تمام الهداية فيها لتكمل له هدايتها . الثالث : الأمور التى هدى اليها تفصيلا من جميع وجوهها فهو محتاج الى الاستمرار على الهداية والدوام عليها . فهذه ستة أصول تتعلق بما يعزم على فعله وتركه ويتعلق بالماضى أمر سابع ، وهو أمور وقعت منه على غير جهة الاستقامة فهو محتاج الى تداركها بالتوبة منها وتبديلها بغيرها . واذا كان كذلك فانما يقال كيف يسأل الهداية وهى موجودة له ؟ ثم يجب عن ذلك : بأن المراد التثبيت والدوام عليه اذا كانت هذه المراتب الست

حاصلة له بالفعل ، فحينئذ يكون سؤاله الهدايا سؤال تثبيت ودوام ، فاما اذا كان ما يجهله أضعاف ما يعمله وما لا يريده من رشده أكثر مما يريده ولا سبيل له الى فعله الا بأن يخلق الله تعالى فاعليته ، فالمسئول هو أصل الهداية على الدوام تعليما وتوفيقا وخلقا للارادة فيه وأقدارا له وخلقا لفاعليته وتثبيتا له على ذلك ، فعلم أنه ليس أعظم ضرورة منه الى سؤاله الهداية أصلها وتفصيلها علما وعملا ، والتثبيت عليها والدوام الى الممات . وسر ذلك : أن العبد مفتقر الى الهداية فى كل نفس فى جميع ما يأتيه ويذره أصلا وتفصيلا وتثبيتا ومفتقرا الى مزيد العلم بالهدى على الدوام ، فليس له انفع ولا هو الى شىء أحوج من سؤال الهداية .

فنسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يثبت قلوبنا على دينه آمين .

واما المسألة التاسعة عشر : وهى الاتيان بالضمير فى قوله جل وعز « اهدنا » ضمير جمع فقد قال بعض العلماء فى جوابه : ان كل عضو من أعضاء العبد وكل حاسة ظاهرة وباطنه مفتقر الى هداية خاصة به أتى بصيغة الجمع تنزيلا لكل عضو من أعضائه منزلة المسترشد والطالب لهداه والصواب أن يقال : هذا مطابق لقوله تعالى : « اياك نعبد واياك نستعين » والاتيان بضمير الجمع فى الموضعين أحسن وأفخم ، فان المقام مقام عبودية وافتقار الى الرب تعالى بالفاقة الى عبوديته واستعانته وهدايته فأتى فيه بصيغة الجمع أى نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية ، وهذا كما يقول العبد الملك المعظم لشأنه : نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك ، فيكون هذا أحسن وأعظم موقعا عند الملك من أن يكون : أنا عبدك ومملوكك . ولهذا لو قال : أنا وحدى مملوكك ، استدعى مقته فاذا قال أنا وكل من فى البلد مماليكك وعبيدك وجندلك ، كان أعظم وأفخم لأن ذلك يتضمن أن عبيدك كثيرون جدا وانا واحد منهم فكلنا مشتركون فى عبوديتك والاستعانة وطلب الهداية منك ، فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب سبحانه بسعة مجده وكثرة عبيده وكثرة سائليه الهداية ما لا يتضمنه لفظ الافراد ، فتأمله ،

وإذا تأملت أدعية القرآن ورأيت عامتها على هذا النمط نحو « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

وأما المسألة المتممة للعشرين : وهي ما هو الصراط المستقيم ؟ فنذكر فيه قولا وجيزا فان العلماء قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته . وحقيقته شيء واحد ، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلا لهم اليه ولا طريق اليه سواه ، بل الطرق كلها مسدودة عن الخلق الا طريقة الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلا لعبـــاده اليه وهـــو افراده بالعبودية فلا يشرك به أحدا في عبوديته ولا يشرك برسوله عليه الصلاة والسلام أحدا في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول . وهذا معنى قول بعض العارفين « ان السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين : صدق محبته : ، وحسن معاملته » وهذا كله مضمون شهادة أن لا اله الا الله محمدا رسول الله ، فأي شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله ، فلا يكون في قلبك موضع الا معمور بحبه ولا يكون لك ارادة الا متعلقة بمرضاته فالأول يحصل بالتحقق بشهادة أن لا اله الا الله ، الثاني يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله . وهذا هو الهدى ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله تعالى رسله والقيام به ، فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها . وهو معنى قول من قال : « علوم وأعمال ظاهرة وباطنة مستفادة من مشكاة النبوة » ومعنى قول من قال : « متابعة رسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا علما وعملا » ومعنى قول من قال : « الا قرار لله تعالى بالوحدانية والاستقامة على أمره ، وأما ما عدا هذا من الاقوال كقول من قال : « الصلوات الخمس » وقول من قال « هو أركان الاسلام الخمس التي عليها » فكل هذه الاقوال تمثيل وتنويع لا تفسير مطابق له ، بل هي جزء من أجزائه وحقيقته الجامعة ما تقدم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

انتهى هـــذا .

وأما آمين فليســـت من القرآن بل هي من كلام النبي عليه الصلاة

والســـلام وهى اسم فعل بمعنى اســـتجب ، أى اللهم اسمع دعاءنا واستجب لنا .

واذا علمت ما تمزقت به شبه هذا النصرانى فى اعتراضه علينا بقراءة الفاتحة فى صلواتنا فاتحة الكتاب الجامعة من الأدعية لب اللباب ، فاستمع فاتحتهم ليظهر الفرق لذوى الألباب . قال متى فى الأصحاح السادس من انجيله ما حرفه : « فهكذا تصلون أنتم : أبونا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ايأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى الســـماء ، على الأرض ، خبزنا كفافنا . أعطنا اليوم وأغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ الينا ولا تدخلنا فى التجارب ، لكن نجنا من الشرير آمين » انتهى . وانت تعلم أن المسلمين — ولله تعالى الحمد — لهم تسبيح فى ركوعهم وتقديس فى سجودهم واذكار كثيرة فى قيامهم وقعودهم وسور عديدة قرآنية يتلونها فى وقوفهم وأدعيته جليلة يقرءونها فى صلواتهم مما يطول الكلام عنـــد ذكرها فى هذا الكتب ، الموضوع لرد الجواب . وقد جمعت تلك الدعوات والأذكار فى ضخام الاسفار التى تشرح صدور المؤمنين وتنور قلوب ذوى البصائر والأبصار ، ونحن لم نر مما تقرأه النصارى فى صلواتهم بعـــد مطالعة كتبهم سوى هذه الصلاة الخبزية وصلاة مريم العذراء التى هى عبارة عن قولهم « يا خطيبة الله يا أم الله ، لك نصلى ونسجد » الى آخر ما ذكرناه لك فيما تقدم من هذا الكتاب ، فراجع لترى العجب العجائب .

وأما قوله « فان كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغنيت عن المسألة والتضرع » الى آخره .

لعل هذا النصرانى يتجاهل أو جاهل بما فى كتبهم من تكرار الصلاة والتضرع الى الله تعالى ولعل طلب الخبز فى كل يوم من الله تعالى الوارد عندهم أولى عنده من طلب الهـــداية والتثبيت عـــلى الايمـــان والعمل الصالح منه سبحانه ، واذا لم يكن معنى لتكرار الدعاء ، فلم يقول بولس الرسول فى رسالته موصيا أهل ملته : « لا تهتموا بشىء بل فى كل حين بالصلاة والتضرع والشكر ، فلتعرف طلباتكم قدام الله » انتهى .

وقد قال داود فى المزمور الخامس والعشرين « عرفنى يـارب طرقك ، وسبيلك علمنى ، وأرشدنى الى حقك ، وعلمنى ، لانك أنت هو الهى ومخلصى واياك رجوت كل الايام ، صالح هو الرب يهدى الودعاء بالحكم (١) » انتهى . ومثله كثير ولو كان الدعاء مرة واحدة يكفى ، فلم كان المسيح يكرر صلواته لا سيما ليلة صلبه وداود فى مزاميره يوالى فى كل يوم دعواته مع انهما نبيان مغفور لهما ما يكون وكان ، معصومان من العصيان ؟ فتدبر أيها المنصـف اعتراضات هذا النصرانى وانظر الى ما حرره من باطل المبانى والمعانى ، وتأمل كيف أضله الله على علم حتى سلب منه الدراية والفهم ، وأراد أن يموه على الجاهلين بكلامه ويصيدهم بشبكة حيله ودجله ويستفرز من استطاع منهم برجله وخيله ويريهم الحق باطلا ليوقعهم فى ظلامه وينال بزعمه الفاسد كأسد مرامه ، فبالله نعتصم من كيد الخائنين والدجالين ونسـاله سبحانه أن يهدى الى الايمان بوحدانيته من طلب الحق المبين آمين .

---

(١) النص فى المزمور الخامس والعشرين من ترجمة البروتستانت وفى الرابع والعشرين من ترجمة الكاثوليك .

قـــال النصراني : « وأما قولك يرحمك الله أن أكتب بما عندى من أمر ديني والذى صح فى يدى منه آمنا مطمئنا لتبصر فيه وتجمعه الى ما فى يدك فما أولاك بذلك أصلحك الله وما أجدرك بفعله لأن الحجة عليك أوجب منها على غيرك ، لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات ، والحق أهم أن يفضله ذوو العقول على الأمور كلها لجلالة مرتبته لانه ميز أن الله سبحانه ودستوره . ونحن نساله تعالى أن يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر فيما يمليه عليها الروح القدس نظرا ينفعك الله به فى العاجل والآجل كما نساله عز وجل ان يفعل ذلك أيضا بكل من ينظر فى كتابنا هذا بمنه وكرمه ، فلنبدأ الآن بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس ألسنتنا بالأخبار عن أسباب البشارة الطاهرة المقدسة ونصدر بعض شهادات الأنبياء الذين استودعهم الله سره وكلمهم بوحيه وأمرهم بأن يخبروا الناس بما هو مزمع عليه فى سابق علمه من اكمال نعمه عندهم واتمام تفضله عليهم ، ببعث ابنه الحبيب الذى هو كلمته الخالقة ، فاتخذ منهم جسدا بشريا وصار انسانا يجب له بذلك المجد والســـجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين ، والاذعان بالربوبية المتحدة به ، والألوهية الحالة فيه . وليعلم الناس مخاطبته اياهم شفاها مصرحا أن الله الواحد المثلث الأقانيم آب وابن وروح قدس ، اله واحـــد تام ، فيستكملوا النعمة بالمعرفة . فيكون عز وجل قد أتم جوده عليهم واحسانه اليهم بتعريفهم سره المخزون وتكون حجته بالغة ، وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل : انه لم يؤت المعرفة وأن الأمر كان مستورا عنه محجوبا دونه مرموزا لا يفهمه ، فحينئذ لا عذر لمن جحد لحق ولا علة لمن عانده . كما قال بولس رسول المسيح (لينسد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله (رومية ٣) وقال الله تعالى على لسان موسى فى التوراة فى الســـفر الأول الذى هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيل الله ، لما قربت وفاته دعا أولاده كلهم فباركهم وأخبرهم بما هـــو مزمع أن يكون فى آخر الزمان وأودعهم هذا السر ولم يزل يبارك واحـــد فواحد حتى انتهى الى يهوذا ، الذى من نسله ولدت المغبوطة مريم أم المسيح مخلص العالم ، فقال :

يهوذا لك تخضع اخـــوتك يدك على أكتاف أعدائك ، يسجد لك بنو أبيك ، شبل ليث يهوذا ، من فريسة صعدت يابنى ، جثار وربض كاسد وكلبوة ، من ينهضه ؟ لا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه ، حتى يجىء الملك واياه تنتظر الشعوب) (تكوين) فانظر أعزك الله فى هذا الكلام نظرا روحانيا مستقصيا يعين العدل والانصاف وتفهمه ، فان لم يفهمه لم ينتفع به ، هل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيه الا على المســـيح مخلص العالم ؟ لأنه هو الخارج من يهوذا بانسانيته وله خضع بنو اسرائيل لما دخلوا فى دعوته ، وصارت يـــد الروم التى هى يده على أكتاف من عاداه من بنى اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفـــروا به ، فقتلهم الروم ومزقتهم كل ممزق ، فـــلا تقوم لهم قائمة أبدا ولا يزالون أذلاء الى الانقضـــاء وزوال الدنيا ، وهو الذى بعث من بين الأموات حيا بعد ثلاثة أيام من صلبه ، وهو الذى سجد له بنو اسرائيل حيث رأوا الأعاجيب والآيات التى اظهرها بين أيديهم وهو شبل الليث لأنه ابن الله القوى العزيز الجبار لم تزل النبوة تترادف فى بنى اسرائيل حتى جاء المسيح وجاء البشر الذى أثبات عنه النبوات كلها التى كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه ، فلما جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا أو بنى اسرائيل فلم يقيم بنى بعد مجيئه واياه كانت تنتظر الشعوب ، وله كانت تترجى الأمم ، وكما أنه لا معنى لمجىء الرسل بعد طلوع الملك عليهم ، كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذى هو بالحقيقة ملك كما سبقت الأنبياء وسمته ملكا .

وتنبأ زكريا النبى هاتفا بصوته عن الروح القدس على كلمة الله تبارك وتعالى فقال : (افرحى يا بنت صهيون واهتفى يابنت أورشليم هوذا ملكك ياتيك بارا ومخلصا ومتواضعا وراكبا حمارا وعلى جحش أتان فتهلل لمجيئه المراكب من أفرام والخيول من أورشليم ، ويكسر قسى القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والأمان) (زكريا ٩) فهل أصلحك الله هل كملت هـــذه النبوة الا على المسيح ؟ انه جاء بالبر والخلاص والتواضع ، ثم أباد بمجيئه من بيت المقدس وأورشليم التى هى صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب

والخيل المعدة للحرب وانكسرت القسى التى هى من آلات القتال ودالة عليه وركب جحشا بن أتان تواضعا وكلم الأمم الذين هم الشعوب بالسلم والأمان وأدخلهم فى مبرات دعوته وجعلهم أبناء ملكوت السماء الذى هو موعد الله تبارك اسمه لنا .

وهذا هو داود النبى يقول مصرحا على لسان الله : (الرب قال لى انت ابنى أنا اليوم ولدتك اسألنى فاعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك) (زبور ٢) أى أنهم مزمعون أن يدخلوا فى دعوته وطاعته وان سلطانه يمتد الى اقاصى الأرض وقال أيضا (يا أيها الملوك افهموا وباحكام الأرض اعلموا ، اعبدوا الرب بخشيته وسبحوه برعوة واقبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا بسخطه لأنه عما قليل يستشيط غضبا طوبى للمتوكلين عليه) (زبور ٢) معنى ذلك اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه ، فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لأنه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجاهدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال ، فهلكوا أو بدد شملهم وطوبى للمتوكلين عليه أى المؤمنين والمصدقين لقوله :

وقال أيضا : (قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل اعداءك موطئا لقدميك لأن الرب يبعث عصا العز من صهيون ويسلطك على أعدائك) (زبور ١٠٩) فافهم أفهمك الله كل خير قول النبى داود . وهذا فان فيه سرا يحتاج الى معرفته كل ناظر فى كتابنا هذا ليصبح عنده الأمر فأقول ان عادة العبرانيين منذ عهد موسى نجى الله ان الاحرف التى يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى أحرف منفردة لا يكتبون بها شيئا غير ذلك . وهكذا كانت هذه الاحرف فى اللوحين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه الى موسى النبى ففى قول داود عن الله عز وجل (قال الرب لربى) هما اسمان وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما أمتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه . ولا شك وذلك عن غير تواطىء ، فافهم هذا السر الذى أوعزه الله

تبارك وتعالى الى نبيه ، فانك اذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحا لقوله (قاب الرب لربى) :

وقال فى موضع آخر (الرب أشرف من علو قدسه ، الرب من السماء ظهر على الأرض ليسمع أنين الأسرى ويطلق المربوط من الموت) (زبور١٠١) ومعناه موت الخطيئة الذى هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجاء من موعد الحياة الدائمة التى بشر بها المسيح مخلصنا انه يعطينا اياها يوم القيامة قـــال : (ليدارسوا فى صهيون اسم الرب وبتسبيحه فى أورشليم عندما تجتمع الأمم والملوك معا لعبادة الرب) فقد كملت نبوة داود فهذه أورشليم تجتمع فيها الأمم ويدارســـون اسم الرب اى اسم الآب وابن والروح القدس ، الذى هو اسم الرب لمخزون ويمجدونه بأنواع التماجيد وأصناف التسابيح بالألسن المختلفة واللغات الغريبة آناء الليل والنهار لا يملون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حق عبادته بقصدهم اياها من البلدان الشاسعة وجميع أقطار الأرض البعيدة ، فمن عاند هذا يا خليلى فما هو عند أهل الحق الا جاحد كافر قد اعماه الجهل وطمس على قلبـــه الحســـد .

وهذا اشعياء المغبوط قد تنبا وصرخ بأعلى صوته قائلا : (قال الله تبارك وتعالى : تقوى أيتها الأيدى الضعيفة ويا أيتها الركب المرتعشة تثبتى ، وقل لضعفاء القلوب : تقووا ولا تخافوا فان الهكم يجيىء الهـــا مخلصا فيخلصكم ، هنالك ، وهنالكتنفتح أعين العميان وآذان الصـــــم تسمع ، ويقفز المقعد فى ذلك اليوم كالأبل ولسان البكيم يتكلم) (اش ٣٥) مكتوبان بالأحرف التى تسمى المنفردة التى لا يكتب بها الا اسم الله تبارك وأنت أرشدك الله الى الحق تعلم أن كتابك يشهد بأن المسيح الاله قـــد فعل هذا كله ، وانه أبرأ المقعد الذى كانت قد أتت عليه ثمان وثلاثون سنة . فقال له : ((قم احمل سريرك واذهب الى بيتك)) فقام عاجلا ومضى وهو الذى أبرأ ذلكالأبرص والأخرس الابكم المعتوه المشروح خبره فى الانجيل الصادق ، وما جرى من قول اليهود المكذبة البهت عندما عاينوا برءه

وخروجه سليما من جميع العاهات التى كانت به وتفريع سيدنا اياهم ودحضه حجتهم .

وقال أشعياء النبى أيضا من موضع آخر مشيرا الى مولد المسيح (اسمعوا يا بيت داود الرب يعطى علامة لشعبه ، هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) (اش ٧) تفسيره الهنا معنا ، فاى شىء يكون أكثر توضيحا من هذا ؟ فهذه بعض النبوات التى تنبأ بها الأنبياء على مجىء السيد محيى العالم وكنا نريد أن نزيد من الشهادات ولكنا كرهنا ان نطول كتابنا فيمله القارىء وفيما أتيناه كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم نفسه » انتهى .

فأقول ومنه سبحانه التوفيق أقوم طريق : ما أسهب به هذا النصرانى هنا وسود به صحائف كتابه ، فتطويل من غير طائل ، بل هو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، وتهافته وتناقضه لا يخفى على من يفرق بين الأرض والسماء ، وهو مع ما فيه من التحريف والتأويلات الفاسدة لا يفى بمقصده الفاسد وزعمه الباطل الكاسد ، لأن ما فيه من دعوى ألوهية سيدنا عيسى بن مريم ، مردودة بما مر لك وخلى فيما تقدم ، فلا حاجة بنا الآن الى اتعاب جواد القلم .

وأما دعواه نبوته عليه السلام فأمر قدره دين الاسلام وليس لنا فيها كلام ، ولولا بعثة نبينا المكرم لبقى أمر المسيح مبهم لأن اليهود كذبوه وبزعم النصارى صلبوه ، فصحة نبوته موقوفه (١) على تسليم نبوة خاتم المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا محمد ﷺ وآله أجمعين ، اذ هو الشاهد العدل لنبوة عيسى والمكذب لما رمته به أمة موسى ، فلو لم يصدقه سيدنا الرسول لما تبين خطأ اليهود الموافق للمعقول المصادم لصحيح المنقول ، فالتصديق بنبوة المسيح بن داود (٢) متوقف على الايمان بصدق القرآن

---

(١) يقصد موقوفة فى نظر المرتابين بعد ظهور الاسلام .

(٢) الصحيح أن المسيح عيسى عليه السلام من نسل هرون أخى موسى عليهما السلام .

المنزل على صاحب المقام المحمود ، والايمان بعيسى عليه السلام يلزمه الايمان بسيد الرسل الكرام لانه قد بشر به فى التوراة والانجيل بما سمعته قبل وما ستسمعه قريبا على أوضح تأويل .

فأما ما نقله عن سفر الخليقة لو فرضنا صحته وعدم تحريفه ، فقصارى ما فيه اثبات النبوة للمسيح ولا كلام لنا فيها على أن هذه الآية كما تقدم فى محله حجة على اليهود والنصارى لأنها صريحة بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام . قال فى الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين ما لفظه : « يهوذا لك يحمد اخوتك ، ويدك على قفا أعدائك ، يسجد لك بنو أبيك ، يهوذا جر وأسد ، من الافتراس صعدت يا ابنى ، جثا وربض كمثل الأسد وكمثل اللبوة ، فمن ينهضه ؟ لا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من بين رجليه حتى يجىء الذى له ، وله يكون خضوع الشعوب ، يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة ابن أتانه ، غسل بالخمر حلته وبدم العنب رداءه ، عيناه من الخمر مسودة وأسنانه مبيضة من اللبن » انتهى بحروفه من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٥ فى الموصل . وفى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ « حتى يجىء الذى له الكل واياه تنتظر الأمم ، يربط بالكرمة جحشه ، يا ابنى ، والى دالية الكرمة أتانه ، يغسل بالخمر حلته وبدم العنب رداءه ، عيناه من الخمر متباشرة وأسنانه أبيض من اللبن » انتهى بحروفه .

فهذه النسخ على اختلاف ألفاظها ، المراد من آياتها بيان حال يهوذا ابن يعقوب عليه السلام الذى هو الجد الأعلى لعيسى (١) . وقد حملها

---

(١) فهم المؤلف أن المراد بيهوذا ، شخص يهوذا . والصحيح : أن المراد بيهوذا هو الاشارة الى جميع اليهود بأسرهم . والمعنى : لا يزول الملك من اليهود والشريعة ، شريعة التوراة يعرفها الناس تحت امرة الرؤساء منهم والملوك . حتى يأتى من ينسخها ويتسلم الملك من اليهود . وعيسى عليه السلام من اليهود ، من نسل هرون أخى موسى من جهة أمه رضى الله عنها وليس من نسل يهوذا . والذى تخضع له الشعوب لا يكون هو ،

النصرانى وغيره من النصارى على البشارة به مع أنها صريحة فى البشارة برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام .

قال مفسرهم فى النسخة المطبوعة فى الموصل : فى قوله « يربط بالكرمة جحشه » الى آخره ما لفظه : « المعنى الحرفى هو عن يهوذا من حيث هو يكون كراما ماهرا والمعنى الرمزى هو عن المسيح المذكور فى الآية السابقة من حيث يضم بالكرمة أى بكنيسة الشعوب ، جحشه أى أمة اليهود » انتهى . وفى قوله غسل بالخمر الخ « أى خضب جسمه وفديت كنيسته بدمه » انتهى .

وأنت تعلم أن قوله لا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من بين فخذه حق يجىء الذى له الكل واياه تنتظر الأمم ، صريح فى نبينا عليه الصلاة والسلام لأن عيسى عليه السلام لم تخضع له الشعوب بل قتلوه بزعم النصارى ، وأنه لم يكن له حكم على بنى اسرائيل ولا عصا ولا سيف يسوسهم به ، بل كان شاردا عنهم متعبدا فى الجبال ، ثم ان قوله حتى يجىء الذى له الكل غاية لملك أولاد يهوذا (١) ، يعنى أن ملكهم ورياستهم غايتها الى مجىء من له الكل الذى تنتظره الأمم فاذا جاء ، فقد انقطعت رئاستهم وزال قضيبهم ، فحتى هنا مثلها فى قوله تعالى : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » أى أن عبدة العجل من بنى اسرائيل قالوا لا نبرح عن عبادته الى أن يرجع موسى من المناجاة ، يعنى فاذا رجع فقد انتهى عكوفهم ، وكذلك هنا المعنى لا يزول الملك من

كما يدعى النصارى ، ولا يكون من اليهود والى اليوم لم يأت كما هو أحد الرأيين عند اليهود الآن . وانما يكون من غير اليهود . وحيث ان التوراة نصت على بركة لاسماعيل عليه السلام فان الذى تخضع له الشعوب يكون من اسماعيل لتتحقق بركته المنصوص عليها فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين .

(١) غاية لملك اليهود بأسرهم .

يهوذا والمدبر من نسله الى أن يجىء الذى تنتظره الأمم ، فاذا جاء فقد زال الملك من بين فخذه ، ولو كان كما زعم النصارى أن المراد به سيدنا عيسى عليه السلام لقال لا يزول القضيب من يهوذا الى يوم القيامة ، فلما غياه الى مجىء من له الكل ، علمنا أن من له الكل ليس من نسل يهوذا ، وعيسى من نسله (٢) فهو نص صريح على أن المراد به غير عيسى ، وليس عندنا من خضعت له الشعوب وانتظره الكل غير نبينا عليه الصلاة والسلام ، ولا يكابر فى هذا الا من يغش نفسه ، ويستر بالجحود حدسه .

قوله : « **افرحى يا بنت صهيون ، واهتفى يا بنت أورشليم** » الى آخره اعلم أن هذا من الاصحاح التاسع من سفر زكريا ، وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٢ هكذا « ابتهجى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتى اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان ، وأقطع المركبة من أفرايم والقوس من أورشليم ، وتقطع قوس الحرب ويتكلم بالسلام للامم وسلطانه من البحر الى البحر ، ومن النهر الى أقاصى الأرض » انتهى . وفى الاصحاح الثانى منه : « ترنمى وافرحى يا بنت صهيون لأنى هأنذا آتى وأسكن فى وسطك يقول الرب فيتصل أمم كثيرة بالرب فى ذلك اليوم ، ويكونون لى شعبا فأسكن فى وسطك ، فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلنى اليك ، والرب يرث يهوذا نصيبه فى الأرض المقدسة ، ويختار أورشليم بعده ، اسكنوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه » انتهى بحروفه .

قال العلامة ابن القيم : « وان قلتم جعلناه الها لقول زكريا فى نبوته افرحى يا بنت صهيون لأنى آتيك وأحل فيك وأتراءى . ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعبا واحدا ويحل هو فيهم ،

---

(٢) وعيسى من اليهود من نسل هرون أخى موسى عليهم السلام .

ويعرفون الى أنا الله القوى الساكن فيك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهوذا ويملك عليهم الى الأبد . قيل لكم ان وجبت لـــه الالهية بهذا فلتجب لابراهيم وغيره من الأنبياء ، فان عند أهل الكتاب وأنتم معهم أن الله تجلى لابراهيم واستعلن له وتراءى له . وأما قوله وأحل فيك لم يرد ســبحانه بهذا حلول ذاته التى لم يسعها السموات والأرض فى بيت المقدس ، وكيف تحل ذاته فى مكان يكون فيه مقهورا مغلوبا مع شرار الخلق ؟ كيف وقد قال : ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فيك ؟ أفترى يمزقوا قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير فى يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه ، وهو يستغيث ولا يغاث . وما كان المسيح يدخل بيت المقدس الا وهو مغلوب مقهور مستخف فى أغلب أحواله ، ولو صـــح مجىء هذه الألفاظ صحة لا تدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه ، لكان معناها أن معرفة الله عز وجل والايمان به وذكره ودينه وشرعه حل فى تلك البقعة وبيت المقدس ، لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه ، حصل فيه من الايمان بالله تعالى ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك .

وجماع الأمر ان النبوات المتقدمة والكتب الالهية لم تنطق بحرف واحد يقتضى أن يكون ابن البشر الها تاما اله حق من اله حق ، وانه غير مصنوع ولا مربوب ، بل لم تخصه الا بما خصه به أخوه وأولى الناس به سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فى قوله انه عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به نبينا محمد ﷺ وذلك كله يصدق بعضه بعضا وجميع ما تستدل به المثلثة على الهية المسيح من ألفاظ وكلمات فى الكتب فانها مشتركة بين المسيح وغيره كما مر عليك ويأتيك أيضا ان شاء الله تعالى قريبا كتسميته ابنا وكلمة وروحا والها ونحو ذلك ، وكذلك من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو فى مكانه وقد وقع فى نظير شركهم وكفرهم بعض الطوائف من المنتسبين الى الاسلام واشتبه عليهم ما يحل فى قلوب العارفين من الايمان به ومعرفته ونوره وهداه ، فظنوا أن ذلك نفس ذات

الرب . وقد قال تعالى : « ولله المثل الأعلى » وقال : « وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وهو ما في قلوب ملائكته وانبيائه وعباده المؤمنين من الايمان به ومعرفته ومحبته واجلاله وتعظيمه . وهو نظير قوله تعالى : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ، فقد اهتدوا » وقوله سبحانه : « وهو الله في السموات وفي الأرض ، يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » وقوله عز وجل : « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ، وهو الحكيم العليم » فأولياء الله تعالى يعرفونه ويحبونه ويجلونه أن يحل في قلوبهم ، والمراد (١) : محبته ومعرفته ، ، والمثل الأعلى في قلوبهم لانفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم ، يقول الانسان لغيره أنت في قلبي ولازلت في عيني كما قال القائل :

---

(١) هذا النص الذي أورده المؤلف عن ابن قيم الجوزية يدل على انه يقول بالتأويل في النصوص الموهمة لجسمية الله عز وجل وحلوله في مكان . ويلزم أهل الكتاب بقوله هذا أمر يعتاده الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم . مع أن ابن قيم الجوزية قال للمسلمين في النصوص الخبرية الموهمة لجسمية الله عز وجل وحلوله في مكان : خذوا النصوص على ظواهرها بلا تكييف ولا تمثيل . وقال ابن تيمية بما قال به ابن قيم الجوزية ، قال ان الذي أوقع النصارى في الضلال هو أنهم أخذوا موهم التشبيه على ظاهره ولم يؤولوه . قال هذا في الجواب الصحيح . وقال للمسلمين في موهم التشبيه بما قال به ابنه في الايمان — وهو ابن قيم الجوزية — فما الذي دفعهما من دون المسلمين الى هذا ؟ ولماذا ؟

ففي القرآن الكريم أن ابراهيم عليه السلام قال : « اني ذاهب الى ربي » وقد كان متوجها الى فلسطين من العراق . ولم يكن الله بجسمه فيها ، وقد كان مراده : انه ذاهب الى رحمه الله وفي القرآن : قوله تعالى : « ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ، ما يمسكهن الا الله » (النحل ٧٩) والمعنى : أن قدرة الله خلقتهن على ما هن عليه . لا انه يمسك كل طيرة على حدة ، بيد جارحة لا نعلم كيفيتها .

وهذان الشيخان يقولان في « يد الله فوق أيديهم » يقولان : يد لا يعلم

ومن عجب أنى أحن اليهم ... واسأل عنهم من لقيت وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها ... ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وقال الآخر :

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... ومثواك فى قلبى ، فأين تغيب ؟

وقال الآخر

ساكن فى القلب يعمر ... لست أنساه فأذكره

وقال الآخر

ان قلت غبت فقلبى لا يصدقنى ... اذ أنت فيه فذلك النفس لم تغب
وقلت ما غبت قال الطرف ذا كذب ... وقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الآخر

أحن اليه وهو فى القلب ساكن ... فيا عجب ممن يحن بقلبه

ومن غلظ طبعه وكثف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من ألفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه وتعالى تحل فى الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

قوله : « وهذا داود ، على لسان الله يقول مصرحا : « الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » الى آخره .

فلنحرر لك جميع هذا المزمور ، ثم تجيب عنه أن شاء الله تعالى . قال فى المزمور الثانى من سفر المزامير الداودية ما لفظه المزمور

كيفيتها الا هو . مع أن النص كله مجاز . فالذين بايعوا تحت شجرة الرضوان لم يبايعوا الله بمعنى أنهم وضعوا أيديهم فى يده غير المكيفة . وانما بايعوا رسوله نيابة عنه . فقوله « انما يبايعون الله » معناه : أنهم لما بايعوا الرسول ، والرسول نائب عنه ، فكأنهم بايعوا الله . ولكن لم يبايعوه على الحقيقة . وهل يتصور عاقل أن يد الصحابى حال كونها فى يد الرسول ، كان الله يضع يده عليها وضعا غير مكيف ؟ ان العاقل يقول : « يد الله فوق أيديهم » معناه : أن قدرة الله فوق قدرتهم .

الثانى : « لماذا ارتجت الأمم ، والشعوب هذت بالباطل ؟ قامت الملوك الأرض والرؤساء ، اجتمعوا جميعا على الرب وعلى مسيحه ، لنقطع رباطاتهم ونلقى عنه نيرهم ، الساكن فى السماء يضحك بهم ، والرب يستهزىء بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، وبرجزه يرجفهم ، أنا اقمت ملكا منه على صهيون ، جبل قدسه لأخبر بأمر الرب : الرب قال لى : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثك وأملكك جميع أقاصى الأرض ، فترعاهم بعصا من حديد وكمثل آنية الفخار تسحقهم ، فالآن أيها الملوك افهموا وتأدبوا يا جميع قضاة الأرض ، اعبدوا الرب بخوف ، وهللوا له برعدة ألزموا الأدب ، لئلا يغضب الرب فتضلوا عن طريق الحق ، عندما ينفد غضبه بسرعة ، طوبى لجميع المتكلمين عليه » انتهى المزمور بحروفه .

فالجواب عن هذا من وجوه الأول يحتاج صحة هذا الكلام عن داود وأنه لم يحرف(١) بالنقل من ترجمة الى ترجمة ومن نسخة الى أخرى ، الى اثبات ودونه خرط القتاد . الثانى أن داود قال الرب قال لى أنت ابنى ، ولم يجر فى هذا المزمور لا فيما يليه اشارة الى المسيح عليه السلام . الثالث : ان النبوة والولادة لا يحملان على حقيقتهما فى هذا الكلام قطعا بل على المجاز كما هو ظاهر ، وهذا المؤلف « عبد المسيح » استعمل مثله بقوله يقول داود على لسان الله ولا شك أنه لم يقصد أن داود لسان الله حقيقة لأن الله سبحانه كيف يكون لسان داود بأى معنى استعمل اللسان كما لا يخفى على أصحاب البيان . الرابع : ان لفظ الرب له اطلاقات منها أنه بمعنى الصاحب وبمعنى السيد ولم تزل كثير من أسماء الله تعالى تقع على

---

(١) فى بعض التراجم : « قيل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك »بدل « قال أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » فى المزمور الثانى . أو هى بدل « من رحم الفجر لك طل حداثتك » فى المزمور المئة والعاشر .
والامام القرافى قد طبق المزمور على محمد ﷺ والمسيح أيضا طبقا لرواية برنابا .

غيره عند جميع الأمم وفى سائر الكتب ، ومازالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأربابا وفى السفر الثانى من التوراة : « انى جعلتك الها لفرعون » وقد قال أشعيا « عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو اسرائيل من خلقهم » . الخامس : ان المسيح أطلق فى كثير من المواضع على غير عيسى عليه السلام ففى المزمور الثامن والثمانين ما لفظه : « وجدت داود عبدى فمسحته بدهن قدسى لأن يدى تعضده وساعدى يقويه ، والعدو لا يحبك فيه وابن الاثم لا يقدر أن يضره » وفى الاصحاح الخامس والاربعين من نبوة أشعيا ما لفظه : « هذه يقولها الرب لقورش مسيحى الذى مسكت بيمينه لأخضع أمام وجهه الأمم ، وأدبر الملوك الى خلفهم » . السادس : ان الابن أطلق على غير المسيح عليه السلام ، ففى المزمور الثامن والعشرين ما لفظه : « قوموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب أبناء الكباش » وفى المزمور الثامن والثمانين ما لفظه : « أو من يتشبه بالرب فى أبناء الله » ؟ وفى الاصحاح السادس من انجيل لوقا ما لفظه : « فكونوا رحماء كما هو رحيم أبوكم » وفى السادس من متى « فان غفرتم للناس خطاياهم ، فيغفر لكم أيضا أبوكم السماوى خطاياكم » انتهى . السابع : ان لفظ ولدتك ان صح فلا يمكن حمله على الحقيقة قطعا فيحتمل أنه مشدد اللام اى ولدتك من مريم أى خلقتك وجعلت مريم تلدك ، أو المراد من ولادته انه اليوم أفاض عليه زيادة الانعام والاحسان ، فكما أن المولود عند ولادته يكون فى حياة أعلى من حياته فى بطن أمه ، فكذلك الانسان عند زيادة ألطاف الله تعالى به ، تتزايد حياته المعنوية ، وكذلك عند خروجه من غم أو من اثم ، يقول اليوم ولدتنى أمى ، وأمثال هذه الاستعارات والكنايات والمجازات فى العهد القديم والأناجيل ما لا يحصى لكثرته ، وقد تقدم لك غير مرة من ذلك ما فيه غنى عن التكرار فتذكر .

ثم اعلم أنه لا يصح حمل هذا المزمور على البشارة بالمسيح عليه السلام قطعا لأن فيه أنه يرعاهم بعصى من حديد وكمثل آنية الفخار

يسحقهم . اذ النصارى يزعمون أنه عليه السلام لازال كان خائفا من بنى اسرائيل وتخفى منهم غير مرة ولم يسحقهم ، بل هم سحقوه وصلبوه بعد أن أهانوه وجلدوه وقتلوا رسله وحواريه ، مع أنه لم يكن مأمورا(١) بجهاد أعاديه ، حتى يقال انه رعاهم بسيفه الذى هو عصى من حديد على أن هذه الكلمات صريحة فى أن هذا الراعى والملك الذى لأوامر سيده مراعى ، عبد ورسول ليس للاله سبحانه فيه اتحاد أو حلول ، فهذه البشارة فى حق سيدنا محمد ﷺ أصرح منها فى حق المسيح بن مريم ، كما لا يخفى على من ترك الجدال وسلم ، على أن هذه الكلمة دالة على رسول لأن الراعى لا يملك الغنم ، بل هى ملك لصاحبها والراعى أجير ، وليس له سوى الرعاية ، ولو كان هو الاله لكانت الغنم ملكه كما لا يخفى .

وقوله وقال أيضا : « قال الرب لربى اجلس عن يمنى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » الى آخره

ان هذه الألفاظ يقال فيها ما قلنا فى أمثالها من أنه يلزم أولا تصحيحها واثبات انها هكذا تكلم بها داود وانها لم تحرف ولم تبدل ، وأنها ترجمت بالوجه الصحيح(١) وانت تعلم تحريف كتبهم واختلاف تراجمها ودون اثبات صحتها خرط القتاد ، على أنا اذا سلمنا صحتها وسلمنا انها بشارة بنبى

---

(١) الجهاد فى سبيل الله منصوص عليه فى التوراة وفى الانجيل . ولكن المسيح عليه السلام لم يكن مأمورا بأن يكون ملكا على بنى اسرائيل لقوله : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »

(١) فى ترجمة اليسوعيين : « قال الله لسيدى » بدل قال الرب لربى . وسيد داود هو محمد ﷺ . لأن الابن لا يكون سيدا لأبيه . ووجه دلالة النبوءة على محمد ﷺ هو : أن داود عليه السلام يخبر بظهر الغيب : أن الله قال لسيد داود ... الخ . فمن هو سيد داود ؟

لا يمكن أن يكون من نسل داود . لأنه لو كان من نسله لما عبر عنه بسيده . وحيث لاسماعيل بركة . فاذن الآتى منه . وقد طبق هذه النبوءة على محمد ﷺ وعيسى عليه السلام طبقا لرواية متى ومرقس ولوقا وبرنابا . فانه سأل علماء بنى اسرائيل : المسيح المنتظر سيأتى من نسل من ؟ .... الخ (انظر كتابنا المسيا المنتظر) .

يأتى او بالمسيح عليه السلام خاصة فليس فيها ما يدل على الوهيته بل فيها الصراحة بعبوديته ونبوته ، ولم لا يمكن حملها على نبينا عليه الصلاة والسلام ، ولنذكر لك ما قبله وما بعده ليتضح الحال ويزول الاشكال قال داود : « اشكر الرب بفمى جدا وفى وسط كثيرين أسبحه ، لأنه قام من عن يمين المسكين ليخلص من المضطهدين نفسى ، قال الرب لربى اجلس من عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا تحت قدميك ، عصا قوة يرسل لك الرب من صهيون وتسود فى وسط أعدائك ، معك الرياسة فى يوم قوتك فى بهاء قديسيك ، من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك ، حلف الرب ولا يندم ، أنك أنت الكاهن الى الدهر على ترتيب ملشيصاداق(١) الرب من عن يمينك يحطم فى يوم رجزه الملوك ، يقضى بين الأمم ويملأ الجثث ، ويرض رءوس كثيرين على الأرض ، وفى الطريق يشرب من الوادى ، لذلك يرتفع رأسه » انتهى بحروفه .

فيقال للنصرانى ان دعواك الوهية المسيح عليه السلام بهذه البشارة لما فيها من اطلاق الرب عليه أو الجلوس من عن يمينه أو الولادة ، فباطلة من وجوه عديدة يستفاد بعضها مما تقدم ومما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

فالرب هو المربى باللطف والاحسان العائد بالامتنان ، وقد تستعمل فى الآدميين للتعظيم تجوزا وتوسعا لكن على جهة التقييد لا على جهة الاطلاق وهذه كتبهم تشهد بأن المعلم والمدبر والقيم يسمى ربا كما أن الرجل رب منزله وماله . وفى التوراة فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين أن ابراهيم عليه السلام « لما كان جالسا على باب خيمته فى وقت الظهر ورفع عينيه ظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهم أسرع للقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض ، وقال يارب ان كنت قد وجدت نعمة أمامك فلا تجاوز عبدك ، فانى آتى بقليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه

---

(٢) ملكى صادق فى الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين .

الشجرة ، وأضع كسرة خبز ، واسندوا قلوبكم ، ثم تجوزون » حتى أن لفظ الاله أطلق فى التوراة على غيره سبحانه وتعالى ، ففى الاصحاح السابع من سفر الخروج ما لفظه : « فقال الرب لموسى انظر فانى قد جعلتك الها لفرعون وهرون اخوك يكون لك نبيا » انتهى ومثل هذا لم يقع فى حق عيسى عليه السلام لأنه لم يخاطبه الله تعالى بالله أو نحوه ، واطلاق الاله والرب والسيد على غير الله تعالى فى العهد القديم كثير ، والسجود على وجه التعظيم والكرامة لغيره تعالى أيضا كثير فيها .

وكذا التعبير بالابن ففى الاصحاح الرابع من سفر الخروج فى التوراة ما لفظه : « وتقول لفرعون هذا ما يقول الرب ابنى بكرى اسرائيل فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى ، وأنت أبيت لتطلقه » انتهى .

وأما الولادة من البطن فلاشك أنه لا يراد بها حقيقتها بل هى مجاز وكناية عن المحبة والاحسان عليه بالنبوة ، ورفعة شأنه ، لأن النصارى القائلين بنبوته لا يقولون ولد من الله تعالى ولادة حقيقية ، ويمكن أن يكون ولدتك بتشديد اللام أى جعلتك مولودا من بطن مريم العذراء كما تقدم نظيره ، والا فكيف يحصر الاله الذى وسع كرسيه السموات والأرض بطن امرأة مخلوقة له كما لا يخفى على من له أدنى عقل .

قوله : « وهذا أشعيا المغبوط قد تنبأ وصرخ باعلى صوته قائلا قال الله تبارك وتعالى تقوى أيتها الأيدى الضعيفة » الى آخره .

لنذكر لك أولا هذا الاصحاح جميعه ، ثم نتكلم ان شاء الله تعالى بما يزيل الاشكال ويحل العقال .

قال أشعياء (١) تسر البرارى والارض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالسوسن نباتا ينبت وفرحا يفرح مسبحة كرامة لبنان أعطيت بهاء كرمل

---

(١) عبارة الأصل : قال داود . والصحيح : قال أشعياء . لأن النص فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر أشعياء .

وفصارون وهم ينظرون مجد الرب وبهاء الهنا ، قووا الأيادى المسترخية ، والركب الضعيفة فأيدوها ، قولوا لقليلى القلوب : تقووا ولا تخافوا ، ها الهكم يأتى بانتقام الجزاء ، والله ذاته هو سيأتى ويخلصكم ، حينئذ تفتح أعين العمى وتفتح آذان الصم ، حينئذ يقفز مثل الغزال الاعرج ، ويحل لسان البكم لأن انفجرت فى القفر المياه والانهار فى القفر والتى قد كانت جفيفة تكون فيها آجام والعطش لمعين الماء المضاجع التى فيها قد سكنت التنانين ينبت فيها خضرة القصب والبردى ، ويكون هنالك السبيلة والطريق ويسمى طريقا مقدسا لا يجوز فيها نجس ، وهذا يكون لكم طريقا مستقيما حتى لا يضلوا بها ولا الجهال لا يكون ، ثم أسد ووحش شرير لا يصعد فيها ولا يوجد هناك ويسلكون المخلصون والذين فداهم الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بالشكر والفرح الأبدى فوق رؤوسهم يملكون الفرح والسرور ، ويزول الوجع والنحيب » (أشعياء ٣٥) انتهى بحروفه وسيأتى آخر البحث الكلام عليه ان شاء الله تعالى .

قوله : « يدعى اسمه عمانويل »

لا يخفى أن هذا بعد احتياجه الى ثبوت هذا النقل عن أشعياء والى مطابقته الى الترجمة من غير تحريف (٢) وهذا يعز اثباته على النصارى لما قدمنا من علام صحة العهد القديم جميعه ، ومن اختلاف نسخه وتراجمه فى الألسنة المختلفة لا تدل على أن المسيح هو الله تعالى خالق السموات والأرض ، وأنه اله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع ، لأن عمانويل كلمة عبرانية ، وأن فسروها بزعمهم بالعربية بالهنا معنا لأنها لا تدل على أن العذراء (١) ولدت رب العالمين ، بل يدل على أنه يسمى

---

(٢) التوراة لم تفسر « عمانويل » بأى تفسير . وكاتب انجيل متى هو الذى فسره بالله معنا . وفات هذا المفسر أن عمانوئيل قد أتى حسب النص المذكور فى الاصحاح السابع من أشعياء ، فى عهد الملك آجاز .

(١) قوله ها العذراء تحبل وتلد ولدا ويدعى اسمه عمانويل . كلمة العذراء فى العربية تترجم بعلمه فى العبرانية ، ومعناها : المرأة الشابة سواء كانت متزوجة أم غير متزوجة . وعلى هذا المعنى لا تكون « علمه » نص فى العذراء مريم رضى الله عنها .

بهذا الاسم كما تسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والأسماء والافعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل ، ومن علماء النصارى كما نقل العلامة ابن القيم من يقول المراد بالعذراء ههنا غير مريم ، ويذكر فى قصته (٢) ويدل على هذه أن المسيح لا يعرف اسمه عمانويل وان كان ذلك اسمه فكونه يسمى الهنا معنا أو بالله حسبى أو الله وحده ، كما قد رأينا بعض الناس يسمى بعض امائه الله وكيلى ، وليس المقصود من ذلك الا التبرك باسم الله والى أنه متوكل على الله ، ومن يكن وكيله فلن يخيبه .

وقد حرف بعض النصارى هذه الكلمة وقال معناها الله معنا ورد عليهم بعض من انصف من علمائهم وحكم رشده على هواه وهداه الله تعالى للحق وبصره من عماه . وقال هذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى أنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق ام هو القائل لله انك انت الاله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح ؟ قال والأول باطل قطعا والثانى هو الذى شهد به الانجيل ويجب تصديق الانجيل وتكذيب من زعم أن المسيح اله معبود ، وقال : وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم بل عمانويل اسم تسمى به النصارى واليهود أولادهما وهذا موجود فى عصرنا هذا ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر عند الله وكذلك السريان يسمون أولادهم عمانويل والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل الله معك أو الله معنا ، فاذا سمى الرجل بذلك كان تبركا بمعنى هذ االاسم .

وفى الاصحاح الرابع عشر من سفر العدد قول يوشع بن نون وكالب بن يوفينا لبنى اسرائيل لما أرادوا أن يتركوا موسى عليه السلام ويجعلوا عليهم رئيسا غيره ما لفظهما « وان الله معنا هو فلا تخشوهم فضج كل الجماعة ، وأرادوا أن يرجموها بالحجارة » انتهى . وفى السفر

---

(٢) انظر القصة فى الاصحاح السابع من سفر أشعياء . ومنها تعلم أن الأمر كان معجزة وقتية فى زمن آحاز نفسه .

الثامن من أشعياء ما لفظه : « فتقدمت الى النبيه وحبلت وولدت ابنا فقال لى الرب ادعو اسم اسمه اغنم بسرعة » انتهى .

على أنا قد قدمنا آنفا أن لفظ الاله استعمل فى موسى عليه السلام فى التوراة فلا تغفل .

ثم اعلم أن ما ذكرته لك من تأويل هذه الكلمات بناء على تسليم انها بشارة فى المسيح عليه السلام والا فهى فى معزل عن الاشارة اليه ، ويأباها سابق الآيات ولواحقها لأن هذه الكلمات من الاصحاح السابع من سفر أشعياء وملخصه أنه كان فى أيام آحاز بن عزيا ملك يهوذا قد جاء رصين ملك آرام وفاقاح بن ظيما وفى بعض النسخ بن روملیا ملك اسرائيل الى أورشليم ليحاربا واحاس أى آحاز لم يطق للمحاربة معهما ولما سمع آحاز خاف كثيرا ، فقال الله تعالى لأشعياء النبى اذهب الى آحاز وقل له لا تخف من هذين السلطانين راصين وفيقح بن روملیا وفى بعض النسخ ابن ظيما اليا هو اللذان يقولان نصعد على سلطنة يهوذا يعنى آل يهوذا ونحارب آحاز ونأخذ أورشليم أى بيت المقدس من يده ، وأن ملكهما سيذهب أيضا من أيديهما وعاود الرب يقول لأشعياء قل لآحاز اطلب لك علامة من الرب فى قعر الأرض أو من فوقها على صحة هذه البشارة ، فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب ثم قال ان علامة هذا التبشير أن زوجة آحاز العذراء أى الفتية السن الصغيرة العمر الحاملة ، سوف تلد ابنا وتسميه هى عمانوايل يعنى الرب معنا وأن هذا الولد يأكل عند ما يولد سمنا وعسلا ، وأنه يتجنب الردى ويتخير الفعل الحسن ، وقبل ما يعرف الردى من الحسن أى قبل ما يكبر ، الأراضى التى بأيدى السلطانين وهما راصين سلطان الشام وبيقح وفى بعض النسخ فاقاح تذهب من يديهم .

انتهى ملخصا .

فعلم أن المراد من العذراء هى الامراة الصغيرة السن وهى زوجة آحاز وليست هى مريم ، فمريم خلقت بعد زوجة آحاز بنحو ستمائة سنة . وهذه البشارة لآحاز ليكون ذلك علامة له من ربه سبحانه بأنه سيغلب

الملكين وأن ملكهما سيذهب من يديهما فأى مناسبة بأن يكون ذلك فى المسيح وليس له ذكر لا فى سابق الكلام ولا فى لاحقه بل كله فى بحث آحاز والملكين فتدبره ولا تغفل ؟

وأما ما استدل به على ألوهية المسيح عليه السلام بابراء الابرص واحياء الموتى ونحو ذلك من المعجزات فقد وقع أعظم من ذلك لموسى ويوشع وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام كما لا يخفى . وخلاصة الكلام أن ادعاء المسيح للنبوة والرسالة وعدم ادعائه الألوهية طافح به الانجيل مثل قوله « الهى الهى لم تركتنى » وقوله « لا أعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى » وقوله « يارب قد علموا أنك أرسلتنى » ونحو ذلك مما مر عليك مرارا عديدة . وان جعلوه الها وابنا لاطلاق لفظ الاله والابن عليه ، فقد اطلق لفظ الاله على موسى واستعمل الأب لبنى اسرائيل ففى صلاة النصارى التى أمرهم المسيح بها كما فى الاصحاح السادس من انجيل متى « أبونا الذى فى السماء ليتقدس اسمك » وقوله عليه السلام فى الانجيل « اذهب الى أبى وأبيكم » وقوله فى انجيل لوقا فى الاصحاح السادس « كما هو رحيم أبوكم » وان جعلوه الها لأنه أخبر بالمغيبات فقد وقع للانبياء عليهم السلام مثل ذلك .

وهذا دانيال وقع له الاخبار بالمغيبات كما فى العهد القديم بل كثير من الناس يخبر عن حوادث فى المستقبل ، ويكون ذلك كما أخبر ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة ، وان جعلوه الها لأن تلاميذه ادعوا ذلك وهم اعلم الناس به كذبتهم أناجيلهم التى بأيديهم وكلها صريحة بأنهم ما ادعوا له الا ما ادعاه لنفسه من أنه عبد ورسول فهذا متى يقول فى انجيله محتجا بنبوة أشعياء فى المسيح عن الله عز وجل « هذا عبدى الذى اصطفيت وحبيبى الذى ارتاحت نفسى له » وفى انجيله « انى أشكرك يارب » وغير ذلك . وان جعلوه الها لأنه صعد الى السماء فهذا أخنوخ والياس قد صعد الى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة كما هو مسلم عند النصارى . وهذه الملائكة تصعد الى السماء وأرواح

المؤمنين تصعد الى السماء بعد مفارقة الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وان جعلوه الها لاطلاق لفظ المخلص عليه ، انه لا يخلص الأمم الا الله تعالى فينبغى على هذا أن يجعلوا جميع الانبياء والرسل آلهة ، فانهم خلصوا الامم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار باذن الله وحده . ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة كما خلص موسى بنى اسرائيل من فرعون وقومه وخلصهم بالايمان بالله تعالى واليوم الآخر من عذاب الآخرة وخلص الله تعالى بنبينا محمد ﷺ من الأمم والشعوب ما لم يخلصه بنبى سواه وان جعلوه الها لكونه خلق بلا أب فآدم قد خلق بلا أب ولا أم وحواء خلقت من ضلعه . وان جعلوه الها لما ورد فى حقه من بشائر الأنبياء عليهم السلام فقد أجبنا عنه مفصلا وشرحنا معناه بحيث لا يمترى عاقل أن عيسى بن البشر كما قال عن نفسه ، وانه ليس باله ، فتدبر تدبر منصف جميع ما ذكرناه ، واحمد البارى على دين الاسلام واشكر الله على نعماه وما أولاه .

وأما ما نقله عن سفر زكريا أنه يخاطب الشعوب بالسلام والأمان وأن المراد به عيسى عليه السلام فيضاده ما نقلناه سابقا عن الانجيل أن المسيح قال : « لم آت سلما بل حربا ، وأتيت لأفرق الولد من أبيه » على أن لنا أن نقول لم لم يصح حمل ما فى سفر زكريا من الأوصاف على نبينا عليه الصلاة والسلام لانه هو المخاطب بالسلام وهو الذى أعطى أهل الكتابين الأمان كما لا يخفى على من له خبرة بأصول الاسلام .

وكذلك بقية الآيات التى نقلها هذا النصرانى أى دلالة فيها على نبوة عيسى عليه السلام فضلا عن الوهيته التى ادعاها ؟ نعم انه حرف بعض الفاظها لتدل بزعمه على نبوة المسيح ، فمن ذلك ما نقله عن الزبور الثانى من قوله « واقبلوا الابن » مع أن النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ فيها « والزموا الأدب لئلا يغضب الرب » فحرف الأدب بالابن ، على أن فى هذا المزمور قوله « وأملك جميع أقاصى الأرض فترعاهم بعصى من حديد وكمثل آنية الفخار تسحقهم » انتهى فهذا ان قلنا ان دلالة على مجىء نبى ، فهو فى البشارة بنبينا أصرح لأن عيسى ليس له

سيف الذى هو حديد ، ولاستحق بنى اسرائيل بل هم صلبوه بزعم النصارى ، ولم تكن له ولاية ولا سلطان عليهم ، ولم يبق بينهم الا نحو ثلاث سنين فافهم ما قلناه ولا تكن بالباطل من المجادلين .

وأما ما نقوله عن الزبور التاسع بعد المائة من قوله « قال الرب لربى » فليس فيه دليل أيضا لأن الرب كثيرا ما يطلق فى التوراة على الكبير الرئيس كما قدمناه لك غير مرة ، حتى أنه أيضا ورد فى القرآن العظيم حكاية عن قول سيدنا يوسف الكريم ابن الكريم قوله للذى حبس معه « اذكرنى عند ربك » على انه كيف يصدق ذلك على المسيح بعد أن يقول فى هذه الآية « حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك ويسلطك عليهم » ؟ فان المسيح عليه السلام لم يتسلط فى حياته على أعدائه بل هم تسلطوا عليه حتى صلبوه بزعم النصارى ، فكون هذه الآية غير صادقة عليه أظهر من الشمس فى رابعة النهار .

وأما قوله : « ان عادة العبرانيين » الى آخره .

فدعوى مجردة وليس عليها دليل ولا امارة ولا شاهد ، على أنا لو فرضنا ذلك فلا يجديه نفعا أيضا لأنا لما أبطلنا كون هذه الآية تصدق على المسيح عليه السلام ، فليثبت أن العبرانيين كانوا يكتبون لفظ الرب بأحرف منفردة أو لم يكونوا كذلك ، فثبوت كتابتهم وعدم ثبوتها على حد سواء بالنسبة الى البشارة بعيسى عليه السلام لأن الآية كما علمت لا تصدق عليه بوجه من الوجوه كما لا يخفى على ذوى الابصار ، فأى سر فيها من الأسرار .

وأما الآية التى نقلها من المزمور الحادى بعد المائة ففى النسخة المطبوعة بلندن سنة ١٨٣١ هكذا : « والشعب الذى يخلق يسبح الرب لأنه اطلع من علو قدسه ، الرب من السماء أشرق على الأرض ليسمع تنهد المقيدين ويحل بنى المائتين ليخبروا فى صهيون اسم الرب » انتهى فانظر الى اختلاف كتبهم مع عدم وفائها بمقصوده وصرفها الى معان لا تفى بمراده وتأويلها التأويلات البعيدة بمراحل عن مفهوم الألفاظ ، وتأمل فى

فى تمويهه على ضعفة العقول وعديمى الاطلاع ومثل هذا جميع ما يأتى به من آيات العهد القديم والجديد يحرف منها المعانى ويغير فيها الألفاظ ويبنى عليها فاسد الأغراض ، فنسأله سبحانه العافية مما ابتلاه وأن لا يجعلنا ممن يرى الحق فيبعد عن حماه آمين .

وأما ما نقله عن الخامس والثلاثين من أشعياء ففى النسخة المطبوعة بلندن سنة ١٨٣١ هكذا : قووا الأيادى المسترخية والركب الضعيفة فأيدوها قولوا لقليلى القلوب : تقووا ولا تخافوا ها الهكم يأتى بانتقام الجزاء ، والله ذاته هو سيأتى ويخلصكم ، حينئذ تفتح أعين العمى وتفتح آذان الصم ، حينئذ يقفز مثل الغزال الاعرج ويحل لسان البكم لأن انفجرت فى القفر المياه والانهار » انتهى .

فانظر هداك الله فى هذا شاهد على نبوة المسيح ؟ ومن أين يعرف أن ذلك بشارة فى نبوته أو امارة على ألوهيته ؟ لأن هذا يحتمل وجوها عديدة وليس منها ما ذكره هذا النصرانى لأنه يحتمل أن الله سبحانه وعد أشعياء بالانتصار على أعدائه ، وأن الله تعالى سينتقم منهم فى الدنيا ، ويحتمل أن المراد ينتقم منهم فى الآخرة يوم الدينونة والجزاء .

وقوله : « والله ذاته هو سياتى » يأبى حمله على عيسى ، لأنه لم يخلص فى حياته بنى اسرائيل من عدوهم ولاخلصهم من نار جهنم بل كفروا به فادخلوا النار . وأما تفتيح الأعين وآذان الصم وحل لسان البكم فالمراد بها المجاز لان الضال كالأعمى « أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القوب التى فى الصدور » والمراد من الصم الذين لا يمتثلون ما يسمعون من الحق ، وأمثال هذا المجاز فى الكتب السماوية ولا سيما فى الأناجيل أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء .

ولقائل أن يقول : لم لا تكون هذه الآيات بشارة بسيدنا محمد صاحب المعجزات ، ويكون مجىء الله عبارة عن مجىء القرآن لأنه كلامه سبحانه كما ورد فى التوراة أن الله ظهر فى جبال فاران اى مكة كما تقدم ، ويكون

هو المخلص لبنى اسرائيل وبهدايته اهتدى العالمون وله استمع المؤمنون ، وبنوره استضاء السائرون ؟ وأما ما نقله عن الاصحاح السابع من أشعياء فعبارته بالنسخة التى بين يدى المطبوعة فى لندن هكذا : « وقال فاسمعوا يا بيت داود هل يسير عندكم ان تبلوا الناس لانكم تبلون الا هى أيضا لأجل هذا أيضا يعطيكم الرب عنه علامة ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعى اسمه عمانوئيل يأكل سمنا وعسلا ليعرف أن يرذل الشر ويختار الخير » انتهى فأى دليل فى هذه على ألوهية المسيح عليه السلام أو يبشر الرب بنبوته الأنام ؟ ومن أين علم ان المراد بالعذراء هى مريم وأن عمانوئيل معناه الهنا معنا ؟ ومن أين يلزم أن يكون بذاته ومعهم ؟ فلعله يريد أن لطفه ورحمته وتصرفه معهم كما ورد أمثال ذلك فى الكتب السماوية ، وكيف يتسنى لعاقل أن يدعى أن المراد بعمانوئيل أن الله سبحانه بذاته الذى هو عيسى بذاته يأكل سمنا وعسلا ؟ وكيف يتصور أن يقول أشعياء أو غيره من الأنبياء لاقوامهم ان الله تعالى يولد من بطن امرأة عذراء ويأكل ويشرب ويتغوط ويضرب ويصفع ويصلب ؟ وكيف يكون ذلك وأن الله سبحانه لا يشبهه شىء ولا يرى كما فى التوراة ؟ فهل هذه الدعوة الا سفسطة وحديثه خرافة ؟

على أن من نظر الى أول هذا الاصحاح وآخره وسياقه يعلم بالضرورة أن معناه بمعزل عما ادعاه عبد المسيح من الاخبار بألوهية عيسى بل ولا بنبوته لأن هذا اخبار بوقوع تلك العلامة فى زمن أشعياء عليه السلام لا بزمن يكون بعده بمئات أعوام ، مع أنا ان سلمنا أنها فى حق نبوة عيسى فليس لنا فيها كلام أو فى الوهيته فقد أبطلناها بأدلة عديدة متكررة يقبلها الخاص والعام ويرتضيها كل من له عقل من الأنام والسلام .

قال النصرانى : « وكانى بك — أصلحك الله — قد ذكرت التحريف فى هذا الموضع ، واحتججت علينا باننا حرفنا الكلم عن مواضعه ، وبدلنا الكتاب ، وكان هذا القول جعلته كهفا لك تتستر به ، وانى لأخبرك خبرا حقا فاسمعه منى وعه واقبله ، فان قولى ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند، بل انما هو نذر منى لك ونصح ، اذ كان دينى يوجب على نصيحة كل أحد ، فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصرعته وخيمه ، وما اعلم أنى سمعت قط بحجة أشد انقطاعا وأوحش انتساخا من حجتكم فى باب التحريف والتبديل وانى لأعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه ؟ وأنت تعلم أننا نحن واليهود الأعداء الكفرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا ، قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وأنه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان ، والا فنحن ندعوك الى واحدة هى نصفة لنا ولك .

آتنا — أصلحك الله — أنت أيها المدعى علينا التحريف والتبديل ان كنت صادقا بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاءونا بصحة هذا الكتاب ، فقبلنا ذلك منهم وهو فى أيدينا وأيدى اليهود بلا زيادة ولا نقصان ، وانى لأعلم انك لا تقدر على ذلك أبدا حتى نأخذه منك أيضا كيف وكتابك يشهد بصحة ما فى أيدينا شهادة قاطعة اذ يقول : (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (يونس) ثم فسر هذا القول وأكده معترفا لنا بالفضيلة التى أوتيناها (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) (بقرة) .

فافهم — يرحمك الله كيف قال . وشهد لنا كتابك بحق التلاوة فى موضع تكون فيه تلاوتنا وقد أمر ان نسأل ويقبل منا كل ما نقوله ، فكيف تدعى وتقول انه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه ؟ فهل هذا الا حكمان متناقضان يتبين لكل أحد المسبب فيهما اذ كنت تشهد لنا بحق

التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل ، فهذا غاية المحال والشناعة ، فاذا كنت لا تقدر انت ولا غيرك ان تافق على ما فى أيدينا على الشريطة التى شرطناها وهو ممتنع من امكانك ، فمالك والمباهته التى ليست من عادتك ولا من أخلاقك وتشنع علينا وتقول انا حرفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغيرنا كلامه ، ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك ، فانصف أصلحك الله واطلب رضا ربك كما يجب على ذوى العقول وانظر من هو المحرف والمبدل ، أنحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جاءوا على صحته بالآيات والعجائب الالهية الخارجة عن امكان طبائع الآدميين واتفقت عليه الأمم المختلفة بالألسن والاهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن أن يقع بينهم فى مثله تواطؤ بحيلة من الحيل أم الذى قبل كتابا بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبى ولا ذكر ولا أعجوبة تشهد له ؟ وانما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان أهل بلده فقط فجعل ذلك برهانا له ، وزعم أن الكتاب الذى هذه حاله وقصته يجرى مجرى فلق البحر واحياء الموتى وابراء الكمة والبرص واقامة المقعدين وأخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص وبدل وغير واجترأ حتى نسبه الى الله تعالى وزعم أنه دليل على نبوة نبيه وانه شاهد عدل له بانه رسول رب العزة ثم لم يرض بهذا بل تعداه وقال : من لا يقبل كتابى هذا ويقول انه منزل من عند الله وأنى نبى مرسل قتلته وسلبت ماله وسبيت ذراريه واستبحت حريمه ، فقبل ذلك منه كرها وخوفا وفرقا لما توعد به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان ، فاجعل — أصلحك الله — عقلك هو الناظر والحاكم فى هذا والمميز له وانظر الى ما يؤديك فالزمه واعتقده فانى واثق بعقلك أنه يخلص لك ولا يغشك لان الله تبارك وتعالى اسمه انما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به ، فانك ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى » انتهى .

فأقول أما انكاره لتحريف التوراة والانجيل فانكار للبديهيات لأن تحريفهما ثابت بالضرورة كما ستسمعه ان شاء الله تعالى قريبا فى مفصل

العبارات وقد أوضح المسلمون ذلك فى كتبهم وفصلوه فى ردودهم ومنهم صاحبنا العلامة « رحمة الله الهندى » فى كتابه اظهار الحق فقد اثبته بالبراهين الحاكية للصدق ولنذكره لك على طوله لتقف على صحيح منقوله قال ان التحريف الواقع فى كتب العهدين قسمان لفظى ومعنوى ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين فى القسم الثانى لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود فى العهد العتيق فى تفسير الآيات التى هى اشارة فى زعمهم الى المسيح عليه السلام وفى تفسير الاحكام التى هى أبدية عند اليهود وان علماء البروتستنت يعترفون بصدوره عن معتقدى (١) كتب العهدين كما أن معتقدى البابا يرمونهم بهذا رميا شديدا فلا احتياج الى اثباته هنا لأنه أمر مشهور ، وقد نقلنا فى كتابنا هذا ما فيه تصريح بذلك فتذكره .

بقى القسم الأول وقد أنكره علماء البروتستنت فى الظاهر انكارا بليغا لتغليط جهال المسلمين وأوردوا أدلة مموهة مزورة فى رسائلهم ليوقعوا الناظرين فى الشك ، فهو محتاج الى الاثبات فلنثبته فى كتابنا هذا بعون خالق الأرض والسموات ، فاعلم أن التحريف اللفظى بجميع أقسامه أعنى تبديل الالفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت فى الكتب المذكورة ، وأورد هذه الاقسام الثلاثة على سبيل الترتيب فى ثلاثة مقاصد :

المقصد الأول : فى اثبات التحريف اللفظى بالتبديل . اعلم أرشدك الله تعالى أن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ الأولى النسخة العبرانية وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستنت ، والثانية النسخة اليونانية وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين الى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية ، وكانوا يعتقدون الى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية وهى الى هذا الزمان أيضا معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق ، والثالثة النسخة السامرية وهى المعتبرة عند السامريين ، وهذه النسخة هى النسخة العبرانية لكنها

---

(١) يقصد النصارى الكاثوليك .

تشتمل (٢) على سبعة كتب من العهد العتيق فقط أعنى الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام وكتاب يشوع وكتاب القضاة لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية فى الألفاظ والفقرات الكثيرة التى لا توجد فيها الآن . وكثير من محققى علماء البروتستنت مثل «كنى كات» و «هيلز» و «هيوبى كنيت» وغيرهم يعتبرونها دون العبرانية ، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية ، وجمهور علماء البروتستنت أيضا يضطرون فى بعض المواضع اليها ويقدمونها على العبرانية كما سنعرفه ان شاء الله تعالى .

واذا علمت هذا فأقول :

الشاهد الأول : ان الزمان من خلق آدم الى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة سنة ٢٢٦٢ وعلى وفق السامرية ألف وثلثمائة وسبع سنين سنة ١٣٠٧ وفى تفسير هنرى واسكات جدول كتب فيه مقابلة اسم كل شخص غير نوح عليه السلام من سنى عمر هذا الشخص السنة التى تولد له فيها الولد وكتب فى مقابلة اسم نوح عليه السلام من سنى عمره زمان الطوفان والجدول المذكور هذا مبين النسخ المذكورة فى بيان المدة المسطورة فرق كثير واختلاف فاحش لا يمكن التطبيق بينها ولما كان نوح عليه السلام فى زمن الطوفان ابن ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة ، فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية ، اذ ولادته على وفق الأولى بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة سنة١٢٦ وعلى وفق الثانية بعد موته بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة ٧٣٢ ولاجل الاختلاف الفاحش لم يعتمد « يوسيفوس » اليهودى المؤرخ المشهور المعتبر عند

---

(٢) الأصح خمسة لأنهم لا يقدسون الا الاسفار الخمسة لموسى .

المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة ، واختر أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة .

الأسماء	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم عليه السلام	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث عليه السلام	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنـــوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينـــان	٢٠	٢٠	١٢٠
مهلائيل	٦٥	٦٥	١٦٥
يـــارد	١٦٢	٦٢	١٦٢
حنـــوك	٦٥	٦٥	١٦٥
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
نوح عليه السلام	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

الشاهد الثانى : ان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام على وفق العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة سنة ٢٩٢ وعلى وفق اليونانية ألف واثنتان وسبعون سنة سنة ١٠٧٢ وعلى وفق الســـامرية تسعمائة واثنتان واربعون سنة سنة ٩٤٢ وفى تفسير هنرى واسكات أيضا جدول مثل الجدول المذكور لكن كتب فى هذا الجدول فى محاذات اسم كل رجل غير سام من سنى عمره السنة التى تولد له فيها ولد ، وكتب فى محاذاة اسم سام الزمان الذى تولد له فيه ولد بعد الطوفان ، والجدول المذكور هذا : فههنا أيضا اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة لا يمكن التطبيق فيها ولما كانت ولادة ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمايتين واثنتين وتسعين سنة سنة ٢٩٢ على وفق النســـخة العبرانية وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ٣٥٠ كما هو مصرح فى الآية الثامنة والعشرين من الباب التاسع من سفر التكوين فيلزم أن يكون ابراهيم عليه السلام حين مات نوح ابن ثمان وخمسين ســـنة

وهذا باطل باتفاق المؤرخين ويكذبه اليونانية والسامرية اذ ولادة ابراهيم عليه السلام بعد موت نوح عليه السلام بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة على وفق النسخة الأولى وبخمسمائة واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية وزيد فى النسخة اليونانية بطن واحد بين ارفخشد وشالخ وهو قينان ولا يوجد هذا البطن فى العبرانية والسامرية واعتمد لوقا

الاسماء	عبرانية	سامرية	يونانية
سام	٢	٢	٢
ارفخشد	٣٥	١٣٥	١٣٥
قينان	٠	٠٠	١٣٠
شالخ	٣٠	١٣٠	١٣٠
عابر	٣٤	١٣٤	١٣٤
فالغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
رعو	٣٢	١٣٢	١٣٢
سروغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
ناحور	٢٩	٧٩	٧٩
تارح	٧٠	٧٠	٧٠
	٢٩٢	٩٤٢	١٠٧٢

الانجيلى على اليونانية فزاد قينان فى بيان نسب المسيح ولاجل الاختلاف الفاحش المذكور اختلف المسيحيون فيما بينهم فنبذ المؤرخون النسخ الثلاث فى هذا الأمر وراء ظهورهم ، وقالوا أن الزمان المذكور ثلثمائة واثنان وخمسون سنة سنة ٣٥٢ وكذا ما اعتمد عليها «يوسيفوس» اليهودى المؤرخ المشهور ، وقال أن هذا ان هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة سنة ٩٩٣ كما هو منقول فى تفسير هنرى واسكان .

واكستائن الذى كان أعلم علماء المسيحية فى القرن الرابع من القرون المسيحية وكذا القدماء الآخرون على أن الصحيح النسخة اليونانية ، واختاره المفسر « هارسلى » فى تفسيره ذيل تفسير الآية الحادية عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين « وهيلز »

على أن الصحيح النسخة السامرية ، ويفهم ميلان محققهم المشهور « هورن » الى هذا فى المجلد الأول من تفسير هنرى واسكات (لقوله)

(ان اكستاين كان يقول ان اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين قبل زمان الطوفان وبعده الى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحى ، ويعلم أن قدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية) انتهى كلام التفسير المذكور .

وقال هورن فى المجلد الثانى من تفسيره ان المحقق هيلز اثبت بالأدلة القوية صحة النسخة السامرية ، ولا يمكن تلخيص دلائله ههنا فمن شاء فلينظر فى كتابه من الصفحة الثمانين الى الآخر وان « كنى كات » يقول : لو لاحظنا أدب السامريين بالنسبة الى التوراة ولاحظنا عاداتهم ولاحظنا سكوت المسيح عليه السلام حين المكالمة المشهورة التى وقعت بينه وبين الامرأة السامرية وقصتها منقولة فى الاصحاح الرابع من انجيل يوحنا وفى هذه القصة هكذا (قالت له الامرأة انى أرى انك يارب نبى ، وكان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل) تعنى جزريم (وأنتم) أى اليهود تقولون أن المكان الذى ينبغى أن يسجد فيه فى أورشليم) ولما علمت هذه الامرأة أن عيسى عليه السلام نبى سألت عن هذا الأمر الذى هو من أعظم الأمور المتنازع فيها بين اليهود والسامريين ، وتدعى كل فرقة فيه تحريف الاخرى ليتضح لها الحق ، فلو كان السامريون حرفوا التوراة فى هذا الموضع كان لعيسى عليه السلام أن يبين هذا الأمر فى جوابها لكنه ما بين ، بل سكت عنه (١) فسكوته دليل على أن الحق ما عليه السامريون ، ولو لاحظنا أمورا أخر لاقتضى الكل أن اليهود حرفوا التوراة قصدوا أن ما قال محققوا كتب العهد العتيق والجديد أن السامريين حرفوا قصدا لا أصل له » انتهى كلام هورن .

فانظر أيها اللبيب أنهم كيف اعترفوا بالتحريف ولم يجدوا ملجأ غير الاقرار .

---

(١) المسيح لم يسكت عنه ، بل صرح بنزع القبلة من الفريقين (انظر نفس الرواية فى برنابا) لأن موسى فى التوراة لم يحدد لبنى اسرائيل قبلة .

الشاهد الثالث : ان الآية الرابعة من الاصحاح السابع والعشرين من سفر الاستثناء فى النسخة العبرانية هكذا (فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييدا) وهذه الجملة (فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال) فى النسخة السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التى أنا أوصيكم فى جبل جرزيم) وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآية الثانية عشر والثالثة عشر من هذا الاصحاح ومن الآية التاسعة والعشرين من الاصحاح الحادى عشر من هذا السفر ، فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السلام أمر ببناء الهيكل أعنى المسجد على جبل عيبال ومن النسخة السامرية أمر ببنائه على جبل جرزيم ، وبين اليهود والسامريين سلفا وخلفا نزاع مشهور ، وتدعى كل فرقة منهما أن الفرقة الاخرى حرفت التوراة فى هذا المقام ، وكذلك بين علماء البروتستنت اختلاف فى هذا الموضع ، قال مفسرهم المشهور آدم كلارك فى الصفحة سنة ٨١٧ من المجلد الأول من تفسيره ان المحقق « كنى كات » يدعى صحة السامرية ، والمحقق « بارى » و « درشيور » يدعيان صحة العبرانية لكن كثيرا من الناس يفهمون أن أدلة كنى كات لا جواب لها ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين . وهذا الأمر مسلم عند الكل وهو أن جرزيم ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة وعيبال جبل يابس لا شىء عليه من هذه الأشياء ، فاذا كان الأمر كذلك كان الجبل الاول مناسبا لاسماع البركة والثانى للعن » انتهى كلام المفسر وعلم منه ان مختار كنى كات وكثير من الناس أن التحريف واقع فى النسخة العبرانية ، وأن أدلة كنى كات قوية جدا .

الشاهد الرابع : فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا (ونظر بئر فى الحقل وثلاثة قطعان غنم رابضة عندها ، من تلك البئر كانت تشرب الغنم وكان حجر عظيم على فم البئر ، فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية) الى آخر الآية ، ففى الآية الثانية والثامنة وقع لفظ (قطعان غنم) ولفظ (الماشية) والصحيح لفظ الرعاة بدلهما كما هو فى

النسخة السامرية واليونانية والترجمة العبرانية لوالتن ، قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الرابعة والسبعين من المجلد الأول من تفسيره فى ذيل الآية الثانية : لعل لفظ ثلاثة رعاة كان ههنا انظروا كنى كات ، ثم قال فى ذيل الآية الثامنة لو كان ههنا حتى تجتمع الرعاة لكان أحسن انظروا السامرية واليونانية وكنى كات والترجمة العربية لهيوبى كنيت ، وقال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره (يصرهيوبى كنيت اصرارا بليغا على صحة السامرية) وقال هورن فى المجلد الأول من تفسيره موافقا لما قال كنى كات وهيوبى كنيت (انه وقع من غلط الكاتب لفظ قطعان الغنم بدل لفظ الرعاة) .

الشاهد الخامس : وقع فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى لفظ سبع سنين ، ووقع فى الآية الثانية عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من السفر الاول من أخبار الأيام لفظ ثلاث سنين ، واحدهما غلط يقينا .

قال آدم كلارك فى ذيل عبارة صموئيل (وقع فى سفر أخبار الأيام ثلاث سنين لا سبع سنين ، وكذا فى اليونانية وقع ههنا ثلاث سنين كما وقع فى أخبار الأيام وهذه هى العبارة الصادقة بلا ريب) انتهى كلامه .

الشاهد السادس : وقع فى الآية الخامسة والثلاثين من الاصحاح التاسع من السفر الأول من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (وكان اسم أخته معكاه) والصحيح أن يكون لفظ الزوجة بدل الاخت ، قال آدم كلارك « وقع فى النسخة العبرانية لفظ الاخت وفى اليونانية واللاطينية والسريانية لفظ الزوجة وتبع المترجمون هذه التراجم » انتهى كلامه ، وههنا جمهور البروتستنت تركوا العبرانية وتبعوا التراجم المذكورة ، فالتحريف فى العبرانية متعين عندهم .

الشاهد السابع : وقع فى الآية الثانية من الاصحاح الثانى والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (آحذياه صار

سلطانا وكان ابن اثنتين وأربعين سنة) ولا شك أنه غلط يقينا لأن أباه يهورام حين موته كان ابن أربعين سنة ، وجلس هو على سرير سلطنته بعد موت أبيه متصلا فلوضح هذا يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين . وفى الآية السادسة والعشرين من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى (انه كان فى ذلك الوقت ابن اثنتين وعشرين سنة) قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسير ذيل عبارة أخبار الأيام : (وقع فى الترجمة السريانية والعربية اثنان وعشرون ، وفى بعض النسخ اليونانية عشرون ، والغالب أن يكون فى العبرانية فى الأصل هكذا لكنهم كانوا يكتبون العدد بالحروف ، فوقع الميم موضع الكاف من غلط الكاتب) ثم قال : (عبارة سفر الملوك الثانى صحيحه ، ولا يمكن أن تتطابق العبارتان ، وكيف تصح العبارة التى يظهر منها كون الابن أكبر من أبيه بسنتين ؟) انتهى كلامه وفى المجلد الأول من تفسير « هورن » وكذا فى تفسير هنرى واسكات أيضا اعتراف بأنه من غلط الكاتب .

الشاهد الثامن : وقع فى الآية التاسعة عشر من الصحاح الثامن والعشرين من السفر الثانى من أخبار الأيام فى النسخة العبرانية (الرب قد أذل يهوذابسبب آحاز ملك اسرائيل) ولفظ اسرائيل غلط يقينا لأنه كان ملك يهوذا لا ملك اسرائيل . ووقع فى اليونانية واللاتينية لفظ يهوذا ، فالتحريف فى العبرانية .

الشاهد التاسع : وقع فى الآية السادسة من الزبور الأربعين (فتحت أذنى) ونقل بولس هذه الجملة فى كتابه الى العبرانيين فى الآية الخامسة من الاصحاح العاشر هكذا (قد هيئت لى جسدا) فاحدى العبارتين غلط ومحرفة يقينا ، وتحير العلماء المسيحيون ، فقال جامعوا تفسير هنرى واسكات : ان هذا الفرق وقع من غلط الكاتب وأحد المطلبين صحيح) فجامعوا التفسير المذكور اعترفوا بالتحريف ، لكنهم توقفوا فى نسبته الى احدى العبارتين بالتعيين . وقال آدم كلارك فى المجلد الثالث من تفسيره ذيل عبارة الزبور : (المتن العبرانى المتداول محرف) فنسب التحريف الى عبارة الزبور . وفى تفسير دوالى ورجردمينت : (العجب أنه

وقع فى الترجمة اليونانية) وفى الآية الخامسة من الاصحاح العاشر من الرسالة الى العبرانيين بدل تلك الفقرة التى فى الزبور هذه الفقرة (قد هيئت لى جسدا) فهذان المفسران نسبوا التحريف الى عبارة الانجيل

الشاهد العاشر : وقع فى الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة والخامس فى العبرانية (هم ما عصوا قوله) وفى اليونانية (هم عصوا قوله) ففى الأولى نفى والثانية اثبات فأحدهما غلط يقينا ، وتحير العلماء المسيحيون ههنا ، ففى تفسير هنرى واسكات (لقد طالت المباحثة لأجل هذا الفرق جدا والظاهر أنه نشأ اما لزيادة حرف أو لتركه) انتهى . فجامعوا هذا التفسير اعترفوا بالتحريف لكن ما قدروا على تعيينه .

الشاهد الحادى عشر : وقع فى الآية التاسعة من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى (بنو اسرائيل كانوا ثمانمائة ألف رجل شجاع وبنو يهوذا خمسمائة ألف رجل شجاع) وفى الآية الخامسة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الأول (فاسرائيل كانوا ألف ألف ومائة ألف رجل شجاع) ويهوذا كانوا أربعمائة ألف وسبعون ألف رجل شجاع) فاحدى العبارتين ههنا محرفة قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل عبارة صموئيل (لا يمكن صحة العبارتين وتعيين الصحيحة عسير ، والأغلب أنها الأولى . ووقعت فى كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة الى المواضع الأخر ، والاجتهاد فى التطبيق عبث . والأحسن أن يسلم فى أول الوهلة : الأمر الذى لا قدرة على انكاره بالظفر ، ومصنفوا العهد العتيق وان كانوا ذوى الهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك) انتهى كلامه فهذا المفسر اعترف بالتحريف لكنه لم يقدر على التعيين ، واعترف بأن التحريفات فى كتب التواريخ كثيرة ، وأنصف فقال : ان الطريق الأسلم تسليم التحريف من أول الوهلة .

الشاهد الثانى عشر : قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الحادية والتسعين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره بعد الآية الرابعة من الاصحاح الثانى عشر من سفر القضاة : (لا شبهة أن هذه الآية محرفة)

الشاهد الثالث عشر : وقع فى الآية الثامنة من الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى لفظ ارم ولا شك أنه غلط ، والصحيح لفظ أدوم ، وآدم كلارك المفسر حكم أولا بأنه غلط يقينا ، ثم قال الأغلب أنه من غلط الكاتب .

الشاهد الرابع عشر : وقع فى الآية السابعة من الاصحاح المذكور (أن أبى سالوم قال للسلطان بعد أربعين سنة) ولفظ الاربعين غلط يقينا والصحيح لفظ الأربع ، قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره : (لا شبهة أن هذه العبارة محرفة) ثم قال (أكثر العلماء : ان وقع الاربعين موضع الاربع من غلط الكاتب) انتهى كلامه .

الشاهد الخامس عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل الآية الثامنة من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر صموئيل الثانى : (قال كنى كات فى هذه الآية : فى المتن العبرانى ثلاث تحريفات عظيمة) انتهى كلامه ، فأقر ههنا بثلاث تحريفات جسيمة :

الشاهد السادس عشر : الآية السادسة من الاصحاح السابع من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا : (بنو بنيامين بلع وبكر وبسع بيل ثلاثة أشخاص) وفى الاصحاح الثامن من السفر المذكور هكذا : (ولد بنيامين ولده الأكبر بلع والثانى اشبيل والثالث احرح والرابع نوحاه والخامس (راقاء) وفى الآية الحادية والعشرين من الاصحاح السادس والاربعين من سفر التكوين هكذا نسخة سنة ١٨٤٨ (بنو بنيامين بالغ وباخور واشبيل وجيرا ونعمان واجى وروش ومافيم وارد) ففى العبارات الثلاث اختلاف من وجهين الأول فى الأسماء ، الثانى فى العدد ، حيث يفهم من الاولى أن أبناء بنيامين ثلاثة ، ويفهم من الثانية أنهم خمسة ، ويفهم من الثالثة أنهم عشرة ، ولما كانت العبارة الأولى والثانية من سفر واحد ، يلزم التناقض فى كلام مصنف واحد ، وهو عزرا النبى عليه السلام (١) ولا شك أن

---

(١) عزرا لم يكن نبيا ولا وليا حتى يقال عنه : عليه السلام . وانه هو الذى حرف التوراة عمدا (انظر كتاب نقد التوراة)

احدى العبارات عندهم صادقة ، والباقيتين تكونان كاذبتين . وتحير علماء أهل الكتاب فيه واضطروا وتسببوا الخطأ الى عزرا عليه السلام قال آدم كلارك ذيل العبارة الأولى : (كتب ههنا لأجل عدم التمييز للمصنف ابن الابن موضع الابن ، وبالعكس ، والتطبيق فى مثل هذا الاختلاف غير مفيد وعلماء اليهود يقولون أن عزرا عليه السلام الذى كتب هذه السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم بنو الأبناء ، ويقولون ايضا ان أوراق النسب الذى نقل عنها عزرا عليه السلام كان أكثرها ناقصا . ولابد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات) انتهى كلامه . فانظر أيها اللبيب ههنا كيف اضطر أهل الكتاب طرا سواء كانوا من اليهود أو من المسيحيين (الى الاقرار بالتحريف) وما وجدوا ملجأ سوى الاقرار بأن ما كتب عزرا عليه السلام غلط ، وما حصل له التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء ، فكتب ما كتب ، والمفسر لما أيس من التطبيق قال أولا : (والتطبيق فى مثل هذه الاختلافات غير مفيد) وقال ثانيا (لابد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات) .

فائدة جليلة : لابد من التنبيه عليها : اعلم أرشدك الله تعالى أن جمهور أهل الكتاب يقولون ان السفر الأول والثانى من أخبار الايام صنفهما عزرا عليه السلام باعانة حجى وزكريا الرسولين عليهما السلام (١) فعلى هذان السفران المذكوران اتفق الأنبياء الثلاثة عليهم السلام ، وكتب التواريخ شاهدة بأن حال كتب العهد العتيق قبل حادثة بخت نصر كان ابر ، وبعد حادثته ما بقى لها غير الاسم ، ولو لم يدون عزرا عليه السلام هذه الكتب مرة أخرى لم توجد فى زمانه فضلا عن الزمان الآخر ، وهذا الأمر مسلم عند أهل الكتاب أيضا فى السفر الذى هو منسوب الى عزرا وفرقة البروتستنت لا يعترفون بأنه سماوى لكن مع ذلك الاعتقاد لا تحط رتبته من كتب المؤرخين المسيحيين ، وعندهم وقع هكذا : (أحرق التوراة وما كان

---

(١) زكريا كان فى سبى بابل مع حجاى . وليس فى القرآن ما يدل على نبوتهما . وليس زكريا هذا والد يحيى عليه السلام .

أحد يعلمه وقيل ان عزرا جمع ما فيه مرة أخرى باعانة روح القدس) انتهى . وقال كليمنس اسكندر يانوس : (ان الكتب السماوية ضاعت فالهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى) انتهى وقال ترتولين : (ان المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل على بروشالم) انتهى . وقال تهيوفلكت (ان الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بالهام) انتهى . وقال جان مل نركا تلك فى الصفحة ١١٥ من كتابه الذى طبع فى بلدة دربى سنة ١٨٤٣ (اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الاصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدى عسكر بخت نصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انيتوكس) انتهى كلامه بقدر الحاجة .

اذا كلمت هذه الأقوال فارجع الى كلام المفسر المذكور ، وأقول : يظهر للبيب هنا سبعة أمور .

الأمر الأول : أن هذه التوراة المتداولة الآن ليست التوراة التى ألهمها موسى عليه السلام أولا ، ثم بعد انعدامها كتبها عزرا عليه السلام بالالهام مرة أخرى ، والا لرجع اليها عزرا عليه السلام وما خالفها ونقل على حسبها ، وما اعتمد على الأوراق الناقصة التى لم يقدر على التمييز بين الغلط والصحيح منها . وان قالوا انها هى لكنها أيضا كانت منقولة عن النسخة الناقصة التى حصلت له ولم يقدر حين التحرير على التمييز بينها كما لا يقدر ههنا بين الأوراق الناقصة ، نقول : على هذا التقدير لا تكون التوراة معتمدا عليها وان كان ناقلها عزرا عليه السلام كما لا يخفى .

الامر الثانى : أنه اذا غلط عزرا فى هذا السفر مع أن الرسولين الآخرين كانا معينين له فى تاليف هذا السفر فيجوز صدور الغلط منه فى الكتب الاخرى أيضا . فلا بأس لو انكر أحد شيئا من هذه الكتب اذا كان ذلك الشىء مخالفا للبراهين القطعية أو مصادما للبداهة ، مثل أن ينكر ما وقع فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن لوطا عليه

السلام زنى ببنتيه والعياذ بالله تعالى وحملتا من أبيهما وتولد لهما ابنان هما أبوا الموآبيين والعمانيين . وما وقع فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر صموئيل الأول من أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه فقتل زوجها بالحيلة وتصرف فيها . وما وقع فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره بترغيب زوجاته وعبد الأصنام وبنى لهما معابد وسقط من نظر الله تعالى وأمثال هذه القصص التى تقشعر منها جلود أهل الايمان ويكذبها البرهان.

الأمر الثالث : أن الشىء اذ صار محرفا فليس بضرورى أن يـزول ذلك التحريف يتوجه النبى الذى بعده ، وأ نيخبر الله تعالى عن المواضع المحرفة البتة ولا جرت عليه العادة الالهية .

الأمر الرابع : ان علماء البروتستنت ادعوا أن الأنبياء والحواريين وان لم يكونوا معصومين عن الذنوب والخطأ والنسيان لكنهم معصومون فى التبليغ والتحرير فكل ما بلغوه أو حرروه فهو مصون عن الخطأ والسهو والنسيان . أقول ما ادعوه لا أصل له من كتبهم ، والا لم صار تحرير عزرا عليه السلام مع كون الرسولين عليهما السلام معينين له غير مصـون عن الخطـأ .

الأمر الخامس : انه لا يلهم النبى فى بعض الأحيان فى بعض الامور مع كون الالهام محتاجا اليه لان عزرا عليه السلام لم يلهم مع كونه كان محتاجا الى الالهام فى ذلك الأمر .

الأمر السادس : انه ظهر صدق دعوى أهل الاسلام بأنا لا نسلم ان كل ما اندرج فى هذه الكتب فهو الهامى ، ومن جانب الله تعالى لأن الغلط لا يصلح أن يكون الهاما ومن جانب الله عز وجل وهو يوجد فى هذه الكتب بلا ريب كما عرفت آنفا فى الشواهد السابقة وكما ستعرف فى الشواهد اللاحقة أيضا ان شاء الله تعالى .

الأمر السابع : انه اذا لم يكن عزرا عليه السلام مصونا عن الخطأ فى التحرير ، فكيف يكـون مرقس ولوقا الانجيليان اللذان ليسـا من

الحواريين أيضا مصونين عن الخطأ فى التحرير ، لأن عزرا عليه السلام عند أهل الكتاب نبى ذو الهام وكان النبيان ذو الالهام معينين له فى التحرير ، ومرقس ولوقا ليسا نبيين ذوى الهام بل عندنا متى ويوحنا ليسا كذلك ، وان كان زعم المسيحيين من فرقة البروتستانت بخلافه ، وكلام هـؤلاء الأربعة الانجيليين مملوء من الاغلاط والاختلافات الفاحشة كما أثبتناه فى كتابنا هـذا .

الشاهد السابع عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل الآية التاسعة والعشرين من الاصحاح الثامن من السفر الأول من أخبار الأيام ما عبارته : (فى هذا الاصحاح من هذه الآية الى الآية الثامنة والثلاثين ، وفى الاصحاح التاسع من الآية الخامسة والثلاثين الى الآية الرابعة والاربعين توجد أسماء مختلفة ، وقال علماء اليهود ان عـزرا وجد كتابين توجد فيهما هذه الفقرات مع شىء من اختلاف الاسـماء ، ولم يحصل له تمييز بأن أيهما أحسن فنقلهما) انتهى كلامه ، ولك أن تقول ههنا كما مر فى الشاهد المتقدم .

الشاهد الثامن عشر : فى الاصحاح الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الأيام وقع فى الآية الثالثة لفظ أربعمائة ألف فى تعداد عسكر أبياه ، ولفظ ثمانمائة ألف فى تعداد عسكر يربعام ، وفى الآية السابعة عشر لفظ خمسمائة ألف فى تعداد المقتولين من عسكر يربعام ، ولما كانت هذه الأعداد بالنسبة الى هؤلاء الملوك مخالفة للقياس غيرت فى أكثر نسخ الترجمة اللاطينية الى أربعين ألفا فى الموضع الأول وثمانين ألفا فى الموضع الأول وثمانين ألفا فى الموضع الثانى وخمسين ألفا فى الموضع الثالث ، ورضى المفسرون بهذا التغيير ، قال هورن فى المجلد الأول من تفسيره (الأغلب أن عدد هذه النسخ) أى نسخ الترجمة اللاطينية (صحيح) انتهى . وقال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره : (يعلم أن العدد الصغير) أى الواقع فى نسخ الترجمة اللاطينية (فى غاية الصحة ، وقد أستغنينا كثيرا من وقوع التحريف فى أعداد كتب التواريخ هذه) انتهى كلامه ، وهذا المفسر بعد اعترافه بالتحريف ههنا صرح بوقوعه كثيرا فى الأعـداد .

الشاهد التاسع عشر : فى الآية التاسعة من الاصحاح السادس والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الأيام (وكان يواخين ابن ثمانى سنين حين صار سلطانا) ولفظ ثمانى سنين غلط ومخالف لما وقع فى الآية الثامنة من الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى (وكان يواخين حين جلس على سرير السلطنة ابن ثمانى عشر سنة) قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك (وقع فى الآية التاسعة من الاصحاح السادس والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الأيام لفظ ثمانية وهو غلط البتة لأن سلطنته كانت الى ثلاثة اشهر ثم ذهب الى بابل أسيرا وكان فى المجلس وأزواجه معه ، والغالب أنه لا يكون لابن ثمانى أو تسع أزواجا ، ويشكل أيضا ان يقال لمثل هذا الصغير انه فعل قبيحا عند الله فهذا الموضع من السفر محرف .

الشاهد العشرون : فى الآية السابعة عشر من الزبور الحادى والعشرين على ما فى بعض النسخ أو فى الآية السادسة عشر من الزبور الثانى والعشرين وقعت هذه الجملة فى النسخة العبرانية : (وكلتا يدى مثل الأسد والمسيحيون من فرقة الكاثوليك والبروتستنت فى تراجمهم ينقلونها هكذا : (وهم طعنوا يدى ورجلى) فهؤلاء متفقون على تحريف العبرانية ههنا .

الشاهد الحادى والعشرون : قال آدم كلارك فى المجلد الرابع من تفسيره ذيل الآية الثانية من الاصحاح الرابع والستين من سفر أشعيا (المتن العبرانى محرف كثيرا ههنا ، والصحيح أن يكون هكذا (كما أن الشمع يذوب من النار) انتهى . قلت والذى فى النسخ الآن هكذا (مثل حرقة النار تزيل)

الشاهد الثانى والعشرون : الآية الرابعة من الاصحاح المذكور هكذا (لأن الانسان من قديم ما سمع وما وصل الى أذن أحد وما رأت عينا احد الها غيرك يفعل لمنتظريه مثل هذا) ونقل بولس هذه الآية فى الآية التاسعة من الاصحاح الثانى من رسالته الأولى الى أهل قورنثيوس هكذا : بل (كتب

الأشياء التى هيأ الله للذين يحبونه مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر يخطر بخاطر انسان) فكم من فرق بينهما ؟ فاحداهما محرفة فى تفسير هنرى واسكات : (الرأى الحسن) أن المتن العبرى محرف) انتهى .

وآدم كلارك ذيل عبارة أشعياء عليه السلام(١) نقل أولا أقوالا كثيرة وردها وجرحها ثم قال : (انى متحير ماذا أفعل فى هذه المشكلات ؟ غير أن أضع بين يدى الناظر أحد الأمرين اما أن يعتقد بأن اليهود حرفوا هذا الموضع فى المتن العبرانى والترجمة اليونانية تحريفا قصديا كما هو المظنون ظنا قويا فى المواضع الأخر المنقولة فى العهد الجديد عن العهد العتيق أنظروا كتاب (آوؤن) من الفصل السادس الى الفصل التاسع فى حق الترجمة اليونانية ، واما أن يعتقد أن بولس ما نقل عن ذلك الكتاب بل نقل عن كتاب أو كتابين من الكتب الجعلية ، أعنى معراج أشعيا ومشاهدات ايليا الذى وجدت هذه الفقرة فيها ، وظن البعض أن الحوارى نقل عن الكتب الجعلية ولعل الناس لا يقبلون الاحتمال الأول بسهولة ، فأنبهه الناظرين تنبيها بليغا على أن « جيروم » عد الاحتمال الثانى أسوأ من الالحاد) انتهى كلامه .

الشاهد الثالث والعشرون الى الشاهد الثامن والعشرين : قال هورن فى المجلد الثانى من تفسيره : (يعلم أن المتن العبرى فى الفقرات المفصلة الذيل محرف ، الأولى الآية الأولى من الاصحاح الثالث من سفر ملاخيا ، الثانية الآيةالثانيةمن الاصحاح الخامس منسفرميخا ، الثالثةمن الآية الثامنة الى الآية الحادية عشر من الزبور السادس عشر ، الرابعة الآية الحادية عشر والثانية عشر من الاصحاح التاسع من سفر عاموص ، الخامسة من الآية السادسة الى الثامنة من الزبور الاربعين ، السادسة الآية الرابعة من الزبور العاشر بعد المائة) فأقر محققهم بالتحريف فى هذه المواضع فى الآيات ووجه اقراره : ان الموضع الأول نقله متى فى

---

(١) أشعياء ليس له ذكر فى القرآن حتى يسلم عليه .

الآية العاشرة من الاصحاح الحادى عشر من انجيله ، وما نقله يخالف كلام ملاخيا المنقول فى المتن العبرانى والتراجم القديمة بوجهين ، الأول : أن لفظ (أمام وجهك فى هذه الجملة هانذا أرسل ملكى أمام وجهك) زائد فى منقول متى لا يوجد فى كلام ملاخيا والثانى أنه وقع فى منقوله (ليوطىء السبيل قدامى) وفى كلام ملاخيا (ليوطىء السبيل قدامى) وقال هورن فى الحاشية : (ولا يمكن أن يبين سبب المخالفة بسهولة ، غير أن النسخ القديمة وقع فيها تحريف ما) انتهى كلامه ، وأن الموضع الثانى نقله متى أيضا فى الآية السادسة من الاصحاح الثانى من انجيله وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الثالث نقله لوقا فى الآية الخامسة والعشرين الى الثمانية والعشرين من الاصحاح الثانى من سفر أعمال الحواريين وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الرابع نقله لوقا فى الآية السادسة عشر والسابعة عشر من الاصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الحواريين وبينهما مخالفة ، وأن الموضع الخامس نقله بولس فى الآية الخامسة الى السابعة فى رسالته الى العبرانيين وبينهما مخالفة ، وأما حال الموضع السادس (١) فلم يتضح لى حق الاتضاح ، لكن « هورن » لما كان من المحققين المعتبرين عندهم فاقراره يكفى حجة عليهم .

الشاهد التاسع والعشرين : فى الآية الثامنة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج فى المتن العبرانى الأصل فى مسألة الجارية وقع النفى وفى عبارة الحاشية وجد الاثبات .

الشاهد الثلاثون : فى الآية الحادية والعشرين من الاصحاح الحادى عشر من سفر الأحبار فى حكم الطيور التى تمشى على الأرض فى المتن العبرانى وجد النفى وفى عبارة الحاشية الاثبات .

---

(١) الموضع السادس لم يتضح للمؤلف ولا للناقل عنه . وهو أن الآية الرابعة ونصها « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤) اقتبسها بولس فى الاصحاح الخامس من الرسالة الى العبرانيين فقال : « أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق »

الشاهد الحادى والثلاثون : فى الآية الثلاثين من الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الأحبار فى حكم البيت ، فى المتن وجد النفى وفى عبارة الحاشية الاثبات ، واختار علماء البروتستنت فى هذه المواضع الثلاثة فى تراجمهم الاثبات ، ـ وعبارة الحاشية ـ وتركوا المتن ـ الأصل ـ فعندهم الأصل فى هذه المواضـــع محرف ، ومن وقوع التحريف فيها اشتبهت الأحكام الثلاثة المندرجة فيها فلا يعلم يقينا أن الصحيح الحكم الذى يفيده النفى أو الحكم الذى يفيده الاثبات ، وظهر من هذا أن ما قالوه من أنه لم يثبت حكم من أحكام الكتب السماوية بوقوع التحريف الذى فيها غير صـــحيح .

الشاهد الثانى والثلاثون : فى الآية الثامنة والعشرين من الاصحاح العشرين من سفر الاعمال : (حتى تركوا كنيسة الله التى اقتنى بدمه) قال كريباخ (لفظ الله غلط والصحيح لفظ الرب) فعنده لفظ الله محرف .

الشاهد الثالث والثلاثون : فى الآية السادسة عشر من الاصـــحاح الثالث من رسالة بولس الأولى الى طيموساوس (الله ظهر فى الجسد) قال كريباخ (ان لفظ الله غلط والصحيح ضمير الغائب) أى بأن يقال هو .

الشاهد الرابع والثلاثون : فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الثامن من المشاهدات (ثم رأيت ملكا طائرا) قال كريباخ وشولز (لفظ الملك غلط والصحيح لفظ العقاب .

الشاهد الخامس والثلاثون : فى الآية الحادية والعشرين من الاصحاح الخامس من رسالة بولس الى أهل أفسيس (وليخضع بعض لبعض لخوف الله) قال كريباخ وشـــولز (أن لفظ الله غلط والصحيح لفظ المسيح) انتهى .

ولنكتف من شواهد المقصد الاول على هذا القدر خوفا من الاطالة والكثرة التى توجب للسامعين الملالة .

المقصد الثانى فى اثبات التحريف بالزيادة :

ولنورد أيضا لذلك شـــواهد :

الشاهد الأول : اعلم أن ثمانى كتب من العهد العتيق كان مشكوكا فى صحتها وغير مقبولة عند المسيحيين الى ثلثمائة وأربع وعشرين سنة ، وهى كتاب أستير وكتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب انكليزيا ستيكس والكتاب الأول للمقابيين ، وفى سنة ثلثمائة وخمس وعشرين من السنين المسيحية انعقد مجلس علماء المسيحيين انعقد مجلس علماء المسيحيين بحكم السلطان قســطنطين ببلدة نائس ليتشـاوروا ويحققوا الأمر فى هذه الكتب المشكوك فيها ، وبعد المشاورة والتحقيق حكم هؤلاء بأن كتاب يهوديت واجب التسليم وأبقوا باقى الكتب مشكوك فيها كما كانت ، وهذا الأمر يظهر من المقدمة التى كتبها جيروم على ذلك الكتاب ، ثم بعد ذلك انعقد مجلس لوديسيا فى سنة ثلثمائة وأربع وستين وعلماء هذا المجلس سلموا حكم علماء المجلس الأول فى كتاب يهوديت ، وزادوا عليه من الكتب المذكورة كتاب أستير وأكدوا حكمهم بالرسالة العامة ثم بعد ذلك انعقد مجلس كارتهيج فى سنة ثلثمائة وسبع وتسعين وكان أهل ذلك المجلس مائة وسبعة وعشرين عالما من العلماء المشهورين ومنهم الفاضل المشـــهور المقبول عندهم اكستاين فهؤلاء العلماء سلموا أحكام المجلسين الأولين وسلموا الكتب الباقية لكنهم جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب ارميا لأن باروخ عليه السلام كان بمنزلة نائب لارميا عليه السلام ، فلذلك ما كتبوا اسم كتاب باروخ على حدة ، فى أسماء الكتب .

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس أخر أعنى مجلس نزلو ومجلس فلورنس ومجلس ترنت ، وعلماء هذه المجالس الثلاثة سلموا أحكام المجـــالس الثلاثة السابقة وبعد انعقاد هذه المجالس صارت الكتب المذكورة مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقت الى مدة ألف ومائتى سنة ، ثم ظهرت فرقة البروتستنت ، فرددوا حكم أسلافهم فى كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب انكليزيا ستيكس وكتابى المقابيين ، وقالوا

أن هذه الكتب ليست مسلمة الهامية بل واجبة الرد ، وردوا حكمهم فى جزء من كتاب استير ، وسلموا فى جزء ، لأن هذا الكتاب كان ستة عشر اصحاحا فسلموا الاصحاحات التسعة الأول وثلاث آيات من الاصحاح العاشر ، وردوا عشر آيات من هذا الاصحاح وستة اصحاحات باقية .

وتمسكوا بوجوه منها : أن يوسى بيس المؤرخ صرح فى الباب الثانى والعشرين من الكتاب الرابع أن هذه الكتب حرفت سيما الكتاب الثانى للمقابيين . ومنها : أن اليهود لا يقولون انها الهامية والكنيسة الرومانية التى متبعوها الى الآن أيضا أكثر من فرقة بروتستنت تسلم هذه الكتب الى هذا الحين ، وتعتقد أنها الهامية واجبة التسليم ، وهى داخلة فى ترجمتهم اللاطينية التى هى مسلمة ومعتبرة عندهم غاية الاعتبار ومبنى دينهم وديانتهم .

اذا علمت هذا : فأقول أى تحريف بالزيادة يكون أزيد من هذا عند فرقة البروتستنت واليهود ؟ لأن الكتب التى كانت غير مقبولة الى ثلثمائة وأربع وعشرين سنة وكانت محرفة غير الهامية ، جعلها أسلاف المسيحيين فى المجالس المتعددة واجبة التسليم ، وادخلوها فى الكتب الالهامية وأجمع ألوف من علمائهم على أحقيتها والهاميتها ، والكنيسة الرومانية الى هذا الزمان تصر على كونها الهامية ، فظهر من هذا أنه لا اعتبار لاجماع أسلافهم وليس هذا الاجماع دليلا ضعيفا على المخالف ، فضلا عن أن يكون قويا فكما اجمعوا على هذه الكتب المحرفة الغير الهامية يجوز أن يكون اجماعهم على هذه الأناجيل المروجة مع كونها محرفة غير الهامية ، ألا ترى أن هؤلاء الاسلاف كانوا مجمعين على صحة نسخة اليونانية وكانوا يعتقدون تحريف النسخة العبرانية وكانوا يقولون ان اليهود حرفوها فى سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية كما عرفت فى الشاهد الثانى من المقصد الأول ، والكنيسة اليونانية وكذا الكنائس المشرقية الى هذا الحين أيضا مجمعون على صحتها واعتقادها كاعتقاد الأسلاف ، وجمهور

علماء البروتستنت اثبتوا أن اجماع الأسلاف وكذا الأخلاف المقتدين بهم ، غلط . وعكسوا الأمر فاعتقدوا وقالوا فى حق العبرانية ما قال أسلافهم فى حق اليونانية وكذا أجمعت الكنيسة الرومانية على صحة الترجمة اللاطينية ، وعلماء البروتستنت أثبتوا أنها محرفة ، بل لم تحرف ترجمة مثلها . قال هورن فى المجلد الرابع من تفسيره نسخة سنة ١٨٢٢ صفحة ٤٦٣ (وقعت التحريفات والالحاقات الكثيرة فى هذه الترجمة من القرن الخامس الى القرن الخامس عشر) ثم قال فى الصفحة ٤٦٧ (لابد أن يكون ذلك الأمر فى بالك وهو أن ترجمة من التراجم لم تحرف مثل اللاطينية فان ناقليهالغير المبالاة أدخلوافقرات بعض كتاب منالعهد الجديد فى كتاب آخر وكذا أدخلوا عبارات الحواشى فى المتن) انتهى .

واذا كان فعلهم بالنسبة الى ترجمتهم المقبولة المتداولة غاية التداول هذا ، فكيف يرجى منهم أنهم لم يحرفوا المتن ؟ الأصل الذى لم يكن متداولا بينهم مثلها يقينا بل الأظهر أن من بادر منهم الى تحريف الترجمة بادر الى تحريف الأصل ليكون لفعله سترا عند قومه .

والعجب من فرقة البروتستنت أنهم لما أنكروا هذه الكتب لم ابقوا جزءا من كتاب أستير ؟ ولم لم ينكروه رأسا ؟ لأن هذا الكتاب لا يوجد فيه من أوله الى آخره اسم من أسماء الله فضلا عن بيان صفاته أو حكم من أحكامه ، ولا يعلم حال مصنفه وشارحو العهد العتيق لا ينسبونه الى شخص واحد على سبيل الجزم بالدليل ، بل بالظن والتخمين رجما بالغيب ، فبعضهم نسبوه الى علماء المعبد الذين كانوا من عهد عزرا عليه السلام الى زمن سيمن ، ونسبه فلو اليهودى الى يهوكين الذى هو ابن اليسوع الذى جاء من بابل ، بعد ما أطلق الاسراء ، ونسبه اكستاين الى عزرا عليه السلام ، ونسبه البعض الى مردكى ، وبعضهم اليه والى استير ، وفى الصفحة ٣٤٧ من المجلد الثانى من كاتلك هرلد : « الفاضل مليتو ما كتب اسم هذا الكتاب فى ذيل أسماء الكتب المسلمة كما صرح يوسى بيس فى تاريخ كليسيا فى الباب السادس والعشرين من الكتاب

الرابع وضبط كرى نارين زن فى الاشعار أسماء الكتب الصحيحة وما كتبه اسم هذا الكتاب فيها ، وايم فى لوكيس أظهر شبهة على هذا الكتاب فى أشعاره التى كتبها الى سيلوكس ، واتهانى سيش فى مكتوبه التاسع والثلاثين رد هذا الكتاب وقبحه .

الشاهد الثانى : الآية الحادية والثلاثون من الاصحاح السادس والثلاثين من سفر الخليقة هكذا : (وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض ادوم قبل أن يملك ملك لبنى اسرائيل) ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على أن المتكلم لها بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل ، وأول ملوكهم شاول وكان بعد موسى عليه السلام بثلثمائة وست وخمسين سنة ، قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية : (غالب ظنى أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية والآيات التى بعدها الى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه هى آيات الاصحاح الأول من السفر الأول من سفر أخبار الايام وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة ، فظن الناقل أنها جزء المتن فادخلها فيه) انتهى .

فاعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسعة ، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف لأن هذه الآيات التسعة مع عدم كونها من التوراة أدخلت فيه وشاعت بعد ذلك فى جميع النسخ .

الشاهد الثالث : الآية الرابعة عشر من الباب الثالث من سفر الاستثناء (فيايربن منساورث كل أرض أرغوب الى تخوم جاسور ومعكاتى وسمى ياسان باسمه جالوت بأمر التى هى نرى يابر الى هذا اليوم) وهذه الآية أيضا لا يمكن أن تكون من كلام موسى عليه السلام لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخرا عن يابر تأخرا كثيرا كما يشعر به قوله (الى هذا اليوم) لأن مثل هذا اللفظ لا يستعمل الا فى الزمان الابعد على ما حقق المحققون من علمائهم كما ستعرف عن قريب . قال الفاضل المشهور « هورن » لبيان هاتين الفقرتين اللتين نقلتهما فى الشاهد الثانى

والثالث فى المجلد الأول من تفسيره : (هاتان الفقرتان لا يمكن أن يكون من كلام موسى عليه السلام لأن الفقرة الأولى دالة على أن مصنف هذا الكتاب بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل ، والفقرة الثانية دالة على أن مصنفه بعد زمان اقامة اليهود فى فلسطين ، لكن لو فرضناهما الحاقيتين لا يتطرق الخلل فى حقية الكتاب ، ومن نظر بالنظر الدقيق علم أن هاتين الفقرتين ليستا بلا فائدة فقط ، بل هما ثقلان على متن الكتاب ، سيما الفقرة الثانية لأن مصنفه موسى كان أو غيره لا يقول نفظ الى هذا اليوم ، فالأغلب أنه كان فى الكتاب بهذا القدر ، فباين منساورث كل أرض أرغوب الى تخوم جاسور ومعكاتى ، وسمى ياسان باسمه جالوت يابر) ثم بعد قرون زيد اللفظ فى الحاشية ليعلم أن الاسم الذى سماها يايربه هو اسمها الى الآن ، ثم انتقلت تلك العبارة عن الحاشية الى المتن فى النسخ المتأخرة ، ومن كان شاكا فى هذا الأمر فلينظر النسخ اليونانية يجد فيها أن الحاقات التى توجد فى النسخ الاخرى على الحاشية) انتهى فاعترف أن هاتين الفقرتين لا يمكن أن يكونا من كلام موسى عليه السلام ، وقوله فالأغلب الى آخره ، يدل على أنه ليس عنده سند لهذا الأمر سوى زعمه ، وعلى أن هذا الكتاب بعد القرون من تأليفه كان صالحا لتحريف المحرفين لأن هذا اللفظ بحسب اعترافه زيد بعد قرون ، ومع ذلك صار جزءا من الكتاب وشاع فى جميع نسخه المتأخرة ، وقوله :

لو فرضناهما الحاقيتين لا يتطرق الخلل فى حقية الكتاب) يدل على التعصب ، وهو ظاهر ، وقال الجامعون لتفسير « هنرى » و « اسكات » ذيل الفقرة الثانية : (الجملة الأخيرة الحاقية الحقها أحد بعد موسى عليه السلام ، ولو تركت لا يقع الفساد فى المضمون) أقول : تخصيص الجملة الأخيرة لغو لان الفقرة الثانية كلها لا يمكن أن تكون من كلام موسى كما اعترف به « هورن »

تنبيه : بقى فى الفقرة الثانية شىء آخر وهو أن يايرليس ابن منسا بل هو ابن ساغب كما هو مصرح به فى الآية الثانية والعشرين من الاصحاح الثانى من السفر الأول من أخبار الايام .

الشاهد الرابع : الآية الاربعون من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر العدد (فأما يايز بن منسا فعمد وأخذ دساكرها ودعاها جالوت يايز التى هى قرى يايز) وحال هذه الآية كحال آية سفر الاستثناء ، وقد علمت فى الشاهد الثالث وفى دكشنيرى بيبل الذى طبع فى أمريكا واقليم الانكليز والهند ، وشرع فى تأليفه كالمنت وكمله زابت وتيلر هكذا : (بعض الجمل التى توجد فى كتاب موسى تدل صراحة على أنهاليست من كلامه مثل الآية الأربعين من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر العدد ، والآية الرابعة عشر من الاصحاح الثالث من سفر الاستثناء ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاورة كلام موسى ، ولا نقدر أن نقول جزما أن أى شخص ألحق هذه الجمل والعبارات ، لكن نقول بالظن الغالب : أن عزرا النبى ألحقها كما ينبىء عنه الاصحاح التاسع والعاشر من سفره ، والاصحاح الثامن من سفر نحميا) انتهى .

فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى عليه السلام لكنهم ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق على سبيل التعيين ، بل نسبوا ذلك على سبيل الظن الى عزرا عليه السلام ، وهذا الظن ليس بشىء ولا يظهر من الأبواب المذكورة أن عزرا الحق شيئا فى التوراة ، لانه يفهم من اصحاح سفر عزرا أنه تأسف على أفعال بنى اسرائيل ، واعترف بالذنوب ، ويفهم من اصحاح سفر نحميا أن عزرا قرأ التوراة عليهم .

الشاهد الخامس : وقع فى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الخليقة : (كما يقال فى هذا اليوم فى جبل الله يجب أن يتراءى الناس) ولم يطلق على هذا الجبل جبل الله الا بعد بناء الهيكل الذى بناه سليمان عليه السلام بعد أربعمائة وخمسين سنة من موت موسى عليه السلام فحكم آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا بأن هذه الجملة الحاقية ، ثم قال : « وهذا الجبل ما كان يطلق عليه ذلك الاسم ما لم يبين عليه الهيكل) انتهى .

الشاهد السادس : « الآية الثانية عشر من الاصحاح الثانى من سفر الاستثناء هكذا : (فأما من قبل الحوريون سكنوا ساعير وبنو عيسو

طردوهم وأهلكوهم وسكنوها كما فعل بنو اسرائيل بأرض ميراثهم التى وهبها لهم) فحكم آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا بأن هـذه الآية الحاقية وجعل هذا القول (كما فعل بنو اسرائيل) الى آخر دليل الالحـاق .

الشاهد السابع : الآية الحادية عشر من الاصحاح الثالث من سفر الاستثناء هكذا : (من أجل انه عوج وحده ملك باسان كان بقى من نسل الجبابرة . هذا سريره من حديد وهو فى رايات بنى عمون ، طوله تسع أذرع وعرضـه أربع أذرع على قياس ذراع اليد) قال آدم كلارك فى ديباجة تفسير كتاب عزرا (المحاورة سيما العبارة الأخيرة تدل عـلى أن هذه الآية كتبت بعد موت ذلك السلطان بمدة طويلة وما كتبها موسى لانه مات فى مدة خمسة أشهر .

الشاهد الثامن : الآية الثالثة من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد هكذا : (فسـمع الله دعاء آل اسرائيل وسلم فى أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافى وسمى ذلك الموضع حرما) قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره ٦٩٧ : (انى أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يوشع عليه السـلام لان جميع الكنعانيين لم يهلكوا الى عهد موسى بعد موته) .

الشاهد التاسع : الآية الخامسة والثلاثون من الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج هكذا : (وبنوا اسرائيل أكلوا المن أربعين سنة حتى أتوا الى الأرض العامرة كانوا يأكلون هذا القوت الى ما دنوا من تخوم أرض كنعان) هذه الآية ليست من كلام موسى عليه السلام لأن الله تعالى أمسك المن من بنى اسرائيل مدة حياته ، وما دخلوا فى أرض كنعان الى هذه المدة ، قال آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره فى الصفحة ٣٩٩ (ظن الناس من هذه الآية أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المن من بنى اسرائيل ، لكنه يمكن أن يكون عزرا الحق هذه الالفاظ) انتهى كلامه .

أقول ظن الناس ظن صحيح ، واحتمال المفسر المجرد عن الدليل في مثل هذه المواضع لا يقبل ، والصحيح أن الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام ليست من تصنيفه كما أثبت هذا الأمر بالبراهين في الباب الأول .

الشاهد العاشر : الآية الرابعة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد هكذا : (ولذلك يقال فى سفر حروب الرب : كما صنع فى بحر سوف كذلك يصنع فى أودية أرنون) هذه الآية لا يمكن أن تكون من كلام موسى عليه السلام بل تدل على أن مصنف سفر العدد ليس هو ، لأن هذا المصنف نقل ههنا الحال عن سفر حروب الرب ، ولم يعلم الى الآن جزما أن مصنف هذا السفر اى شخص ؟ ومتى كان ؟ وأين كان ؟ وهذا السفر كالعنقاء عند أهل الكتاب سمعوا اسمه وما رأوه . ولا يوجد عندهم ، وحكم كلارك فى ديباجة تفسير سفر الخليقة أن هذه الآية الحاقية ثم قال : (الغالب أن لفظ سفر حروب الرب كان فى الحاشية ثم دخل فى المتن) انتهى . فاعترف أن كتبهم كانت قابلة لأمثال هذه التحريفات ، فان عبارة الحاشية دخلت فى المتن على اقراره وشاعت فى جميع النسخ .

الشاهد الحادى عشر : وقع فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح الثالث عشر ، وفى الآية السابعة والعشرين من الاصحاح الخامس والثلاثين ، وفى الآية الرابعة عشر من الاصحاح السابع والثلاثين من سفر الخليقة لفظ « حبرون » وهو اسم قرية كان اسمها فى سالف الزمان (قرية أربع) وبنو اسرائيل بعد ما فتحوا فلسطين فى عهد يوشع عليه السلام غيروا هذا الاسم الى حبرون كما هو مصرح به فى الاصحاح الرابع عشر من سفر يوشع ، فهذه الآيات ليست من كلام موسى عليه السلام ، بل من كلام شخص كان بعد هذا الفتح والتغيير ، وكذلك وقع فى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الرابع عشر من سفر الخليقة لفظ « دان » وهو اسم بلدة عمرت فى عهد القضاة لأن بنى اسرائيل بعد موت يوشع عليه السلام فى عهد القضاة فتحوا بلدة ليث وقتلوا أهلها وأحرقوا تلك

البلدة وعمروا بدلها بلدة جديدة وسموها دان كما هو مصرح به فى الاصحاح الثامن عشر من سفر القضاة ، فلا تكون هذه الآية أيضا من كلام موسى عليه السلام . قال هورن فى تفسيره : (يمكن أن يكون موسى كتب قرية أربع وليث ، ولكن بعض الناقلين حرف هذين اللفظين بحبرون ودان » انتهى .

فانظر أيها اللبيب الى أعذار هـــؤلاء أولى الأيدى والابصار كيف يتمسكون بهذه الأعذار الضـــعيفة الواهية ؟ وكيف يقرون بالتحريف ؟ وكيف يلزم عليهم الاعتراف بكون كتبهم قابلة للتحريف ؟

الشاهد الثانى عشر : وقع فى الآية السابعة من الاصحاح الثالث عشر من سفر الخليقة هـــذه الجملة : (والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون فى البلد) ووقع فى الآية السادسة من الاصـــحاح الثانى عشر من سفر الخليقة هذه الجملة : (والكنعانيون حينئذ فى البلد) فالجملتان المذكورتان تدلان على أن الآيتين المذكورتين ليستا من كلام موسى عليه السلام ، ومفسروهم يعترفون بالالحاق . ففى تفسير « هنرى » و «اسكات» هذه الجملة : (والكنعانيون حينئذ فى البلد ، وكذا الجمل الأخر فى مواضع شتى ملحقة لاجل الربط ، ألحقها عزرا أو شخص الهامى فى وقت آخـــر فى وقت جمع الكتب المقدسة) انتهى ، فاعترفوا بالحاق الجمل وقولهم الحقها عزرا أو شخص الهامى آخر غير مسلم ، اذ ليس عليه دليل سوى ظنهم ، وهو لا يغنى عن الحق شيئا .

الشاهد الثالث عشر : قال آدم كلارك فى المجلد الأول من ســـفر الاستثناء فى الصفحة ٧٤٩ (الآيات الخمسة من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقى الكتاب وليست من كلام موسى عليه السلام والأغلب أن يوشع أو عزرا ألحقها) انتهى كلامه ، فاعترف بكون الآيات الخمس ملحقة وأسندها بمجرد زعمه بلا دليل يوشع أو عزرا وزعمه المجرد لا يكفى كما لا يخفى .

الشاهد الرابع عشر : الاصحاح الرابع والثلاثون من سفر الاستثناء ليس من كلام موسى عليه السلام قال آدم كلارك فى المجلد الأول من

تفسيره : (ثم كلام موسى على الاصحاح السابق ، وهذا الاصحاح ليس من كلامه ، ولا يجوز ان يقال ان موسى عليه السلام كتب هذا الاصحاح أيضا بالالهام لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحس ، ويجعل المطلب كله لغوا لأن روح القدس اذا ألهم الكتاب اللاحق لشخص ، يلهم هذا الباب أيضا لهذا الشخص ، وانى أجزم بأن هذا الاصحاح كان اصحاحا أول يوشع عليه السلام ، والحاشية التى كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية قابلة للقبول ، قال : ان أكثر المفسرين قالوا أن سفر الاستثناء تم على الدعاء الالهامى الذى دعا به موسى عليه السلام الاثنى عشر سبطا على هذه الفقرة وهى « فطوباك يا نسل اسرائيل ليس مثلك شعب مغاث بالله » الى آخرها ، وأن هذا الاصحاح كتبه المشايخ السبعون بعد مدة من موت موسى وكان هذا الاصحاح أول اصحاحات سفر يوشع لكنه انتقل من ذلك الموضع الى هذا الموضع) انتهى كلامه .

فاليهود والمسيحيون متفقون على أن هذا الاصحاح ليس من كلام موسى عليه السلام بل هو الحاقى . وقوله : (انى أجزم بأن هذا الاصحاح كان أول اصحاح سفر يوشع وكذا ما نقل عن اليهود أن هذا الاصحاح كتبه المشايخ السبعون) الى آخره قول بلا دليل ولا سند ، ولذلك قال جامعو تفسير « هنرى » و « اسكات » : (ثم كلام موسى على الاصحاح السابق ، وهذا الاصحاح من الملحقات . والملحق اما يشوع أو صموئيل أو عزرا أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم لا يعلم بالجزم ، ولعل الآيات الاخيرة ألحقت بعد زمان أطلق فيه بنو اسرائيل من أسر بابل) انتهى ما قالوه ، ومثله فى تفسير « دوالى » و « رجردمينت » فانظر الى قول هؤلاء أعنى الملحق اما يشوع الى آخر العبارة كيف يشكون ولا يجزمون ؟ وأين قولهم من قول اليهود ؟ وقولهم : أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم بلا دليل أيضا .

واعلم انما قلته فى الآيات التى نقلتها من الشاهد الثانى الى هنا أنها شواهد التحريف بالزيادة من زيادة الآيات أو الجمل أو الألفاظ ، فمبنى على تسليم ما يدعيه أهل الكتاب الآن من أن هذه الاسفار الخمسة

المروجة من تصنيف موسى عليه السلام والا فهذه الآيات دلائل على أن هذه الاسفار ليست من تصنيفه ، ونسبتها اليه غلط ، كما هو المختار عند علماء الاسلام ، وقد عرفت فى الشاهد التاسع أن الناس من أهل الكتاب أيضا قد استدلوا ببعض هذه الآيات على مثل ما قلنا . وما يدعيه علماء البروتستانت من أن نبيا من الأنبياء الحق هذه الآيات والجمل والألفاظ خاصة ، غير مسموع ، ما لم يبرهنوا عليه ، وما لم يوردوا سندا ينتهى الى النبى المعين الملحق . ودون ذلك خرط القتاد .

الشاهد الخامس عشر : نقل آدم كلارك فى الصفحة ٧٧٩ وصفحة ٧٨٠ من المجلد الأول من تفسيره فى شرح الاصحاح العاشر من سفر الاستثناء تقرير « كنى كات » وهو فى غاية الاطناب وخلاصته (أن عبارة المتن السامرى صحيحة ، وعبارة العبرى غلط ، وأربع آيات ما بين الآية الخامسة والعاشرة أعنى من الآية السادسة الى التاسعة ههنا أجنبية محضة ، لو أسقطت ارتبط جميع العبارة ارتباطا حسنا ، فهذه الآيات الأربع كتبت من غلط الكاتب ههنا وكانت من الاصحاح الثانى من سفر الاستثناء) انتهى . وبعد ما نقل هذا التقرير أظهر رضاءه عليه ، وقال (لا يعجل فى انكار هذا التقرير) .

الشاهد السادس عشر : الآية الثانية من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاستثناء هكذا : (ومن تولد من الزنا لا يدخل جماعة الرب حتى يمضى عليه عشرة أعقاب) فهذا الحكم لا يمكن أن يكون من جانب الله سبحانه ، وما كتبه موسى عليه السلام والا يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام ولا أباه الى فارص فى جماعة الرب لأن داود عليه السلام بطن عاشر من فارص كما يفهم من الاصحاح الأول من انجيل متى وفارص ولد الزنا كما هو مصرح به فى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر الخليقة ، وهارسلى المفسر حكم بأن هذه الألفاظ (حتى يمضى عليه عشرة أعقاب) الحاقية .

الشاهد السابع عشر : قال جامعو تفسير هنرى واسكات ذيل الآية التاسعة من الاصحاح الرابع من سفر يوشع : (هذه الجملة وهى

« الى هـذا اليوم » هناك وأمثالها وقعت فى أكثر أسـفار العهد العتيق والأغلب أنها الحاقية) انتهى ، فحكموا بالحاق هذه الجملة والحـاق كل جملة تكون مثلها فى العهد العتيق ، فاعترفوا بالالحاق فى المواضع الكثيرة لأن أمثالها يوجد فى سـفر يشـوع فى الآية التاسعة من الاصـحاح الخامس وفى الآية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من الاصحاح الثامن وفى الآية السابعة والعشرين من الاصحاح العاشر وفى الآيـة الثالثة عشر من الاصـحاح الثالث عشر ، وفى الآية الرابعـة عشر من الاصحاح الرابع عشر ، وفى الآية الثالثة والستين من الاصحاح الخامس عشر وفى الآية العاشرة من الاصحاح السادس عشر . ففى ثمانية مواضع أخرى من هذا السفر لزم اعترافهم بالحاق الجمل المذكورة ، ولو نقلنا عن سائر أسفار العهد العتيق يطول البحث جدا .

الشاهد الثامن عشر : الآية الثالثة عشر من الاصحاح العاشر من سفر يشوع : (فتوقفت الشمس وقام القمر الى أن انتقم القوم من عدوهم ، أليس هذا مكتوبا فى سفر اليسير) ؟ ووجد فى بعض التراجم (سـفر يصار) وفى البعض (سفر ياشر) فعلى كل تقدير لا تكون هذه الآية من كلام يشوع لأن هذا الامر منقول من السفر المذكور ولم يعلم الى هذا الحين أن مصنفه متى كان ؟ ومتى صنف ؟ الا أنه يظهر من الآية الثامنة عشر من الاصحاح الأول من سفر صموئيل الثانى أنه يكون معاصرا لداود عليه السلام أو بعده ، واعترف جامعو تفسير هنرى واسكات ذيل الآية الثالثة والستين من الاصحاح الخامس عشر (بأنه يعلم من هذه الفقرة أن سفر يشوع كتب قبل العام السابع من سلطنة داود عليه السلام) انتهى . وولد داود عليه السلام بعد ثلثمائة وثمان وخمسين سنة من موت يشوع عليه السلام على ما هو مصرح به فى كتب التواريخ التى هى من تصنيفات علماء البروتستنت . والآية الخامسة عشر من الاصـحاح العاشر المذكور على اقـرار محققيهم زيدت تحريفا فى المتن العبرى ، ولا توجد فى الترجمة اليونانية قال المفسر « هارسلى » فى الصـفحة

السبعين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره : (فلتسقط هذه الآية على وفق الترجمة اليونانية) .

الشاهد التاسع عشر : وقع فى بيان ميراث بنى جاد فى الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الثالث عشر من سفر يشوع هذه العبارة : (ونصف الأرض من بنى عمون الى عرا وعير التى هى فى محاذات ربا) وهى غلط محرفة لأن موسى عليه السلام ما أعطى بنى جاد شيئا من أرض بنى عمون لأن الله تعالى كان نهاه كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى من سفر الاستثناء ، ولما كانت غلطا محرفة اضطر المفسر «هارسلى» أن يقول : (المتن العبرى ههنا محرف) .

الشاهد العشرون : فى الآية الرابعة والثلاثين من الاصحاح التاسع عشر من سفر يشوع وقعت هذه الجملة : (واتصل بميراث بنى يهودا فى جانب المشرق من الأردن) وهذه غلط لأن أرض بنى يهودا كانه بعيدة جدا فى جانب الجنوب ، ولهذا قال آدم كلارك (الأغلب أنه وقع تحريف ما فى الفاظ المتن) .

الشاهد الحادى والعشرون : قال جامعو تفسير هنرى واسكات فى شرح الاصحاح الأخير من سفر يشوع (ان الآيات الخمسة الاخيرة يقينا ليست من كلام يشوع بل ألحقها فينحاس أو صموئيل ، وكان مثل هذا الالحاق رائجا كثيرا بين القدماء) انتهى . فالآيات الخمسة الحاقية عندهم يقينا . وما قالوا ان ملحقها فينحاس أو صموئيل غير مسلم اذ لا سند له ولا دليل ، وقولهم مثل هذا الالحاق كان رائجا كثيرا لا يخفى ما فيه من فتح باب التحريف عليهم ، وأنه لما لم يكن معيبا كان لكل أن يزيد شيئا ، فوقعت التحريفات العديدة وشاع أكثرها فى جميع نسخ الكتاب المحرف هيه .

الشاهد الثانى والعشرون : قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الثالثة والثمانين بعد المائتين من المجلد الأول من تفسيره ان ستة آيات من الاصحاح الأول من سفر القضاة من الآية العاشرة الى الخامسة عشرة الحاقية .

الشاهد الثالث والعشرون : وقع فى الآية السابعة من الاصحاح السابع عشر من سفر القضاة فى بيان حال رجل كان من بنى يهودا هذه الجملة : (وكان لاويا (١)) ولما كانت غلطا قال المفسر هارسلى (هـذه غلط لأنه لا يمكن أن يكون رجل من بنى يهودا لاويا ، وهيوبى كنيت بعد ما فهم انها الحاقية اخرجها من المتن .

الشاهد الرابع والعشرون : الآية التاسعة عشر من الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول هكذا : (وأهلك الرب أهل بيت الشمس لانهم فتحوا صندوق الرب ورأوه ، فأهلك مفهم خمسين ألفا وسبعين انسانا) وهذا غلط . قال آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره بعد القدح والجرح ، الغالب أن المتن العبرى محرف اما سقطت منه بعض الألفاظ واما زيد فيه لفظ خمسين ألفا جهلا أو قصدا لأنه لا يعقل أن تكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا المقدار أو يكون هذا المقدار مشتغلا بحصد الزرع ، وأبعد من هذا أن يرى خمسون ألفا الصندوق دفعة واحدة فى جرن يشوع على حجرابل) ثم قال : (فى اللاتينية سبعون رئيسا وخمسون ألفا وسبعون انسانا وفى السريانية خمسة آلاف وسبعون انسانا وكذلك فى العربية خمسة آلاف وسبعون انسانا . وكتب يوسيفوس المؤرخ سبعون انسانا فقط ، وكتب سليمان الجارجى الربى والربيون الآخرون بطريق آخـر فهذه الاختلافات مع عدم الامكان المذكور ، تعطينا اليقين . أن التحريف وقع ههنا يقينا فاما زيد شىء أو سقط) انتهى . وفى تفسير هنرى واسكات هكذا : (بين عدد المقتولين فى الأصل العبرى على طريق معكوس ، ومع قطع النظر عن هذا يبعد أن يذنب الناس بهذا المقدار ويقتلون فى القرية الصغيرة ففى صدق هذه الحادثة شك ، وكتب يوسيفوس أن عدد المقتولين سبعون فقط) انتهى ، فانظر الى هؤلاء المفسرين كيف استبعدوا هـذا الأمر ، وردوا وأقروا بالتحريف .

---

(١) اليهود كانوا سبطى يهوذا وبنيامين . والسامريون كانوا بقية الأسباط . واللاويون كانوا يعيشون بين اليهود والسامريين فقوله كان لاويا . أى لاوى كان يعيش بين اليهود ، وكان يطلق على اليهود أرض يهوذا . وان لم يكن هذا هـو غرض الكاتب فالنص محرف كما قال هارسلى .

الشاهد الخامس والعشرون : قال آدم كلارك فى شرح الآية الثامنة عشر من الاصحاح السابع عشر من سفر صموئيل الأول : (فى هـذا الاصحاح من هذه الآية الى الحادية والثلاثين والآية الحادية والاربعون ، ومن الآية الرابعة والخمسين الى آخر الاصحاح وفى الاصحاح الثامن عشر ، الآيات الخمسة من أول هذا الاصحاح والآية التاسعة والعاشرة والحادية عشر والسابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر لا توجد فى الترجمة اليونانية ، وتوجد فى نسخة اسكندريانوس انظروا فى آخر هذا الباب أن كنى كات حقق أن هـذه الآيات المذكورة ليست جزءا من الأصل) ثم نقل فى آخر الاصحاح المذكور تقرير كنى كات وهو فى غاية الاطناب بحيث ظهر منه كون هذه الآيات محرفة الحاقية ، وانا انقل عنه بعض الجمل (ان قلت متى وجد هذا الالحاق ؟ قلت كان اليهود فى عهد يوسيفوس يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغنـاء واختراع الأقوال الجديدة ، انظروا الى الالحاقات الكثيرة فى كتـاب استير ، والى حكاية الخمر والنساء والصدق التى زيدت فى سـفرى عزرا ونحميا ، وتسمى الآن بالسـفر الأول لعزرا ، والى غناء الأطفال الثلاثة الذى زيد فى سـفر دانيال والى الالحاقات الكثيرة فى كتـاب يوسيفوس ، فيمكن أن هذه الآيات كانت مكتوبة فى الحاشية ، ثم دخلت فى المتن لأجل عدم مبالاة الكاتبين) انتهى .

قال المفسر « هارسلى » فى الصفحة الثلثمائة والثلاثين من المجلد الأول من تفسيره : (ان كنى كات قال فى الاصحاح السابع عشر من سفر صموئيل يعلم أن عشرين آية من الآية الثانية عشر الى الآية الحادية والثلاثين الحاقية وقابلة للاخراج ، ويقول : اذا صححت ترجمتنا مرة أخرى فلا تدخل هذه الآيات فيها) انتهى .

أقول : لما كانت عادة اليهود فى عهد يوسيفوس كما أقر به كنى كات أن حرفوا بالمقدار الذى صرح به ههنا ، وصرح به فى مواضع أخر كما سبق نقل بعض أقواله فى الشواهد السابقة وسيجىء نقل بعضها فى الشواهد الآتية ان شاء الله تعالى ، فكيف يعتمد على ديانتهم فى هذه الكتب ؟ لأنه لما كان مثل هذا التحريف سببا لتزيين الكتب المقدسة عندهم ، ولم يكن

مذمومًا لذلك ، فلا شك أنهم يفعلون ما يفعلون . وعدم مبالاة الكتاب كان سببًا لشيوع تحريفاتهم فى النسخ ، فوقع من الفساد ما وقع ، مظهر أن ما يتفوه به علماء البروتستانت فى تقريراتهم وتحريراتهم على سبيل المغالطة وهو أن التحريف لم يصدر عن اليهود لأنهم كانوا أهل ديانة وكانوا يعترفون بكون أسفار العهد العتيق كلام الله بسيطة محضة .

الشاهد السادس والعشرون : الآية الثالثة من الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى هكذا :

لأن هيروديس كان قد أخذ يحيى وكتفه وألقاه فى السجن لاجل هروديا زوجة أخيه فيلبوس ، والآية السابعة عشر من الاصحاح السادس من انجيل مرقس هكذا : (لأن هيروديس كان قد أرسل وقبض على يحيى وقيده فى السجن لاجل هروديا زوجة فيلبوس) وفى الآية التاسعة عشر من انجيل لوقا هكذا : (وكان هيروديس رئيس الربع لما انتهره يحيى من اجل هروديا زوجة أخيه فيلبوس) الى الآخر ، ولفظ فيلبوس غلط يقينا فى الأناجيل الثلاثة (١) ولما يثبت فى كتاب من كتب التواريخ أن اسم زوج هروديا كان فيلبوس ، بل صرح يوسيفوس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر أن اسمه كان هيرود أيضا ، ولما كان غلطا قال «هورن» فى الصفحة ٦٣٢ من المجلد الأول من تفسيره (الغالب أن اسم فيلبوس وقع فى المتن من غلط الكاتب ، فليسقط وكريسباخ قد أسقطه) انتهى .

---

(١) هذا الذى ذكروه من أن لفظ « فيلبوس » غلط يقينا ، يدل على أن رواية قتل يوحنا المعمدان — الذى هو يحيى عليه السلام — رواية لا أصل لها . فانهم كتبوا أن « هيرودوس » قتل يحيى بايعاز من « هروديا » امرأة « فيلبس » أخيه (متى ١٤ : ٦ — ١٢)

وفى القرآن الكريم أن يحيى عليه السلام لم يقتل ، وانما مات كما يموت سائر الناس . فان الله تعالى فرق بين القتل والموت فى قوله تعالى : « أفان مات أو قتل » ونفى عن عيسى عليه السلام القتل ولم ينف عنه الوفاة فى قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه » وذكر عن يحيى مثل ما ذكر عن عيسى تماما . فقال عن يحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وقال عن عيسى : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فقد أثبت لهما الموت ، ولم يثبت لهما القتل .

وعندنا هذا الغلط من اغلاط الانجليين ، ولا نسلم قولهم من غلط الكاتب لانه دعوى بلا دليل ويبعد كل البعد ان يقع الغلط من الكاتب فى الاناجيل الثلاثة فى مضمون واحد ، وانظر الى تجاسرهم انهم بمجرد ظنهم يسقطون الفاظا ويدخلونها ، وتحريفهم هذا جار فى كل زمان ولما كان ايراد الشواهد على سبيل الالزام اوردت هذا الشاهد فى امثلة التحريف بالزيادة على تسليم ما ادعوه ، وهو فى الحقيقة بالنظر الى الاناجيل الثلاثة ثلاث شواهد .

الشاهد السابع والعشرون : الآية الحادية والثلاثون من الاصحاح السابع من انجيل لوقا هكذا : (ثم قال الرب بماذا أشبه هذا الجيل ؟ أو ما الذى يشابهونه ؟) وهذه الجملة (ثم قال الرب) زيدت تحريفا . قال المفسر آدم كلارك فى ذيل هذه الآية : (هذه الالفاظ ما كانت أجزاء لمتن لوقا قط ، وهذا الأمر شهادة تامة ، ورد كل محقق هذه الألفاظ وأخرجها ببخل وكريسباخ من المتن) انتهى . فانظر كيف حقق هذا المفسر ، والعجب أن المسيحيين من فرقة البروتستنت لا يتركونها فى تراجمهم ، أليس ابخال الالفاظ التى ثبتت زيادتها بالشهادة التامة ويردها كل محقق ، فى الكلام الذى هو كلام الله فى زعمهم ، من أقسام التحريف ؟

الشاهد الثامن والعشرون : الآية التاسعة من الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : (وحينئذ كمل قول النبى ارميا حيث قال : فقبضوا الدراهم الثلاثين من الثمن الذى ثمنه بنو اسرائيل) ولفظ ارميا غلط من الأغلاط المشهورة فى انجيل متى لان هذا لا يوجد فى سفر ارميا ولا يوجد هذا المضمون فى سفر آخر من أسفار العهد العتيق أيضا بهذه الألفاظ ولا ما يؤدى معناها المطابقى ، وفى هذا الموضع أقوال مضطربة لعلماء المسيحيين سلفا وخلفا . قال وارد كاتلك فى كتابه المسمى بكتاب الأغلاط التى طبع فى سنة ١٨٤١ من الميلاد فى الصفحة السادسة والعشرين (كتب مستر جووِيل فى كتابه أنه غلط مرقس فكتب أبى شار موضع أخى ملك ، وغلط متى فكتب ارمياء موضع زكرياء) انتهى . وقال

هورن فى الصفحة الخامسة والثمانين بعد الثلثمائة والسادسة والثمانين بعدها من المجلد الثانى من تفسيره المطبوع فى سنة ١٨٢٢ (فى هذا النقل اشـــكال جدا لأنه لا يوجد فى كتاب ارمياء مثل هذا ، ويوجد فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر زكريا لكن لا يطـــابق الفاظ متى ألفاظه ، وبعض المحققين على أنه وقع الغلط فى نسخة متى وكتب الكاتب ارمياء موضع زكريا أو أن هذا اللفظ الحاقى) انتهى . وبعد ذلك نقل شواهد الالحاق ، ثم قال (والأغلب أن عبارة متى كانت بدون ذكر الاسم هكذا (وحينئذ كمل قول النبى حيث قال) الى آخرها ويقوى هذا الظن : أن متى يترك أسماء الأنبياء اذا نقل) انتهى . وقال فى الصفحة الخامسة والعشرين بعد الستمائة من المجلد الأول من تفسيره : (الانجيلى ما كتب فى الأصل اسم النبى لكنه أدرجه بعض الناقلين) أ. هـ. فعلم من العبارتين أن المختار عنده أن هـــذا اللفظ الحاقى . وفى تفســـير دوالى ورجردمينت فى ذيل هذه الآية : (هذه الالفاظ المنقولة ههنا لا توجد فى كتاب ارميا بل توجد فى الآية الثانية عشر من الاصحاح الحادى عشر من سفر زكريا . ومن بعض توجيهاته : أن الناقل كتب فى الزمان الاول عند استنساخ الانجيل ارميا موضع زكريا غلطا ، وبعد ذلك دخل هذا الغلط فى المتن كما كتب بيرس) انتهى .

وحكى جواد بن ساباط فى مقدمة كتابه المسمى بالبراهين الساباطية : انى سألت قسيسين كثيرين عن هذا فأجاب طامس بطغيان قلم الكاتب ، وقال بيو كانان ومارطيروس وكيراكوس ان متى كتب اعتمادا على حفظه بدون مراجعته الى الكتب فوقع فى الغلط . وقال بعض القسيسين لعل زكريا كان يسمى ارميا أيضا) انتهى .

أقول المختار أن هذا الغلط صدر عنى متى كما هو الظاهر واعترف به وارد وجووبل وبيوكان وماطيروس وكيراكوس والاحتمـــالات الباقيـــة ضعيفة يردها ما قلت أولا واعترف به « هورن » أيضا من أنه لا يطابق ألفاظ متى ألفاظ زكريا فلا يصح لفظ زكريا أيضا بدون اقرار التحريف فى

احدى العبارتين ، وأوردت هذا الشاهد ههنا على زعم الذين ينسبون هذا اللفظ الى زيادة الكاتب . ولما فرغت من بيان غلط متى ناسب أن أبين ما اعترف به مستر جوويل وأورد ، من غلط مرقس ، فأقول : عبارة انجيله فى الاصحاح الثانى هكذا : (فقال لهم ألم تقرؤا ما فعله داود لما احتاج وجاع هو ومن معه كيف دخل بيت الله أيام كاهن الكهنة أبيثار وأكل خبز التقدمة الذى لا يجوز أكله لغير الكهنة وكيف اعطى الذين كانوا معه أيضا) ؟ فلفظ أبيثار غلط كما اعترفا به وكذلك هاتان الجملتان (وجاع هو ومن معه) و (كيف أعطى الذين كانوا معه أيضا) لأن داود عليه السلام كان منفردا فى هذا الوقت ولم يكن أحد معه ، كما لا يخفى على من طالع سفر صموئيل الأول . واذا ثبت أن الجملتين المذكورتين غلطان فى انجيل مرقس ، ثبت أن ما وقع مثلهما فى انجيل متى ولوقا غلط ، ففى انجيل متى فى الاصحاح الثانى عشر هكذا : (فقال لهم الم تقرؤا ما فعل داود لما جاع هو ومن معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى أكله لا يحل له ولا لمن كان معه ، بل للكهنة فقط) ؟ وفى انجيل لوقا فى الاصحاح السادس هكذا : (فقال عيسى لهم وهو يحاورهم أما قرأتم ما فعل داود لما جاع هو والذين كانوا معه كيف دخل بيت الله وأخذ خبز التقدمة الذى لا يجوز أكله الا للكهنة فقط وأكله واعطى من معه أيضا) ؟ ففى نقل هذا القول المسيحى وقع سبع أغلاط فى الأناجيل الثلاثة ، فان نسبوا هذه السبعة الى الكاتبين كانوا مقرين بالتحريف فى سبعة مواضع ، وهذا وان كان خلاف الظاهر لا يضرنا أيضا .

الشاهد التاسع والعشرون : الآية الخامسة والثلاثون من السابع والعشرين من انجيل متى هكذا : (فصلبوه واقتسموا بقرع لباسه ليكمل قول النبى حيث قال انهم اقتسموا لباسى واقترعوا على قميصى) فهذه العبارة وهى (ليكمل قول النبى حيث قال انهم اقتسموا لباسى واقترعوا على قميصى) محرفة واجبة الحذف عند محققيهم ولذلك حذفها كريسباخ ، وأثبت هورن بالأدلة القاطعة فى الصفحة ٣٣٠ و ٣٣١ من المجلد الثانى من تفسيره انها الحاقية ثم قال (لقد استحسن كريسباخ فى تركها بعد

ما ثبت عنده أنها كذبة قطعا) وقال آدم كلارك فى المجلد الخامس من تفسيره فى ذيل الآية المذكورة (لابد من ترك هذه العبارة لأنها ليست جزء من المتن وتركتها النسخ الصحيحة ، وكذا تركتها التراجم الا شذوذا وكذا تركها غير المحصورين من القدماء ، وهذه الحاشية صريحة أخذت من الآية الرابعة والعشرين من الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا .

الشهود الثلاثون : وقع فى الاصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى هكذا (٧ لأن الذين يشهدون فى السماء ثلاثة وهم الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحد ٨) والشهود الذين يشهدون فى الأرض ثلاثة وهم الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة تتحد فى واحد) ففى هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم محققوهم هذا القدر وهو (لأن الشهود الذين يشهدون ثلاثة وهم الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة تتحد فى واحد) ففى هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم محققوهم وهو (لأن الشهود الذين يشهدون ثلاثة وهم الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة تتحد فى واحد) فزاد معتقدوا التثليث هذه العبارة : (فى السماء ثلاثة وهم الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحد . الذين يشهدون فى الأرض) بين أصل العبارة . وهى ملحقة يقينا وكريسباخ وشولز متفقان على الحاقيتها ، وهورن مع تعصبه قال انها الحاشية واجبة الترك ، وجامعوا تفسير هنرى واسكات اختاروا قول هورن وآدم كلارك أيضا مال الى الحاقيتها واكستاين الذى كان أعلم علماء المسيحية التثليثية فى القرن الرابع من القرون المسيحية وهو الى الآن مستند أهل التثليث أيضا كتب على هذه الرسالة عشر رسائل وما نقل فى رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة ، وهو كان من معتقدى التثليث وكان مناظرا مع فرقة ايرين التى تنكر التثليث ، فلو كانت هذه العبارة فى عهده لتمسك بها ونقلها فى اثباته ، ولما ارتكب التكلف البعيد الذى ارتكبه فى الآية الثامنة فكتب فى الحاشية (ان المراد بالماء الآب وبالدم الابن وبالروح الروح القدس) فان هذا التكلف ضعيف جدا وأظن أنه لما كان هذا التوجيه بعيد جد اخترع معتقدوا التثليث هذه العبارة التى هى مفيدة لعقيدتهم ، وجعلوها جزءا من عبارة الرسالة .

وأقر صاحب « ميزان الحق » أيضا على رءوس الأشهاد كما قال الشيخ رحمت الله فى المناظرة التى وقعت بينهما سنة الف ومائتين وسبعين هجرية بأنها محرفة ، ثم ان الشيخ أطال البحث فى اثبات تحريفها وان أردته فارجع الى كتابه اظهار الحق .

الشاهد الحادى والثلاثون فى الاصحاح الأول من مشاهدات يوحنا ما لفظه : (فحل الروح على فى يوم الرب وسمعت من ورائى صوتا عظيما كصوت البوق ، وهو يقول أنى أنا الألف والياء والأول والآخر ماكتب ما ترى) الى آخرها وكريسباخ وشولز متفقان على أن هذين اللفظين الأول والآخر الحاقيان ، وبعض المترجمين تركوهما وترك فى الترجمة العربية التى طبعت فى سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ من الميلاد لفظ الألف والياء أيضا .

الشاهد الثانى والثلاثون : الآية السابعة والثلاثون من الاصحاح الثامن من سفر أعمال الحواريين هكذا : « قال فيلبوس ان آمنت بقلبك كله جاز لك ، فقال له وهو يحاوره آمنت بأن عيسى المسيح هو ابن الله) وهذه الآية الحاقية الحقها بعض أهل التثليث لأجل هذه الجملة (آمنت بأن عيسى المسيح هو ابن الله و « كريسباخ » و « شولز » يتفقان على أنها الحاقية .

الشاهد الثالث والثلاثون : فى الاصحاح التاسع من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فقال له من أنت يارب ؟ فقال الرب أنا عيسى الذي أنت تؤذية ، يصعب عليك أن ترفس الأسنة ، فقال الرب أنا عيسى الذى أنت تؤذية يصعب عليك أن ترفس الأسنة ، فقال وهو مرتعد متحير ما الذى تريد أن أفعل يارب ؟ قال له الرب قم وادخل البلد وسيقال لك ما يجب عليك أن تفعله) قال كريسباخ وشولز هذه العبارة وهى (أنه يصعب عليك أن ترفس الأسنة ، فقال وهو مرتعد ما الذى ان افعل يارب) الحاقية .

الشاهد الرابع والثلاثون : الآية السادسة من الاصحاح العاشر من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فان ضائف عند سمعون الدباغ الذى

بيته على البحر وهو يخبرك بما ينبغى لك أن تفعله) قال كريسباخ وشولز هذه العبارة (هو يخبرك بما ينبغى لك أن تفعله) الحاقية .

الشاهد الخامس والثلاثون : الآية الثامنة والعشرون من الاصحاح العاشر من الرسالة الاولى الى أهل كورنثيوس هكذا : (وان قال لكم أحد هذا ذبيحة الأوثان فلا تأكلوا الاجل المخبر به ولاجل أن لا تعثر ضميره لان الارض للرب هى وكمالها) الحاقية ، قال هورن فى الصفحة السابعة والعشرين بعد الثلثمائة من المجلد الثانى من تفسيره بعد ما أثبت الحاقيتها (اسقط كريسباخ هذه الجملة من المتن بعدما جزم انها قابلة للاخراج والحق أنه لا سند لهذه الجملة وهى فضول ، والغالب أنها أخذت من الآية السادسة والعشرين والحقت) انتهى . وقال آدم كلارك فى ذيل هذه الآية (أسقطها كريسباخ من المتن ، والحق أنه لا سند لهذه الجملة) انتهى ، وأسقطت فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ أيضا .

الشاهد السادس والثلاثون : الآية الثامنة من الاصحاح الثانى عشر من انجيل متى ما عبارته هكذا : (لأن ابن الانسان رب السبت أيضا) فلفظ « أيضا » الحاقى ، و « هورن » بعد ما اثبت الحاقيته بالأدلة فى الصفحة ٣٣٠ من المجلد الثانى من تفسيره قال : (أخذ هذا اللفظ من الآية الثامنة والعشرين من الاصحاح الثانى من انجيل مرقس ، أو من الاصحاح السادس من انجيل لوقا ، والحق ههنا ، ولقد استحسن « كريسباخ » اخراج هذا اللفظ الالحاقى (وأخرجه) .

الشاهد السابع والثلاثون : الآية الثالثة عشر من الاصحاح السادس من انجيل متى هكذا : (ولا تدخلنا فى التجربة ، بل نجنا من الشرير ، فان الملكوت والقدرة والمجد لك الى الأبد آمين) وهذه الجملة وهى (فان الملكوت والقدرة لك الى الأبد) الحاقية ، وفرقة الروم الكاثوليك حكموا بالحقايتها جزما ، ولا توجد فى الترجمة اللاتينية ولا فى ترجمة من تراجم هذه الفرقة فى اللسان الانجليزى ، وهذه الفرقة تلوم من ألحقها . قال وارد كاتلك فى الصفحة الثامنة عشر من كتابه المسمى بكتاب الأغلاط

المطبوع سنة ١٨٧١ (قبح ارازمس هذه الجملة ، وقال بلنجر ألحقت هذه الجملة من بعد ، ولم يعلم الملحق الى الآن ، وما قال « لابن شش ولا » ان هذه الجملة سقطت من كلام الرب فلا دليل عليه ، بل كان عليه أن يلعن ويلوم الذين جعلوا لعنتهم هذه جزءا من كلام الرب غير مبالين) انتهى . وردها الأجلة من محققى فرقة البروتستنت أيضا ، وآدم كلارك وان لم يختر الحاقيتها فهو معترف أيضا بأن كريسباخ روتستين والمحققين ردوها كما صرح به فى ذيل شرح هذه الآية ولما ثبت باعترافه أن المحققين الذين كانوا فى أعلى درجة من التحقيق ردوها فلا تضرنا مخالفته ، وهذه الجملة على تحقيق فرقة الكاثوليك وتحقيق محققى البروتستنت زيدت فى صلاة المسيح ، فعلى هذا ما ترك المحرفون حتى الصلاة المشهورة أيضا .

الشاهد الثامن والثلاثون : الآية الثالثة والخمسون من الاصحاح السابع وأحد عشر آية من الاصحاح الثامن من الآية الأولى الى الحادية عشرة من انجيل يوحنا الحاقية ، قال هورن فى الحاقية هذه الآيات — وان لم تكن الحاقيتها مختارة عنده — فى الصفحة العاشرة بعد الثلثمائة من المجلد الرابع من تفسيره ما لفظه : (أرازمس وكالوين وبيزاوكروتيس وليكلرك وتستين وسملر وشلزوورس وهين لين وبالس وشمت وآخرون من المصنفين الذين ذكرهم ونفيس وكوجر لا يسلمون بصدق هذه الآيات ثم قال : (كريزاستم ونهيوفلكت ويونس كتبوا شروحا على هذا الانجيل وما شرحوا هذه الآيات بل ما نقلوها فى شروحهم ، وكتب ترتولين وساى برن رسائل فى باب الزنا والعفة وما تمسكا بهذه الآيات ولو كانت فى نسخهما لذكروها وتمسكا بها يقينا) وقال وارد كاتلك (بعض القدماء اعترض على أول الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا) انتهى . وحكم «نورتن» بأن هذه الآيات الحاقية يقينا .

الشاهد التاسع والثلاثون : فى الآية الثامنة عشر من الاصحاح السادس من انجيل متى هكذا : (وابوك الناظر فى السر يجازيك علانية) ولفظ « علانية » الحاقى ، قال آدم كلارك فى ذيل شرح هذه الآية بعد

ما أثبت الحاقيته (لما لم يكن لهذا اللفظ سند كامل أسقطه كريسباخ وتشتين وينجل من المتن)

الشاهد الاربعون : فى الآية السابعة عشر من الاصحاح الثانى من انجيل مرقس وقع لفظ (الى التوبة) وهو الحاقى ، وآدم كلارك بعدما أثبت الحاقيته فى ذيل شرح هذه الآية قال : (أسقطه كريسباخ من المتن وتبعه كروتيس ومل وبنجل) انتهى .

الشاهد الحادى والاربعون : فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح التاسع من انجيل متى أيضا وقع لفظ (الى التوبة) وهو الحاقى أيضا وآدم كلارك بعد ما أثبت الحاقيته فى ذيل شرح هذه الآية ، قال : (استحسن مل وبنجل اسقاط هذا اللفظ وأسقطه كريسباخ من المتن) .

الشاهد الثانى والاربعون : فى الاصحاح العشرين من انجيل متى هكذا : (فأجاب يسوع وقال انكم لا تعلمون ما تسألون ؟ أتستطيعون أن تشربوا الكأس التى أنا مزمع — أى منتظر — أن أشربها وتصطبغون بالصبغة التى أنابها أصطبغ ؟ قالوا له نستطيع . فقال لهم : أما كأسى فتشربون ، وأما الصبغة التى أنا أصطبغ بها فتصطبغون) الى آخرها وهذا القول أعنى (وتصطبغون بالصبغة التى أنابها أصطبغ) الحاقى . وكذا هذا القول اعنى (وأما الصبغة التى أنا أصطبغ بها فتصطبغون) وأسقطهما كريسباخ من المتن فى المرتين اللتين طبع المتن فيها ان وآدم كلارك فى شرح هاتين الآيتين بعدما أثبت الحقايتهما قال : (لا يعلم بالقواعد التى قررها المحققون لتمييز العبارة الصحيحة عن الغير صحيحة أن يكون هذان القولان جزئين من المتن) انتهى .

الشاهد الثالث والاربعون : فى الاصحاح التاسع من انجيل لوقا هكذا : (فالتفت وانتهرهما وقال انكما لا تعلمان أية طبيعة طبيعتكما فان ابن الانسان لم يأت لهلاك أنفس الناس بل لنجاتها ثم ساروا الى قرية أخرى) وهذه العبارة (فان ابن الانسان لم يأت لهلاك أنفس الناس بل لنجاتها) الحاقية ، كما قال آدم كلارك فى ذيل شرح هاتين

الآيتين واسقط كريمباخ هذه العبارة عن المتن ، والغالب أن النسخ القديمة جدا يكون فيها هكذا : (فالتفت وانتهرهما وقال : انكما لا تعلمان اى طبيعة طبيعتكما ثم ساروا الى قرية أخرى) انتهى .

المقصد الثالث فى اثبات التحريف بالنقصان :

وله أيضا شواهد :

الشاهد الاول : الآية الثالثة عشر من الاصحاح الخامس عشر من سفر الخليقة هكذا : (وقيل له اعلم عالما أن نسلك سيكون ساكنا فى غير أرضهم ويستعبدونهم ويضيقون عليهم أربعمائة سنة) وهذه العبارة أعنى (يستعبدونهم ويضيقون عليهم) وكذلك الآية الرابعة عشر من هذا الاصحاح وهى هكذا (ولكن الشعب الذى يستعبدهم أنا أدينه ومن بعد هذا يخرجون بمال) تدلان على أن المراد بالأرض أرض مصر ، لان الذين استعبدوا وضيقوا على بنى اسرائيل ، فدانهم الله وخرج بعد هذا بنو اسرائيل بمال جزيل هم أهل مصر لا غيرهم ، لأن هذه الأمور لا توجد فى غيرهم ، والآية الأربعون من الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج هكذا (فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل فى أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة) فبين الآيتين اختلاف . فاما أسقط من الأولى لفظ ثلاثين ، واما زيد فى فى الثانية . على أن مؤرخيهم ومفسريهم متفقون على أن مدة سكون بنى اسرائيل كانت مائتين وخمس عشرة سنة .

وقد بقيت أدلة أخر على تحريف اثبات هذا الشاهد مذكورة فى اظهار الحق .

الشاهد الثانى : الآية الثامنة من الاصحاح الرابع من سفر التكوين هكذا : (وقال قابيل لهابيل أخيه ، ولما صارا فى الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله) وفى النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة هكذا : (وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج الى الحقل ، ولما صارا فى الحقل) الى آخرها ، فهذه العبارة وهى (تعال نخرج الى الحقل) سقطت من العبرانية كما قال هورن فى الحاشية فى الصفحة الثالثة والتسعين بعد المائة وقال آدم كلارك فى الصفحة الثالثة والستين من المجلد الأول من تفسيره ونقل قولهما المفصل فى اظهار الحق .

الشاهد الثالث : فى الآية السابعة عشر من الاصحاح السابع من سفر التكوين فى النسخة العبرانية هكذا : (وصار الطوفان أربعين يوما على الأرض) وهذه الجملة فى كثير من النسخ اللاتينية وفى الترجمة اليونانية هكذا (وصار الطوفان أربعين يوما وليلة على الأرض) قال هورن فى المجلد الاول من تفسيره (فليزد لفظه ليلة فى المتن العبرى) انتهى .

الشاهد الرابع : فى الآية الثانيةوالعشرين من الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين فى النسخة العبرانية هكذا : (ولما سكن اسرائيل تلك الارض مضى روبيل وضاجع بلها سرية أبيه فسمع اسرائيل) قال جامعو تفسير هنرى واسكات اليهود يسلمون . ان شيئا سقط من هذه الآية ، والترجمة اليونانية تتمها هكذا : (وكان قبيحا فى نظره) انتهى . فاليهود ههنا أيضا معترفون بالسقوط . فسقوط الجملة من النسخة العبرانية ليس بمستبعد عند أهل الكتاب فضلا عن سقوط حروف أو حرفين .

الشاهد الخامس : قال هارسلى المفسر فى الصفحة الثانية والثمانين من المجلد الاول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الاصحاح الرابع والاربعين من سفر التكوين (يزاد فى أول هذه الآية من الترجمة اليونانية هذه الجملة : (لم سرقتم صواعى) ؟ انتهى . فهذه الجملة على اعترافه ساقطة من العبرانية .

الشاهد السادس : فى الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الخمسين فى التكوين هكذا : (فاذهبوا بعظامى من ههنا معكم) فلفظ (معكم) سقط من العبرانية ، قال هورن (أدخل مستر « بت رائد » هذا اللفظ المتروك فى ترجمته الجديدة للبيبل وأصاب) انتهى .

الشاهد السابع : الآية الثانية والعشرون من الاصحاح الثانى من سفر الخروج هكذا : (فولدت له ابنا ودعا اسمه جرسون قائلا : انما أنا كنت ملتجئا فى أرض غريبة) وتوجد فى الترجمة اليونانية اللاتينية وبعض التراجم القديمة فى آخر الآية المذكورة هذه العبارة (وولدت

أيضا قلما ثانيا ودعا اسمه العازر ، فقال من أجل أن الله أبى أعانني وخلصني من سيف فرعون) قال آدم كلارك فى الصفحة العاشرة بعد الثلثمائة من المجلد الاول من تفسيره بعد ما نقل العبارة المسطورة من التراجم (أدخل هيوبى كنيت هذه العبارة فى ترجمته اللاتينية ، ويدعى أن موضعها هذا ولا توجد هذه العبارة فى نسخة من نسخ العبرانية مكتوبة كانت أو مطبوعة ، مع أنها وجدت فى التراجم المعتبرة) انتهى (فعندهم هذه العبارة ساقطة من النسخة العبرانية) .

الشاهد الثامن فى الآية العشرين من الاصحاح السادس من سفر الخروج هكذا : (فولدت له هارون وموسى) وفى النسخة السامرية والترجمة اليونانية هكذا : (فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما) فلفظ (مريم اختهما) سقط من العبرانية ، قال آدم كلارك بعد نقل عبارة النسخة السامرية واليونانية : (ظن البعض من أجلة المحققين أن هذا اللفظ كان فى المتن العبرى) انتهى .

الشاهد التاسع : الآية السادسة من الاصحاح العاشر من سفر العدد هكذا : (واذا هتفوا ونفخوا مرة ثانية بالقرن يهللون كأول مرة يرفع الخيام الحالة نحو الجنوب) وتوجد فى آخر هذه الآية فى الترجمة اليونانية هكذا : (واذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام المغربية للارتحال ، واذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال) قال آدم كلارك فى الصفحة الثالثة والستين بعد الستمائة من المجلد الاول من تفسيره (لم يذكر المغربية والشمالية ههنا لكنه يعلم أنهم كانوا يرتحلون بالنفخ أيضا ولذلك يعلم أن متن العبرانية ههنا ناقص ، يتمه اليونانية هكذا : واذا نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام المغربية للارتحال ، واذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال) انتهى .

الشاهد العاشر : قال المفسر « هارسلى » سقط من آخر الآية الثالثة عشر وأول الآية الرابعة عشر من الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة شىء ، يؤخذ من الترجمة اليونانية ، وتزاد هذه العبارة : (فقال لها لو اخذت سبعة قنزعات من رأسى ونسجتها مع سدى وربطت بالمسامر

فى الجدار فأصيره ضعيفا كسائر الناس ، فنومته وأخذت سبعة نزعات ونسجت مع السدى وربطته) انتهى .

الشاهد الحادى عشر : قال آدم كلارك فى الصفحة السادسة والسبعين بعد المئتين والف من المجلد الثانى من تفسيره (سقطت من الترجمة اليونانية الآية الثالثة كلها الا لفظ شكيناه والآية الرابعة والخامسة والسادسة والتاسعة والسابعة والثلاثين والثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثون والاربعون والحادية والاربعون ، وسقطت من الترجمة العربية فى الاصحاح المذكورة من الآية الأولى الى الآية السادسة والعشرين والآية التاسعة والعشرون) انتهى .

الشاهد الثانى عشر : الآية السابعة عشر من الاصحاح الثانى والاربعين من سفر أيوب هكذا : (ومات أيوب شيخا معمرا) واختتمت النسخة العبرانية عليها وزيد عليها فى الترجمة اليونانية هذا المقدار وهو (ويبعث مرة أخرى مع الذين يبعثهم الرب) وزيد أيضا تتمة فيها بيان نسب أيوب ، وبيان أحواله على سبيل الاختصار ، ويقول كامت وهردران : (هذه التتمة جزء من الكتاب الالهامى وسلمها فلوبولى هسقر أيضا وكان الناس يسلمون بها فى عهد أرجن وكتبها تهيوذ وشن فى ترجمته اليونانية ، فعلى هذا العبرانية محرفة بالنقصان عند قدماء المسيحيين ، والعلماء المذكورين . والمحققون من فرقة البروتستنت على أنها جعلية ، فيلزم التحريف بالزيادة عندهم فى الترجمة اليونانية ، قال هورن : (الظاهر أنها جعلية وان كتبت قبل المسيح) انتهى . وانت تعلم من كونها قبل المسيح ، أن قدماء المسيحيين من عهد الحواريين الى الف وخمسمائة سنة كانوا يعتقدون فى هذا المحرف من كلام الله تعالى لأنهم كانوا متشبثين الى هذا الزمان بهذه الترجمة ، ومعتقدين بأنها صحيحة والعبرانية محرفة .

الشاهد الثالث عشر : وقع بعد الآية الثالثة من الزبور الرابع عشر فى الترجمة اللاتينية وترجمة اتهيوبك والترجمة العربية ونسخة واتيكانوس من الترجمة اليونانية هذه العبارة (فحلقومهم قبر مفتوح وهم يغدرون

بألسنتهم وسم الثعابين تحت شفاتهم وأفواههم مملوة من اللعن والمرورة واقدامهم سرعة السفك الدم والتهلكة والشقاء فى طرقهم ولم يعرفوا طريق السلامة ، وخوف الله ليس بموجود أمام أعينهم) انتهت . ولا توجد هذه العبارة فى النسخة العرانية بل توجد فى رسالة بولس الى أهل رومية ، فلا تخلو اما أسقطها اليهود من العبرانية وهذا هو التحريف بالنقصان ، وإما زادها المسيحيون فى تراجمهم ليصلحوا كلام مقدسهم بولس . وهذا هو التحريف بالزيادة ، فأحد التحريفين لازم قطعا . قال آدم كلارك فى شرح الآية المذكورة من الزبور : (وقع بعد هذه الآية فى نسخة واتيكانوس من ترجمة أتهيوبك والترجمة العربية ، ست آيات توجد فى الاصحاح الثالث من رسالة بولس الى أهل رومية من الآية الثالثة عشر الى الثامنة عشر) انتهى .

الشاهد الرابع عشر : الآية الخامسة من الاصحاح الاربعين من سفر أشعياء فى العبرانية هكذا : (ويظهر جلال الرب ويرى كل بشر معا قاله فم الرب) وفى الترجمة اليونانية هكذا : (يظهر جلال الرب ويرى كل بشر معا نجات الهنا لأن فم الرب قاله) قال آدم كلارك فى الصفحة الخامسة والثمانين بعد السبعمائة وألفين من المجلد الرابع من تفسيره بعد ما نقل عبارة الترجمة اليونانية (ظنى بأن هذه العبارة هى الاصل) ثم قال (وهذا السقوط فى المتن العبرانى قديم جدا متقدم على الترجمة الجهالدية واللاتينية والسريانية وتوجد هذه العبارة كل نسخة من الترجمة اليونانية وسلمها لوقا فى الآية السادسة من الاصحاح الثالث . وعندى نسخة واحدة قديمة جدا سقطت منها هذه الآية كلها) انتهى . وقال « هورن » فى الباب الثامن من الحصة الأولى من المجلد الثانى من تفسيره : (كتب لوقا فى الآية السادسة من الاصحاح الثالث مطابقا لما فى الترجمة اليونانية ، ويعلم لوقه أن هذه العبارة هى الصحيحة فأدخلها فى ترجمته لكتاب أشعياء) انتهى . وقال جامعو تفسير هنرى واسكات (فلتزد هذه اللفظة « نجات الهنا » بعد لفظ يرى ، انظروا الآية العاشرة من الاصحاح الثانى والخمسين ، والترجمة اليونانية) انتهى . فالمتن

العبرانى محرف بالنقصان باعتراف هؤلاء المفسرين . وهذا التحريف قديم جدا باعتراف آدم كلارك .

الشاهد الخامس عشر : قال آدم كلارك فى ذيل شرح الآية الخامسة من الاصحاح الرابع والستين من سفر اشعياء (اعتقادى أنه وقع النقصان من غلط الكاتب وهذا التحريف قديم جدا لأن المترجمين المتقدمين لم يقدروا على بيان معنى الآية بيانا حسنا كما لم يقدر عليه المتأخرون منهم) انتهى .

الشاهد السادس عشر : قال هورن فى الصفحة الثامنة والسبعين بعد الاربعمائة من المجلد الرابع من تفسيره (سقطت آية تامة ما بين الآية الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل لوقا ، فلنزد بعد أخذها من الآية السادسة والثلاثين من الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ، أو من الآية الثانية والثلاثين من الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس ، ليكون لوقا موافقا للانجليين الآخرين) انتهى ثم قال فى الحاشية (أغمض للمحققون والمفسرون كلهم عن هذا النقصان العظيم الواقع فى متن لوقا حتى توجه عليه هيلز) انتهى ، فعلى اعترافه سقطت آية تامة من انجيل لوقا ويجب زيادتها فيه . وهذه الآية فى انجيل متى هكذا : « وأما ذلك اليوم والساعة فلا أحد يعلم بهما حتى ملائكة السماء الا أبى وحده) .

الشاهد السابع عشر : فى الآية السابعة من الاصحاح السادس عشر من سفر أعمال الحواريين هكذا : (فلم يأذن لهم روح) قال كريسباخ وشولز الصحيح هكذا : (فلم يأذن لهم روح يسوع) انتهى ، فعلى اقرارهما سقط لفظ يسوع وأدخل هذا اللفظ فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ وسنة ١٨٢١ وعبارتهما هكذا : (فلم يتركهم روح يسوع) .

الشاهد الثامن عشر : الانجيل الذى ينسب الى متى الآن وهو اول الأناجيل وأقدمها عندهم ليس من تصنيفه يقينا بل ضيعوه بعد ما حرفوه لان قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل

متى كان فى اللسان العبرانى ، وقد ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة ، حتى لم يعلم يقينا اسم المترجم ايضا الى هذا الحين ، كما اعترف به « جيروم » من أفاضل قدمائهم وغيره .

واطال الشيخ رحمت الله فى اثبات عدم صحة انجيل متى ، وأتى بدلائل قوية للطعن فيه ، من أرادها فليرجع الى كتابه اظهار الحق .

الشاهد التاسع عشر : فى الآية الثالثة والعشرين من الاصحاح الثانى من انجيل متى هكذا : (ثم أتى وسكن فى بلد تسمى ناصرة ليكمل قول الأنبياء انه سيدعى ناصريا) وقوله (ليكمل قول الانبياء انه سيدعى ناصريا) من أغلاط هذا الانجيل ، ولا يوجد هذا فى سفر من الاسفار المشهورة المنسوبة الى الانبياء لكن نقول ههنا كما قال علماء الكاثوليك ان هذا كان فى أسفار الانبياء لكن اليهود ضيعوا هذه الاسفار قصدا لعناد الدين المسيحى ، ثم نقول : اى تحريف بالنقصان يكون أزيد من ان تصنع فرقة الكتب الالهامية قصدا للاغراض النفسانية ، ولعناد ملة أخرى ؟ وقد ألف ممفرد كاتلك كتابا سماه بسؤالات السؤال وطبع هذا الكتاب فى بلدة لندن سنة ١٨٤٣ فقال فى السؤال الثانى (الأسفار التى كان فيها هذا يعنى ما نقله متى انمحت ، لأن أسفار الانبياء الموجودة الآن لا يوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصريا . قال كرايزستم فى تفسيره التاسع على متى (انمحى كثير من أسفار الانبياء لان اليهود ضيعوا أسفارا لأجل غفلتهم ، بل لاجل عدم ديانتهم ، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها) انتهى قول « كريزاستم » وهذا هو الأغلب ، فانهم مزقوا الاسفار وحرقوها لانهم لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الاسفار فى اثبات مسائل الملة المسيحية ، فعلوا هذا الامر ، ويعلم هذا من اعدامهم أسفارا نقل عنها متى .

انظروا الى « جستن » يقول فى المناظرة لطربفون : (اليهود أخرجوا أسفارا كثيرة من العهد العتيق ، ليظهروا ان العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق ، ويعلم من هذا أن الاسفار الكثيرة انمحت) انتهى كلام ممفرد .

وقد تبين منه أمران : أحدهما أن اليهود مزقوا بعض الاسفار وأحرقوا البعض لاجل عدم ديانتهم ، ثانيهما : أن التحريف كان سهلا فى سالف الزمان . ألا ترى كيف انمحت هذه الاسفار باعدامها عن وجه الارض .

واذا عرفت ديانة أهل الكتاب بالنسبة الى الاسفار الالهية ، وعرفت سهولة وقوع التحريف فى الزمان السالف ، فأى استبعاد عقلى أو نقلى لو قلنا انهم فعلوا مثله الاسفار أو بالعبارات التى علموا أن فيها نفعا للمسلمين ؟

الشاهد العشرون : الآية الحادية عشر من الاصحاح الاول من الاصحاح الاول من انجيل متى هكذا : « ويوشيا ولد يوكانيا واخوته فى زمان الجلاء الى بابل) ويظهر منها أن يوكانيا واخوته ابناء صلبيون ليوشيا وأن يوكانيا كانت له اخوة ، وأن ولادتهم فى زمان الجلاء الى بابل ، وهذه الثلاثة كلها ليست بصحيحة ، أما الاول فلأن يوكانيا ابن يهوياقيم ابن يوشيا فهو ابن الابن لا الابن . وأما الثانى فلأنه ما كان له اخوة ، نعم كان لابيه يهوياقيم ثلاثة أخوة . وأما الثالث : فلأن يوكانيا فى زمان الجلاء الى بابل كان ابن ثمان عشرة سنة لا أنه ولد فى زمان الجلاء الى بابل قال آدم كلارك (قال كاملت فلتقرأ الآية الحادية عشر هكذا : (ولد يوشيا يهوياقيم واخوته ، وولد يهوياقيم يوكانيا فى زمان الجلاء الى بابل) انتهى .

وأنت تعلم أن محصل قول كامت الذى هو مختار آدم كلارك أيضا أنه لابد أن يزاد لفظ يهوياقيم ههنا ، والظاهر أن هذا اللفظ سقط من المتن عندهما . وهذا هو التحريف بالنقصان ، ومع هذا لا يرتفع الاعتراض الثالث كما لا يخفى .

وحيث طال ذكر الشواهد على التحريف ، مع أنا اقتصرنا على قليل مما وقع منه فى كتبهم ، فلنذكر هنا ان شاء الله تعالى بعضا من المغالطات ، التى هى كحبال القمر ويتمسك بها علماء البروتستنت لترويج شبهها على ضعفاء العقول .

المغالطة الأولى :

يزعم علماء البروتستانت فى بعض الأحيان تغليطا لمن ليس له وقوف على كتبهم من العوام ، ومنهم هذا المؤلف المسمى نفسه بعبد المسيح ، أن دعوى التحريف عليهم مختصة بالمسلمين ، ولم يسبقهم فيها أحد من الملليين ، مع أن الأمر ليس كما ذكروا كما علمت فيما مضى وفيما سيأتى ان شاء الله .

ولننقل كلام المسيحيين المعتبرين المؤرخين فمن ذلك ما قال آدم كلارك فى الصفحة التاسعة والستين وثلثمائة من المجلد الخامس من تفسيره ما لفظه (هذا الرسم من قديم الايام وهو أن الكبار يكون المؤرخون لهم كثيرين ، وهذا هو حال الرب — يعنى كان المؤرخون له كثيرون — لكن أكثر بياناتهم كانت غير صحيحة ، وكانوا يكتبون الأشياء التى لم تقع على أنها وقعت يقينا . وغلطوا فى حالات أخر عمدا أو سهوا سيما المؤرخين الذين كتبوا فى الأرض التى كتب فيها لوقا انجيله ، فلأجل ذلك استحسن روح القدس أن يعطى لوقا علم جميع الحالات على وجه الصحة ، ليعلم اهل الديانة حال الصحيح) انتهى .

فثبت باقرار مفسرهم المعتبر عندهم وجود الأناجيل الكاذبة المملوة من الاغلاط قبل انجيل لوقا ، وقوله وكانوا يكتبون الاشياء) الى آخره يدل على عدم تحقيق مؤلفيها وقوله (غلطوا فى حالات أخر عمدا أو سهوا) يدل على عدم ديانتهم .

ومن ذلك ما فى الاصحاح الأول من رسالة بولس الى أهل غلاطية ما عبارته (ثم انى أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عمن استدعاكم بنعمة المسيح الى انجيل أخر وهو ليس بانجيل بل ان معكم نفرا من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرفوا انجيل المسيح) انتهى . فثبت من كلام مقدسهم بولس ثلاثة أمور الأول : أنه كان فى عهد الحواريين انجيل يسمى بانجيل المسيح ، والثانى انه كان انجيل آخر مخالف لانجيل المسيح فى عهده مقدسهم ، والثالث أن المحرفين كانوا فى صدد تحريف انجيل

المسيح فى زمان مقدسهم فضلا عن الزمان الآخر لأنه لانه ما بقى له بعد ذلك الا الاسم كالعنقاء . قال آدم كلارك فى المجلد السادس من تفسيره فى شرح هذا المقام ما عبارته : (هذا الأمر وهو أن الاناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية . وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة ، هيجت لوقا على تحرير الانجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والاجزاء الكثيرة من هذه الاناجيل باقية ، وكان « فابرى سيوس » جمع هذه الاناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاث مجلدات ، وبين فى بعضها وجوب اطاعة الشريعة الموسوية ، ووجوب الختان مع اطاعة الانجيل ، ويعلم اشارة الحوارى الى واحد من هذه الاناجيل) انتهى ، فعلم من اقرار المفسر أن هذه الاناجيل الكاذبة كانت موجودة قبل انجيل لوقا وقبل تحرير بولس الى أهل غلاطية ، ولذلك قال المفسر أولا (وكثرة هذه الأحوال) الى آخره ، وهذا موافق لما قال فى المجلد الخامس من تفسيره كما عرفت . وقال ثانيا : (ويعلم اشارة الحواريين الى واحد من هذه الاناجيل) فثبت أن المراد بالانجيل فى كلام مقدسهم الانجيل المدون لا معناه المرتكز فى ذهن المصنف كما يظهر من بعض مغالطات علماء البروتستنت .

تنبيه : ما فهم من كلام بولس أنه كان فى عهد الحواريين انجيل يسمى بانجيل المسيح هو الحق ، وهو القريب من القياس وهو مختار فاضلهم اكهارون وكثير من المتأخرين من علماء الجرمن ، واليه مال محققهم ليكلرك وكروب وميكالس وغيرهم .

ومن ذلك ما فى الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الثانية لبولس الى أهل كورنثوس ما لفظه (لكنى سأفعل ما أفعله لاحجب الفرصة عن الذين يريدون أن يفتنموا الفرصة ليطيروا مثلنا فيما يفتخرون به لأن نظائرهم هؤلاءهم الرسل الكذابون الغدارون وقد تشبهوا برسل المسيح ، انتهى ، فمقدسهم ينادي بأعلى صوت أن الرسل الكذابين الغدارين ظهروا فى عصره ، وقد تشبهوا برسل المسيح ، قال آدم كلارك فى تفسيره فى شرح هذا المقام (هؤلاء الأشخاص كانوا يدعون كذبا

أنهم رسل المسيح وما كانوا رسل المسيح فى نفس الأمر ، وكانوا يعظون ويجتهدون ، لكن مقصودهم ما كان الأجلب المنفعة) انتهى .

ومن ذلك الآية الأولى من الاصحاح الرابع من رسالة يوحنا الاولى هكذا (فلا تؤمنوا أيها الاحبـــاء بكل روح من الارواح ، بل امتحنـــوا الارواح ، حتى تعلموا هل هى من عند الله أم لا ؟ لأن كثيرا من الانبياء الكذبة برزوا الى هذا العالم) فيوحنا الحوارى أيضا ينادى مثل بولس بأن كثيرا من الانبياء الكذبة ظهروا فى عهده ، قال آدم كلارك فى شرح المقام : (كان كل معلم فى الزمان الأول يدعى أن روح القدس يلهمنى لأن كل رسول معتبر جاء هكذا والمراد بالروح ههنا انسان يدعى بأنى فى أثر الروح واعلم على وفق ما يقول قـــوله ، بل امتحنوا الارواح يعنى امتحنوا المعلمين بالدليل ، قوله لأن كثيرا من الانبياء الكذبة يعنى المعلمين ، الذين لم يلهمهم روح القدس ، سيما من اليهود) انتهى .

فعلم من كلام المفسر أن كل معلم كان يدعى الالهام فى الزمان الأول ، وقد علم من كلامه فى مقابل أن تشبههم برسل المسيح ومكرهم وغدرهم كان لحطام الدنيا وجلب المنافع ، فمدعو الالهام والرسالة كانوا كثيرين جـــدا .

ومن ذلك أن الكتب الخمسة المشهورة الآن بالتوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام توجد ســـتة كتب أخرى منسوبة اليه أيضـــا بهذا التفصيل سفر المشاهدات وسفر الخليقة الصغير وسفر المعراج وسفر الأسرار وتستمنت وسفر الاقرار ، والسفر الثانى من هذه الاسفار الستة كان أصله يوجد فى اللسان العبرانى الى المائة الرابعة ، ونقل عنـــه جيروم وكذا نقل عنه سيدرينس فى تاريخه كثيرا ، وقال أرجن ان بولس نقل عن هذا الكتاب الآية السادسة من الاصحاح الخامس والآية الخامسة عشر من الاصحاح السادس من رسالته الى أهل غلاطية وترجمته كانت موجودة الى القرن السادس عشر ، وفى هذا القرن كذبه محفل ترنت ، فصار جعليا كذبا بعـــد ذلك ، وانى متعجب من تسليمهم وتكذيبهم لأن حال الكتب الالهية والانتظامات الملكية عندهم واحد ، اذا رأوا مصـــلحة

سلموها واذا شاءوا منعوها والسفر الثالث من هذه الستة أيضا يعلم أنه كان معتبرا بين القدماء ، قال لاردنر فى الصفحة الثانية عشر وخمسمائة من المجلد الثانى من تفسيره (ان أرجن قال ان يهودا نقل عن هذا السفر الآية التاسعة من رسالته) انتهى . والآن هذا السفر وسائر اسفار الستة تعد جعلية محرفة ، لكن الفقرات المنقولة عنها بعد ما دخلت فى الانجيل تعد الهامية صحيحة ، قال هورن : (المظنون أن هذه الاسفار الجعلية اخترعت فى ابتداء الملة المسيحية) انتهى فنسب محققهم اختراع هذه الأسفار الى أهل القرن الأول .

ومن ذلك ما قاله موشيم المؤرخ فى بيان علماء القرن الثانى فى بيان علماء القرن الثانى فى الصفحة الخامسة والستين من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ : (كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيساغورس مقولة مشهورة وهى ان الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين ، وتعلم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح ، كما يظهر هذا جزما من كثير من الكتب القديمة ، ثم أثر وباء هذا الغلط السوء فى المسيحيين ، كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التى نسبت الى الكبار كذبا) انتهى . فاذا صار هذا الكذب والخداع من المستحبات الدينية عند اليهود قبل المسيح عليه السلام وعند المسيحين فى القرن الثانى فما بقى للجعل والتحريف والكذب حد ففعلوا ما فعلوا

ومن ذلك قال يوسى بيس فى الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه اذكر جستن الشهيد فى مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات المسيح ، وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة) انتهى . وقال وانس فى الصفحة الثانية والثلاثين من المجلد الثالث ما لفظه : (انى لا أشك فى هذا الأمر هو أن العبارات التى ألزم هو أن العبارات التى ألزم فيها جستن اليهود فى مباحثة طريفون بأنهم أسقطوها كانت هذه العبارات فى عهد جستن وأرينيوس موجودة فى النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس ، وان لم توجد الآن فى نسخها سيما العبارة التى قال جستن انها كانت فى سفر أرمياء .

كتب سلبرجيس فى حاشية جستن وكتب الدكتور كريب فى حاشية أرينيوس أنه يعلم أن بطرس لما كتب الآية السادسة من الاصحاح الرابع من رسالته الاولى كانت البشارة فى خياله) انتهى . وقال هورن فى الصفحة الثانية والستين من المجلد الرابع من تفسير ما لفظه (ادعى جستن فى كتابه فى مقابلة طريفون اليهودى أن عزرا قال للناس ان طعام عيد الفصح طعام ربنا المنجى ، فان فهمتم الرب أفضل من هذه العلامة يعنى الطعام وآمنتم به ، فلا تكون هذه الارض غير معمورة أبدوا ان لم تؤمنوا به ولم تسمعوا وعظه ، فتكونوا سبب استهزاء للأقوام الأجنبية) قال وائى تيكر (الغالب أن هذه العبارة كانت ما بين الآية الحادية والعشرين والثانية والعشرين من الاصحاح السادس من سفر عزرا والدكتور آدم كلارك يصدق جستن) انتهى ، فظهر من هذه العبارات المنقولة أن جستن الشهيد الذى كان من أجلة قدماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا بشارات عديدة من الكتب المقدسة ، وصدقه فى هذه الدعوى سبلرجيس وكريبه ووائى تيكر وآدم كلارك وواتس وادعى واتسن أن هذه العبارات كانت فى عهد جستن وارينيوس موجودة فى النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس وان لم توجد الآن فى نسخهما) فنقول لا يخلو اما أن كيون أعظم قدمائهم ومؤيدوه الخمسة صادقين فى هذه الدعوة ، فيثبت تحريف اليهود البتة باسقاط العبارات المذكورة ، واما أن يكونوا غير صادقين فيلزم أن يكون هذا المقتدى ومؤيدوه محرفين يقينا مرتكبين هذا الأمر الشنيع لاجل اتباعهم المقولة المشهورة المذكورة فى القول السابق ، فتحريف أحد الفريقين لازم قطعا . وكذا نقول يلزم على ادعاء « واتسن » أيضا لأنه على الشق الاول يلزم تحريف من أسقطها عن العبرانية واليونانية بعد زمانهما بلا شك ، وعلى الشق الثانى يلزم تحريف من زادهما فى نسخهما .

ومن ذلك : ما قال لاردنر فى الصفحة الرابعة والعشرين بعد المائة من المجلد الخامس من تفسيره : (حكم على الاناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بانها ليست حسنة بأمر السلطان اناسطيوثوس فى الايام التى

كان فيها سأله حاكما فى القسطنطينية ، فصححت مرة أخرى) انتهى فنقول : لو كانت هذه الاناجيل الهامية وثبت عند القدماء فى عهد السلطان المذكور بالاسناد الجيد أنها تصنيفات الحواريين وتابعيهم ، فلا معنى لجهالة المصنفين وتصحيحها مرة أخرى ، فثبت انها كانت الى ذلك العهد غير ثابت اسنادها وكانوا يعتقدون أنها (غير) الهامية فصححوا على قدر الامكان أغلاطها وتناقضها ، فثبت التحريف على أكمل وجه بلا شبهة عند كل منصف ، وثبت انها غير ثابتة الاسناد والحمد لله تعالى . وظهر أن ما يدعيه علماء البروتستانت فى بعض الاحيان من أن سلطانا من السلاطين وحاكما من الحكام لم يتصرف فى الاسفار المقدسة فى زمان من الازمنة قط باطل قطعا ، وظهر أن رأى كهاون وكثير من المتأخرين من علماء الجرمن فى باب الأناجيل فى غاية القوة .

ومن ذلك : ما قاله فى كتاب وارد كاتلك : (وصل عرضحال من فرقة البروتستانت الى السلطان جيمس الاول بهذا المضمون وهو أن الزبورات التى هى داخلة فى كتاب صلواتنا مخالفة للعبرى بالزيادة والنقصان والتبديل فى مائتى موضع تخمينا) انتهى .

ومن ذلك : ما فى الكتاب المذكور أيضا (قال مستر كارلائل : المترجمون الانكليزيون أفسدوا المطلب وأخفوا الحق وخدعوا الجهال وجعلوا مطلب الانجيل الذى كان مستقيما معوجا وعندهم الظلمة أحب من النور ، والكذب أحق من الصدق) انتهى .

ومن ذلك : ما ذكره فى الكتاب المذكور أيضا بما عبارته : (استدعى مستر بروتن من أراكين كونسل لترجمة الجديدة قائلا : أن الترجمة التى هى مروجة فى انكلتره مملوة من الاغلاط ، وقال للقسيسين ان ترجمتكم الانكليزية المشهورة حرفت عبارات كتب العهد العتيق فى ثمانمائة وأربعين موضعا ، وصارت سببا لرد اناس غير محصورين لأسفار العهد الجديد ودخولهم النار) انتهى . ولولا خشية التطويل لنقلنا شيئا كثيرا مثل هذه الأقاويل ، ومن أراد الزيادة وكثرة التفصيل فليرجع الى اظهار الحق ، ودافع الاباطيل .

المغـــالطة الثانية :

ان المسيح عليه السلام شهد بحقية أسفار العهد العتيق ، ولو كانت محرفة لما شهد بها ، بل كان عليه أن يلزم اليهود على التحريف .

فنقول : ان جوابها مستفاد مما تقدم لك غير مرة وأنه لما لم يثبت التواتر اللفظى لأسفار العهد العتيق والجديد ، ولم يوجد سنـــد متصل لها الى مصنفيها وعرفت ما قيل فى حق سفر استير فى الشاهد الأول من المقصد الثانى ، وفى حق انجيل متى فى الشاهد الثامن عشر من المقصد الثالث ، وفى غير ذلك . وثبت جميع أنواع التحريف فيها ثبوتا لا يمكن انكاره ، صارت هذه الأسفار مشكوك ومطعون فيها عندنا وعند كل ذى فهم وانصاف ، فلا يتم الاحتجاج علينا ببعض آيات هذه أسفار لأنها يجوز أن تكون الحاقية ، زادها المسيحيون من أهل الديانة المبيحون للكذب لأجل الدين كما تقدم فى آخر القرن الثانى أو القرن الثالث فى مقابلة الفرقة الأبيونية والفرقة المارسيونية وفرقة مانى كيز ، ورجحت هذه التحريفات بعدهم لكونها مؤيدة لمقاصدهم .

وأيضا : ان هذه الاسفار ليس لعددها سند ، اذ لم يبين عددها ولا أسماؤها ، فكيف يعلم أن الأسفار المتداولة الآن عند اليهود من العهد العتيق كانت التسعة والثلاثين التى تسلمها الآن فرقة البروتستانت أو الستة وأربعين التى تســـلمها فرقة الكاثوليك لأن فى هذه الاسفار سفر دانيال أيضا . وكان اليهود المعاصرون للمسيح وكذا المتأخرون منهم غير يوسيفوس لا يسلمونه الهاميا بل لم يكونوا يعترفون بنبوة دانيال أيضا ويوسيفوس المؤرخ الذى هو معتبر عند المسيحيين ومن علماء اليهود المتعصبين وكان بعد المسيح عليه السلام يعترف فى تاريخه بهذا القدر فقط . ويقول : (ليس عندنا آلاف الأسفار التى يناقض بعضها بعضا بل عندنا اثنان وعشرون سفرا فقط ، فيها أحوال الأزمنة الماضية وهى الهامية ، منها خمسة لموسى فيها بيان العالم من ابتداء الخلق الى موت موسى وثلاثة عشر سفرا كتبها الأنبياء فيها أحوال أزمنتهم من موت عليه السلام الى زمن السلطان أزدشـــير ، والباقى أربعة أسفار مشتملة على حمد الله

وثنائه) انتهى . فثبت من شهادته عدم حقية هذه الأسفار المتداولة لأنه بين أن غير التوراة سبعة عشر سفرا والحال أن غير التوراة عند فرقة البروتستنت أربعة وثلاثون سفرا وعند فرقة الكاثوليك وأحد وأربعون سفرا ومع ذلك لم يعلم أن أى سفر من هذه الأسفار كان داخلا فى السبعة عشر لأن هذا المؤرخ نسب الى حزقيال سفرين آخرين سوى سفره المشهور ، فالظاهر أن هذين السفرين وان لم يوجدا الآن كانا عنده داخلين فى السبعة عشر .

وقد عرفت فى الشاهد التاسع عشر من المقصد الثالث أن كريزاستم وعلماء الكاثوليك يعترفون بان اليهود ضيعوا أسفارا لا لأجل غفلتهم ، بل لاجل عدم ديانتهم ، ومزقوا البعض وأحرقوا البعض ، فيجوز أن تكون هذه الاسفار داخلة فى السبعة عشر ثم انه لا مجال لفرقة البروتستنت ولا لفرقة الكاثوليك ولا لغيرهما أن ينكروا فقدان الاسفار التى سنذكر بعضها الآن ان شاء الله تعالى من العهد القديم ويجوز أن يكون أكثرها داخلا فى السبعة عشر .

والأسفار المفقودة منها سفر حروب الرب الذى جاء ذكره فى الآية الرابعة عشر من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد كما عرفت فى الشاهد العاشر من المقصد الثانى ، ومنها سفر اليسير الذى جاء ذكره فى الآية الثالثة عشر من الاصحاح العاشر من سفر يوشع كما عرفت فى الشاهد الثامن عشر من المقصد الثانى ، ومنها ثلاثة أسفار لسليمان عليه السلام كما اعترف أيضا بذلك آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره ذيل شرح الآية الثانية والثلاثين فى حق الامثال والزبور . ومنها : مشاهدات عدو الرائى الغيب وسفر أخياء النبى ، وجاء ذكرهما فى الآية التاسعة والعشرين من الاصحاح التاسع من السفر الثانى من أخبار الأيام ، وفى هذه الآية ذكر تاريخ ناثان النبى أيضا . قال آدم كلارك فى الصفحة التاسعة والثلاثين بعد الخمسمائة وألف من المجلد الثانى من تفسيره ما لفظه : (هذه الكتب كلها مفقودة) انتهى . وقال طامس انكلس من علماء الكاثوليك فى كتابه المسمى بمرآة الصدق وهو فى لسان الهند وطبع فى سنة ١٨٥١

ما عبارته : (اتفاق العالم على أن الاسفار المفقودة من الاسفار المقدسة ليست بأقل من عشرين) انتهى . ثم انه عدد صاحب اظهار الحق نحو ذلك .

تنبيه : يعلم من هذا وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن أسفار أهل الكتاب فى الدواوين القديمة الاسلامية ككتب ابن قتيبة وكهداية الحيارى ودلائل النبوة للماوردى وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن الاسفار المقدسة ليست بأقل من عشرين) انتهى ثم انه عدد صاحب اظهار الحق نحو ذلك

تنبيه : يعلم من هذا وغيره أن بعض البشارات المنقولة عن أسفار أهل الكتاب فى الدواوين القديمة الاسلامية ككتب ابن قتيبة وكهداية الحيارى ودلائل النبوة للماوردى وغيرها ولا توجد فى الأسفار المشهورة الآن عندهم كانت موجودة فى الاسفار المفقودة كما لا يخفى على كل منصف (١)

---

(١) قول المؤلف أن بعض البشارات عن محمد ﷺ فى التوراة والانجيل ، التى نقلها قدماء المسلمين فى كتبهم ، كانت موجودة فى أسفار مفقودة . قول المؤلف هذا قول غير سديد . لأن البشارات التى نقلها القدماء ، هى من الأسفار المقدسة الى هذا اليوم عند أهل الكتاب ، والفرق بينها وبين الترجمة العربية الموجودة اليوم ، هو فرق فى الترجمة ، كاستبدال جاء يأتى ، وذهب برجع وما شابه ذلك . وبعض المؤلفين القدماء لم ينقلوا النص من الأسفار ذاتها ، وانما نقلوا معناه ، وربما كان نقلهم مشافهة ، أو من كتاب نقل عن كتاب وبعض المؤلفين نقلوا النصوص غير كاملة ، وظنوا أن القدر الذى نقلوه كاف فى الالزام ، ولم يربطوا النصوص كلها بعضها ببعض وهذا كله قد جعل المؤلف يظن أنهم نقلوا من كتب كانت موجودة ثم ضاعت من أهل الكتاب . ونستدل على ما نقول : بأن النص عن بركة اسماعيل الموجود فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، والنص عن النبى الأمى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية والنص عن فاران فى الثالث وللثلاثين من سفر التثنية . كل هذه النصوص قد ذكرها قدماء المسلمين كابن قيم الجوزية والامام الماوردى . وذكرها الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والنص عن البيركليت — الفيرقليط وهو اسم «أحمد» ﷺ قد ذكره القدماء ومنهم الرازى وابن هشام فى السيرة النبوية بنفس الألفاظ

ثم ليعلم أنا لو سلمنا أن هذه الاسفار المتداولة كانت فى عهد المسيح وشهد هو والحواريون لها ، نقول ان مقتضى شهادتهم هذا القدر فقط ان هذه الأسفار كانت عند اليهود فى ذلك الوقت ، سواء كانت من تصنيف الأشخاص المنسوب اليهم أو لم تكن ، وسواء كانت الحالات المندرجة فيها صادقة أو يكون بعضها صادقا كاذبا ، وليس مقتضاها أن كل سفر من تصنيف المنسوب اليه وأن كل حال مندرج فيها صادقا البتة ، بل لو نقل المسيح والحواريون شيئا من هذه الأسفار لا يلزم من مجرد نقلهم صدق المنقول ، بحيث لا يحتاج الى تحقيق ، نعم لو صرح المسيح عليه السلام فى جزء من اجزائها أو حكم من أحكامها أنه من عند الله سبحانه وثبت تصريحه أيضا بالتواتر فيكون صادقا البتة وما سواه مشكوك فيه ومحتاج الى التحقيق . وهذا الذى قلناه وافقنا عليه من علماء فرقة البروتستنت محققهم « بيلى » فى الباب الثالث من القسم الثالث من كتابه المطبوع سنة ١٨٥٠ فى بلدة لندن ، وان أردته فارجع الى اظهار الحق ، ثم انا لو سلمنا على فرض تقدير المحال أن شهادة المسيح والحواريين هى تصديق لكل جزء وكل قول قول منها فلا يضرنا أيضا ، اذ قد ثبت أن مذهب جمهور علماء المسيحيين وجستن واكستاين وكريزاستم من القدماء ومذهب كافة الكاثوليك وسلبرجيس والدكتور كريب وولئى تيكر وآدم كلارك وهمفرى وواتسن من علماء البروتستنت : أن اليهود حرفوا الأسفار بعد المسيح والحواريين كما عرفته مفصلا فيما تقدم ، فتذكر .

المغالطة الثالثة :

أن نبينا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم سماهم أهل الكتاب ، وأخبر القرآن الكريم عن التوراة والانجيل (بالصحة) مثل قوله سبحانه « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن

الموجود اليوم فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا . ذلك لأن الكتاب المقدس — البيبل ، الذى هو العهد القديم والجديد ، مدون ومشهر فى العالم على صورته التى هو عليها الآن من القرن الرابع الميلادى . وبعدما دون واشتهر لا يقدر أحد من أهل الكتاب على التحريف فيه ، الا بتأويل النصوص تأويلا فاسدا [أنظر كتاب نقد التوراة أسفار موسى الخمسة]

مهم البينات وأيدناه بروح القدس » وقوله تعالى : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شىء ، وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون » وقوله تعالى : « آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » وقوله تعالى : « اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذا أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذا علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل »الايه

فجواب هذه المغالطة ظاهر من وجوه لمن رزقه الله تعالى الفهم .

أما أولا فلأن قرآننا العظيم كما بين أنه سبحانه أنزل على موسى التوراة وعلى عيسى الانجيل ، بين لنا أيضا أن القوم حرفوا بعد ذلك تحريفا لفظيا ومعنويا كما قال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وفى سورة آل عمران : « وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » وفى سورة النساء : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا » وفى سورة المائدة : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الذكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه » الى قوله تعالى « ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير »

فالمسلمون ولله تعالى الحمد يؤمنون بجميع ما أنزل الله تعالى على رسوله فلما أنزل عليه انه سبحانه كان قد أنزل التوراة والأنجيل آمنوا ولما أنزل عز وجل ان القوم حرفوا وبدلوا أمنوا أيضا بذلك لأن المسلمين لا يؤمنون ببعض ويكفرن ببعض ، بل يؤمنون بجميع ما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز

وأما ثانيا : فان شاهد الوجدان شاهد لما أنزل فى القرآن من تحريف

أهل الكتابين سلفا وخلفا كما فصلناه ذلك ، واثبتناه من كلام الفرقتين بحيث لم يبق مجال للانكار ، وتميز الحال كالشمس فى رابعة النهار .

وأما ثالثا : فان مسائل كثيرة أمر بها أهل الكتاب فى كتابهم ولأن العمل على خلافها كمسألة الختان المؤيد على بنى اسرائيل فى التوراة وقرره عيسى عليه السلام فعلا وقولا . والآن النصارى عملهم على خلاف ذلك . وكمسألة المواريث فان النصارى يقتسمون فى ديارنا على ما تقتضيه شريعتنا . ولم يقتسموا على ما يقتسم عليه اليهود ، وكبشائر المسيح (١) التى حرفها اليهود فى العهد العتيق على ما ادعته النصارى ونحو ذلك كما مره مفصلا . وهل هذا ونحوه مما مضى الا تحريف بالزيادة والنقصان ؟ وهل مسألة العشاء الربانى من أكل لحم المسيح وشرب دمه الا من تحريف التأويل لما فى الأناجيل ، فافهم والله تعالى أعلم .

المغالطة الرابعة : ان نسخ الأسفار المقدسة كانت منتشرة شرقا وغربا

---

(١) ليس فى التوراة ولا فى أسفار الأنبياء بشارات عن عيسى عليه السلام ، ولم يكن فيهم قبل التحريف أى بشارات . ذلك لأنه من بنى اسرائيل . ولا ينسخها الا نبى من غير بنى اسرائيل . واذا جاء عيسى أو غيره على أنه مصدق لها ، فان اليهود ملزمون بتصديقه سواء كانت عنه بشارات أو لم تكن عنه . فلا فائدة اذن من التذبية على مجيئه . وفى أسفار الأنبياء أن الله سيرسل ملاكه ليهيىء الطريق أمام النبى المنتظر ، النبى الذى هو على الحقيقة محمد رسول الله ﷺ . وقد زعم النصارى أن المراد بالملاك هو يحى عليه السلام وقد جاء وهيا الطريق لعيسى عليه السلام . وقد جاء فى انجيل برنابا أن عيسى قال أنا جئت لاهيأ الطريق لمحمد ﷺ . وهذا بدل على أن المهيىء ، مبشر به فى أسفار الأنبياء قبل ظهور النبى المنتظر . واذا عرفنا أن بشارات الأسفار الخمسة تدل فى نظر العلماء على النبى المنتظر ، فان أى عالم من بنى اسرائيل يقوم محتسبا لله تعالى بتفسيرها على الوجه الصحيح أمام الناس ، فانه بالتفسير يكون مهيئا الطريق أمام النبى المنتظر . وهذا الرأى تؤيده التوراة السامرية فليس فيها من مهيىء واحد بعينه . والسامريون لا يعترفون بأسفار الأنبياء .

فلا يمكن تحريفها (١) لأحد كما يمكن فى القرآن .

وانت تعلم أن جواب هذه المغالطة ظاهر على من رزقه الله تعالى الانصاف وتأمل ما قدمناه من وقوع التحريف بالفعل باقرارهم ، وبالوجدان ، فأى محل بقى لعدم امكانه ؟ وقياس هذه الأسفار على القرآن المجيد قياس مع الفارق لأن هذه الأسفار قبل ايجاد صنعة الطبع كانت قابلة للتحريف ولم يكن اشتهارها مانعا من التحريف ، الا ترى كيف حرف اليهود وملحد والمشرق على ما أقرت به فرق البروتستنت وفرقة الكاثوليك الترجمة اليونانية مع أن اشتهارها شرقا وغربا كان أزيد من اشتهار النسخة العبرانية ؟ وكيف أثر تحريفهم كما عرفت فيما مر ؟ بخلاف القرآن المجيد فان اشتهاره وتواتره وحفظه فى الصدور من حين نزوله وكماله قرنا بعد قرن وطبقة بعد طبقة من مشارق الأرض ومغاربها ومن شمالها الى جنوبها الى يومنا هذا بخلاف غيره من الكتب المنزلة وغيرها كما هو ظاهر لكل ناقد ، وشاهد الوجود أعظم شاهد .

ولنورد أمورا مؤكدة لما مضى ومزيلة لاستبعاد وقوع التحريف فى كتبهم .

الأمر الأول : كان موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة (٢) وسلمها الى الأحبار وسائر كبراء بنى اسرائيل ووصاهم بمحاظتها ووضعها فى صندوق الشهادة واخراجها بعد كل سبعة من السنين فى يوم العيد لاجل اسماع بنى اسرائيل فكانت هذه النسخة موضوعة فى الصندوق وكانت الطبقة الاولى على وصية موسى عليه السلام فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى اسرائيل ، فكانوا يرتدون تارة ويسلمون أخرى . وهكذا كان حالهم الى أول سلطنة داود عليه السلام وجنست حالهم فى تلك السلطنة وصدر سلطنة سليمان عليه السلام وكانوا مؤمنين ، لكن لأجل الانقلابات المذكورة ضاعت

---

(١) هى انتشرت فى القرن الرابع وصعب التحريف اللفظى من بعدئذ . والتوراة حرفت فى بابل سنة ٥٨٦ ق.م وأسفار الانبياء حرفت فى مجمع عينية سنة ١٣٢ ب م والأناجيل حرفت فى سنة ٣٢٥م .

(٢) اعلم أن كلام المؤلف هو على نسخة التوراة التى وضعها موسى

تلك النسخة الموضوعة فى الصندوق ولا يعلم جزما متى ضاعت سوى هذا القدر وهو أنها ضاعت قبل عهد سليمان عليه السلام لأنه لما فتح الصندوق فى عهده ما وجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الأحكام العشرة فقط مكتوبة فيهما كما هو مصرح به فى الآية التاسعة من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الأول . وهى هكذا : (ولم يكن فى التابوت الا اللوحين اللذين وضعهما موسى بحوريب حيث عاهد الرب بنى اسرائيل وأخرجهم من أرض مصر) ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر سلطنة سليمان عليه السلام على ما تشهد به أسفارهم المقدسة ، بأن ارتد سليمان والعياذ بالله تعالى فى آخر عمره بترغيب زوجاته ، وعبد الأصنام وبنى المعابد لها ، فاذا كان وثنيا مرتدا بزعمهم لم يبق له غرض بالتوراة .

عليه السلام فى تابوت العهد وهى قد فقدت كما يقول قبل زمان سليمان عليه السلام . ثم لقيها العلماء فى عهد يوشيا الملك ، ثم فقدت . ونسى المؤلف أن علماء بنى اسرائيل كانوا على علم بالتوراة . وكل عالم منهم كانت معه نسخة منقولة من توراة موسى الأصلية . بل ان موسى خصص سبطا معينا وهو سبط لاوى للقيام بالشئون الدينية على سنن التوراة . وفى كتاب اظهار الحق الذى ينقل عنه الشيخ نعمان الألوسى أن آدم كلارك اعترف بأن موسى كتب من التوراة اثنتى عشرة نسخة ، وأعطى لكل سبط نسخة . ووضع نسخته فى تابوت العهد . وأوصى موسى بأن تكتب التوراة على جبل جرزيم — حسب النص السامرى — أو على جبل عيبال — حسب النص العبرى — اذا عبر بنو اسرائيل نهر الاردن (تثنية ٢٧ : ٨) ولما عبروا نهر الاردن كتبها يشوع بن نون (يشوع ٨ : ٣٠ — ٣١) وفى التوراة انه اذا ملك على بنى اسرائيل ملك « وعندما يجلس على كرسى مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب من عند الكهنة اللاويين ، فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته » (تثنية ١٧ : ١٨ — ١٩) .

وفى مدينة « بابل » اتفق السامريون والعبرانيون على تحريف النص الأصلى لتوراة موسى عليه السلام وشكلوا لجنة لهذا الغرض برئاسة عزرا الذى هو عزير . وحرفوا النصوص . ورضوا بما عملوه فالتوراة الموجودة من سبى بابل الى هذا اليوم هى التوراة التى كتبها المضل عزرا لعنه الله (انظر كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة)

وبعد موته وقع انقلاب أعظم وأشد من الأول بأن تفرق أسباط بنى اسرائيل وصارت الواحدة سلطنتين ، فصارت عشرة أسباط فى جانب والسبطان فى جانب ، وصار يوربعام سلطانا على عشرة أسباط وسميت تلك السنة السلطنة الاسرائيلية ، وصار رحبعام بن سليمان سلطانا على السبطين وسميت تلك السلطنة يهودا ، وشاع الكفر والارتداد بين السلطنتين لأن يوربعام بعد ما جلس على سرير السلطنة ارتد وارتدت الاسباط العشرة معه وعبدوا الاصنام ، ومن بقى منهم على ملة التوراة من الكهنة هاجر الى مملكة يهودا ، فهذه الاسباط من هذا العهد الى مائتين وخمسين سنة كانوا كافرين عابدين للاصنام .

ثم أبادهم الله تعالى بان سلط الاشوريين عليهم فأسروهم وفرقوهم فى الممالك ، وما أبقوا فى تلك المملكة الا شرذمة قليلة وعمروا تلك المملكة من الوثنيين فاختلطت هذه الشرذمة القليلة بالوثنيين اختلاطا شديدا فتزاوجوا وتناكحوا وتوالدوا وسميت أولادهم السامريين ، فمن عهد يوربعام الى آخر السلطنة الاسرائيلية ما كان لهذه الأسباط غرض بالتوراة ، وكان وجود نسخ التوراة فى تلك المملكة كوجود العنقاء .

هذا حال الاسباط العشرة والسلطنة الاسرائيلية .

وجلس على سرير سلطنة يهوذا من بعد موت سليمان عليه السلام الى ثلثمائة واثنتين وسبعين سنة ، عشرون سلطانا وكان المدارون من هؤلاء السلاطين من المؤمنين ، وشاعت عبادة الأصنام فى عهد رحبعام ووضعت تحت كل شجرة وعبدت وفى عهد آحاز بنى المذابح فى كل جانب وناحية من بلدة أورشليم ، وسدت أبواب بيت المقدس وكان قبل عهده نهبت أورشليم وبيت المقدس مرتين ، ففى المرة الاولى تسلط سلطان مصر ونهب جميع أساس بيت الله وبيت السلطان ، وفى المرة الثانية تسلط سلطان اسرائيل المرتد ونهب بيت الله وبيت السلطان أعظم نهب ، ثم اشتد الكفر فى عهد منسى حتى صار أكثر أهل تلك المملكة وثنيين وبنى مذبح الاصنام فى فناء بيت المقدس ، ووضع الوثن الذى كان يعبده فى بيت المقدس ، وهكذا كان حال الكفر فى عهد آمون ابنه لما جلس يوشيا ابن

آمون على سرير السلطنة تاب الى الله تعالى توبة نصوحا وكان هو وأراكية متوجهين لترويج الملة الموسوية وهدم رسوم الكفر والشرك وفى غاية الجد والاجتهاد ، ولكنه مع ذلك ما رأى أحد ولا سمع بوجود نسخة التوراة الى سبع عشرة سنة من سنى سلطنته .

ثم ادعى حلقيا الكاهن فى العام الثامن عشر من سلطنته أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس وأعطاها شاقان الكاتب فقرأها على يوشيا فلما سمع يوشيا مضمونها شق ثيابه لما اعتراه من الحزن على عصيان بنى اسرائيل كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى والاصحاح الرابع والثلاثين من السفر الثانى من أخبار الايام لكن لا يعتمد على هذه النسخة ، ولا على قول حلقيا لان البيت نهب مرتين قبل عهد آحاز ثم جعل البيت للاصنام وسدنتها كانوا يدخلونه كل يوم ، وما سمع أحد الى السبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا أيضا اسم التوراة ، ولا رآها مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا فى غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية وكان الكهنة يدخلون كل يوم الى هذه المدة .

فالعجب العجب ، أن تكون النسخة فى البيت ولا يراها أحد ، فهذه النسخة ما كانت الا من مخترعات حلقيا ، فانه لما رأى توجه السلطان والأراكين الى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التى وصلت اليه من أفواه الناس ، سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وكان الى هذه المدة فى جمعها وتأليفها ، وبعدما جمعها نسبها الى موسى عليه السلام ، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة واشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين ، كما عرفت سابقا .

لكنا نقطع النظر عن هذا ونقول : انه وجدت نسخة التوراة فى العام الثامن عشر من سلطنة يوشيا وبقى معمولا بها الى ثلاث عشرة سنة من مدة حياته ، ولما مات وجلس ياهو آحاز على سرير السلطنة ارتد وشاع الكفر وتسلط عليه سلطان مصر ، واجلس أخاه على سرير السلطنة وهو

كان مرتدا أيضا كأخيه ، ولما مات جلس ابنه على السرير وكان أيضا مرتدا كأبيه وعمه ، وأسره بخت نصر مع جم غفير من بنى اسرائيل ونهب بيت المقدس وكنوز بيت الملك وأجلس عمه على سرير السلطنة . وكان مرتدا أيضا مثل ابن أخيه .

فاذا علمت هذا فنقول : ان تواتر التوراة فى اليهود على هذا منقطع قبل زمان يوشيا ، والنسخة التى وجدت فى عهده لا اعتماد عليها ولا يثبت بها التواتر ، ومع ذلك لم يكن معمولا بها الا الى ثلاث عشرة سنة وبعدها لم يعلم حالها . والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بخت نصر وكان وجودها بين أزمنة الارتداد كالطهر المتخلل بين الدمين ولو فرض بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها فى حادثة بخت نصر وهذه الحادثة هى الحادثة الأولى .

الأمر الثانى : لما بغى هذا السلطان الذى أجلسه بخت نصر عليه ، أسره وذبح أولاده بمرأى منه ، ثم قلع عينيه وقيده بالسلاسل وأرسله الى بابل وأحرق بيت الله وبيوت الملك وجميع بيوت أورشليم كل منزل جليل وجميع يوت الكبراء ، وهدم سور أورشليم وأسر سائر شعوب بنى اسرائيل وسباهم ، وعمر تلك المملكة من مساكين الأرض وضعفائها كرامين وفلاحين ، وهذه هى الحادثة الثانية لبخت نصر ، وفى هذه الحادثة انعدمت التوراة وكذا جميع أسفار العهد العتيق التى كانت مصنفة قبل هذه الحادثة عن وجه العالم راسا ، وهذا الأمر سلم به عند أهل الكتاب أيضا كما عرفت مفصلا فى الشاهد السادس عشر من المقصد الاول .

الأمر الثالث : لما كتب عزرا عليه السلام أسفار العهد العتيق مرة أخرى على زعمهم ، وقعت حادثة أخرى ، قد جاء ذكرها فى الأصحاح الاول من السفر الأول للمكابيين هكذا : (لما فتح انتيكوس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ أسفار العهد العتيق التى حصلت له من أى مكان بعد ما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ أسفار العهد العتيق أو يؤدى وسم الشريعة يقتل وكان تحقيق هذا الأمر فى كل شهر فكان يقتل من وجد

عنده نسخة من أسفار العهد العتيق أو ثبت أنه ادى رسما من رسوم الشريعة ، وتعدم تلك النسخة) انتهى ملخصا وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائة واحدى وستين سنة ، وكانت ممتدة الى ثلاث سنين ونصف كما فصلت فى تواريخهم وتاريخ يوسيفوس فانعدمت فى هذه الحادثة جميع النسخ التى كتبها عزرا كما عرفت فى الشاهد السادس عشر من المقصد الأول من كلام جان لمتر الكاثوليكى وهو (انه لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انتيوكس) انتهى .

ثم قال جان لمتر : (فلم تكن شهادة لصداقة هذه الكتب ، ما لم يشهد المسيح أو الحواريون انتهى .

ونقول : قد عرفت حال هذه الشهادة فى جواب المغالطة الثانية فتذكر .

الأمر الرابع : أن اليهود وقعت عليهم بعد هذه الحادثة المذكورة حوادث أخر ايضا من ملوك الافرنج وانعدمت فيها نقول عزرا ونسخ لا تحصى ، ومنها حادثة طيطوس الرومى ، وهى حادثة عظيمة وقعت بعد عروج المسيح عليه السلام بسبع وثلاثين سنة ، وهذه الحادثة مكتوبة بالتفصيل التام فى تاريخ يوسيفوس وتواريخ أخر ، وهلك فى مدة الحادثة من اليهود فى أورشليم ونواحيها ألف ألف ومائة ألف بالجوع والنار والسيف والصلب وأسر سبعة وتسعون ألفا وبيعوا فى الأقاليم المختلفة ، وهلكت جموع كثيرة فى اقطار أرض اليهودية أيضا .

الأمر الخامس : أن قدماء المسيحيين ما كانوا ملتفتين الى النسخة العبرانية من العهد العتيق ، بل جمهورهم كانوا يعتقدون تحريفها وكانت الترجمة اليونانية معتبرة عندهم ولا سيما الى آخر القرن الثانى من القرون المسيحية ، فانه لم يلتفت أحد منهم الى النسخة العبرانية وكانت هذه الترجمة مستعملة فى جميع معابد اليهود أيضا الى آخر القرن الأول فكانت نسخ العبرانية لهذا الوجه أيضا قليلة ، ومع كونها قليلة كانت عند اليهود كما ظهر لك من جواب المغالطة الأولى .

الأمر السادس : ان اليهود اعدموا نسخا كتبت فى المائة السابعة والثامنة لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التى كانت معتمدة عندهم ، ولذلك لم تصل الى مصححى العهد العتيق النسخة المكتوبة فى هاتين المائتين ، وبعد ما اعدموا بقيت النسخ التى كانوا يرضون بها فكان لهم مجال واسع للتحريف كما عرفت فيما سبق .

الأمر السابع : كان فى المسيحيين أيضا فى الطبقات الأولى أمر موجب للة النسخ وامكان تحريف المحرفين لأن تواريخهم تشهد بأنهم الى ثلثمائة سنة كانوا مبتلين بأنواع المحن والبلايا ووقع عليهم عشر قتلات عظيمة الاولى فى عهد السلطان نيروا فى سنة أربع وستين ، واستشهد فيه بطرس الحوارى وزوجته ، وقتل بولس أيضا وكان هذا القتل فى دار السلطنة والايالات ، وبقى هذا الحال ممتدا مدة حياة هذا السلطان وكان الاقرار بالمسيحية يعده جرما عظيما فى حق المسيحيين والثانية فى عهد السلطان دومشيان وكان هذا السلطان مثل نيرو عدوا للملة المسيحية فأمر بالقتل العام الذى كاد أن يستأصل هذه الملة وأجلى يوحنا الحوارى وقتل فليوبس كليمنس والثالثة فى زمن السلطان تراجان وكان ابتداؤه سنة احدى ومائة وبقى الحال ممتدا الى ثمانية عشر سنة وقتل فيه اكناشس أسقف كورنتية وكليمنت أسقف الروم ومشمعون أسقف أورشليم والرابعة فى عهد السلطان مرقس انتونيس وكان ابتداؤه سنة احدى وستين ومائة وبقى الحال هكذا الى أزيد من عشر سنين ، وبلغ القتل شرقا وغربا وكان هذا السلطان فلسفيا مشهورا متعصبا فى الوثنية ، والخامسة فى عهد السلطان سويرس وكان ابتداؤه سنة اثنتين ومائتين وقتل ألوف فى مصر ، وكذا فى ديار فرانس وكاد تهيج ، وكان القتل فى غاية الشدة بحيث ظن المسيحيون أن هذا الزمان زمان الدجال (١)

---

(١) فى الثالث عشر من أكتوبر سنة الف وتسعمائة وسبعة وثمانين توجهت الى السودان عن طريق وادى حلفاء . وفى محطة القطار سمعت من بعض السودانيين المتدينين بأن الامام الخومينى هو المسيح الدجال . ورأيت الناس فى الخرطوم تجاه ايران فريقان . ويجمع الكل على أن العراق هو الذى بد لهجوم على ايران .

والسادسة فى عهد السلطان مكسيمن وكان ابتداء ذلك سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وأمر بقتل أكثر العلماء لأنه ظن أنه اذا قتل أهل العلم تطيعه العوام ، وقتل البابا بابونيتانوس والبابا انتيروس ، والسابعة فى زمن السلطان دى شس سنة ثلاث وخمسين ومائتين أراد هذا السلطان استئصال الملة المسيحية ، فصدرت أوامره الى حكام الولايات ، وارتد فى هذه الحادثة بعض المسيحيين ، والثامنة فى عهد السلطان ولريان سنة سبع وخمسين ومائتين وقتل فيه ألوف ، ثم صدر أمر وهو فى غاية الشدة بأن يقتل الأساقفة وخدام الدين وتذل الأعزة وتؤخذ أموالهم ، واذا بقوا بعد هذا مسيحيين يقتلون وتسلب أموال النساء ويجلين من الأوطان ويؤخذ المسيحيون الباقون عبيدا ويحبسون ويقيدون بالسلاسل ، ويستعملون بالأمور الشاقة ، التاسعة فى عهد السلطان اريلين وكان ذلك سنة أربع وسبعين ومائتين ولم يقتل فيه كثيرون لأن السلطان المتقدم قد أكثر القتل ، والعاشرة فى سنة اثنتين وثلثمائة وامتلأت الأرض شرقا وغربا من القتل ، وأحرقت بلدة فريجيا كلها دفعة واحدة بحيث لم يبق فيه أحد من المسيحيين .

فهذه الوقائع لو كانت صادقة كما يدعون لا يتصور فيها كثرة النسخ ولا المحافظة على الكتب كما ينبغى ، ولا تصحيحها ولا تحقيقها أو يكون للمحرفين فى أمثال هذه الأوقات مجال واسع للتحريف ، وقد عرفت فيما تقدم أن الفرق الكثيرة المبتدعة من المسيحيين ، قد كانوا فى القرن الأول وكانوا يحرفون

الأمر الثامن : أراد السلطان ديوكليشين أن يمحو وجود الأسفار المقدسة لهم عن وجه الأرض ، واجتهد فى ذلك ، فأمر فى سنة ثلاث وثلثمائة بهدم الكنائس واحراق الأسفار وأحرق كل سفر موجود ، ومن أبى عن الاحراق أو ظن انه أخفى سفر عذبه العذاب الأليم ، وامتنعوا عن الاجتماع للعبادة كما هو مصرح به فى تواريخهم .

وقال لاردنر فى الصفحة الثانية والعشرين بعد الخمسمائة من المجلد السابع من تفسيره : (صدر أمر ديوكليشين فى شهر مارس من السنة

التاسعة عشر من جلوسه بهدم الكنائس واحراق الاسفار المقدسة) انتهى ثم قال : (يقول يوسى بيس اننى حزين على أننى رأيت بعينى أن الكنائس هدمت والأسفار المقدسة أحرقت فى الأسواق) انتهى ، ولا نقول أن النسخ كلها باعدامه انعدمت عن وجه الأرض ، لكن لا شك أنها قلت جدا وضاعت نسخ كثيرة صحيحة لأن كثرة المسيحيين وكثرة أسفارهم فى مملكته وديارة كانت بمنزلة عشرها فى غيرها ، فاتفتح باب التحريف ولا عجب أن تعدم رأسا بعض الأسفار ويكون الموجود بدلها بعدها جعليا مختلفا لأن هذا الأمر قبل ايجاد صنعة الطبع كان أمرا ممكنا ، وقد علمت فيما سبق أن النسخ المخالفة لنسخة اليهود انعدمت رأسا باعدامهم لهم بعد المائة الثامنة .

وقال آدم كلارك فى مقدمة تفسيره : (أن أصل التفسير المنسوب الى تى شن انعدم ، والمنسوب اليه الآن مشكوك فيه عند العلماء ، وشكهم حق) انتهى . وقال واتسن فى المجلد الثالث من كتابه (كان التفسير المنسوب الى تى شن موجودا فى عهد تهيودورت وكان يقرأ فى كل كنيسة لكن تهيودورت أعدم جميع نسخه ليقيم الانجيل مقامه) انتهى ، فانظر أيها المنصف كيف انعدم هـذا التفسير عن وجه البسيطة باعدام تهيودورت وكيف اخترع واختلق المسيحيون بدله ولا شك أن اقتدار ديوكليشين الذى كان ملك ملوك الافرنج أزيد من اقتدار اليهود ، وكذا زمان اعدامه كان أقرب من زمان اعدامهم وكذا اقتداره أزيد من تهيودروت ، فلا استبعاد فى أن ينعدم بعض أسفار العهد الجديد بحادثة ديوكليشين والحوادث التى ظهرت فى عهد السلاطين والمذكورين الذين كانوا ملوك ملوك فى عهدهم ، ثم يكون الموجود باسمه مفترى مختلفا كما سمعت فى تفسير تى شن ، والاهتمام الى اختلاف بعض أسفار العهد الجديد كان أهم عندهم من اختلاف التفسير المذكور وكانت المقولة عندهم التى تر ذكرها حاكمة باستحسان هذا الاختلاف واستحبابه .

ولأجل الحوادث المذكورة فى هذه الامور الثمانية المسطورة ، فقدت الاسانيد اتصلة بكتبهم ولا يوجد عندهم سند متصل لسفر من أسفار العهد العتيق والجديد لا عند اليهود ولا عند المسيحيين ، كما عرفت نبذا منه ، وقد طلب علماء المسلمين مرارا عديدة من قسيسهم عند المجادلة

السند اتصل فما قد روا عليه اعتذروا فى محفل المناظرة فى الهند قائلين : أن الاسناد عندنا فقد لوقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة ، ونحن تفحصنا كتبهم فما رأينا شيئا يدل على الاسناد غير الظن والتخمين ، وان الظن لا يغنى ولا يثبت به سند كما لا يخفى .

المغالطة الخامسة قالوا أن بعض نسخ الأسفار المقدسة التى كتبت قبل زمان نبينا محمد ﷺ موجودة الى الآن عند المسيحيين ، وهذه النسخة موافقة لنسخنا .

فنقول : أولا ان فى هذه المغالطة دعوتين .

الأولى : ان هذه النسخ الموجودة كتبت قبل نبينا محمد ﷺ

والثانية : انها موافقة لنسخهم ، وكلتاهما غير صحيحين .

اما الأولى : فلأنك قد عرفت فيما تقدم أنه لم يصل الى مصححى العهد العتيق نسخة عبرانية كتبت فى المائة السابعة أو الثامنة بل لم تصل اليهم نسخة عبرانية كاملة تكون مكتوبة قبل المائة العاشرة لأن النسخة القديمة التى حصلت لكنى كات هى نسخة تسمى بكودكس لاديانوس ، وقال انها كتبت فى المائة العاشرة وقال موشيودى روسى انها كتبت فى المائة الحادية عشر ، ولما طبع « واندرهوت » النسخة العبرانية مدعيا التصحيح الكامل خالف هذه النسخة فى أربعة عشر الف موضع ، منها أزيد من الفى موضع فى التوراة فقط فانظر الى كثرة غلطتهما . وأما نسخ الترجمة اليونانية فثلاث منها قديمة عندهم جدا الأولى كودكس اسكندريانوس ، والثانية كودكس وطيكانوس ، والثالثة كودكس أفريمى ، والأولى موجودة فى لندن وكانت هذه النسخة عند المصححين فى المرتبة الثانية ومعلمة بعلامة الأولى والثانية موجودة فى بلدة روما من اقليم اطالية وكانت عند المصححين فى المرتبة الثانية ومعلمة بعلامة الثانى ، والثالثة موجودة فى بلدة بارس وفيها أسفار العهد الجديد فقط ، وليس فيها أسفار من أسفار العهد العتيق .

ولنبين لك حال هذه النسخ الثلاث قال هورن فى المجلد الثانى من تفسيره فى بيان كودكس اسكندريانوس ما عبارته : (هذه النسخة فى أربعة

مجلدات ، المجلدات الثلاثة الأولى الأسفار الصادقة والكاذبة من أسفار العهد العتيق ، ويوجد فى المجلد الرابع العهد الجديد والرسالة الأولى لكليمنت الى أهل قورنتيوس ، والزبور الكذب المنسوب الى سليمان عليه السلام) انتهى

ثم قال (وتوجد قبل الزبور رسالة القانى سيش وبعده فهرست ما يقرأ فى صلاة كل ساعة من الليل والنهار ، وأربعة عشر زبورا ايمانيا الحادى عشر منها فى نعت مريم رضى الله عنها وبعضها كاذبة وبعضها مأخوذة من الانجيل ، ودلائل يوسى مكتوبة على الزبورات ، وقوانينه على الانجيل ، وبالغ البعض فى مدح هذه النسخة والبعض الآخرون فى ذمها ورئيس أعدائها وتستين — وفى مقدمتها كلام فظن كريب وشلز هكذا (لعل هذه النسخة كتبت فى آخر المائة الرابعة ، وقال ميكايلس هو حد حذاقها ولا يمكن أن يفرض أقدم منه لأن رسالة انها تى سيش توجد فيها ، وفهم أودن أنها كتبت فى القرن العاشر وقال وتستين انها كتبت فى القرن الخامس) وظن هكذا (لعل هذه نسخة من النسخ التى جمعت فى اسكندرية سنة ستمائة وخمسة عشر لأجل الترجمة السريانية ، وفهم الدكتور سملر أنها كتبت فى القرن السابع ، وقال مونت فاكن لا يمكن أن يقال جزما فى حق نسخة من النسخ ، اسكندريانوس أو غيرها انها كتبت قبل القرن السادس وقال ميكابلس انها كتبت فى زمان صار لسان أهل مصر فيه لسانا عربيا يعنى بعد مائة أو مائتين من تسلط المسلمين على اسكندرية لأن كاتبه يدل فى كثير من المواضع الميم من الياء وبالعكس كما تبدل فى اللسان العربى ، فاستبدل بهذا على انها لا يمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن ، وفهم « وايد » انها كتبت فى أوسط القرن الرابع أو فى أخره ، ولا يمكن أن يكون أقدم من هذا لانه توجد فيها الأبواب والفصول ويوجد فيها نقل قانون يوسى بيس ، واعترض « اسياين » على دلائل « وايد » وأدلة كونها مكتوبة فى القرن الرابع والخامس هى الدليل الأول لا يوجد التقسيم بالأبواب فى رسائل بولس ، وقد كان هذا التقسيم فى سنة ست وتسعين وثلثمائة والثانى يوجد فيها رسائل كليمنت التى منع قراءتها مجلس لوديسياوكار تهيج فاستدل شلز بهذا على أن هذه النسخة كتبت قبل سنة أربع وستين وثلثمائة والثالث استدل « شلز » بدليل جديد آخر وهو أنه لما كان فى الزبور الرابع عشر الايمانى فقرة كانت توجد سنة أربع وأربعين وأربعمائة وسنة ست

وأربعين وأربعمائة ، فان هذه النسخة تكون قد كتبت قبل هذه السنين ، وظن « وتستين » أنها كتبت قبل زمان جيروم لأنه بدل فيها المتن اليونانى بترجمة اتالك القديم ، وكاتبه لا يعلم لنهم كانوا يقولون للعرب هكارين لأنه كتب اكور أو بدل اكاروا وأجابه الآخرون بأن هذا غلط كاتب فقط لأنه جاء لفظ اكاراوون فى الآية الأخيرة .

وقال ميكايلس لا يثبت بهذه الدلائل شىء ، لأن هذه النسخة منقولة عن نسخة أخرى بالضرورة ، فعلى تقدير كونها منقولة بالاهتمام تتعلق هذه الدلائل بالنسخة التى هى منقولة عنها لا بهذه النسخة ، نعم يمكن تصفية الأمر شيئا بالخط وأشكال الحروف وعدم الاعراب .

ودليل عدم كونها مكتوبة فى القرن الرابع هو : ظن الدكتور سملر أن رسالة اتهانى سيش فى حسن الزبورات يوجد فيها وادخالها فى حياته كان محالا فاستدل « اودن » بهذا على أنها كتبت فى القرن العاشر لأن هذه الرسالة كاذبة ، ولا يمكن جعلها فى حياته وكان الجعل فى القرن العاشر فى غاية القوة) انتهى .

ثم قال هورن فى المجلد المذكور فى بيان كودكس واطيكانوس ط : « كتب فى مقدمة الترجمة اليونانية التى طبعت فى سنة ألف وخمسمائة وتسعين كتبت هذه النسخة قبل سنة ثمان وثمانين وثلثمائة يعنى فى القرن الرابع ، وقال موت فاكن ويلين جينى كتبت فى القرن الخامس أو السادس ، وقال دبوين فى القرن السابع ، وقال هك فى ابتداء القرن الرابع ، وقال مارش فى آخر القرن الخامس . ولا يوجد الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد العتيق والجديد مثل الاختلاف الذى يوجد بين كودكس اسكندريانوس وهذه النسخة) انتهى .

ثم قال : (استدل كنى كانت بأن هذه النسخة وكذا نسخة اسكندريانوس ليستا بمنقولتين عن نسخة أرجن ولا عن نقولها التى كانت قد نقلت فى قرب زمانه ، بل هما منقولتان عن النسخ التى ما كانت علامات أرجن فيها يعنى فى زمان تركت علاماته فى النقول) انتهى .

ثم قال فى المجله المذكور فى بيان كودكس افريمى (ظن وتستين أن هذه النسخة من النسخ التى جمعت فى اسكندرية لتصحيح الترجمة

السريانية لكن لا دليل على هذا الأمر واستدل بالحاشية التى على الآية السابعة من الاصحاح الثامن من الرسالة العبرانية ان هذه النسخة كتبت قبل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة لكن ميكايلس لا يفهم استدلاله قويا ويقول بهذا القدر فقط انها قديمة ، وقال مارش كتبت فى القرن السابع) انتهى .

فظهر لك انه لم يوجد دليل قطعى على أن هذه النسخ كتبت فى القرن الفلانى وليس مكتوبا فى آخر كتاب من كتبها أيضا أن كاتبه فرغ فى السنة الفلانية كما يكون هذا مكتوبا فى آخر الكتب الاسلامية غالبا ، وعلماؤهم يقولون رجما بالغيب وبالظن الذى نشأ لهم من بعض القرائن لعلها كتبت فى قرن كذا ، وقرن كذا وبمجرد الظن والتخمين لا يتم الدليل على المخالف ، وقد عرفت أن أدلة القائلين بأن نسخة اسكندريانوس كتبت فى القرن الرابع أو الخامس ضعيفة منقوضة ، وظن سملر أيضا بعيد لأن تغير لسان اقليم بلسان اقليم آخر فى مدة قليلة خلاف العادة . وقد تسلط العرب على اسكندرية فى القرن السابع من القرون المسيحية لأنهم تسلطوا فى السنة العشرين من الهجرة على الأصح الا أن يكون مراده آخر هذا القرن . ودليل ميكايلس سالم عن الاعتراض فلابد أن يسلم بأن هذه النسخة لا يمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن والأغلب كما قال أودن أنها كتبت فى القرن العاشر الذى كان بحر التحريف فيه مواجا ويؤيده أن هذه النسخة تشتمل على الاسفار الكاذبة أيضا فالظاهر أن كاتبه كان فى زمان كان فيه تمييز الكاذب عن الصادق متعسرا ، وهذا كان على وجه الكمال فى القرن العاشر وأن بقاء القرطاس والحروف الى ألف وأربعمائة أو أزيد مستبعد عادة ، وان كان رقا وأدما سيما اذا لاحظنا أن طريقة المحافظة وكذا طريقة الكتابة فى الطبقات الأول ما كانتا جيدتين ، ورد ميكايلس استدلال وتستين فى حق كودكس افريمى ، وعرفت قول مونت فاكن وكنى كات أيضا وعرفت قول ديوين فى حق كودكس واطيكانوس وقول مارش فى حق كودكس افريمى أنهما كتبتا فى القرن السابع ، فظفر أن الدعوى الأولى ليست بثابتة لأن ظهور نبينا محمد ﷺ كان على آخر القرن السادس من القرون المسيحية .

واذا ثبت أن كودكس اسكندريانوس تشتمل على كتب كاذبة أيضا ، وأن البعض بالغ فى ذمها — وتستين رئيس الاعداء الذامين — ولا يوجد الاختلاف بين نسختين من نسخ العهد العتيق والجديد مثل الاختلاف الذى يوجد بين كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس ، ظهر أن الدعوى الثانية أيضا ليست بصحيحة ونقول ثانيا انا لو قطعنا النظر عما قلنا وفرضنا أن هذه النسخ كتبت قبل نبينا ﷺ فلا يضرنا شيئا لأنا لا ندعى أن الاسفار المقدسة لهم كانت غير محرفة الى زمن ظهوره ﷺ وبعد ذلك حرفت ، بل ندعى أن هذه الأسفار كانت قبل ظهوره ﷺ لكنها بلا اسناد متصل ، وأن التحريف كان فيها قبله يقينا ووقع فى بعض المواضع بعده أيضا فلا ينافى فى هذه الدعوى وجود النسخ الكثيرة فضلا عن ثلاث نسخ ، بل لو وجدت ألف نسخة مثل اسكندريانوس لا يضرنا بل يكون نافعا لنا باعتبار أن اشتمال هذه النسخ على الأسفار الجعلية بأمر يقينى والاختلاف بينها اختلاف فاحش كما فى كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس ، وهو من أعظم الأدلة الدالة على تحريف أسلافهم ، ولا يلزم من القدم فى الزمان : الصحة الا ترى أن بعض الأسفار الكاذبة مندرجة فى اسكندريانوس فافهم واجعل أيها الناظر الانصاف بين عينيك ، ولا تتكلم ولا تتكلم والله تعالى أعلم .

فصل ولنرد بعض كلماته تفصيلا بعد أن رددناها اجمالا واثبتنا التحريف فى أسفارهم وأخرجنا بفضل المنان للعيان بحيث لا ينكره الامجادل بالباطل منكر للضروريات التى يسلمها كل عاقل

قوله « وكتابك يشهد بصحة ما فى أيدينا شهادة قاطعة اذ يقول فان كنت فى شك مما انزلنا » الايه .

فنقول لهذا النصرانى ان كتابنا الكريم يشهد أيضا بأن ما فى أيديكم من الاسفار محرف فى آيات عديدة منها قوله جل وعز « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » وقوله سبحانه : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة

منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين » وغيرهما مما تقدم .

وأما استدل به من الآيتين الكريمتين على نفى التبديل والتحريف فاستمع ما قاله العلماء فى تفسيرها ليزول عنك الاشكال ويتضح معناهما العلى المنال قال تعالى : « ولقد بوأنا بنى اسرائيل » أى أنزلناهم بعد أن نجيناهم وأهلكنا أعداءهم مبوء صدق » أى منزلا صالحا صحيحا مرضيا وأصل الصدق ضد الكذب لكن جرت عادة العرب على أنهم اذا مدحوا شيئا اضافوه الى الصدق فقالوا رجل صدق مثلا اذا كان كاملا فى صفته صالحا للغرض المطلوب منه والمراد بهذا المبوء الشام ومصر أو بيت المقدس « ورزقناهم من الطيبات » أى اللذائذ وقد يفسر بالحلال « فما اختلفوا » فى أمور دينهم بل كانوا متبعين أمر رسولهم عليه السلام حتى جاءهم العلم أى الا بعد ما علموا بقراءة التوراة والوقوف على أحكامها . وقيل المعنى ما اختلفوا فى أمر محمد ﷺ الا بعد ما علما صدق بنعوته المذكورة فى كتابهم ، وتظاهر معجزاته « ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والعقوبة « فان كنت فى شك » أى شك ما يسير مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والخطاب قيل له ﷺ والمراد ان كنت فى ذلك على سبيل الفرض والتقدير لأن الشك لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام لانكشاف الغطاء له ، وصدق الشرطية لا يتوقف على وقعها كما هو ظاهر .

قال محى السنة البغوى : « قيل هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى : « يا أيها النبى اتق الله » خاطب النبى ﷺ والمراد به المؤمنون بدليه أنه قال « ان الله كان تعملون خبيرا » ولم يقل سبحانه بما يعمل ، ومثل هذا كثير فى القرآن . وقيل كان الناس على عهد النبى ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه ان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان رسولنا محمد ﷺ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ، وهم من أسلم من أهل الكتاب ، فيشهدون على صدقه عليه الصلاة والسلام ويخبرونك بنبوته الثانية فى الكتب السماوية ، وقال الفراء : علم الله تعالى أن رسوله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد

منهم لعبده ان كنت عبدى فأطعنى ويقول لولده ان كنت ابنى فاتبعنى ، ولا يكون ذلك على وجه الشك وكذلك ما بعد هذه مخاطب به النبى ﷺ والمراد منه غيره وهو قوله سبحانه « فلا تكونن من الممترين » أى الشاكين بل دم على ما أنت عليه من الجزم واليقين كما كنت من قبل ولا تتزلزل »

وأما الآية الاخرى التى ذكرها النصرانى فنذكرها أيضا بتمامها مع تفسيرها . قال المفسرون : قوله سبحانه : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » وانما أفردها سبحانه لأن الكفر ملة واحدة » « قال ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » ثم قال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب » وهذا اعتراض لبيان حال مؤمنى أهل الكتاب بعد ذكر أحوال كفرتهم ولم يعطف تبنيها على كمال التباين بين الفريقين والآية نازلة فيهم وهم المقصودون منها سواء أريد بالموصول الجنس أو العهد على ما قال ابن عباس انهم الاربعون الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب اثنان وثلاثون منهم من اليمن وثمانية من علماء الشام « يتلونه حق تلاوته » أى يقرءونه حق قراءته وهى قراءة تأخذ بمجامع القلب ، فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأويل فى المعنى ، وحق الامر والنهى » وقال البغوى : « ويصفونه فى كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس ، فالهاء راجعة الى النبى ﷺ ، وقال ابن مسعود يقرءونه كما أنزل ولا يحرفونه فالهاء راجعة الى الكتاب « أولئك يؤمنون به » أى بكتابهم دون المحرفين فانهم غير مؤمنين به ، عود الضمير أيضا الى الهدى أو الى النبى ﷺ أو الى الله تعالى وعلى التقديرين يكون فى الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة أو من التكلم اليها وكل ذلك سائغ فى العربية كما لا يخفى « ومن يكفر به » أى الكتاب بسبب التحريف والكفر بما يصدقه أو بالنبى ﷺ « فأولئك هم الخاسرون » من جهة أنهم اشتروا الكفر بالايمان ، وقيل بتجارتهم التى كانوا يعملونها بأخذ الرشا على التحريف » انتهى .

فتبين لك أن الشهادة بحق التلاوة (١) ليست لهذا النصرانى وأمثاله

---

(١) الشهادة بحق التلاوة : معناها : أن المستبحرين فى العلم من

بل لمن آمن أهل الكتاب بالنبى ﷺ بلا ارتياب لأن كلام البارى كلام حكيم عليم لا يناقض بعضه بعضا بل يفسر بعضه بعضا ، اذ كيف يتصور بعد أن يحكى سبحانه عنهم التحريف والتبديل وكفرهم بالتنزيل أن يجعلهم شهداء وعلى تبليغ كلامه أمناء ؟ اذ كلام الانسان العاقل لا يتناقض فكيف يتناقض كلام الخالق الذى لا يمازجه الباطل ولا يعارض ؟ غير أن الجاهل أو المموه الفائل (١) . بزعم ما لا يقبله كل عاقل ، فافهم والله تعالى أعلم .

تتمة : بما سردناه عليك من الأدلة على وقوع التحريف فى كتب اليهود والنصارى ودفع مغالطاتهم فى عدم التحريف ، تبين لك زيف كلام عبد المسيح وما موه به من الأباطيل ، وبما قدمناه لك أيضا مما يتعلق بالقرآن العظيم ظهر للمنصف أن كلامه الذى سود به وجه القرطاس هنا مثل كلامه السابق من مفترى الأقاويل ، وظهر أيضا لكل ذى لب : أن ما فى الرسالة المسماه بالبرهان الجليل على صحة الاناجيل التى طبعتها النصارى فى عصرنا هذا من غير أن يحرروا فيها اسم المؤلف وتاريخ الطبع برهان غير منير وباطل لا يخفى على الصغير فضلا عن الكبير ، حيث ادعى مؤلفها فيها أيضا عدم تحريفهم العهدين وأن اسناد التحريف اليهما فى القرآن الكريم مراد به تحريف التأويل لا تحريف الألفاظ — الذى هو أحد القولين — وأنهما لو كانا محرفين لفظا كيف يقول سبحانه فى سورة آل عمران « وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس » وفى سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى » الآية وفى سورة العنكبوت « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم » الآية ؟

= أهل الكتاب ، الذين يقرأون ويدرسون من أجل معرفة الحق ، هؤلاء يظهر لهم من الأسفار المقدسة — مع تحريفها — أن نبى الاسلام مكتوب عنه فى التوراة والانجيل ، وأنهم مكلفون بالايمان بنبوته واتباع رسالته ومن يؤمن به منهم له ثواب عظيم .

(١) المخطىء .

ثم قال : « فأما الدعوى بأن القرآن قد نسخ التوراة والانجيل فمحض دعوى من غير دليل وأما كتابهم — أى القرآن العظيم — فصريحة بشهد بأن القرآن جاء مصدقا للتوراة والانجيل لا ناسخا ومبطلا لهما » واستدل على ذلك بقوله عز وجل فى سورة يونس : « وما كان هـذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب » وقوله تعالى فى سورة الأحقاف « وهـذا كتاب مصدق لسانا عربيا » ومقصد مؤلف هذه الرسالة الصريح : أنه كان يلزم على المسلمين قراءة العهدين لأنهما كلام الله تعالى ، وأنهما لم ينسخا ولو كان شىء منهما منسوخا فهو قليل لان النسخ لا يقع الا فى الأمر والنهى وأما الخبر فلا يدخله نسـخ .

انتهى ملخص المراد منها .

فاعلم أن دعواه عدم تحريف العهدين قد ظهر بطلانها بما نقلناه آنفا لكل ذى عينين . وأما دعواه أن المراد من التحريف الذى ذكره القـرآن العظيم عن اليهود هو تحريف بالتأويل أى بتأويل معانى الالفاظ الى معان غير مراده لله تعالى ، وأن ذلك تحريف تأويل لا تبديل أقاويل .

فجوابه أن كلا التحريفين ثابت عنهم فقد أولت اليهود كلام الله سبحانه وتعالى بالتأويلات الفاسدة وتصرفت فى صرف معانيه التصرفات الباطلة الكاسدة ، اذ قد ثبت أنهم حرفوا فى زمنة موسى عليه السلام كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسيره قوله تعالى « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه » انها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه ، وذلك لأنهم لما رجعوا الى قومهم بعدما سمعوا كلام الله تعالى أما الصادقون منهم فانهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله تعالى يقول فى آخر كلامه ان استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا ، وحرفت أيضا صفة النبى ﷺ فى التوراة أنه أبيض ربعة ، فغيروه باسم طويل ، وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما فى البخارى ، وحرفت الفرقة السامرية قبل نبينا عليه الصلاة والسلام على ما تدعيه اليهود وحرفت الفرقة التى هى غير سامرية على ما تدعيه السامرية فالتحريف فى احدى التوراتين ثابت وواقع لا محالة كما فصلناه

لك فيما سبق ، وحرفت النصـــارى الانجيل لفظا ومعنى أما الأول فان الانجيل الذى انزل على المسيح عليه السلام واحد بلا شك وليس فيه حكاية اخذه للصلب وصلبه ودفنه ورفعه وتجليه لأصحابه بعد أيام ونحو هذه الأحوال التى وقعت وكتبت بعد وفاته ورفعه فانها ليست من الانجيل لا محالة ، وهذا ثابت بالبداهة والضرورة ، فهى أقوال مؤرخين وحكايات مترجمين متعددين ، لأن الأناجيل التى لفقت وألفت بعد المسيح عليه السلام كانت نحو سبعين انجيلا وكل نسخة منها تأليف شخص مغاير للآخر فى الزمان والمكان .

ثم ان النصارى بعد سنين عديدة اقتصروا على أربعة اناجيل منها لاشخاص مختلفين فى الزمان والمكان والالفاظ والمطالب ، وهى مختلفة بالزيادة والنقصان وحكاية أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ثم ان كل واحد من هذه الأربعة اذا كتب او طبع مرة ثانية ، لا توافق الكتابة الثانية ولا الطبع الثانى ، الأولى أو الطبع الأول ، حتى انهم الى يومنا هذا اذا ترجموا الأناجيل أو طبعوها لا تجدها موافقة للترجمة الأولى ولا للطبع الأول ، بل تجد المخالفات الفاحشة الكثيرة والتحريف الجوهرى ظاهران فيها فى أماكن يعز استقصاءها — كما أثبتناه لك فيما سبق أيضا — وأما الثانى وهو تحريف التأويل فأكثر من أن يحصى أيضا فتراهم فى تأويل الآية الواحدة يختلفون على ما يزيد على مائتى تأويل ، من ذلك آية العشاء الربانى المسمى بالاوخرستيا وعشية الرب عندما قال المسيح للحواريين بزعمهم « كلوا هذا الخبز لذكرى » فانهم أولوها على ما يزيد على مائتى تأويل كما حكاه الخورى فى تفسيره وغيره (ومن التأويل فيها) وشرعوا يأكلون لحمه ويشربون دمه الحقيقيين فى كل كنيسة — بزعمهم — وكتأويل آية الطلاق وآية أكل النجاسات والختان وآية غفران تستوسنهم ذنوبهم وآية الايمان وآية السجود للصور والصلاة للقسيسين القديسين وآية البيرقليط وغير ذلك فالتحريف بالمعنيين واقع من اليهود والنصارى فى الكتابين والعهدين، كما هو مختار جمهور المسلمين وهو أن أهل الكتاب وقع منهم التحـــريف فى اللفظ وفى التأويل اى كلا التحريفين واقعين لا محالة ، وهو القول

الصحيح الذى يؤيده النقل الصريح ، واختار شيخ الاسلام تقى الدين فى رده المسمى بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ونقله عنه أيضا العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه اغاثة اللهفان ، وارتضاه ، وغيرهما من العلماء المتبحرين فى هذا الشأن فعدم قراءة المسلمين لهما هو لنسخهما وتحريفهما وورود الأثار الصحيحة بالنهى عن مطالعتهما الا لغرض صحيح ، فالتعبد بقراءة القرآن ثابت لكونه نفس كلام الله سبحانه ، وهو معجزة بنفسه ، بخلاف كتب العهدين المترجمين بالسنة عديدة وليس فى انزالهما وألفاظهما اعجاز ولم يطلب بتلاوتهما تعبد ، ولو قد كان طلب ، لما كانت التوراة محصورة عند أناس مخصوصين فى بنى اسرائيل ولكان الانجيل انجيلا واحدا لا سبعين انجيلا ، على أنه كيف يسوغ لمؤمن أن يقرأ كتابا فيه أن الله تعالى ندم (١) على خلق المخلوقات ، ولوطا زنى بعد أن سكر بابنتيه ، وأن داود زنى بامرأة أوريا وتسبب فى قتله وأخذها ، وسليمان عبد الاصنام واتخذها لزوجاته ، وهارون عبد العجل ؟ وغير ذلك من أقوالهم الشنيعة التى نقلنا لك منها جملة فيما مر ، أم كيف يتسنى لموحد يؤمن بالله تعالى أن يطالع انجيلا كتبه أشخاص أربعة فى أزمنة وأمكنة وعبارات مختلفة وكل واحد منهم يقول لانجيله هذا هو الانجيل الصحيح ؟ مع ان كل انجيل لا يطابق الأخر وكذا كل واحد من مؤلفى الأناجيل الأخر التى منعوا نشرها من زمان طويل يزعم أن انجيله هو الصحيح وما عداه فهو كذب مفتعل ، ومع هذا فانا نرى فى هذه الاناجيل الاربعة الباقية أن مؤلفها يجعل المسيح

---

(١) فى الاصحاح السادس من سفر التكوين : « ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه » (تك ٦ : ٥ — ٦) وعلماء بنى اسرائيل يؤولون حزن الله وأسفه وغضبه ومكره واستحيائه ونسيانه ، بأن الله يكلم الناس على قدر عقولهم ، أى يشاكل تفكيره بتفكيرهم حتى يفهموا ذاته . ويقولون ان هذا التأويل حسن وسائغ لأن الله ليس كمثله شىء ، لقوله فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « ليس مثل الله » (تث ٣٣ : ٢٦) انظر دلالة الحائرين لموسى بن ميمون وتنقيح الأبحاث لابن كمونة .

مرة (١) الها ومرة رسولا ومرة هو خـــالق اليهود ومرة يقول أن اليهود صلبوه ولم يتمكن من الخلاص منهم ، مع أنه خالق العالم ، نحو هـــذه الأقاويل والتأويل اللذان تضحك منهما الأطفال فضلا عن كاملى العقل من الرجال ، ثم انه بعد نزول الفرقان الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو جامع لكل علم وتبيان اذ هو النور الساطع والهدى اللامع والامام المقتدى لكل سامع ، وفيه العلوم العديدة والحكم المفيد والأحكام الجديدة السديدة والألفاظ الرشيقة والنصائح الانيقة والمواعظ الدقيقة والبلاغة الفائقة والفصـــاحة الفريدة والبدائع المفيدة والأخبار الصادقة ، ومعانى الكتب المنزلة والصحف المرسلة ، كيف يسوغ لعاقل أن يسمع غيره أو يتعب فى فى كتب مضطربة مجعولة غير مسندة نظره وفكره ؟ وهو لا يميز بين صحيحها وسقيمها — الذى خلطه محرفها — ولا منزلها من مدسوسها ، مع ما فيها من كلام الله سبحانه فهو مدرج فى القرآن ومحكى عن لسان سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة والسلام ما تعاقب الجديدان ، وكما قيل اذا جاء نهر الله بطل فهو معيقل ، واذا بدأ الصباح فلا حاجة الى المصباح .

هذا وأما ما ورد فى القرآن الكريم من كون التوراة والانجيل هدى ، فلا يخفى أن المراد أنهما كانا هدى وأنزلا للهدى . وذلك قبل نزول القرآن العظيم وقبل تحريفهما ولا شك أن فيهما الآن هدى وهو توحيد البارى سبحانه واتباع رسوله محمد ﷺ وسائر رسله الكرام ، ونحو ذلك من قويم الأحكام ، ولما نزل القرآن وهو الفارق بين الحق والباطل أمرنا باتباعه وعدم قراءة الكتب المحرفة (٢) قال قتادة : « فأحل الله تعالى فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته » .

---

(١) الاله فى الانجيل بمعنى الســـيد . وليس كمـــا فهم المؤلف (يوحنا ١٣ : ١٣) انظر أيضا تفسير المسيح نفسه لمعنى الاله فى يوحنا ١٠ : ٣٤ .

(٢) أى للتعبد بها .

وأما الآية التى استدل بها النصرانى على فاسد مراده فاسمع ما قاله المفسرون فيها قال تعـالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب » أى اليهود والنصارى الا بالتى هى أحسن أى بالخصلة التى هى أحسن للثواب ، وذلك على سـبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه لهم على حججه وبراهينه ، رجاء اجابتهم الى الاسلام لا من طريق الاغلاظ والمخاشنة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بالتى هى أحسن بلا اله الا الله الا الذين ظلموا منهم » بأن افرطوا فى المجـادلة ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالاغلاظ عليهم والتحسين فى مجادلتهم ، وقال غير واحد من المفسرين : المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله ﷺ فجادلهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ، وقيل هذه الآية منسوخة بآية القتال ، ثم بين سبحانه مجادلتهم بالتى هى أحسن بقوله : « وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا » من القرآن « وأنزل اليكم » من التوراة والانجيل أى بأنهما منزلان من عند الله تعالى وأنهما شريعة ثابتة الى قيام الشريعة الاسلامية والبعثة المحمدية ، ولا يدخل فى ذلك ما حرفوه وبدلوه ، أخرج الامام البخارى والنسائى وابن جرير وغيرهم أن أهل الكتاب كانوا يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » (١) وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم واخرج الامام البيهقى وغيره عن جابر قال ، قال : رسول الله ﷺ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فانهم لن يهدوكم ، وقد ضلوا فاما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق ولو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » وفى رواية أخرى لحديث جابر قال عليه الصلاة والسلام « فان كنتم سائليهم لا محالة فانظروا ما واطىء كتاب الله تعالى فخذوه ،

---

(١) فى هذا الحديث مقال وهو كيف لا نصدق ولا نكذب ؟ انه لابد من الصـدق أو الكذب ، واعتقادهما معا هو الشك والارتياب والحيرة . والصحيح فى الأمر أن نصدق ما صدقه القرآن وأن نكذب ما كذبه . فأى عاقل لا يكذب بصريح العبارة زنى لوط وسكر نوح وهما نبيان كريمان ؟ وأى عاقل لا يصدق بصريح العبارة ما جاء فى التوراة أن الله اله واحد وليس كمثله شىء ؟

وما خالف كتاب الله تعالى فدعوه » وهذه الآية من جنس المجادلة بالأحسن « والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » أى معاشر أمة محمد ﷺ مطيعون له خاصة ، لم نقل عزيز ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نقول الاله ثلاث آب وابن وروح القدس ، بل نقول : « هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولن يكن له كفوا أحد »

وأما ما استدل به من قوله تعالى : « تصديق الذى بين يديه » فى سورة يونس ، فقد قال المفسرون قال تعالى « وما كان هـذا القرآن أن يفترى » أى ليفترى فان بمعنى اللام . قال الفراء معنى الآية وما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، وانما هو من عند الله عز وجل وكيف يصح أن يكون مفترى على سبيل الافتعال والاختلاف ، وقد عجز عن الاتيان بسورة منه القوم الذين هم أفصح العرب لسانا وأدقهم أذهانا وعدلوا عن المعارضة باللسان الى المقاتلة بالسيف والسنان « ولكن تصديق الذى بين يديه » أى أمامه أى ولكن انزل لتصديق الكتب الالهية المنزلة على الأنبياء قبله أى أنها قد بشرت به قبل نزوله فجاء مصدقا لها (١) ونفس هـذا التصـديق معجزة مستقلة لان أقاصيصه موافقة لما فى الكتب المتقدمة مع أن النبى ﷺ لم يطلع على ذلك ولا تعلمه ولا سئل عنه ولا اتصل بمن له علم بذلك ، وقيل المعنى ولكن تصديق النبى الذى بين يدى القرآن وهو محمد ﷺ لأنهم شاهدوه قبل أن يسمعوا منه القرآن « وتفصيل الكتاب » التفصيل التبيين أى يبين ما فى كتب الله تعالى المتقدمة والألف واللام فى

---

(١) هو مصدق لما بين يديه فى زمانه ، أى للنسخ التى كانت شائعة فى عصره ، كما كان عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه من التوراة . ولقد كان عيسى مصدقا للموجود أمامه ، والموجود أمامه كان محرفا باعتراف النصارى أنفسهم . والقرآن مصدق للموجود أمامه مع أنه محرف . والفرق بين تصديق الانجيل للتوراة وتصديق القرآن للتوراة : أن القرآن مهيمن أى من حقه النسخ . والقرآن مصدق للتوراة فى أمر الألوهية والنبوة والبعث والغيب والملائكة والجن وضرورة التخلق بالأخلاق الفاضلة وما شابه ذلك ، أما فى التشريعات فالقرآن قد نسخ تشريعات التوراة وأبطلها وألغاها .

الكتاب للجنس ، وقيل اللوح المحفوظ « لا ريب فيه » أى لا شك فى أن القرآن كائن من رب العالمين .

وأما آية الاحقاف فقال المفسرون قال تعالى : « وقال الذين كفروا » وهم كفار مكة « للذين آمنوا » أى لأجلهم وفى شأنهم فاللام للتعليل « لو كان » أى ما جاء به النبى ﷺ من القرآن والنبوة « خيرا ما سبقونا اليه » لأنهم عند أنفسهم المستحقون للسبق الى كل مكرمة ، وقال الثعلبى هى مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام « واذ لم يهتدوا به » أى بالقرآن أو بالنبى ﷺ « فسيقولون هذا افك قديم » أى كذب قديم ، كما قالوا « أساطير الأولين اكتتبها » فرد الله تعالى قولهم بقوله « ومن قبله » أى من قبل القرآن فهو خبر مقدم لقوله تعالى « كتاب موسى اماما ورحمة » المعنى كائن من قبله كتاب موسى يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله سبحانه لمن آمن به وعمل بموجبه ، فتقدم التوراة على القرآن وتوافقهما فى أصول الشرائع يدل على أن القرآن حق ويقتضى بطلان قولهم « وهذا » أى القرآن الذى يقولون فى شأنه ما يقولون ، مصدق للتوراة وغيرها من كتب الله تعالى ، وقيل مصدق للنبى ﷺ وقوله تعالى « لسانا عربيا » حال من ضمير كتاب المستتر فى مصدق ، وجوز أن يكون مفعولا لمصدق « لينذر الذين ظلموا » أى لينذر الكتاب أو الله سبحانه أو الرسول عليه الصلاة والسلام « وبشرى للمحسنين » أى للانذار والبشرى » انتهى

فاذا علمت ثبوت التحريف والتبديل فى كتب العهدين فى اللفظ والتأويل ونهى نبينا عليه الصلاة والسلام عن قراءتها وعلمت أن القرآن العظيم محتو على ما فيهما من الهدى مع زيادة وخال عن الضلال المزوج بذلك الهدى وذلك مثل ما قدمناه لك من رمى الانبياء عليهم السلام بالكفر والزنا والسكر وقتل النفس ظلما وألوهية المسيح وقتله وأكل لحمه وكونه خروفا ومتحملا للعن وغير ذلك مما وقفت عليه من خلطهم وخبطهم وكذبهم ، فأغنانا الله سبحانه بالهدى الخالص فى القرآن عن سماع الهدى المخلوط بالكفر والهذيان .

وأما مدح التوراة والانجيل الوارد فى كتابنا الكريم وعن النبى ﷺ فانما هو للتوراة الحقة وكلام الله تعالى الذى فيها والأحكام المنطوية فى خافيها وللانجيل الحقيقى الصادق الصحيح والحكم والبشائر التى أخبر بها المسيح لا لكل انجيل ألفه مؤرخ من النصارى حتى زادت على سبعين انجيلا وكل نسخة منها مخالف للاخرى ، وقد زاد ونقص كل مؤرخ منهم ، وذكر امورا أوقعت بعد رفع المسيح عليه السلام ، فكيف يجوز لعاقل ويسوغ لفاضل أن يقول أن هذه الاناجيل هى بعينها كلام الملك الجليل ؟ فخذ ما آتيناك ودع عنك الاباطيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

قال النصرانى : « فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من ذكر البشارة فنقول انه قد صح عند ذوى العقول الأصلية أهل البحث والتدقيق ، وتقرر عندهم بالقياسات والاجماع عن غير تواطىء أن النبوات التى أودعتها الأنبياء فى كتبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجىء المسيح المرتجى ، فلننظر الآن فى الآيات التى جاء بها المسيح سيدنا الدالة على سلطان ألوهيته وقدرة ربوبيته ، فنقول : ان أول ذلك ومبداه : أن الله الرحيم المتفضل على خلقه اختار من جنس آدم الذى خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها ، جارية عذراء زكية طاهرة مقدسة نقية لا عيب فيها لا فى نفسها ولا فى بدنها ليحل فيها كلمته وروحه ، ويأخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جبرئيل رئيس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر أجناد السماء وأحله أشرف المنازل ببعثه اياه رسولا الى خيرته من ذرية آدم سيدة نساء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الاله المخلص ، فجاءها مبشرا من عند الله مكرما ومهنيا فخاطبها قائلا السلام عليك أيتها الممتلئة نعمة ، سيدنا معك .

ولم يقل سيدى ، بل جميع أجناد الملائكة كلها بقوله سيدنا فمن سيد الناس والملائكة جميعا الا كلمة الله الأزلية التى خلقت السموات والارض كما قال داود ، فافهم يرحمك الله هذا السر المخزون فى كتب الله ودع عنك عماء الجهل والعصبية — أنار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال — ثم قال جبرئيل فى أثر ذلك القول « انك تحبلين وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع الذى تفسيره المخلص هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويكون ملكه على آل يعقوب الى الأبد ولا يكون له انقضاء » فلما خاطبها جبرئيل بهذا تعجبت من قوله فردت عليه قائلة : « من أين يكون لى هذا ولم يباشرنى رجل ؟ فاجابها جبرئيل قائلا : الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ، ولذلك يكون الذى يولد منك قدوسا وابن العلى يدعى » ثم أعقب قوله ذلك باعطائها الدليل لتزداد يقينا ولا ترتاب ولا يكون الشك عندها موضع بقوله ثانية « وهو ذا

اليصابات قريبتك قد حبلت بابن على كبر سنها . وهذا هو الشهر السادس من حبل تلك التى كانت عاقرا » فهذه اعجوبة البشارة التى لا تكون ولا يليق مثلها الا بهذا السيد المخلص .

فاصغ الآن لشهادة المخالف التى تؤكد الحجة عليه اذ يقول صاحبك طائعا مقرا : (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »

يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن من الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والابرص وأحى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ، ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون » (آل عمران)

فهذا قول صاحبك وشهادته واقراره بالحق مذعنا ومصدقا فهل تعلم أصلحك الله أو تذكر فيما قرأته من كتب المخالفين أحدا كان له فى ابتداء أمره من البشارة ، مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل فى الانجيل الطاهر المقدس ، وعن كتابك الذى تدعى أنت بصحته وتقر بعدالته وشهادته ؟ ثم ان مريم الطاهرة المباركة صارت الى أم يحيى بن زكريا وقد كانت هى وزوجها بارين تقيين ، عندما حبلت بيوحنا ، فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم ، اضطرب الجنين فى أحشائها فرحا وهتفت أمه بصوت عال قائلة : من أين لى هذا أن تأتى أم ربى الى ، منذ وقع صوت سلامك فى أذنى اضطرب الجنين فى بطنى ساجدا فرحا ؟ ومن قول صاحبك فى زكريا : (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى

المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين (آل عمران) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام ، فان مصدقا صفة ليوحنا ولكن كلمة الله وسيدا ليست بصفة ليوحنا لأنه لم يؤمن بيوحنا أنه كلمة الله ولا كان سيدا فاما حصورا ونبيا ومن الصالحين فمن صفات يوحنا لانه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين ، فمن صفات يوحنا لأنه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين ، فأنت أصلحك الله ان لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه ، علمت علما حقا أن هذا معناه .

ثم انه ظهر للمجوس فى بلاد فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم ، الذى لا زوال لملكه بالحقيقة ، وكان علماؤهم قد سبقوا فأخبروهم بخبره فى الكتب ، وعرفوهم وقت ظهوره ، وأعطوهم الدليل على ذلك ، والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم فى المسير اليه ، وقضاء بعض حق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته ، فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومؤملين ، حتى جاء الوقت وظهر الكوكب الذى هو الدليل على ميلاد السيد العظيم فجاؤا من بلاد فارس الى بيت المقدس ، الذى هو أرض اليهودية بهداية الكوكب ، حتى وقف ببيت لحم فقضوا الفرض وأدوا حق الطاعة ، ورأوا ما كانوا يؤملونه وأدركوا ما كانوا يرجونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين ، بل فرحين مسرورين لما أهلوا له .

ثم ظهر ملك من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون أغنامهم فقال لهم عندما أشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد ((ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة انه قد ولد لكم مخلص — يعنى لأولاد آدم جميعا وهو السيد المسيح — والدليل لكم انكم اذا صرتم الى الموضع تجدون صبيا ملفوفا فى أطمار موضوعا فى مزود)) فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملك ، وهى تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل وتهتف جميعا بصوت عال وتسبيح وتقول : ((المجد لله فى العلى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة والا من الرجاء الصالح للناس كافة)) ثم أقبل الرعاة الى ذلك الموضع مسرعين ، فوجدوا المولود

ملفوفا فى أطمار موضوعا فى مزود على ما اخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب ، وقصوا قصة مجيئهم ، فتعجب من ذلك كل من سمع .

فهذه أصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من المقول » انتهى .

فنقول وبالله وحده نستعين : ان تهافت هذا الكلام وتناقضه والاسهاب بما لا حاجة فيه ظاهر جميعه لكل متبصر وما فيه مما يخالف الحق قد تقدم رده ، وما يتعلق بالبشارة الصادقة (١) بنبوة المسيح عليه السلام فلا كلام لنا فيه غير أنا لا نترك أيضا بيان ما فى بعض كلامه وأبحاثه من الرد الشافى وتمييز زيفه بالتحقيق الوافى .

فاما قوله : « قد تمت وكملها عند مجىء المسيح » الى آخره فقد تقدم لك أن النبوات لم تكمل به بل كملت بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ كما اخبرت بذلك التوراة والانجيل وثبتت نبوته ورسالته بما ثبتت به رسالة اخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله « آدم الذى خلقه بيده وشرفه بصورته » الى آخره يفهم منه أن النصارى مجسمة حيث صرح بأن الله سبحانه صورة وخلق آدم على تلك الصورة ونحن المسلمون وان ورد عندنا بعض الآثار الصحيحة فيما ظاهره ذلك الا أنا والحمد لله تعالى نسلك فيه مسلكين فالمسلك الأول انا نأوله التأويل الحسن القريب الى اللفظ الشائع فى الاستعمال والمسلك الثانى الذى عليه سلف الأمة وأساطينها (٢) التفويض والايمان به من غير تعطيل ولا تكييف ، لما ثبت فى التوراة وسائر الكتب السماوية أن الله تعالى لا يشبهه شىء ، وفى التنزيل العظيم « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » وأما الصورة

---

(١) لا توجد بشارات فى التوراة عن عيسى عليه السلام لا فى أسفار موسى الخمسة ولا فى أسفار الانبياء .

(٢) المسلك الأول هو الذى عليه سلف الامة وأساطينها . (انظر أساس التقديس لفخر الدين الرازى) .

التى ورد فيها حديث أن الله خلق آدم على صورته فالمراد بها أنه خلقه على هيئته (٣) التى توفى عليها لا كما خلق غيره من ذريته ، بحيث يكون مضغة وجنينا ويكبر أولا فاولا بالتدريج أو خلقه على صفة الرحمة ، وهذا بحث قد استوفيناه فى غير هذا المحل من كتبنا . والمقصود هنا : أن النصارى مجسمة حلولية تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

قوله : « ليحل فيها كلمته ويأخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحد به » الخ . هـذا القول منه كنظائره السـابقة واللاحقة مصرح فيه بالحلول والاتحاد فاسمع أيضا ما قاله فى رده علماؤنا الأمجاد .

قال العلامة الآمدى الواسطى البغدادى فى أبكار الأفكار .

المسألة السابعة فى استحالة حلول ذات الله تعالى أو صفة من صفاته فى محل اتفق العقلاء وأرباب الملل على استحالة حلول ذات البارى وصفاته فى محل ، خلافا للنصارى والنصيرية والاسحاقية من غلاة الشيعة وبعض المشـــبهة .

أما النصارى فلهم تفصيل فى مذهب حلول اللاهوت بالناسوت وتدرعه به واتحاده ، وسياتى على استقصاء الرد عليهم ان شاء الله تعالى وأما النصيرية والاسحاقية فانهم قالوا ظهور الروحانى بالجسد الجسمانى أمر غير منكر ، اما فى جانب الخير فكظهور جبرئيل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة بعض الأعراب ، واما فى جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة انسان حتى يعلمه الشر ويتكلم بلسانه ، وعلى هذا فغير ممتنع أن يظهر الرب تعالى بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من على كرم الله وجهه وبعده ، أولاد المخصوصون وهم خير البرية ، ظهر البارى سبحانه وتعالى بصورهم ونطق بالسنتهم ، واطلقوا باعتبار ذلك اسم الآلهة عليهم تعالى الله عن قولهم ، وأما بعض المشبهة فانهم قالوا (روح) الأدمى صفة من صفات الرب تعالى لنها من أمر الله تعالى كما

---

(٣) المؤلف خالف مذهبه وصرح بالتأويل .

قال تعالى ويسئلونك عن الروح ؟ قل الروح من أمر ربى ، وأمر الله تعالى صفة من صفاته القديمة ، فكان الروح صفة من صفاته .

والدليل على مذهب أهل الحق أن البارى تعالى يمتنع حلوله فى المحل فلنا فيه ثلاثة مسالك .

المسلك الأول : أنه لو حلت ذاته فى محل ، فذلك اما أن يكون قديما أو حادثا لا جائزا أن يكون قديما لما سيأتى فى بيان حدوث كل موجود سوى الله تعالى وان كان حادثا فقبل حدوثه اما أن يكون الرب تعالى محتاجا فى وجوده الى حلوله فى ذلك المحل أو لا يكون محتاجا ، فان كان الأول فهو محال لثلاثة أوجه أحدها يلزم منه خروج الرب تعالى عن كونه واجب الوجود وهو محال ، الثانى انه يلزم منه اما قدم المحل ضرورة احتياج القديم اليه أو الحدوث وكل واحد من الأمرين محال : الثالث يلزم منه الدور ، ضرورة توقف وجود المحل على وجود البارى تعالى لكونه مصدر الكائنات وتوقف وجود الرب تعالى على حلوله فى ذلك المحل وهو ممتنع ، وان يكن الرب تعالى قبل حدوث ذلك المحل محتاجا الى حلوله فيه فبعد الحدوث اما أن يكون محتاجا أو لا يكون محتاجا اليه ، ففى حالة احتياجه اليه يخرج عن كونه واجب الوجود ، وهو محال ، وان لم يكن محتاجا اليه ففى حالة حلوله فيه اما أن يكون قائما بنفسه والمحل قائما بنفسه فليس القول بحلول احدهما فى الأخر أولى من العكس بل الواجب أن كل واحد قائم بنفسه وليس محلا للآخر ولا حالا فيه ، وان كان قائما بذلك المحل لا بنفسه ، فليس واجب الوجود لذاته ضرورة تقومه بغيره وهو محال .

المسلك الثانى : انه لو حلت ذاته فى محل ، فذلك المحل اما أن يكون قابلا للانقسام أو لا يكون قابلا للانقسام ، فان كان قابلا للانقسام فما حل فيه وطابقه يجب أن يكون قابلا للانقسام ، فيكون ذات البارى تعالى قابلة للانقسام ومركبة من أجزاء ، وكل واحد من أجزائها غيرها اذا المفهوم من الجملة يزيد على المفهوم من كل واحد من الأفراد فيكون غير كل واحد من الافراد ، وهو مفتقر الى كل واحد من الافراد ، وما كان مفتقرا فى وجوده الى غيره فلا يكون واجب الوجود لذاته ، وان لم يكن المحل قابلا للانقسام

فتكون من الصغر والحقارة بمنزلة الجوهر الفرد ، فما حل فيه يكون مثله ، والرب يتعالى ويتقدس عن ذلك .

المسلك الثالث : وهو خصيص بامتناع حلول ذات البارى تعالى فيبعض الأجسام دون بعض كما هو مذهب الحلولية ، وهو انه لو جاز حلول ذات البارى تعالى فى بعض الاجسام فلابد وأن يكون ذلك قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيها ، وأن يكون ذات البارى تعالى قابلة للحلول فى ذلك الجسم ، والا كان القول بجواز الحلول مع امتناع القبول من الطرفين أو من احدهما ممتنعا وعند ذلك فاما أن يكون قبول الجسم لحلول ذات الله تعالى لحلولها فيه لعموما كونه جسما أو لما به تعينه وتخصصه من الصفات الموجبة لتميزه من غيره من الأجسام ، فان كان الاول فيلزم منه حلول الرب تعالى بكل جسم من الاجسام حتى أجسام الجمادات والحشرات ونحوها ، والبارى يتعالى ويتقدس عن ذلك ، ون كان الثانى فما اختص به ذلك الجسم من الصفات اما أن يكون ذلك لذاته أو لمخصص من خارج ، فان كان لذاته فالاجسام مشتركة فى معنى الجسمية ، فما اختص به جاز أن يختص به غيره فيكون ايضا قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيه ، وان كان لمخصص خارج فاما أن يكون مخصصا بالطبع والاختيار ، فأن كان مخصصا بالطبع فهو محال ، لتساوى الأجسام بالنسبة اليه وان كان مخصصا بالاختيار فكما جاز على الفاعل المختار تخصيص ذلك الجسم بما تخصص به ، جاز ان يخصص به ما ما هو مماثل له فى الجسمية ، وعند ذلك فيجوز على ذات البارى تعالى الحلول بالنسبه الى كل جسم من الاجسام ، ويمتنع الاختصاص بالبعض دون البعض وعلى هذا فلا يمتنع أن يكون البارى تعالى حالا فى بدن كل من نراه من الناس ، بل تشاهده من ابدان الحيوانات العجماوات يجوز أن يكون متصفا بما به القبولية ، وعدم المعرفة بذلك غير مانع من الجوز ، وأن يكون فى نفس الأمر كذلك ، فانه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المداول فى نفسه على ما سبق تحقيقيه :

وأما أنه يمتنع حلول صفة من صفات الله تعالى فى محل غير ذاته عز وجل ، فلأن تقدر (صفة) من الصفات الثابتة لذاب الرب سبحانه وتعالى حالا فى محل آخر غير ذات الله تعالى ، اما أن يكون ذلك مع بقاء تلك الصفة

حالة فى ذات الله تعالى أو مع زوالها عن ذات الله سبحانه ، فان كان الأول فيلزم منه قيام الصفة المتحدة بمحلين وهو ممتنع .

وان كان الثانى فهو محال لوجهين .

الأول : أنه يلزم منه خلو ذات الله تعالى عما له من الصفات النفسانية أو بعضها وهو ممتنع ، لما سبق من اثبات الصفات .

الثانى : انه يلزم منه جواز انتقال الصفة من محل الى محل وهو محال ، لأن الصفة المنتقلة لها حالة اتصالها بالمحل الاول وحالة اتصال بالمحل الثانى وليست حالة اتصالها بالمحل الأول هى حالة اتصالها بالمحل الثانى ، والا كانت الصفة الواحدة فى حالة واحدة قائمة بمحلين وهو محال ، وانما صارت متصلة بالمحل الثانى بعد انفصالها عن المحل الأول بالانتقال ، اذ لو لم يقدر الانتقال ، لما كانت زائلة عن المحل الاول ومتصلة بالمحل الثانى ، وليست حالة الانتقال هى حالة الانفصال لا بالمحل الأول ولا بالمحل الثانى ، والا كانت حالة اتصالها بمحلها منتقلة عنه أو اليه وهو محال .

فحالة الانتقال اما أن تكون قائمة بمحل أو لا تكون قائمة بمحل فان كانت قائمة بمحل ، فلابد وأن تكون منتقلة اليه عن المحل الأول لما تحقق ، والكلام فى حالة انتقالها اليه كالكلام فى الاول وهو تسلسل ، وان كانت قائمة لا بمحل ، فقد خرجت من أن تكون مفتقرة الى المحل . وهو خلف . وهذه المحالات انما لزمت من القول بجواز حلول صفة الرب جل وعز بمحل غير ذاته ، فالقول به محال .

وأما قوله سبحانه « قل الروح من أمر ربى » فليس المراد به أن الروح بعض من الأمر الذى هو صفة الله تعالى لما بيناه من استحالة حلول الصفة القديمة بغير الله تعالى ، بل المراد من أمر ربى أى من خلق ربى على ما ذكره أهل التفسير والله تعالى أعلم .

المسألة الثامنة : وقد اتفقت النصارى على أن الله تعالى جوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بقدر ولا يقبل الحوادث

بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم ، انه واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ، والاقانيم صفات الجوهر القديم وهى الوجود والعلم والحياة وعبروا عن الوجود بالآب والحياة بروح القدس ، والعلم بالكلمة ، واتفقوا على تدرع الكلمة ، وهى أقنوم العلم بالمسيح واتحادها به دون باقى الاقانيم ، وعلى تسمية المسيح مع ما تدرع به أقنوم العلم ابنا . واتفقوا أيضا على أن عيسى ولدته أمه مريم وأنه قتل وصلب وصعد الى السماء .

ثم اختلفوا فذهب الملكانية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم (١) واستولى عليها الى أن الاقانيم غير الجوهر القديم ، وان كل واحد منها اله وصرحوا باثبات التثليث كما قال تعالى اخبارا عنهم « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته وامتزجت به كامتزاج الخمر بالماء أو اللبن ، ثم صار شيئا واحدا وانقلبت الكثرة قلة أى العدد وحدة وأن المسيح ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم أزلى وأن مريم ولدت الها أزليا ، مع اختلافهم فى مريم انها انسان كلى أو جزئى واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا وأطلقوا لفظ الابن على عيسى ، والأب على الله تعالى .

وذهب نسطور الحكيم (٢) فى زمان المامون الى الله تعالى واحدا والأقانيم الثلاثة ليست غير ذاته ولا نفس ذاته ، وفسر أقنوم العلم بالنطق والكلمة ، وقال : الله تعالى موجود حى ناطق وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا بمعنى الامتزاج بل بمعنى الاشراق أى أشرقت عليه كاشراق الشمس من كوة على بلور ، ومن النسطورية من قال ان كل واحد من الاقانيم الثلاثة حى ناطق اله ، وصرحوا بالتثليث كمذهب الملكانية كما سبق ، ومنهم من منع ذلك ، ومنهم من أثبت لله تعالى صفات أخر كالقدرة

---

(١) الملكانية هم الآن الكاثوليك والبروتستانت واليعاقبة هم الارثوذكس .

(٢) نسطور كان قبل الاسلام ومذهبه تطور من بعده .

والارادة ونحوها ولكن لم يجعلوها أقانيم كالعلم والحياة ، وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الآب وانما تجسد وتوحد بجسد المسيح حين ولد ، والحدوث راجع الى الناسوت فالمسيح اله تام وانسان تام وهما قديم وحادث والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث المحدث ، واتفقوا على أن القتل والصلب انما ورد على الناسوت دون اللاهوت .

ومنهم من قال ان الاله واحد وأن المسيح ابتدأ من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا أن الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على سبيل التبنى لا أنه ولد منه .

وذهب بعض اليعقوبية الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح ، وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم » ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت بحيث صار هو هو كما قال ظهر الملك بصورة ، وقد قال تعالى « فتمثل لها بشرا سويا » ومنهم من قال جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا كتركيب النفس الناطقة مع البدن وصارا جوهرا واحدا وهو المسيح وهو الاله كله وانسان كله فصار الاله انسانا وان لم يصر الانسان الها كما يقال فى الفحمة اذا طرحت فى النار صارت الفحمة نارا ولا يقال صار النار فحمة ولا تكون فى الحقيقة لا نارا مطلقا ولا فحمة مطلقا بل جمره .

وقالوا ان اتحاد اللاهوت بالانسان الجزئى دون الكلى وان مريم ولدت الها وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا والا فلو وقع على أحدهما بطل معنى الاتحاد ، ومنهم من قال المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه محدث من وجه .

ومن اليعقوبية من قال ان الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا وانما مرت بها كمرور الماء فى الميزاب ، ومنهم من زعم أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح فتصدر عنه الآيات التى كانت تظهر عنه وتفارقه تارة فتحله الآفات والآلام والأوجاع ، ومن النصارى من زعم أن اتحاد اللاهوت بالناسوت

هو ظهور اللاهوت على الناسوت ، وان لم ينتقل من اللاهوت الى الناسوت شيء ولا حل فيه ، وذلك كظهور نفس الطابع على الشمع المتصل به أو لظهور الصورة المرئية فى المرآة الصقيلة ، ومنهم من قال ان الوجود والكلمة قديمان والحياة مخلوقة ، ومنهم من قال أن الله تعالى واحد وسماه أبا وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء والاجتباء وهو مخلوق قبل العالم وهو خالق للاشياء كلها .

قال شيخنا (٣) رحمه الله تعالى وجملة هذه الاقاويل وحاصل هذه الاباطيل مع أنها مخالفة للعقول مراغمة للاصول مما لا يستند لها ولا معقول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم والاخذ بظواهر الالفاظ التى لا يحيطون بمفهومها . وأشبها ما احتج به من قال أن المسيح عليه السلام اله أنه قال : ثبت أن المسيح أبرأ الأكمه والابرص وأحيى الموتى وفعل أفعالا وقع الاتفاق من العقلاء على أنه لا يمكن صدورها عن البشر المخلوقين ، وأنه لا صدور لها عن غير الاله فكان آلها .

وربما احتجوا على ذلك نقلا بما روي فى الانجيل أن مريم تلد الها ، وربما احتج علينا من قال ان المسيح كلمة الله بما نطق به كتابنا من قوله تعالى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم » الآية وبقوله تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » واحتجوا قاطبة على جواز اطلاق اسم الآب على الله تعالى والابن على المسيح بما رواه فى الانجيل « انك الابن الوحيد » وبقول المسيح « من رآنى فقد رأى أبى ، فانى واياه واحد » وبقول شمعون الصفا « انك ابن الله حقا » واذا أتينا على تفصيل مذاهبهم وايضاح عقائدهم والتنبيه على الأشبه من أدلتهم فلابد من التشهير وتحقيق ابطالها بجهة الاستدلال والمناقضة والالزام فى كل موضع على حسبه ان شاء الله تعالى .

فنقول : أما قولهم بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور فلا نزاع معهم فيه من جهة المعنى بل من جهة الاطلاق اللفظى سمعا . وقد حققنا

---

(٣) أبو القاسم يعيش بن صدقة .

ما فيه فيما سبق وأما حصرهم الاقانيم فى ثلاثة وهى صفة الوجود والحياة والعلم ، فباطل .

أما أولا فانا قد بينا الحجج فى أن صفة الوجود هل هى زائدة على ذات الله تعالى متعارضة متنافية من غير ترجيح ؟ وذلك مما يتعذر عنده الجزم بكونه صفة زائدة .

وأما ثانيا فلأنهم لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا اليه سبيلا سوى قولهم بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه ، وهو غير يقينى لما سلف ، ثم هو باطل بما حققنا من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام .

فان قالوا : الاقانيم فى خواص الجوهر وصفات نفسه ، ومن حكمها أن يلزم الجوهر ولا يتعداه الى غيره وذلك متحقق فى الوجود والحياة اذ لا تعلق لوجود الذات القديمة وحياتها بغيرها . وكذلك العلم اذ العلم هو مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به ، وهذا بخلاف القدرة والارادة فانها لا اختصاص لها بالذات القديمة ، بل هى متعلقة بالغير مما هو مقدور ومراد ، والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة ، وأيضا فان الحياة تجزىء عن القدرة والارادة من حيث ان الحى لا يخلو عنهما بخلاف العلم ، فانه قد يخلو عنه ولانه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص الحياة بامتناع جريان المبالغة والتفضيل بخلاف العلم فانه يقال هذا أعلم من هذا .

قلنا أما قولهم ان الوجود والحياة مختصة بذات القديم ولا تعلق لهما بغيره ، فمسلم ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوما لتعلقه بغير ذات القديم ، اذ هو معلوم به .

ولئن قالوا : العلم انما كان أقنوما من حيث كان متعلقا بذات لا من حيث كان متعلقا بغيره ، فيلزمهم أن يكون التعلق قديما التعلق بذات القديم من حيث انه يرى نفسه ، ولم يقولوا به ويلزمهم من ذلك أن يكون بقاء ذات الله تعالى أقنوما لاختصاص البقاء بنفسه وعدم تعلقه بغيره

كما فى الوجود والحياة . ولئن قالوا البقاء هو نفس الوجود ، فليزم أن يكون الموجود فى زمان حدوثه باقيا وهو محال .

وقولهم بأن الارادة تجزى عن القدرة والارادة اما أن يريدوا به أن القدرة والارادة هى نفس الحياة أو أنها خارجة عنها لازمة لها لا تفارقها فان كان الأول فقد نقضوا مذهبهم حيث قالوا ان الحياة اقنوم لاختصاصها بجوهر القديم والقدرة والارادة غير مختصين بذات القديم تعالى ، وذلك مشعر بالمغايرة والاتحاد مع المغايرة وان قالوا انها لازمة لها مع المغايرة فهو ممنوع ، فانه كما يجوز خلو الحى عن العلم فكذلك قد يجوز خلوه عن القدرة والارادة كما فى حالة النوم والاغماء ونحوهما .

وقولهم انه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص العلم بالمبالغة والتفضيل ، فيلزم من ذلك أن لا يكون مجزئة عن القدرة أيضا لاختصاص القدرة بهذا النوع من المبالغة والتفضيل .

واما قولهم بأن الكلمة حلت فى المسيح وتدرعت به فهو باطل من وجهين : الاول : ما ذكرناه فى امتناع حلول صفة القديم فى غيره ، الثانى : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح وهى الحياة ولئن قالوا : انما استدللنا على حلول العلم فيه لاختصاصه بعلوم لا يشاركه فيها غيره ، قلنا وقد اختص عندكم باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وبأمور ما يقدر غيره من المخلوقين عليها والقدرة عندكم فى حكم الحياة اما بمعنى أنها عينها أو ملازمة لها فوجب أن يقال بحلول الحياة فيه ولم يقولوا به .

وأما قول الملكانية فالتثليث فى الالهة وأن كل اقنوم اله اما أن يقولوا ان كل واحد متصف بصفات الاله تعالى من الوجود والحياة وغير ذلك من صفات الجلال أولا يقولوا به . فان قالوا بالأول فهو خلاف أصلهم ، ثم هو مع ذلك ممتنع لما سنبين فى امتناع وجود الهين ، وأيضا فانهم اما أن يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله ولا يقولوا ذلك ، فان كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم ، واجماع النصرانية على التثليث وصارت أربعة وان كان لهم

يجدوا الى الفرق سبيلا مع أن جوهر القديم أصل والأقانيم صفات تابعة ، فكان أولى أن يكون الها وان قالوا بالثانى فحاصله يرجع الى منازعة لفظية والمرجع فيها الى ورود الشرع بجواز اطلاق ذلك ولا سبيل اليهم .

قولهم : بأن الكلمة امتزجت بجسد المسيح وتدرعت به فبطلانه بما سبق من امتناع حلول صفات القديم بغير ذات الله سبحانه وتعالى .

وقولهم : بأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح فهو ممتنع بجهة الدلالة والالزام ، اما من جهة الدلالة فانهما عند الاتحاد اما أن يقال ببقائهما أو بعدمهما أو ببقاء أحدهما وعدم الآخر فان كان الأول فهما اثنان كما كانا وان كان الثانى فالواحد غيرهما وان كان الثالث فلا اتحاد اللاثنينية وعدم اتحادهما ، وأما من جهة الالزام فمن أربعة أوجه :

الأول : انه اذا جاز اتحاد اقنوم الجوهر القديم بالحادث ، فما المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم ، ولئن قالوا لأن اتحاد الصفة الحادثة بالجوهر القديم يوجب نقصه ، وهو ممتنع ، واتحاد صفة القديم بالحادث يوجب شرفه ، وشرف الحادث بالقديم غير ممتنع ، قلنا فكما أن ذات القديم ينقص اتحاد صفة الحادث بها ، فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث ، فليكن ذلك ممتنعا .

الثانى : انه قد وقع الاتفاق على امتناع اتحاد أقنوم الجوهر القديم بغير ناسوت المسيح ، فما الفرق بين ناسوت وناسوت ؟ ولئن قالوا انما اتحد بالناسوت الكلى دون الجزئى فسيأتى الكلام عليه عن قريب .

الثالث : ان مذهبهم أن الأقانيم زائدة على ذات الجوهر القديم مع اختصاصها به ولم يوجب قيامه به الاتحاد ، ولئن لا يوجب اتحاد الاقنوم بالناسوت الاتحاد ، كان أولى ، فان الاجماع منعقد منا ومن النصارى على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف للناسوت كما أن صفة نفس الجوهر تخالف نفس العرض ، وصفة نفس العرض تخالف الجوهر ، فان قالوا بجواز اتحاد صفة الجوهر بالعرض أو صفة العرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر فى حكم العرض والعرض فى حكم الجوهر ، فقد التزموا

محالا مخالفا لأصـــولهم . وان قالوا بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالعرض ونفس العرض بالجوهر مع أن العرض والجوهر أقبل للتبدل والتغير ، فلأن يمتنع ذلك فى القديم فالحادث أولى .

قولهم ان المسيح انسان كلى باطل من أربعة أوجه .

الأول : ان الانســـان الكلى لا اختصاص له بجزئى دون جزئى من الناس ، وقد اتفقت النصارى على أن المسيح مولود من مريم عليهما السلام وعند ذلك فاما أن يقال ان انسان مريم كلى كما ذهب اليه بعضهم ، واما جزئى فان كان كليا فاما أن يكون هو عين انسان المسيح أو غيره ، فان كان عينه فمحال أن يولد الشىء من نفسه ، ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح ، ولم يقل به أحد ، وان كن غيره فالانسان الكلى ما يكون عاما مشتركا بين جميع ، وطبيعته جزء من معنى كل انسان ويلزم من ذلك أن يكون انسان المسيح بطبيعة جزء من مفهوم انسان مريم ، وكذلك بالعكس ، وهـــو محكوم باحالته ، وان كان انســـان مريم جزئيا فمن ضرورة كون المسيح مولدا عنها أن يكون الكلى الصالح لاشتراك الكثرة منحصرا فى الجزئى الذى لا يصلح لاشتراك الكثرة فيه ، وهو ممتنع .

الثانى : ان النصارى مجمعة على أن المسيح كان مرئيا ومشارا اليه ، والكلى ليس كذلك .

الثالث : اجماع النصرانية منعقد على أن الكلمة حلت فى المسيح اما لجهة الاتحاد أو لا لجهة الاتحاد على ما بيناه من اختلاف مذهبهم ، فلو كان المسيح انسانا كليا لما اختص به بعض أشخاص الناس دون البعض ، ولما كان المولود من مريم مختصا بحلول الكلمة دون غيره ، ولم يقولوا به .

الرابع : ان جماعة الملكانية متفقون على أن القتل والصلب وقعا على اللاهوت والناسوت ولو كان ناسوت المسيح كليا لما تصور وقوع الجزئى عليه .

وأما اطلاقهم لفظ الآب على الله تعالى والابن على المسيح ، فسيأتى ان شاء الله تعالى الكلام عليه .

وأما ما ذهب اليه نسطور من أن الأقانيم ثلاثة فالكلام معه فى الحصر على ما تقدم .

وقوله : « ليست عين ذاته ولا غير ذاته » ان أراد بذلك ما أراد به الاشعرى (١) من ذلك فهو حق ، وأن أراد غيره فهو غير مفهوم .

واما تفسيره العلم بالنطق والكلمة فالنزاع معه فى اطلاق العلم على النطق لفظى ، ثم لا يخلو اما أن يريد بالنطق والكلمة الكلام النفسى كما

---

(١) يقول الاشاعرة : ان صفات الله تعالى زائدة على ذاته ، وفى الوقت نفسه غير منفكة عن ذاته . لأن قياس الغائب على الشاهد فيه فيه تميز الصفات . فالعلم غير القدرة . وهما غير الارادة . ويقول المعتزلة : ان صفات الله تعالى فى ذاته ، أى غير منفكة عن ذاته ، وليست زائدة على ذاته . ويقيسون الغائب على الشاهد بقولهم : ان « زيدا » مثلا رجل واحد ، ولو نقل شيئا بارادته من مكان الى مكان ، يوصف بأنه مريد ، واذا قدر على نقله — وكان ثقيلا — يوصف بالقدرة . وهكذا .

فالصفات فيه من البدء — وهو واحد من البدء — وكلما ظهر منه ما يدل على صفة ، نسبناها اليه . فاذا سمع دعاء ، يقال انه سميع ، واذا أبصر شيئا يقال انه بصير . فصفاته فيه من البدء وهى قديمة قدم ذاته وليست زائدة عليه ، ويظهر أثر الصفات فيه دائما وأبدا ، لأنه دائم الفعل . وهذا معنى قياسهم الغائب على الشاهد .

يقول القاضى عبد الجبار بن أحمد فى شرح الأصول الخمسة تحت عنوان كيفية استحقاق الله تعالى للقدرة والعلم والحياة والوجود : انه عند « شيخنا أبى على » يستحق هذه الصفات الأربع لذاته . وعند شيخنا أبى هاشم يستحقها لما هو عليه فى ذاته . وقال أبو الهذيل انه تعالى عالم بعلم هو هو . وعند سليمان بن جرير وغيره من الصفاتية يستحق هذه الصفات لمعان لا توصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم . وعند هشام بن الحكم أنه تعالى عالم بعلم محدث . وعند الكلابية أنه تعالى يستحق هذه الصفات لمعان أزلية — وأراد بالأزلى القديم ، الا أنه لما رأى المسلمين متفقون على أنه لا قديم مع الله تعالى ، لم يتجاسر على اطلاق القول بذلك —

ثم نفى الأشعرى واطلق القول بانه تعالى يستحق هذه الصفات لمعان قديمة ، لوقاحته وقلة مبالاته بالاسلام والمسلمين (ص ١٨٣ — ١٨٤)

حققناه فيما تقدم أو الكلام اللسانى المؤلف من الحروف والأصوات ، فان كان الأول حق ، وان كان الثانى فهو باطل بما سبق .

وقوله : « ان الكلمة اتحدت بالمسيح ، بمعنى أنها أشرقت » لا حاصل له لأنه اما أن يريد اشراق الكلمة عليه ، ما هو مفهوم من مثاله وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه أو يريد انها متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات والكلام القديم بنا كما حققناه فى الصفات أو غير ذلك ، فان كان الأول فيلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفى جهة من مطرح شعاعها ويلزم من ذلك أن تكون الكلمة جسما وان لا تكون صفة للجوهر القديم وهو محال ، وان كان الثانى فهو حق ، غير أن تعلق الاقنوم بالمسيح بهذا التفسير لا يكون خاصة على ما حققناه فى الصفات ، وان كان الثالث فلابد من تصوره والدلالة عليه .

وأما قول بعض النسطورية كل واحد من الاقانيم الثلاثة اله حى ناطق فهو باطل بما ذكرناه فى ابطال التثليث على الملكانية .

وأما من اثبت منهم لله تعالى صفات أخر كالقدرة والارادة ونحـــوهما فهو حق لكن القول باخراجها عن كونها من الأقانيم مع أنها مشاركة للاقانيم فى كونها من الصفات ، تحكم من غير دليل سوى ما نبهنا عليه من الفرق الذى ذكروه سابقا وقد أبطلناه .

قولهم : المسيح انسان تام واله تام وهما جوهران قديم وحادث ، فطريق الرد عليهم من وجهين :

الأول : التعرض لابطال كون الاقنوم المتحد بجسد المسيح الهـــا . وذلك القول بأن اتحد بجسد المسيح هو اله فقط أو أن كل اله كما ذهب اليه الملكانية فان كان الأول فهو ممتنع لعدم الاولوية وان كان الثانى فهو أيضا ممتنع لما تقدم .

الوجه الثانى : انه اذا كان المسيح مشتملا على الأقنوم والناسوت الحادث فاما أن يقولوا بالاتحاد أو بحلول الاقنوم فى الناسوت او حلول الناسوت فى الاقنوم أو أنه لا حلول لأحد فى الآخر ، فان كان الاول فهو

باطل بما سبق فى ابطال الاتحاد ، وان كان الثانى فهو باطل بما سبق فى ابطال حلول الصفة القديمة فى غير ذات الله تعالى وبما سبق من ابطال حلول الحادث بالقديم ، وان كان الثالث فاما أن يقال بتجاوزهما واتصالهما أولا ، فان قيل بالتجاوز والانفصال فاما أن يقال بانفصال الأقنوم القديم عن الجوهر الحادث أولا يقال به .

فان قيل بانفصاله عنه فهو ممتنع لوجهين : الاول ما تقدم فى ابطال انتقال الصفة عن الموصوف ، الثانى يلزم منه قيام الصفة حال مجاورتها للناسوت بنفسها وهو محال ، وان لم يقل بانفصال الاقنوم عن الجوهر القديم فيلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بجسد المسيح ضرورة اتصال أقنومها به وعند ذلك فليس اتحاد الاقنوم بالناسوت أولى من اتحاد الجوهر القديم بالناسوت ، ولم يقولوا به . وان لم يقل بتجاوزهما واتصالهما فلا معنى للاتحاد بجسد المسيح وليس القول بالاتحاد مع عدم الاتصال بجسد المسيح بأولى من العكس ، وأما قول من قال منهم ان الاله واحد وأن المسيح ولد من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا أن الله تعالى شرفه بتسميته ابنا فهو وكما يقوله الموجدون ، ولا خلاف مع هؤلاء فى غير اطلاق اسم الابن على ما سياتى .

وأما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة انقلبت لحما ودما وصار الاله هو المسيح ، فهو اظهر بطلانا مما تقدم ، وبيانه من وجهين :

الأول : انه لو جاز انقلاب الاقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتهما لجازا انقلاب المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا والواجب ممكنا أو متنعا والممكن أو المتنع واجبا ولم يبق لأحد وثوق بشىء من القضايا البديهة ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهرا واللحم والدم أقنوما والقديم حادثا والحادث قديما ولم يقل به أحد من العقلاء .

الثانى : انه لو انقلب الاقنوم لحما ودما فاما أن يكون عين الدم واللحم الذى للمسيح أو زائدا عليه منضما اليه ، فان كان الأول فهو محال

اذ لحم المسيح ودمه ولم يتغير فلا معنى لانقلاب الاقنوم اليه ، مع عدم الزيادة منه عند عدم الأقنوم وهو غير قابل للعدم بالاتفاق ، وان كان الثانى فلم يقولوا به .

وأما قولهم اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو ، اما أن يريدوا به أن اللاهوت صارعين الناسوت كما صرحوا به من قولهم صار هو هو ، فحاصله يرجع الى تجويز انقلاب الحقائق وهو مجال كما تقدم ، واما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت وهو أيضا محال ، لما تقدم من امتناع حلول الحوادث بالقديم أو أن الناسوت اتصف باللاهوت وهو أيضا محال لما تقدم من امتناع حلول القديم بالحادث .

وأما من قال منهم بأن جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا وصار جوهرا واحدا هو المسيح ، فباطل من وجهين .

الأول : ما ذكرناه من ابطال الاتحاد .

الثانى : انه ليس جعل الناسوت لاهوتا بتركيبه مع اللاهوت أولى من جعل اللاهوت ناسوتا من جهة تركيبه مع الناسوت ولم يقولوا به . واما جوهر الفحمة اذا ألقيت فى النار فلا نسلم أن جوهرها صار بعينه جوهر النار بل صار مجاورا لجوهر النار ، وغايته أن بعض صفات جوهر الفحمة وأعراضها بطلت بمجاورة جوهر النار أما أن جوهر الفحمة صار جوهرا آخر فلا .

وقولهم : ان الاتحاد بالناسوت الجزئى دون الكلى فهو محال ، لما تقدم فى ابطال الاتحاد وحلول القديم بالحادث ، وبه يبطل قولهم ان مريم ولدت الها .

وقولهم : ان القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا ، ففرع تركب اللاهوت بالناسوت ، وقد أبطلناه وان القول بوقوع القتل على اللاهوت مما يوجب موت الاله ضرورة ، والقول به يغنى عن ابطاله .

وأما قول من قال ان المسيح مع الاتحاد قديم من وجه ، محدث من وجه آخر فباطل ، فانه اذا كان جوهر المسيح متحدا لا كثرة فيه فالحدوث اما أن يكون لعين ما قبل يقدمه أو لغيره ، فان كان الأول فهو

محال والا كان الشيء الواحد قديما لا اول له حادثا له أول ، وهو تناقض ، وان كان الثانى فهو خلاف الفرض .

وأما قول من قال ان الكلمة كانت تداخل جسد المسيح تارة وتفارقه أخـــرى .

وقولهم ان ما ظهر من صورة المسيح فى الناسوت لم يكن جسما بل خيالا كالصورة المرئية فى المرآة فباطل لأن من أصلهم أن المسيح انما أحيا الميت وأبرء الأكمه والأبرص بما فيه من اللاهوت ، فاذا كان ما ظهر فيه من اللاهوت لا حقيقة له بل هو خيال محض فلا يصلح لحدوث ما حـــدث عن الاله عنه ، والقول بأن أقنوم الحياة مخلوق حادث ليس كذلك لما سبق فى الصفات بل هو قديم ازلى ، كيف وأنه لو كان حادثا لكان الاله قبله غير حى ، ومن ليس بحى لا يكون عالما ولا ناطقا .

وقول من قال ان المسيح مخلوق قبل العالم وهو خالق لكل شى ، فباطل بما سياتى من امتناع خالق غير الله تعالى .

واما ما ذكره من الاحتجاج على كون المسيح الها من الحجج العقلية . فالجواب عنها من وجهين .

الاول لا نسلم أن ما صدره من الامور الخارقة للعادة كانت من فعله بل لعلها أصدرت عن خلق الله سبحانه لها ببركة دعائه ، على سبيل الاعجاز كمعجزات سائر الانبياء عليهم السلام ، ولو دل ذلك على كونه الها لدل باقى المعجزات الخارقة للعادة على يد غير من الأنبياء على كونه الها وهو ممتنع بالاجماع منا ومنهم .

الثانى انه لو جاز أن يكون المسيح الها لجاز أن يكون كل من نلقاه من آحاد الناس الها ، وأن لم يوجد فى حقه مثل هذه الخوارق ، فان الخوارق غايتها النهار دليل الوقوع ولا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول فى نفسه على ما سبق ولا يخفى أن القول بذلك من التلاعب بالدين والعقل .

واما ما نقلوه عن الانجيل أن مريم تلد ألها صح ولم يكن ذلك من أوضاعهم وتبديلهم فلابد من تاويله اذ الاله لا يولد عندهم ، بل المولود انما هو الناسوت

وتأويله أن نحمله على الانباء عن الغيب ، وهو أن مريم تلد من يعتقد أنه اله وأن لم يكن الها حقيقة ، وذلك كما تسمى العرب الشمس الها باعتبار انها عبدت واعتقدت أنها أله ثم هذا معارض بما نقل فى الأنجيل مما يدل على كونه ليس باله من وجهين .

الأول : قول عيسى عليه السلام للحواريين « اخرجوا بنا من هذه فان النبى لا يكرم فى مدينة » (لوقا ٤ — ٢٤) والنبى لا يكون الها .

الثانى : ما نقل فى الانجيل أنه عند الصلب قال « الهى الهى لم خذلتنى وأسلمتنى » (متى ٢٧ : ٤٦) صرح بكونه مربوبا والمربوب لا يكون الهـا .

وأما احتجاجهم من كتابنا بقوله تعالى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » فالمعنى : أن معنى كونه كلمة أى آية ، فـان الكلمة تطلق بمعنى الآية ، ومنه قوله تعـالى : « ما نفدت كلمات الله » أى آياته .

ويدل على ارادة ذلك أمور ثلاثة : الأول : صدر الآية وهو قـوله تعالى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته » سماه رسـولا ولو كان كلمة على الحقيقة لما كان رسولا . الثانى : قوله تعالى « وجعلناها وابنها آية للعالمين » ووجه الاحتجاج من وجهين . الأول : اذه سـماه آية ، الثانى : وصفه بكونه ابنا لها والاله ليس ابنا لها ، الثالث : ان الآية انما وردت لتقريعهم ورجوعهم عن الغلو فى اعتقادهم ، حيث قال « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » فلو أراد بالكلمة ما اعتقدوه لكان مثبتا عين ما قصد التقريع على اعتقاده وهو ممتنع .

وأما قوله تعالى : « فنفخنا فيه من روحنا » فلا يمكن حمل الروح على ما اتحد بالمسيح من الكلمة اذ الروح عندهم هى الحياة ، وهى غير متحدة بالمسيح ، وانما المتحد به العلم ، وهو الكلمة فلابد من حمله على ما يحتمله اللفظ والروح قد يطلق على جبريل ، ومنه قوله تعالى : « وأيدناه بروح

القدس (١) » وقد يطلق بمعنى الوحى ومنه قوله تعالى « أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقد يطلق بمعنى روح الشخص ، وعند ذلك فيمكن حمله على أن يكون المراد منه فنفخنا فيه من روحنا وأضافه الى نفسه تشريفا وتكريما على ما سبق ، ويمكن أن يكون المراد من الروح جبريل ، فان نفخة فيه(٢) سبب علوقه من غير والد .

وأما ما احتجوا به على جواز اطلاق اسم الآب على الله سبحانه وتعالى والابن على المسيح ، فهو ان صح مما يتعذر حمله على الابن المتولد من الله ، اذ المسيح غير متولد من الله عز وجل بالاتفاق ، وعند هذا فلابد من التأويل .

اما قوله « انك انت الابن الوحيد » (٣) فيحتمل انه أراد به المعتنى بتربيته واصطفائه ، تعبرة باسم البنوة عنه لكونه لازما لها فى الغالب ، وعلى هذا يمكن حمل قوله « من رآنى فقد رآنى وأبى » ويمكن حمله على جبريل من حيث ان نفخه فى مريم كان سببا لعلوقه ووجوده أو بسبب أنه كان هو المسدد له ، وعلى الوجه الاول يمكن حمل قول شمعون الصفا ، ويدل على ظهور ذلك أنه كما سماه أبا له فقد سماه البارى تعالى أبا

---

(١) اذا كان المراد بالروح القدس هو بيركليت الروح القدس فان المراد يكون وأيدنا عيسى بمحمد عليهما السلام أى أظهرنا الحق فى أمر المسيح على لسانه . وهو الصحيح .

(٢) ان جبريل لم ينفخ فى مريم من فمه ، فالمراد من النفخ : أنها حبلت بقدرة الله ، فالنفخ كناية عن القدرة .

(٣) اعلم أن داود عليه السلام فى المزمور الثانى عبر عن النبى المنتظر الملقب بلقب المسيا وهو محمد رسول الله ﷺ ، عبر عنه بلقب « ابن الله » على طريقة اليهود فى التعبير عن أنفسهم بأنهم أبناء الله وأحياؤه . فانهم كتبوا فى سفر التثنية « أنتم أولاد للرب الهكم » (تث ١٤ : ١) ولما أراد النصارى واليهود الضالون ختم النبوة الى الأبد فى عيسى عليه السلام ، أعطوه لقب « ابن الله » الذى هو المسيا وقد فهم منه البعض أنه يدل على ابن حقيقى طبيعى لله عز وجل . وليس هذا هو المراد (انظر كتاب المسيا المنتظر) .

للحواريين ، وليس بمعنى اتحاد اللاهوت بهم ، ويدل عليه ما روى فى الانجيل من قوله عقب وصيته وصى بها الحواريين « لكى تكونوا أبنـاء أبيكم الذى فى السماء وتكونوا تامين ، كما أن أباكم الذى فى السماء تام » وقوله « لا تعطوا صدقاتكم قدام الناس لترأؤهم فانه لا يكون لكم أجـر عند أبيكم الذى فى السماء » وقوله عند صلبه « اذهبوا الى أبيكم » فهذه الجمل مع اختصارها وكثرة معانيها كافية فى التنبيه على فساد عقائدهم وابطال قواعدهم على اختلافها وشعبها والحمد لله على الاسلام والهداية للايمان ، انتهى .

قوله « مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا » الى آخره .

العجب من النصارى أنهم يجعلون مريم مرة والدة الله ومرة بنت الله كما أثبتناه عنهم غير مرة . ومن ذلك أيضا ما فى الكتاب المسمى بالشـهر المريمى شهر آيار المطبوع سنة ١٨٥٢ فى دير الرهبان الفرنسيسكانيين فى صحيفة ٢٤٣ ما لفظه : « السلام عليك يا ابنة الله الآب الأزلى السلام عليك يا أم الله الابن السرمدى السلام عليك يا عروسة الله الروح القدس البارقليط السلام عليك يا هيكلا ومسكنا للثالوث الاقدس » انتهى .

واعلم أن النصارى أيضا قالوا ان مريم زوجة يوسف النجار حقيقة ، ففى الاصحاح الأول من انجيل متى ما لفظه « ومولد يسوع المسيح هكذا كان لما خطبت مريم أمه ليوسف ، فمن قبل أن يتعارفا وجدت حبلى من روح القدس ، وأما يوسف رجلها فكان صديقا ولم يرد أن يشهرها وهم بتخليتها وسرا فيما هو مفكر بهذا واذا بملك الرب قد ظهر له فى الحلم قائلا له يا يوسف ابن داود لا تخف من أن تأخذ — أى من أن تبقى مريم — امرأتك لأن الذى ولد بها هو من روح القدس ، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع » قال مفسره الخورى : « مريم خطيبة ليوسف لا خطبة مجردة كما قـال أكثر المفسرين بل زيجة حقيقية وصحيحة ، فان النسخ اليونانية واللاتينية والسريانية تدعو مريم امرأة يوسف ويوسف رجل مريم ، وكيف يهم بتخليتها اذا لم يكن بعد اتخذها امرأة ، فضلا عن أنها لو لم تكن مزوجة لاعتبرها اليهود زانية عند رؤية كبر بطنها ولحكموا عليها بالرجم وكان يليق بالمسيح

أن يولد من مزوجة لئلا يحسبه اليهود نفلا والزيجة بموجب مبدأ الفقهاء يقيمها الرضى لا الجماع ولا يضر بصحتها نذرا لعفة كما كانت مريم نذرت ، ويقرب من التصديق أنها كانت كشفت هذا النذر ليوسف قبل الزواج فارتضى به ، ثم انها قبل مباشرة فعل الزواج لا كأنهما تعارفا بعد ذلك كما نتج « البيدبوس » الذى أنكر كون مريم لبثت عذراء أبعد ولادة المخلص وزعم انها ولدت بعد ذلك أولادا من يوسف ، وهم الذين يسميهم الانجيل اخوة الرب . وقد أيد « مارى ايرونيموس » ضلاله ببراهين عديدة ونسب الانجيلى الحبل بالمسيح الى الروح القدس لا كأنه لا اشتراك للاب به ، فهذا من أفعال الثالوث الخارجية فينسب الى الثلاثة الأقانيم ولكنه خصه بالروح القدس لانه كما تختص القدرة بالاب والحكمة بالابن فكذا تختص المحبة والجودة والنعمة بالروح القدس ، وسر التجسد يظهر هذه الصفات بنوع عجيب ، فمريم هى والدة الله كما رسم المجمع الافسوسى ضد «نسطور» ويتفند بذلك أيضا زعم « والنتينوس » أن المسيح أتى بجسده من السماء واجتاز بالعذراء كالماء بالميزاب ، فعلى ذلك لا يقال مريم ولدته ، ومعنى لفظه يسوع بالعبرانية المخلص لانه يخلص شعبه من خطاياهم ، وقد ولدته فى بيت لحم أى محل الخبز » انتهى باقتصار .

ثم انه ذكر نسب مريم ونسب يوسف وخلط فيهما أيضا الخلط العجيب ، فجعل يوسف بن يعقوب كما فى انجيل متى ، ومرة ابن هالى كما فى انجيل لوقا وجعله مرة ابن عم يوسف ، ومرة ابن خالها ، ومرة جعل مريم بنت يواكيم وأمها حنة ومرة جعله ابن هالى ، وبين الاشكالات العظيمة فى هذا الاختلاف الواقع بين انجيل متى ولوقا ولم يتحصل من كلام النسب الصحيح المتسلسل الى داود عليه السلام (١) ، وسرد أقوال

---

(١) اخطأ المؤلف فى مجاراته للنصارى على أن عيسى عليه السلام من نسل داود ، مع أنه ينقل كثيرا عن « اظهار الحق » وفيه أن «اكستاين» صرح بأن العذراء من سبط لاوى من نسل هرون عليه السلام . اعتمادا على أن العذراء قريبة لاليصابات . وحيث ان اليصابات من هرون ، ومريم قريبة لها ، تكون مريم من هرون ، لأن النسب هو القرابة (انظر أيضا الفصل لابن حزم ، وكتاب يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية) .

مفسريهم المضطربة المتخالفة والوجوه المظلمة والتوجيهات الكالحة والتأويلات الغير راجحة وفى كتاب « بسط الكف » للفاضل الشيخ محمد بن محمد أن اسم أم مريم حنة بفتح الحاء المهملة وتشديد النون .

قال ابن عساكر « بلغنى أن مريم بقيت بعد رفع عيسى عليه السلام خمس سنين ، وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة » قال « وكانت فى الربوة ويقال قبرها فى النيرب » وذكر نسبتها وأنها من ذرية سليمان عليه السلام بينها وبينه أربعة وعشرون أبا » انتهى . ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى الى زيادة على هذا البحث فلا تغفل .

قوله « ويعطيه الرب الاله كرسى أبيه داود » الى آخره لا يخفى أن هذا من تناقض الأناجيل أيضا فان لوقا قال هذا فى انجيله ، ويوحنا قال « حمل يسوع هذا الذى وعده الله تعالى بالملك الى القائد بيلاطوس ، وقد ألبسه ثياب الشهرة وتوجه بتاج من الشوك ، وصفعوه وسخروا منه وجلدوه ووضعوا اكليل الشوك على رأسه . وقال له بيلاطوس أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع أمن عندك تقول هذا وأخبرك عنى آخرون ؟ فقال له بيلاطوس هل أنا يهودى ؟ فبنوا أمتك وعظماء الكهنة دفعوك الى ماذا صنعت ؟ قال له يسوع إن مملكتى ليست من هذا العالم ، فلو كانت مملكتى من هذا العالم لكانت خدامى تحارب لئلا أدفع لليهود فالآن مملكتى ليست من ههنا » ثم صلبوه بزعمهم ، فأين اعطاء كرسى أبيه داود الى الأبد ؟ فانظر الى هذا التناقض الظاهر بين جعلهم له الها وجعلهم له ابن داود أنه يملك تخته الى الأبد وزعمهم أنه صلب وحكايتهم عنه أن الملك يزول من ذرية يهوذا اذا جاء من له الكل ، وأنه مدة نبوته وهى ثلاث سنوات لم يحكم فيها بل هو دائما ملاحظ خائف من اليهود ، وأحيانا ينهزم منهم ، ومرة ينقلون عنه أنه قال « لم آت سلما بل حربا وسيفا » ومرة يقولون أنه جاء داعيا للتوحيد ولخلاص ذرية آدم من النار ولم يأت حكما ومرة يقولون جاء لاثبات التثليث ولم يخلص الا شرذمة قليلة من بعض فرق النصارى فقط فتناقض كلامهم وأناجيلهم تضحك منه الثكلى وافتراءهم على

الله تعالى يسقط الجنين من الحبلى فنعوذ بالله تعالى من الجذلان ونسأله الدوام على خالص الايمان .

ثم اعلم ان هذا القول لم يصح وأن صح فهو دليل على عبودية المسيح لا على ألوهيته ويدل أيضا على عدم عموم نبوته بل على خصوصيتها على بنى اسرائيل والعرب غير مكلفين باتباعة (١) ولا يخفى أيضا أن هذا النصرانى لفق هذه الكلمات المشعرة بالبشارة بالمسيح فبعضها محرف وبعضها مختلق من عنده وبعضه مبدل ومغير فى أصله وأكثره دال على نبوة المسيح فقط ، ومصرح بعبوديته ونلف لألوهيته ولو أردنا أن نبسط رد هذه الكلمة وبيان زيفها لطال الكلام غير أنى أوقفك اجمالا ان شاء الله تعالى هنا على تأكيد ما ذكرناه لك غير مرة أن النصارى كاليهود يحرفون التوراة والأناجيل ، وأنهم اذا أرادوا اثبات شىء يزعمون صحته ، يستدلون عليه بشىء من العهد القديم ، فيذكرون منه ما يقبل التمويه على السامعين مع تحريفهم لبعضه أيضا ويتركون منه ما هو حجة عليهم فى ابطال دعاويهم ، وهذا يقع منهم كثيرا يغر استقصاؤه ويطول البحث بسرده .

ولنذكر لك نموذجا من ذلك لتستدل به على ما هنالك ، وهو أن متى قال فى اصحاحه الثانى ما لفظه « فجمع أى هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا فى بيت لحم يهود هكذا مكتوب فى النبى أنت يا بيت لحم يهود ألست بصغيرة فى ملوك يهود افمنك يخرج الملك وهو يرعى شعبى اسرائيل حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا » انتهى بحروفه من النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٦٨ وهى نسخة الخورى ولننقل لك هذا أيضا من أصل نسخة نبوة ميخا لأن جميع مفسريهم قالوا أن المراد من النبى فى قول متى هو نبوة ميخا من العهد القديم ، قال ميخا فى الأصحاح الخامس كما فى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٣١ ما لفظه « وأنت يا بيت لحم افراثا صغيرا أنت فى ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى

---

(١) انظر فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا [نقد التوراة أسفار موسى الخمسة] .

يسلط فى اسرائيل وخروجه من البدء منذ ايام الأزل لهذا يعطيهم الى الزمان الذى فيه الوالدة تلد ، وبقايا اخوته ترجع الى بنى اسرائيل ، ويقف ويرعى بجبروت الرب يعلو اسم الرب الهه » انتهى فانظر فى تحريف هذه الألفاظ التى نقلها الانجيلى عن ميخا فانها مع قلتها لم تسلم من التغيير لأن الانجيلى لم يقل أفراثا وميخا قالها، والأنجيلى قال لست بصغيرة وميخا قال صغيرة ، وهل هذا لا متباين ؟ اذا أحداهما أنافية والأخر مثبتة ، وميخا قال فى ألوف يهودا والانجيلى قال فى ملوك يهودا ، وهذا تغاير جوهرى أيضا لا لفظى فقط ، والانجيلى قال فمنك يخرج الملك وميخا قال فمنك يخرج لى الذى يسلط فى اسرائيل ، ثم ان الانجيلى حذف آخر الكلام الذى فيه أنه يعلو اسم الرب الهه ، لانه اذا كانت هذه البشارة فى حق المسيح عليه السلام كما زعم فهى دالة على عبوديته ، لان ميخا يقول ان الرب اله هذا المولود فى بيت لحم ، فحينئذ يظهر كذب دعوى النصارى فى الوهية المسيح كما ظهرت فى قول المسيح أيضا عند الصلب بزعمهم « الهى الهى لم خذلتنى ؟ » وتركتنى وغيرها من أقواله وأفعاله الدالة على عبوديته ومخلوقيته نفسا وجسما كما لا يخفى على كل ذى عقل .

ونحو هذا ما قاله متى أيضا فى الأصحاح الثانى فى بحث يوسف النجار إنه أخذ المسيح وهو صبى وانهزم به ليلاالى مصر ليتم ماقيل من الرب بالنبى هوشع (٢) الاصحاح الحادى عشر منه « من مصر دعوت ابنى » مع أن عبارة هوشع هذا « لأن اسرائيل صبى أحببته ومن مصر دعوت ابنى دعوهم هكذا انطلقوا من وجههم كانوا يذبحون لبعاليم ويقربون للاصنام انتهى بلفظه فان كانت أصل النسخة دعوته ابنى بالهاء فلا تماس لها بالمسيح وان كانت بلا هاء فالظاهر انها فى حق موسى أو يعقوب أو يهودا أو غيرهم كما لا يخفى ، واذا علمت هذا يتحقق لديك ايضا تحريفهم للايات والبشائر التى فى كتبهم الدالة والمصرحة بنبوة نبينا ﷺ فهم فى تحريف نبوته أسرع وفى تأويلها أشجع ، على ان ما بقى مما لم يحرف فى كتبهم كثير ، وقد أعمى الله تعالى

---

(٢) فى الأصل اشعيا .

بصيرتهم عنه ، وهو كاف فى الدلالة على اثبات نبوته والاعلان برسالته كما تقدم « يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

قوله اذ يقول صاحبك طائفا مقرا « واذ قالت الملائكة » الخ فتمويه على من ليس له خبرة بكتاب ربنا الكريم حيث قدم هذا النصرانى وأخر فى الآيات حجة عليه ، وتصرف فى اعراب بعض كلماتها وصرف معانيها الى ما هو المتعلقه بالمسيح عليه السلام وحذف من البين ومن أوائلها وأواخرها ماهو مخالف للقواعد النحوية والأصول العربية مما ستقف على بيانه ان شاء الله تعالى .

ولنذكر لك بعون الله عز وجل الآيات الحاكية لقصة سيدنا المسيح عليه السلام مع ما يتعلق بها فى هذه السورة المباركة ضامين لها ما قاله العلماء فى تفسيرها على وجه الاختصار ليحيط المستفيد خبرا بتأويلها وليتضح له والحال وما حكاه القرآن العظيم عن عبودية عيسى للملك المتعال ، ولعمر الله ان هذا النصرانى فى استدلاله على ما يزعمه بهذه الآيات شبيه بمن يستدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى « ويل للمصلين » ويترك تتمتها وهى قوله سبحانه « الذين هم عن صلاتهم ساهون » وهما منه أن الناس عن معرفة ذلك غافلون ، وترويجا لباطله على النصارى الذين هم جاهلون ولم يدر أن أكثر المسلمين للقرآن حافظون وأغلب علمائهم لرد النصارى وبيان ما فى كتبهم من الزيغ حاضرون متهيئون ، وبما فى الكتب السماوية وغيرها عالمون ، وقد أجاب عن شبههم المؤلفون وأورد عليهم المفسرون أدلة على ما هم فيه متدينون واعترضوا عليهم بأمورهم عن أجوبة جميع ذلك عاجزون .

فنقول : قال الله تعالى : « اذ قالت امرأة عمران » أى اذكر اذ قالت حنة بنت فاقوذا أم مريم فهى جدة عيسى عليه السلام ، وعمران هو ابن ماثان جد عيسى وليس نبيا وهو من ذرية داود (١) عليه السلام قال

---

(١) الأصح فى « امرأة عمران » أنها واحدة من نساء قبيلة « عمران »

المفسرون كأن لحنة أخت اسمها ايشاع تزوجها زكريا عليه السلام هي أم يحيى عليه السلام فعيسى ابن بنت خالة يحيى ، وقيل هما ابنا خالة ، وكان من قصة طلبها الولد كما قال ابن عباس أن حنة امرأة عمران كانت حبست عن الولد والمحيض فبينا هى ذات يوم فى ظل شجرة اذ نظرت الى طير يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى أن يهب لها ذكرا فحاضت من ساعتها فلما طهرت أتاها زوجها فلما أيقنت بالولد قالت : لئن نجانى الله تعالى فوضعت ما فى بطنى لأجعلنه محررا أى خادما للبيعة أو المحرر من يعمل للآخرة ولا يتزوج ، ولم يكن محررا فى ذلك الزمان الا الغلمان ، فقال لها زوجها أرأيت ان كان ما فى بطنك أنثى والأنثى عورة فكيف تصنعين ؟ فاغتمت لذلك . فقالت « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى » وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد الذكر لعدم قبول الانثى فيكون المعنى رب انى نذرت لك ما فى بطنى ، فاجعله ذكرا واللام للتعليل والمراد لخدمة بيتك والمحرر الخادم للبيعة .

= و « عمران » هو أبو موسى وهرون عليهما السلام . وهو من نسل لاوى ابن يعقوب عليه السلام ، وقول بعض المفسرين بأن عمران هو ابن ماثان جد عيسى وهو من ذرية داود عليه السلام ، قول باطل . ذلك لأن المراد من عمران ، عمران رئيس القبيلة الذى هو والد موسى وهرون . والقبائلة هى حنة بنت فاقوذ ، وزوجها هو يواقيم . ومريم ابنتها من هذا الزوج . ونسبت الى عمران رئيس القبيلة ، الذى هو الجد الأعلى . ويدعى النصارى بأن مريم تنسب الى رجل من آل داود عليه السلام هو يواقيم . أما أنه يواقيم . فقولهم صحيح لأن القرآن نسبها الى عمران ويصح أن تكون النسبة اليه على أنه رأس العائلة . وأما أنه من آل داود فقول باطل ، ذلك لأن التوراة تصرح بزواج المرأة فى قبيلتها ، ان أرادت الزواج من يهودى ، كما فى سفر العدد فى الاصحاح السادس والثلاثين . وصرح الانجيل بأن اليصابات وهى هارونية لاوية قد تزوجت من زكريا عليه السلام وهو هارونى لاوى . وصرح الانجيل بأن مريم قريبة لاليصابات . فتكون مريم من نفس العائلة التى منها اليصابات . أى تكون هارونية لاوية . (انظر الفصل لابن حزم ، واظهار الحق لرحمت الله الهندى ، ويوحنا الدمدان بين الاسلام والنصرانية)

وقال محمد بن جعفر بن الزبير أرادت عتيقا خالصا لطاعتك لا أصرفه لدنيا حوائجى ، وقيل فى تفسيره غير ذلك « انك أنت السميع العليم » وهو تعليل لاستدعاء القبول من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا « فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى » ليس الغرض من هذا الكلام الاخبار لأنه اما للفائدة أو للازمها ، وعلم الله تعالى محيط بهما بل لمجرد التحسر والتحزن وقوله سبحانه « والله أعلم بما وضعت » ليس المراد به الرد عليها فى اخبارها بما هو سبحانه أعلم به ، بل الجملة اعتراضية سبقت لتعظيم المولود الذى وضعته وتفخيم شأنه والتجهيل لها بقدره أى والله أعلم بالشىء الذى وضعته وما علق به من عظائم الأمور ودقائق الاسرار وهى غافلة عن ذلك كله « وليس الذكر كالانثى » يعنى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها والمراد تفضيل الذكر على الأنثى لان الذكر يصلح لخدمة الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها من الحيض ولأنها عورة ولا يجوز لها الخضوع مع الرجال .

وقيل فى معنى الآية أن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت كان الذكر مطلوبى لخدمة المسجد ، وهذه الأنثى هى موهبة الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى هى موهبة لله تعالى « وانى سميتها مريم » يعنى العابدة والخادمة ، وهو بلغتهم وقيل معربة مارية بمعنى جارية ، وكانت مريم من أجمل النساء وأفضلهن فى وقتها « وانى أعيذها بك » أى امنعها واجيرها بك « وذريتها من الشيطان الرجيم » أى اللعين الطريد ، وأصل الرجم الرمى بالحجارة والمراد الحفظ من اغوائه الموقع فى الخطايا « فتقبلها ربها بقبول حسن » يعنى أن الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضى وسلك بها طريق السعداء « وأنبتها نباتا حسنا » يعنى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان ، فكانت تنبت فى اليوم ما ينبت المولود فى عام « وكفلها زكريا » قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها ولفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون ، وهم يومئذ يلون من بيت المقدس

ما تلى الحجبة من الكعبة ، وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبـــار لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكان أبوها قد مات على قول ، فقال لهم زكريا انا أحق بها لان خالتها عندى ، فقالت له الاحبار لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمهـــا التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكـــون من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار ، قيل هو الاردن فالقوا أقلامهم فى الماء على أن من ثبت قلمه فى المـــاء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم ، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ، ووقف وانحدرت أقلامهم ثم رسبت فى النهر فسهمهم زكريا وقرعهم ، وكان زكريا عليه السلام رأس الاحبار ونبيهم ، ومن ذرية داود عليه السلام فلما ضم مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها أم يحيى ، حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد ، وجعل بابه فى وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » يعنى فاكهة فى غير وقتها « قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عنـــد الله » أى من الجنة .

وقال محمد بن اسحاق كما نقله الخازن أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ، حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران ، فايكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصـــابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم لمريم فحملها فعرفت فى وجهه شدة ذلك عليه ، فقالت له يا يوســـف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها فى المحراب أنماه الله تعالى وزاده ، فيدخل زكريا عليها فيقول « يا مريم أنى لك هذا » فتقول « هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » أى بغير تقدير

لكثرته أو من غير سبب ، فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذى قدر على أن يأتى مريم بالفاكهة فى غير وقتها وحين من غير سبب لقادر أن يصلح زوجى ويهب لى ولدا فى غير حينه ، مع الكبر ، وطمع فى الولد ، وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان قد كبر وشاخ وأيس من الولد ، فذلك قوله عز وجل « هنالك دعا زكريا ربه » يعنى أنه عليه السلام دخل محرابه وأغلق الأبواب وسأل ربه الولد « قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة » والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى المراد بها هنا الواحد « انك سميع الدعاء » أى سامعه ومجيبه « فنادته الملائكة » يعنى جبريل عليه السلام وانما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولأنه رئيس الملائكة ، وقل أن يبعث الا ومعه جمع منهم فجرى ذلك على مجرى العادة « وهو قائم يصلى فى المحراب » قال المفسرون : دخل عليه جبريل بصورة شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام « يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى » أى بولد اسمه يحيى سمى به لأن الله تعالى أحيى به عقر أمه أو لان الله تعالى أحيى قلبه بالايمان والطاعة حتى أنه لم يهم بمعصية قط « مصدقا بكلمة من الله » قال أكثر المفسرين : المراد بالكلمة عيسى عليه السلام ، وانما سمى كلمة لأن الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة ، فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان . وقيل غير ذلك كما تقدم .

وأول من آمن به وصدقه يحيى وكان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر وقتل(١) يحيى قبل أن يرفع عيسى . وحكى عن أبى عبيدة أن معنى بكلمة من الله بكتاب منه ، والمراد به الانجيل ، واطلاق الكلمة عليه كاطلاقها على القصيدة وسيدا من ساد يسود والسيد هو الرئيس الذى يتبع ، وقيل هو الحسن الخلق ، وقيل هو الذى يطيع ربه ، وقيل هو الفقيه العالم « وحصورا » قال ابن عباس هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن ، فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل ، يعنى أنه حصر نفسه

---

(١) بينا أنه لم يقتل (انظر كتاب يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية)

عن الشهوات . وأصله من الحصر وهو الحبس ، وقيل هو العنين ، وقيل هو الفقير « ونبيا من الصالحين » أى أنه من أولاد الأنبياء الصالحين أو كائنا من جملة الصالحين ، قال الزجاج الصالح من يؤدى لله تعالى ما افترض عليه وللناس حقوقهم ، وبهذا علم أن النصرانى المؤلف قد خبط فى الآية خبط عشواء ، وجعل سيدا صفة لعيسى عليه السلام مع أن كون مصدقا نصب على الحال المقدرة من يحيى وسيدا عطف عليه وحصورا ونبيا أيضا عطف على ما قبلهما أمر لا يخفى على من شم رائحة العربية ، فكيف يجعل السيد المنصوب هنا صفة لعيسى « قال رب أنى يكون لى غلام» أى ولد «وقد بلغنى الكبر» قيل كان ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسعة وتسعين وقيل ابن مائة وعشرين سنة « وامرأتى عاقر » أى عقيم لا تلد أ ى ذات عقر وكانت بنت ثمان وسبعين سنة .

قال الخازن : فان قلت كيف أنكر زكريا عليه السلام الولد مع تبشير الملائكة اياه به ؟ وما معنى هذه المراجعة ؟ ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله تعالى اياه به ؟ أكان شاكا فى وعد الله سبحانه أو فى قدرته ؟ قلت : لم يشك وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام ، والمعنى من أى جهة يكون الولد ؟ أيكون بازالة العقر عن زوجتى ورد شبابى على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف ؟ فأجابه بقوله « كذلك الله يفعل ما يشاء » من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو ايجاد الولد من الشيخ الكبير والمرأة العاقر « قال رب اجعل لى آية » أى علامة أعرف بها صحة الحبل فأتلقى هذه النعمة بالشكر « قال آيتك أن لا تكلم الناس » أى علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام عن غيره من الأذكار ، ووجه جعل الآية هذا لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكرا على ما أنعم عليه ، وقيل كان ذلك عقوبة له بسبب سؤال الآية بعد مشافهة الملائكة اياه . وقيل أن لا تقدر على تكليمهم وتمتنع من كلامهم قهرا بحيث لو حاولت الكلام لم تقدر ثلاثة أيام بلياليها لقوله تعالى فى سورة مريم « ثلاث ليال سويا » وقوله : « الا رمزا » اشارة والرمز فى اللغة الايماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليدين . ولما منعه من الكلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال « واذكر ربك كثيرا » فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال

بينك وبينه « وسبح بالعشى والابكار » أى وعظم ربك ونزهه عن النقائص وقيل صل فيما بين زوال الشمس الى غروبها وما بين طلوع الفجر الى الضحى « واذ قالت الملائكة » عطف على « اذ قالت امرأة عمران » عطفا لقصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة زكريا وقعت فاصلة بينهما المناسبة ظاهرة والقائل جبريل ، وهذا من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها بعد التربية الجسمانية اللائقة بحال صغرها « يا مريم الله اصطفاك » اختارك من الاناث ورباك فى حجر زكريا ورزقك من الجنة وطهرك من مسيس الرجال أو الكفر أو من الذنوب أو من الأدناس على عمومها وكانت لا تحيض ، وقيل حاضت مرتين قبل حملها بعيسى عليه السلام واصطفاك على نساء العالمين قيل هذا الاصطفاء غير الأول فالأول هو حيث تقبلها بقبول حسن والاخير لولادة عيسى من غير أب ، وقيل تأكيد للاول والمراد بنساء العالمين نساء عالم زمانها « يا مريم اقنتى لربك القنوت اطالة القيام فى الصلاة » وقيل ادامة الطاعة وقيل الاخلاص فى العبادة قال المفسرون وصوها بالمحافظة على الصلاة بعد أن خبروها بعلو درجتها وكمال قربها الى الله تعالى لئلا تفتر ولا تغفل عن العبادة ، وتكرير النداء للاشارة الى النداء الى الاعتناء بما يرد بعد كان هو المقصود بالذات وما قبله تمهيد له « واسجدى واركعى مع الراكعين » أخرج ابن جرير عن الأوزاعى قال كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها .

واخرج ابن عساكر عن أبى سعيد قال كانت مريم تصلى حتى تورم قدماها وفائدة قوله سبحانه «مع الراكعين» الارشاد الى صلاة الجماعة على قول الأكثر «ذلك» أى ما تقدم ذكر من تلك الأخبار البديعة الشأن « من أنباء الغيب » أى من أخبار ما غاب عنك وعن قومك مما لا يعرف الا بالوحى « نوحيه اليك » الايحاء القاء المعنى الى الغير على وجه خفى ويكون بمعنى ارسال الملك الى الأنبياء وبمعنى الالهام « وما كنت لديهم » أى عند المتنازعين ، فالضمير عائد على غير مذكور دل عليه المعنى ، والمقصود من من هذه الجملة تحقيق كون الاخبار بما ذكر عن وحى على سبيل التهكم بمنكريه كأنه قيل أن رسولنا أخبركم بما لا سبيل الى معرفته بالعقل مع

اعترافكم بأنه لم يسمعه ولم يقرأه فى كتاب ، وتنكرون أنه وحى ، فلم يبق مع هذا ما يحتاج الى النفى سوى المشاهدة التى هى أظهر الأمور انتفاء لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء .

قلت : ولعل هذا النصرانى حذف هذه الآية من بين الآيات التى استشهد بها هنا خوفا من الاطلاع على هذه الآية التى هى من أعظم المعجزات الدالة على صدق نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والتسليمات الكاملات « اذ يلقون اقلامهم» أى يرمونها أو يطرحونها للاقتراع ، والأقلام جمع قلم وهى التى كانوا يكتبون بها التوراة واختاروها تبركا بها ، وقيل هى السهام من النشاب وهى القداح ، وقيل انها كانت من نحاس وهى مأخوذة من القلم بمعنى القطع ومنه قلامة الظفر « أيهم يكفل مريم » أى ينظرون أيهم يكفل أى يكون كافلا وضامنا لمصالحها أو ليعلموا أيهم يكفل أو ليقولوا ويحكموا أيهم يكفل « وما كنت لديهم اذ يختصمون » فى شأنها تنافسا على كفالتها . واختلف فى وقت هذا الاقتراع والتشاح على قولين أحدهما : وهو المشهور المعول عليه ، أنه كان حين ولادتها وحمل أمها لها الى الكنيسة ، وثانيهما : أنه كان وقت كبرها وعجز زكريا عليه السلام عن تربيتها وهو قول مرجوح وقد تقدم لك ما يتعلق بطلب الكفالة أيضا فتذكر « اذ قالت الملائكة » أى جبريل « يا مريم ان الله يبشرك بكلة ممنه » أى كائنة من عنده ناشئة منه من غير واسطة الأسباب العادية وهى ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وسمى كلمة لانه وجد بكلمة كن كما تقدم .

ونقل شيخ الاسلام أبو السعود فى سورة النساء أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء الى الرشيد فناظر على بن الحسين الواقدى ذات يوم ، فقال له ان فى كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله ، وتلا هذه الآية فقرأ له الواقدى قوله تعالى « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » وقال اذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزء منه سبحانه ، فانقطع النصرانى وأسلم .

وقيل فى الكلمة غير هذا كما بيناه مرارا فتذكر .

فان قلت : ان كل مخلوق يوجد بواسطة الكلمة ، فلم خص بهذا

الاسم ؟ قلت : ان كل مخلوق وان وجد حدوثه بواسطة الكلمة ، الا أن هذا السبب ما هو متعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى ، فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم وأكمل ، وبهذا التأويل حسن أن يسمى نفس الكلمة لأنه حدث عنها . قاله الخازن « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » اختلف فى لفظ « المسيح » مم أخذ ؟ فقيل من المسح لأنه مسح الأرض أى ذهب فيها فلم يستكن بكن ، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة الا برىء ، فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل ، وقيل لأنه كان يمسح بالدهن الذى كانت الانبياء عليهم السلام تمسح به ، وقيل لأنه كان ممسوح الاخمصين وقيل لان الجمال مسحه ، وقيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب . وقال ابن الاعرابى المسيح الصديق وقال أبو عبيد أصله بالعبرانية « مشيحا » بالمعجمتين فعرب كما عرب موشى بموسى . وقال فى الكشاف هو لقب من الألقاب المشرفة ومعناه باللغة العبرية المبارك وأما الدجال (١) فسمى مسيحا لأنه ممسوح أحد العينين وقيل غير ذلك وعيسى (٢) اسم اعجمى مأخوذ من العيس وهو بياض تعلوه حمرة وقيل هو عربى مشتق من عاسة يعوسة اذا ساسه . وفى الكشاف أنه معرب يشوع ، والذى رأيناه فى أناجيل النصارى أن اسمه يشوع ، قالوا وهو بمعنى المخلص ، وانما قيل ابن مريم مع أن الخطاب معها تنبيها على أنه يولد من غير أب فنسب الى أمه « وجيها فى الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الوجاهة وهى القوة والمنعة ووجاهته فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة « ومن المقربين » عند الله تعالى يوم القيامة « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » المهد موضع الصبى فى رضاعة ، والكهل هو من كان بين سن الشباب والشيخوخة أى يكلم الناس حال كونه رضيعا فى المهد قبل وقت الكلام ، وحال كونه كهلا(٣)

---

(١) اقرأ عن الدجال فى كتاب الفتاوى للشيخ شلتوت . واقرأ عن معنى كلمة المسيح فى كتاب المسيا المنتظر .

(٢) عيسى من الكلمة اليونانية ايسا .

(٣) فى انجيل يوحنا ما يدل على أن عيسى كان قريبا من الخمسين سنة وقت تبليغ الرسالة .

بالوحى والرسالة وقد ثبت فى الصحيح أنه لم يتكلم فى المهد الا عيسى ، وشاهد يوسف (١) وصاحب جريج ، وابن ماشطة فرعون « ومن الصالحين » أى مثل سائر الأنبياء ، وانما ختم أوصافه بالصلاح لأنه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على المنهج الأصيل والطريق الاكمل فى جميع أحواله ولهذا قال سليمان بعد النبوة « وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » .

ولنذكر لك شيئا يزيدك وقوفا على ما يتعلق بالمسيح عليه السلام قال فى كتاب « بسط الكف فى تفسير سورة الصف » .

والعجب من النصارى أنهم ادعو ألوهيته مع روايتهم عنه فى أناجيلهم أنه لما قيل له يا صالح لم يرض بذلك ، وقال لا صالح الا الله كما ذكرناه لك غير مرة « قالت مريم » على طريق الاستبعاد العادى « أى كيف » يكون لى ولد ، ولم يمسسنى بشر » أى ولم يصبنى رجل ، وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا فى قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب .

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء » يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسك بشر ، وعبر هنا بالخلق ، وفي قصة يحيى بالفعل ، لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ ، فكان الخلق المنبىء عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل « اذا قضى أمرا » هو من كلام الله سبحانه وأصل القضاء الاحكام وهو هنا الارادة أى اذا أراد أمرا من الأمور « فانما يقول له كن فيكون » من غير عمل ولا مزاولة ، وهو تمثيل لكمال قدرته .

---

(١) قيل : ان شاهد يوسف ، كان رجلا كبيرا عاقلا حكيما . لأنه أعطى قرائن لبيان الفعل وهى : « ان كان قميصه قد من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر ، فكذبت وهو من الصادقين » ولو كان الشاهد رضيعا لدل نطقه على تصديقه بلا قرائن . والحديث مع ذلك حديث آحاد .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا « أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى » وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ، أدخله الله تعالى الجنة على ما كان من العمل (١) » وفى الصحيحين مرفوعا « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة : « واقرأوا ان شئتم : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته »(٢)

وفى الصحيحين ومسند الامام أحمد عن أبى هريرة مرفوعا « ما من مولود الا الشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل صارخا الا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا ان شئتم « وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »

وقوله تعالى « يا مريم ان الله اصطفاك » الآية يعنى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله تعالى اياها من بين نساء عالمى زمانها بأن

---

(١) بين القرآن أن دخول الجنة بـ أ — الايمان ب — وبالعمل ،وصرح بوضع الموازين للحق وللعدل .

(٢) أى أن أبا هريرة — وأعنى الراوى عنه — يفسر العبارة بأنه لا أحد من اهل الكتاب بموت الا ويؤمن بعيسى عليه السلام . وحيث أن أهل الكتاب سيبقون فى الدنيا ولا ينقرض نسلهم الى يوم القيامة ، وحيث أنهم سيؤمنون بعيسى ، اذن يكون عيسى حيا ، وسيظل حيا الى يوم القيامة . وفات هذا المفسر أن وجود الانجيل يغنى عن حياة صاحبه ، فان كتاب صاحب الدعوة اذا بقى يدل على دعوته من بعد موته ، فكأن الصاحب لم يمت . وفى العبارة وجه آخر مذكور فى كتب التفاسير ، وقد رد كثيرون من العلماء نزول عيسى فى آخر الزمان وقولهم هو الصحيح (انظر الفتاوى للشيخ شلتوت)

اختارها لايجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون شريفا نبيا يكلم الناس فى المهد أى فى صغره يدعوهم الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وكذلك فى حال كهولته فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الله تعالى فيها ، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة ، فيقال انها كانت تقوم فى الصلاة حتى تفطرت قدماها ، ويحتمل أن يكون المراد أنها أفضل نساء أهل الدنيا من كان قبلها ووجد بعدها ، فعلى قول من يزعم نبوتها ونبوة سارة أم اسحاق ونبوة أم موسى محتجا بكلام الملائكة والوحى الى أم موسى كما يزعم ذلك أبو محمد بن حزم وغيره فواضح ، وأما على قول الجمهور كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعرى وغيره من أهل السنة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس فى النساء نبية وهو الحق ، فتكون أعلى مقامات مريم أن تكون كما قال الله « وأمه صديقة » فيمكن أن تكون أفضل الصديقات ، قال القرطبى « روى عن النبى ﷺ انه قال « ان فى النساء الأربع نبيات حواء وآسية وأم موسى ومريم » قال : والصحيح أن مريم كانت نبية » انتهى . وقال القاضى عياض « والجمهور انهما يعنى آسية ومريم ليستا بنبيتين بل هما صديقتان . وقال ابن الملقن عن ابن التين وغيره اختلفوا فى نبوة الخضر ولقمان وعزيز ومريم وأم موسى » (١) انتهى .

ونقل عن الحسن أنه ليس من الجن (٢) نبى ولا من النساء وقال الامام السبكى : « اختلف فى نبوة نسوة غير مريم كأم موسى وآسية وحواء

---

(١) أما عن نبوة النساء ، فصريح القرآن منع الاختلاف فيها بقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ، نوحى اليهم من أهل القرى » والصحيح أن الخضر ليس بنبى ، بل لا ذكر له أصلا فى القرآن . فكيف يختلف فى نبوة من لم يذكره الله أصلا ؟ وأما لقمان فالأصح فيه أنه رجل حكيم عاقل . وأما عزير ، فكان عالما فاسقا مضلا مستهترا بالدين من علماء بنى اسرائيل . وهو الذى أخفى توراة موسى الأصلية الصحيحة وكتب بدلها التوراة الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب .

(٢) أنبياء الجن من الانس ، لأن دعوة موسى عليه السلام كانوا مكلفين بها ، وهم اليوم مكلفون بالقرآن كما هو مذكور فى سورة الاحقاف .

وسارة ، ولم يصح عندنا فى ذلك شىء » انتهى وقد روى الترمذى مرفوعا وصححه : « حسبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ » وفى رواية : « سيدات نساء العالمين » وفى رواية « أفضل نساء أهل الجنة »

ولما خاطبت الملائكة مريم بالبشارة لها وبأنه سينفث لها ولدا زكيا نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات ، تعجبت من وجود ولد من غير والد فأخبرتها الملائكة بأن الله تعالى قادر على من يشاء « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله تعالى ، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة ، فان الناس يتكلمون فيها بسببه لأنهم لا يعلمون حقيقة الامر وانما ينظرون الى ظـــاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل ، وكانت انما تخرج من المسجد فى زمن حيضها أو الحاجة ضرورية لابد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هى يوما قد خرجت لبعض شئونها وانتبذت أى انفردت وحدها شرقى المسجد الاقصى ، اذ بعث الله تعالى اليها الروح جبريل الامين ، فمثل لها بشرا سويا فلما رأتـــه « قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » فخاطبها جبريل قائلا « انما أنا رسول ربك » لست ببشر ولكننى ملك بعثنى الله تعالى اليك ليهب لك غلاما زكيا « قالت كيف يكون لى غلام » ويوجد لى ولد ولست ذات زوج ولا أنا ممن يفعل الفاحشة قال الملك « قال ربك هو على هين » فانه على ما يشاء قدير وليجعل خلقه آية للناس والحالة هذه دليل على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى ، فخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ليكمل القسمة يرحم به العباد بأن يدعوهم الى الله تعالى فى صغره وكبره ، بأن يفردوا الله تعالى بالعبادة وحـــده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والولد والشركاء والنظراء والأنداد .

فالذى اتصل بها من جبريل هو الروح المضافة الى الله تعالى اضافة تشريف وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله ، وسمى عيسى بها لأنه من غير أب ، وهى الكلمة .

وذكر غير واحد من السلف أنه نفخ (١) فى جيب درعها فنزلت النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع زوجها . واختلف العلمـــاء فى مدة حمله فالأشهر أنه تسعة أشهر (٢) وقيل ثمانية وقيل ستة وقيل ساعة ، وعمرها اذ ذاك ثلاثة عشر سنة وقيل خمسة عشر سنة ، ثم شاع أمر مريم فى بنى اسرائيل ، وأنها حامل من غير زوج وتوارت عنهم واعتزلتهم وانتبذت مكانا قصيا ، فالجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة .

وروى البيهقى الى بيت لحم فوضعته ، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت ان لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو لم تخلق بالكلية ؛ لما علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها حتى تأتيهم بالغلام على يدها ، مع أنها كانت عندهم من العبادات الناسكات ومن بيت النبوة (٣) فناداها جبريل من تحتها ولم يتكلم عيسى الا بحضرة القوم ، وفى رواية المنادى ابنهـــا قائلا لها : « لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا » أى نهر (٤) أو « هزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » فذكر الطعام والشراب وكان جذع النخلة يابسا ، فكلم الناس وهو ابن أربعين يوما ثم لم يتكلم بعدها حتى بلغ زمان كلام الصبيان ، وقيل فان رأيت أحدا من البشر فقولى بلسان الحال والاشـــارة : « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » وكان من صومهم فى شريعتهم ترك الكلام والطعام ، فلما ضاق الحال وانحصر المجال واتسع المقال ، عظم التوكل على ذى الجلال ولم يبق الا الاخلاص والاتكال « فأشارت اليه » أى خاطبوه وكلموه ، فـــان جوابكم عليه .

---

(١) النفخ كناية عن القدرة من الله .

(٢) هو تسعة أشهر لمجىء المخاض لمريم ، والمخاض يدل على أن الولادة عادية وكان عمرها ثلاث عشرة سنة — على رأى —

(٣) ومن بيت هرون ، وهو بيت العلم .

(٤) السرى هو السيد المطاع .

فعندها قال من كان جبارا شقيا : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » أى كيف تحيلينا فى الجواب على صبى صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع فى مهده ؟ وما هذا منك الا على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقيص لنا والازدراء ؟ ألا تردين علينا قولا ؟ فعند ذلك « قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » وهذا أول الكلام تفوه به عيسى عليه السلام اعترف فيه لربه بالعبودية وأن الله تعالى ربه ، فنزه جناب البارى تعالى قول الظالمين فى زعمهم أنه ابن الله ، بل هو عبد الله ورسوله وابن أمته ثم برء أمه مما أنسبها اليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله « آتانى الكتاب » فان الله تعالى لا يعطى النبوة ممن هو كما زعموا فلعنهم الله « بكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما » وذلك أن طائفة منهم قالوا انها حملت به من زنا فى زمن الحيض ، ومنهم من قال من زكريا عليه السلام . ومنهم من قال من ابن خالها يوسف النجار وكان يتعبد معها فى المسجد وظهرت معجزاته عليه السلام فى حال صغره .

ولما ترعرع عليه السلام همت به بنو اسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله تعالى الى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر(١) فذلك قوله تعالى « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » وقد اختلف المفسرون فى هذه الربوة ، فقيل محلة بيت المقدس وقيل أنهار دمشق ، وزعم أهل الكتاب أن ذلك بمصر ، وقيل الرملة .

ثم انها رجعت به الى بيت المقدس لما بلغ عمره ثلاث عشرة سنة ، ولما تنبأ كان له من العمر ثلاثون سنة على المشهور ، وأظهر من المعجزات

---

(١) من المؤكد أن عيسى عليه السلام لم يذهب الى « مصر » فى الصغر مع أمه — خلافا لروايات الاناجيل كما بينا فى كتاب اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة — ومن المحتمل أن يكون قد ذهب الى مصر ، بعد ارادة اليهود قتله وصلبه . وهذا احتمال قوى جدا وتؤيده الآثار التى تقول انه جاء الى مصر ، مع فارق الزمان والمكان .

الجمة كخلق الطير واحياء الموتى وغير ذلك ، وعمر عيسى عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة على المشهور وقيل عمره اكثر من ذلك (١) .

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد « قيل والأربعين سنة تبعث الرسل ، وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة ، فهذا لا يعرف به أثر متصل يجيب المصير اليه » انتهى .

وتوفيت أمه ولها من العمر احدى وخمسون سنة ، وقد عاشت بعد رفعه ست سنين ، ومفصل أحوالهما فى التفاسير والتواريخ ، من أراد ذلك فليرجع اليهما والله تعالى أعلم .

ولنرجع الى تفسير بقية الآيات التى نحن بصدد ذكرها . قال تعالى : « ويعلمه الكتاب » يعنى الكتابة والخط باليد « والحكمة » أى العلم والسنة وأحكام الشرائع « والتوراة والانجيل » وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة « ورسولا » بنى اسرائيل » أى ويجعله رسولا الى بنى اسرائيل وكان أول أنبيائهم يوسف أو موسى (٢) وآخرهم عيسى « أنى قد جئتكم بآية من ربكم » يعنى بعلامة على صدق قولى ، ولما قال ذلك لهم قالوا : وما هذه الآية ؟ قال أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله » قال ابن عباس انما خلق عيسى طائرا واحدا وهو الخفاش ، قيل انه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة ، وقيل كان يطير مادام الناس ينظرونه فاذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الله من فعل عبده ، وأبرء الأكمه وهو الذى يولد أعمى وقيل هو الاعمى وان كان أبصر وقيل هو

---

(١) فى انجيل يوحنا أن اليهود قالوا لعيسى عليه السلام ليس لك خمسون سنة بعد . وفهم منها بعض مفسرى الانجيل ان المسيح كان قريبا من الخمسين .

(٢) اليهود هم من ولد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . ويوسف هو ابن يعقوب . وموسى هو أول نبى صاحب شريعة فى بنى اسرائيل . وآخر أنبيائهم عليه السلام .

الاعشى وهو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل « والابرص » هو الذى به وضـــح ، وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام ، الطب (١) فأراهم المعجزة من جنس ذلك الا أنه ليس فى علم الطب ابراء الأكمه والابرص فكان ذلك معجزة له دليلا على صدقه « وأحيى الموتى » قال ابن عباس أحيى أربعة (٢) أنفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام ابن نوح وكلهم بقى وولد له الا سام ، وقيل كان دعاؤه باحيائهم ياحى يا قيوم باذن الله كرره لنفى تكرار الالوهية فيه ، فهو رد على النصـــارى « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » أى بما أكلتم البـــارحة من طعام وما خبأتم منه . وعن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قـــال بما تأكلون من المائدة أى المنزلة عليهم من السماء ، وما تدخرون منهـــا وكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فأكلوا وادخروا وخانوا فجعلوا قردة وخنازير ، وفى هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهذا اخبار عن المغيبات مع ما تقدم له من الآيات الباهرات واخباره عن الغيوب باعلام الله سبحانه اياه بذلك .

وأما اخبـــار المنجم والكاهن فلابد لكل واحد منهما من مقـــدمات يرجع اليها ويعتمد فى اخباره عليها ، وقد يخطىء فى كثير مما يخبرونه ولو كان شىء من ذلك عند المسيح عليه السلام لوصل الينا كما نقل عن

---

(١) لم يكن الطب غالبا على زمان عيسى عليه السلام . وانما كان علماء بنى اسرائيل فى زمانه يطوفون القرى والمدن بكتب السحر والتنجيم وطوالع الغيب ، ويوهمون المرضى بالشفاء بواسطة الأحجبة والتمائم والبخور والتفل فى الماء ورشه على جسد المريض وما شاكل ذلك . وبعض المرضى كانوا يشفون بالمصادفة أحيانا ، وبازالة الوهم من نفوســـهم أحيانا . فالله تعالى جعل معجزة المسيح من جنس ما كان يفعله العلماء فى زمانه ، وأيده بأنه كان يتم الشفاء على يديه . فيتعجب النـــاس من فعله ويعلمون أنه مؤيد من الله .

(٢) أحيا ثلاثة فقط ليس منهم سام .

غيره من أمثال ذلك « ان فى ذلك » المذكور من خلق الطير وغيره « لآية لكم » أى عبرة ودلالة على صدق « ان كنتم مؤمنين » أى مصدقين بذلك انتفعتم بهذه الآية « ومصدقا » أى وجئتكم مصدقا « لما بين يدى من التوراة » وذلك لأن الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وتسعمائة وخمس وسبعون سنة (١) « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » من الاطعمة كالشحوم وكل بعضهم بعضا وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة وتسعمائة وخمس وسبعون سنة (٢) « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » من الأطعمة كالشحوم وكل ذى ظفر ، عن وهب : أن عيسى كان على شريعة موسى وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبنى اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم واضع عنكم الآصار » وعن الربيع قال كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى لحوم الابل والشروب فأحلها لهم على لسان عيسى وحرم عليهم الشحوم فأحلت لهم فيما جاء به عيسى عليه السلام ، وفى أشياء من السمك وفى أشياء من الطير وفى أشياء أخر حرمها عليهم وشدد عليهم فيها فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الانجيل « وجئتكم بآية من ربكم » هى قوله « ان الله ربى وربكم » وانما كان ذلك آية على نبوته لأن من قبله من الرسل كانوا يقولون ذلك فمجيئه بما جاءت به الرسل دليل على نبوته ، ويحتمل أن تكون تكريرا لقوله « انى قد جئتكم بآية من ربكم » فهى اما تأكيد أو تأسيس (٣) « فاتقوا الله وأطيعون » يا بنى اسرائيل لأن طاعة الرسول من توابع تقوى الله « ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » يعنى التوحيد وفيه حجة بالغة على النصارى الزاعمين ألوهيته فكذبوه ولم يؤمنوا به « فلما أحس عيسى منهم الكفر » وأدركه وعرفه ،

---

(١) فى تواريخ النصارى ألف وخمسمائة وواحد وسبعون تقريبا على سبيل الظن .

(٢) كلام وهب صحيح لقول المسيح فى انجيل متى : « ما جئت لأنقض الناموس أو الانبياء » والمسيح أحل ما حرمه العلماء على الناس .

(٣) المراد بآية من ربكم : مجموع معجزاته .

واصل الاحساس وجود الشيء بالحاسة والمراد به هنا الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة بالكفر اصرارهم عليه ، سمع منهم كلمة الكفر ، وقال الفراء أرادوا قتله ، وعليه فمعنى الآية فلما أدرك عيسى منهم ارادة قتله التى هي كفر قال « من أنصارى الى الله » الانصار جمع نصير والى قيل بمعنى أو من أنصارى متوجها الى الله وملتجئا اليه أو فى السبيل الي الله تعالى ؟ « قال الحواريون » جمع حوارى وحوارى الرجل صفوته وخلاصته ، وهو مأخوذ لغة من الحور وهو البياض والحوارى الناصر أو الوزير ، واختلف فى سبب تسميتهم بذلك فقيل لبياض ثيابهم وقيل ثيابهم وقيل لخلوص نياتهم ، وقيل لأنهم خاصة الانبياء وكانوا اثنى عشر رجلا وهم أول من آمن به عليه السلام ، ولما قال لهم ذلك « قالوا نحن انصار الله » أى انصار دينه ورسله « آمنا بالله استئناف جارى مجرى العلة لما قبله ، فان الايمان يبعث على النصرة « واشهد » يا عيسى لنا يوم القيامة « بأنا مسلمون أى مخلصون لايماننا منقادين » لما تريد منا ، وبعد أشهدوه اقبلوا داعين متفرغين الى الله تعالى بقولهم « ربنا آمنا بما أنزلت » فى كتبك « واتبعنا الرسول » عيسى فى كل ما يأتى به « فاكتبنا مع الشاهدين » لك بالوحدانية ولرسولك بالرسالة ، واجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم ، به وقيل مع محمد ﷺ « ومكروا » أي الذين أحس عيسى عليه السلام منهم الكفر وهم كفار بنى اسرائيل اذ وكلوا به من يقتله غيلة أى خفية ومكر الله هو استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون . وقيل مكر الله مجازاتهم على مكرهم ، فسمى الجزاء باسم الابتداء للمشاكلة اذ أصل المكر الاحتيال والخدع فلا يسند الى الله هنا القاء شبه عيسى اليه . وقال السدى ان بنى اسرائيل حصروا عيسى فى بيت ومعه الحواريون فقال لهم : من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء ، فلذلك قوله تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » أى أقوالهم ومكرا وأنقذهم كيدا وأقدرهم على ايصال الضرر بمن يريد ايصاله من حيث لا يحتسب .

وفى سورة المائدة أيضا مما يتعلق بالمسيح عليه السلام ما ذكره سبحانه توبيخا للنصارى الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام

وقد كان طعن سائر الأمم مقصورا على الانبياء عليهم السلام وطعن هؤلاء تعدى الى جلال الله وكبريائه ، حيث وصفوه بما لا يليق بعاقل أن يصف الاله به ، فلا جرم ذكر تعالى نعمه على عيسى تقريعا للنصارى على سوء مقالتهم ، فان كل نعمة من النعم الآتية المعدودة تدل على أنه عبد وليس باله ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطن كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمة والابرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين »

قال الامام الرازى فى الروح القدس المتقدم فى الآية وجهان الأول هو جبريل عليه السلام فالروح جبريل ، والقدس هو الله تعالى كانه اضافة الى نفسه تعظيما له الثانى أن الأرواح مختلفة بالماهية فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرية ، ومنها خيرية ومنها نذلة ولهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام « الأرواح جنود مجندة » فالله تعالى خص عيسى بالروح الطاهرة النورانية المشرقة العلوية الخيرية » انتهى .

وقد اشبعنا الكلام على الروح القدس فى محل آخر من هذا الكتاب فراجعه ولا تغفل .

تتمة : قال العلامة ابن القيم عليه الرحمة فى كتابة هداية الحيارى .

فصـــل

« ونحن نبين أن النصارى لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة الا باقرارهم أن محمدا ﷺ رسول الله والا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح عليه السلام شىء من ذلك البتة ، فنقول اذا كفرتم معاشر المثلثة بالقرآن وبمحمد ﷺ فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ ومن نقل اليكم عنه آية أو معجزة ؟ فانكم انما تبعتم من بعده بنيف على مئين وعشرات من السنين ، أخبرتم عن منام رأى وشرعتم الى

تصديقه وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى لانه لا يقبل قول اليهود فيه ولا سيما وهم أعظم اعدائه الذين رموه بالعظائم فأخبار المسيح والصليب انما شيوخكم فيها اليهود ، وهم فيما بينهم مختلفون فى أمره أعظم اختلاف ، وانتم مختلفون معهم فى أمره ، فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه فى السجن أربعين يوما وقالوا ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه الا انه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان بداخله فى صنعة الطب عندهم . وفى الانجيل الذى بأيديكم أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه ، فمتى نتوافقون مع اليهود فى خبره ؟ واليهود مجمعة انه لم يظهر له معجزة ولابدت منه لهم آية غير أنه طار يوما وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم ، فعلاه فى طيرانه ، فسقط الى الأرض بزعمهم . وفى الانجيل الذى بأيديكم فى غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية ، فمن ذلك أن فيه منصوصا أن اليهود قالوا له يوما : ماذا تفعل حتى تنتهى به الى أمر الله تعالى ؟ فقال أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه ، فقالوا له : وما آيتك التى ترينا ونؤمن بك ، وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوى بالمفاوز ؟ قال ان كان أطعمكم موسى خبزا فأنا أطعمكم خبزا سماويا ، يريد نعيم الآخرة .

ولو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك . وفى الانجيل الذى بأيديكم أن اليهود قالت له ما آيتك التى نصدقك بها ؟ قال اهدموا البيت أبنيه لكم فى ثلاثة أيام فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا . ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ . وفى الانجيل الذى بأيديكم أيضا أنهم جاءوا يسألونه آية فقذفهم ، وقال « أن القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية فلا تعطى ذلك » وفيه أيضا أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم ان كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك ، يطلبون بذلك آية فلم يفعل ، فاذا كفرتم معاشر المثلثة بالقرآن لم تتحقق لعيسى بن مريم عندكم آية ولا فضيلة ، فان أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها لاختلافكم فى شأنه أشد الاختلاف وعدم يقينكم لجميع أموره ، وكذلك اجمعت اليهود

على أنه لم يدع شيئا من الألوهية التى نسبتم اليه ادعاءها وكان أقصى مرادهم أن يدعى ذلك ليكون أبلغ فى تسلطهم عليه ، وقد ذكر السبب فى استفاضة ذلك عليه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقى ذكره ، خافوا أن تصير عامتهم اليه ، اذ كان على سنن تقبلها قلوب الذين لا غرض لهم ، فشنعوا عليه أمور كثيرة ونسبوا اليه دعوى الالهية ، تزهيدا للناس فى أمره .

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف فى أمره ما يدل على عدم يقينهم بشىء من أخباره ، فمنهم من يقول انه كان رجلا منهم ويعرفون أباه من الزنا ، وهو البندير الرومى وأمه مريم الماشطة ، ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا وجد « البنديرا » عندها على فراشها أو شعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها ومن اليهود من رغب عن هذا القول ، وقالوا انما أبوه يوسف بن يهودا الذى كان زوجا لمريم ، ويذكرون أن السبب فى استفاضة اسم الزنم عليه أنه بينا هو يوما مع معلمه يهشوع ابن برخيا وسائر التلاميذ فى سفر ، فنزلوا موضعا وجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم ، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة يريد أفعالها فقال عيسى بزعمهم لولا عمش فى عينها ، فصاح يهشوع وقال له ، يا ممزار ترجمته يازنيم ، أتزنى بالنظر ؟ وغضب غضبا شديدا وعاد الى بيت المقدس وحرم اسمه ولعنه فى أربعمائة قرن ، فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب ، فقوى لذلك على اليهود ، وهو يومئذ فى ذمة قيصر تباديوش ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها الى أن كان من أمره ما كان ، وطوائف من اليهود يقولون غير هذا ، يقولون انه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت لهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ، فقوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له ما نظنك الا زنيم .

ومن اختلاف اليهود فى أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذى هو خطيب مريم يوسف بن يهود النجار وبعضهم يقول انما هو يوسف الحداد

والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل وأن زوجها يوسف بن يعقوب . قلت : وبعضهم يقول ان له اخوة وأخوات كما يشعر به ظاهر انجيلهم ، وبعضهم يقول يوسف بن آل ، وهم يختلفون أيضا في آبائه وعددهم الى ابراهيم ، فمن مقل ومن مكثر ، فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم فى نقل الصلب وأمره .

والا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وانما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه ، وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم ، فان صدقتموهم فى الصلب فصدقوهم فى سائر ما ذكروه ، وان كذبتموهم فيما نقلوه عنه ، فما الموجب لتصديقهم فى الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذى قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل صانه الله تعالى وحماه وحفظه ، وكان أكرم على الله عز وجل وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود ؟

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة من الأمم أشد اختلافا فى معبودها ونبيها ودينها منكم ، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمة وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهبا مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وأن المسيح بن مريم ليس بعبد صالح ولا رسول وأنه الله فى الحقيقة ، وأنه هو خالق العالم ومرسل الرسل والمظهر على أيديهم المعجزات ، وأنه نزل ودخل بطن مريم ثم ولد وصلب ثم مات وقبر وقام بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، ثم اختلفوا وصاروا فرقا كثيرة ، فمنهم اليعقوبية اتباع يعقوب البرادعى ولقب بذلك لأن لباسه كان من خروق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها ، وعقيدتهم أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومنهم الملكية وهم الروم نسبة الى دين الملك ، لا الى رجل يدعى ملكايا ، وعقيدتهم ان المسيح طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ، وله مشيئتان . ومنهم النسطورية وعقيدتهم أن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ، ومنهم الآريوسية وهم أتباع آريوس ، وعقيدتهم أن المسيح كسائر الانبياء وهو مربوب ومخلوق وكان النجاشى على هذا المذهب ، فهذه أقوال أعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من

النصارى المثلثة ، فبعث الله نبينا محمدا ﷺ بما أزال الشبهة فى أمره وكشف الغمة وبرء المسيح وأمه مما افتراه المثلثة واليهود أهل العناد والجحود .

فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح بن مريم الذى هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا فان هذا المسيح الذى أثبتته اليهود من شرار خلق الله تعالى والمسيح الذى أثبتته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة ، ويستحيل أن يدخل فى الوجود أعظم استحالة . ولو أمكن وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول ، فان استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ، ولو صح ما يقولون لبطل العالم واضمحلت جميع المخلوقات ولا تعجب من اطباقهم على هذا المحال فان كثيرا من الأمم قد أجمعوا أيضا على الكفر والضلال .

انتهى بتلخيص لبعض المحال .

قال العلامة ابن القيم .

فصـــــل :

لو لم يظهر نبينا محمد ﷺ لبطلت نبوة سائر الانبياء ، فظهور نبوته تصديق لشهادتهم ، وشهادة لها بالصدق ، فارساله من آيات الأنبياء قبله ، وقد أشار سبحانه وتعالى الى هذا المعنى فى قـــوله « بل جاء بالحق وصدق المرسلين » فان المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه هو نفس صدق خبرهم ، فكان مجيئه تصديقا لهم (١) اذ هو تأويل ما أخبروا به ولاتنا فى بين هذا وبين القول الأخر أن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وايمانهم ، فانه صدقهم بقوله ومجيئه ، فشهد بصدقهم بنفس مجيئه ، وشهد بصدقهم بقوله . ومثل هذا قول المسيح « ومصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » فان التوراة لما بشرت به وبنبوته كان ظهوره تصديقا لهم ، ثم وبشر برسول يأتى من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا للتوراة ، فعادة الله عز وجل فى رسله أن

---

(١) على هذا المعنى يكون « وأيدناه بروح القدس » أى أيدناه بمحمد ﷺ فهو مذكور عندهم « بيركليت الروح القدس » (يوحنا ١٤)

السابق يبشر باللاحق ، واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ ولو لم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله . والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره وقد كان بشر ابراهيم عليه السلام وهاجر ببشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت الا بظهور رسول الله ﷺ ، فقد بشرت هاجر من ذلك ما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم بنت عمران بالمسيح عليه السلام .

على أن مريم بشرت به مرة واحدة وبشرت هاجر باسماعيل عليه السلام مرتين ، وبشر به ابراهيم مرارا ، ثم ذكر سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الأنبياء ، ففى التوراة أن الله تعالى قال لابراهيم « قد أجبت دعاك فى اسماعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته جدا جدا ، وسيلد اثنى عشر عظيما وأجعله لأمة عظيمة » هكذا ترجمه بعض المترجمين ، وأما فى الترجمة التى ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود فانه يقول « وستلد اثنى عشر أمة من الأمم » وفيها : لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملاك الله ، وقال « يا هاجر أمة سارة ، من أين تقبلت ؟ والى أين تذهبين ؟ قالت : أهرب من سيدتى فقال لها الملك : ارجعى الى سيدتك واخضعى لها ، فانى ساكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا تسميه اسماعيل لأن الله قد سمع تذللك وخشوعك ، وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته» وفى موضع آخر قصة اسكانها وابنها اسماعيل فى برية فاران ، وفيها : فقال لها الملاك يا هاجر ليفرج روعك ، فقد سمع الله تعالى صوت الصبى ، قومى فاحمليه وتمسكى به فان الله جاعله لأمة عظيمة ، وان الله تعالى فتح عليها فاذا ببئر ماء ، فذهبت وملئت المزادة منه ، وسقت الصبى منه وكان الله معها ومع الصبى ، حتى تربى وكان مسكنه فى برية فاران »

فهذه أربع بشارات خالصة لام اسماعيل نزلت اثنتان منها على ابراهيم واثنتان على هاجر ، وفى التوراة بشارات باسماعيل وولده وأنهم أمة عظيمة جدا وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون ، وهذه البشارة انما تمت بظهور سيدنا محمد بن عبد الله وأمته وأن بنى اسحاق

لم يزالوا مطرودين مشردين خولا للفراعنة والقبط ، حتى أنقذهم الله تعالى بنبيه وكليمه موسى بن عمران عليه السلام وأورثهم أرض الشام فكانت كرسى مملكتهم ، ثم سلبهم ذلك وقطعهم فى الأرض أمما مسلوبا عزهم وملكهم ، قد أخذتهم سيوف السودان وعلتهم أعلاج الحمران ، حتى اذا أظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت وانتشروا فى آفاق الدنيا ومدت وعلت بنو اسماعيل على من حولهم فهشموهم هشما وطحنوهم طحنا وانتشروا فى آفاق الدنيا ومدت الأمم أيديهم اليهم بالذل والخضوع وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالبة والخزر ، وملكوا ما بين الخافقين ، وحيث ملتقى أمواج البحرين ، وظهر ذكر ابراهيم على ألسنة الأمم كلها فليس صبى من بعد ظهور النبى ﷺ ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا انثى الا وهو يعرف براهيم وآل ابراهيم .

وأما النصرانية وان كانت قد ظهرت فى أمم كثيرة جليلة ، فانه لم يكن لهم فى محل اسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة ولا صارت أيدى هذه الأمة فوق أيدى الجميع ولا امتدت اليهم ، ويفيد مجموعها العلم القطعى بأن المراد بها سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وأمته فانه لو لم يقع تأويلها بظهوره عليه الصلاة والسلام ، بطلت تلك النبوات ، ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب انه لا يمكن الايمان بالأنبياء المتقدمين الا بالايمان بالنبى اذا بشروا به ، قالوا نحن فى انتظاره ولم يجىء بعد ، ولما علم بعض الغلاة فى كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبى فى ولد اسماعيل أنكر أن يكون لابراهيم ابن اسمه اسماعيل ، وأن هذا لم يخلقه الله تعالى . ولا يكثر على أمة البهت واخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك » انتهى .

قال النصراني : « فلنخبر الآن ملخصـــا كيف كان ابتداء الدعوة ؟ » فنقول : لما أتت على سيدنا يسوع المسيح ثلاثون سنة ، وظهر يحيى بن زكريا بتلك المعمودية بماء نهر الأردن التى للتوبة صار اليه المسيح ليصطبغ منه ، فلما رآه يحيى ، قال : هذا حمل الله الحامل خطايا العالم ، ثم قال يا سيدى أنا محتاج أن أطهر منك وأنت صرت الى لتنطر منى ؟ فأجابه يسوع قائلا : دع الآن لأنه هكذا يجب علينا أن نكمل كل البر ، ثم لم يزل مجتهدا حتى عمده فلما صعد المسيح من الماء انفتحت أبواب السـماء فظاهرا مكشوفا تجاه العالمين الذين كانوا هناك ، فرأوا الروح القدس قد حل عليه فى صورة حمامة ، واذا بهاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت ، فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من حضر ، ثم ابتدا فى اظهار دعوة الناس بعد ذلك الى اليوم الذى طلع فيه الى السماء وحثهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الأهلى والولد والأموال واللحوق به والترغيب فى أعمال البر والكف عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف الى كل واحد ، وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائل والأخذ بالثار وترك المكافاة عن الاساءة والصفح عنها والتفضل على كل أحد بما هو حسن ، واعلمهم أن هذا يقربهم الى الله تبارك اسمه ، وحثهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الأجر فى دار المآب التى لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها ، وأنذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب ، فمن عمل صالحا فله ثواب ذلك فى ملكوت السماء ومن عمل شرا فعليه العقاب فى نار جهنم خالدا فيها أبدا ، وحقق قوله بعمله الأعاجيب وصدق وعده ووعيده بالايات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التى لا يمكن المخلوقين أن يأتوا بمثلها . وذلك بغاية الرفق والتواضع والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من فعل الشيطان وأشباهه ، واظهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة ، وبذله كل ما سئل او طلب منه لا يطلب على ذلك من احد أجرا ولا شكرا الا تمجيد الله وتحميده والتصديق بأن الله جل وعز قد انجز وعده على السن أنبيائه وأكمل وجوده وتفضله على آدم وذريته ، اذ بعث اليهم كلمته متجسدا منهم وانقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفسه انه اله

واحد ذو ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس ، فكان أول ما دعاهم به قوله : « توبوا أيها الناس قد دنا ملكوت السماء (١) فاوعى فى آذانهم ذكر التوبة والبعث الذين لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغبهم فى ملكوت السماء ، ليعملوا أعمالا لا يستحقون بها الدخول اليها وزهدهم فى الأفعال التى كانوا مقيمين عليها الرجوع عنها الى الأمر الذى يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام أربعين يوما بلياليهم تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له ، وهو يجاهد فى صومه كيد الشيطان معرفا للناس أن الله تبارك اسمه قادر على ان يحيى الانسان بغير خبز ولا ماء ممثلا فى ذلك حال حياتنا بعد الموت فى القيامة وأنه فى ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلها ويحيا بلا أكل ولا شرب » انتهى .

أقول لا يخفى على كل من نظر هذه الكلمات وتدبرها بقلب سليم خال عن اتباع الهوى الشهوات وسيئى الضلالات ، أنها مصرحة بعبودية عيسى عليه السلام لذى الجلال والاكرام ، وانه تنبأ عندما جاءه روح القدس كالحمامة لأنه لو كان حالا فيه من بطن أمه لما جاءه على تلك الصورة بعد ثلاثين سنة من مولده ، ولو كان الها لما جاهد فى صومه كيد الشيطان ، فتأمل فى تهافت هذا الملفق وتناقض كلماته التى لا طائل تحتها ، وتذكر ما حررناه لك فى رد متشابهاته وشبهاته ولا تغفل عن محالها .

ولنتكلم على بعض كلماته ولنظهر مدفون شىء من هفواته .

قوله « بتلك المعمودية » لا يخفى عليك أن النصارى لهذه الآية الانجيلية ونحوها صار الاصطباغ عندهم بماء المعمودية حكما مفروضا عليهم ، وانا أن سلمنا أن الاصطباغ أمر مشروع لهم ، نقول كيف صار بدل الختان من غير مشروعيته ؟ اذ ليس فى الانجيل أنه بدل الختان لا سيما ويحيى عليه السلام وسائر الأنبياء الكرام وبنو اسرائيل الخاص والعام اختتنوا فلو كان الاصطباغ به بدلا لامر يحيى بترك بنى اسرائيل ،

---

(١) النصرانى يضلل فى حقيقة الملكوت ، فان الملكوت اشارة الى شريعة محمد ﷺ ومجده وسلطانه على الأرض .
(انظر كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل)

مع أنه لم يأمر بذلك هو ولا عيسى عليهما السلام ، فتبين أن هذا الحكم لم ينزل الله به سلطانا فى جميع القرون « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

قال الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان نصرانيا وأسلم سنة ٨٢٨ هجرية فى كتابه تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ما لفظه : « الباب الثالث فى بيان فساد قواعد دين النصارى وهى التى لا يرغب عنها منهم الا القليل ، وعليها اجماع جمهورهم ، ونبين الرد عليهم بنص أناجيلهم فى كل قاعدة من قواعدهم : اعلمها رحمكم الله تعالى أن قواعد دين النصارى خمسة وهى التغطيس والايمان بالتثليث واعتقاد التحام أقنوم الابن فى بطن مريم والايمان بالقربان كيف ينبغى أى العشاء الربانى وهو أكل لحم المسيح والاقرار بجميع الذنوب للقسيس .

القاعدة الأولى : اعلموا رحمكم الله تعالى أن لوقا قال فى انجيله أن عيسى عليه السلام قال من تغطس دخل الجنة ومن لم يتغطس فله جهنم خالدا فيها فمن أجـــل ذلك يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة الا به فيقال لهم ما تقولون فى ابراهيم وموسى واسحق ويعقوب وجميع الانبياء عليهم السلام هم فى الجنة أم لا ؟ فلابد أن يقولوا هم فى الجنة ، فيقال لهم كيف دخلوها ولم يتغطسوا ؟ وجوابهم عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن ذلك ، فيقال لهم فما تقولون فى آدم ونوح عليهما السلام وذريته لصلبه ، فانهم لم يختتنوا ولم يتغطســـوا سواقط مع أنهم فى الجنة أيضا بنص أناجيلكم واجماع علمائكم ؟ وليس لهم عن هذا جواب قطعا . واعلموا أن هذا الحكم وهو التغطيس مما افتعلوه فى أناجيلهم افتراء على الله ورسوله ، وصفته أن فى كل كنيسة حوض رخام أو نحوه يملأه القسيس ماء ويقرأه عليه ما تيسر من الانجيل ويرمى فيه ملحا كثيرا وشيئا من دهن البلسان ، فان كان الذى يريد أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ، يشهدوا عليه بزعمهم بين يدى الله تعالى بالتغطيس ، ويقول له القسيس عند دخوله الحوض يا هذا اعلم أن التنصر هو أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة وتعتقد أنك لا يمكن لك دخـــول

الجنة الا بالتعطيس ، وأن ربنا عيسى ابن الله ، وأنه التحم في بطن أمه مريم فصار انسانا والها فهو اله من جوهر ابيه وانسان من جوهر أمه أمه وأنه صلب ومات وعاش وصار حيا بعد ثلاثة أيام من دفنه وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، ويوم القيامة هو الذى يحكم بين الخلق ، وانك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة ، فهل آمنت بهذا كله ؟ فيقول المتنصر : نعم وحينئذ يأخذ القس صفحة من ماء ذلك الحوض ويسكبها عليه ، وهو يقول له وانا نعطسك باسم الآب والابن والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بالمنديل وينصرف ، وقد دخل دين النصارى ، وأما تعطيس أولادهم فهو فى اليوم الثامن من ولادتهم ، فيجىء بهم آباءهم الى الكنيسة ويضع الولد بين يدى القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره بتقرير عقائدهم عليه ويجيب عنه أبوه وأمه بقولهما : نعم يا ، ثم يحملان ولدهما . وقد تنصر فهذه صفة تعطيسهم .

واعلموا أن هذا الماء يضعه القسيس فى أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواما ولا ينتن ولا يتغير ، فيتعجب عوام النصارى من ذلك ويعتقدون أنه من بركة القسيس والكنيسة ، ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان ، وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء والقسيس لا يضعهما فيه الا ليلا أو فى وقت لا يراه أحد من عامة النصارى ، وقد كنت صنعت هذا وغطست كثيرا منهم فى وقت الضلال ، والحمد لله الذى أخرجنى من الظلمات الى النور ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين » انتهى المراد منه .

ثم انهم اخترعوا أيضا معمودية الاطفال وهم فى بطون أمهاتهم ربات الحجال ، واختلفوا أيضا فى حكم التعميد ، ولنذكر لك ما قالوه فى كتبهم ليتضح لك الحال : قال المعلم ميخائيل مشاقة النصرانى فى كتابه البراهين الانجيلية ما لفظه : « ولكنى فى المسألة أتكلم سرا فى آذان أحبابنا اليسوعيين ، هل أن المسيح قد أمرهم بمعمودية الاحتقان للاطفال قبل خروجهم من بطون أمهاتهم بواسطة الطلومية خشية عليهم من الموت قبل

الولادة ؟ ألعلهم أشفق على الطفل من الخالق أم يقصدون مغالبته ويخطفونه من يده قبل أن يميته ؟ فليخجلوا من أعمالهم هذه » انتهى بحروفه .

واعلم أن النصارى قد اختلفوا فيما بينهم فى أحكام هذه المعمودية ، فلنذكر لك كلام البروتستانتى المعلم ميخائيل فى كتابه الدليل ما لفظه « الباب الثانى عشر فى الولادة الجديدة : ان كنيسة رومية مع كنائس أخر تعتقد أن الولادة الثانية يحصل عليها الانسان بالمعمدوية بالماء ، وأن هذا الماء هو الذى يصدر نعمة الروح القدس بتلاوة المعمد صورة الكلام الذى قاله السيد لتلاميذه فى انجيل متى : « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (ص ٢٨) مع سكب الماء على رأس المعتمد أو تغطيسه فيه على رأى الكاثوليكيين أو تغطيسه فقط على رأى الروم ، وأما الانجيليون — يعنى البروتستنت — فلا يسلمون بذلك ، بل بما يقتضيه تعليمهم وهو أن المعمودية تشير الى نعمة الروح القدس لا أنها هى تصدرها وأن الولادة الثانية هى تجديد القلب المقترن بالايمان لأن التغطيس فى الماء مع عدم تجديد القلب والايمان الصادق لا يفيد شيئا عندهم ، وبراهينهم من الكتب كقول يوحنا الانجيلى فى رسالته الأولى « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فانه مولود من الله لان كل ما ولد من الله يغلب العالم والغلبة التى بها يغلب العالم هى ايماننا » وقول بولس فى رسالته « لأنكم أنتم جميعا أبناء الله بالايمان الذى يسوع المسيح » فهذه من أدلة الانجيليين — أى البروتستانت — أن الولادة الثانية انما تقترن بالايمان ، لذا قال بولس الرسول عن المؤمن انه ليس الآن عبدا بل ابنا ، واذ هو ابن ، فوارث بالله » (غل ٤) وتعليم الكنائس الانجيلية بهذا ليس على أنها تنكر سر المعمودية بل هى تعتقد أنه سر الهى ، ولذلك قالوا يلزمنا أن نفهم هذا السر كما علمنا عنه المسيح لا كما يريد أن يعلمنا اياه البابا لأن المعمودية بدون تجديد القلب لا تفيد شيئا ، لان الله ينظر الى قلوبنا ونياتنا الصالحة لا الى غسل أجسادنا بماء المعمودية .

ثم نقول : لو كانت المعمودية بالماء هى التى تصدر الروح القدس ، لزم من ذلك عدم انفكاكه عنها فى وقت ما ، فالكاثوليكيون يزعمون عدم

وجود الروح القدس عند الخارجين عن كنيستهم لكونهم أراتقة ، ومع هذا يقبلون فى شركتهم بكل من يأتى اليهم من جميع الطوائف الخارجة عن معتقدهم ولا يعيدون عمادهم ، بل يصادقون على صحته ، وبذلك ينقضون قولهم بعدم وجود الرح القدس عند الأراتقة ، وأن صححوا نفيه من عندهم فينقضون قولهم ان المعمودية تصدر الروح القدس ، وعلى الحالين واقعين تحت الغلط ، وأما الكتب المقدسة فهى تعلمنا بخلاف تعليمهم ، وهى أن المعمودية تشير الى موهبة الروح القدس ، وهى ختم وعلامة للمؤمن ، وأن الروح القدس قد يوجد بدون المعمودية ، كما أن المعمودية قد تكون بدون الروح القدس . مثال الأول : ما حصل عليه اللص من النعمة بدون معمودية ، وهذا يحقق أنه حصل على الولادة الثانية بفعل الايمان دون غسل الجسد بالماء ، ومثال الثانى : ما ورد فى سفر الأعمال حيث يقول : « فلما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن أهل السامرة قد قبلوا كلمة الله أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا فأتيا وصليا عليهم كى يقبلوا الروح القدس لأنه لم يكن حل على أحد منهم بعد ، وانما كانوا اصطبغوا باسم الرب يسوع فقط »(٨) فهذا النص الصريح يحقق أن هؤلاء المعتمدين لم يحل عليهم الروح القدس بمجرد اعتمادهم .

ثم ان جميع الكاثوليكيين يعتقدون بقداسة المباركة مريم العذراء وأنها مبررة من الخطيئة الأصلية ، ومع ذلك يقولون انها اعتمدت ، فاذا كان العماد لأجل نوال موهبة الروح القدس بواسطته ، فما هو الموجب لعمادها ؟ لأن الروح القدس قد حل عليها وتقدست وامتلأت من النعمة من حين ما بشرها الملاك ، وهل يجوز لنا الاعتقاد بأنها كانت عادمة التقديس وتعمدت لتنال موهبة الروح القدس ؟ وهل يوجد اعتقاد متناقض كاعتقاد الكاثوليكيين بهذه القديسة المباركة لأنهم من الجهة الواحدة يبررونها من الخطيئة الاصلية بقولهم انه حبل بها بلا دنس ومن الجهة الثانية يضعونها فى مصاف الخطاة لكى تنال محو خطاياها ، وتنال نعمة الروح القدس بواسطة المعمودية ؟ فلا أعلم بأى قاعدة منطقية أجاز واجمع النقيضين » انتهى باقتصار .

قلت والأغرب أن فى كتاب أمجاد مريم فى صحيفة (٣٧٥) قال ما لفظه : « ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة انواع فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره » انتهى بلفظه ، فكيف احتاجت للتعميد والاله متحد بها ؟ ولا أظنهم يقدرون على جواب ذلك ولو بباطل ، كما أجابوا عن تعمد المسيح عليه السلام من يحيى انه انما تعمد ليتمم الناموس ، ويعلم الناس المعمودية ، وان كان لا يجديهم هذا الجواب نفعا .

فاذا علمت اختلافهم هذا فى أمر المعمودية التى افتخر هنا بها عبد المسيح تبين لك أن ما اعترض به فى كتابه هذا علينا من اختلافنا فى عدد تكبيرات العيد ، أمر لا يذكر بالنسبة الى اختلافهم فى شأن المعمودية وغيرها من مسائلهم الاعتقادية فلا تغفل .

قوله : « حمل الله الحامل لخطايا العالم » قال مفسرهم فى « تيسير الوسائل الى تفسير الرسائل » المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٣ فى الصحيفة ١٦٣ ما لفظه : « اعلم أن المسيح حمل الله شبه بخروف الفصح من وجوه : أولها : كون خروف الفصح برشاش دمه على أسكفة أبواب اليهود خلصهم من الملاك الذى ضرب أبكار مصر ، هكذا المسيح فانه برشاش دمه على قلوبنا بالايمان والأسرار خلصنا من الموت الأبدى ، ثانيا : كون ذلك الخروف الذى كان يذبح كل سنة فى الفصح كان خاليا من كل عيب ، هكذا المسيح فانه لم يعرف الخطيئة ولا تسلطت عليه ، فقد كان بارا قدوسا ، ثالثها : كون ذلك للخروف كان يذبح فى أربعة عشرة قمر نيسان ، والمسيح ذبح فى مثل هذا الوقت » انتهى .

فانظر الى هذا التناقض والاعتقاد المنكر الذى لا يقبله ذو عقل سليم ، اذ كيف يذبح نفسه اله العالم لخلاص شرذمة قليلة من عبيده بنى آدم ؟ ولم لم يخلصهم من غير قتل نفسه من نار جهنم ؟ وليت شعرى كيف ساغ لهم هذا القول مع اعتقادهم أن جميع العالم فى النار سوى الشرذمة القليلة التى آمنت بالمسيح ؟ فكيف يقال انه حامل لخطايا العالم ؟

وكيف يصير الباري تعالى حملا يحمل خطاياهم ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ولا حاجة الى الاطناب فى بطلان هذا القول الذى لا تقبله أرباب العقول لا سيما وقد تكرر لك تفصيل رده فتذكر .

قوله « تجاه العالمين » الى آخره . لا يخفى أنه لو كان كذلك لما كفر به عليه السلام من كفر ولو كان لفظ الابن يستلزم الألوهية لكان اسرائيل الها لما فى التوراة « اسرائيل ابنى بكرى » ثم العجب من تعجب يحيى أنه الى ذلك الآن لم يعرف الهة بزعمهم .

قوله « ثم ابتدأ فى اظهار دعوة الناس » الى آخره ، أما نبوته وزهده ونصائحه عليه السلام فأمر مسلم عند المسلمين ، وفى القرآن العظيم وكلام النبى الكريم ما يزيد على هذه النصائح بشىء كثير ، مما لو أردنا استقصاءه لطال الكلام وخرجنا عن الصدد والمرام .

قوله « وعرفهم نفسه أنه اله واحد ذو ثلاثة أقانيم » الى آخره ، العجب من هذا التعريف المتهافت المتناقض ، ويكفى فى رده ما سيذكره بعد أسطر من صومه عليه السلام أربعين يوما ومجاهدته للشيطان ، فالعجب أن الاله يتقرب الى اله هو هو بذاته وصفاته ويجاهد الشيطان الذى هو من جملة مخلوقاته ويتعبد لله ويتعبد له الملائكة بزعمهم ، فالمعبود عابد والعابد معبود ، هذا هو المحال المردود .

ثم أعجب العجب أن النصارى لم يكتفوا بجعل الاقانيم ثلاثة بل جعلوها أربعة وصرح علماؤهم بذلك فى تصنيفاتهم كما فى كتاب أمجاد مريم تصنيف الفونسوس ليكورى المطبوع فى رومية سنة ١٨٢٧ فى صحيفة ٣٧٥ ما لفظه : « ان البتول القديسة لكى تصير والدة الاله قد احتاجت لأن ترتقى الى مرتبة التساوى على نوع ما بالاقانيم الالهية ، لهذا يقول بطرس واميانوس ان الله يوجد متحدا مع خلائقه على أربعة أنواع ، فاتحاده مع مريم البتول هو اتحاد ذاتى ، لأنه تعالى هو نظيرها وهى نظيره ، فمن ثم يهتف هذا القديس قائلا : لأن الله يسكن فى البتول ومعها يحوى جوهر طبيعة واحدة هى ذاتها » انتهى فلا تغفل .

ثم انا وان كنا بينا بطلان هذه المقالة مرارا عديدة وسردنا الأدلة الواضحة على فساد هذه العقيدة غير أنا نذكر أيضا هنا براهين مجملة من تلك الايرادات المتقدمة المطولة ، لئلا يخلو كلامه هنا عن ردنا له . فاعلم أن النصارى قالت ان الله تعالى عن كفرهم جوهر وله صفات ثلاث وجود وعلم وحياة ، والثلاث أقانيم يعنون أنهم أصول ، فأقنوم الوجود هو الآب ، وأقنوم العلم هو الابن ، وأقنوم الحياة هو روح القدس ، ويقولون فى ابتدائهم ومكاتباتهم بسم الآب والابن وروح القدس اله واحد والثلاثة جواهر مستقلة . قالوا فأقنوم العلم اتحد بجسد عيسى وجسد عيسى كالدرع له .

ثم اختلفوا فقالت الملكية أو بعضهم ان المسيح عبارة عن شيئين ناسوت ولاهوت ، وكل يصدر مما يليق به من الاكل والشرب والصلب والموت ونحوه واحياء الموتى وابراء الأكمة . وقالت اليعقوبية : انهما صارا شيئا واحدا فانقلب اللحم والدم قديما ومات جملة ثم أحيا نفسه وصعد الى السماء . وقالت النسطورية : أن جسد عيسى كالمرآة تجلى فيها اللاهوت من غير حلول . وهذه الثلاث طوائف هم الباقون من طوائفهم الكثيرة جدا . ولهم اختلافات كثيرة . فنقول فى الرد عليهم : ما يعنون بالجوهر القابل للقسمة أو الفرد الذى لا يقبلها ؟ ولا ثالث لهما . والأول محال على الله تعالى والثانى متحيز ، وهو منزه عن التحيز .

فان قالوا : نعنى القائم بذاته الذى لا يحتاج الى ما يقوم به كما تقولون أنتم فى الذات . قلنا : فيرجع النزاع لفظيا ، ولم تدوموا على ذلك لأنكم تقولون فى المسيح : هو المنبثق من جوهر أبيه ورجع النزاع بيننا وبينكم معنويا ، وأيضا : ما وجه حصر الصفات فى العلم والحياة مع أنه سميع بصير قادر متكلم الى غير ذلك من الصفات فان قالوا هذه صفات نفسية . ونعنى بالنفسية ما يكون للشىء فى نفسه ، فان الحياة والوجود للذات لا غير ، والعلم ، وان تعلق بالغير فهو متعلق بالذات لأنه يعلم ذاته بخلاف القدرة فانها متعلقة بالغير ليس الا قلنا : فالبصر كالعلم لأنه كما يبصر غيره يبصر نفسه كما قلتم فى العلم ، وكذا السمع والبقاء كالوجود لأنه لا يتعداه .

وأيضا قولهم ان الكلمة اتحدت بعيسى باطل قطعا كفر بلا شبهة خالفوا فيها جميع الملل ، فنقول فى الرد عليهم الكلمة عندكم هى العلم فلما اتحدت بجسد عيسى ، هل انفصلت عن موصوفها أو اتحدت مع بقاء الانفصال ؟ لا ثالث لهما . فان كان الأول يلزم نفى العلم عن ذلك الجوهر ، أو أنه يعلم وهو قائم بغيره وهو محال عند العقلاء وعندكم أيضا ، وان كان الثانى لزم أن لا يكون أقنوما اذا الذات الواحدة لا تقوم بجوهرين فى حالة واحدة ، فان قالوا قامت بالجوهر الأول بمعنى ، وبالجوهر الثانى بمعنى آخر قلنا : لاخبط فوق هذا لأن حاصله أنها باقية صفة لموصوفها ووجد شىء من آثارها فى الجوهر ، فاين الاتحاد والحلول اللذان يزعمونهما .

ثم اذا طولبتم على هذا بدليل لاتجدونه عقلا وهو واضح ولا نقلا اذ ليس فى شىء من الكتب المنزلة فكر الاتحاد ولا الحلول ، وأيضا أنتم تزعمون أن الاله لابد له من صفتين العلم والحياة وتزعمون أن المسيح اله ، فيلزم أن يقوم به اقنوم الحياة وهذا اللازم باطل عندكم ، وأيضا لم خصصتم العلم بالمسيح ؟ ولم لم تقولوا أن المتحد به اقنوم الحياة قال بعضهم وجدنا اثار العلم فيه قلنا ووجدتم آثار الحياة من احياء الموتى لان القدرة عندكم ترجع الى صفة الحياة وأيضا فهل تجيزون اتحاد العرض الحادث بالجوهر الحادث حتى يكونا شيئا واحدا فان قالوا لا لزم أن يقولوا بعدم الاتحاد فى محل النزاع ، وان أجابوا بأن أحكام الأعراض مباينة لأحكام الجوهر ، فامتنع لهذا ، قلنا : وأحكام الناسوت أكثر تبيانا لأحكام اللاهوت من تباين الجوهر والعرض فى الاحكام ، وأيضا اذا اتحد اقنوم الجوهر القديم بالجسد الحادث ، لزم جواز اتحاد صفة الجسد الحادث بالجوهر القديم ، وهو باطل عندكم .

قالوا الأقنوم يشرف الجسد واتحاده بالجوهر ينقصه ولا بعد فى تشريف الناقص دون تنقيص الشريف . قلنا فيلزم تنقيص العلم باتحاده بالحادث .

قال الامام : « ومن القواصم لهم أن يقال هل يجوز اتحاد العلم بغير جسد المسيح ؟ فان قالوا « لا وهو قولهم ، قلنا فالوجوه التى منعتم بها

واحلتم جارية فيه من غير فرق فخبطوا فى الجواب ، فمن ذلك قول بعضهم المسيح انسان كلى ليس بجزئى ، وهذا شىء لا يعقل معناه ، هذا ما يقال على سبيل الاجمال واما التفصيل فيقال للملكية : اما أن تقولوا بالاتحـــاد حقيقة أو بالمجاورة تطلقون لفظ الاتحاد عليها مجازا ؟ فان قلتم بالاول فانما هو قولكم بالشيئين وبالتدرع وصدور الأثر عن كل ما يليق به كما مر ، وان قلتم بالمجاورة لزم تحيز الاله وكونه جسما له مكان كان فيه بعد أن لم يكن فيه والانتقال من حالة الى حالة وكلها عندكم محال وعند العقلاء . ويقال لليعقوبية : فقد كفيتم خصمكم مؤنة البحث وصرتم الى محال عظيم ، ليت شعرى من دبر السموات والارض أيام موت الاله ؟ من أحياء بعد موته وهو محيى الموتى ؟ ويقال للنسطورية الجسم الصقيل اذا أظهر فيه ما يقابله أما أن يقال لا يتعلق به شىء من المقابل بل الرائى انما يرى صورته بالانعكاس ، أو ينطبع فيه صورة المقابل على المذهبين ، وكلاهما عندكم باطل بالنسبة الى محل النزاع ، اما الاول فلان المسيح قبل هذا وبعده هو هو لا زيادة فيه من حيث هو وأنتم لا تقولون بذلك ، وأما الثانى فهو قول بقية النصارى فليس مذهبا أخر .

وأما ابراؤه الأكمه والأبرص ونفخ الطير فصار حيوانا واحياء الموتى ونزول المائدة ونحو ذلك ، وهو وان كان من آثار الالوهية ولكن الصدور عنه لا يدل على القدرة عليه ، وهو ظاهر بدليل أن موسى عليه السلام قلب العصا حيوانا حيا وغيره من معجزات الانبياء ، وقد قال فى الانجيل انه يختلف حال عيسى بالنسبة الى وطنه وغربته فى الآيات ولو دل الصدور على ما أدعيتم لزم أن تقولوا فى موسى مثل ما قلتم فيه ، وكذلك غير موسى ممن نقلتم معجزاتهم فى كتبكم وهو كثير .

وحكى الخازن فى تفسيره : « ان بعض العلماء قال للنصارى : لم تعبدون عيسى عليه السلام ؟ قالوا لأنه لا أب له ، قال فآدم أولى لانه لا أب له ولا أم ، قالوا : وكان يحيى الموتى ، فقال حزقيال أولى لأن عيسى أحيا أربعـــة نفر وأحيا حـــزقيال أربعة آلاف ، قالوا : وكان يبرىء الأكمه والابرص ، قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سليما » انتهى .

ولنا أيضا على ابطال الاتحاد مطلقا وهو أن يصير الشيئين شيئا آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينضم اليه شيء . وهذا المعنى الحقيقى باطل بالضرورة ، فان الاختلاف والتغاير بين الماهيتين وبين الهويتين وبين الماهية والهوية اختلاف وتغاير بالذات ، فلا يعقل زواله كسائر لوازم الماهيات .

وهذا الحكم مع وضوحه انما يزداد توضيحه بنوع تنبيه : فيقال أن عدم الهويتين بعد الاتحادين حدث أمر غيرهما فلا اتحاد بينهما بل هما قد علما وحدث هناك أمر ثالث غيرهما وأن عدم أحدهما فقط فلا اتحاد أيضا اذ لا يتحد المعدوم بالموجود بديهة ، والا كان موجودا ومعدوما معا ، وان وجدا أعنى بقيا موجودين بعد الاتحاد فهما بعدة اثنان متغايران كما كانا كذلك قبله ، فلا اتحاد أيضا .

وقال شيخ الاسلام شمس الدين السباطى فى مقدمته : ان المتحدين على زعم من زعمه اما أن لا يتغير بحال الاتحاد شيء منهما أو يتغير ، والمتغير اما الذات أو الصفات والكل محال ، أما الأول فخلاف الاتحاد اذ لا معنى للاتحاد مع بقاء كل على حاله ، وأما الأول من الثانى فلا استحالة انقلاب الجوهر عرضا وبالعكس وأما الثانى منه فلاستحالة انقلاب الواجب ممكنا وبالعكس ، وبقى ما اذا كانا جوهرين فيصيرا جوهرا ، فنقول فى ابطاله : اما أن يكونا واجبين أو ممكنين أو مختلفين ، ففى الأول يلزم تعدد الواجب وهو باطل ، وأما الثالث فلاستحالة الانقلاب وتقدم ، وأما الثانى فلاستحالة جوهر من غير تحيز ، وعلى هذا فيستحيل الاتحاد لاستلزامه التداخل .

وابطال الحلول هو أن يقال : الحلول على الله تعالى محال لانه اما أن يجب أن يحل أو يجوز ، والأول يستلزم قدم المحل والثانى يستلزم أن لا يحل لانه مستغن قبل ومحتاج بعد . وأيضا حقيقة الحلول انما هو فى الجوهر والعرض ، وهو على الله تعالى محال . وأيضا : لو حصل فى جسم ، فاما أن يحل فى جوهر ذلك الجسم ، أو فى الأكثر والاول محال لصغره ، والثانى باطل لانقسامه ولو تبعا .

قال الشيخ العلامة كمال الدين محمد بن امام الكاملية المصرى فى كتابه « بسط الكف » ما لفظه : « وقد سرت هذه الضلالة المستحيلة فى العقول فى جماعة ممن ينتسبون الى الاسلام ، فساروا فى أول أمرهم على الزهد والخلوة والعبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شىء صفت أرواحهم وتجردت نفوسهم ، فانكشفت لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه ، وكان قد طرق أسماعهم من خرافات النصارى انه اذا حل روح القدس فى شىء نظر بالحكمة وظهر له أسرار ما فى هذا العالم مع تشوق النفوس الى المناصب العالية ، فذهبوا الى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذى قالته النصارى ، وزادوا عليهم أنهم لم يقصروه على المسيح كما ذهب اليه الغلاة من الروافض فى على رضى الله تعالى عنه ، وكما ذهب اليه جماعة فى خاتم الأولياء عندهم من الحلول ، ولهم فى ذلك كلمات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل فيها ما لا يقبل التأويل ، ولهم فى التأويل خبط وخلط كلما أرادوا أن يقربوا من المعقول ازدادوا بعدا ، حتى أنهم استنبطوا قضية جلبت لهم الراحة وقنعوا فى مغالطة الضرورة بها بالصيت ، وهى انما ما هم فيه يزعمونه وراء العقل ، وانه بالوجدان يحصل ، وأن من نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الالهية ، والله سبحانه هو الموفق للخير والخير كله فى اتباع النبى المصطفى ﷺ وأصحابه فبهداهم اقتده » أنهى .

قوله : ممثلا حال حياتنا بعد الموت فى القيامة » الى آخره . لا يخفى عليك أن النصارى منكرون لحياة الأبدان والمعاد الجسمانى ونعيم الجنة ، وعندهم أن المعاد روحانى بلا جسم ولا اكل ولا شرب ولا جماع ، بل الناس حينئذ كالملائكة ، فأين بقى التمثيل الذى ادعاه ؟ لأن كمال التمثيل أن يحيى الجسم ولا يحتاج الى أكل وشرب كالصوم الذى استدل به على أن النصارى خالفت هذا أيضا ، فانهم يزعمون أنهم صائمون مع أنهم يأكلون ويشربون غير أنهم عن بعض أنواع الأطعمة يحتمون ، فلا بالتوراة يقتدون ولا بأحكام الانجيل يتمسكون ، فلذا تراهم فى مهاوى الاختلاف يهيمون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

ولنذكر لك ملخص ما قاله العلامة شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكى المعروف بابن القرافى فى كتابه الأجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة قال : « قالت اليهود والنصارى لو ثبت الأكل والشرب والنكاح فى الجنة مع أنها دار الكرامة لكانت محل الحاجات وابداء العورات ومصب القاذورات ، وذلك ينافى كمالها . ويكفى فى نقائص ذلك أنها من خصائص البهائم المبعدة لطور الانسان عن طور الملائكة ، فان الملك عقل بلا شهوة والبهائم شهوة بلا عقل ، والانسان عقل وشهوة ، فلذلك توسط بين الفريقين وباين موضوعية كلا الجهتين ، فاذا أظهر ما فى هذه الأمور من النقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة المخصوصة بغاية النعمة وتمام الكرامة والجواب من وجوه :

أحدها : ان النعيم الجسمانى الذى يثبته المسلمون ليس مفسرا بما ذكرتموه من التشنيع بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية ، وتقريره انا نجد فى هذه الدار الملاذ الجسمانية تترتب على أسباب عادية ، فالملاذ اما علوم خاصة حسية كادراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة وادراك الروائح المناسبة بجوهر النفس البشرية ، وادراك الملامسة للاجسام الموافقة لجواهر الطبائع وادراك المبصرات من الألوان والالوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة وكذلك القول فى بقية الحواس . واما ادراك لأحوال نفسانية كاستشعار النفس حصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء والأدواء ونحو ذلك . فهذه الملاذ الجسمانية ، ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم هى ادراك الملائم فجمعوا الجميع فى هذا الحد الشامل ، وأما أسبابها العادية فهى المباشرة لأنواع المآكل والمشارب والمناكح ونحو ذلك . ثم هذه المباشرة تقترن بها فى العادة حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات ، فالمسلمون يدعون من هذه الاقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث ، فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة عن القاذورات وأنواع الحاجات فيقولون الاكل والشرب والنكاح فى الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بزاق ولا مخاط ولا دمع ولا بول ولا غائط ولا ريح منتن ولا حيض ولا منى ولا رطوبات مستقذرة

ولا ابداء عورة منقصة ولا زوال أبهة معتبرة ولا شيء مما يعاب بنوع نقيصة ، بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة الأكل بمباشرة أنفس المأكل من غير ألم جوع سابق ولا شين لاحق . وكذلك الشرب من غير حاجة سابقة ولا تلويثات لاحقة ، وكذلك الجماع يحصل بمباشرة أجمل الموطوءات من غير انزال فضلات ولا رطوبات مستقذرات منزهة عن جميع الدناءات ، فلا عورة لها ولا للمؤمن ، لأن العورة انما تنبت في هذه الدار لكونها مخرج النجاسات والشعر والنتن ، فاذا ذهبت هذه المعائب ، ذهبت لذهابها العورات وبقيت المحال غير منسوب اليها خصلة دنيئة ، فأى بأس من الجمع بين النعيم الروحانى المتعلق بالأرواح من ادراك جلال الله سبحانه وجماله وتفاصيل صفاته وألائه المتجددة على مر الابد والنعيم الجسمانى الذى مرت لك صفته ؟

فهذا ما يعتقده المسلمون وهو اللائق بالكرم الالهى والاحسان الربانى ، فان الاقتصار على النعيم الروحانى تقصير من قائله فى سعة النعمة وتمام الكرامة ، بأن مثله لا تخلو عنه دار أريدت لغاية الاكرام ، بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها ، لقال ذو العقل الوافر لو كانت فيها لكانت أتم وأكمل ، وهى بقول الشاعر :

ليس فيها ما يقال له كملت لوان ذا كملا

فظهر اصابة المسلمين للصواب ، واندفع السؤال ببيان الجواب .

وثانيها : قال لوقا « قال يسوع اذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء لتكون مجازاتك فى قيامة الصديقين ، فقال من حضر طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله تعالى » فما فهم عنه الحاضرون الا النعيم الجسمانى .

وثالثها : قال حملة الانجيل : « قال يسوع لتلاميذه انى ذاهب أعد لكم مائدتى فى الملكوت ، لتأكلون وتشربون وتجلسون على كرسى المجد »

ورابعها : فى الانجيل : « شرب المسيح عليه السلام مع تلاميذه عصيرا ، وقال : انى لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا فى ملكوت السموات .

وخامسها : فى الانجيل قال المسيح « ستاكلون وتشربون على مائدة أبى »

وسادسها : فى الانجيل قال المسيح عليه السلام « طوبى للجياع العطاش فانهم سيشبعون »

وسابعها : فى الانجيل قال المسيح لتلاميذه : « اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى فى الحياة المؤبدة لأن ذلك قد ختمه الله تعالى » فصرح عليه السلام بأن فى الجنة الاكل والشرب والشبع والتفكه .

قلت : وفى الاصحاح السادس عشر من انجيل لوقا ناقلا عن المسيح ما لفظه : « قد كان رجل غنى يلبس البرفير والأرجوان ، وكان يلتذ كل يوم متنعما . ومسكين اسمه العازر كان ملقى عند باب ذلك الغنى مضروبا بالقروح ، وكان يشتهى أن يملأ جوفه من الفتات المتساقط عن مائدة ذلك الغنى ولم يعطه أحد ، وكانت الكلاب تأتى فتلحس قروحه ، فلما مات ذلك المسكين أوصلته الملائكة الى حضن ابراهيم ثم مات ذلك الغنى وقبر ، واذا كان يتعذب فى الجحيم رفع عينيه عن بعد فرأى ابراهيم والعازر فى حضنه ، فصاح بصوت عظيم قائلا يا أبتاه ابراهيم ارحمنى وأرسل العازر ليبل رأس اصبعه بالماء ويرطب به لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب ، فقال له ابراهيم يا ابنى تذكر أنك قبلت خيراتك فى حياتك ، والعازر فى بلاياه . وها هو الآن يستريح ههنا ، وأنت تتعذب ، ومع هذا كله بيننا وبينكم وحدة عظيمة لا يقدر أحد على العبور من ههنا اليكم ان أراد ، ولا من هناك الينا فقال له : اننى اسألك اذن يا أبتى أن ترسله الى بيت أبى لأن لى خمسة اخوة ليمض فيشهد لهم ، لئلا يأتوا الى مكان العذاب هذا ، فقال له : عندهم موسى والأنبياء »

قال مفسروهم — أى كتبهم — فليسمعوا لهم ، فقال له لا يا أبت ابراهيم ، لكن ان يمض اليهم واحد من الموتى يتوبوا ، فقال له ابراهيم ان كانوا لا يسمعون لموسى والأنبياء ولا ان قام أحد من الموتى يصدقون » انتهى .

فتبين منه أن العذاب جسماني ، وأن الغنى طلب الماء وما ذلك الا لعطشه ، ولا شك أن النعيم يقابل ذلك من راحة الجسم وشربه الماء ونحو ذلك وصرف هذه الكلمات عن ظاهرها يؤدى الى صرف جميع الأناجيل عن ظاهرها . واذا فتحوا هذا الباب للتأويل فلا يمكنهم حينئذ الاستدلال بشيء على ما يدعونه من الاناجيل .

وأما الجماع فقد قال في الانجيل « من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلي فانه يعطى فى الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة » فقد صرح بأنه سوف يعطى فى الجنة مائة زوجة ومائة بستان لأن الحقل الكرم ، وهذه الحجج كلها على النصارى .

قال القرافي : « وأما اليهود فمن وجوه :

أحدها : فى الاصحاح الثانى من السفر الأول من التوراة « فان الله تعالى غرس فردوسا فى جنة عدن ، وأسكن آدم وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم وتقدم اليه أنى قد جعلت جملة شجرة الجنة مأكلا سوى شجرة معرفة الخير والشر ، ثم انه وحواء أكلا منها فصارا عريانين فجعلا عليهما من ورق التين ، واختفيا فى وسط الشجر » وحملهم لها على جنة كانت فى الأرض يأباه قوله لآدم بعد ذلك فى هـذا السفر « حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب والى التراب تعود » كما لا يخفى على كل منصف .

وثانيها : فى السفر الأول « قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله تعـالى »

وثالثها : فى السفر الأول « أما هابيل الشهيد . فانه يجزى بـدل الواحد سبعة » وهو دليل على المكافأة من جنس العمل . وكان وقد قرب من أبكار غنمه فوعده الله تعالى بأن يعطيه بدل الواحد سبعا .

ورابعها : فى نبوة أشعياء عليه السلام « يا معاشر العطاش الجياع توجهوا الى الماء والورود ، ومن ليس له فضة فليذهب يستسقى ويأكل ويتزود من الخمر واللبن » وهذا موافق لما فى القرآن الكريم من قـوله

تعالى : « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات »

وقد تظافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسمانى (١) . ومثل هذا كثير فى كتبهم ولكنهم مكابرون وقوم لا يعقلون .

تنبيه انما كان بحث الآخرة وأحوالها فى شرعنا وكتابنا أكثر من التوراة والانجيل ، حتى أنه لم يكثر الله تعالى ذكر شىء فى القرآن أكثر من ذكر البعث وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن » فلاسباب .

أحدها : أن بنى اسرائيل كثيفو الطباع عن التخويف بالمؤلفات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات ، وانما يؤثر ذلك فى وافر العقل كثير الحزم متوفر اليقظة ، وأما الكثيف الطبع فكالبهيمة لا يؤثر فى زجرها الا المنخاس المباشر لجلدها ، وأما ما يأتى فى غد فلا يؤثر فى استصلاحها ولما جعل الله تعالى هذه الأمة أخرجت للناس ، وافرة الحلوم

---

(١) الأدلة التى ذكرها المؤلف من التوراة وأسفار الأنبياء من أشعياء ليست واضحة على اثبات يوم القيامة . والنص على يوم القيامة هو المذكور فى سفر التثنية فى الاصحاح الثانى والثلاثين وهو « أليس ذلك مكنوزا عندى ، مختوما عليه فى خزائنى . لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم » هذا فى التوراة العبرانية ، وهو فى السامرية : « ولى النقمة والجزاء فى يوم الانتقام » وهو يوم القيامة كما يقول السامريون أنفسهم وفى التلمود نصوص صريحة على يوم القيامة . والربانيون والأحبار يعترفون به فى كتبهم كابن كمونة وابن ميمون . اعتراف ببعث الروح والجسد والنصارى يعترفون بالبعث للروح على هيئة الأحلام واللذائذ المعنوية والمتخيلة وليس لهم من سنة الا قول بولس فى هذا الشأن . ودليله أن البذرة اذا وضعت فى الأرض تتغير الى زرع أخضر ، له سيقان وجذور . فاذن هى اختلفت بعد وضعها فى التراب وكذلك الانسان . ويرد عليه بأن الزرع أخضر يتحول بعد مدة الى ثمر وفيه نفس البذرة التى وضعت اولا ، كما هو غرض الزارع منها . فان وضعها لتصير بذورا ينتفع بها ، لا لتصير زرعا أخضر فقط [انظر تقديمنا لكتاب نفخ الروح والتسوية للامام الغزالى]

اللعن وأمر الملك أن يكون لهمجمع يلعنوا فيه ، واستحضر بتاركه البلاد فاجتمع عنده مائة وأربعة وستون أسقفا فلعنوا اسقف منبج وأسقف المصيصة ، وثبتوا أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وأنه اله تام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد وأن الدنيا زائلة وأن القيامة كائنة وأن المسيح يأتى لمجد عظيم فيدين الأحياء والاموات كما قال الثلثمائة وثمانية عشر الاوائل فتفرقوا على ذلك .

ثم كان لهم مجمع تاسع على عهد معاوية بن أبى سفيان تلاعنوا فيه ، وذلك أنه كان برومية راهب له تلميذان فجاء الى قسطا الوالى فوبخه على قبح مذهبه وشناعة فكره ، فأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه وفعل بأحد التلميذين كذلك وضرب الآخر بالسياط ونفاه فبلغ ذلك ملك القسطنطينية ، فأرسل اليه أن يوجه اليه من أفاضل الاساقفة ليلعم وجه هذه الشبهة ومن كان ابتدأ بها ويعلم من يستحق اللعن فبعث اليه مائة وأربعين أسقفا وثلثمائة شماس فلما وصلوا اليه جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفا فصاروا مائتين واثنين وتسعين أسقفا وأسقطوا الثمانية وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية فلعنوا من تقدم من القديسين والبتاركة واحدا واحدا فلما لعنوهم جلسوا فلخصوا الأمانة وزادوا فيها ونقصوا .

فقالوا : نؤمن بان الواحد من الناسوت الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الاله فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين وشيئتين فى أقنوم واحد ووجه واحد تاما بلاهوته تاما بناسوته وشهدت أن اله الابن فى آخر الايام اتخذ من العذراء السيدة مريم القديسة جسدا انسانا بنفسين ناطقة عقلية وذلك برحمة الله تعالى بحب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته وما يشبه الاله أن يعمله فى طبيعته ، الذى هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة التى صارت فى الحقيقة لحما كما يقول الانجيل المقدس من غير

أن ينتقل من غير أن ينتقل من مجده الأزلى وليست بمتغيرة لكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين الهى وأنسى ، الذى بهما يكمل قول الحق ، وكل واحد من الطبيعتين يعمل مع شركة صاحبها مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين ولكن مع المشيئة الانسية المشيئة الالهية القادرة على كل شىء » .

هذه أمانة المجمع فوضعوها ولعنوا من لعنوه ، وبين الجمع الخامس الذى اجتمع فيه الستمائة والثلاثون وبين هذا المجمع مائة سنة .

ثم كان لهم مجمع عاشر وذلك لما مات الملك وولى ابنه بعده واجتمع أهل المجمع السادس ، وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفا فثبتوا أقوال المجامع الخمسة ولعنوا من لعنهم وخالفهم وانصرفوا بين لا عن وملعون .

فهذه عشر مجامع كبار من مجامعهم مشهورة اشتملت على أكثر من أربعة عشر الفا البتاركة والأساقفة والرهبان كلهم ما بين لا عن وملعون .

فهذه حال المتقدمين مع قرب زمانهم من أيام المسيح ووجود أخباره فيهم والدولة دولتهم والكلمة كلمتهم وعلماؤهم اذ ذاك أوفر ما كانوا واهتمامهم بأمر دينهم واحتفالهم به كما ترى ، وهم حيارى تائهون ضالون مضلون لا يثبت لهم قدم ولا يستقر لهم قول فى الههم ، بل كل منهم قد اتخذ الهه هواه وصرح بالكفر والتبرى ممن اتبع سواه ، قد تفرقت بهم فى نبيهم والههم الأقاويل وهم كما قال سبحانه : « قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » فلو سألت اهل البيت عن دينهم ومعتقدهم فى ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب ، وامرأته بجواب ، وابنه بجواب ، والخادم بجواب ، فما ظنك بمن فى عصرنا هذا وهم نخالة الماضين وزبالة الغابرين وفتاتة المتحيرين . وقد طال عليهم الأمد وبعد عهدهم بالمسيح ودينه » انتهى .

قلت : وقد عد فى كتاب زبدة الصحائف فى سياحة المعارف فى العقائد والأديان تأليف المعلم نوفل بن نعمة الله المسيحى

المؤلف سنة ١٨٧٢ المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٦ عشرين مجمعا للنصارى أولها المنعقد سنة ٣٢٥ مسيحية وآخرها المنعقد فى رومية سنة ١٨٦٩ قال : « ولازال هذا مفتوحا لم تنته جلساته الى الآن . وكان انعقاده بأمر البابا بيوس التاسع بسعى الرهبان ، والذى ظهر والحالة هذه من مقاصده هو اثبات العصمة فى الباباوات . وقد نشأ عن ذلك انقسام فى الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والمشرق والذين خالفوا هذه العقيدة من أهالى أوربا سموا ذواتهم بالكاثوليكيين القدماء ونهاية ذلك لم تزل مجهولة » وعد من فرق النصارى نيفا وثلاثين فرقة ، ومن أراد تفاصيلها فليرجع اليه .

تتمة ولنذكر لك ان شاء الله تعالى شيئا من كلام ربنا سبحانه وتعالى فى القرآن المجيد وكلام نبينا الأكرم ﷺ فى معان شتى وأحكام جليلة وحكم عظيمة وفوائد فريدة وسياسات مفيدة وجوامع كلم سديدة ونصائح ومواعظ وتعاليم وارشاد رءوف رحيم وتهذيب أخلاق وأوامر بعبادة الخلاق وكلمات من كلام خلفائه الراشدين وأئمته الناصحين على اختلاف النمط جامعا له كاللآلىء فى سفط لتقابله مع الانجيل وكلام أخيه المسيح ، ولتحكم بالترجيح وتتبين البليغ الفصيح من البيان الفسيح ، وجعلت ذلك سبعة فصول نموذجا يستدل به على أقوال ذلك الرسول معجز البلغاء الفحول ، وعنوانا على كلماته البالغة حد الاعجاز وأحكامه ، التى امتاز بها على سائر الأنبياء أى امتياز ليتضح الفرق لذوى البيان ويبين لدى الموازنة من كان راجح الميزان .

الفصـــل الأول

فى بعض ما نطق به القرآن العظيم من الكلام الموجز المعجز .

فمن أراد أن يعرف جوامع الكلم وينبه على فضل الاختصار ويحيط ببلاغة الايماء ويفطن لكفاية الايجاز فليتدبر القرآن الكريم وليتأمل علوه فى سائر الكلام فانه قول فصل وما هو بالهزل .

فمن ذلك : قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة » فلفظة « استقاموا » كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها فى الائتمار والانزجار وذلك أن انسانا لو أطاع الله تعالى مائة سنة ثم سرق حبة واحدة ، يخرج بسرقتها من الاستقامة .

ومن ذلك قوله تعالى « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فقد أدرج فيه ذكر اقبال كل محبوب عليهم وزوال كل مكروه عنهم ولا شىء أضر بالانسان من الخوف والحزن ، لأن الخوف يتولد من مكروه ماض أو حاضر ، والحزن يتولد من مكروه مستقبل ، فاذا اجتمعا على مرىء لم ينتفع بعيشه ، بل يتبرم بحياته ، والحزن والخوف أقوى أمراض النفس ، كما أن السرور والأمن أقوى أسباب صحتها فالحزن والخوف موضوعان بازاء كل نعمة هنية .

ومن ذلك قوله تعالى « لهم الأمن وهم مهتدون » فالامن كلمة واحدة تنبىء عن خلوص سرورهم من النوائب كلها لأن الامن انما هو السلامة من الخوف ، والخوف المكروه الاعظم كما تقدم ذكره . فاذا نالوا الأمن بالاطلاق وارتفع الخوف عنهم ، ارتفع بارتفاعه المكروه وحصل السرور المحبوب . ومن ذلك قوله تعالى « أوفوا بالعقود » فهما كلمتان جمعتا على ما عقد الله على خلقه لنفسه وتعاقد الناس فيهما بينهم . ومن ذلك قوله تعالى « فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الاعين » فلم يبق مقترح لاحد ونظمته هاتان الكلمتان مع ما فيهما من القرب وشرف اللفظ وحسن الرونق . ومن ذلك قوله تعالى « والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس » فهذه الكلمات الثلاث تجمع من أصناف التجارات وأنواع المرافق فى ركوب السفر ما لا يبلغه الاحصاء . ومن ذلك قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها . ومن ذلك قوله تعالى فى أحكام النساء « ولهن مثل الذى عليهن » فهو كلام يتضمن جميع ما يجب على الرجال من حسن معاشرة النساء وصيانتهن وازالة عللهن وبلوغ كل مبلغ فيما يؤدى الى مصالحهن وجميع ما يجب على النساء من طاعة الازواج وحسن مشاركتهم

وطلب مرضاتهم وحفظ عيبهم وصيانتهم عن خيانتهم . ومن ذلك قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة » كما تقدم الكلام عليها مستوفى . ومن ذلك قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » فانظر كيف جمع سبحانه فى هذه الكلمات القليلة ، الأحكام الكثيرة الجليلة والامر بجميع أنواع الخير والنهى عن جميع أنواع الشر مما يكون سببا للفوز الدنيوى والاخروى . ومن ذلك قله تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » فلو أراد أحد اعيان البلاغة أن يعبر عنه لم يستطع أن يأتى بهذه الالفاظ مؤدية عن المعنى الذى يتضمنها حتى يبسط مجموعها ويصل مقطوعها ويظهر مستورها فيقول ان كان بينكم وبين قوم هدنة وعهد فخفتم منهم خيانة ونقضا فاعلمهم انك نقضت ما شرطت لهم وأذن لهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم سواء . ومن ذلك ما يجرى فى مجرى المثل من ألفاظه بجمع الاعجاز والايجاز قوله سبحانه وتعالى « ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله « انما بغيكم على أنفسكم » — « كل نفس ذائقة الموت » — « كل نفس بما كسبت رهينة » — « كل من عليها فان » — « ولا تزر وازرة وزر أخرى » — « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » — « لكل نبأ مستقر » — « قل كل يعمل على شاكلته » — « ولا تنس نصيبك من الدنيا » — « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » — « اغرقوا فادخلوا نارا » — « كل حزب بما لديهم فرحون » — « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » — « وان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء « — « ويخلق ما لا يعلمون » — « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » — « والهكم اله واحد » — « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » — « ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار » — « وأزلفت الجنة للمتقين » — « ان الذى أحياها احيى الموتى » — « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » — « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » — « آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

— « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »

وغير ذلك مما لو أردنا ذكره لطال الكتاب واتسع الجواب .

وأما الآيات التى فيها الأحكام وأخبار الأمم الماضية التى هى عبرة لأولى الأبصار والوعد والوعيد ، فتركنا أيضا ذكرها وخشينا السآمة من نشرها . ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد .

الفصـــل الثانى

فى ذكر كلمات النبى ﷺ

« الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » — ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسم كله الا وهى القلب — ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى أعمالكم وقلوبكم — اذا حدث أحدكم فلا يكذب — واذا وعد فلا يخلف — واذا ائتمن فلا يخن — غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم — أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى أن فيه خيرا ولا خير فيه — أخوف ما أخاف على أمتى الرياء الظاهر والشهوة الخفية — من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه — المؤمن يغبط والمنافق يحسد — ما ازداد أحد بعفو الاعزازا عفوا يعزكم الله — لا تكونوا عيابين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين — ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس — أنهاكم عن عقوق الأمهات وواد البنات ومنع وهات — لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا — لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث — الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأمانى — المؤمنين كالبنيان يشد بعضهم بعضا — عمالكم كأعمالكم كما تكونوا يولى عليكم — الدال على الخير كفاعله — ان للقلوب صدء كصدء الحديد وجلاءها الاستغفار — من كنوز البر كتمان الصدقة — داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة

— صدقة السر تطفىء غضب الرب — زرغبا تزدد حبا — ما عال من اقتصد المؤمنون عند شروطهم — القلوب تتشاهد — ترك الشر صدقة — الحياة شعبة من الايمان — ابدأ بمن تعول — تخيروا لنطفكم — اتقوا الملا عن خير الأمور أوساطها — اياك وما يعتذر منه — مطل الغنى ظلم — من غشنا فليس منا — كل ميسر لما خلق له — المجالس بالأمانات — الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة — السعيد من وعظ بغيره — البركة فى البكور — اليمن حنث أو مندمة — الندم توبة — لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا — دع ما يريبك الى ما لا يريبك .

انتظار الفرج عبادة — لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف — المستشير معان والمستشار مؤتمن — خير المال عين ساهرة لعين نائمة — انزلوا الناس منازلهم — اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

وذكر اناث الخيل فقال ظهورها حرز وبطونها كنز — وذكر الغنم ، وقال سمنها معاش وصوفها رياش — رأس الحكمة مخافة الله تعالى — الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته — أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصوم — افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام — ارزق أشد طلبا للعبد من أجله — نعمتان مجهولتان الصحة والأمان — أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة — السعادة كل السعادة — طول العمر فى طاعة الله تعالى — الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن — فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة — البطالة تقسى القلب — الزنا يورث الفقر — صنائع المعروف تقى مصارع السوء — العلماء أمناء الله على خلقه — الناس معادن كمعادن الذهب والفضة — المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه — الويل كما الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على ربه بشر — من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن — لو توكلتم على الله حق توكلكم عليه لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا — من يشته كرامة الآخرة يدع زينة

الدنيا — من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه ، فكأنما صيرت له الدنيا بحذافيرها — رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت فسلم — جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها — التمسوا الرزق فى خبايا الأرض — اطلبوا الفضل عند الرحماء — الراحمون يرحمهم الرحمن — ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء — ليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فما بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار — اتقوا دعوة المظلوم ويقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين — لا يبلغ المرء حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن يصيبه — لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة — ان الله اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها — ان الله يحب الرفق فى الأمر كله — ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها ؟ قال ذكر الموت وتلاوة القرآن — ليس منا من وسع الله تعالى عليه ثم قتر على عياله — ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت — رفقا بالقوارير اى النساء — الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه أنفعهم لعياله — من تواضع لله رفعه الله — العالم والمتعلم شريكان فى الخير — اذا استعنت فاستعن بالله — صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن الى من أساء اليك .

ومن خطبه عليه السلام — ان أصدق الحديث كتاب الله — وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله — وأحسن القصص هذا القرآن — وخير الأمور عوازمها — وشر الأمور محدثاتها — وأحسن الهدى هدى الانبياء — وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العمل ما نفع — وخير الهدى ما اتبع — وشر العمى عمى القلب — واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر ولهى — وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة — ومن الناس من لا يأت الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر فى القلب اليقين ، والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم ، والكنز كى من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشياطين ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، وملاك العمل خواتمه ، وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمه ودمه ، ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله تعالى عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله تعالى . ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يصبر يضاعف تعالى الله له ، ومن يعص الله تعالى يعذبه الله ، استغفر الله لى ولكم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الله واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء الا ان خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا ألا أن خير التجار من كان حسن القضا حسن الطلب ، ان الله تعالى يحب كل قلب حزين ، ان الله يحب الناسك النظيف ، ان الله تعالى يوصيكم بالنساء خيرا ، ان الله يوصيكم بأمهاتكم ، ان الله يوصيكم بآبائكم ، ان الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب ، من حلف بغير الله فقد أشرك ، أعظم الناس حقا على المرأة زوجها وأعظم الناس حقا على الرجل أمه ، اجتنبوا الخمر فأنها مفتاح كل شر اتق الله تعالى فى عسرك ويسرك ، اتق الله تعالى حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن ، ان امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ، ولا تسبن احدا ، اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله تعالى لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ، أحب الأعمال الى الله تعالى أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله أحب الأعمال الى الله من أطعم مسكينا من جوع أو رفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا أحب الأعمال الى الله الحب فى الله والبغض فى الله ، خير الناس أقرؤهم للقرآن

وأفقههم فى دين الله واتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، حب الثناء من الناس يعمى ويصم ، ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله تعالى ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله سبحانه منه كما يكره أن يلقى فى النار ، ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته : تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك . ثلاث من كن فيه فان الله يغفر له ما سوى ذلك : من مات لا يشرك بالله شيئا ولم يكن ساحرا يتبع السحرة ولم يحقد على أخيه ثلاث من كنوز البر : اخفاء الصدقة حتى ما تعلم شماله ما تنفق يمينه وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى . ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومن قاتل على عصبية ومن تشبه بغيرنا ليس منا ، من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب .

وغير هذه الأحاديث مما فيه بيان الحلال والحرام والنصائح العظام لجميع الانام مما لو ذكرناه لطال الكلام ، والله الموفق للاعتصام .

الفصل الثالث

فى ذكر شىء من كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه تعالى عنه قال ان الله تزن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا ، — الموت أهون ما بعده وأشد ما قبله — ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر اذا فاتك خير فأدركه وان أدركك شرفا سبقه . — ان عليك من الله عيونا تراك ، احرص على الموت توهب لك الحياة — رحم الله تعالى امرءا عان أخاه بنفسه ، أطوع الناس لله أشدهم بغضا لمعصيته ، ان الله تعالى سبحانه يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك ، — أصلح نفسك يصلح لك الناس .

وقال فى خطبة له : ان اقواكم عندى الضعيف حتى أعطيه ، وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق ، انكم فى مهل وراءه أجل

نبادروا فى مهل آجالكم قبل أن تقطع آمالكم فتردكم الى سوء أعمالكم أن الله تعالى لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة .

وقال صنائع المعروف تقى مصارع السوء .

ولما بلغه أن الفرس ملكت عليها ابنة أبرويز ، قال : ذل قوم أسندوا أمرهم الى امرأة .

الفصل الرابع

فى شىء من كلام عمر رضى الله تعالى عنه

لا تؤخر عمل يومك لغدك ، غمض عن الدنيا عينك وول عنها قلبك وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعها وعاينت سوء أثرها على أهلها وكيف عرى من كست ، وجاع من أطعمت ، ومات من أحيت ، ليس لأحد عذر فى تعمد ضلالة حسبها هدى ، ولا ترك حق حسبه ضلالا شرار الأمور محدثا واقتصاد فى سنة خير من اجتهاد فى بدعة ، ما كانت نعمة الله تعالى على أحد الا وجد له حاسدا فلو كان الرجل أقوم من القدح لما عدم غامزا ، لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة (١) وعودهن لا فان نعم تجرئهن الدنيا ، أمل مختزم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله تعالى أمرا فكر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ، اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للحس ، مؤدية الى السقم ، رحم الله من أظهر لى عيوبى السيد هو الجواد حين يسأل ، الحليم حين يستجهل البار بمن يعاشره .

أفلح من حفظ عن الطمع والغضب والهوى نفسه ، أشقى الولاة من شقيت به رعيته ، من خاف نجا ، من لم يعرف الشر وقع فيه .

وكتب الى ابنه عبد الله : اما بعد ، فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكر زاده ، فلتكن التقوى

---

(١) هذه الحكمة تضايق النساء فى زماننا هذا .

عماد بصرك وجلاء قلبك ، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له ولا مال لمن لا رفق له ولا جديد لمن لا خلق له والسلام .

الفصـــل الخامس

في كلام عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

ان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذا الدين وعاهـــة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق يكفيك من الحاسد أن يغتم يوم سرورك ، خير العباد من عصم واعتصم بكتاب الله تعالى ونظر ، الى قبر فبكى ، وقال هو أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا ، فمن شدد عليه فما بعده أشد ، ومن هون عليه فما بعده أهون .

تاجروا بالصـــلاة تربحوا .

الفصـــل السادس

في بعض مما قاله على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه .

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ، ومن ضيعه الأقرب أتيح له الابعد ، ومن بالغ في الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم ، من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ، الاحر يدع هذه اللماظة لأهلها ، انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها ، خير البلاد ما حملك ، ما لابن آدم والفخر ؟ أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا يرفع حتفه ، الدنيا تغر وتضر وتمر ، ان الله تعالى لم ير فيها ثوابا لأوليائه ولا عقابا لأعدائه ، وان أهـــل الدنيا كركب بيناهم حلوا ، اذ صاح صائحهم ، فارتحلوا من صارع الحق صرعه القلب (القلب) البصر ، التقى رئيس الأخلاق ، ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحســـن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله . الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فان كان لك فلا تبطر ، وان كان عليك فلا تضجر ، من طلب شـــيئا

ناله أو بعضه ، الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل ، والتقصير في حسن العمل وثقة بالثواب عليه غبن ، والطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار عجز ، والبخل جامع لمساوىء الاخلاق ، من كثرت نعمة الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه ، فمن قام لله تعالى فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ، ومن لم يقم عرضها للزوال والفناء ، الرغبة مفتاح النصب والحسد مطية التعب من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . من نظر في عيوب الناس وأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه ، العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه ، الأماني تعمى أعين البصائر ، لا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب ولا قائد كالتوفيق ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا قرين كحسن الخلق ولا عبادة كالفرائض ولا عقل كالتدبير ولا وحدة أوحش من العجب ، من أطال الأمل أساء العمل .

وسمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال : نوم على يقين خير من صلاة في شك ، اذا تم العقل نقص الكلام ، نفس المرء خطاه الى أجله ، قيمة كل امرء ما يحسنه ، المال مادة الشهوات ، الناس أعداء ما جهلوا ، رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت فأنت أسيره ، لا ترجون الا ربك ، ولا تخافن الا ذنبك ، قصر ثيابك فانها أبقى وأنقى وأتقى ، خير أموالك ما كفاك ، وخير اخوانك من واساك .

الفصل السابع

في كلمات لبعض أئمة الدين .

قال ابن عباس رضى الله عنه : ملاك أموركم الدين وزينتكم العلم وحصون أعراضكم الأدب وعزكم الحلم وصلتكم الوفاء ، اعمل عمل من يعلم انه مجزى بالحسنات مأخوذ بالسيئات . وقال عبد الله بن مسعود : الدنيا كلها غموم ، فما كان منها في سرور فهو ربح ، ومن كلام لأبي

ذر رضى الله تعالى عنه ان لك فى مالك شريكين الحدثان والوارث ، فان قدرت أن لا تكون أخس الشركاء حظا فافعل ، وكان يقول اللهم متعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : ما الجزع مما لابد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سيزول ؟ ومن كلام الحسن البصرى : ما رايت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت وغفلتهم عنه ، وقيل له : من شر الناس ؟ قال الذى يريك أنه خيرهم ، وقال ابن السماك : خف الله كأنك لم تطعه وارج الله حتى كأنك لم تعصه انتهى .

وهذا قطرة من بحر وشذرات من قلائد نحر ، وأما ما ورد فى القرآن العظيم من الاحكام وما جاء فى بيان الحلال والحرام عن نبينا عليه الصلاة والسلام فكثير جدا لا نقدر أن نرى له حدا ولا نحصى له عدا ، فان أردت أكثر مما ذكرناه ، فتتبع كتب التفاسير والحديث واسير لتقف على مفصل ما أجملناه وخذ مما نقلناه وازنه بما عداه ولا تحقف فى الميزان ولا تجادل بالباطل ، فعند الامتحان يتبين الحق لمن له عينان وأذنان سامعتان ، والله تعالى حسيب من يريد تشبيه هذه الأناجيل بالقرآن ، وبه المستعان فى كل شأن والحمد لله تعالى على الاسلام وكامل الايمان واتباع الفرقان وسيد ولد عدنان ﷺ وشرف ومجد وكرم .

قال النصرانى : « ولعل عائبا عائبا بقلة دينه يعيب ألفاظ الانجيل ، ويقول فى تسمية المسيح : سيدنا الله تبارك وتعالى ابانا ، فنجيبه فى هذا بجواب مقنع ونقول ان المسيح اله العالم وسيده أراد أن يحبب طاعة الله الى الناس ويقربها من قلوبهم ، لتكون طـاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة ، وان يؤلف بين قلوبهم ويخرج العداوة منها ويدفـع ذكر التفاخر بالأنساب الذى أوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعـارفين بعضهم ببعض بالاخوة التى هم فيها كما هم فى الطبيعة أجمع اخوة لأب واحد وأم واحدة ، وكذلك أحب أن يكونوا فى جميع الحالات ليس كما فعل صاحبك ، حيث زرع البغضة بين الناس بقوله : « يا ايها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » (تغابن) والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم أبوكم الذى فى السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصطنع اليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع فى قلوبهم محبة بعضهم لبعض فتنحل الضغائن ويرتفع التفاضل ، ولعمرى ان الله جل وعز هو الأب الرحيم المشفق المتحنن المجمل اذ كان بدأ فخلقنا جودا واحسانا قبل ان نكون تفضلا منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ، ويتفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمـه وطول أناته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الأب المشفق على ولده ، ثم اذا أدبنا خلط بأدبه الرأفة والرحمة (عبرانيين ٦) فلا يصل الى الغاية التى نستحقها بذنوبنا ، فمن أحق وأولى بأن يسمى باسم الابوة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره ؟ فلا حجة اذا للمنكر فى انكاره عـلى المسيح سيدنا ، حيث يسم الله أبانا » انتهى .

فأقول : أراد النصرانى أن تسمية الله تعالى أبا من قبيل الاصطلاح لهم للسبب الذى ذكره ، وأنه لا مشاحة فى الاصطلاح والكلام فيه سهل غير أنه اذا كان لفظ الآب يطلق بزعمهم على الله تعالى بالنسبة الى عبيده ، فأى دليل حينئذ لهم على أنه لما أطلق بالنسبة للمسيح عليه السلام دل على الوهيته وانه ابن الله أى هو الله بذاته حقيقة لا مجازا ؟ فما الفرق بين اطلاق أبوته سبحانه للمسيح وغيره كما لا يخفى ؟ وأمسا

قوله « اراد أن يحبب طـــاعة الله الى الناس » الى آخره فهو تناقض وتهافت ، لأن المسيح بزعمه هو الله عينه ولا غيره ، والداعى الى محبة الله تعالى الحقيقية هو القرآن الكريم كما لا يخفى على قارئيه ، ونبينا الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم ، دعا الى محبة الله سبحانه كما دعا أخواه المســـيح والكليم .

وأما قولـــه « لا بالقهر والرهبة » الى آخره فمردود عليه ، ففى الاصحاح العاشر من انجيل متى ما لفظه : « لا تظنوا انى جئت لألقى فى الأرض أمانا ما جئت لألقى أمانا بل حربا » وفى نسخة « بل سيفا أتيت لأفرق الرجل من أبيه والابنة من أمها والعروس من حماتها ، وأعداء الرجل اهل بيته » انتهى وقبل هـــذه الآيات حين ما أرسل التلاميذ وأوصاهم ما لفظه : « لأن لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم الذى يتكلم فيكم ، وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والاب ابنه وتقوم الابناء على آبائهم فيقتلونهم وتكونون مبغوضين من الكل من أجل أسمى » وفى الأصحاح الثانى عشر من انجيل لوقا ما لفظه : « جئت لالقى نارا عـــلى الارض وما أريد الا اضرامها » انتهى فالعجب من هذا النصرانى وتلبيسه وتمويهه فى كلامه هذا ونحوه على ضعفة العقول وعديمى الاطلاع على كتبهم وكتب المسلمين ، وكيف استشهد بالآية وساقته المقادير الى ذكر آخرها وهو قوله سبحانه « وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » فأين هو عن هذه وعن قوله سبحانه « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم » وقوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله عز وجل « لا انساب بينهم » وأمثال هذه الآيات .

وقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضـــه بعضـــا » وقوله ﷺ « وكونوا عباد الله اخوانا » وقوله عليه الصـــلاة والسلام « لا فضل لعربى على عجمى انما الفضل بالتقوى » وقـــوله ﷺ حينما نزلت آية « وأنذر عشيرتك الأقربين » « يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله

شيئا » وقوله سبحانه « وبالوالدين احسانا » وقوله عليه الصلاة والسلام « أكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى وقتل النفس وعقوق الوالدين والزنا والربا » وأمرنا بافشاء السلام والتودد والتناصر والاحسان وعدم الظلم والعفو والصفح وتحمل أذى الجار والاخوان والمسلمين وقال عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم — أى الايمان الكامل — حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه » وأمثال هذه الآيات والأحاديث التى يضيق كتابنا عن حصرها فافهم .

ثم ان قوله بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة يضاد أيضا ما فعلته فرقة البروتستنت بالكاثوليك وغيرهم من فرق النصارى من القتل والنهب والتعذيب الواقع منهم مرارا عديدة وما فعلته الباباويون أيضا بالبروتستنت من القتل والتعذيب والنهب والضرب ووضع الاحكام المهلكة عليهم التى مر لك شىء منها فتذكر لتعرف مناقضة المؤلف لأقوالهم وأفعالهم وانجيلهم ودعواهم ولا تغفل .

وأما الآية الكريمة التى ذكرها ليروج باطل مرامه وفاسد مقصده بظاهرها على زعمه فاسمع ما قاله المفسرون فى سبب نزولها وشرحوه من تفسيرها قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم » يدخل فيه الذكر والأنثى « وأولادكم عدوا لكم » أى أن بعضهم كذلك ، فمن الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم الردى ، ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى وشاهدنا من الأزواج من قتلت زوجها ومن أفسدت عليه باطعامه بعض مفسدات العقل ، ومن كسرت قارورة عرضه ، ومن مزقت كيس ماله ، ومن ومن ، وكذا من الاولاد من فعل مثل ذلك ، ويدخل فى ذلك سبب النزول دخولا أوليا « فاحذروهم » أى كونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم والضمير يعود الى العدو ، فانه يطلق على الواحد والجمع « وان تعفوا عن ذنوبهم » القابلة للعفو « وتصفحوا » بالاعراض وترك التثريب عليها « وتغفروا » أى تستروها « فان الله غفور رحيم » بالغ الرحمة والمغفرة لكم ولهم يعاملكم بمثل ما عاملتم ويتفضل عليكم .

وسبب نزول هذه الآية على ما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رجالا من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبى ﷺ فأبى ازواجهم وأولادهم أن يدعوهم الى أن يأتوا النبى ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فى الدين ، فهموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا الآية » أخرجه الترمذى وغيره وقال حديث حسن صحيح فافهم والله تعالى أعلم .

قال النصرانى : « ثم قال فى أداء الفرائض « صوموا وصلوا وأدوا الفرائض التى أوجبها الله فاذا فعلتم ذلك كله فقولوا اننا عبيد بطالون انما عملنا ما أمرنا به » وقد تحققت لنا أقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته أنه كان صائما مصليا لا بيت له ولا مأوى ولا شىء من القنية أكثر من ثوبين يوارى بهما جسده ، فقد قال له بعض السائلين « يا عظيمنا أين منزلك لآتيك فيه ؟ فأجابه أن للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكارا وأما أنا فلا بيت لى ولا مأوى ، حيث أدركت فهناك مبيتى ، ومتى طلبتنى وجدتنى » لم يتكلم بافك قط ولاهم بخطيئة ولا اقترف ذنبا ولا ارتكب اثما ولا قبيحة ولا أعاب أحدا ولا آذاه ولا منع طالبا ولا رد سائلا ولا أعرض عن مستغيث ولا عن مستميح كما سبق قول النبى فيه (أش ٥٣)

ثم اتبع ذلك فحقق قوله بالاعاجيب والآيات التى فعلها وكان يشفى المرضى الذين لا يعرف عددهم الا هو تبارك اسمه ويبرءهم من أدوائهم ويكشف عن أسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهر البرص وأخرج الشيطان وبسط أيدى العسم وأحيا الموتى الذين ماتوا وأتت عليهم الأيام الكثيرة مثل ألعازر أخى مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة وعبد العامل وابن الأرملة وغيرهم وأخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكنه افئدتهم ، وبكلمته أبرأ المفلوج وامر المقعد الذى أتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمنا أن يحمل سريره على عاتقه ويمضى محاضرا فكان ذلك ، ونادى الشياطين فأجابته مذعنة لأمره طائعة لربوبيته مقرة له أنه كلمة الله الحى وأنه هو الذى يبطل سلطانها وتسأله أن يذهل عنها وغفر الخطايا ومحى الذنوب بالكلمة الخالقة المجدة بروح القدس الحالة فيه وفتح أعين الأكمة المعروف بالعمى على طول الايام وخلق لبعضهم الأعين من الطين المجعول بريقه ، قدرة منه على الخليقة وأشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة آلاف رجل خلا النساء والصبيان ، وفضل من ذلك اثنى عشر منا كسرا وكان مباركا حيث كان وغير الماء المصبوب فى ستة أجاجين خمرا وذلك فى عرس فى الجليل ، وتباركت به الصبيان ونادت به الأطفال ولعن شجرة الطين

فجفت من ساعتها وزجر أمواج البحر فى شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظـاهرا وتجلى لتلاميذه فى الجبل مع موسى وايليا النبيين ، وخبر السامرية بخبرها مع الأزواج وابرأ المرأة التى كان بها نزيف دم منذ اثنتى عشرة سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت أنه لا يعلم بها فعلم بالقوة التى خرجت منه ، وقال لجماعة من لمس ثوبى ؟ وأتت المرأة وسجدت له وأثرت بما فعلت فقال لها « ايمانك شفاك ، امضى بسلام وكونى بريئة من علتك »

وأمر الشـياطين أن تدخل فى الخنازير وتغرق فى البحر فاجابت وانتهت الى طاعته وفعل أفعالا كثيرة لو نسق جميعها الرسـل لطـال الكتاب بها . وقد تركنا أيضا كثيرا منها لئلا يطول كتابنا هذا ولأننى أعلم أنك قد قرأت الانجيل المقدس حيث كان ما أثبته التلاميذ من ذلك منسوقا فيه ، ومن قول صاحبك وشهادته : (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فكيف يحيل عليك أصلحك الله أن هذه الأفعال ليسـت الهية ولا يحيل ذلك الا على من أظلم عقله بالحسد وأعمى بصره بالغيرة ومن حملته محبة الدنيا على اهلاك نفسه ومن اتبعه بالافك . وكل ذى لب ناصح لنفسه اذا هو نظر فى كتابنا هذا وتصفح هذه الأمور بعين الحق والنصفة واقاسها بأفعال صاحبك تبين له الحق من الباطل ، وان كان لا يقاس بأمر المسيح شىء من الأشياء بالبهت والكذب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وأنت ، أن أفعال المسيح ليست من أفعال البشر وان أمر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين فى سائر الأزمان .

فان قلت : ان الأنبياء كانت تفعل الاشياء المعجبة التى ليس فى قدرة العالمين أن يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره . قلنا لك : نعلم ان الانبياء كانت تفعل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسـألة الملحقة لا بالقدرة القاهرة والأمر النافذ الذى لا مرد له ولا شىء يعتاص عليه او يضاده مثل ما كان يفعل سيدنا المسيح لأن أولئك انما كانوا يفعلون الشىء المعجز كما يفعل العبيد المشفقة بحسب الطاعة لانفاذ الأمر الذى

وجهوا به وتبليغ الرسالة . وأنت تعلم أن موسى قبل فلق البحر لبنى اسرائيل مازال مصليا راكعا ساجدا طالبا حتى قال الله له : لم تصل قم فاضرب البحر بعصاك فانه يتفلق بين يديك ؟ هكذا نجده فى التوراة . وكذلك يشوع بن نون وايلياء واليشاع كانوا يتضرعون ويطلبون فى صلواتهم فعند ذلك يؤذن لهم فى عمل الآية ، وذلك بعد المسألة الملحقة .

على أن بعضا دعا وصلى وتضرع فلم يجب مثل موسى نجى الله ، فانه تعالى قال له لا أدخلك أرض المواعيد وهى بلاد الشام لأنك لم تصدقنى ولم تقدس اسمى أمام بنى اسرائيل ، وذلك فى المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتين فحرمه من دخول أرض الميعاد ، ومثل ارمياء المغبوط فى الأنبياء قد دعا فقال الله عز اسمه فى بعض ما دعا انى لا أسمع دعاءك ولا اقبل صلوتك ، فأما سيدنا يسوع المسيح الذى هو الابن الحبيب كما شهد أبوه له قائلا « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » فانه فعل الأشياء بالقوة القاهرة التى هى الكلمة الخالقة للسموات والأرض المتحدة به .

فهل يقدر مخالف أن يتعنت أو يبطل هذا القول الا بالحسد والمعاندة للحق والافتراء على الله الآب وكلمته وروح القدس ، مثل من يقول : ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة ، فباهت بذلك العيان ، وكفاه بهذا خجلا » انتهى .

فنقول : ومنه سبحانه الهداية والاعانة والتوفيق .

قوله « ثم قال فى أداء الفرائض صوموا »

لا يخفى عليك أن النصارى خالفوا ما أمرهم به لأن بعضهم زيد الايام التى فيها يصام وبعضهم نقص ، على أنهم لا يصومون لأن الصوم عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع وليس عندهم الآن من ذلك شىء غير أنهم يحتمون عن أكل بعض أنواع الاطعمة أياما معدودة مع انهم مختلفون فى عددها ، فعلى هذا لا صوم عندهم فقد خالفوا الانجيل ، وهذا ظاهر مشهور مستغن عن الدليل .

قوله :

وصلوا لا يخفى أن المطلوب من الصلاة توحيد الله تعالى بالعبادة والدعاء والطلب منه والسجود له ، وهذا أيضا مفقود عندهم اذ هم يصلون

للمسيح ولأمه ، ويقولون فى صلاتهم التى تقدم ذكرها للعذراء : « لك نصلى ونسجد » ويسجدون للصليب والصور ومع هذا فهم غير طاهرين أبدانا وثيابا ، ولا يتوجهون فيها الى القبلة (١) التى أمروا بالتوجه اليها بل الى المشرق كعباد الشمس ، وكل هذه الأشياء استنبطها بولس مقدسهم خلاف شريعتهم فاتبعوه وخالفوا ما كان عليه المسيح ، فلا تغفل قوله « وادوا الفرائض التى أوجبها الله » لا يخفى عليك أيضا أن من جملة ما فرض عليهم فى التوراة الختان ، وهم قد رفضوه ولم يمتثلوه مع أن عيسى عليه السلام قد اختتن وسائر الأنبياء ، ومكتوب فى التوراة أنه مؤبد عليهم ولم يثبت نسخه من المسيح ، فهل بقى عندهم عمل بما أوجبه الله تعالى عليهم ؟

قوله « كان صائما مصليا » لا يخفى على كل ذى لب أن هذا دليل كاف فى عبودية المسيح وأنه يخشى الله سبحانه ويرجو رحمته ، ومكلف بالعبادات كغيره من العباد ، وأما تأويلات النصارى لهذا وجوابهم عنه فهو هباء وسفسطة ولا يخفى بطلانه على ابن يوم ، اذ قولهم : انه يصلى لله تعالى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، أو أنه انما يفعل ذلك تعليما للعباد ، كلام لا يصدر من عاقل وجواب الأول : أن الناسوت عبارة عن البدن من لحم وعظم وهو غير مكلف بحد ذاته لولا الروح ، فالذى يصلى فى الحقيقة هو الروح لا البدن ، مع أن الروح لاهوتية وهى نفس الاله غيره فكيف يصلى جزء الاله الحال فى بدن عيسى لله سبحانه المستوى على العرش استواء لائقا بذاته ؟ وهل هذا الا خرافة وهذيان ؟ وقد بسطنا لك هذا البحث مفصلا فتذكر . وأما جواب الثانى : فهو ان التعليم يغنى عنه الأمر بلسانه كما أمر بغير الصلاة من زكاة وتزوج ونحوهما مع أنه يزك هو بنفسه ولم يتزوج ، على أن الختان أمر به وعمله بنفسه ولم تقتد النصارى به ، فأين تأثير أفعاله ؟ فكان اللازم على الوهيته أن يأمرهم بالصلاة بلسانه فقط ولا يتحمل مشقة الفعل . وكل عاقل يعلم بالضرورة أن المصلى

---

(١) البروتستانت على قبلة موسى وهى عدم تحديد جهة . وغيرهم الى الشرق .

غير المصلى له ، وعيسى مع الله تعالى بزعمهم لاهوت واحد وطبيعة واحدة وارادة واحدة ، والغيرية بينهما منتفية على دعواهم الباطلة فتبصر ، ولا تكن من الجاهلين .

قوله : « ومتى طلبتنى وجدتنى » ان صح هذا عن المسيح فقابل للتأويل بوجوه عديدة : منها أنه من يطلبه فلابد أن يطلبه للارشاد وهو حاصل برؤية الانجيل المأخوذ عنه الذى لم يحرف فمن طالع فيه فكأنما حضر عند المسيح وأخذ عنه واسترشد به ، ونظير هذا كثير فى الانجيل كما لا يخفى على من أحاط بعباراته ومجازها واستعاراتها خبرا فانظر ولا تغفل قوله « كما سبق قول النبى فيه أشعياء ٥٣ » أراد هذا النصرانى اثبات ألوهية المسيح وصلبه وكونه فداء أصحاب الخطيئة بنفسه من الاصحاح الثالث والخمسين من نبوة أشعياء مع أن الاصحاح المذكور ان صح وسلم من التحريف لا يفى بمراده ، لأنه ليس فيه صراحة بالمسيح عليه السلام ، ويمكن حمل الاشارات فيه على غيره من الرسل الكرام أو غيرهم من الأنام ، لا سيما واليهود لا تسلم للنصارى ذلك مع أن ما ادعاه من معنى هذا الاصحاح مناف للعقل والنقل والقرآن العظيم ، لأن من جملة هذا الاصحاح أن المشار اليه فيه لم يفتح فمه مثل ضأن الى الذبح يساق مع أن المسيح عند ذلك قال : « ايل ايل لم شبقتنى ، أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » وطلب من الله تأخير الموت عنه فلم يؤخره كما تقدم نقل هذا من الاناجيل وكذا قراره وبكاؤه مما هم به بنو اسرائيل فكيف يقال انه لم يفتح فمه وسيق مثل الضأن ؟ وفيه أيضا أنه حمل الخطايا وصلى على المعتدين مع أن أصحاب الخطايا على حالهم بزعم النصارى كالمسلمين واليهود وغيرهما من سائر الأمم والناس ولم يحمل من خطاياهم شيئا ولم يحمل الا عن النصارى فقط ، وهم بالنسبة الى غيرهم أقل قليل فأى فائدة اذ ذاك من مجيئه وحمله للخطايا ؟ وأما صلاته على المعتدين فقد قدمنا لك ما فيه كفاية عن الاعادة ، وأنه يلزم منه دخول قاتليه الجنة لأنه صلى عليهم واستغفر لهم وشهد لهم بعدم علمهم فيما عملوه بقوله « يا أبت اغفر لهم فانهم لا يعلمون ما يفعلون » فاذا علمت ذلك فالاصحاح المذكور لا حجة لهم به على ما يزعمون

بل هو دليل جليل على عبوديته ان كان هو المقصود (١) وأما اذا ادعوا أن فيه دلالة على نبوته ، فانا ان سلمنا صحته فلا يعكر علينا لأنا بنبوته معترفون وبمعجزاته التى خلقها الله تعالى على يديه مصدقون ، وكيف تكون دليلا على ألوهيته وقد صدر أمثالها ممن تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ؟ كقلب العصا حية وفلق البحر لموسى عليه السلام واحياء الموتى لأليشع كما فى الاصحاح الثامن من سفر الملوك ، وكما وقع لغيرهما من الخوارق والآيات كما فصلناه مرارا ، وأما علمه الغيب فهذا أيضا من جملة المعجزات لأن الله تعالى يعلم أنبياءه متى شاء ببعض المغيبات ، ولو كان المسيح عليه السلام الها كما زعموا العلم كل غيب فى كل آن ، مع أن كثيرا من الأشياء لم يعلمها . كما قال فى الساعة « انه لم يعلمها أحد الا الآب » والابن لا يعلمها كما فى مرقس ، وكما سئل الشيطان الذى دخل فى انسان عن اسمه قائلا ما اسمك ؟ فقال لأجون . فلو كان هو الله لما خفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولعلم جميع المسميات والأسماء ، فافهم ، والله تعالى أعلم .

قوله « وأخرج الشيطان » الخ أعلم أن معجزات المسيح عليه السلام الصحيحة لا كلام لنا فيها وكلها دالة على عبوديته ورسالته لا على الوهيته التى زعمتها النصارى . وهذه المعجزات ثبت مثلها لنبينا ﷺ وقد نقلنا لك بعضا منها فتذكر .

ولنذكر لك هنا ما هو مثل معجزة المسيح فى اخراج الأجنة من الناس ، فقد روى الامام أبو عبد الله محمد بن محمد التميمى رحمه الله تعالى بسنده فى كتابه « تلقيح العقول فى صفات الرسول ﷺ » قال أخبرنا أحمد بن عثمان بواسط قال ثنا على بن محمد الصيدلانى قال حدثنا محمد ابن محمد بن منتاب ، قال ثنا على عبد العزيز ، قال ثنا عجاج عن حماد بن مسلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن يعلى بن مرة قال رأيت من النبى ﷺ

---

(١) راجع كتاب اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة — نشر مكتبة الثقافة الدينية بمصر .

شيئا لم يره الا من كان معى ، خرج رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بمكان كذا وكذا ، جاءت امرأة بابن لها فذكرت أن به جنونا فأخذ بحجرته فقال اخرج باسم الله أنا محمد رسول الله أخرج باسم الله أنا محمد رسول الله ، ثم قال اذهبى فتعاهدينا فى مرجعنا فاعتدت له جزورا ولبنا وسمنا ، فلما فلما رجع ﷺ أهدت اليه الجزور والسمن واللبن ، فرد عليها الجزور والسمن وقال اسقى أصحابى اللبن ، وقالت ما عرض لابنى شىء بعدك .

وقال أيضا : أخبرنا أبو القاسم ابن أبى عمر الهاشمى قال ثنا القاضى ابراهيم بن فهد قال ثنا أبو سلمة موسى بن اسماعيل وبشر بن حجر قالا ثنا حماد بن مسلمة عن فرقد السبخى ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت الى رسول الله ﷺ بابن لها فقالت يا رسول الله ان ابنى هذا به جنون ، وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا ، فيفسد علينا فمسح رسول الله ﷺ صدره ، وقال اخرج عدو الله فثغ ثغة وخرج من جوفه مثل الجرو يسعى أ. هـ.

وقد ذكر غير هذا أيضا بروايات عديدة تركناها خشية التطويل من أرادها فليرجع الى « آكام المرجان فى أحوال الجان »

قوله « وأخبر بالغيب » لا يخفى عليك أن اخبار نبينا عليه الصلاة والسلام بالمغيبات أكثر ما وقع للمسيح عليه السلام . قال العلامة قاضى عياض عليه الرحمة فى كتابه « الشفا » : ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ما اطلعه عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث فى هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة فى اطلاعه ﷺ على الغيب من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها بالتواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب . قال حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فما ترك شيئا مما يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء قد نسيته ، فأراه فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ، ثم اذا رآه عرفه .

ثم ان القاضى عياض ساق جملة حسنة مما أخبر بها النبى عليه الصلاة والسلام من المغيبات . وقد ذكرنا بعضها فى محله من هذا الكتاب فتذكر ولا تغفل .

قوله « طائعة لربوبيته مقرة له أنه كلمة الله الخالقة » الى قوله « المجدة بروح القدس الحالة فيه » لا يخفى عليك أن النصرانى يكرر دعوى ألوهية المسيح وأن الله سبحانه حل فيه — تعالى الله عما يقول المفترون — ونحن قد كررنا رده واستوفينا المقال فيما تقدم ، غير أنا لا نحمل جوابه ورده هنا أيضا ولو على طريق الاجمال ، فاسمع ما قاله الامام فخر الدين الرازى عليه الرحمة فى كتابه « الخمسين » ولفظه المسألة الحادية عشر فى أنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يحل فى شىء بالذات أو الصفات خلافا للنصارى . والدليل على فساد مذهبهم من وجهين : الأول : ذات البارى سبحانه وتعالى لو حلت فى شىء فذلك الحلول ، اما أن يكون على سبيل الوجوب او على سبيل الجواز ، فان كان على سبيل الوجوب فيلزم من قدم ذاته قدم المحل أو من حدوث ذلك المحل حدوث البارى وهو محال . وان كان على سبيل الجواز فهو غنى فى ذاته عن ذلك المحل ، وكل ما كان ذاته مستغنيا عن المحل امتنع حلوله فيه ، فثبت أن ذات البارى تعالى وصفاته لا تحل فى شىء البتة وأن هذا المعنى فى نفسه باطل ، الثانى : هو أن النصارى يقولون : ان أقنوم الكلمة حل فى بدن عيسى عليه السلام ومرادهم من أقنوم الكلمة صفة العلم ، فنقول : صفة علم الحق سبحانه اذا حلت فى بدن عيسى انفصلت عن ذات البارى أولا ؟ فان قالوا انها انفصلت ، لزم أن يكون ذات البارى تعالى جاهلا فى ذلك الوقت ، وان قالوا انها ما انفصلت لزم قيام الصفة الواحدة فى زمان واحد بموصوفين وذلك محال فى بدائه العقول . فثبت بما ذكرنا : أنه سبحانه منزه عن الحلول بالذات والصفات . وكذا سبحانه منزه عن الاتحاد لأنه عز وجل لا يتحد بشىء البتة ، وأهل الاباحة يدعون محبة الله تعالى ويدعون الاتحاد فى بعض الاوقات ، وينشدون هذا الشعر :

---

(١) اعلم أن سنة النبى ﷺ — أعنى الأحاديث المروية عنه — منها =

نوع مفسر للقرآن الكريم . ومنها نوع منشىء أحكاما تشريعية زائدة على ما فى القرآن من تشريعات ، ومنها نوع فيه تشريعات تضاد القرآن فى التشريعات . ومنها نوع فيه عقائد تضاد عقائد فى القرآن . أما النوع المفسر فقد اتفق العلماء على قبوله — وأنا أقبله — لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (النحل ٤٤) وأما الأنواع الاخرى فقد اختلف العلماء فى قبولها . فمنهم من قال نقبل كل الأنواع لقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه » (الحشر ٧) وهو أتى بالقرآن والسنة على الاطلاق . ومنهم من قال لا نقبل غير المفسر من السنة لدلالة القرآن عليه فى قوله « لتبين » وقوله « لتبين » مخصص للمجمل فى قوله « وما آتاكم الرسول فخذوه »

ولذلك لا تجد حديثا غير مفسر الا وفيه مقال بين المحدثين والفقهاء من جهة صحته أو ضعفه — وليس من حديث غير مفسر الا وفيه ضعف من جهة ما — وعلى العلماء الذين ينادون بفتح باب الاجتهاد فى هذه الأيام ، أن يقبلوا النقاش فى السنة التشريعية المنشأة أحكاما زائدة على أحكام القرآن والسنة التشريعية التى تعارضه . وعلى العالم الفقيه الذى ينبغى أن يقال عنه : انه مجدد فى عصره ، أن يحذف من مصادر الأدلة : غير المفسر للقرآن من الاحاديث التشريعية .

وهذه أمثلة للايضاح :

الأول : جاء فى القرآن أن كتابة الدين تكون فى الحضر ، وأن الرهن يكون فى السفر . لقوله : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى ، فاكتبوه — وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا ، فرهان مقبوضة » وفى الأحاديث أنه ﷺ رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير لأهله . فالقرآن شرع الرهن فى السفر فقط ، والحديث خالفه وشرع الرهن فى الحضر . فهل هذا الحديث مفسر ، أم مشرع منشىء ، أم مشرع معارض ؟ انه معارض — وهذا صحيح — ولكن كثيرين من الفقهاء جعلوه مشرعا منشئا ، وأباحوا بموجبه الرهن فى الحضر . والبنوك العقارية قامت فى البلاد الاسلامية اعتمادا عليه ، وأضرت بمصالح الناس ، فمنهم من رهن عقاره وأخذ المال للتجارة فخسر فيه ، ثم ضاع عليه عقاره لأن البنك باعه لحسابه سدادا لدينه . وقد أنكر هذا الحديث

جماعة من المحدثين — كما فى تفسير القرطبى — .

ومن حجج المفكرين أن النبى ﷺ كان غنيا لقوله تعالى : « ووجدك عائلا فأغنى » ولقد كان فى صحابته أغنياء فلماذا فضل الأخذ من اليهودى عليهم ؟ ولماذا يرهن درع القتال ويخالف قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ .

المثال الثانى : قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » أى بالعدل . فلو أن أبا عنده خمسة أفدنة ولد ثلاثة أولاد ، منهم أعمى صغير ، وآخران كبيران صحيحة أعينهما ، وقد رباهما وأنفق عليهما حتى كبرا . وأراد الأب أن يوصى لولده الأعمى بفدانين لعجزه وحاجته ، فان القرآن لا يمنعه لوجود الحاجة . وانما يمنعه فى حالة تساوى الأولاد ، لئلا يتحاسدوا ويتباغضوا بسبب التفضيل . وفى الأحاديث : « لا وصية لوارث » والابن من الاقربين ووارث . فهذا الحديث معارض تشريعى فى الظاهر — وهذا صحيح — ولكن بعض المحدثين يحكم بصحته . وآخرون يعارضونهم بحديث يثبت الثلث فى المال . والراسخون فى العلم يردونه لأنه ضد رغبات المالكين كما فى تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على السايس . وللاعمى فدانان بالوصية ، ويبقى ثلاثة لكل منهم واحد ، فيكون للاعمى ثلاثة .

المثال الثالث : فى القرآن أن قصر الصلاة الرباعية لا يجوز الا فى سفر الحرب فقط لقوله : « واذا ضربتم فى الأرض فليس جناح أن تقصروا من الصلاة أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » فقد حدد القصر بالخوف من الكفار فى سفر الحرب . وفى الحديث أن الرسول ﷺ قصر فى السفر، وقد قالت عائشة رضى الله عنها أن سفر الرسول كان سفر حرب ، فدل فعله على موافقة القرآن فى المعنى — وهذا صحيح — ولكن بعض المحدثين يقولون : أن القصر رخصة من الله تعالى تفضل بها على عباده وانه ليجوز فى سفر الحرب وغيره . فماذا أقول .

المثال الرابع : قوله تعالى : « قل : لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به » فالقرآن يحرم من المطعومات أربعة أشياء هى الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للأوثان . والمسكوت عنه مباح . والمخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ... الخ هم ميتة .

والحديث يحرم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور . فالأسد على الحديث حرام ، والأسد على القرآن حلال . فهذا الحديث قد أزاد على تشريعات القرآن أشياء قد سكت القرآن عنها . وقد قبله البعض ورده البعض . والذين ردوه قد أصابوا ، لقول عائشة رضى الله عنها فيه : « لا نترك كتاب ربنا لحديث أعرابى يبول على ساقيه » وهو أبو ثعلبة الخشنى .

المثال الخامس : حرم القرآن أن يتزوج رجل امرأة وأختها فى نكاح صحيح . لقوله : « وأن تجمعوا بين الاختين » ولم يحرم أن يتزوج الرجل امرأة وعمتها أو امرأة وخالتها . فهب أنه وقع فى هوى عمتها أو خالتها . وهذا ممكن . فكيف يضبط نفسه ؟ والحديث حرم المرأة وعمتها والمرأة وخالتها . وقد رده كثيرون من الفقهاء — منهم الامامية — لأنه أضاف تشريعات القرآن .

هذه طائفة من الأمثلة أردت بها لفت نظر المجددين ، اذا ما أرادوا أن يجددوا وأن يصلحوا .

وفى هذا العصر يطالب المسلمون الغيورون على دينهم بوضع الشريعة الاسلامية فى المحاكم . ومن الواجب أن تنقى الشريعة مما أدخله عليها أهل الأهواء والبدع أولا . ثم توضع فى المحاكم كما أنزلها الله الله عز وجل .

فان قال قائل : ان حذف غير المفسر من السنة من مصادر التشريع سيؤدى الى أحزاب وشيع فى المسلمين . ولا ينبغى أن تحذف لئلا تحدث فتن . يقال له : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء أن يبينوا ولا يكتموا . وهو وحده أدرى بما سيحدث . فعلى العالم أن ينفذ ما فى الميثاق ولا يلتفت الى ما سيترتب عليه من نتائج . فانه ليس أحكم من الله ، ولا هو أدرى منه بعباده .

وان قال قائل : هل معنى ذلك — أن النبى ﷺ قد كذب فى قوله ؟ يقال له : أن النبى لا يكذب ولكن كذب عليه . انه لا ينطق عن الهوى ، ولكن نطق عليه . ان أهل الأهواء والبدع قد كذبوا على الرسول ، وقولوه ما لم يقل ، فالرد ليس لكلام الرسول ، بل للكلام الذى نسب اليه زورا من أهل الأهواء والبدع .

رق الزجـــاج ورقت الخمر فتشـــابها وتشـــاكل الأمر
فكـــأنما خمـــر ولا قـــدح وكـــأنما قـــدح ولا خمـــر

وأيضـــا يذكرون منهم هذه الأبيات :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحـــان حللنـــا بدنا
فـــاذا أبصرتنـــا أبصرتـــه واذا أبصرتـــه أبصر (٢)

والذى يدل على فساد مذهبهم حجتان :

احداهما أن الشيئين اذا اتحد احدهما بالآخر فعند حصول الاتحاد ، اما أن يكونا باقيين أو يكون أحدهما باقيا والآخر فانيا ، فان كانا باقيين فهما اثنان لا واحد ، فلا معنى للاتحاد ، وان فنى أحدهما وبقى الآخـــر فالاتحاد أيضا محال لأن الموجود لا يكون عين المعدوم .

فثبت بهذه البراهين القاطعة : بطلان القول بالاتحاد والدعـــوى به جهل صرف .

الحجة الثانية : وهو أن ذات البارى سبحانه وتعالى لو اتحد بشىء ، فاما أن يقال ان ذاته بعد الاتحاد كما هو قبل الاتحاد أو تغير ؟ فان كـــان الثانى لزم وقوع التغير فى ذاته وهو محال ، وان كان الأول فقد مر الكلام فيه . فثبت أنه منزه عن الاتحاد » أ. هـ.

فتبين ان دعوى الاتحاد والحلول لا يجوزها على الله تعالى ولا يقول بها أحد من أرباب العقول الا من ضـــل وأضل وخرج عن دين كل نبى ورسول ، وكابر فى دعوى لا يؤيدها مشـــاهد محســـوس ولا منقول ولا معقول .

تتمة : وأعجب من ادعائهم حلول البارى سبحانه بعيسى عليه السلام واتحاده بهم ، أنهم أيضا يتحدون بالمسيح ويحل فيهم ويحل فيهم ويحلون فيه فى العشاء الربانى الذى قدمنا ذكره مرارا ، ولنذكر لك هنا ما يتلوه القس عنده ، ففى كتاب صلاتهم المسمى بالصلوات العامة المطبوع فى قالته سنة ١٨٣٠ ما عبارته : « أيها الأحبة الأعزاء انى أزمعت بعون الله

---

(٢) المشهور هكذا : فاذا أبصرنى أبصرته واذا أبصرته قلت : أنا

على أن أهيىء فى يوم كذا لكل المتدينين المتقين قربان جسد المسيح ودمه ، الفائق التعزية ليقبلوه تذكارا لاستحقاق صلبه وآلامه ، وبه تنال غفران خطايانا ونكون شركاء فى ملكوت السماء ، فلهذا ينبغى لنا أن نقدم الله أبينا السماوى القادر على كل شىء شكرا قلبيا خشوعيا ، حيث قد سمح لنا بابنه يسوع المسيح مخلصنا ليموت لأجلنا بل ويكون لنا قوة وغذاء روحيا فى هذا السر الطاهر الذى هو تعزية الهية لمن يتناولونه وهم له مستحقون » الى أن قال « يا أحبائى قد عرفت بنعمة الله على أن أناول عشاء الرب فى يوم كذا فأدعوكم أيها الحاضرون حبا بالله وأتوسل اليكم لأجل الرب يسوع المسيح أن لا تأبوا التقدم الى هذه الشركة حيث أن الله ذاته أمركم ودعاكم اليها دعوة محب ، فاحذروا كل الحذر من أن تتعبدرا من هذه الوليمة الطاهرة ، وتهيجوا غضب الله عليكم » الى أن قال : « فاذا اذا ذاك نأكل بنوع روحى جسد المسيح ونشرب دمه ونحل فى المسيح والمسيح يحل فينا ونتحد مع المسيح والمسيح يتحد معنا » الى أن قال « فانعم علينا من أجل هذا ياربنا الكريم بان نأكل جسد ابنك العزيز يسوع المسيح ونشرب دمه لتتطهر أجسادنا الأثيمة وتغتسل أنفسنا بدمه الكريم ونسكن فيه وهو فينا أبدا دائما أمين » انتهى ما فى كتابهم .

ثم يأكلون الخبز الذى يعطيه القس ويشربون كأس الخمر منه فيكونون آلهة بزعمهم لأن الله تعالى حل فى عيسى واتحد به ، وعيسى يحل فى كل نصرانى يأكل هذا الخبز ويتحد به فصار الكل بزعمهم الباطل شيئا واحدا تعالى الله عما يقول الظالمون .

قوله « ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها » هذه الآية وان كانت من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى لكن لنا ههنا أسئلة نسألها من النصارى . أولها : ان شجرة التين أى جناية لها حتى تلعن ؟ الثانى : ما الفائدة فى لعنها ؟ الثالث : ان المسيح عليه السلام مادام هو الله بزعمهم فهو الذى لم يخلق فيها ثمرة فما جنايتها حتى تلعن على عدم اخراج الثمرة ، مع أن اللاعن الذى هو لم يخرج ثمرتها ، مع أنه لو كان خلق

فيها ثمرة فى ذلك الوقت كانت معجزة له ، الرابع : انها لا تخلو عن فائدة من استظلال بها وانتفاع بورقها . الخامس : الشجرة لابد وأن تكون مملوكة للغير فلم أهلكها وأضر صاحبها من غير جناية منه ولا صدور جناية منها ؟ السادس : لو كان فيها ثمر هل كان يباح له أن يأكل منها بلا اذن مالكها ؟ السابع : كيف جاع وهو الاله ؟ ولا أظنهم يجيبون عن هذه الأسئلة بأجوبة يقبلها ذوو الافهام ، الى أن ينزل المسيح (١) عليه السلام .

قوله « ومن قول صاحبك وشهادته : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » .

قال المفسرون : « المقصود من هذه الآية التنبيه على قبح اليهود حيث أنكروا نبوة عيسى عليه السلام مع ما ظهر على يديه من البينات اللائحة . فلذا خصص فى هذه الآية عيسى عليه السلام بايتاء البينات . ورد أيضا على النصارى القائلين بألوهيته اذ هما على طرفى الافراط والتفريط وتأييده بالروح القدس فيه خلاف كما تقدم غيره مرة فقال الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه هو الله تعالى وروحه هو جبريل عليه السلام والاضافة للتشريف والمعنى أعناه بجبريل عليه السلام فى أول أمره وفى وسطه وفى آخره ، أما فى أول الأمر فلقوله « فنفخنا فيه من روحنا » وأما فى وسطه فلأن جبريل علمه العلوم وحفظه من الأعداء وأما فى آخر الأمر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل عليه السلام ورفعه الى السماء والذى يدل على أن روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام « قل نزله روح القدس » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أن روح القدس هو الاسم الذى كان يحيى به عيسى عليه السلام الموتى . وقال شيخ الاسلام أبو السعود « بروح القدس » أى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهى روح عيسى عليه السلام ، وانما وصفت

---

(١) يفكر بعض الناس نزول المسيح فى آخر الزمان استناد على أن الساعة تأتى بغتة .

بالقدس للكرامة أو لأنه عليه السلام تضمه الاصلاب والارحام الطواهر . وقيل الانجيل » انتهى .

قوله « وكيف يحيل عليك أصلحك الله أن هذه الأفعال ليست الهية »

لا يخفى عليك مما قدمناه وذكرناه فى كتابنا هذا غير مرة أن المعجزات التى تصدر من الأنبياء عليهم السلام انما تصدر بخلق الله تعالى لها على أيديهم اظهار لنبوتهم ، ولو كان ما ظهر على يد المسيح عليه السلام من المعجزات يدل على الوهيته كما زعم النصرانى لكان كل الأنبياء آلهه ولا دعت الوهيتهم اقوامهم وأممهم فقد فلق البحر لموسى ، وقد ردت الشمس ليوشع عند جهاده للكفار وغير ذلك مما أسلفناه لك اذ كل ما حصل للمسيح عليه السلام وصدر منه حصل لغيره من الأنبياء الكرام من جزئى وكلى فالذهاب الى الوهية لأجل ما وقع منه حماقة صرفة ، اللهم الا شى واحد لم يقع لغيره من الأنبياء وهو استحالة أحدهم خبزا تأكله أمتهم الى يوم القيامة . فاما استحالة المسيح كما زعمت النصارى الى الخبز وأنه يؤكل حلمه ويشرب دمه حقيقة فى كل يوم تحت قبة كل كنيسة ، فهذا شىء لم ينسب الى غيره .

فان كانوا بهذا يستدلون على الوهيته فعلى عقولهم العفا وفى افواههم الصفا (١) وحسبنا الله وكفى .

تنبيه وتكميل لا يخفى على كل المعى بصير أن دعوى النصارى التى ذكرها هذا النصرانى أن عيسى عليه السلام هو الاله الخالق لا تخلو عن احد شقين وهما اما أن يكون المسيح عليه السلام لم يقل لبنى اسرائيل وهو بينهم انه اله بل قال أنه نبى فقط ، واما أن يكون قال لهم انه اله خالق فجحدوه وكفروا بالوهيته ، فان كان لم يقل لهم انى اله فكيف يكلفون باعتقاد الوهيته التى من لم يعتقدها عند النصارى فانه كافر مخلد فى النار ؟ فعلى هذا انه ادعى النبوة فقط ولم يدع الالوهية فمن أين اثبتت له النصارى الوهيته ؟

---

(١) الصفا : أى الصخور .

فان زعموا ذلك بكونه مولودا من غير أب فآدم عليه السلام مولود من غير أب ومن غير ام وحوا ولدت من ضلع آدم على أن النصارى يزعمون أن مريم زوجة يوسف كما نقلناه عنهم فى محله وان كان لاظهار المعجزات فغيره من الأنبياء اظهروا مثل معجزاته بل أعظم منها لأن موسى عليه السلام قلب العصا حية وفلق البحر ويوشع رد الشمس وهى أعظم من احياء الميت كما اسلفناه لك واليشاع احيا ابن السومانية كما فى الاصحاح الرابع من سفر الملوك الرابع ، وفيه أنه وضع قدام مائة رجل عشرين خبزا من شعير فى منديل ، فاكلوا وشبعوا وفضل وايليا أحيا ابن الأرملة كما فى سفر الملوك الثالث فى الاصحاح السابع عشر منه ، وأن جرة دقيقها وقلة زيتها لم يفنيا ولم ينقصا كل ما أكل منهما وان كان من جهة أنه قتل ، فزكريا ويحيى (١) عليهما السلام قتلا . وان كان من جهة عروجه الى السماء فقد عرج بغيره من الأنبياء أيضا كأخنوخ وايليا كما فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين ، والاصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى كما هو ثابت عند النصارى ، حتى أن مقدسهم بولس ادعى عروج نفسه أيضا كما فى الاصحاح الثالث من شرح رسالته الى اهل أفسس .

وان كان لتسميته مسيحا ففى المزامير لداود ، « مسحك الله » وفى آخر المزمور السابع عشر « وصانع الرحمة بمسيحة داود » وان كان من جهة اطلاق الروح عليه ، ففى الاصحاح السادس من دانيال لأن روح الله كان فيه اوسع » وان كان لتسميته ربا فقد اطلق الرب على المخلوق فى مواضع كثيرة من التوراة ، وخطاب ابراهيم ولوط للملك « يارب » حتى ان لفظ الاله اطلقه فى التوراة على موسى فى قوله « جعلتك الها لفرعون » كما نقلناه لك فى موضعه وأن كان من جهة اطلاق لفظ الابن عليه ، فقد أطلق فى التوراة على اسرائيل فى قوله « اسرائيل ابنى بكرى » وفى الاصحاح الرابع عشر من تثنية الاشتراع « كونوا أبناء الرب الهكم » .

وأن كان لتسميته البارى ابا فانه لم يكتف عيسى عليه السلام بقوله

---

(١) يوجد خلاف فى قتل يحيى عليه السلام سبق ذكره .

أبى ، بل قال « أبى وأبيكم » وقال « ياأبانا الذى فى السماء » وجعلها النصارى فى صلواتهم .

فان كان لعدم تزوجه فيحيى لم يتزوج ، وكذا الرهبان لم يتزوجوا ، وان كان قول النصارى بالوهيته لأجل الشق الثانى وهو أنه ادعى الالوهية وامر بنى اسرائيل أن يعتقدوا ذلك فلم يسمعوه ولم يصدقوه ولم يطيعوه ولم يعبدوه بل صلبوه وقتلوه ، فهم حينئذ على دعواهم أنهم بقول التوراة عاملون ، وللآيات النازلة على الكليم مطيعون لأن الاله لا يتعدد ولا يراه أحد وأنه قد امرهم قبل ذلك أن لا يعبدوا الا الها واحدا ، وأنه اذا ادعى أحد من البشر بالألوهية أو أمرهم بعبادة غير الله تعالى فليقتلوه ، فلما ظهر الاله بصورة البشر على زعم النصارى وادعى الالوهية لزم بحكم التوراة التى أنزلها هو ، أى المسيح لأنه هو الله الذى كلم موسى بزعمهم ، أن يقتلوه امتثالا لما أمـــر فى التوراة فيقتضى أن لا يلوموا على قتله **لأنهم أطاعوا ما أنزله فى التوراة عليهم ، ولم ينظروا الى معجزاته لأنها كما قال فى التوراة أنها كاذبةاذ لا تصدر المعجزة الصحيحة ممنيدعى الالوهية أو يدعوالىعبادة غير الله تعـالى ففى الاصـحاح الثالث عشر من تثنية الاثنـــتراع ما لفظه فـــان قـــام بينكم نبى أو من يقـــول انـــه نظر حلما أو ســـبق وقـــال على أية أم عجيبة ، وحدث ما تكلم به وقال لك لنذهب ونتبع الهة آخر لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع قول ذلك النبى أو حالم الأحلام أن الرب الهك انما يبتليكم لبيان أن كنتم تحبونة من كل قلوبكم ومن كل انفسكم أم لا الرب الهكم فاتبعوه واياه فاخشوا وصاياه فاحفظوا واسمعوا صوته وله فاعبدوا وبه فاعتصموا ، ثم يقتل ذلك النبى أو ذلك حالم الأحلام لأنه تكلم ليزيغكم عن الرب الهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، فان أولع بك أخوك ابن امك وقال لك سرا سر بنا لنعبد الهة آخر لست تعرفها أنت ولا اباؤك فلا تسمع منه ولكن لوقته فاقتله)) أ. هـ. فليحفظ .**

فان النصارى لا يجدون جوابا يقنع ذوى العقول عما أوردته عليهم

هنا من المعقول والمنقول والله سبحانه الموفق لاتباع الرسول .

قوله : وان امر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس من الملوك المتقدمين لا يخفى أن هذا النصرانى لو كان له أقل انصاف وتدبر لما ادعى هذه الدعوة الظاهرة البطلان لأن أمر نبينا عليه الصلاة والسلام لم يتهيأ لأحد غيره من لدن أبينا آدم عليه السلام الى يومنا هذا بل الى آخر الدوران فمبدأ أمره ومنتهاه ومعجزاته وسيرته واخلاقه وانتشار دينه من المشرق الى المغرب بأقل مدة ، وحسن شريعته وأحكامه وكثرة العلماء وتاليفاتهم والأولياء وكرامتهم وجهاد أصحابه وخلفائه وسلاطين أمته وفتحهم البلاد واستيلائهم على الملوك ذوى العدة والعدد ، شهود عدول على صدقه .

قوله : « قلنا لك ان الأنبياء كانت تفعل ذلك ولكن بعد التضرع على أن بعضا دعا فلم يجب الى قوله فاما سيدنا يسوع فانه فعل الأشياء بالقوة الظاهرة » الى آخره يريد هذا النصرانى أن عيسى لما كان هو الاله ، فطلبه من أبيه الله لا يبذل ولا يغير بل يجاب له كل ما طلب لأنه هو الأله الفعال فى الحقيقة بخلاف سائر الأنبياء فانهم رسل قد يستجاب دعاؤهم وطلبهم وقد لا يستجاب ، فليت شعرى لم لم يستجب له عندما طلب تاخير كاس الموت عنه ؟ ولم لم يسمع دعاءه عندما قال ايلى ايلى لم شبقتنى أى الهى الهى لم تركتنى ؟ ولم لم يرحم عبرته لما بكى ثلاث مرات ؟ كما نقل الخورى فى تفسير الأناجيل فى الاصحاح الحادى عشر قائلا وقد دمع المسيح ثلاث مرات الأولى حينما رأى قبر العازر ، والثانية عند رؤيته أورشليم وعلمه بانها ستخرب ، والثالثة على الصليب » ونحو هذا كثير فلا تغفل .

قال النصرانى « واذ قد نقلنا عن بعض شرائع المسيح سيدنا واخبرنا بعض عجائبه ، فلنذكر الآن كيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعثهم الى أهل العالم دعاه الى الحق ، فنقول انه اتخذ قوما أميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا ايسار صيادى سمك وعشارى خراج ، ففتح قلوبهم وملأها نورا وحكمة ففهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر ، وتذلل لهم كل ملك عزيز ، وكل سلطان شديد وكل جبار عتيد ودخل فى طاعتهم كل شريف وحسيب ، وافتقر اليهم كل غنى ، حتى دان لهم ذوو الأيسار وأقوالهم كل ذى علم وفهم ، وانقطع عند حجتهم كل ذى بلاغة ، ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة غير منكرين ولا جاحدين ، بل قائلين بالفضل الذى أوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التى ظهرت عليهم والأيد الذى أيدوا به ، وتلك الآيات والعجائب التى أظهروها حين قال لهم :«اذهبوا فادعوا الأمم الى حياة الأبد وبشروهم(١) بالبعث والنشور وقيامة أجسادهم وفيها أرواحهم ، وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذى هم فيه ، وقد أعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب ، مجانا أعطيتكم مجانا اعطوا لا تأخذوا ذهبا ولا فضة من أحد ، تضـــعون أيديكم على المرضى فيبرؤن والموتى فيحيون باسمى ليعجب العالم منكم ويكون الى حجة عليهم .

فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم الى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشىء من الدنيا . وعدة هؤلاء سبعون رجلا الذين وجههم قبل ارتفاعه الى السماء بالكرامة والمجد ، واختار اثنى عشر رجلا كانوا ملازمين له وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكل أموره فى كل أحواله وهم الناقلون أخباره بالحق والصدق الى الأمم وكـــانت مخاطبته اياهم وعهده اليهم قائلا : ان الذى يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيرا فى ملكوت السموات وعظيما ، واذا أنتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت الســـماء والعمل بالبر ولا تكثروا الخطب والتعديد ،

---

(١) المسيح بشر بملكوت السموات .

وتشغلوا قلوبكم بطلب الرزق قد كفيتموه ، فان اباكم الذى فى السماء أعلم بحوائجكم وما يصلح بكم ولكن اذا دعا احدكم فليدع هكذا : « ابانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ليات ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، أعطنا خبزنا كفافنا يوما فيوما ، واغفر لنا ذنوبنا وخطاياانا كما نحن نغفر لمن أساء الينا ولا تدخلنا فى التجارب لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد » أمين .

ثم قال لهم « انى موجهكم مثل الحملان بين الذئاب ولكنى مؤيدكم فكونوا حكماء فى اموركم ، واذا قدمتم الى السلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحق معهم ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم اياهم بالمواعظ ، فانهم لا يملكون لانفسكم ضرا وانما سلطانهم على أجسادكم فقط فاصبروا اذا ألجاؤكم الى الحبس والضرب والقتل ، واذكروا من له سلطان على أنفسكم وأجسادكم معا لأنه هو القادر على أن يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفو عنكم ولا تهتموا بما تكلمونهم وتحاجونهم به ، فانى معطيكم فى الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون اليه ، واعلموا أن من جحد دعوتى وأنكر البشارة باسمى انكرته يوم القيامة اذا وقف مع الخلائق بين يدى للحكم والقضاء ، ومن اقر بدعوتى والبشارة باسمى بين يدى الناس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه أقررت به انه من أوليائى يوم الدين اذا وقف مع الخلائق بين يدى .

ثم قال لهم « عليكم بالتواضع فطوبى للمتواضعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء فطوبى للمرحومين ، فانهم يستحقون الرحمة من ربهم »

ثم قال لهم : « صلوا من قاطعكم اعطوا من منعكم أحسنوا الى من أساء اليكم سلموا على من سبكم صالحوا من بغضكم اصفحوا عمن أهانكم انصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم اذا لم يرحم بعضكم بعضا كيف يرحمكم الله ؟ واذا لم تحسنوا الى الناس كيف يحسن الله اليكم ؟ كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم فحقا أقول لكم : كما تفعلون كذلك يفعل بكم »

ثم قال « ان ضوء الجسد عيناه فان كان البصر مستضيئا استضاء الجسد كله ، وان كان البصر مظلما كان الجسد ايضا فى الظلام كذلك ، العبد اذا كان عالما بربه ابصر ذنبه ، واذا كان جاهلا بربه عمى عن ذنوبه وكما ان لاقوام للجسد الا بالنفس الحية كذلك لاقوام للدين الا بالنية الحسنة الصادقة ، واياكم والنظر الى عيوب الناس وان تعاتبوهم على اصلاحها لكن ابدءوا باصلاح عيوب انفسكم وعظوها باشغالكم ، لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنثروا درركم قدام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للسفهاء ولا تتكلموا بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله »

ثم قال « ما اسهل السبيل التى تؤدى الى العطب والهلاك ، وما اوسعها واعمرها واكثر سالكيها وما اثقل السبيل التى تؤدى الى الحياة وما ابطأ سالكيها واقل عامريها احتفظوا من الكذابين واحترسوا من المرائين على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان ، وهم من داخل كالذئاب الخاطفة ، يعرفون بسيماهم ، هل يجتنى من العوسج عنب او من الحنظل تين ؟ كذلك لا ينتفع بقول ولا بموعظة من مثل هؤلاء ، واحذروا من الانبياء الكذبة الذين ياتونكم بعدى بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة امضوا فادعوا الناس الى حياة الأبد ، وعلموهم ما علمتكم من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رايتموه منى ورهدوهم فى هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم فى دار الآخرة واعلموهم ان الله تبارك وتعالى باعث من فى القبور ومحيى الموتى ومدين الخلائق ، فمن عمل صالحا ورث الحياة الدائمة التى لاموت بقطعها فى ملكوت السماء وجوار رب العالمين ، الذى لا شىء أفضل منه مع الأمن والعافية فى نعيم لا يزول ولا ينقضى ، فمن أفسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتى وجحد دعواى وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة ، فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التى لا تطفىء خالدا فيها والعذاب الدائم الذى لا انقضاء له وغضب الله عليه وسخطه الذى لا رضى بعده ، فمن رد دعوتى فقد ناصب الله ورد أمره ، وقد اعطيتكم من الأيدى والسلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس دعوتكم ، لتكن الحجة البالغة عليهم ، ضعوا أيديكم على المرضى الميئوس منهم

فيبرؤن باسمى ، ونادوا الموتى فيحيون ، وأخرجوا الشياطين من الناس ، وافتحوا أعين العمى وطهروا البرص فلا شىء يعاندكم ولا يقاومكم ، وكل ما ربطتموه على الأرض كان مربوطا فى السماء وكل ما حللتموه كـــان محلولا ، حتى تنير دعوتى فى جميع الأرض ، ولا يكون موضع خاليا من دعوتى لأنها الى الناس كافة (١) لانها نعمة مبثوثة على جميع ذرية آدم ، ممن دخل فيها حفظ نفسه وربح وآمن وسلم وفاز وغنم ومن ضل معرضا خـــاب وخسرها .

أنا ذا موجهكم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك ولا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحدة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب فى ملك ولا لذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل فى السنن ، فنادوا فى الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الأهل والولد والأمـــوال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضـــوع ، وصححوا قولكم وضمائكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجبة التى أعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم فى الثواب وحذروهم من العقاب ولا تأخذوا ذهبا ولا فضة ولا تريدوا من أحـــد أجرا ولا شكرا كلوا من كد أيديكم وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل ، وأعطوهم من ذلك مجانا كما أعطيتكم ولا تمنعوا طالبا ولا تردوا سائلا واسعفوا الناس جميعا وابذلوا لهم المجهود من أنفسكم ، سيروا بالبشارة ولا تفتروا فان ملكوت السماء قد دنا . وها أنا معكم ومع كل من دعا باسمى جميع أيـــام الدنيا الى انقضاء الدهر » .

ثم انه أراد أن يكمل التواضع الى الغاية القصوى ، فلم يمتنع من الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول :

---

(١) دعوة عيسى عليه السلام الى الناس كافة هى أن يعرفوا محمدﷺ ويؤمنوا به اذا ما جاء . ليست عالميته بشريعة مستقلة عن شريعة قوى وأنه خاتم النبيين كما يدعى النصارى .

(يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون) ثم مات بجسده وأقام على الصلب الى وقت المغروب من يوم الجمعة ثم انزل ودفن وأقام فى القبر الى صبيحة يوم الأحد ، ثم انبعث حيا بلاهوته ، وترائى للنسوة اللائى جئن الى قبره زائرات ، وظهر بعد ذلك لحوارييه مرة فى الجليل ومرتين فى الغرفة التى كانوا فيها نزلا ، ومرة فى الطريق وبعضهم ماض الى القرية التى تدعى عمواص ، ومرة على شاطىء البحر وهم يتصيدون السمك وأكل معهم عدة مرار كل ذلك فى خلال أربعين يوما وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التى عهدها اليهم ويخبرهم انه سيوجه لهم « البارقليط » الذى هو الروح القدس لتأييدهم فلم يزالوا كذلك الى أن صعد الى السماء صعودا ظاهرا مكشوفا بحضرة من كان حاضرا فى ذلك الوقت وهم ينظرون الى أبواب السماء مفتحة ، وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهى تخاطب وتقول : « أيها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين ، هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيدة قد صعد الى السماء ممجدا ، وهو مزمع أن يأتى ثانية فى آخر الأيام فيرى نازلا فى ذلك الوقت كما ترونه الساعة صاعدا ليبعث من فى القبور ويدين الخلائق » ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه . وذلك الجبل الذى صعد منه ، جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت » انتهى .

اقول ان اكثر ما نقله عن الانجيل هنا ليس لنا فيه كلام لأنه عبارة عن نصائح نبى لقومه ورسول لأمته ، ومثلة بل وأزيد منه فى القرآن المجيد وفى سنن نبينا عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم ما يفوقه لأمثل أمثاله ويزيد ، وذلك على من طلب كتبنا وأحاديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام غير بعيد . الا أن هذا المؤلف دلس فيما نقله من أقوال المسيح وخلط فيه من كلمات نفسه وعزاها الى المسيح ولم يذكر انها من أى انجيل وفى اى اصحاح منه وقد راجعنا فلم نجد ذلك فى الانجيل مثل قوله « بل بالسيف (١) والمغالبة » ونحو ذلك فتيقظ ولا تغفل .

---

(١) السيف فى رواية لوقا .

وأما ما ذكره من حال الحواريين فهو مسلم (١) عند المسلمين ، غير أن للنصف اذا نظر فى أحوال الصحابة الكرام الذين آمنوا بنبينا ﷺ وبذلهم نفوسهم وأموالهم فى سبيل الله لاعلاء كلمته ونشر شريعته وتبليغ كتابه ودعوته ، وما من عليهم بانارة قلوبهم فى حكمته وما اعطاهم الله تعالى من الشجاعة فى فتح بلاد المشركين والسياسة ونور العلم فى كتابه المبين والحذق والكياسة والتثبيت والاقدام والفراسة والزهد والعلوم اللدنية والعبادة ، وترك الدنيا الدنية والصلاة والناس نيام ، والصوم فى اشد الحر من الايام وبث العلوم والحكم والنصائح للأمم ومكارم الأخلاق الحسنة ، ومعاونة المظلوم على من ظلم والتحلى بالصفات العالية المستحسنة وحباهم بتقديم حبه على حب أنفسهم وأولادهم ، ومن عليهم بحب رسوله واتباعه اكثر من حب أرواحهم ووفقهم للتجنب من المآثم والتقرب اليه سبحانه بما يوجب النعيم الدائم ووصفهم بقوله « لا يخافون فى الله لومة لائم » يرى ذلك الناظر علو شأنهم على غيرهم كالصبح الظاهر على الليل الكافر .

غير أنا نذكر شيئا مما يتعلق بالحواريين الاثنى عشر وهم بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وفيلبس وبرثولماوس ومتى وتوما بن حلفى وتداوس وسمعان ويهوذا الاسخريوطى وهو الذى القى عليه شبه عيسى فصلب . ولفظ الحواريين جمع حوارى واشتقاقه من الحور وهو البياض وسموا بذلك لأنهم كانوا قصارين ، وقيل للبسهم البياض ، وقيل لنقاء ظاهرهم وباطنهم ، وقيل كانوا صيادين للسمك . وفسر فى قوله عليه الصلاة والسلام « لكل نبى حوارى وحوارى الزبير » بالخاصة من الأصحاب والناصر . وقال الازهرى « الذى اخلص ونقى من كل عيب » ورد أيضا أن الحواريين كلهم من قريش . وقد ورد فى القرآن العظيم ذكر حوارى عيسى عليه السلام بقوله تعالى « واذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى » ولذا ذهب بعض العلماء الى أنهم أنبياء وكثير من المفسرين الى عدم نبوتهم (٢) وأن المراد من

---

(١) قيل أنهم كانوا علماء .

(٢) ليسوا بأنبياء .

الايحاء الالهام والالقاء فى القلب ، مثل قوله تعالى « واوحينا الى أم موسى » وقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » قال المفسرون انهم أصفياء عيسى عليه السلام وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا فرقهم فى البلاد .

فمنهم من أرسله الى رومية ومنهم من أرسله الى بابل ومنهم من أرسله الى افريقية — ومنهم من أرسله الى أفسس — ومنهم من أرسله الى بيت المقدس — ومنهم من أرسله الى الحجاز — ومنهم من أرسله الى أرض البربر وما حولها . ثم لما رفع الى السماء قالت طائفة من قومه انه الله سبحانه ، وقالت أخرى أنه ابن الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا رفعه اليه ، فظهرت وقالت طائفة انه عبد الله ورسوله ، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة ، حتى بعث النبى ﷺ فظهرت المؤمنة ، وقيل ظهرت المؤمنة على الكافرة بالسيف أو بالحجة . وذلك قوله تعالى « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » أى غالبين بالحجة والبرهان الوارد فى القرآن وهو أنه عليه السلام روح الله وكلمته وعبده ، وأن مثله كمثل آدم عليه السلام .

وفى بسط الكف : قال ابن كثير فى التاريخ لما انتهت النبوة فى بنى اسرائيل الى عيسى عليه السلام قال فيهم خطيبا فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده للنبى الأمى العربى خاتم الأنبياء على الاطلاق أحمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وقوله تعالى « فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة » يعنى لما دعا عيسى بنى اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى منهم من آمن ومنهم من كفر ، فكان من آمن به أهل أنطاكية بكمالها بعث اليهم رسلا ثلاثة أحدهم شمعون الصفا فآمنوا واستجابوا وليس هؤلاء المذكورون فى سورة

يس (١) وكفر آخرون من بنى اسرائيل وهم جمهور اليهود ، وأيد الله تعالى من آمن به على من كفر فيما بعد ، فكل من كان أقرب اليه كان غالبا لمن دونه ، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه من أنه عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه وأطروه وأنزلوه فوق ما أنزله الله به . ولما كانت النصارى أقرب فى الجملة من ما ذهب اليه اليهود فيه كان النصارى قاهرين لليهود فى زمان الفترة أ. هـ.

ونذكر أيضا ما يتعلق ببعض عباراته :

قوله : « من جحد دعوتى وأنكر البشارة باسمى أنكرته يوم القيامة » الى آخره لا يخفى عليك مما نقلته لك سابقا عن الانجيل أن بطرس الذى هو رأس الحواريين أنكره ليلة أخذ اليهود له للصلب ، وقبل ذلك أيضا طرده عن اتباعه له ، وقال له : « اذهب عنى يا شيطان » وهذا يلزم منه أنه كافر فاسق مع أنه من أعظم الحواريين المبشرين والرسل المكرمين .

قوله : **« دعوتى الى الناس كافة »** انظر الى دعوة هذا النصرانى التى يكذبها المسيح عليه السلام فى انجيله ، ففى الخامس عشر من متى انه قال ما لفظه : « لم أرسل الا الى الخراف التى ضلت من بيت اسرائيل » قال مفسرهم الخورى « ولهذا السبب يدعى المسيح خادم الختان أى مرشد اليهود المختونين » **انتهى** . فقد اعترف عليه السلام أنه لم يرسل الى أحد الا الى بنى اسرائيل (٢) وهذا صريح فى تكذيب ما ادعاه النصرانى فلا تغفل . ومثل ذلك أنه ادعى أن عيسى عليه السلام قال عند وضعه على خشبة الصلب وهو فى غاية الألم والكرب والطلب من الرب أن يؤخر عنه كأس الموت ، فلم يجب ، واليهود الكفرة به محدقون وبتكذيبه مصرحون وبقتله مباشرون : « يا أبت اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون » فتأملوا يا عقلاء الأنام فى هذا الكلام وأنصفوا يا أصحاب العقول فى تسليم ما أقول ، اذ يرد على مدعى هذا الطلب والدعاء أن اليهود مع كفرهم وقتلهم

---

(١) المشهور أنهم هم .

(٢) هو أرسل الى بنى اسرائيل ليعلمهم بمجىء نبى الاسلام ﷺ . ثم بعدما أعلمهم أمر من آمن به منهم أن ينطلقوا الى الأمم لنفس الغرض ، كما قال المؤلف سابقا .

المسيح مغفور لهم ولا يؤاخذون بما فعلوه فيه قطعا ، وانهم من أهل الجنة لا محالة لأن عيسى لا يخلوا أما أن يكون الها كما هو بزعمهم أو غير اله بل عبد مرسل من الله تعالى معصوم من الكذب ومستجاب الدعوة ، فان كان الها وارادته وارادة أبيه واحدة كما يزعمه النصارى ، فقد غفر لهم وشهد لهم لا يعلمون ما يفعلون ، ومن غفر له الهه على الخشبة عند تحقق موته فهو مغفور له ومن أهل النعيم الدائم ، فلماذا ليت شعرى تكفرهم النصارى وتلومهم وتلعنهم والرب بحسن رضاه وارادته قد غفر لهم . وان لم يكن الها فقد كان نبيا لا محالة ، فالنبى معصوم لا يطلب من الله تعالى ما يعلم أن الله سبحانه لا يفعله ويعلم خلافه لأن النبى ينبغى أن يعلم أن الله تعالى يعلم أن هؤلاء اليهود كفرة قاتلين لرسوله وأنه لا يدخلهم الجنة بل يخلدهم فى النار لأنه لو لم يكن كذلك لانقلب علم الله تعالى جهلا ، وهو محال لا سيما وقاتل النفس محرر فى التوراة أنه يعذب ، فان كان عيسى علم ذلك من الله تعالى وطلب خلافه ، فهو جهل من عيسى ، وحاشاه والنبى لا يجهل ذلك . وان اجهل فهو ليس بنبى ، مع أنه نبى ، فلابد أن يكون غير جاهل لذلك ، والا فان علم أن الله يغفر لهم بطلبه ودعائه لأنه سبحانه سبق فى علمه أنهم مغفور لهم لجهلهم ، فحينئذ ينبغى للنصارى أن يعظموهم ويترحموا عليهم لأنهم من أهل الجنة وقد راوا المسيح ودعا لهم وتكون درجتهم أعلى من الحواريين صاحب الديك لما صاح وصاحب الثلاثين درهما ، لأن الاول أنكر عيسى والثانى سلمه بيد القاتلين ، وهؤلاء من المغفور لهم المعذورين فتدبر تناقضهم ، وما أوردناه عليهم وكن من المنصفين ، واعترف بأن المسيح ليس باله العالمين .

ثم الأغرب من هذا ما يؤيد أن اليهود القاتلين المسيح عليه السلام الصالبيه بزعمهم لا اثم عليهم : ما ذكره مفسرهم الخورى يوسف الياس فى تفسيره لما فى انجيل يوحنا من قوله « وكان واحد منهم اسمه قيافا وكان عظيم الكهنة فى تلك السنة ، فقال لهم : انكم لا تدرون بشىء ولا تفكرون بأنه يليق بنا أن يموت رجل واحد من الشعب ولا يهلك الشعب كله ، هذا

لم يقله من قبل نفسه ولكن لأنه كان عظيم الكهنة فى تلك السنة ، فتنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الشعب » ما لفظه : « ان معنى كلامه كما فهمه الانجيلى ويفهمه الجميع الآن أن المسيح يلزم أن يموت لخلاص الشعب وانقاذ الناس بموته من الخطيئة والموت والشيطان ، لكن قيافا لم يفهم هذا ولم يتعمده بل الهمه اياه روح القدس ، فيظهر من هناكم يهتم الله ببيعته وكم يساعد عظيم كهنتها لا سيما من جعله فى العهد الجديد رأسا ومدبر العروسه ، لئلا تضل عن الايمان والحق ، ومن حيث أن قيافا لم يفهم هذا السر فلم يكن نبيا حقيقة كما أوضح أوريجانوس بل تكلم روح القدس بفمه ككلام الملك بفم بلعام بن بعور كما فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر العدد ، ولذا قال فم الذهب ان روح القدس حرك لسان قيافا لا قلبه ، على أن قيافا لم يخطىء ضد الايمان بل ضد العدل والتقوى ، ولم يكن لعظماء كهنة اليهود المعصية من الضلال التى منحها المسيح عظيم أحبار كنيسته فى العهد الجديد ، وكان مجمع اليهود أشرف حينئذ على السقوط والا فان علم أن الله يغفر لهم بطلبه ودعائه لأنه سبحانه سبق فى علمه أنهم بحضرة المسيح ، وسقط بعيد ذلك ، اذ حكم على المسيح بالموت ، واضحى مجمع الشياطين لا بيعة الله » انتهى .

فاللازم على هذا أن قيافا لا وبال ولا اثم عليه ، فى قوله لليهود انه ينبغى قتل المسيح لأن هذا هو كلام عيسى عليه السلام بنفسه الا أنه خرج من فم قيافا بلا شعوره ولا ارادته ولا قصده لأنه كلام روح القدس وروح القدس هو بزعمهم الأقنوم الثالث وهم يقولون الآب والابن ورح القدس اله واحد والثلاثة متساويين ذاتا ولاهوتا ولا غيرية بينهم ، لا سيما والارادة ايضا واحدة غير متعددة فاذا كان قيافا تكلم بفمه روح القدس الذى هو احد الآلهة الثلاثة التى هى اله واحد كما تكلم الملك فى فم بلعام بن بعور لما طلب منه بالق بن صفور لعن يعقوب ، فبارك عليه بدل اللعن ، فأى جناية على قيافا ؟ لا سيما والمسيح الذى هو الله يريد أن يفدى الناس بنفسه فى صلبه وكذا لا جناية لغير قيافا لأن المسيح هو أراد ذلك من خلقه وعبيده بزعم النصارى لأنه أراد قتل نفسه لخلاص العالم ،

فلا شك أن المسيح يكون ظالما وحاشاه بزعمهم لذا أراد تعذيب القاتلين يوم القيامة ، لما علمت من عبارات الإنجيل وأقوال مفسريه .

فانظر أيها المنصف الى هذه الخرافات التى تضحك الثكلى من جعلهم عيسى هو الله وتوليدهم له من يوسف النجار ومريم عليهما السلام ، وزعمهم أن اليهود صلبوه واستغفاره لهم ، وأنه هو الذى تكلم فى أفواههم بقتله لأنه هو والروح القدس شىء واحد ، ثم ينهزم ويتخفى من خـــوفه القتل ويبكى عند صلبه ويطلب من الله تأخر كأس الموت عنه بقـــوله فى صلاته فى البستان « يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذا الكأس » وقـــوله « يا أبتاه نجنى من هذه الساعة » فلم يؤخره الله تعالى مع أنه هو الله بزعمهم ويقول « ايل ايل لم تركتنى » ؟ فلم يسمع دعاءه ولم يخلص نفسه ولا العالم ، ثم انه تحمل اللعن على نفسه لأنه قال فى التوراة « ان من يصلب على الخشب ملعون » وأن المسيح مصداق ذلك بزعمهم ، وأنـــه يدخل الجحيم عنهم أيضا كما نقلنا ذلك جميعه من محاله فى كتابنا هذا ، فانظر الى هذه المناقضات لا يخفى بطلانها على الاطفال والبنات واسأل الله تعالى المعافات .

وأما قوله « ثم مات بجسده وأقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم أنزل ودفن وأقام فى القبر الى صبيحة يوم الأحد » الى قوله « سيوجه لهم البارقليط » الى آخره ، فهو حديث مفترى وليس له أصل كأمثاله المختلفة التى الله بها من ســـلطان والبارقليط الذى ذكره وفسروه بالشفيع مرة وبالوسيط أو المحرض أو المحرك مرة ، وأخيرا بالمعزى كما نقلها مفسرهم الخورى فى شرح الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ليس هو الروح القدس كما زعم ، بل هو نبينا عليه الصـــلاة والسلام ، كيف ؟ وعبارته تنادى بذلك ومن جملتها قوله عليه السلام عند توديعه الحواريين حينما قرب رفعه : « ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب الى أبى فيعطيكم بارقليطا آخر ليكون معكم الى الأبد ، هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم بكل ما أقوله لكم » فقد عنى عليه السلام ببقائه الى الأبد بقاء شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام التى لا شريعة بعدها ولفظ آخر لا

يحتمل وجها آخر كما أثبتنا ذلك مفصلا فيما سلف فلا حاجة بنا الى الاعادة المفضية الى الملل فراجعه ولا تغفل .

غير أنا نذكر هنا ملخص ما ذكره عصرينا المولى عابدين باشا فى كتابه شرح المثنوى التركى العبارة ما ملخص ترجمته أن انجيل يوحنا الذى فيه لفظ البارقليط هو مترجم عن اليونانية ، والذى فى الأصل (بريقليتوس) بلا الف بين الباء العجمية والراء المهملة وان معناه بالعربية « أحمد » وان كان يوجد فى بعضها محررا بلفظ ياراقليتوس بالألف فهو محرف لانه لا معنى له يلائم هذا الكلام » وذكر أنه يوجد الآن فى بلد لوندره عاصمة بلاد الانكليز بعض من الاناجيل التى كانت مقبولة عندهم فى الزمن السابق ، وهى غير الأناجيل الأربعة التى اقتصروا الآن عليها وفيها ما يطابق القرآن العظيم من اخباره والبشارة بنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فليحفظ .

وقال الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان نصرانيا وأسلم فى حدود سنة ٨٢٣ فى كتابة « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » أن لفظ الفار قليط صار سبب اسلامه لأنه حصل علم النصارى فى كنيستهم عند قسيس يدعى « نقلاومرتيل » وأنه خدمه عشر سنين وبعد قصة طويلة وحكاية عجيبة ، سأله عن المقصود بهذا الاسم ؟ فقال له نبى المسلمين لأن الفارقليط اسم من أسمائه فقال له لم لا تسلم اذن ؟ فاعتذر له باعذار ساقها فى كتابه المذكور ، فقصد عند ذلك الشيخ عبد الله بلاد المسلمين فأسلم وحسن اسلامه وان أردت زيادة الاطلاع فعليك به وبما سبق فى بيان الفارقليط . وتذكرة وتدبره بحسن تفهم واستماع .

ثم اعلم أن ما ذكره هذا النصرانى من أن المسيح عليه السلام مات بجسده واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انزل ودفن واقام فى القبر الى صبيحة يوم الأحد ثم انبعث حيا بلاهوته وترائى للنسوة اللاتى جئن الى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحوارية الى آخر ما قاله هو ما أجمع عليه النصارى .

ويرد ذلك العقل والنقل وان صدقتهم اليهود وأيضا فى قتله ، فاستمع من المنقول ما يتلى عليك باذن واعية وخذ ما يأتيك من المعقول بالدلائل الهادية ،

على أن المقتول هو الشبه ، وان الحال عند صالبيه اشتبه ، وان المسيح رفعه الله تعالى قبل القتل اليه لشرفه عنده ومكانته لديه ، قال الله تعالى فى بيان حال اليهود فى سورة النساء فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » وفى الانجيل أن رئيس الكهنة أقسم على المأخوذ بالله أنت المسيح ابن الله الحى ؟ فقال له : انت قلت ولم يجبه بأنه المسيح ، فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال لـه نعم ، ولم يور ، ولم يتلعثم وهو محلف بالله لا سيما وهو بزعمهم الاله الذى نزل لخلاص عباده بافداء نفسه ودخول الجحيم ولأواه .

وقال لوقا فى الاصحاح التاسع من انجيله أن المسيح صعد قبل الصلب الى جبل الخليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلى اذ تغير منظر وجهه عما كان عليه وابيضت ثيابه وصارت تلمع كالبرق واذا موسى بن عمران وايلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم ، وأما الذين كانوا مع المسيح فوقع عليهم النوم فناموا وهـذا من أوضح الدلالات على رفعه (١) وحصول الشبه الذى نقول به ، اذ لا معنى لظهور موسى وايلياء ووقوع النوم على أصحابه الا رفعه ، الا ترى أن اليهود كانوا يسمعون منه عليه السلام أن ايلياء يأتى فلما رفعوه على الخشبة كما فى الأناجيل قالوا دعوه حتى نرى أن ايلياء يأتى فيخلصه ، فصاروا فى شك يريدون تحقيقه ، فان أتى ايليـاء فما رفعـوه هـو المسيح ، وان لم يأت فهـو غـيره كما فى ظنهم ، فلما لم يأت ازدادوا ريبة فى أمره . ومن رآه الحواريون بعد يقظتهم يجوز أن يكون طورا من أطوار روحه لأنه عليه السـلام لا يبعد أن يكون له قوة التطور ، وتشكل الروح بعد الموت أمر ممكن لا سيما وقد صدرت على يديه معجزات أعظم من ذلك كاحياء الموتى وكثرة الخبز والحيتان وابراء الأكمه والأبرص .

---

(١) انظر فى هذه القصة كتاب المسيا المنتظر .

وقال يوحنا التلميذ « كان يسوع مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود فى طلبه فخرج اليهم يسوع ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا يسوع وقد خفى شخصه عنهم ، فقال أنا يسوع وفعل ذلك مرتين ، وقد أنكروا صورته فانظر أيها العاقل كيف اعترف هنا أنه يسوع لما علم أن الله تعالى تولى حراسته منهم وأنهم لا يقدرون أن ينالوه بسوء ؟ وكيف لم يعترف بأنه المسيح لما سأله رئيس الكهنة عن نفسه ؟ فعدم اعترافه هناك واعترافه هنا دليل واضح أيضا على أن ما قاله الله سبحانه فى القرآن العظيم هو الحق .

ثم أن من الأدلة على عدم قتله ما اشتملت عليه الاناجيل من اختلاف المبانى والمعانى والمقاصد والاضطراب فى حكاية هذه الواقعة والتناقض فى ألفاظها كدعواهم الألوهية مع قوله عليه السلام عند صلبه بزعمهم « الهى الهى لم تركتنى ؟ » وقوله كما فى الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى « يا أبتاه ان كان لا يمكن أن تفوتنى هذه الكأس أى الموت ولابد لى أن أشربها فلتكن مشيئتك . وقام يصلى » وقوله لرئيس الكهنة : « انكم من الآن لا ترون ابن الانسان حتى ترونه جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء » يريد بالقوة البارى تعالى شأنه وفى الاصحاح السابع من انجيل يوحنا أن الفريسيين ورؤساء الكهنة أرسلوا شرطا ليقبضوا على المسيح يعنى ليقتلوه كما قال مفسروهم قال « أنا ماكث أيضا معكم زمانا ثمة انطلق الى من أرسلنى ، وتطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيثما أكن فلا تستطيعون اليه سبيلا ، قال اليهود فى ذواتهم فالى أين هذا عتيد أن ينطلق حتى لا نجده نحن ؟ » قال مفسروهم أى يصعد الى السماء وغير ذلك مما لو أردنا ذكره والتنقير فيه لطال البحث .

وأما قول النصارى ان القول بالقاء الشبه على غير المسيح عليه السلام يفضى الى السفسطة والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعقلاء لأنا اذا جوزنا القاء شبه الانسان على غيره لم يبق وثوق للوالد اذا رأى ولده أو الزوج اذا رأى زوجته أو الصاحب صاحبه ، لأنه لعله ألقى

عليه شبه ولده او زوجته أو صاحبه فلا يثق الانسان بأحد منهم ولا يسكن اليه . ونحن نعلم بالضرورة أن الانسان يقطع بأنه ابنه أو زوجته أو صاحبه وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريبة ، فالقـــول بالشبه خلاف الضرورة كالقول بأن الواحد نصف العشرة فلا يسمع .

فجوابه من وجوه :

أحدها : ان هذا تمويه وتهويل لأن البراهين القاطعة قائمة عـــلى أن الله تعالى خلق الانسان وجملة أجزاء العالم وأن حكم الشيء حكم مثله ، فما من شيء خلقه الله تعالى فى العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه فى نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلا بل جملة العالم وهو محال بالضرورة ، واذا ثبت أن الله قادر على خلق مثل لكل شيء فى العالم فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام أمثال فى حيز الامكان فى العدم يمكن خلقها فى محل آخر غير جسد عيسى ، فيحصل الشبه قطعا فالقول بالشبه قول بامر ممكن لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤنسك الى ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية فى عصـــا موسى عليه السلام وذلك أعظم من الشبه ، فان جعل العصا حيوانا يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا وقلبها مما اجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب لون يد موسى عليه السلام بيضاء ، وأجمعت النصارى على قلب الماء خمرا حينما طلبت ذلك مريم من ابنها المسح لما خلص الخمر فملئت الجرار من الخمر الجيد ولم يكن بها خمر بل ماء ، فاذا وقع ذلك فلا استحالة فى القاء الشبه كما لا يخفى على كل منصف على أن المصلوب كما فى الأناجيل أخذ فى حندس الليل من بستان فتشوهت صورته وتغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه فكيف بين الشيء وشبهه ، فمن أين لهم القطع بان المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » .

ثانيها : انه كما فى انجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا وتفاسيرها أن المسيح عليه السلام خرج هو والحواريون الى جبل الزيتون « حينئذ قال

لهم يسوع جميعكم تشكون بى فى هذا الليل » اى تعثرون لزيادة خوفكم ، ويظهر أن الرسل خامرهم شك بالايمان لما رأوا اليهود تقبض عليه ولا يحامى نفسه قال مفسرهم الخورى يوسف ، فاجاب الصفا قائلا له : « ولو شك بك الجميع فانا أبدا ، فقال له يسوع الحق أقول لك انك فى هذا الليل قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات تكفى بى ، فقال له الصفا اننى لو ألجئت الى الموت معك لما كفرت بك . وهكذا قال التلاميذ كلهم ، حينئذ جاء يسوع معهم الى موضع يسمى الجسمانية — أى وادى الزيت — وقال لتلاميذه : اجلسوا هنا ريثما أمضى فأصلى وأخذ بطرس وابنى زيدى يعقوب ويوحنا وبدأ يحزن ويكتئب وقال لهم ان نفسى حزينة حتى الموت ثم ابتعد قليلا يصلى قائلا : يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن لا كارادتى بل حسب ارادتك ، وأتى الى تلاميذه فوجدهم نياما فقال للصفا : هكذا ما استطعتم أن تسهروا معى ساعة واحدة تيقظوا وصلوا لئلا تدخلوا التجارب الروح مستعدة ، وأما الجسد فضعيف ، ثم مضى مرة ثانية يصلى قائلا : يا أبتاه ان كان لا يمكن أن تفوتنى هذه الكأس ولابد لى أن أشربها فلتكن مشيئتك . وجاء أيضا فوجدهم نائمين وقد ثقلت عيونهم فتركهم ومضى أيضا يصلى وقال كلامه الأول وظهر له ملك من السماء يشجعه ، ولما حصل له الخوف كان يصلى متنهدا واشتد حزنه حتى عرق دما وسال على الأرض ، حينئذ جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا » .

قال مفسروهم ان هذا تهكم من المسيح كأنه يقول اذا كان العدو على الأبواب ، هل يكون وقت للنوم ؟ فقد حضرت الساعة وابن الانسان يسلم بأيدى الخطاة . قوموا ننطلق فقد وصل الذى يسلمنى ، وفيما هو يتكلم . واذا بيهوذا الاسخريوطى الحوارى الذى أخذ من اليهود ثلاثين درهما (١) ليدلهم على المسيح ليقتلوه ، وهو أحد الاثنى عشر قد أقبل ومعه جمع كبير مع سيوف وعصى من لدن رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب وأعطاهم يهودا الدافع علامه بقوله ان ذلك الذى أقبله هو هو فأمسكوه

---

(١) ثلاثين قطعة من الذهب فى رواية برنابا .

ودنا حالا من يسوع قائلا : السلام يا معلم وقبله ، فقال له يسوع يا صاح ألهذا أتيت ؟ أبقبلة تسلم ابن الانسان ؟ وقال لهم يسوع كأنكم خرجتم على بسيوف وعصى لتأخذونى وكل يوم كنت عندكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى ؟ لكن هذه كانت لكى تتم الكتب ، حينئذ تركه تلاميذه وهربوا وارتموا على يسوع وقبضوا عليه . وقال يوحنا بعد أن قبله يهوذا تقدم يسوع فسأل اليهود مرتين : من تطلبون ؟ وهم يقولون يسوع الناصرى ، وهو يقول أنا هو واذا بطرس مديده واخترط سيفا وضرب به عبد عظيم الكهنة .

وقال بعضهم : كان السماطور الذى قطع به لحم خروف الفصح ، فقطع أذنه ، قال مفسروهم : وقد اخطأ بطرس بهذا لأنه ضد ارادة الهه يسوع ، فقال له يسوع : حينئذ رد سيفك الى غمده لأن كل من أخذوا بالسيف فبالسيف يموتون ، أتظن اننى لا أقدر أن أطلب الى ابى فيقيم لى الآن أكثر من اثنى عشر كردوسا من الملائكة ؟ والكردوس ستة آلاف جندى ، لكن كيف تتم الكتب لأنه هكذا يلزم أن يكون .

أما الذين قبضوا على يسوع فأصلوه الى قيافا عظيم الكهنة وكان الكتبة والمشايخ مجتمعين ، وهناك أعطى يهود الحوارى الثلاثين درهما التى أخذها رشوة على تسليم المسيح ، أما سمعان الصفا — اجل الحواريين — فكان يتبعه عن بعد ، فجلس داخلا مع الخدام لينظر الغاية وغيره من الرسل الحواريين فروا . فقال عظيم الكهنة ليسوع : أقسم عليك بالله الحى لأن تقول لنا : انت هو المسيح ابن الله ؟ فقال له يسوع : أنت قلت . أقول أقول لكم انه من الآن ترون ابن الانسان(١) جالسا عن يمين القوة — أى الله — ويأتى فوق سحاب السماء ، حينئذ بصقوا فى وجهه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك ، أما الصفا فكان فى الدار فجاءت اليه أمة تقول له أنت كنت مع يسوع الناصرى ، أما هو فكفر أمام الجميع قائلا : لا أعرف اليسوع ولست من تلامذته . ولما خرج الى الدهليز رأته

---

(١) ابن الانسان لقب لمحمد ﷺ (انظر كتاب المسيا المنتظر)

أمة أخرى ، وقالت لمن كانوا هناك : ان هذا كان أيضا مع يسوع الناصرى ، حينئذ ابتدأ يحرم ويحلف انه لا يعرف هذا الرجل .

قال مفسروهم ان خطأ بطرس هذا كان ثقيلا لأن المسيح قال : من ينكرنى أمام الناس أنكره أمام ابى الذى فى السموات . وفى تلك الساعة صاح الديك وتذكر بطرس كلمة يسوع انك تنكرنى ثلاث مرات فخرج وبكى بكاء مرا حتى انه كان يبكى مدة حياته كلما سمع صياح الديك . ولما أسفر صباح يوم الجمعة تشاور جميع العظماء على يسوع ليميتوه ، فأوثقوه وذهبوا به من بيت قيافا وسلموه فى يد بيلاطوس الوالى الرومانى حاكم اليهدية كلها . أما الحوارى يهوذا الدافع ، لما رأى يسوع قد دين ، ندم ومضى فأعاد الثلاثين الفضة الى رؤساء الكهنة قائلا : لقد أخطأت بتسليمى دما زكيا . فقالوا له : ما علينا أنت أخبر ، فطرح الفضة فى الهيكل وذهب فخنق نفسه . وأما رؤساء الكهنة فأخذوا الفضة وقالوا لا يحل لنا أن نضعها فى بيت التقدمة لأنها ثمن دم أما يسوع فانه وقف أمام الوالى وكان اليهود أعلموه بدعوى يسوع ، فسأله الوالى قائلا له : أنت هو ملك اليهود ؟ فلم يرد له جوابا ولا عن كلمة واحدة . فقال لليهود : وماذا أصنع بيسوع المقول له المسيح ؟ فقالوا كلهم : ليصلب ، حينئذ جلد يسوع بالسياط وأسلمه ليصلب .

قال مفسروهم الخورى وغيره : ولذا يظهر أن اللصين اللذين صلبا معه جلدا أيضا والجلادون كانوا ستين نفرا وأرشاهم اليهود ليميتوه بالجلد خشية أن يطلقه بيلاطوس . وهذا الجلد كان كافيا طبعا لموته الا أن اللاهوت حفظ الناسوت ليتألم بزيادة ويصلب ، وبعد أن جلدوه ونزعوا أثوابه وألبسوه لباسا قرمزيا وضفروا اكليلا من شوك العوسج ، ووضعوه على رأسه .

ومن هنا أخذت الكنيسة العادة على ابقاء اكليل من شعر فى رأس الكهنة تذكارا لاكليل المسيح الشوكى ، وقصبة فى يمينه وجثوا على ركبهم مستهزئين به وقائلين : السلام يا ملك اليهود ، وتفلوا فى وجهه وتناولوا قصبة يضربون بها رأسه . ولما هزؤا به نزعوا عنه ذلك اللباس

والبسوه ثيابه واستاقوه ليصلب وكان يتقدمه مبوق يدعو الشعب الى هذا المنظر بحسب عادة اليهود ، وخشبة الصلب على منكبيه ، وطوله خمسة عشر قدما وعرضه ثمانية أقدام وكان أحد طرفى الخشبة على عاتقه والطرف الآخر مسحوبا على الأرض . ولذلك كان يزيد ألم جراحه .

فأتوا به الى موضع يدعى الجلجلة ومعناه الجمجمة . وناولوه خلا مخلوطا بمرارة أو خمرا ممزوجا بعلقم بعد أن طلب الماء فذاقه ، ولم يرد أن يشرب ولما صلبوه بالمسامير أو بالحبال معها وكانت المسامير فى راحة اليد وفى الصليب محل يسند اليه رجليه ، اقتسموا ثيابه بالقرعة وهى ثلاثة القميص والرداء والجبة (١) ولم يكن يلبس السروال كعادة تلك البلاد وجلسوا هناك يحرسونه لئلا يسرقه أحد ومن الساعة السادسة غشيت الظلمة الأرض كلها حتى الساعة التاسعة ، وفى ابتداء الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عال قائلا : ايل ايل لم شبقتانى أى الهى الهى لماذا تركتنى ؟ ثم بعد ذلك قال يا أبتاه فى يدك أضع روحى ، فكان أناس من القائمين يقولون : دعوا ننظر هل يأتى ايلياء فيخلصه ؟ ثم صرخ أيضا بصوت عال وأسلم الروح .

قال مفسروهم وانما صرخ بهذا الصوت العالى ليبين أنه يموت طوعا لا زعما وأنه اله وفوق الانسان ، فانشق حالا ستر باب الهيكل اثنين من فوق حتى أسفل والأرض تزلزلت . قال المفسرون منهم لا أرض أورشليم فقط بل باقى المسكونة كلها أيضا ، والصخور تشققت والقبور تفتحت وأجساد كثيرة من القديسين الراقدين ، قال مفسروهم كآدم ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وداود ، وربما سمعان وزكريا أيضا وخرجوا من قبورهم ودخلوا بعد قيامته ادلينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين .

قال الخورى ولم يلبثوا فى الحياة الا زمنا وجيزا والحق ما قاله الأكثرون أن هؤلاء لبثوا أحياء وصعدوا بعد ذلك الى السماء بأجسادهم ،

---

(١) هذا يدل على أن المصلوب كان من سبط اللاويين العلماء ، لا من سبط يهوذا . وتلاميذ المسيح كانوا من هذا السبط . والخائن منهم .

وكان هناك نسوة كثيرات ينظرن عن بعد ، وهن اللواتى اتبعن يسوع من الخليل وكن يخدمته ومنهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوشى وأم ابنى زبدى . وبين هؤلاء كانت مريم العذراء .

ولما كان المساء قبل غروب الشمس جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوســـف ، فدخل على بيلاطوس وطلب منه جسد يسوع ، فأمر أن يعطى ذلك الجســـد ، فأخذ يوســـف الجسد ودرجه بلفافة نقى وحنطه بالطيب ، ووضعه فى قبر جديد له كان تحته فى صخرة ودحرجوا حجرا عظيما على باب القبر ، ومضوا ، وكان هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين حذاء القبر .

ومن اليوم الغد الذى بعد الجمعة أى يوم السبت اجتمع عظماء الكهنة والفريسون عند بيلاطوس قائلين له : يا مولانا قد تذكرنا أن ذلك المضل كان يقول وهو حى انى أقوم بعد ثلاثة أيام فمر أن يحرسوا القبر حتى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه فيسرقوه ليلا ، ويقولوا للشعب : انه قام من بين الأموات فتكون الضلالة الاخيرة شرا من الاولى ، فقال لهم : ان عندكم جنودا ، امضوا احترسوا كما تعلمون ، فذهبوا وحصنوا القبر وختموا الحجر مـــع الجنود ، وفى عشية السبت المفسر صباحه عن الأحد ، أتت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر .

قال المفسر الخورى : « ان هذه الآية أتعبت العلماء فى تفســـيرها والتوفيق بين أجزائها وبين أقوال باقى الانجليين » انتهى .

واذا بزلزلة عظيمة قد صارت لأن ملك الرب انحدر من السماء وكـــان الملك جبريل ظهر بهيئة شاب ، وجاء فدحرج الحجر عن باب القبر لا ليقوم المسيح — اذ كان قام من نحو ساعة والقبر مختوم ، وزار أمه أولا — بل ليوضح للنسوة والحراس أنه قام ويريهم القبر فارغا وجلس الملك فوقه وكان منظره كالبرق ولباســـه أبيض كالثلج ، ومن الخوف منه اضطرب الحراس وصاروا كالأموات ، فقال للنسوة لا تخفن فقد عرفت أنكن تطلبن

يسوع المصلوب ، ليس هو ههنا قد قام كما قال تعالين وانظرن الموضع الذى كان ربنا فيه ، واذهبن عاجلا وقلن لتلاميذه وللصفا أى لبطرس — وخصه لأنه رأس جميع الرسل — انه قام من بين الأموات ، وهو يسبقكم الى الجليل ، هناك ترونه .

فخرجت عاجلا من القبر بخوف وفرح عظيم واسرعن ليقلن لتلاميذه واذا بيسوع لاقاهن فى الطريق بصورته المعتادة فعرفنه حالا قائلا لهن السلام ، حينئذ قال لهن يسوع لا تخفن لكن اذهبن فقلن لاخوتى أن ينطلقوا الى الجليل ، هناك يرونني ولما ذهبن جاء أناس من الحراس الى المدينة وأخبروا عظماء الكهنة بكل ما صاروا فاجتمعوا أى الكهنة حينئذ مع المشياخ يتشاورون وأرشوا الحراس بفضة ليست قليلة ، وقالوا لهم قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نائمون فأخذوا الفضة وصنعوا كما علموهم وخرجت هذه الكلمة بين اليهود الى اليوم ، واما التلاميذ الأحد عشر فساروا الى الجليل الى الجبل حيث كان وعدهم يسوع ، ولما رأوه سجدوا له ومنهم من شك .فتقدم يسوع وخاطبهم قائلا : قد أعطيت كل سلطان فى السماء والأرض وكما أرسلنى أبى هكذا أنا أرسلكم أيضا امضوا الآن فتلمذوا الأمم جميعهم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم ، وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء العالم ، ثم من بعد أن تكلم معهم ربنا يسوع صعد الى السماء وجلس عن يمين الله ، وهم خرجوا فكرزوا فى كل مكان ، وكان الرب يعضدهم ويحقق كلماتهم بالآيات التى كانوا يصنعونها .

انتهى ما فى أناجيلهم مخلوطا ببعض من تفاسيرهم بألفاظها ، فأجل فى تناقضها قداح فكرك وفى تهافتها خيول ذهنك ، لترى فى هذه القصة ما يدلك على وقوع الشبه ونجاة المسيح عقلا ونقلا كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم « وليتبين لك أيضا عبوديته ورسالته عليه السلام فان ذلك ظاهر من هذه العبارات ولنزدك فى البيان وضوحا بما ننبهك عليه بكلمات يسيره للنقد والشرح .

منها قولهم انه صلب قبل غروب يوم الجمعة ودفن مساءها ولما جاءت النسوة عشية السبت للسفر صباحه عن الأحد وجدنه فارغا وقد قام منه المدفون مع أن النصارى يزعمون كما فى اناجيلهم أنه يبقى فى قبره ثلاثة ايام كما بقى يونان أى يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها فما هـذا الا دليل على الاختلاف والتهافت فى هذا الأمر ؟

ومنها سؤاله اليهود مرتين من تطلبون ؟ وهم يقولون يسوع الناصرى فلم يعرفوه ، وهو يقول لهم انا .

ومنها أن يهوذا ارتشى ليدلهم عليه وجعل العلامة على تعيينه لهم تقبيل يده ، فلو كان معلوما لهم لعرفوه بلا دلالة وبلا سؤال ، مع أنه كان بين اظهرهم ، وفى غالب الأيام فى هيكلهم .

ومنها أنه لما اقسم عليه رئيس الكهنة انه هو المسيح (١) لم يقل له أنا المسيح ، بل قال له أنت قلت .

ومنها انكار بطرس له وهو من أعظم رسله وانكاره كفر

ومنها أنه لما ساله الوالى انت هو ؟ لم يرد له جوابا فلو كان هو لاعترف واقر .

ومنها أنه لما كان أخذه ليلا وقد شوهت صورته وتغيرت محاسنه بالضرب والنكال وهى حالة توجب اللبس بين الشىء وخلافه فكيف بين الشىء وشبهه ؟ فمن اين يحصل القطع بانه هو ؟ لا سيما والنصارى قد حكموا أن المسيح عليه السلام قد أعطى قوة التحول من صورة الى صورة ، ويحتمل أن المسيح ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم الأعوان وكان المتكلم تلميذا أراد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح ، فألقى الله تعالى عليه الشبه ، واتباع الأنبياء يفدون أنفسهم لأنبيائهم ، وهذا فدى نفسه لالهه بزعم النصـــارى .

ومنها أنه يحتمل أن الأعوان ارتشوا على اطلاقه كما ارتشى يهوذا على

---

(١) يقصد المسيح المنتظر اى المسيا وهو محمد رسول الله ﷺ .

الدلالة عليه ، واخذوا غيره ممن يريد أن يفدى نفسه للمسيح ، والدليل عليه عدم اعترافه بأنه المسيح .

ومنها قوله عليه السلام الذى تقدم آنفا « انا ماكث معكم زمانا ثم انطلق الى من أرسلنى فتطلبونى فلا تجدونى وحينما أكن فلا تستطيعون اليه سبيلا» فهذا صريح فى أنهم سيطلبونه ولا يجدونه ولا ينالون منه شيئا لأنه سيصعد الى السماء ، ومثله ما فى الأصحاح الثانى عشر من انجيل يوحنا ما لفظه « قال له الجموع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يمكث الى الأبد فكيف تقول أنت أن ابن البشر سوف يرتفع ؟ من هو هذا ابن البشر ؟ قال لهم يسوع أن النور معكم زمانا آخر يسيرا ، أمشوا ما دام لكم النور ، لئلا يدرككم الظلام ، ومن يمش فى الظلام فلا يدرى أين يذهب ، آمنوا بالنور مادام لكم النور ، لتكونوا أبناء النور ، قال يسوع هذا وذهب متواريا عنهم انتهى .

ففى هذا الكلام أدلة كثيرة مؤيدة لقوله تعالى « بل رفعه الله اليه » منها أن اليهود أرادوا بقولهم فى الناموس العهد القديم التوراة وما يلحقها من أسفار الأنبياء عليهم السلام ، فقد قالوا لعيسى ان المسيح المذكور فى العهد القديم يمكث الى الأبد ، أى فان كنت أنت المسيح فأنت لا تموت فى هذا الزمان (١) بل تبقى الى قيام الساعة ، ولم يكذبهم فى نقلهم ذلك . والمسلمون (٢) يقولون انه رفع حيا الى السماء وهو الآن حى فيها وسينزل آخر الزمان عند قرب الساعة ويقتل الدجال ويحكم بالشريعة المحمدية ويتوفى ويدفن عند النبى ﷺ فهو حى الى الأبد يعنى الى قرب قيام الساعة ، ونزوله وموته من أمارات الساعة الكبرى .

وفى هذا القول دلالات ظاهرات أيضا على انه ليس بالله .

---

(١) ليس هذا قصد اليهود ، بل قصدهم بقاء الشريعة التى سيأتى بها المسيح الذى هو المسيا الرئيس . لأن التوراة تنص على أن كل من هو من البشر سيموت . والمؤلف يفهم أن عيسى هو المسيا والصحيح أنه محمد ﷺ (انظر كتاب المسيا المنتظر) .

(٢) بعض المسلمين .

أحدها : أنه قال ابن البشر يعنى لا تظنوا أنى أدعى الألوهية وان احييت الموتى لأن ذلك معجزة خلقها الله تعالى على يده للايمان بنبوته .

ثانيها : لو كان الها لما توارى منهم خائفا من قتلهم له لأن الاله هو خالق لهم ولعلمهم وعالم بزمن قدرتهم عليه ، فكيف يفر وهو يعلم وقت موته وهو خالق الموت والحياة ثم أنه يحتمل أن الله تعالى ألقى شبهه على شيطان أو مارد من مرده الجن ليخلص نبيه ورسوله من أيدى أعدائه ويرفعه اليه محفوظا مكرما كما أجرى على يديه احياء الموتى وخلقه من غير أب وأبرء الأكمه والأبرص لا سيما وهو بزعمهم اله العالم وخالق الانس والجن وبنى آدم ، فأى ضرورة تدعو الى اثبات أنواع الاهانة والعذاب على ما زعموا الرب الأرباب ؟ مع وجود التناقض فيما نقلته أناجيلهم فى هذا الفصل والباب :

عجبا للمسيح بين النصارى ... والى أى والد ، نسبوه
اسلموه الى اليهود وقالوا ... انه بعد ضربه صلبوه
واذا كان ما يقولون حقا ... وصحيحا ، فأين كان أبوه ؟
حين خلى ابنه رهين الأعادى ... أتراهم أرضوه أم اغضبوه
فلأن كان راضيا باذاهم ... فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولان كان ساخطا فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

ولقد أحسن القائل :

ولعبد عيسى خصائص جمة ... قهرت أعاديه معانى سرها
رفع المهيمن ذاته لسمائه ... فى عزة وبما يليق بقدرها
وفداه بالشبه الذى ألقاه فى ... أيدى العداة فذاق شدة بأسها
حتى يكون ممتعا بجواره ... فى جنة الفردوس نعم المنتهى
هذا ونحن نقول عيسى عبده ... بخلاف قول الكافرين ونكرها

قال الامام أبو جعفر بن جرير « حدثنى أبو السائب قال حدثنا معاوية عن الأعمش عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى عليه السلام الى السماء خرج الى أصحابه وهم فى بيت اثنى عشر رجلا من عين فى

البيت ورأسه يقطر ماء ، قال ان منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة ، بعد أن آمن بى ، ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى ؟ قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشباب فقال نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام ورفع عيسى من روزنة فى البيت الى السماء ، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة ، بعد أن آمن به فتفرقوا ثلاث فرق قالت كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وفرقة قالت كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وفرقة قالت كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا ، حتى بعث الله محمد ﷺ فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة يعنى الطائفة التى كفرت من بنى اسرائيل فى زمن عيسى عليه السلام والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار .

هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة وهكذا رواه النسائى فى سننه هذا ، وقد تقدم لك ما يقضى منه العجب العجاب أن المسيح طلب من الله تعالى المغفرة لقاتليه كما نقله أيضا صاحب هذا الكتاب ، فان كان عالما بأنه سبحانه يغفر لهم ، فلم يبق عليهم عتاب وان لم يعلم فكيف يطلب المحال وهو بزعمهم رب الأرباب ؟ فتقطن ولا تغفل .

قال النصرانى « فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلمنا (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فاما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ، والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (آل عمران) .

فهذا فتح الله عقلك الى الصواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما ادعى وادعيت له فتثبت فى النظر وانصح لنفسك فى الاستقصاء ، ولا تمل الى غير الحق ، فانك ان أنصفت ظهر لك أبيض النور وتلألأ الحق .

ثم لما كان بعد صعوده الى السماء بعشرة أيام كان الحواريون مجتمعين فى الغرفة التى كانوا ينزلون فيها معه اذ سمعوا هادة عظيمة شديدة ، وتجلى عليهم الروح القدس الذى هو « البارقليط » فصار على كل رجل مثل اللسان من النار ، فجعل يتكلم بلسان البلد الذى وجه ليبشر فيه بالمسيح مخلص العالم ومنقذه ، ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة ، فعند ذلك تفرق الحواريون كل رجل منهم الى البلد الذى ندب اليها وأعطى معرفة لسانها وكلام أهلها وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع أخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان عن املاء الروح القدس فدانت لهم الأمم واستجابوا لقولهم ، ورفضوا هذه الدنيا ومالوا الى الأمر الواضح وتركوا أديانهم ، ودخلوا فى النصرانية عندما أشرق لهم نو الحق وتلألأ نور البشارة ، فايقنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين ، حيث ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان ، والهدى من الضلالة والرشد من الغى ورأوا الأعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح ، التى آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة ، فنحن الذين قبلناه منهم ولم نزد فيه ولم ننقص منه ، وعليه نحيا وعليه نموت ونبعث ، حتى نقوم به بين يدى المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه اذا هو دان الخلق جميعهم .

ليس كسيرة صاحبك وسيرة أصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون فى القتل والنهب والخبط السيوف وسبى الذرارى والتغلب على البلدان ونهب الناس أموالهم وهتك حريمهم واستعباد الأحرار وهم فى هذه الحال الى هذه الغاية ، يحملون الناس على المحارم وعلى مساوىء الأخلاق حتى تعلموا فقالوا فى ذلك ما لم تفعلوه ، مثل قول عمر بن الخطاب ((الا من كان جاره نبطيا واحتاج الى ثمنه فليبعه)) ومثل هذا كثير مما يشاكله من القـــول والفعل ، وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من ابراء المرضى بامرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا .

وان قلت : ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثل ما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا الى البلدان ، رجعنا اليك بالجواب وقلنا انهم لما مضوا البلدان للدعوة واجتذاب الناس الى الاقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك الى كثرة الآيات وتواتر العجائب ، لتصح دعوتهم وليلعم الذين يدعونهم صحة دعواهم ، فليس الرهبان اليوم دعاة وان كان كثير منهم يتكلفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ، ليعلم أن تلك النعمة ثابتة فيهم باقية ، فاذا جرى لهم أمر احتاجوا الى اظهار قـــوتهم للعامة أظهروها ليعرف ذلك من أفعالهم فى المشرق والمغرب ، وحيث حلوا . ولو أن الرهبان تكلفوا احياء كل ميت واشفاء كل مريض فى كل وقت ، لم يمت أحد ولم يكن للقيامة رجاء للدنيا زوال ، وكان فى ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعـــالى ووعيده فى الآخرة ، وانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجرى على أيديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقة لما هم فيه من ذلك التعب والنصـــب ، وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله فى طاعتهم ليلهم ونهارهم ، وأيضا : فمن قصدهم بقلب سليم ونية صحيحة وأتاهم مستغيثا فبصـــلواتهم وبركة دعائهم أدركوا طلبتهم . وأيضا : لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت فى الأولين وكانت دائمة كمـــا كانت فى أيام الجهل وعدم الأدب لما كان للناس فى ايمانهم وطاعتهم حمدا ، الا كحمد الدواب التى لا تستغنى فى الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصاء ، لكن اذ فضل الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم

وانعم عليهم بالعقل والتمييز كلفهم استعمال رايهم فى احراز علم ما غاب عنهم من برهان للحق عن دينه فلذن ليس محتاج من الناس اليوم الى معاينة الآيات فى تحقيق هذا الدين الا من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم فى جهلها وقلة ادركها » انتهى

أقول قوله اذ يقول معلنا « اذا قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية اعلم أولا ما قاله المفسرون فى هذه الآية الكريمة . قال الفراء : ان فى هذا الكلام تقديما وتاخيرا تقديره انى رافعك ومطهرك ومتوفيك بعد انزالك من السماء . وقال أبو زيد متوفيك اى قابضك وقيل الكلام على حاله من غير ادعاء تقديم وتأخير فيه . والمعنى كما قال فى الكشا ف مستوفى أجلك ومعناه انى عاصمك من أن يقتلك الكفار ، ومؤخر اجلك الى اجل كتبته لك ومميتك حف أنفك لاقتلا بايديهم وعن مطر الوراق قال متوفيك من الدنيا وليس بوفات موت وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله تعالى رفعه الى السماء من غير وفاة كما رجحة كثير من المفسرين وقيل أن الله تعالى توفاه ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه الى السماء ، وفيه ضعف وقيل المراد بالوفاة النوم ومثله قوله سبحانه « هو الذى يتوفاكم بالليل أى ينيمكم .

وقيل الواو فى « ورافعك » لا تفيد الترتيب لأنها المطلق الجمع ، عن سعيد بن المسيب قال رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، رفعه الله تعالى من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان ، وحملت به أمه ولها ثلاث عشر سنة وفى زاد المعاد لأبن القيم ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه وفى الأحاديث النبوية كما فى فتح البيان أنه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة وقد مر عليك قريبا من الأدلة على رفعه ما فيه غنية عن الاعادة ، فراجعه ولا تغفل . وقوله سبحانه « ومطهرك من الذين كفروا » أى مبعدك ومخرجك من خبث جوار اليهود والمجوس ومن كفار قومك برفعك الى السماء ، لأنه فى جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » أى الذين اتبعوا ما جئت به ، وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا

فى الغلو فيه الى ما بلغ من جعله الها ومنهم المسلمون فانهم اتبعوا ما جاء به عيسى عليه السلام ووصفوه بما يستحقة من دون غلو فلم يفرطوا فى وصفه كما فرطت اليهود ولا أفرطوا كما أفرطت النصارى . وقد ذهب الى هذا كثير من أهل العلم . وقيل المراد بالآية أن النصارى الذين هم أتباع عيسى لا يزالون ظاهرين على اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم ، فيكون المراد من الذين كفروا هم اليهود خاصة ، وقيل هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين ، وقيل هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح ، وقيل هم المسلمون والنصارى . وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لكل طوائف الكفار لا ينافى كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين كما تفيده الآيات الكثيرة بأن هذه الملة ظاهرة على كل الملل قاهرة لها مستعلية عليها .

قال فى فتح البيان « وقد أفرد الشوكانى هذه الأيه بمؤلف سماه » «وبل الغمامة فى تفسير وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة» وحاصل ما ذكره أن صيغة « الذين اتبعوك » من صيغ العموم ، وكذلك صيغة « الذين كفروا » من صيغ العموم والواجب العمل بما دل عليه النظم القرآنى ، واذا ورد ما يقتضى تخصيصه أو تقييده أو صرفه عن ظاهره وجب العمل بـــه ، وان لم يرد ما يقتضى ذلك وجب البقـــاء عـــلى معنى العموم ، وظاهره شمول كل متبع وانه مجعول فوق كل كافر ، وسواء كان الاتباع بالحجة أو بالسيف أو بهما وفى كل الدين أو بعضه أو فى جميع الأزمنة والأمكنة والاحوال أو فى بعضها والمراد بالكافر الذى جعل المتبع فوقه ، كل كافر ، سواء كان كفره بالستر لما يعرفه من نبوة عيسى أو بالمكر به أو بالمخالفة لدينة ، مع عدم التمسك بدين من الأديان قط كعبدة الأوثان والنار والشمس والقمر والجاحدين لله تعالى والمنكرين للشرائع ، واما مع التمسك بدين يخالف دين عيسى عليه السلام قبل بعثة نبينا محمد ﷺ كاليهود وسائر الملل الكفرية ، فالمتبعون لعيسى بأى وجه من تلك الوجوه هم المجعولون فوق من كان كافر بأى تلك الأنواع ، ثم بعد البعثة المحمدية لا شك أن المسلمين هم المتبعون لعيسى لاقراره بنبوة نبينا عليه الصلوة والسلام وتبشيره بها كما فى القرآن الكريم والانجيل ، بل فى الانجيل الأمر

لاتباع عيسى باتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالمتبعون لعيسى بعد البعثة المحمدية هم المسلمون فى أمر الدين ، ومن بقى على النصرانية بعد البعثة المحمدية فهو وان لم يكن متعبا لعيسى فى أمر الدين ومعظمه لكنه متبع له فى الصورة وفى الاسم وجزئيات من أجزاء الشريعة العيسوية فقد صدق عليهم أنهم متبعون له فى الصورة وفى الاسم وفى شىء مما جاء به ، وان كانوا على ضلال ووبال وكفر فذلك لا يوجب خروجهم عن العموم المذكور فى القرآن الكريم ، ولا يستلزم اندراجهم تحت هذا العموم أنهم على شىء بل هم هالكون فى الآخرة ، وان كانوا مجعولين فوق الذين كفروا ، فذلك انما هو فى هذه الدار .

ولهذا يقول الله جل وعلا : « ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم » الآية ، فالحاصل أن المجعولين فوق الذين كفروا هم أتباع عيسى قبل النبوة المحمدية وهم النصارى والحواريون ، وبعد النبوة المحمدية هم المسلمون والنصارى والحواريون والأولون هم الاتباع حقيقة وغيرهم هم الاتباع فى الصورة ، وقد جعل الله تعالى الجميع فوق الذين كفروا من اليهود وسائر الطرائق الكفرية . وقد كان الواقع هكذا فان الملة النصرانية قبل البعثة المحمدية كانت قاهرة لجميع الملل الكفرية ظاهرة عليها غالبة لها وبعد البعثة المحمدية صارت جميع الأمم الكفرية نهبا بين الملة الاسلامية والملة النصرانية ما بين قتيل وأسير ومسلم للجزية ، وهذا يعرفه كل من له خبرة بأخبار العالم ولكن الله تعالى قد جعل الملة الاسلامية قاهرة للملة النصرانية مستظهرة عليها وفاء بوعده فى كتابه العزيز كما فى الآيات المشتملة على الاخبار بأن جنده هم الغالبون ، وحزبه هم المنصورون .

ومن ذلك قوله تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » — « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » — « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بظهور أمته على جميع الأمم وقهر ملته لجميع الملل ، وبالجملة انا اذا جردنا النظر الى الملة الاسلامية والملة النصرانية ، فقد ثبت فى الكتاب والسنة ما يدل على استظهار الملة الاسلامية

على الملة النصرانية ، وان نظرنا الى جميع الملل فالملة الاسلامية والملة النصرانية هما فوق لسائر الملل الكفرية بهذه الآية .

ولا ملجأ الى جعل الضمير المذكور فى الآية وهو الكاف لنبينا محمد ﷺ كما تكلفه جماعة من المفسرين ، لأن جعله لعيسى عليه السلام كما يدل عليه السياق ، بل هو الظاهر الذى لا ينبغى العدول عنه ولا يستلزم اخراج الملة المحمدية بعد البعثة ، اذ هم متبعون لعيسى كما عرفت سابقا (١) . ولا خلاف بين أهل الاسلام أن الملة النصرانية كانت قبل البعثة المحمدية هى القاهرة لجميع الملل الكفرية ، فلم يبق فى تحويل الضمير عن مرجعه الذى لا يحتمل السياق غيره فائدة الا تفكيك النظم القرآنى والاخراج له عن الأساليب البالغة فى البلاغة الى حد الاعجاز ، ومن تدبر هذا الوجه الذى حررناه ، علم أنه قد أعطى التركيب القرآنى ما يليق ببلاغته من بقاء عموم الموصول الأول والموصول الثانى ، وعدم التعرض للتخصيص وتقييده بما ليس بمقيد وعدم الخروج عن مقتضى الظاهر فى مرجع الضمائر وعدم ظن التعارض بين ما هو متحد الدلالة .

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية المطهرة ، ويكون المسلمون أنصاره وأتباعه اذ ذاك (وهذا) يبعد أن يكون فى هذه الآية اشارة الى هذه الحالة » أ. هـ. وقوله تعالى « الى يوم القيامة » غاية للجعل ، اخرج ابن أبى حاتم عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يبالون بمن خالفهم حتى يأتى أمر الله » قال النعمان : من قال انى أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، فان تصديق ذلك فى كتاب الله « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة »

---

(١) الذين اتبعوا عيسى وصاروا فوق الذين كفروا : هم أتباعه الأمناء الى زمان محمد ﷺ . والمسلمون من اتباعه مجازا لأنهم آمنوا بالنبى محمد الذى بشر به عيسى عليه السلام ودعا الى اتباعه . وهم فوق الذين كفروا الى يوم القيامة — أى المسلمون —

واخرج ابن عساكر عن معاوية مرفوعا نحوه ثم قرا معاوية الآية ، وعن ابن زيد قال : النصارى فوق اليهود الى يوم القيامة ليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق اليهود فى شرق ولا غرب وهم فى البلدان كلها مستذلون « ثم الى مرجعكم » أى مرجع الفريقين الذين اتبعوا عيسى والذين كفروا به والمرجع الرجوع وتقديم الظرف للقصر « فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » أى من أمور الدين أو من الحق فى أمر عيسى ، ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى : « فأما الذين كفروا » يعنى الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته ، قالوا فيه من الباطل ما قالوا ووصفوه بما لا ينبغى من سائر اليهود والنصارى » فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا » بالقتل والسبى والذلة وأخذ الجزية منهم « والآخرة » أى وأعذبهم فى الآخرة بالنار « وما لهم من ناصرين » مانعين يمنعونهم من عذابنا « وأما الذين آمنوا » بعيسى عليه السلام وصدقوا نبوته ، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته « وعملوا الصالحات » يعنى ما فرض عليهم وشرع لهم « فيوفيهم أجورهم » يعنى جزاء أعمالهم لا ينقص منه شىء « والله لا يحب الظالمين » أى لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيئا فى غير موضعه .

والمعنى أنه تعالى لا يرحمهم ولا يثنى عليهم بجميل . وفى « فتح البيان » أن نفى الحب كناية عن بغضهم واستعمال عدم محبة الله تعالى فى هذا المعنى شائع فى جميع اللغات جار مجرى الحقيقة وهى جملة تذييلية مقررة لما قبلها ذلك يعنى الذى ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص « نتلوه عليك » أى نخبرك به يا محمد على لسان جبريل « من الآيات » يعنى من القرآن . وقيل العلامات الدالة على نبوتك لأنها أخبار لا تعلمها الا بالوحى « والذكر الحكيم » أى المحكم الممنوع من الباطل ، وهو القرآن أو اللوح المحفوظ الذى منه تنزلت جميع الكتب السماوية .

قوله « تجلى عليهم الروح القدس الذى هو البارقليط » الى آخره ، لا يخفى عليك مما قدمناه لك وفصلناه فيما تقدم من بحث البشارات الالهية فى الكتب السماوية أن المراد بالبارقليط هو نبينا عليه الصلاة والسلام وأوضحناه بأتم بيان ولا ينكر ذلك الا من زاغ عن الرشاد وركب متن عمياء

العناد ، لأن آيات الانجيل صريحة بذلك لا تحتمل غير ما هنالك ، اذ يقول يوحنا فى انجيله فى الاصحاح الخامس عشر ما لفظه « فاذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب يتبثق ، هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء ، فاذا جاء ذلك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم ، أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى ، وأما على البر فلأنى منطلق الى الآب ولستم تروننى بعد ، وأما على الحكم فان أركون هذا العالم قد دين ، وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى ، وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم »

وقال أيضا : « وأنا أطلب فارقليطا آخر ليثبت معكم الى الأبد ، والآن قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنون » أ. هـ.

فهل ينكر صدق هذا الخبر والأوصاف على نبينا ﷺ الا ممار ومجادل بالأباطيل ، وقد أعمى الله تعالى بصائر المحرفين عن هذه الآيات وأمثالها فلم يحرفوها الا بالتأويل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون »

وقوله : « ليس كسيرة صاحبك وسيرة أصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون فى القتل » الى آخره قدمنا لك مرارا رد هذا الكلام وأن مسألة الجهاد ثابتة فى التوراة وأن أنبياء بنى اسرائيل قتلوا الكفار أشر قتل ونهبوا الأموال والأطفال مما لا حاجة لنا الى اعادته ، وقدمنا لك أيضا ما فعلته فرقة الكاثوليك من النصارى وما فعلته البروتستنت من قتل بعضهم لبعض مرات عديدة ، وأهلكوا بافظع وجه نفوسا لا يعلمها الا الله تعالى ، بزعم كل منهم أن ذلك للاصلاح ، مع أنه للفساد فتذكر .

ثم اعلم أنه كان ينبغى للمؤلف أن لا يستعظم مسألة جهاد النبى ﷺ للكفار والمشركين وقتالهم لعدم ايمانهم بالله تعالى ورسوله واعطاء الجزية لأن فى قتل النزر القليل من النوع البشرى احياء للاكثر منهم الحياة الابدية ،

اذ بفناء البعض تقوم حياة الكل كما يقطع الطبيب المشفق عضو شخص به داء خشية أن يسرى منه الى بقية اعضائه السليمة فيهلك ، فلا حياء الكل أفنى البعض ، والله سبحانه الحكيم المتصرف فى ملكه كما يشاء ، فخلق أقواما للنار وأقواما للجنة دار القرار (١) .

ولنا على ذلك أيضا قياس صحيح ودليل ظاهر مما تعتقده جميع النصارى وتدعيه أن الاله يسلم نفسه بزعمهم الى خلقه من بنى اسرائيل ليقتلوه ، حتى يكون فى صلبه وقتله نجاة للباقين من البشر ، ويدخل أيضا ليخلصهم من عذابها حتى صار واسطة لخلاصهم من العذاب الأبدى ، وأنه سبحانه لم يجد واسطة لذلك غير قتل نفسه بأيدى أعدائه من بنى اسرائيل ، فاذا كان الأمر كذلك ، فاذا قسنا جميع من قتله النبى ﷺ من الكفار والمشركين وعبدة الأوثان والمثلثين لاصرارهم على كفرهم وعنادهم وعدم قبول دعوته لأجل صلاح سائر الناس وخلاصهم واحيائهم الحياة الابدية ، مع قتل البارى تعالى نفسه بيد لأجل خلاص شرذمة من النصارى فقط ، مع بقاء بقية النوع البشرى الكثير فى شرك الهلاك بزعمهم ، فيكون قتال النبى ﷺ لبعضهم لاصلاح الكل بالايمان ، أهون من قتل الاله ذاته لخلاص النزر القليل من النصارى ، اذ لو قسنا ذات البارى مع جميع المخلوقات من البشر والملائكة وغيرهم فلا تقابله ولا تعادله ولا تماثله بوجه من الوجوه .

فاذا كان قتل الله نفسه بزعمهم الذى لا تعادله جميع مخلوقاته لأجل خلاص شرذمة قليلة جدا من النصارى وهم البروتستنت مثلا أو الكاثوليك مثلا أو اليعقوبية مثلا فليكن ما فعله نبينا عليه الصلاة والسلام من قتل بعض المعاندين من الكفار لأجل الخلاص الأكثر وتخويفهم ، مطابقا للحكمة ، موافقا للقياس مبنيا على أحكم أساس لا سيما وانبياء بنى اسرائيل فعلوا

---

(١) خلق الله للنار اقواما ، هم فضلوا الكفر على الايمان . لقوله تعالى : « وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » فبين أنه يبين أسباب التقوى ، ومن لا يعمل بها فانه يضله (انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار)

أشد وأعظم من فعل نبينا والبروتستنت والكاثوليك فعل كل منهم بصاحبه ذلك ، فتدبر هذا بفكر صحيح وذهن خال عن التعصب القبيح وانصف ولاتغفل .

وأما استبعاد الأحرار — الذى زعمه — فقد كانت أنبياء بنى اسرائيل تفعل ذلك أيضا كما قدمناه فيما سلف والكفر الذى هو أقبح الاشياء أخرجهم من نعمة الحرية وأدخلهم فى ربقة المملوكية .

وأما ما أسهب به بعد ذلك فهو اختلاق وتمويه كعادته المستمرة فى كتابه هذا . وسيرة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه وعدله وسياسته وسيرة الخلفاء الراشدين مشهورة فى الكتب ، مخلدة مسطورة ، فما نسبه اليه كذب مفترى ، وكراماته المعجزة معلومة كنار القرى ، وكذلك كرامات غيره من الصحابة والصالحين ، وما جرى على أيدى أولياء الأمة من الآيات والاعاجيب الى يومنا هذا مما يضيق عنه نطاق الحصر ، ولو أردنا حصرها لما تمكنا منه ولو طال الدهر ، وقد حوت بعضه بطون الدفاتر ونقلته الأمة بالتواتر طبقة عن طبقة وكابرا عن كابر ، فأين للحواريين ماحصل للصحابة والأولياء المحمديين من الكرامات الظاهرة والتقوى الباهرة والزهد واليقين والسياسة وبث علوم الدين ، والشجاعة والصبر الاقدام والصلاة والصيام ؟

ما لموسى وما لعيسى حواريو ن ، من مثلهم ولا نقباء

تتمة : ومما يدل على جواز قتال الكفار ، وأن نبينا عليه الصلاة والسلام مأمور به من الله سبحانه وأنه رسول صادق : ما ورد من قول يوحنا فى سفر الرؤيا بما لفظه : « ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب وعيناه كلهيب نار ، وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والأجناد الذى فى السماء كانوا يتبعونه على خيل شهب لا بسين بزا أبيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف ذو حدين لكى يضرب به الأمم ، وهو سيرعاهم بعصى من حديد ، وهو يدوس معصرة خمرة سخط وغضب الله ضابط الكل ، وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب .

ورأيت ملاكا واحدا واقفا فى الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلا لجميع الطيور الطائرة فى وسط السماء هلم اجتمعى الى وليمة الاله العظيمة لكى تأكل لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والراكبين عليها ولحوم الكل حرا وعبدا صغيرا وكبيرا ، ورأيت الوحوش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الراكب على الفرس وعسكره ، فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التى بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته ، وطرح الاثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم » أ. هـ. (ص ١٩) (١١٤) (٢١) من النسخة المطبوعة فى رومية سنة ١٨٣١ .

والعجب من النصرانى صاحب الكتاب الذى سماه بميزان الحق يزعم أن هذه الرؤيا تدل على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، وانا معاشر المسلمين نعترف بنزوله عند ظهور المسيح الدجال لاخبار نبينا عليه الصلاة والسلام بذلك (١) غير أن هذه الرؤيا لا دلالة فيها على نبوة المسيح ثم نزوله بوجه من الوجوه كما لا يخفى على منصف ، نظر أولها الذى حذفه وتدبر معانيها وتأويلها ، وكان ذا فطنة بتعبيرها ، بل هى دالة على نبوة نبينا المصطفى ﷺ وعموم دعوته وظاهرة فى حقية رسالته وأمره بجهاد أهل الكفر والعناد لأن المسيح باجماع النصارى لم يجاهد وليس له سيف ولم يحارب أحدا ولم يعرف عنه ركوب الفرس بل ركوب الحمار ، ولم يقتل أحدا بل هو قتل بزعمهم .

وأما صدقها على نبينا ﷺ فأمر ظاهر لا ينكره الا مكابر يتعامى عن

---

(١) قال الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمد شلتوت — رحمة الله عليه — فى كتابه الفتاوى ما خلاصته :

ان القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور أ — « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى » ب — « بل رفعه الله اليه » ج — « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم »

ومن حق كلمة « توفيتنى » فى الآية : أن تحمل على هذا المعنى المتبادر ، وهو الاماتة العادية التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد « ولا سبيل الى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء ، بناء على زعم من يرى أنه حى فى السماء ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، لأن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو ، لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان ، وهم قوم محمد باتفاق ، لا قوم عيسى »

والذين يقولون بأنه رفع الى السماء بالجسد ، وسينزل فى آخر الزمان ، يعتمدون فى ذلك :

أولا : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة ، مختلفة فى ألفاظها ومعانيها ، اختلافا لا مجال معه للجمع بينها . وقد نص على ذلك علماء الحديث . وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الاسلام وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

ثانيا : على حديث مروى عن أبى هريرة ، اقتصر فيه على الاخبار بنزول عيسى ، واذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات .

ثالثا : على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمدا ﷺ حينما صعد الى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة ، فتفتح له ويدخل ، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى فى السماء الثانية . ويكفينا فى توهين هذا المستند : ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وفى شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء وأنه كان اجتماعا روحيا لا جسمانيا (انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرهما)

وقد فسر « الألوسى » قوله تعالى « انى متوفيك » بوجوه منها — وهو أظهرها — انى مستوفى أجلك وميتك حتف أنفك ، لا أسلط عليك من يقتلك . وهو كناية عن عصمته من الأعداء ، وما هم بصدده من الفتك به — عليه السلام — لأنه يستلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ، ذلك ؛

وظاهر أن الرفع — الذى يكون بعد التوفية — هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصا وقد جاء بجانبه قوله « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم . وقد جاء الرفع فى القرآن كثيرا بهذا المعنى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع » — « نرفع درجات من نشاء » — « ورفعنا لك ذكرك » — « ورفعناه مكانا عليا » — « يرفع الله الذين آمنوا منكم » ... الخ . واذن فالتعبير بقوله : « ورافعك الى » وقوله : « بل رفعه الله اليه » كالتعبير فى قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى . وفى « أن الله معنا » وفى « عند مليك مقتدر » وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس .

وان من ينكر أن عيسى قد رفع بجسمه الى السماء وأنه فيها حى الى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، فانه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى ، فلا يخرج عن اسلامه وايمانه ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن .

واذا قيل : ان « ومن المقربين » اشارة الى رفعه الى محل الملائكة المقربين ، فهذا لا يفيد الرفع ، لأن كلمة « المقربين » وردت بمعنى المحبة والعطف مثل : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » — « فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » — « عينا يشرب بها المقربون »

واذا قيل : ان « وجيها فى الدنيا » اشارة الى رفعه . يقال : ان وجاهة عيسى فى الدنيا هى الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات .

واذا قيل : ان قوله تعالى « وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته » فانها على أحد التفسيرين فيها تدل على بقائه حيا الى اليوم . يقال : أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وكذلك يقال فى « وانه لعلم للساعة » أما عن الضمير فى « به » و « موته »

أ — فقد يكون لعيسى . والمعنى : ما من أحد من أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم الا ليؤمن بعيسى قبل أن يموت عيسى . وعلى هذا المعنى

نور الشمس الباهر ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعى قبل نبوته بين أهل بلدته بالصادق والأمين ، حتى أن أعداءه اعترفوا به كما تواترت بذلك أخبار الصادقين . وكان عليه السلام حاكما بين الخصمين وسيدنا المسيح كما فى الانجيل لم يأت حاكما وكان محاربا بالمسيح والمسيح لم يكنه »

وقوله « وعيناه كلهيب نار » فهو تشبيه لاحمرارها عند غضبه لله تعالى بلهيب النار. والتيجان الكثيرة هى اشارة عن استيلائه واستيلاء خلفائه على الملوك ، وقد وقع ذلك كما هو مشهور والمسيح لم يقع له ذلك . وأجناد السماء عبارة عن الملائكة ، فقد ثبت فى الروايات الصحيحة المشهورة أنهم قاتلوا معه فى غزوة بدر على الخيل وفى غيرها ، وخروج السيف ذى الحدين من فمه كناية عن القرآن المجيد المنزل عليه من العزيز الحميد الذى فيه الأحكام الشرعية والأحكام السياسية أو النبوة والسلطنة أو ما يتعلق بالأحكام الدنيوية والأخروية ، ورعيه للامم بعصى من حديد هو السيف أو كناية عن سياسته فى الأمم ورعيه لهم ، فكأنه راع يرعى غنمه بعصى قوية غير غافل عنهم كما قال عليه الصلاة والسلام « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ودوسه لمعصرة الخمر كناية عن تحريمها والنهى عنها وتركها . وأهل الصليب يزعمون أن عيسى عليه السلام كان شريبا لها .

لابد أن يكون عيسى الى الآن حيا ولابد أن يتحقق هذا الايمان به قبل موته . وذلك انما يكون عند نزوله آخر الزمان .

ب — وقد يكون الضمير فى « به » لعيسى ، وفى « موته » للكتابى . والمعنى : أنه ما من أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته بعيسى . والاخبار بايمان أهل الكتاب — على هذا الوجه — لا يتوقف على حياة عيسى الآن وعلى نزوله فى المستقبل ، لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبى الله وابن أمته .

وفى قوله « وانه لعلم للساعة » أبو السعود المفسر : « وانه أى عيسى لعلم للساعة أى أنه بنزوله شرط من أشراطها ، او بحدوثه بغير أب ، أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث » .

وعلى ثوبه وفخذه اسم مكتوب ملك الوكب ورب الارباب » يحتمل أن يكون كناية عن راياته المرفوعة المنشورة واستيلائه على ممالك الملوك التى استولى عليها ، وأخذ الجزية منها خلفاؤه وسلاطين أمته ورب الارباب أى كبير الكبراء ورئيسهم وسيدهم ، وقد استعمل الرب فى الكتب السماوية بمعنى المرسل والرئيس والسيد والآمر المتبع وقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصف . والملك الصارخ جبريل والطيور المجتمعة للأكل هى اما كناية عن الاستيلاء عليهم ويحتمل أن يراد بهم المجتمعين على أكل المقتولين فى جهاده . والنبى الكذاب لعله مسيلمة أو الاسود العنسى اللذين قدمنا ذكرهما . ثم انه عليه الصلاة والسلام هو الذى أبطل عبادة الصور والأوثان وطرحها فى النار ، أى أبادها وقتل اهلها المصريين على عبادتها لأن النصارى يعبدون الصليب ، والصور ويسجدون لها ويعبدون الملائكة والقديسين كما قدمناه لك باعترافهم ، وكذلك المشركون من أهل الأوثان .

وخلاصة الكلام : انك كلما أمعنت الفكر فى تطبيق هذه الرؤيا على شخص لا تنطبق على غير نبينا عليه الصلاة والسلام وليس لها تماس ولا مناسبة بحضرة المسيح غير لفظة كلمة الله . والأمر فيها سهل لوجوه : منها انه يحتمل أن تكون مزيدة من النصارى أو محرفة كما هى عادتهم التى أثبتناها فيما سلف ، ويحتمل أن يراد أنه عليه الصلاة والسلام سمى كلمة مجازا لأنه لما كان مبلغا لكلمات الله وكتابه فكأنه صار هو كلمة الله ومثل هذا المجاز كثير ومستعمل كما اذا أرسل عمرو زيدا لتبليغ شىء ، فيقال ان زيدا لسان عمرو وهو كلامه . والكلمة وان كانت مفردة فقد يراد بها الجنس وتطلق على الكلام كما لايخفى على من له وقوف على العلوم العربية . ولأنا لو أردنا أن نحملها على المسيح فلابد أيضا من حملها على المجاز فحملها على النبى ﷺ حينئذ مع صدق بقية الأوصاف المتعينة فيه أولى من حملها على المسيح عليه السلام ، مع عدم صدق الأوصاف المذكورة عليه قطعا ، على أنه فى أول هذا الاصحاح دلالة واشارة الى عيسى عليه السلام على ما تقتضيه اصطلاحات النصارى ، فقد قال قبل ما نقلناه آنفا

ما لفظه : « فقال لى اكتب طوباهم الذين دعوا الى وليمة عشا عرس الخروف ، وقال لى هذا كلام الله هو حق ، فسقطه بين رجليه لأسجد له ، فقال لى انظر لا تفعل انا نظيرك فى عبودية الله تعالى ، لك ولأخوتك الذين معهم شهادة يسوع ، فاسجد لله ، فان شهادة يسوع هى روح النبوة ، ثم رايت السماء مفتوحة واذا بفرس أبيض والراكب عليه يسمى الأمين الصديق » الى آخر ما نقلناه آنفا .

فهذا يدل على أن المبشر به آخرا غير المبشر به أولا وهو عيسى الخروف بزعمهم ، فقد ثبت فى هذه الآيات السماوية أيضا البشارة بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وأن جهاده عن أمر آلهى كما ثبت ذلك بما قدمناه من متعدد الأدلة ، فلا تغفل .

بقى شىء ذكره النصرانى صاحب « ميزان الحق » لابد من ذكره والجواب عنه . وذلك أنه زعم أن ما وقع بين بنى اسرائيل والكنعانيين وبين داود وأعدائه من الحروب لا يصلح أن يكون دليلا على جواز الجهاد الواقع من نبينا ﷺ لأن محاربة بنى اسرائيل وداود لم تكونا لأجل الايمان والدين بل لسوء أعمالهم وكثرة معاصيهم وللملك . ولا يخفى أن هذا جواب يضحك الاطفال ، ففى سفر التثنية فى الاصحاح السابع والتاسع ما بعضه « اذا أدخلك الرب الهك الأرض التى انت داخلها لترثها وطرد الشعوب الكثيرة من قدامك الحيثيين والجرجشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليابوسيين سبع أمم اكثر منكم عددا وأشد منكم وأسلمهم الرب الهك بيدك فاضرب بهم وحرمهم تحريما ولا توانقهم ميثاقا ولا ترحمهم . اهدموا مذابحهم وكسروا أصنامهم وقطعوا مناسكهم وأوقدوا تماثيلهم بالنار ، ثم يرسل الرب الهك عليهم الزنابير أيضا حتى يبيد الباقون والمختفون من أمامك ، فلا تخشهم ، لأن الرب الهك هو فى وسطك ، الله الكبير المخشى ، فيسلمهم الرب الهك بيدك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا ويسلم ملوكهم بيدك وتمحو أسماءهم من تحت السماء ولا يستطيع أحد أن يقاومك حتى تسحقهم ، وأما آلهتهم المنحوتة

فاوقـــدوها بالنشار ولا تشتـــه الفضـــة ولا الذهب ممـــا عليها تتاخذه لك ، لئلا تعثر به لأنه رجس عند الرب الهك ولا تدخل بيتك شـــيئا رجسا لئلا تصير محرما مثل ذلك فارذله وارفضه لأنه حرام » انتهى .

وقد قدمنا لك كثيرا من الآيات التوراتية والواقعات الحربية الاسرائيلية مصرفها الى أن أنبياء بنى اسرائيل انما أمروا بقتل الكافرين لا لأجل الدين(١) بل لأجل الملك والانتقام منهم على شركهم وكفرهم ، لا يغنى صاحب الميزان شيئا ، فهذا ونحوه مما يدل على أن قتلهم لأجل كفرهم اذ هو أعظم المعاصى ، على أنا ان سلمنا ذلك فشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام هونت هذا الأمر الشديد وهو القتل مطلقا للمعاصى ، سواء كانوا يؤمنون أو لا يؤمنون . اذ فى شريعة عليه الصلاة والسلام أن يدعون المشركين أولا الى الايمـــان وكسر الأوثان وتوحيد الله سبحانه ، فان أطاعوا فبها ونعمت وليس عليهم ما يؤذيهم ، وان أبو أو اصروا على الشرك وعبادة غيره عز وجل قاتلهم ، فانظر زيادة الرحمة الواردة فى الشريعة الأحمدية على الاحكام الاسرائيلية . وقد مرت لك هذه المسألة فلا حاجة الى زيادة التطويل ، والله سبحانه الهادى الى أوضح سبيل .

قوله « وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من ابراء المرضى واقامة الموتى » لا يخفى عليك أن هذا خلاف الواقع المشهور المتواتر المسطور ، وقد عكس « عبد المسيح » الحال وافترى فى هذا المقال ، اذ سيرة الفاروق فى التواريخ معلومة وعدله وكراماته فى دفاتر الفريقين مرســـومة ، فلا حاجة الى التطويل بذكرها واثبات بدرها . واما سمعان المدعو بالصفا وبطرس ، فلا نقول فى حقه الا ما قيل فى كتب المسلمين انه من الحواريين ، وحال الحواريين مميز فى كتابنا المبين ، الا أن النصارى مع اعتقادهم أنه الصخرة التى بنيت عليه الكنيسة أى دين المسيح وأنه أشرف من موسى الكليم قد نقلوا فى اناجيلهم كفرة بالمسيح عليه السلام كما فى الاصحاح

---

(١) كان فى البدء من أجل الدين ، ثم من بعد تحريف التوراة صار لأجل الملك (انظر كتابنا نقد التوراة)

السادس والعشرين من انجيل متى ، وانه انكر المسيح وحلف على عدم معرفته كما وعده المسيح قائلا له : انك تكفر بى قبل أن يصيح الديك فكفر بطرس الصفا أمام جميع الحاضرين ثلاث مرات ، وانه بعد أن قتل المسيح تاب من كفره ، وكان يبكى كلما يسمع الديك نادما من كفره وجعلوه أيضا شريكا وظلا فى بعض الاحوال للشيطان اللعين الرجيم ، ففى الاصحاح السادس عشر من انجيل متى ما عبارته : « التفت يسوع وقال للصفا : اذهب ورائى يا شيطان قد صرت لى شكا لانك لا تفكر فى ما لله بل فى ما للناس » انتهى .

واما بولس فانه ليس من الحواريين بل من اليهود الذين أظهروا الايمان وأضمروا بخيلهم دين المسيح بعد رفعه الى السماء ، وهو الذى شرع للنصارى احكاما وحرم حلالا وأحل حراما وادعى انه عرج به الى السماء كما فى الاصحاح الثانى عشر من رسالته الثانية الى أهل كورنثوس ، ومنع من الخنان وأباح لهم الخنزير مخالفا لكافة الأديان ، ثم انه قتل فى رومية سنة تسع وستين مسيحية . وقد ذكرنا لك شيئا من ترجمة حاله وأقواله فيما سبق ، فتذكر ولا تغفل .

قال النصرانى : « فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار وبعض اخبار الحواريين الذى نقلنا عنهم ديانتنا التى نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الآن ما تريد جمعه منها الى ما يدك واستعمل الانصاف وأصدق نفسك ولا تغشها وان قبلت منى فانى لك من الناصحين يشهد الله والملائكة على بذلك ، ان تركت مشاركة الفجرة الجهال واقبلت الى نور الانجيل وضياء بشارة المسيح ، تصر من اوليائه ، وترث ملكوت السماء وحياة الأبد التى لا انقطاع لها والنعيم الذى لا يبلغه صنف الامبين ، وخف ممن سلطانه على بدنك ونفسك الذى هو يقدر أن يرحمك ويقبلك كما يقبل الأب الولد الشارد ، فانك تكون من الموفقين ، فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك ، فلا تغفل ولا تغتر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتنغمس فى شهواتها فانها غدارة مهلكة لمن مال اليها . وانظر لنفسك قبل فوت النظر ورد فكرك فيما قد كتبته اليك وشرحته لك من الأشياء التى قلدتها كتابى هذا وقس بعضها ببعض واستعمل فى ذلك قانون العدل وميزان الحق ، وآثره ومل اليه وتجنب الباطل وتنح عنه ، واهرب من الامور المدلسة فانها انما هى بهرجة على قوم جهال أغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تادب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة.

فليس هذا الأمر من الأمور التى يجوز أن يغفل عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه فى الوقتين معا فى هذه العاجلة وفى الآجلة ، وقت لا يقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج . واعلم علما يقينا أن من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك العروة الوثقى التى لا يخيب من طلبها لرضى الرب ، واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه فى كتبه

أما أنا فقد بلغت جهد طاقتى فى النصيحة لك ولكل من نظر فى كتابى هذا وما أبقيت عند نفسى فى ذلك غاية ، واسال الله أن يوفقك وايانا على العمل الصالح بطاعته ، ويعصمنا من معاصيه ويشركنا فى ملكوته مع أوليائه الذين رضى عنهم بجوده وكرمه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، آمين » انتهى .

أقـــول : لنعد لك هذا الكلام ممزوجا بجواب ، ورد عليه ، ومعيدا وباله اليه ، عليه بالحمرة خطا ليبين للناقدين زيف ما هذى به وأخطا .

قال « لقد شرحت — أى كشفت لك — قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار » لو وجدت أيها النصرانى أكثر من ذلك لحررته ، ولو عثرت على كتب أزيد منه لسطرته ، مع أن هذا خارج عن رسالة الهاشمى لأنه والمسلمين مقرون بنبوة المسيح عليه السلام وعبوديته للملك العلام ، معترفون بمعجزاته الواردة فى القرآن مبرءون لجنابه العالى مما نسبه اليه أهل الكفر والطغيان كانكار نبوته وادعاء النصارى الوهيته ، وقد أثبتنا بالدلائل العقلية الانجيلية انسانيته وعبوديته ، وبعض أخبار الحواريين لكنك كتمت ما فعلوه ليلة صلبه من تفرقهم وتركه وحيدا لا يبدى ولا يعيد ، وما فعله منهم يهوذا وتسليمه له لقبض ثلاثين درهما وانكار بطرس له وكفره بالهه — على زعمكم — وليت شعرى اذا نقلتم عنهم ذلك فى انجيلكم ، كيف لك أن تقول : « الذين نقلنا عنهم ديانتنا التى نحن متمسكون بها ومنتحلون لها » لأنهما لم يبق بهما وثوق ، وأنت قد عممت وأردت الجميع وما استثنيت ، مع أنكم أيضا خالفتموهم لأنهم اعترفوا بأن المسيح نبى وعبد مرسول كما اثبتناه لك فيما مر من النقول ، وهم قد اختتنوا وأنتم لا تختتنون ، وهم قد قالوا ينبغى أن يكون الأسقف بعل امرأة واحدة كما فى رسالة بولس الاولى وأساقفتكم ورهبانكم الآن لا يتزوجون ، وهم لا يعتقدون أن المسيح يجوز أكل لحمه وشرب دمه ، وأنتم بزعمكم له آكلون ولدمه شاربون ، فاجمع الآن ما تريد جمعه منها الى ما فى يدك واستعمل الانصاف . واذ قد بينا لك ما فى توراتكم وأناجيلكم من البشائر بنبوة المصطفى ﷺ وانه الفارقليط المعظم ، وسردنا لك جملة من معجزاته المتواترة وسيرته الباهرة ، فاعترف بالحق وأصدق نفسك ولا تغشها وان كانت أعدى أعدائك التى بين جنبيك ، ولا تكن من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وان سمعت ذلك وقبلت منى ما هنالك فتعال الى كلمته سواء بيننا وبينك : « أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » وقد تبين لى أنك (اذا بقيت) بعد هذا فى قولك ، فانى لك من الناصحين ويشهد الله والملائكة على أنك بذلك موافق لما قاله ابليس لأبينا

آدم وأما حواء لما قاسمهما انه لهما من الناصحين ، وأخرجهما بكذبه وخداعه من النعيم وصار غاويا لكثير من ذريته ، حتى أدخلهم نار الجحيم .

دلاهم بغرور ثم أسلمهم ... أن الخبيث لمن والاه غرار

ولقد كبرت كلمة جرى بها لسانك وحررها بنانك بقولك « ان تركت مشاركة الفجرة الجهال » فقد غبت ويلك المسلمين الذين هم آمنوا برب واحد وبجميع كتب الله تعالى المنزلة وأنبيائه المرسلة ، وتطهروا قلبا وجسما وامتلأت صدورهم علما وفهما وزهدوا فى الدنيا ونالوا من الولاية الدرجات العليا ، ودونوا العلوم وأعلموا الناس بما كان فى التوراة والانجيل محرفا ومكلوم ، وتراهم بين راكع لله تعالى وساجد وقائم فى بيوت الله وقاعد وساهر ليلة بالتسبيح والذكر وقاطع نهاره بالتلاوة لكلام الله سبحانه والفكر مداوم على الصوم فى رمضان والصلاة خمسة أوقات يتطهر لكل صلاة وان كان مريضا أو مسافرا فى الفلوات ، ويغتسل ولو فى البرد من كل جنابة ، ويؤدى بعد الصدقات زكاة المال اذا بلغ نصابه ، لا يأكل الخبائث كلحم الخنزير ونحوه مما حرمه الله تعالى فى التوراة التى تزعم أنك بها عالم وخبير ولا الهه فى الخمر ولا يشرب الخمر المذهبة للألباب ولا يبيح أكل كل ما تشتهيه نفسه كالجعلان ، ولو كان رجيع الكلاب ، بل يأكل الطيبات ويتجنب الخبيثات ، ويقول بعد أن يتفكر فى ملكوت الأرض والسموات فى الليل والنهار : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »

فهلا يا عبد المسيح تركت هذا القول الفاجر القبيح وأقبلت الى نور الانجيل وضياء بشارة المسيح التى أخبر بها عن بزوغ بدر نبينا ذى الطالع الصبيح ، من قوله فيما نقله وتلاه يوحنا فى انجيله عليكم : « ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما ان انطلقت أرسلته اليكم » وقال أيضا : « انه أركون (١) هذا العالم ، وهو يشهد لى ويعلم بنى آدم » فاذا فهمت

---

(١) تفسير الأركون فى كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل .

أيها المؤلف مرامه وسمعت كلامه تصر أوليائه وتورث ملكوت السماء وحياة الأبد التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا تبلغه صفة المسيحيين ؛ واتبع توحيد الامين ، وخف ممن سلطانه على بدنك ونفسك ولا تجعل له شريكا أو ابنا تخترعه بباطل وهمك ومخطىء حسك ، فهو الذي لا يحل في مخلوقاته ولا تنتقل الى غيره صفاته . وهو لا عبده وابن أمته المسيح — يقدر من غير واسطة احد أن يرحمك ويقبلك ان أسلمت وبه وحده آمنت ولخاتم النبيائه محمد ﷺ صدقت . فقد قيل ولله سبحانه المثل الأعلى انه يقبل بلطفه ورحمته على التائب كما يقبل الأب الولد الشارد فانك بعد أن تكون من المسلمين تكون ان شاء الله من الموفقين ، وان لم تسمع نصيحتي ولم تقتنع بحجتي فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لديك ، لما قد خصك الله تعالى به من العقل وفضلك على سائر الحيوانات ، ومن الزيادة في الفهم على غيرك من أبناء نوعك فلا تغفل أيها الغافل عن آخرتك ولا تغالط نفسك بعد حسك ولا تبهرج على أبناء جنسك في مثل المتقدم من رسالتك ولا تغتر بامهال الله تعالى لك بهذه الدنيا ، ولا تتعلق بأسبابها التي فتلتها لك الأيدي الشيطانية ، ولا تنفق للناس زيوف كلماتك التي زعمت انها فيلسوفية وتتغمس في رتغة شهواتها وتبيع آخرتك بعاجل لذاتها . فانها وأيم الله غدارة مهلكة مكارة آفكه خادعة ، لمن مال اليها ، نازعة نعم من يتكل عليها . وانظر لنفسك الضعيفة قبل فوت النظر واعتبر بمن فسق وفجر كيف مضى ولا عين ولا أثر ، وردد فكرك ولا تغالط ما يخالج من الحق صدرك ، فيما قد أجبتك به وكتبته وحصحص الحق به عليك وشرحته لك من المعجزات الباهرة ، لأشرف من يمشي على الساهرة والآيات الدالة على نبوته في العهدين التي لا ينكر ضوءها الا أعمى البصيرة والعينين والأجوبة عما أوردته واعترضت به مما هو زور ومين ، وما بينته لك من الأشياء التي قلدتها كتابي هذا .

فتدبر جميع تلك المسائل وقس بعضها ببعض ولا تكن عن الكثير الذي أودعته العلماء في بطون الكتب يغافل ، العمل في ذلك قانون العدل ، واقصد « اظهار الحق » الذي هو في الحقيقة « ميزان الحق » الذي أتى به صاحبنا الشيخ رحمت الله الهندي فانه القول الفصل لا هزل

البروتستانت الظاهر تطبيقه لأهل البيان ، واهتد بهداية الحيارى فانه فصل الخطاب وما كتبه سائر أئمة الاسلام فى هذا الباب ولا سيما « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » فاعتصم به وآثر وصل اليه واصعد الى فلكه واستوى عليه ، لتنجو من المهالك وتجنب طريق الباطل ، فانه من أشر المسالك وتنح عنه ولا تقرب آسن الافتراء فانه لا يروى العطشان منه واهرب من الأمور المدلسة ولا تتبع شيطانك فيما وسوسه ولا تأبه بفصاحة الفاظ فاسدة المقاصد والمعانى بذية المبانى ، لا يخفى بطلانها على الغوانى فضلا عن كل عالم ربانى فانها انما هى بهرجة وكلام يذم من سمعه .

وقد حاولت أن تشبه على أقوام جهال غبياء لا علم لهم بسيرة سيد الأنبياء ولا معرفة بما جاءت به الانباء ولا تأدب لهم ، اذ لو كان لهم لما اتبعوا كل ما شرع لهم الرهبان وجميع ما يشرع البابا يقدمونه على انجيل عيسى عليه السلام وعلى توراة موسى بن عمران ولا حكمة لهم ولا نظر ، اذ لو كان لهم شىء من هذين لما اعتقدوا الخرافات التى يكذبها السمع والعين ، ولعلموا أن اعتقاد الأوخرستيا نوع من انواع الجنون ، وأن ولادة الله سبحانه من بطن مريم وصلبه وموته عقيدة يضحك منها أصحاب العجل السامريون . ولعمر الله انه شىء يترفع عن اعتقاده صاحب وثن ، والبراهمة ذوى القول المستهجن والمجوس الصقعاء والصائبون الحمقاء لأنه لا يطابقه عقل ولا شريعة مرسل .

فاذا علمت ما قلناه وتأملت تأمل طالب للحق غير متبع هواه فاتبع الحق ولا تتمارى واصح من سكرتك فانت وأيم الله من السكارى ، فليس هذا الأمر من الأمور التى يجوز أن يغفل عنها ، وليس يليق بالعاقل الا أن يرد الشريعة الطاهرة المحمدية ، ويروى منها ، وانى وكل عاقل لنتعجب من نصرانى قرأ القرآن وعرف ما أتته من المحالات أضاليل الرهبان ، كيف غشى على عقله حتى لا يلتفت اليه ، مع أن الحرى به أن يجعله مرآة قلبه وعينه ، لأنه هو الأمر المحصول عليه فى الوقتين

بها ، فى هذه العاجلة ، حيث يهذب الاخلاق ويوقفك على توضيح توحيد الخلاق ، وتستخرج منه الحكم والامثال والاحكام العالية المنال ، ويكون فى الآجلة نورا لصاحبه وحجة عند الله تعالى لمتبعه ومنجيا من عذابه وموصلا لعظيم ثوابه .

وينبغى لك أيها المنكر له عنادا ، تذكر وقت لا تجد فيه مالا ولا أولادا ولا ناصرا ولا احفادا ، ولا يقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج بالحجج التى لا تنفع بل تضر ، واعلم أيها المثلث علما يقينا أن من كفر بالطاغوت وآمن بالله ولم يجعل له شريكا ولم يسجد لصليب من الخشب المنحوت وصدق بنبوة محمد ﷺ الى أن يموت ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن زاغ عن هذه العقيدة فهو الاشقى ، ومن اتبع الشريعة العربية السالمة من كل عيب التى لا يخيب من طلبها لرضى الرب ، فقد نال السعادة العظمى بلا شك ولا ريب ، ومن اجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه عليه وشرعه فى كتبه ، وما بلغه الرسول عن ربه ، فقد فاز بالحسنى والمقام الاسنى ، وتقلب فى دار النعيم والخلود عندما يخلد فى دار الجزاء والعذاب اهل الجحود من النصارى واليهود .

ثم انك يا عبد المسيح أردت غش العقلاء فتقاصرت ، ورميت جميع ما فى جعبتك وما اصبت ، وظنت أن صقرك وبقرك تروج فى سوق الجهال ، وخدعتك نفسك أن بلاد المسلمين خلت من أفاضل الرجال ، وزعمت أنك ممن له معرفة بالنضال ، حتى نزلت فى ميدان المخاصمة والجدال ، فقد منيت نفسك بالاباطيل وزخرفت كلماتك بقال وقيل ، فأبديت لأمثالك سوءتك وكشفت لأسترك الله عورتك ، حتى رجعت سهامك الى نفسك الامارة وعادت اليك نارك التى أوقدتها للمسلمين ، ولم تنلهم منها شرارة .

واما أنا العبد المملوك لله فقد بلغت جهد طاقتى وأظهرت لك ما خفى عليك من أجوبتى وما نبرته علماء ملتى ، وقشعت غياهب ما أبديته من المشكلات ما بين العبارات ، وأبطلت والحمد لله تعالى سحر كلماتك بنفثات الآيات والمعجزات وأمطت النقاب عن خزعبلاتك ، ونبهت الغافلين

عن مكذوباتك والتيت عصى الحق فالتقمت لباطلك ، وأوقدت مصباح الصدق ، وأظهرت لمن فى الظلمة حبائلك ، وبذلت استطاعتى فى لك ولكل من نظر فى كتابى هذا من المسيحيين طالبا للسلوك فى طريق الهداية ، مع من سلك .

وما أبقيت عند نفسى فى ذلك الرد غاية ، واسأل الله تعالى وحده أن يوفقك أن كنت ممن سبقت لك الحسنى منه وايانا على العمل الصالح بطاعته والدوام على التصديق بكتابه المنزل على المخصوص برسالته ، ويتوفانا على الايمان بسيدنا محمد ونبوته ، ونبتهل اليه أن يجعلنا من أهل شفاعته وأن يعصمنا — أى يحفظنا — من كبائر معاصيه ، ويسكننا مع المنعم عليهم فى دار كرامته ، وأن يشركنا مع نبينا فى ملكوته ويحلنا مع أوليائه الذين رضى عنهم بجودة وكرمه ، فانه الجواد بوافر نعمه . والصلاة والسلام على أنبياء الله وعليك أيها النبى وعلى عباد الصالحين ورحمة الله وبركاته آمين .

قال نصرانى فى آخر هذا الكتاب عند اكمال تصحيحه ما عبارته :

تنبيه يقول المتولى تصحيح هذه الصفحات : انه ما حصل بيدى لهذا العمل الا نسختان : احداهما منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية ، والثانى عن نسخة من احدى مكاتب مصر ، بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ ، ولا تاريخ النسخ ، والنسختان فى غاية التحريف مع الاختلاف العظيم فى عدة مواضع ، فاجتهدت فى التأليف بينهما على قدر الامكان ، ومن بذل وسعه فلا لوم عليه ، وان قصر .

هذا ووجدت فى آخر النسخة المصرية الزيادة اللاتى نصها بحروفها بلغنا أنه انتهى الأمر الى «المأمور» فى خبر الرسالتين فأمر باحضارهما وقرانا عليه ، فلم يزل ناصتا حتى جاء الى آخرهما ، فقال : ما كان دعاه الى أن تعرض لما ليس من عمله ، حتى أجاد كتاف نفسه ، فاما النصرانى فلا حجة لنا عليه لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام على دينه ، والدين دينك احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة فالدين المجوسى وما جاء به زرادشت . واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح ، وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذى جاء به صاحبنا فانه الدين الجامع والآخرة انتهى .

ثم قال هذا النصراني المصحح « أما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير ابو ريحان محمد بن احمد البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية اذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصائبة والآدميين قربانا للقمر ، فقال : وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ، ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً انتهى .

ثم قال هذا النصراني وأما عبد المسيح هذا فما عثرت على ذكر له في شيء مما تيسر لي مراجعته من التواريخ الاسلامية ، سوى ما نقلته هنا عن البيروني . والله أعلم ما نسبته من يعقوب بن اسحق الكندى الشهير مترجم الكتب اليونانية الملقب بفيلسوف الاسلام .

انتهى كلام النصراني المصحح للكتاب المطبوع الذى رددناه . ولله الحمد والمنة .

اعلم أن كلمات هذا المصحح النصراني تنادى على صحة ما ظننناه من أن هذا الكتاب مفتعل ومختلق في عصرنا هذا من بعض البروتستنتيين او من جميعهم ومنسوب الى شخص نصراني في أيام المأمون ، ولا يخفى هذا على كل متأمل ذكى وفطن ألمعى ، وأراد بزعمه أن يموه على السامعين والقارئين زيف مقاصده فحرر هذا التنبيه ، مع أنه يظهر كالشمس ضافية .

وليت شعرى لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر ، حتى نرى فيهما هاتين النسختين ويلوح الأثر للعين ؟ اذ مكاتب القسطنطينية لها اسماء معروفة ودفاتر لكتبها مطبوعة وعن طالبها غير مصروفة وكذا المكاتب المصرية ، أسماء كتبها مطبوعة ومنشورة في البلاد الشرقية ، فعدم ذكره لاسمى المكتبتين أمارة ظاهرة على انطماس هذا العين .

ثم انه اختلق أيضا قول « المأمون » ليرى سراب فعله ماء للعيون ، وكيف يروج على ذى عقل ودين أن يقول هذا الخليفة العباسى ما قال بين ملأ من المسلمين ، ويعبر بصاحبنا عن نبينا السيد الشفيع الأمين عليه

افضل صلاة المصلين وازكى سلام المسلمين ، ويجعل دين النصارى دين الآخرة وهو يعلم حالهم الظاهرة ، وانهم يعملون ما يعملون ، ثم يغفر القسيس ذنوب النفوس الفاجرة ، فتعود بغفرانه من كل كبيرة وصغيرة ظاهره ونقية ! ان ما فيه من التمويه لا يخفى على كل نبيه ، فلا تتعب جواد القلم بجريه فى واديه ، ولنمسك عنان فيه ، ونعوذ بالله تعالى من شرور هذا الزمن وكيد بنيه ، ونساله أن يحفظنا من شر ما خلق ويصرف عنا وعن المسلمين اذى كل مختلق ، ويقينا شر كل حاسد ومتعامى عن الحق جاحد وبحسن خواتم أعمالنا وان يعلمنا ما لم نعلم ، وينفعنا بما يعلمنا ويرزقنا العافية فى الدنيا والآخرة ، وينور قلوبنا وقبورنا بكلمة التوحيد الفاخرة ، ويهدينا الى ما اختلف فيه من الحق باذنه ، انه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، ويميتنا على دين نبيه سيدنا وشفيعنا الرسول المصطفى المختار ، وحبه وحب أنبيائه السادة الاطهار والآل والصحابة والتابعين الابرار ، اللهم صل عليه وعليهم أجمعين وعلى الملائكة والمقربين وعباد الله الصالحين ، وعلينا معهم يا أرحم الراحمين . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

وقد وقع للفراغ من تاليفه : غرة جمادى الأولى لسنة ست وثلثمائة والف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها افضل الصلاة واكمل التحية .

وكان الشروع فيه : غرة ذى الحجة من سنة اربع وثلثمائة والف ، الا أنه حصل تعطيل فى البين ، نحو ستة أشهر ، ونساله سبحانه القبول والتوفيق والعافية فى الدارين آمين .

تم الجزء الثانى من الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح وبتمامه تم الكتاب

وقد فرغنا من تحقيقه فى يوم الاربعاء الثالث من ربيع الثانى سنة الف واربعمائة وثمانية من الهجرة ، الموافق الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة سبع وثمانين وتسعمائة والف من الميلاد ، فى استراحة اساتذة جامعة أم درمان الاسلامية بالخرطوم .

فهرست الجزء الثانى

من الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح

الموضوع	الصفحة
كلام النصرانى فى مرض موت النبى صلى الله عليه وسلم ورد الالوسى عليه .	٣
كلام النصرانى فى أن المسلمين فى عهد « المأمون » رضى الله عنه كانوا منافقين . ورد الالوسى عليه .	٢٠
كلام النصرانى فى أن دين الاسلام انتشر بالسيف ورد الالوسى عليه	٤٤
كلام النصرانى فى قيمة الشرائع ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس نبيا صادقا ، ورد المؤلف عليه .	٧١
كلام النصرانى فى أن القرآن ليس معجزا ، ورد المؤلف عليه	٨٤
كلام النصرانى فى كتابة القرآن بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ورد المؤلف عليه .	١٢٣
كلام النصرانى فى فصاحة القرآن وبلاغته . ورد المؤلف عليه نص صك غفران .	١٩٤ ٢٣٣
كلام النصرانى فى أن اللغة العربية فيها لحن وتحريف ورد المؤلف عليه .	٢٧٢
كلام النصرانى فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم خدع العرب بالنبوة ولكنه لم يكن نبيا . ورد المؤلف عليه .	٢٧٥
كلام النصرانى فى الخلافات التى عند المسلمين . ورد المؤلف عليه	٢٨٠
كلام النصرانى فى أنه مكتوب على العرش لا اله الا الله . ورد المؤلف عليه .	٢٨٦
نقد النصرانى لشعائر الدين الاسلامى . ورد المؤلف عليه	٣١٦
كلام النصرانى فى الختان . وكلام الالوسى فيه	٣٢٤
كلام النصرانى فى الحج . وكلام الالوسى فيه	٣٤٧
كلام النصرانى فى أن المؤمنين بيسوع المسيح ينالون من الله ما يطلبونه . ورد المؤلف عليه	٣٩٢
كلام النصرانى فى أن القرآن فيه تناقض . ورد المؤلف عليه	٣٩٨
كلام النصرانى فى أن المعجزات الحسية وخوارق العادات قد تظهر على يد أى انسان . ورد المؤلف عليه .	٤٣١
كلام النصرنى فى أن الله يبتلى الناس بالأسقام والأمراض . وكلام المؤلف عليه	٤٤٨

الموضـــوع	الصفحة
كلام النصرانى فى أن المسلمين الذين يقتلون فى سبيل الله ليسوا شهداء . ورد المؤلف عليه	٤٦٠
كلام النصرانى فى أن القرآن يدعو الى الملذات والشهوات ورد المؤلف عليه	٤٦٦
كلام النصرانى فى أن القرآن يبيح الطلاق . ورد المؤلف عليه	٤٧٥
كلام النصرانى فى الفخر بالشفاعة . ورد المؤلف عليه	٤٨٠
كلام النصرانى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « حبب الى من دنياكم الطيب والنساء » وشبهه . ورد المؤلف عليه	٤٨٦
توضيح النصرانى لعقائد النصارى . ورد المؤلف عليه	٤٩٢
بيان النصرانى أنه وحده على الحق ، وأن المسلمين ضالون ورد المؤلف عليه .	٥٣٨
استدلال النصرانى على صحة دينه بايات من التوراة وأسفار الأنبياء . ورد المؤلف عليه .	٥٦٩
انكار النصرانى لتحريف التوراة والانجيل ، ورد المؤلف عليه	٥٩٣
اثبات النصرانى لنبوة عيسى عليه السلام بالمعجزات التى ظهرت على يديه . ورد المؤلف عليه بأن الله لا يحل فى شىء .	٦٨٢
شرح النصرانى لبدء دعوة عيسى عليه السلام فى بلاد اليهود مع يحيى عليه السلام . وتعقيب المؤلف عليه	٧٣٥
توضيح النصرنى لما فى الانجيل من النصائح والعظات ، وتعقيب المؤلف عليه .	٧٥٥
توضيح النصرانى لعادات عيسى عليه السلام واخلاقه . وتعقيب المؤلف عليه .	٧٨٧
كلام النصرانى فى أن دعوة عيسى عليه السلام عالمية لبنى اسرائيل وللامم ، وتعقيب المؤلف عليه .	٨٠٥
كلام النصرانى فى رفع عيسى عليه السلام الى السماء واستشهاده بالقرآن على ذلك . وتعقيب المؤلف عليه	٨٣٠
حث النصرانى المسلمين على التنصر وترك دين الاسلام . ورد المؤلف عليه .	٨٤٨

تم فهرس الجزء الثانى من الجواب الفسيح لما
لفقه عبد المسيح ــ للامام الالوسى
وبتمامه ، تم الكتاب كله